﴿فهرست كتاب خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام﴾

صحيفة

٢ خطبة الكتاب
٣ عتاب بن أسيد رضي الله عنه
٦ ابتداء دولة بني العباس
٦ ظهور النفس الزكية
١٠ ذكر دخول القرامطة مكة
١٥ ذكر خطبة محمد بن سليمان
١٦ ذكر دولة الأشراف بمكة
٢٠ انقراض دولة العبيديين
٢١ ذكر آخر أمراء مكة
٢١ ذكر من مات في جوف الكعبة من الزحام
٢٨ ذكر من مات من الزحام بباب العمرة
٣٠ ذكر الفتنة بين الترك والشكارنة
٣١ ذكر فتنة بعرفة بين الأشراف الخ
٣١ ولاية الشريف عجلان بن رميثة
٣٢ ذكر شراكة ثقبة وسند الخ
٣٣ ذكر فتنة بين الأشراف وعسكر مصر
٣٣ ذكر شراكة أحمد بن عجلان مع أبيه
٣٤ ذكر شراكة محمد بن أحمد بن عجلان لأبيه
٣٤ ذكر من مات في جوف الكعبة من الزحام
٣٤ قصة فرار عنان بن مغامس
٣٥ مشاركة أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك
٣٥ ولاية علي بن عجلان بن رميثة
٣٥ ذكر رجوع علي بن عجلان مشاركا لعنان
٣٦ موت الشريف عنان بمصر
٣٦ قتل الشريف علي بن عجلان
٣٦ ولاية الشريف حسن بن عجلان
٣٨ ذكر الجمل الذي دخل المسجد الحرام
٣٨ ذكر الفتنة التي حصلت في المسجد
٣٩ ولاية رميثة بن محمد بن عجلان
٣٩ رجوع الشريف حسن في ولاية مكة
٤٠ ذكر قيام الشريف بركات بن حسن الخ
٤١ ولاية الشريف علي بن عنان
٤١ رجوع الشريف حسن في الإمارة
٤١ ذكر وفاة الشريف حسن بمصر
٤١ ولاية الشريف بركات بن حسن واستدعاء السلطان برسباي له الى مصر
٤٢ ولاية علي بن حسن بن عجلان
٤٢ ذكر اعفاء السلطان الشريف الخ
٤٢ ولاية الشريف علي بن حسن ورجوع الشريف بركات الى مكة وولاية الشريف أبي القاسم
٤٣ رجوع الشريف أبي القاسم الخ
٤٣ رجوع الشريف بركات الى مكة الخ
٤٣ استدعاء السلطان جقمق الشريف بركات
٤٣ وفاة الشريف بركات
٤٤ تفويض الولاية للشريف محمد بن بركات
٤٤ ذكر من مات في جوف الكعبة من الزحام
٤٤ ذكر صلاة الشريف هزاع
٤٥ ذكر حج السلطان قايتباي
٤٦ وفاة الشريف محمد بن بركات
٤٦ ولاية الشريف بركات بن محمد
٤٦ ولاية الشريف هزاع بن محمد بن بركات
٤٧ وفاة الشريف هزاع
٤٧ ولاية الشريف أحمد بن محمد بن بركات
٤٧ رجوع الشريف بركات بن محمد لولاية مكة
٤٨ ولاية الشريف حميضة بن محمد بن بركات
٤٩ زواج الشريف بركات بالشرق
٤٩ ولادة الشريف أبي نمي بن بركات
٤٩ وفاة علي بن بركات بن محمد بن بركات
٤٩ وفاة قايتباي بن بركات
٥٠ ذكر قتال السلطان الغوري والسلطان سليم
٥١ ابتداء المحمل الرومي
٥١ أول ورود حب الصدقة لأهل مكة
٥٢ وفاة السلطان سليم
٥٢ وفاة الشريف بركات
٥٢ ولاية الشريف أبي نمي الخ
٥٢ جد الأشراف آل منديل وآل حراز

صحيفة

٥٣ قتال الشريف أبي نمى الافرنج بجدة
٥٣ فتنة بين الشريف أبي نمى وأمير الحج
٥٥ وفاة السيد أحمد بن أبي نمى
٥٥ ابتداء مجيء المحمل من اليمن ووفاة الشريف أبي نمى الخ
٥٦ ولاية الشريف حسن بن أبي نمى استقلالا
٥٨ فراسة الشريف حسن بن أبي نمى الخ
٦١ وفاة داود بن عمر الانطاكى
٦١ وفاة الشريف ثقبة بن أبي نمى
٦١ وفاة الشريف حسن بن أبي نمى
٦١ عدد أولاد الشريف حسن وأسماؤهم
٦٢ ولاية الشريف أبي طالب بن حسن بن أبي نمى
٦٢ ما كتب فى منشور الشريف أبي طالب
٦٣ وفاة الشريف عبد المطلب بن حسن
٦٣ وفاة الشريف أبي طالب
٦٤ ولاية الشريف ادريس بن حسن
٦٥ دخول الشريف ادريس وابن أخيه الخ
٦٥ استقلال الشريف محسن بولاية الحجاز
٦٦ وفاة الشريف ادريس
٦٧ نقل خطبة العيد من الائمة الشافعية
٦٨ وفاة الشريف محسن بأرض اليمن
٦٨ دخول الشريف أحمد بن عبد المطلب
٦٩ سبب قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى
٦٩ قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدى فى السجن
٧١ قتل الشريف أحمد بن عبد المطلب
٧١ ولاية الشريف مسعود بن ادريس
٧١ دخول السيل المسجد وسقوط البيت
٧١ وفاة الشريف مسعود
٧١ ولاية الشريف عبد الله بن حسن
٧٢ نزول الشريف عبد الله بن حسن عن الامارة لولده
٧٣ وفاة الشريف عبد الله بن حسن
٧٣ قتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله
٧٣ ولاية الشريف نامى بن عبد المطلب
٧٤ دخول مولانا الشريف زيد بن محسن الخ

صحيفة

٧٤ توجه الشريف زيد لقتال الشريف نامى فى تربة
٧٤ تعليق الشريف نامى وأخيه بالمدعى
٧٥ وقوع الفناء فى الخيل بمكة
٧٥ منع العجم من الحج والزيارة
٧٧ زيارة الشريف زيد بن محسن المدينة
٧٧ قتل زفر أفندى قاضى المدينة
٧٨ وفاة السيد عبد العزيز عصر بالطاعون
٧٩ حدوث سيل عظيم بمكة
٧٩ وفاة الشريف زيد بن محسن
٨٠ جلوس الشريف سعد بن زيد للتهنئة بالامارة
٨٥ ما كتبه الشريف سعد للسيد احمد الخ
٨٧ غريبة
٩٠ ارتحال الشريف سعد وأخيه أحمد الخ
٩٠ ولاية الشريف بركات بن محمد
٩١ صورة كتاب الوزير للسيد حمود
٩١ تهنئة الشيخ محمد بن أحمد الزرعة الخ
٩٤ وفاة السيد حمود بن عبد الله الخ
٩٧ ابتداء خروج أمير الطلبة للقاء الحج
٩٩ وفاة الشريف بركات
٩٩ ولاية الشريف سعيد بن بركات
١٠٣ ذكر ورود الامر السلطانى الخ
١٠٧ ذكر قضية الشيخ تاج الدين القلعى
١٠٩ الولاية الاولى للشريف سعيد الخ
١١٣ ولاية الشريف أحمد بن غالب
١١٤ ولاية الشريف محسن بن الحسين
١١٧ الولاية الثانية للشريف سعيد
١١٩ الولاية الثانية للشريف سعد
١٢١ ولاية الشريف عبد الله بن هاشم
١٢٢ ذكر قبض محمد باشا على الوزير جيدان
١٢٣ دخول الشريف أحمد بن غالب مكة
١٢٤ وفاة الشريف أحمد بن غالب الخ
١٢٥ الولاية الثالثة للشريف سعد
١٢٨ الولاية الثالثة للشريف سعيد
١٣٦ خروج الشريف سعيد من مكة الخ

صحيفة	
١٣٦	دخول الشريف عبد المحسن مكة
١٣٧	ذكر نزول مولانا الشريف عبد المحسن الخ
١٤٢	الولاية الرابعة للشريف سعد
١٤٣	الولاية الثانية للشريف عبد الكريم
١٤٨	الولاية الرابعة للشريف سعيد
١٥٤	ورود أغاة القفطان الخ
١٥٥	دخول الشريف عبد الكريم مكة الخ
١٥٩	عزل المفتي عبد القادر الخ
١٦٥	الولاية الخامسة للشريف سعيد
١٦٦	عدد ولايات الشريف عبد الكريم
١٦٦	وفاة الوزير عثمان حمدان
١٦٧	عدد ولايات الشريف سعيد الخ
١٦٧	وفاة الشريف سعيد
١٦٨	تولية الشريف عبد الله بن سعيد
١٦٩	ولاية الشريف علي بن سعيد
١٦٩	خطاب الشريف عبد المحسن بن أحمد الخ
١٧٠	ولاية الشريف يحيى بن بركات
١٧٠	عزل الشريف يحيى بن بركات
١٧٠	ذكر وفاة الشريف عبد المحسن
١٧١	دخول الشريف مبارك بن أحمد مكة
١٧٣	ذكر الفتنة التي وقعت بالمدينة
١٧٤	ذكر قتل المظلوم بجدة الخ
١٧٥	الولاية الثانية للشريف يحيى
١٧٧	ذكر نزول الشريف يحيى عن شرافة مكة
١٧٨	ذكر الحرب بين الشريف بركات الخ
١٧٩	الولاية الثانية للشريف مبارك
١٨٠	الولاية الثانية للشريف عبد الله
١٨١	عزل الشيخ محمد الشيبي عن سدانة البيت
١٨٣	ذكر الرخاء الواقع سنة ١١٤٠ الخ
١٨٣	وفاة الشريف عبد الله بن سعيد
١٨٤	ولاية الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد
١٨٤	ذكر قيام العامة على العجم
١٨٧	ولاية الشريف مسعود بن سعيد
١٨٨	الولاية الثانية للشريف محمد بن عبد الله
١٩٠	الولاية الثانية للشريف مسعود
١٩١	عدد أولاد السيد محسن بن عبد الله

صحيفة	
١٩٣	سبب لعن الرافضة في المنبر الخ
١٩٥	ذكر وفاة الشريف مسعود
١٩٦	ذكر وفاة الشريف محمد بن عبد الله
١٩٧	ذكر القبض على الشريف مساعد الخ
١٩٨	ذكر نزول الشريف جعفر عن الشرافة
١٩٨	وفاة الشريف جعفر بن سعيد
٢٠٠	ذكر وفاة الشريف مساعد
٢٠١	ذكر ولاية الشريف عبد الله بن سعيد
٢٠١	نزول الشريف عبد الله عن شرافة مكة
٢٠٢	ذكر وصول الجردة
٢٠٣	ذكر ولاية الشريف عبد الله بن حسين
٢٠٤	ذكر تعيين مفتي مكة الخ
٢٠٥	رجوع الشريف أحمد بن سعيد لولاية مكة
٢٠٧	ذكر ولاية الشريف سرور بن مساعد والوقعات التي بينه وبين عمه الخ
٢١٥	ذكر وفاة الشريف أحمد بن سعيد
٢١٥	الجماعة الذين أرادوا قتل الشريف سرور
٢١٦	زيارة الشريف سرور
٢١٧	القتال الواقع بين الشريف سرور وأهل المدينة
٢١٨	رجوع الشريف سرور من طريق الشرق
٢١٩	ذكر عزم الشريف سرور على قتال حرب
٢٢٠	ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وقبائل هذيل
٢٢٠	ذكر ابتداء عمارة القلعة التي في جياد
٢٢١	ذكر تعيين أهل المدينة أمين الصرة
٢٢١	ذكر عزل وتولية
٢٢١	ذكر موت الوزير ريحان
٢٢١	ذكر ابتداء بناء بيت عرفة
٢٢٢	ذكر التجهيز الثاني لقتال حرب
٢٢٣	ذكر ختان أولاد الشريف سرور
٢٢٤	ذكر مرض الشريف سرور
٢٢٤	ذكر وفاة الشريف سرور
٢٢٥	ذكر ولاية الشريف عبد المعين

صحيفه

٢٢٥ ذكر ولاية الشريف غالب بن مساعد

٢٢٥ ذكر قتال الشريف غالب مع بعض اخوانه

٢٢٦ ذكر الصلح بين مولانا الشريف واخوانه

٢٢٦ ذكر وفاة السلطان عبد الحميد بن احمد خان

٢٢٦ ذكر قتل الخطيب

٢٢٦ ذكر الفتنة بين الشريف غالب الخ

٢٢٨ ابتداء فتنة الوهابية مع الرد عليهم بما يبطل ما يدعوه

٢٤٠ الدعاء المسنون عند الخروج من البيت

٢٥٢ دعاء يقال بين سنة الفجر وفرضه

٢٥٣ ذكر دعاء تنوير البصر

٢٥٨ دعاء يؤتى به في السفر اذا اقبل الليل

٢٦١ غزوات الشريف غالب مع الوهابية وهى ست وخمسون غزوة

٢٩١ الصلح بين الشريف واحد علمائهم الخ

٢٩٢ ذكر بناء قلعة الهندى

٢٩٣ وصول الشريف عبد الله بن سرور الخ

٢٩٤ رجوع الحج الشامى من الطريق الخ

٢٩٤ ذكر امر سعود باحراق المحمل المصرى

٢٩٤ ذكر اخذ الوهابى ما فى الحجرة الشريفة

٢٩٥ صدور الامر من السلطان سليم لمحمد على

٢٩٥ وصول الجيش الى ينبع وقتاله مع الوهابى

٣٢٠ ذكر وفاة الشريف عبد الله بن ناصر

٣٢٠ ذكر وفاة سيدنا الشريف محمد بن عون

٣٢١ ذكر ولاية سيدنا الشريف عبد الله باشا

٣٢١ ذكر فتنة جدة

٣٢٣ ذكر زيارة سعيد باشا والى مصر المدينة

٣٢٤ ذكر وفاة السلطان عبد المجيد

٣٢٤ ذكر وفاة سعيد باشا والى مصر

٣٢٤ مسير الشريف عبد الله لقتال عسير

صحيفه

٣٢٤ ذكر وفاة الشريف سلطان بن الشريف محمد

٣٢٤ ذكر وفاة محمد وجيهى باشا الخ

٣٢٤ ذكر ابتداء حفر خليج السويس

٣٢٥ ذكر وفاة سيدنا الشريف على باشا

٣٢٥ ذكر عزل معمر باشا الخ

٣٢٥ ذكر فتنة حوا

٣٢٥ استيلاء الدولة العلية على بلاد عسير

٣٢٦ ذكر وفاة الشريف شرف الخ

٣٢٦ ذكر عزل خورشيد باشا الخ

٣٢٦ عزل قاسم باشا وتولية محمد رشيد الاكرز

٣٢٦ عزل محمد رشيد باشا الاكرز

٣٢٦ ذكر وفاة محمد رشدى باشا الشروانى

٣٢٦ ذكر خلع السلطان عبد العزيز

٣٢٦ ابتداء تعليم اهالى مكة الحركات العسكرية

٣٢٦ وفاة الشريف عبد الله

٣٢٧ توجيه امارة مكة لسيدنا الشريف الحسين

٣٢٧ عزل تقى الدين باشا وتولية حالت باشا

٣٢٧ طعن سيدنا الشريف الحسين ووفاته بجدة

٣٢٧ ذكر الامارة الثالثة للشريف عبد المطلب

٣٢٨ ذكر عزل ناشد باشا وتولية صفوت باشا

٣٢٨ ذكر عزل صفوت باشا وتولية احمد عزت باشا

٣٢٨ ذكر عزل احمد عزت باشا الخ

٣٢٩ كيفية خلع الشريف عبد المطلب الخ

٣٢٩ ذكر ولاية سيدنا الشريف عون الخ

٣٢٩ ذكر فتنة عرابى بمصر

٣٣٠ ذكر عزل اسمعيل باشا واقامة ولده حضرة محمد توفيق باشا واليا على مصر

﴿ هذا ﴾

خلاصة الكلام

في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام الى وقتنا هذا بالتمام

تأليف شيخ الاسلام ملاذ العلماء الاعلام إمام الحرمين وزين الزمان المرحوم بكرم الله المنان مولانا

السيد احمد بن زيني دحلان

تغمده الله بالرحمة والرضوان

آمين

م

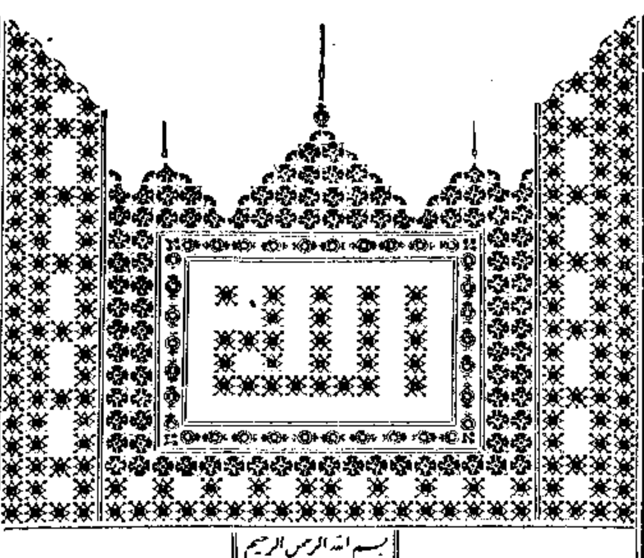
قد اشتمل هذا الكتاب على ما يقضي بالعجب العجاب من الاسلوب العجيب والاستطراد الغريب فمن ذلك غزوات الشريف غالب مع الوهابيه والرد عليهم بما هو أمضى من السيوف الاشرفيه وقصة دخول القرامطه مكة المشرفة وذكر بعض أحوال السلاطين ومن تولى من الولاة ولاية الحجاز الامين وغير ذلك من اللطائف الادبيه والانساب الهاشميه وليس الخبر كالعيان وستقر به بعد التأمل العينان

خذ ما نظرت ودع شيأ سمعت به ٭ في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

﴿ ولاجل تمام النفع وضعنا بالهامش التاريخ المسمى بالاعلام ﴾
(باعلام بيت الله الحرام وهو تاريخ مكة المشرفه حرسها الله)

﴿ الطبعة الاولى ﴾
(بالمطبعة الخيريه المنشأة بجوش عطي بجماليه)
(مصر المحميه سنة ١٣٠٥)
﴿ هجريه ﴾

٭



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿أما بعد﴾ فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين قد سألني بعض من لا تسعني مخالفته أن ألخص في كراريس من ولي امارة مكة من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا ليسهل مراجعة ذلك عند الاحتياج وان كان ذلك مذكورا في التواريخ الا أنه منتشر في ضمن كثير من الوقائع والاخبار لا يهتدي اليه من أراده الا بمشقة فجمعت هذه الكراريس ملخصا لما فيها من التواريخ المعتمدة عند أهل العرفان مقتصرا على ما لا بد منه في البيان ﴿وسميته خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام﴾ واعلم أن علم التاريخ علم يعرف به أحوال الماضين وموضوعه أخبار السابقين وثمرته اعطاء كل ذي حق حقه واسترجاع النفوس وتثبتها واستكثارها من الاعمال الصالحة قال تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك قال حسان بن يزيد لم نستعن على دفع كذب الكذابين بمثل التاريخ ويحكى أن يهوديا أظهر كتابا ذكر فيه أنه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة جمع من الصحابة منهم علي ومعاوية وسعد بن معاذ رضي الله عنهم فعرضوا ذلك على الحافظ أبي بكر الخطيب فتأمله وقال هذا مزور فقيل له من أين علمت ذلك قال فيه شهادة معاوية وهو أسلم يوم الفتح وكان الفتح في السنة الثامنة من الهجرة وكان فتح خيبر في السنة السابعة وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات سعد يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين فأي منقبة أشرف من هذا قال الصفدي التاريخ للزمان مرآة وتراجم العلماء للمشاركة والمشاهدة مرقاة وأخبار الماضين لمن عاقره الهموم ملهاة وأنشد

لولا الاحاديث أبقتها أوائلنا • من الندى والردى لم يعرف السمر

يقال

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي جعل المسجد الحرام حرما آمنا ومثابة للناس وأمر بتطهير الكعبة البيت الحرام والعاكفين وأزال عنها الخوف والباس وقيض لعمارة حرمه الامين أعظم الخلفاء والسلاطين وأجلسهم على سرير السعادة أكرم جلاس نحمده على حصول المراد ونشكره على الكرامة والاسعاد بهذا الحرم الشريف الذي سواء العاكف فيه والباد ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك السلام ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المنزل عليه قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام القائل من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا في الجنة دار السلام صلى الله عليه وعلى آله الكرام وصحبه العظام نجوم الهدى ومصابيح الظلام ما طاف بالبيت العتيق طائف واعتكف بالمسجد الحرام عاكف ووقف بعرفات والمشعر الحرام واقف ﴿وبعد﴾ فلما وفقني الله تعالى لخدمة العلم الشريف وجعلني

من جيران بيته المعظم المنيف تشوقت نفسى الى الاطلاع على علم الآثار وتشوقت الى فن التاريخ وعلم الاخبار لاشتماله على حوادث الزمان وما أبقاه الدهر من أخبار وقائع الدوران وأحوال السلف وما أبقوا من الآثار والاحداث بعد ما صاروا الى الاجداث فان فى ذلك عبرة لمن اعتبر وايقاظا لجاهل من مضى وغبر واعلاما بان ساكن الدنيا على جناح سفر ومفاكهة للفضلاء وافادة لمن يأتى بعد من البشر فان من أرخ فقد حاسب على عمره ومن كتب وقائع أيامه فقد كتب كتابا من بعده بحوادث دهره ومن قيد ما شاهد فقد أشهد أحوال أهل عصره من لم يكن فى عصره ومن كتب التاريخ فقد أهدى الى من بعده أعمارا وبوأ أسماعهم وأبصارهم دارا ما كانت لهم ديارا وأعلم أهل الآفاق بلادا ما كانت لهم مستقرا ولا دارا

فاتنى أن أرى الديار بعينى
فلعلى أرى الديار بسمعى

وقد أفادنا الامم الماضون باخبارهم وأطلعونا على ما دثر وبقى من آثارهم فأبصرنا ما لم نشاهده بابصارهم وأحطنا علما بما لم نحط به خبرا باخبارهم فرحمهم الله تعالى أجمعين وبوأهم جنات عدن خالدين فيها وقال

لقد غرسوا حتى أكلنا وانما
لنغرس حتى يأكل الناس بعدنا

فأردنا الافادة من بعدنا ببعض ما رأينا وشاهدنا واعلامهم ببعض ما شاهدنا وعهدنا استدعاء للدعاء منهم والاسترحام وطلبا للمثوبة من الله الملك السلام وقد قلت فى هذا المقام

لم يبق منا غير آثارنا
ونمضى من بعد الخلاق
وكلنا من جملة الفنا
وانما الله هو الباقى

﴿تنبيه﴾ لا يخفى على ضمائر أولى البصائر وخواطر أهل الفضل الباهر ان المسجد الحرام الذى هو حرم أمن للانام زاده الله شرفا وتعظيما ومنحه عزا وعظمة واجلالا وتكريما أعظم مساجد الدنيا وأشرف مكان خصه الله تعالى بالشرف والعليا يجب تعظيمه وتكريمه على كافة الانام سيما سلاطين الاسلام الذين هم ظل الله فى العالم وخلائف الله فى الارض على كافة بنى آدم وقد بنى هذا المسجد ووسعه عدة من الخلفاء أمراء المؤمنين وعقبه ورممه جملة من أكابر السلاطين وسنشرحه ان شاء الله تعالى وكان آخر ما شاهدنا من آخر أيام الصبا الى الكهولة ما عمره المهدى العباسى وزيادة دار الندوة للمعتضد العباسى وزيادة دار ابراهيم للمقتدر العباسى ثم مالت الاروقة الثلاثة من الجانب الشرقى من المسجد الحرام سنة تسعمائة وخمسة وتسعين وفارق

يقال من أرخ فقد حاسب الايام على عمره ومن كتب حوادث الزمان فقد كتب الى من بعده بحديث دهره ومن قيد ما شهده فقد أشهد عصره من لم يكن من أهل عصره وقد قيل

اذا علم الانسان أخبار من مضى • توهمته قد عاش حينا من الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره • اذا كان قد أبقى الجميل من الذكر

وقال آخر

طالع تواريخ من فى الدهر قد وجدوا • تجد همو ما تسلى عنك ما تجد
تجد أكابرهم قد جرعوا غصصا • من الرزايا بهم كم فتتت كبد

قالوا ومن حفظ التاريخ زاد عقله ومن نظر فى وقائع الزمان هانت مصيبته قال ابن عباس رضى الله عنهما ذكر الله التاريخ فى كتابه واستنبطه بعضهم من قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين والحاصل أن القرآن فيه الاعلام بذكر الامم الماضية والقرون الخالية وفيه الاحياء لذكرهم ومآثرهم فيحصل بذلك التثبيت له صلى الله عليه وسلم ولامته والتنويه بعلو قدره وشرف أمته وهذا أوان الشروع فى المقصود فنقول أول أمير تولى امارة مكة بعد فتح النبى صلى الله عليه وسلم اياها فى رمضان فى السنة الثامنة من الهجرة

﴿عتاب بن أسيد رضى الله عنه﴾

وهو بتشديد التاء وفتح همزة أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أسلم عتاب رضى الله عنه يوم الفتح وولاه النبى صلى الله عليه وسلم مكة عند مخرجه الى حنين فى العشر الاول من شوال سنة ثمان من الهجرة وكان عمره احدى وعشرين سنة وجعل معه معاذ بن جبل الانصارى وهبيرة بن شبل رضى الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه فى الدين قيل ان أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح هبيرة بن شبل رضى الله عنه فكان معاذ وهبيرة رضى الله عنهما يتناوبان الصلاة بالناس بمكة وحج عتاب رضى الله عنه بالناس سنة ثمان ولم يزل واليا على أهل مكة الى وفاة سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكانت وفاته ووفاة سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فى يوم واحد وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاثة عشر من الهجرة وقيل ان عتابا توفى يوم ورود خبر وفاة أبى بكر الصديق رضى الله عنه لاهل مكة وقال صلى الله عليه وسلم لعتاب حين بعثه واليا على أهل مكة هل تدرى الى من أبعثك أبعثك الى أهل الله فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا وولى امارة مكة فى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه (المحرز بن حارثة بن سعد بن عبد العزى ثم قنفذ بن عمير بن جدعان التيمى ثم نافع بن الحارث الخزاعى) وخرج نافع هذا الى لقاء سيدنا عمر رضى الله

السطح المتصل برباط المرحوم السلطان قايتباي والمدرسة الافضلية لصاحب اليمن التي صارت الآن من وقف الخواجا ابن عباد الله وصاروا يرعون ذلك من كل جانب من السلطنة الشريفة في أيام السلطان الاعظم الاكرم السلطان سليمان خان عليه الرحمة والرضوان الى أن مال هذا الجانب الشرقي ميلا عظيما ظاهرا محسوسا بحيث كان يخشى سقوطه ثم علق وأسند بالاخشاب في أيام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم مالك ملوك العصر والزمان الحليم السليم الكثير الاحسان السلطان سليم خان ابن سليمان خان أنزل الله عليه شآبيب الرحمة والرضوان فعرض ذلك عليه فبرز أمره الشريف ببناء جميع المسجد من جوانبه الاربعة على أحسن وضع وأجمل صورة وأمر أن يجعل مكان السطح قبب محكمة راسخة الاساس لان خشب السقف يبلى بتقادم الزمان وتأكله الارضة والقبب أمكن وأزين في سنة تسعمائة وسبع وتسعين فلما وصل اليه الحكم الشريف شرع فيه لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثمانية وتسعين على وجه جميل بغاية الاحكام والاتقان وأسس على تقوى من الله ورضوان الى أن نقل من سرير سلطنة الدنيا الى ملك لا يبلى وعز لا يفنى وسلطان لا يزول ونعيم لا ينفد ولا يحول في جنة عالية فيها عين جارية بها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم كمل اتمام عمارة المسجد الحرام في أيام دولة السلطان الاعظم الهمام أجل عظماء ملوك الاسلام سلطان سلاطين الارض مالك بساط البسيطة بالعرض القائم بوظائف النفل والسنة والفرض خداوندكار العالم وسلطانه وأمير المؤمنين الذي جلس على كرسي الخلافة من تحت قدر كسرى وايوانه الذي غذي بلبان العدل والاحسان ونشأ على طاعة الله وعبادته منذ كان والى الآن وأحب العلماء والصالحين وأمدهم بالخيرات الحسان الى آن وعجز عن القيام بحق شكره لسان كل ملسان مجدد معالم المسجد الحرام هو وأبوه وجده ومشيد مدارس العلوم الدينية وقد شملها سعده وجده ناشر ألوية الامن والامان في جميع الممالك والبلاد ظل الله الممدود على كافة العباد السلطان الاعظم والليث الغشمشم والبحر الخضم السلطان مراد جعل الله السلطنة والخلافة كلمة باقية فيه وفي عقبه الى يوم التناد وأزال بنور عدله ظلام الظلم والعناد وشتت بسيف قهره شمل أهل الكفر والالحاد

عنه الى عسفان حين قدم للحج واستخلف على مكة عبد الرحمن بن أبزى مولى بني خزاعة فأنكر عليه سيدنا عمر رضي الله عنه كونه جعل مولى من الموالي واليا على أهل مكة فلما رأى عتبه عليه قال يا أمير المؤمنين انه أقرأهم وأعلمهم بالكتاب والسنة فهان ما بعمر رضي الله عنه وقال ان الله ليرفع أقواما بهذا الكتاب ويضع آخرين أي لعدم علمهم به وممن ولي مكة لعمر رضي الله عنه (خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة وأحمد بن خالد وطارق بن المرتفع بن الحارث بن عبد مناف والحارث بن نوفل القرشي) وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يحج بالناس في زمن خلافته الا السنة الاولى من خلافته فانه أمر عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس وكانت وفاة سيدنا عمر رضي الله عنه لاربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وممن ولي مكة في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه (علي بن عدي بن ربيعة وخالد بن العاص والحارث بن نوفل المتقدم ذكرهما ثم عبد الله بن خالد بن أسيد) وهو أخو عتاب بن أسيد (ثم عبد الله بن عامر الحضرمي ونافع بن الحارث الخزاعي) المتقدم ذكره وفي أول سنة من خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه أمر عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس ثم صار سيدنا عثمان يحج بنفسه الى أن حصر سنة خمس وثلاثين فأمر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فحج بالناس ولما استشهد سيدنا عثمان رضي الله عنه كان أمير مكة (خالد بن العاص) المتقدم ذكره وولي مكة في خلافة سيدنا علي رضي الله عنه (أبو قتادة الانصاري وقثم بن العباس) وقيل وليها أيضا أخوه (معبد بن العباس رضي الله عنهم) ولما استشهد سيدنا علي رضي الله عنه كان أمير مكة قثم بن العباس ولم يتفق لسيدنا علي رضي الله عنه أن يحج بنفسه في زمن خلافته لاشتغاله بالحروب فحج بالناس سنة ست وثلاثين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وحج بهم سنة ثمان وثلاثين قثم بن العباس وفي سنة تسع وثلاثين حج بهم شيبة بن عثمان الحجبي وسبب ذلك انه قدم مكة يزيد بن شجرة الرهاوي عاملا لمعاوية رضي الله عنه على مكة وأخذ البيعة له بمكة ونازعه عامل علي رضي الله عنه ثم اتفقا على أن يعتزلا الحج بالناس ويحج بهم شيبة بن عثمان واستشهد سيدنا علي رضي الله عنه سنة أربعين من الهجرة وولي مكة في خلافة سيدنا معاوية رضي الله عنه جماعة منهم أخوه (عتبة بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وابنه عمرو بن سعيد) المعروف بالاشدق (وخالد بن العاص المخزومي وعبد الله بن خالد بن أسيد) وكانت وفاة معاوية رضي الله عنه سنة ستين من الهجرة وولي مكة في زمن ابنه يزيد جماعة منهم (عمرو بن سعيد والوليد بن عتبة ابن أبي سفيان وعثمان بن محمد بن أبي سفيان والحارث بن خالد المخزومي وعبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب ويحيى بن حكيم) ثم بايع أهل مكة (عبد الله بن الزبير) رضي الله عنهما سنة اثنين وستين

وهدم معاول بأسه وسطوته الكنائس والبيع وعمر بصيب معدلته وصيب عدله ورأفته المساجد والجمع كما قال الله القوى القادر فى محكم كتابه العظيم الباهر انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وفى ذلك أقول

ان سلطاننا مراد الظل الله فى الارض باهر السلطان ... ملك صار من مضى من ملوك الارض وجامعين المعانى
ملك هو فى الحقيقة عندى ... ملك سبع صبغة الانسان ملك عادل فكل ضعيف ... وقوى فى حكمه سيان
سيفه والمنون طوع رهان ... على قتل العدو يبتدران كل المسجد الحرام بناء ... فاق فى العالمين كل المبانى
هكذا هكذا والا فلا لا ... انما الملك فى بنى عثمان (٥) ولما كان هذا البنيان العظيم الاركان آثارا باقيا

على صفحات الزمان دالا على عظم شأن من أمر ببنائه من أعيان الانسان كما أشار اليه القائل فى سالف الازمان

ان البناء وان تعاظم أمره ... أضحى يدل على عظيم البانى

جمعت فى هذه الاوراق من أخبار ذلك ما رق وراق تسير به الركبان الى سائر الآفاق وتنير فى صفحات الدهر كالشمس فى الاشراق ويحفظ فى خزائن الملوك والسلاطين كأنفس الاعلاق فكان كتابا حسنا فى بابه عظيما عن تعلق بأسبابه أنيسا تحمل مؤانسته وجليسا لا تمل مجالسته جمع بين لطائف تاريخيه وأحكام شرعيه ومواعظ نافعه وفوائد بارعه ﴿وسميته الاعلام بأعلام بيت الله الحرام﴾ وخدمت به خزائن كتب هذا السلطان الاعظم الشاب الاعدل الاكرم المطيع لله ولا رامر خير الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم أحد السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل الا ظله ويشملهم بفيض فضله العظيم فلا فضل الافضله خلد الله تعالى على الاسلام والمسلمين ظلال سلطنته القوى المتين لتأييد هذا الدين المبين وآنام الانام فى ظل أمانه وعدله المكين وأبقاه على سرير السلطنة العادلة دهرا طويلا وثبته على نهج الكتاب والسنة ولن تجد لسنة الله تحويلا والله أسأل أن يكسو هذا المؤلف من حسن القبول جلبابا لا يخلقه كر الليالى والايام ويجعلنا من المقبولين فى بابه العالى الفائزين بالنظر الى وجهه الكريم فى دار السلام وقد رأينا أن نقسم هذا الكتاب المستطاب الى مقدمة وعشرة أبواب وخاتمة والابواب الى فصول بحسب الاحتياج والى الله المرجع والمآب ﴿الباب الاول﴾ فى وضع مكة المشرفة

من الهجرة ومات يزيد سنة أربع وستين واستقر بها عبد الله بن الزبير الى أن استشهد سنة ثلاث وسبعين من الهجرة فولى مكة (الحجاج) من قبل عبد الملك ثم بعد الحجاج وابها جماعة منهم (مسلمة بن عبد الملك بن مروان ثم الحارث بن خالد المخزومى) وفد على عبد الملك فلم يصله فرجع من عنده وأنشا أبياتا فبلغت عبد الملك فارسل فى طلبه فلما وقف بين يديه سأله عما عليه من الدين فقال ثلاثون ألفا فقال له عبد الملك قضاء دينك أحب اليك أم ولاية مكة فقال بل ولاية مكة فولاه اياها وقيل ان ذلك كان قبل ولاية مسلمة بن عبد الملك ثم عزل الحارث وولى مسلمة ثم عزل مسلمة وولى (خالد بن عبد الله القسرى) (ثم نافع بن علقمة الكنانى ثم يحيى بن الحكم بن أبى العاص) وتوفى عبد الملك سنة ست وثمانين فولى الخلافة ابنه الوليد فولى مكة (عمر بن عبد العزيز بن مروان) وعزله سنة تسع وثمانين وقيل سنة احدى وتسعين وولى (خالد بن عبد الله القسرى) المتقدم ذكره واستمر الى أن توفى الوليد سنة ست وتسعين فولى الخلافة سليمان بن عبد الملك وولى مكة (خالد بن عبد الله القسرى) ثم عزله وولى (طلحة ابن داود) ثم عزله بعد ستة أشهر وولى (عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد) وتوفى سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين وولى الخلافة عمر بن عبد العزيز فولى مكة (عبد العزيز) المذكور ثم (محمد ابن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم عروة بن عياض ثم عبد الله ابن قيس بن مخرمة ثم عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن سراقة العدوى) وذكر ابن جرير أن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد المذكور أولا هو الذى ولى مكة لعمر بن عبد العزيز مدة خلافته جميعها وجمع بعض الناس فقال لعل المذكورين من الولاة تولوا امارة مكة لعمر بن عبد العزيز زمن ولايته عن الوليد فى المدة التى كانت ولايته بالمدينة فان مكة كانت فى ولايته أيضا وتوفى عمر بن عبد العزيز سنة احدى ومائة فولى الخلافة بعده يزيد بن عبد الملك فولى مكة (عبد العزيز) السابق ذكره (ثم عبد الرحمن بن الضحاك القرشى ثم عبد الواحد بن عبد الله النصرى) وتوفى يزيد بن عبد الملك سنة مائة وخمسة وقيل مائة وسبعة فولى الخلافة هشام بن عبد الملك فولى مكة فى زمنه جماعة منهم (عبد الواحد النصرى) المتقدم ذكره ثم (ابراهيم بن هشام المخزومى) خال هشام بن عبد الملك (ثم أخوه محمد بن هشام) وقيل ممن ولى مكة زمن هشام بن عبد الملك (نافع بن علقمة الكنانى) السابق ذكره فى خلافة عبد الملك وتوفى هشام بن عبد الملك سنة مائة وخمسة وعشرين فولى الخلافة الوليد ابن يزيد بن عبد الملك فولى مكة (يوسف بن محمد الثقفى) وقتل الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة وولى الخلافة يزيد بن الوليد وولى مكة (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز) وكانت مدة خلافة يزيد بن الوليد خمسة أشهر ثم مات فولى الخلافة أخوه ابراهيم بن الوليد ثم بعد أربعين ليلة

شرفها الله تعالى وحكم بيعها وشرائها وحكم المجاورة بها ﴿الباب الثاني﴾ في بناء الكعبة المعظمة زادها الله تعالى شرفاً وتعظيماً ﴿الباب الثالث﴾ في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في الجاهلية وصدر الاسلام ﴿الباب الرابع﴾ في ذكر ما زاد العباسيون في المسجد الحرام ﴿الباب الخامس﴾ في ذكر الزيادتين اللتين زيدتا في المسجد الحرام بعد التربيع الذي أمر به المهدي العباسي ﴿الباب السادس﴾ في ذكر من عمره من ملوك الجراكسة في المسجد الحرام ﴿الباب السابع﴾ في ذكر ملوك آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم الى انقضاء الدوران وذكر نبذة من أخبار شاه اسمعيل القزلباش ﴿الباب الثامن﴾ في دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان السلطان الاعظم سليمان خان ﴿الباب التاسع﴾ في ذكر دولة السلطان الاعظم الخاقاني حضرة سليم خان الثاني صاحب التكايا والمباني ﴿الباب العاشر﴾ في ذكر سلطان الزمان السلطان مراد الذي بأجله تأليف هذا الكتاب ﴿الخاتمة﴾ في ذكر المواضع والامكنة المشرفة التي يستجاب فيها الدعاء ﴿المقدمة﴾ في ذكر سند نافي النقل في كتابنا هذا من أخبار البلد الحرام الى من ننقل عنه الوثوق والاعتماد ﴿اعلم﴾ أن من بركة العلم نسبته الى قائله ومالم يكن هنالك سند بين الناقل الراوي ومن ينقل عنه فلا اعتماد على هذا النقل ولابد أن يكون رجال السند موثوقاً بهم والا فلا اعتبار لتلك الرواية وأقدم مؤرخي مكة هو الامام أبو الوليد محمد بن عبد الكريم الازرقي ثم الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق بن العباس الفاكهي المكي ثم قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسيني الفاسي ثم المكي ثم الحافظ نجم الدين عمر بن محمد بن فهد وهذا الاخير ممن أدركناه ولنا عنه رواية فأما الاولون فنذكر سندنا اليهم لنعتمد على نقلنا عنهم أما أبو الوليد الازرقي فنروي تاريخه ومؤلفاته عن جماعة أجلاء أخيار وعلماء كبار منهم والدي المرحوم مولانا علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضي خان بن بهاء الدين بن يعقوب الحنفي القادري الخرقاني النهروالي ثم المكي رحمه الله تعالى وليس جدنا قاضي خان صاحب الفتاوى المشهورة من علماء مذهبنا بل هذا غيره الذي من علماء نهروان قال أخبرنا بها العز عبد العزيز بن فهد عن والده الحافظ نجم الدين عمر بن فهد عن شيخه قاضي القضاة السيد تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المؤرخ وقال أخبرنا عبد الله بن عمر المصري عن أبي زكريا يحيى بن يوسف القرشي اجازة أن أبا الحسن علي بن هبة الله الخطيب عبد الله بن

خلع وولي الخلافة مروان بن محمد بن مروان فأثبت ولاية (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز) على مكة ثم عزله وولى على مكة (عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك) ثم تغلب على مكة أبو حمزة الخارجي وأخرج منها عبد الواحد وقصة هذا الخارجي مذكورة في التواريخ ثم جهز مروان بن محمد جيشاً لاخراج الخارجي من مكة والمدينة وأمر على الجيش عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فأخرج جيش أبي حمزة الخارجي وقتله وولى مكة ووليها أيضاً لمروان بن محمد (الوليد بن عروة السعدي) ويقال أيضاً وليها لمروان (محمد بن عبد الملك بن مروان) وانقضت دولة مروان بن محمد سنة مائة واثنين وثلاثين وقتل

﴿ابتداء دولة بني العباس﴾

وقام ملك بني العباس فكان أول خلفائهم السفاح أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فولى مكة في أيامه عمه (داود بن علي بن عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما ثم وليها أيضاً في زمن السفاح (عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) وتوفي السفاح سنة مائة وستة وثلاثين وولي الخلافة أخوه المنصور وولى مكة في خلافته جماعة أولهم (العباس بن عبد الله بن معبد) السابق ذكره (ثم زياد بن عبد الله الحارثي) السابق ذكره أيضاً ثم عزله وولى مكة (الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني) واستمر الى سنة ثلاث وأربعين فعزله وولى مكة (السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب) واستمر الى سنة خمسة وأربعين ومائة

﴿ظهور النفس الزكية ومبايعة الائمة له﴾

وفيها ظهر بالمدينة النفس الزكية وهو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب فبايعه الائمة من أهل عصره كمالك وأبي حنيفة رحمهما الله تعالى ومن في طبقتهما فوجه الى مكة من قبله (محمد بن الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب) ومعه القاسم بن اسحق واليا على اليمن يعني القاسم بن اسحق فخرج عليهم السري أمير مكة من قبل المنصور والتقيا بشعب اذاخر فانهزم السري ودخل محمد بن الحسن مكة وأقام بها يسيراً فأتاه كتاب من محمد بن عبد الله يأمره بالرجوع الى المدينة ليعينه وينصره وسير جيش المنصور اليه لمحاربته وعليهم أمير عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس فسار من مكة هو والقاسم بن اسحق فبلغه وهو بنواحي قديد قتل محمد بن عبد الله النفس الزكية والقصة مذكورة في التواريخ وقيل ان الذي ولاه محمد بن عبد الله على مكة الحسن بن معاوية والد محمد بن الحسن والله أعلم بالصواب ثم عاد السري الى ولاية مكة من قبل المنصور واستمر الى سنة مائة وستة وأربعين فعزله المنصور وولى

ظافر الازدي أنبأه عن أبي طاهر أحمد بن محمد الحافظ قال أنبأنا به المبارك بن عبد الجبار المعروف بالطيوري قال أنبأنا به أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري قال أنبأنا به أبو بكر بن أحمد بن محمد بن أبي موسى الهاشمي قال أنبأنا به أبو اسحق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي قال أنبأنا به أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الوليد الازرقي رحمه الله وأما أبو عبد الله محمد بن اسحق الفاكهي فاني أروي مؤلفه عن الحافظ المسند المعمر خطيب بلد الله الحرام أحمد محب الدين ابن أبي القاسم محمد العقيلي النويري المالكي تغمده الله برحمته قال أنبأني به المسند المعمر أبو العباس أحمد بن محمد الدمشقي الشهير بالحفار اجازة قال أنبأتني به المسندة المعمرة زينب بنت أحمد بن عبد الرحيم اجازة قال أنبأني به الحافظ المسند

جمال الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سبط الحميري اجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد بن محمد السلفي اجازة قال أنبأنا به الحافظ محمد بن أحمد التميمي كتابة قال أنبأنا به الحافظ أبو علي الحسين بن محمد الغساني أحد أركان الحديث بقرطبة قال أنبأنا به الحافظ الحكم بن محمد الجذامي عن أبي القاسم بن أبي غالب الهمداني عن أبي الحسن الانصاري عن مؤلفه رحمه الله تعالى

﴿الباب الاول في ذكر موضع مكة المشرفة شرفها الله تعالى وحكم بيع دورها واجارتها وحكم المجاورة بها﴾

(اعلم) ان بلد الله الحرام مكة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما بلدة كبيرة مستطيلة ذات شعاب واسعة لها مبتدأ ونهايتان فمبدؤها المعلاة وهي المقبرة الشريفة ومنتهاها من جانب جدة موضع يقال له الشبيكة ومن جانب اليمن قرب مولد سيدنا حمزة رضي الله عنه أسفل مجرى العين ينزل اليه من درج يقال له بازان وعرضها من وجه جبل يقال له الآن جبل جزل الى أكثر من نصف جبل أبي قبيس ويقال لهذين الجبلين الاخشبان وسماهما الازرقي جبل أبي قبيس والجبل الاحمر وانه قال أخشبا مكة أبو قبيس وهو الجبل المشرف على الصفا والآخر الذي يقال له الاحمر وكان يسمى في الجاهلية الاعرف وهو الجبل المشرف على قيقعان وعلى دور عبد الله بن الزبير انتهى فيكون قيقعان هو ما يشرف على الجبل المقابل لابي قبيس وقال ياقوت في معجم البلدان قيقعان هو نفس الجبل وانما سمي الآن جبل جزل بكسر الجيم وفتح الزاي وتشديد اللام لان طائفة من الجيوش يقيمون بهذا الجبل يسمون بهذا الاسم يلعبون فيه بالطبل (وأما موضع الكعبة المعظمة) فهو وسط

مكة (عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس) عم المنصور والسفاح واستمر الى سنة مائة وتسع وأربعين وكان عبد الصمد هذا من عجائب المخلوقات منها أنه مات بأسنانه التي ولد بها وكانت قطعة واحدة من أسفل وله اتفاقات غريبة ثم ولي بعد عبد الصمد (محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما واستمر الى سنة مائة وثمانية وخمسين وفيها توفي المنصور وولي الخلافة ابنه محمد المهدي فولى مكة (ابراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) الى سنة مائة واحدى وستين فولى (جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس) الى سنة ست وستين فولى (عبيد الله بن قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب) وذكر الفاكهي ان محمد ابن ابراهيم الامام السابق ذكره ممن ولي مكة أيضا للمهدي وتوفي المهدي سنة مائة وثمانية وستين وولي الخلافة ابنه موسى الهادي وفي أيامه تغلب على مكة (الحسين بن علي بن الحسن المثنى بن الحسن السبط) وذلك في سنة مائة وتسعة وستين فانه ظهر بالمدينة وخرج بمن بايعه الى مكة فدخل مكة وبلغ الهادي خبره فكتب الى محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس يأمره بمحاربته ومدافعته وكان محمد بن سليمان قد توجه الى الحج في هذه السنة في عدة من قومه وعسكر بذي طوى وانضم اليه من حج من جماعته وقوادهم فلاقاهم الحسين فاقتتلوا يوم التروية فقتل الحسين وهو محرم وقتل من أصحابه نحو مائة رجل بفخ وهو موضع معروف بقرب الزاهر وحمل رأس الحسين الى الهادي فلما رآه تعبس ولم يعجبه ذلك ومنع الاثنين برأسه من الجائزة وممن قتل مع الحسين من أهل بيته سليمان بن عبد الله بن حسن وعبد الله بن اسحق بن ابراهيم بن حسن وروى أبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فخ فصلى فيه بأصحابه صلاة الجنازة ثم قال يقتل ههنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المسلمين ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة تسبق أرواحهم الى الجنة أجسادهم انتهى وكان الحسين هذا شهيد فخ كريما شجاعا مفضالا وقدم على المهدي فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها ببغداد والكوفة وكان لا يملك ما يلبسه الا فروة ليس تحتها قميص كذا قال الفاسي وتوفي موسى الهادي سنة سبعين ومائة فولي الخلافة أخوه هرون الرشيد فولى مكة في زمنه جماعة لا يعرف ترتيبهم في الولاية منهم (أحمد بن اسمعيل بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وحماد البربري وسليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس والعباس بن موسى بن عيسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس والعباس بن محمد بن ابراهيم الامام) السابق ذكره (وعبد الله ابن قثم بن عباس) السابق ذكره (وعلي بن موسى بن عيسى أخو العباس بن موسى والفضل بن

المسجد الحرام بين هذين الجبلين في وسط مكة ولها شعاب كثيرة ومزورة اذا أشرف الانسان من جبل أبي قبيس لا يرى جميع مكة
بل يرى أكثرها وهي تسع خلقا كثيرا خصوصا في أيام الحج فانه يرد اليها قوافل عظيمة من مصر والشام وحلب وبغداد وبصرة
والحسا ونجد واليمن ومن بحر الهند والحبشة والشحر وحضرموت وعربان جزيرة العرب طوائف لا يحصيهم الا الله تعالى فتسعهم
جميعا وأفنيتها وجبالها ووهادها وهي تزيد عمارتها وتنقص بحسب الازمان وبحسب الولاية والامن والخوف والغلاء والرخاء وهي
الآن بحمد الله تعالى في دولة السلطان الاعظم الفياض الاكرم معمر هذا العالم بالبذل والفضل والكرم (السلطان مراد خان)
خلد الله ملكه وجعل بساط البسيطة ملكه في أعلا (٨) درجات العمارة والامن والرخا بحسب ما رأينا من أول العمر الى
الآن هذه العمارة ولا قريبا منها وكنت اشاهد قبل الآن في زمن الصبا خلو الحرم الشريف وخلو المطاف من الطائفين حتى أني أدركت الطواف وحدي من غير ان يكون معي أحد مرارا كثيرة أترصد خلو الكعبة ثوابه ان يكون الشخص الواحد يقوم بتلك العبادة وحده في جميع الدنيا وهذا لا يكون الا بالنسبة الى الانسان فقط وأما الملائكة فلا يخلو عنهم المطاف الشريف بل يمكن ان لا يخلو عن أولياء الله تعالى ممن لا تظهر صورته ويطوف خافيا عن أعين الناس ولكن لما كان ذلك خلاف الظاهر صار يثابر على أداء هذه العبادة بالانفراد ظاهرا كثير من الصلحاء لانه ليس معنا عبادة يمكن ان ينفرد بها رجل واحد في جميع الدنيا
ولا يشاركه غيره في تلك العبادة بغيرها الا الطواف فانه يمكن ان ينفرد به شخص واحد بحسب الظاهر والله جاء
تعالى أعلم بالسرائر ٭ حتى حكى لي والدي رحمه الله ان وليا من أولياء الله تعالى رصد الطواف الشريف أربعين عاما ليلا ونهارا
ليفوز بالطواف وحده فرأى بعد هذه المدة خلو الطواف الشريف فتقدم ليشرع واذا بحية تشاركه في ذلك الطواف فقال لها من
أنت من خلق الله تعالى فقالت أنا أرصد ما رصدت قبلك بمائة عام فقال لها حيث كنت انت من غير البشر فاني فزت بالانفراد بهذه
العبادة وأتم طوافه ٭ وحكى لي شيخ معمر من أهل مكة انه شهد الظباء تنزل من جبل أبي قبيس الى الصفا وتدخل من باب الصفا الى
المسجد ثم تعود لخلو المسجد من الناس وهو صدوق عندي وكنا نرى سوق المسعى وقت الضحى خاليا عن الباعة وكنا نرى القوافل

العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ومحمد بن عبيد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان
ابن عفان) رضي الله عنه (وموسى بن عيسى بن موسى) المتقدم ذكره وفي سنة مائة وثلاثة
وسبعين جاءت الحبشة في زمن الحج الى جدة فأوقعوا بمن فيها فخرج الناس هاربين الى مكة فخرج
معهم أهل مكة لقتال الحبشة ودفعهم فلما رأت الحبشة ذلك هربوا الى المراكب فهزموا منهم
صاحب مكة غزاة في البحر وقيل ان ذلك كان سنة ثلاث وثمانين ومائة والله أعلم وأراد الرشيد أن
يوصل ما بين بحر القلزم وبحر الروم ليتهيأ له ان يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكي لو
فعلت ذلك دخلت سفاين الروم أرض العرب واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه وتوفي
الرشيد سنة احدى وتسعين ومائة وقيل سنة ثلاث وتسعين ومائة وولي الخلافة ابنه محمد الامين
فولى مكة في أيامه (داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس) رضي الله عنهما
فضمت اليه المدينة فولى ابنه سليمان المدينة فبعد مضي مدة كتب اليه أهل المدينة
يلتمسون منه الاتيان اليهم ويفضلونها على مكة فرد عليهم أهل مكة بقصيدة مثلها وحكم بينهم
رجل من بني عجل ناسكا كان مقيما بجدة والقصة مشهورة لا حاجة لاستيفائها ولما خلع الامين
سنة سبع وتسعين ومائة وبويع المأمون أبقى (داود بن عيسى) على ولاية مكة والمدينة ثم فارق
مكة متخوفا من الحسين بن الحسن بن علي الاصغر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن
أبي طالب رضي الله عنه المعروف بالافطس وذلك ان أبا السرايا السري بن منصور الشيباني قام
بالعراق يدعو لبيعة أهل البيت وتغلب على كثير من العراق فولى مكة (الحسين بن الحسن)
المذكور فلما بلغ داود بن عيسى توجه الحسين الى مكة جمع أصحابه وقال لا استحل القتال بمكة والله
لئن دخلوا من هذا الفج لاخرجن من هذا الفج فانحاز في ناحية ثم خرجوا الى العراق وصعد الناس
عرفة بلا امام فصلى بهم رجل من عرض الناس بلا خطبة ودفعوا من عرفة وقيل ان الحسين بن
الحسن لما بلغ سرف توقف عن دخول مكة خوفا من بني العباس فلما بلغه خلوها منهم وخروج
داود بن عيسى دخل في عشرة أنفار من أصحابه فطاف وسعى ومضى الى عرفة فوقف بها ليلا ثم صلى
بالناس الصبح بالمزدلفة وأقام بمنى الى ان قضى الحج ثم عاد الى مكة فعسف وظلم واستمر الى ان بلغه
قتل أبي السرايا سنة مائتين فخاف تغير الناس عليه فعمد الى محمد بن جعفر الصادق الملقب بالديباج
فجاءه وسأله المبايعة له بالخلافة فكره محمد بن جعفر ذلك فاستمال ابنه علي بن محمد المذكور فلم يزل
به حتى بايعوه بالخلافة وجمعوا الناس على مبايعته كرها ولقبوه أمير المؤمنين وذلك في ربيع الاول
سنة مائتين وبقي شهورا ليس له من الامر شيء والامر للافطس وعلي بن محمد وهما على أقبح سيرة ثم

تأتي بالحنطة من بجيلة فلا يجد أهلها من يشترى منهم جميع ما جلبوه وكانوا يبيعون ما جاؤا به بالاجل اضطرارا ويعودوا بعد ذلك ويأخذوا أثمان ما باعوه وكانت الاسعار رخيصة جدا لقلة الناس وعزة الدراهم وأما الآن فالناس كثيرون والرزق واسع والخير كثير والخلق مطمئنون آمنون في ظلال السلطنة الشريفة خائضون في بحر انعامها واحسانها ونعمتها الوريفة أدام الله تعالى سلطنته الزاهرة وأطال عمره وخلد دولته القاهرة وخلافته الباهرة (ومكة شرفها الله تعالى) يحيط بها جبال لا يسلك اليها الخيل والابل والاحمال الامن ثلاث مواضع أحدها من جهة المعلاة والثانية جهة الشبيكة والثالثة المسفلة وأما الجبال المحيطة فيسلك من بعض شعابها الرجال على أقدامهم لا الخيل والجمال والاحمال وكانت مكة في قديم الزمان مسورة بجهة المعلاة كان بها جدار عريض من طرف جبل عبد الله بن عمر الى الجبل المقابل وكان فيه باب من خشب مصفح بالحديد أهداه ملك الهند الى صاحب مكة وقد أدركنا منها قطعة جدار كان فيه ثقوب للسيل قصير دون القامة وهو سمت قطعة جدار بني الى جانبه سبيل على مجرى ذيل عين حنين بناه المرحوم مصطفى ناظر العين باسم المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقاه الله ماء الكوثر والسلسبيل في يوم العطش الاكبر قدام الميزان وجعل على السبيل منظرة بها شبابيك من الجهات الاربع يتنزه الناس فيها وذلك باق الى هذا اليوم وهدم ما عداه وكان في جهة الشبيكة أيضا سور ما بين جبلين متقاربين بينهما الطريق السالك الى خارج مكة وكان هذا السور فيه بابان بعقدين أدركنا أحد العقدين يدخل فيه الجمال والاحمال ثم هدم شيأ فشيأ الى ان لم يبق منه شئ الآن ولم يبق منه الا فج بين جبلين متقاربين فيه المدخل والمخرج وكان سور في جهة المسفلة في درب اليمن لم ندركه ولم ندرك آثاره وذكر التقي الفاسي رحمه الله نقلا عمن تقدم انه كان بمكة سور من أعلاها دون السور الذي ذكره قريبا من المسجد المعروف بمسجد الراية فانه كان من الجبل الذي الى جهة القرارة ويقال له لعلع الى الجبل المقابل الذي الى جهة سوق الليل قال وفي الجبلين آثار تدل على اتصال السور بهما انتهى ولم يبق الآن شئ من آثار السور الثاني مطلقا واول دور مكة كانت تنتهي الى هذا الموضع حيث وضع عليه السور ثم اتصل العمران الى أن احتيج الى سور المعلاة قال الفاكهي رحمه الله تعالى ومن آثار النبي صلى الله عليه وسلم مسجد بأعلى مكة

جاء جيش من المأمون وعليه عيسى بن يزيد الجلودي فطلب محمد بن جعفر الديباج الامان بعد قتال عند بئر ميمونة وخلع نفسه فأجلوه ثلاثا فخرج من مكة ودخلها العباسيون ثم سار الديباج الى العراق واعتذر للمأمون فقبله قال الذهبي ان الجلودي خرج بالديباج الى العراق واستخلف على مكة ابنه (محمدا) وقيل استخلف يزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي وجاء من اليمن ابراهيم بن موسى الكاظم ودخل مكة عنوة وقتل يزيد بن محمد سنة مائتين واثنتين وقال الفاسي وولي مكة بعد الجلودي (هرون بن المسيب ثم حمدون بن علي بن عيسى بن ماهان) ثم وليها (ابراهيم بن موسى الكاظم) السابق ذكره وذكر الازرقي أن يزيد بن حنظلة كان واليا على مكة خليفة لحمدون وممن ولي مكة للمأمون (عبيد الله بن الحسن بن عبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه) مع المدينة وممن ولي مكة أيضا للمأمون (صالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وسليمان بن عبد الله ابن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وابنه محمد بن سليمان والحسن بن سهل) الا أنه لم يباشرها بل عقد له عليها وممن وليها للمأمون أيضا (عبيد الله بن عبد الله بن الحسن بن جعفر بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب) رضي الله عنه واستمر الى أن توفي المأمون سنة مائتين وثمانية عشر فولي الخلافة أخوه المعتصم بن الرشيد فولي مكة (صالح بن العباس) المتقدم ذكره وبقي الى خلافة المتوكل وولي مكة للمعتصم أيضا (اشناس التركي) من كبار قواده وذلك أنه أراد الحج ففوض اليه المعتصم ولاية كل بلد يدخلها فلما دخل مكة أقام (محمد بن داود بن عيسى) نائبا عنه على الحج ودعي لاشناس على المنابر في الحرمين وكل بلاد دخلها حتى رجع الى سر من رأى وتوفي المعتصم سنة مائتين وثمان وعشرين وعلى مكة محمد بن داود وتولى الخلافة ابنه الواثق وتوفي الواثق سنة مائتين واثنين وثلاثين وعلى مكة محمد بن داود السابق ذكره فولي الخلافة أخوه المتوكل بن المعتصم فولي مكة (علي ابن عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور) الى سنة مائتين وتسعة وثلاثين فتوفي فوليها (عبد الله بن محمد بن داود ثم عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام ثم محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد ابن ابراهيم الامام) وممن عقد له على ولاية مكة ولم يباشر في خلافة المتوكل (ابنه محمد المنتصر) فأرسل اليها بعض قواده وممن وليها أيضا في خلافة المتوكل (ايتاخ مولى المعتصم) وكان من كبار قواد المتوكل واستمر في ولايتها الى أن قتل المتوكل سنة مائتين وسبعة وأربعين وولي الخلافة ابنه المنتصر ومات بعد ستة أشهر فولي الخلافة المستعين بن المعتصم فولي مكة في أيامه (عبد الصمد ابن موسى) المتقدم ذكره (ثم جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس) رضي الله عنهما وتغلب على مكة في أيامه اسمعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى الجون بن

يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه عند بئر جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وكان الناس لا يجاوزون في السكنى في قديم الدهر هذه البئر وما فوق ذلك خال من الناس وفي ذلك يقول عمر بن ربيعة نزلت بمكة من قبائل نوفل ، ونزلت خلف البئر أبعد منزل حذرا عليها من مقالة كاشح ، ذرب اللسان يقول ما لم يفعل قلت المسجد هذا هو مسجد الراية موجود دثر الى الآن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع رايته يوم فتح مكة فيه والبئر موجودة الآن خلف المسجد وقد تجاوز العمران عن حد هذه البئر كثيرا الى صوب المعلاة ﴿وأما حدوث هذه الاسوار﴾ فقد قال التقي الفاسي رحمه الله ما عرفت متى أنشئت هذه الاسوار بمكة ولا من أنشاها ولا من عمرها غير أنه بلغني أن الشريف أبا عزيز قتادة بن ادريس الحسني جد ساداتنا أشراف مكة أدام الله عزهم وسعادتهم هو الذي عمرها قال وأظن أن في دولته عمر السور الذي بأعلى مكة وفي دولته سهلت العقبة التي بني عليها سور باب الشبيكة وذلك من جهة المظفر صاحب أربل في سنة ستمائة وسبعة ولعله الذي بنى السور الذي بأعلى مكة والله أعلم قال ورأيت في بعض التواريخ ما يقتضي أنه كان بمكة سور في زمن المقتدر العباسي وما عرفت هل هو هذا السور الذي بأعلى مكة وأسفلها أو من أحد الجهتين قال وطول مكة من باب المعلاة والى باب الماجن يعني درب اليمن بالمسفلة موضع السور الذي كان موجودا في زمانه طريق المدعى والمسعى وسيل وادي ابراهيم والسوق الذي يقال له الآن سوق الصغير مع ما فيه من دورات ولفتات ليست على الاستقامة أربعة آلاف ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد وهو ومما ينقص عن ذراع عن ذراع الحديد المستعمل الآن يعني الذراع الشرعي وطول مكة من باب المعلاة الى باب الشبيكة من طريق المدعى ثم يعدل عنه الى سويقة ثم الى الشبيكة أربعة آلاف ذراع ومائة ذراع واثنان وسبعون ذراعا بتقديم السين بذراع اليد أيضا انتهى وقال أيضا ذكر الزبير بن بكار عن ابن سفيان بن أبي وداعة السهمي أن سعد بن عمرو السهمي أول من بنى بيتا بمكة وأنشد في ذلك شعرا وأول من بوأ بمكة بيته ، وسور فيها ساسا كان بأثاني ويبنى لمن بنى بمكة بيتا أن لا يرفع بناءه على بناء الكعبة الشريفة فان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يأمر بهدمه قال الازرقي وانما سميت الكعبة كعبة لانه لا يبنى بمكة بناء مرتفع

عبد الله بن الحسن المثنى فانه صاحب مكة جعفر بن الفضل وأخذ جعفر ما على المقام من الذهب وكان وضعه المتوكل فضرب جعفر دنانير وصرفه في قتاله فغلبه اسمعيل على مكة فهرب جعفر واستولى اسمعيل على مكة ثم سار الى المدينة فملكها ثم مات بالجدري سنة مائتين واثنين وخمسين وممن ولي مكة للمستعين (ابنه العباس ومحمد بن طاهر بن الحسين) ولم يباشرا وقتل المستعين سنة مائتين واثنين وخمسين وولي الخلافة المعتز بن المتوكل وولي مكة في زمنه (عيسى بن محمد بن اسمعيل المخزومي) قال الفاسي وممن ولي مكة في خلافة المعتز أو المهدي أو المعتمد (محمد بن أحمد بن عيسى بن المنصور) الملقب كعب البقر وقتل المعتز سنة مائتين وخمسة وخمسين وولي الخلافة المهتدي بن الواثق فولي مكة في زمنه (علي بن الحسن الهاشمي) كذا ذكره الفاسي ولم يرفع نسبه وقتل المهتدي سنة ست وخمسين ومائتين وولي الخلافة المعتمد على الله بن المتوكل فولي مكة أخاه (الموفق طلحة ابن المتوكل) وقيل (محمد بن المتوكل ثم ابراهيم بن محمد بن اسمعيل العباسي) الملقب بزي ثم وليها (أبو المغيرة محمد بن أحمد بن عيسى) المتقدم ذكره وذكر الفاسي ان المعتمد كان قد ولى أبا عيسى محمد ابن يحيى المخزومي ثم عزله بأبي المغيرة السابق ذكره فصار بالمفضل أبو عيسى ودخل أبو المغيرة مكة ورأس أبي عيسى بين يديه على رمح وممن ولي مكة للمعتمد (الفضل بن العباس بن الحسين بن اسمعيل العباسي وهرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى) وقد عد الناس ممن ولي مكة للمعتمد أحمد بن طولون صاحب مصر ولم تثبت ولايته بهذا القدر لانه لم يباشرها وممن ولي مكة زمن المعتمد (محمد بن أبي الساج وأخوه يوسف بن أبي الساج) ومات المعتمد سنة تسع وسبعين ومائتين وبويع بعده لابن أخيه المعتضد بن الموفق طلحة بن المتوكل قال القاضي محمد بن جار الله في تاريخه وأما ولاتها يعني مكة في خلافة المعتضد ثم في خلافة أولاده المكتفي والمقتدر والقاهر ثم في خلافة الراضي بن المقتدر ثم المتقي ثم المستكفي ثم المطيع جماعة كثيرة ولم يعرف منهم سوى عج بالعين المهملة والجيم ولم يعلم مبدء ولايته غير ان بعضهم ذكر أنه كان واليا سنة مائتين واحدى وثمانين وذكر ابن الاثير انه كان واليا سنة مائتين وخمسة وتسعين فيحتمل انه استمر لهذا التاريخ أو عزل وأعيد وممن ولي مكة في هذه المدة (مؤنس الخادم) الملقب بالمظفر بالعقد لا بالمباشرة ولم يعلم من باشرها في مدة عقدها له وممن ولاها بعد سنة ثلاثمائة أو قبلها (ابن ملاحظ) ترجمه الهمداني بسلطان مكة ولا أعلم له اسما ولا متى كانت ولايته غير اني أظن أنه كان عليها سنة ثلاثمائة أو قبلها وممن وليها في هذه المدة ابن محلب وقيل ابن محارب ولم نعلم أول ولايته

﴿ذكر دخول القرامطة مكة﴾

عنهما ثم قال حدثني جدي عن ابن عيينة عن ابن مثبتة الحجبي عن شيبة بن عثمان أنه كان يشرف فلا يرى بيتا مشرفا على الكعبة الا أمر بهدمه ثم قال قال جدي لما بنى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم داره التي بمكة حيال المسجد الحرام أمر قومه أن لا يرفعوها على الكعبة وأن يجعلوا أعلاها دون الكعبة لتكون دونها اعظاما للكعبة ثم قال الازرقي قال جدي فلم يبق بمكة دار لكبير أو غيره تشرف على الكعبة الا هدمت أو خربت الا هذه الدار فانها باقية الى الآن انتهى ﴿وأما حكم بيع دور مكة واجارتها﴾ فقد ذكر الامام قاضي خان أنه لا يجوز بيع دورها عند أبي حنيفة رضي الله عنه في ظاهر الرواية وقيل يجوز مع الكراهة وهو قول محمد وأبي يوسف قال صاحب الوقعات وعليه الفتوى وروى الحسن عن أبي حنيفة أن بيع دور مكة جائز وفيها الشفعة وهو قول أبي يوسف وعليه الفتوى ذكره في عيون المسائل قال قوام الدين في شرح الهداية بيع بناء مكة جائز اتفاقا لان بناءها ملك الذي بناه ألا ترى أن من بنى في أرض الوقف جاز أن يبيع بناءه فكذا هذا ﴿وأما بيع أرض مكة﴾ فلا يجوز عند أبي حنيفة وهو ظاهر الرواية عنه وهو قول محمد وعند أبي يوسف يجوز ورجح الطحاوي قول أبي يوسف وقال رأينا المسجد الذي كان للناس سواء العاكف فيه والباد لا ملك لاحد فيه ورأينا مكة على غير ذلك فقد أجيز البناء فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخلها من دخل دار ابن سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن فلما كانت مما يغلق عليه الابواب ويبنى فيها المنازل كان صفتها صفة المواضع التي يجري فيها الاملاك ويقع فيها التوارث ولا يجوز احتجاج المخالف بقوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد لان المراد المسجد الحرام لا جميع أرض مكة انتهى ملخصا ﴿وأما اجارة دور مكة﴾ فقد ذكر صاحب التقريب قال روى هشام عن أبي حنيفة أنه كره اجارة بيوت مكة وقال لهم أن ينزلوا عليهم في دورهم اذا كان فيها فضل وان لم يكن فلا وهو قول محمد رحمه الله تعالى انتهى وروى محمد في الآثار عن أبي حنيفة عن عبيد الله بن زياد عن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أكل من أجور بيوت مكة شيأ فانما أكل نارا أخرجه الدارقطني باسناد ضعيف وقال الصحيح أنه موقوف وروي أنه كره اجارتها لاهل الموسم ولم يكره للمقيم لان أهل الموسم

ومما ينبغي ذكره هنا دخول أبي طاهر القرمطي سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتله الحاج ونهبه الاموال لان هذه الحادثة من الحوادث الفظيعة والوقائع الشنيعة التي ما أصيب أهل الاسلام بمثلها لكن لابد من اتمام الفائدة بذكر ابتداء أمر القرامطة فنقول ذكر كثير من المؤرخين ان ابتداء أمرهم كان من سنة ثمانية وسبعين ومائتين في خلافة المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد وكان أول من ظهر منهم رجل قدم من خوزستان الى سواد الكوفة فظهر الزهد والتقشف ويسف الخوص ويأكل من كسب يده ويكثر الصلاة وأقام على ذلك مدة وكان اذا قعد اليه رجل ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا ثم أعلم الناس أنه يدعو الى امام من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولم يزل على ذلك حتى استجاب له خلق كثير ومرض بقرية من سواد الكوفة فحمله رجل من أهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية اسم لحمرة العين فلما شفي من مرضه سمي باسم ذلك الرجل كرميته ثم خففوه فقالوا قرمطة ويقال للتابعين له القرامطة وفي تاريخ ابن خلكان القرمطي بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة والقرمطة في اللغة تقارب الشئ بعضه من بعض يقال خط مقرمط ومشي مقرمط اذا كان كذلك وكثر اتباع القرمطي من أهل السواد والبادية ممن لا عقل ولا دين له وأخبرهم بعقائد باطلة وأحكام مخالفة للشرع في الصلاة والاذان وغيرها فاعتقدوا صدقه واغتروا بعبادته وزهده وتقشفه فأجابوه ثم انتقل الى ناحية الشام وانقطع خبره الا أن مذهبه انتشر وكثر المتمسكون به وزعم القرامطة أنهم يدعون الى محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وقيل انهم يدعون لمحمد بن الحنفية وظهر من القرامطة بناحية السماوة رجل يقال له ذكرويه ويحيى ويكنى أبا القاسم ويدعوه الشيخ وزعم انه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق قال ابن الاثير وقيل لم يكن لمحمد بن اسمعيل ولد اسمه عبد الله وكانوا يسمونه يحيى بن المهدي فقصد القطيف ونزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى وكان من غلاة الشيعة فاظهر له يحيى أنه رسول المهدي وذكر له انه خرج الى شيعته في البلاد يدعوهم الى أمره وان ظهوره قد قرب فجمع له علي بن المعلى الشيعة من أهل القطيف واقرأهم كتابا كان مع يحيى من المهدي يزعم أنه من المهدي فأجابوه وقالوا انهم خارجون معه اذا ظهر أمره ووجه الى سائر قرى البحرين يدعوهم لذلك فأجابوه وكان ممن أجابه أبو سعيد الجنابي بتشديد النون كما في تاريخ ابن خلكان نسبة الى جنابة قرية من أعمال فارس فاجتمع على أبي سعيد خلق كثير من الاعراب والقرامطة فقتل من كان حوله من أهل القرى ممن لم يدخل تحت طاعته ثم سار الى القطيف ففعل مثل ذلك وأظهر في سنة ست وثمانين ومائتين انه يريد البصرة

لهم ضرورة الى النزول والمقيم لا ضرورة له ورعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نهى أن تغلق بمكة باب دون الحاج فانهم ينزلون كل موضع رأوه فارغا وكتب عمر بن عبد العزيز في خلافته الى أمير مكة أن لا يدع أهل مكة يأخذون على بيوت مكة أجرا فانه لا يحل لهم وكانوا يأخذون ذلك خفية ومسارة وهذا مبني على أصل وهو أن فتح مكة هل كان عنوة فتكون مقسومة مغنومة ولم يقسمها النبي صلى الله عليه وسلم وأقرها على ذلك فتبقى على ذلك لا تباع ولا تكرى ومن سبق على موضع فهو أولى به وبهذا قال أبو حنيفة ومالك والاوزاعي رضي الله عنهم أو كان فتحها صلحا فتبقى ديارهم بأيديهم يتصرفون في أموالهم كيف شاؤا اسكانا وبيعا واجارة وغير ذلك وبه قال الامام الشافعي وأحمد رضي الله عنهما وطائفة من المجتهدين رحمهم الله تعالى وعلى ذلك عمل الناس قديما وحديثا

﴿وأما أسماء مكة المشرفة﴾ فانها سميت بها لقلة مائها من قولهم أمك الفصيل ما في ضرع أمه اذا لم يبق فيه شيئا ولذلك تسمى المطشة أو لانها تمص الذنوب أو تنفيها ومن أسمائها بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أي تكسرها ومنها العروض بفتح المهملة ولذلك سمي علم الشعر عروضا لان الخليل ابن أحمد اخترعه بمكة فسماه عروضا باسمها والبلد الامين والبلدة والقرية وأم القرى قال المحب الطبري سمى الله تعالى مكة بخمسة أسماء مكة وبكة والبلد والقرية وأم القرى قال ابن عباس سميت أم القرى لانها أعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها ومن أسمائها كوثى وأم كوثى لان كوثى اسم لمحل من قعيقعان وفاران والمقدسة وقرية النمل لكثرة نملها والحاطمة لحطمها الجبابرة والوادي والحرام والعرش بربه وحفر وصلاح مبنيا على الكسر كحذام وقطام ومن أسمائها طيبة أيضا ومنها معاد بفتح الميم لقوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قال مكة ومن أسمائها الباسة بالباء الموحدة والسين المهملة المشددة قاله مجاهد لانها تبس من ألحد فيها أي تهلكه لقوله تعالى وبست الجبال بسا وتسمى الناشة أيضا بالنون والشين المعجمة أي تنش بتشديد آخرها أي تطرد من ألحد فيها وتنفيه ولها أسامي غير ما ذكرنا وللمجد الفيروزابادي رسالة في أسمائها قال الامام النووي رضي الله عنه ولا نعرف في البلاد بلدة أكثر أسماء من مكة والمدينة لكونهما أشرف الارض وقال عبد الله المرجاني رحمه الله تعالى في تاريخه للمدينة بعد ذكره لاسماء

فكتب عامل البصرة الى أمير المؤمنين المعتضد بن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد فأمره ببناء سور على البصرة فبناه وأنفق في عمارته أربعة عشر ألف دينار ثم أغار أبو سعيد بمن معه من الجيوش على نواحي هجر من نواحي البصرة وقوى أمره فجهز المعتضد لقتاله الجيوش ووقع بينهم وبينه وقائع يطول الكلام بذكرها مذكورة في التواريخ وامتد ملك القرامطة الى نواحي الشام ومصر واليمن والحجاز وملكوا جانبا من العراق وتوفي المعتضد سنة تسع وثمانين ومائتين وولى الخلافة بعده ابنه المكتفي وبقي القتال بينه وبين القرامطة وزاد أمرهم وانتشرت جيوشهم في أقطار الارض وتعرضوا للحجاج ونهبوهم وقتلوا أكثر الحاج سنة أربع وتسعين ومائتين وتوفي المكتفي سنة خمس وتسعين ومائتين وولي الخلافة بعده أخوه المقتدر بن المعتضد وبقي القتال بينه وبين القرامطة في مواضع كثيرة وفي سنة احدى وثلاثمائة قتل أبو سعيد الجنابي رئيس القرامطة وقائد جيوشهم وكان قد فوضها الى ابنه سعيد فانتزع الامر منه أخوه أبو طاهر وقام بالقتال وقيادة الجيوش والدعوة الى مذهب القرامطة وكان قتل أبي سعيد في الحمام قتله خادم له صقلبي وكان أبو سعيد قد استولى على هجر والاحساء والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين ولم يزل أمرهم منتشرا وفتنتهم قائمة الى أن دخل أبو طاهر مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وكان لهذه الطائفة الملحدة اعتقاد فاسد يؤدي الى الكفر يستبيحون دماء المسلمين ويرون ضلال كافة المسلمين فأعظم خبيث ظهر منهم أبو طاهر القرمطي وبنى دارا بهجر وسماها دار الهجرة وأراد تعطيل الحج الى بيت الله وأخزاه وكثر فتكه في المسلمين وسفكه دماءهم الى ان اشتد به الخطب وانقطع الحج في أيامه خوفا منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم ففي أواخر سنة سبع عشرة وثلاثمائة لم يشعر الحاج يوم التروية بمكة الا وقد وافاهم عدو الله أبو طاهر القرمطي في عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين والمحرمين الى أن قتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها زهاء ثلاثين ألف انسان وسبوا من النساء والذرية مثل ذلك وظلت مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها وركض عند الكعبة أبو طاهر بسيفه مشهورا في يده قيل وهو سكران وصفر لفرسه عند البيت الشريف فبال وراث والحجاج يطوفون حول البيت الحرام والسيوف تنوشهم الى أن قتل في المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف وكان ممن يطوف شيخ الصوفية في ذلك الوقت الشيخ علي بن بابويه ولم يقطع طوافه وجعل يقول منشدا

(ترى المحبين صرعى في ديارهم • كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا)

والسيوف تفقره الى أن سقط ميتا رحمه الله تعالى وملؤا رؤس الشهداء بئر زمزم وما بمكة من آبار

مكة ومن الخواص اذا كثرت بدم الرعاف مكة وسط الدنيا والله رؤف بالعباد انقطع الرعاف ﴿وأما فضل مكة شرفها الله تعالى﴾ فاعلم ان مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما أفضل بقاع الارض بالاجماع وذكر القاضي عياض أن موضع قبر نبينا صلى الله عليه وسلم أي ما ضم أعضاءه الشريفة أفضل بقاع الارض بالاجماع لحلول سيد الانبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فيه قال اليشكري رحمه الله تعالى

جزم الجميع بأن خير الارض ما ... قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكى مأواها

ثم اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في أن مكة شرفها الله تعالى أفضل أم المدينة الشريفة عظمها الله تعالى فذهب الامام الاعظم أبو حنيفة وأصحابه والامام أحمد وأصحابه والامام الشافعي وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين أن مكة أفضل من المدينة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما لحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدي رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ولا ريب في التفضيل التي أنتجها الله تعالى لبلده الحرام بفضل فيها بيته المعظم الذي اذا قصده عباده حط عنهم أوزارهم ورفع درجاتهم وجعلها قبلة للمسلمين أحياء وأمواتا وفرض الحج اليه على من استطاع اليه سبيلا مرة في عمره وفي كل عام على الناس أجمعين فرض كفاية وحرمها يوم خلق السموات والارض ولا تدخل الا باحرام وهي مثوى ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومسقط رأس خير الانام صلى الله عليه وسلم ومحل اقامته قبل النبوة وبعدها ثلاثة عشر عاما ومحل نزول أكثر القرآن ومهبط الوحي ومظهر الايمان والاسلام ومنشأ الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين وبها الحجر الاسود وزمزم والمقام وغير ذلك من المزايا العظام ولقد قال القائل

ارض بها البيت المحرم قبلة ... للعالمين له المساجد تعدل
حرم حرام أرضها وصيودها ... والصيد في كل البلاد محلل
وبها المشاعر والمناسك كلها ... والى فضيلتها البرية ترحل
وبها المقام وحوض زمزم مترعا ... والحجر والركن الذي لا يرحل
والمسجد العالي المحرم والصفا ... والمشعران لمن يطوف ويرمل
وبمكة الحسنات ضوعف أجرها ... وبها المسيء عنه الخطايا تغسل

وحفروا ودفنت الموتى بلا غسل ولا كفن ولا صلاة وطلع أبو طاهر الى باب الكعبة وقلع بابها وصار يقول وهو على عتبة الباب

(أنا بالله و بالله أنا ... يخلق الخلق وأفنيهم أنا)

وصاح في الحجاج وهو على فرسه يقول يا حمير أنتم تقولون ومن دخله كان آمنا فأين الامان وقد فعلنا ما فعلنا فأخذ شخص بلجام فرسه وكان قد استسلم للقتل وقال له ليس معنى الآية الشريفة ما ذكرت وانما معناها من دخله فأمنوه فلوى أبو طاهر عنان فرسه ولم يلتفت اليه وصانه الله ببركة بذل نفسه في سبيل الله للرد على هذا الكافر أخزاه الله تعالى وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فاطلع قرمطيا على الكعبة فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فانحط أخره وخر ميتا وتعين آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه ومات فهاب الثالث الاقدام على القلع فترك ذلك أبو طاهر على رغم أنفه وقال اتركوه حتى يأتي صاحبه يعني المهدي الذي يزعم أنه يخرج منهم وكان ممن قتل بمكة أميرها ابن محارب والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن بن أحمد الجارودي الهروي أخذته السيوف وهو متعلق بيديه بحلق باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب البيت الحرام وقتلوا أيضا امام الفقهاء الحنفية الفقيه أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعي والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوي وشيخ الصوفية علي بن بابويه كما تقدم والشيخ محمد بن خالد بن زيد البردعي نزيل مكة وجماعة كثيرين من العلماء والصلحاء والصوفية والحجاج من أهل خراسان والمغاربة وغيرهم ونهبت أموالهم وسبيت نساؤهم وذراريهم ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهل مكة وغيرها الا من اختفى في الجبال وممن هرب من مكة يومئذ قاضيها يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشي مع عياله الى وادي رهجان ونهبت القرامطة من داره وثيابه وأمواله ما قيمته مائة ألف دينار وخمسون ألف دينار كما في تاريخ القطبي فافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور أهل مكة الى أن صار الباقي ممن نجا من تلك الواقعة فقراء يستعطون الناس ولم يحج في هذا العام أحد ولا وقف بعرفة الا قدر يسير فادوا بأنفسهم وسعوا بأرواحهم فوقفوا به بلا امام وأتموا حجهم مستسلمين للموت وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وحليها وما كان فيها من الاموال فضم الجميع مع ما نهبه من أموال الحجاج وقسمه على أصحابه وعرى البيت وانتزع ثوبه وقسمه بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذي فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء أفضل الصلاة والسلام فلم يظفر به لان سدنة الكعبة الشريفة غيبوه في بعض شعاب مكة وتألم لذلك واستدعى بجعفر بن أبي علاج البناء وأمره بقلع الحجر الاسود من محله فقلعه بعد العصر يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ذلك

وقال الامام مالك رضي الله عنه المدينة أفضل من مكة لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين خروجه من مكة الى المدينة اللهم انك تعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد الي فأسكني أحب البلاد اليك رواه الحاكم في المستدرك وما هو أحب البقاع الى الله يكون أفضل والظاهر استجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وقد أسكنه الله تعالى المدينة الشريفة فتكون أفضل البقاع وأدلة أخرى من الاحاديث الشريفة وبين الطائفتين نزاع ومباحث والله أعلم ﴿وأما حكم الجوار بمكة شرفها الله تعالى﴾ فذهب امامنا الاعظم أبي حنيفة رضي الله عنه وبعض أصحاب الشافعي وجماعة من المحتاطين في دين الله تعالى رضوان الله عليهم أجمعين كراهة المقام بمكة وذلك لخوف سقوط حرمة البيت الشريف في نظره وقلة الاحترام بالانس والتبسط الى أن يذهب من قلبه الهيبة بالكلية فيصير بيت الله تعالى في نظره القاصر كسائر البيوت والعياذ بالله أو تنقص الهيبة والحرمة الاولى في نظره كما هو شأن سائر الناس في الاكثر الا من عصمه الله تعالى وحيث كان هو الاكثر من حكم الناس أنيط به حكم الكراهة فاقامة المسلم في وطنه وهو مشتاق الى مكة باق حرمتها في نظره خير له وأسلم من مقامه بمكة من غير احترام لها أو مع نقصان احترامه وهذا ملخص ما قاله امامنا رضي الله عنه ولهذا كان عمر رضي الله عنه يدور على الحاج بعد قضاء المناسك بالدرة ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم فانه أبقى لحرمة بيت ربكم في قلوبكم وقال أبو عمر الزجاجي من جاور بالحرم وقلبه متعلق بشيء سوى الله تعالى فقد ظهر خسرانه وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به كما قيل ابو

وكم من بعيد الدار نال مراده * وكم من قريب الدار مات كئيبا

وقال ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ فيه بالهم قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ولهذا اختار حبر الامة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما المقام بالطائف وحواليه على مكة وقال لان أذنب سبعين ذنبا بركية أحب الي من ان أذنب ذنبا واحدا بمكة وذهب بعض العلماء الى القول بتضاعف السيئات بأرض الحرم كما تتضاعف الحسنات وجاور أبو محمد الحريري سنة بمكة فلم يستند الى حائط ولم ينم فقيل له بم قدرت على هذا فقال علم الله صدق باطني فأعانني على ظاهري وبقي أبو عمر الزجاجي الصوفي أربعين سنة لم يقض حاجته

العام وصار بزندقته يقول أخزاه الله تعالى

فلو كان هذا البيت لله ربنا * لصب علينا النار من فوقنا صبا
لانا حججنا حجة جاهلية * محللة لم تبق شرقا ولا غربا
وانا تركنا بين زمزم والصفا * جنائز لا تبغي سوى ربها ربا

وقلع ذلك الكافر قبة زمزم وباب الكعبة وأقام بمكة ستة أيام وقيل أحد عشر يوما ثم انصرف الى بلد هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذي سماه دار الهجرة وعلقه في الاسطوانة السابعة مما يلي صحن الجامع من الجانب الغربي من المسجد المذكور وبقي موضع الحجر الاسود من البيت الشريف خاليا يضع الناس أيديهم فيه ويلمسونه تبركا بمحله وفي تاريخ الخميس أن أبا طاهر القرمطي دخل مكة بأناس قلائل نحو سبعمائة فلم يطق أحد رده خذلانا من الله تعالى وانفاذا لما أراده سبحانه وتعالى والله غالب على أمره فسبحان من لا يسئل عما يفعل ولا راد لما قضاه سبحانه وتعالى ثم ان الفاجر أبا طاهر القرمطي أراد أن يخطب لعبيد الله المهدي أول الخلفاء العبيديين ويقال لهم الفاطميون وهم الذين ملكوا المغرب ومصر وكان هذا الامر أول ظهور عبيد الله المهدي فبلغ عبيد الله المذكور ذلك فكتب اليه ان أعجب العجب ارسالك بكتبك الينا مهنئا بما ارتكبت في بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام الذي لم يزل محترما في الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحجاج والمعتمرين وتعديت وتجرأت على بيت الله تعالى وقلعت الحجر الاسود الذي هو يمين الله في الارض يصافح به عباده وحملته الى منزلك ورجوت ان أشكرك على ذلك فلعنك الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما يجوز به في غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدي الى أبي طاهر وعلم ما فيه انحرف عن طاعته واستمر الحجر عندهم اثنين وعشرين سنة يستجلبون به الناس طمعا أن يتحول الحج الى بلدتهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه مصيبة من أعظم مصائب الاسلام وأشدهن في الدين من أولئك الكفرة اللئام الملحدين ذابت لها أكباد العباد وعمت فتنتها في الحاضر والباد الى أن رمى الله تلك الطائفة القاهرة وابتلى أبو طاهر النجس ورماه الله بالاكلة فصار يتناثر لحمه بالدود وتقطعت أوصاله وطال عذابه وما مات أشقى ميتة الى دار الخلود وتعذب بأنواع البلاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولما أيست القرامطة من تحويل الحج الى هجر ردوا الحجر الاسود الى محله في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة وجاء به سنبر بن الحسن القرمطي في يوم النحر عاشر ذي الحجة من السنة المذكورة فلما صار بفناء الكعبة حضر أمير مكة

الشريفة فى الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وهكذا يروى عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه فى مدة اقامته بمكة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجون ثم يرجعون ويعتمرون ثم يرجعون ولا يجاورون ذكره عبد الرزاق فى مصنفه • وروى عن وهيب بن الورد المكى رحمه الله قال كنت ذات ليلة أصلى فى الحجر فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار خفيا فاستمعت فاذا هى تناجى وتقول الى الله اشكو ثم اليك ياجبريل ما ألقى ممن حولى من سمرهم وتفكههم بالغو وذكر أحوال الدنيا والاغتياب والخوض فيما لا يعنى لهم واللهو والعبث لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتقضن انتفاضة يرجع كل حجر منى الى الجبل الذى قطع منه • وسئل الامام مالك رضى الله عنه الحج والجوار أحب اليك أو الحج والرجوع فقال ما كان الناس الا على الحج والرجوع وفهم ابن رشد من هذا اقتضاء كراهة المجاورة عنده والظاهر انه لا يقتضيه والله تعالى أعلم • وذهب الامام أبو يوسف ومحمد والامام الشافعى والامام أحمد بن حنبل رضى الله عنهم الى استحباب المجاورة بمكة فى قولهما وانه الافضل قال وعليه عمل الناس • وحكى الفاسى فى منسكه عن المبسوط ان الفتوى على قولهما • وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من صبر على مكة ساعة تباعدت النار عنه مسيرة مائة عام • وعن سعيد بن جبير من مرض يوما بمكة كتب الله له من العمل الصالح الذى يعمله فى سبع سنين فان كان غريبا ضوعف ذلك رواهما الامام الفاكهى رحمه الله تعالى ومحصل مذهب الامام أبو حنيفة رضى الله عنه من كراهة المجاورة مبنى على ضيق الخلق عن مراعاة حرمة الحرم الشريف وقصورهم عن الوفاء بقيام حق البيت الشريف فن أمكنه الاحتراز عن ذلك وعرف من نفسه القدرة على الوفاء بحرمة بيت الله تعالى وتعظيمه وتوقيره على وجه تبقى معه حرمة البيت الشريف وجلالته وهيبته وعظمته فى عينه وقلبه كما كان عند دخوله فى الحرم الشريف ومشاهدته بيت الله تعالى فالاقامة بها هو الفضل العظيم والفوز الكبير ولا شك فى تضاعف الحسنات بها وأما تضاعف السيآت فأكثر العلماء على عدم تضاعفها ولا شك فى تردد الاولياء اليها فى الاوقات الفاضلة فن لمح أحدهم أو لحظه هو نال السعادة العظمى وورد انهم يحضرون الجمعة والاوقات الشريفة ويحجون كل عام • وكان دأب والدى رحمه الله تعالى قبل أن يكف نظره أن يبادر يوم النحر بعد رمى جمرة العقبة الى مكة ويجلس تجاه بيت

أبو جعفر محمد بن الحسن ذا شرحه واسقط اليه الحجر الاسود وعليه ضباب من فضة فى طوله وعرضه اضبط شقوق حدثت فيه بعد قلعه وأحضر واجصا يشد به فوضع حسن بن المزوق البناء الحجر فى مكانه الذى قلع منه وقيل بل وضعه سنبر بيده وقال أخذناه بقدرة الله وأعدناه بمشيئته وقد أخذناه بامر ورددناه بأمر ونظر الناس الى الحجر فقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك الشيخ محمد بن نافع الخزاعى ونظر الى الحجر الاسود وتأمله فاذا السواد فى رأسه دون سائره وسائره أبيض وحضر معهم ممن حج تلك السنة الشيخ محمد بن عبد الملك بن صفوان الاندلسى وشهد رد الحجر الى مكانه ولما أعيد الحجر الاسود الى مكة حمل على قعود هزيل فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون بعيرا وتلك من آيات الله فى الحجر الشريف وكانت مدة استقراره عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدى العبيدى أرسل لاحمد بن أبى سعيد القرمطى أخى أبى طاهر بخمسين ألف ذهب فى الحجر الاسود ليرده فلم يفعل وبذل بحكم التركى مدبر الخلافة ببغداد خمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فابوا وقالوا أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى أن أراد الله تعالى رده على الوجه الذى ذكرناه وقال العلامة القطبى فى تاريخه وفى التواريخ صور أخرى لهذه القضية متناقضة وهذا أصح ما روى فيها فاعتمدناه فعض عليه بالنواجذ قال القطبى ثم ان الحجبة خافوا من استطالة يد خائن اليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه فى البيت الشريف حفظا له وصونا عمن أراده الله بسوء ثم أمر صانعين فصنعا له طوقا من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبع وثلاثون درهما فطوقوا به الحجر وشدوا عليه به وأحكموا بناءه فى محله كما كان ذلك قديما وكما هو الآن أيضا كذلك وبقية وقائع القرامطة مع الخلفاء بالعراق والشام ومصر مذكورة فى التواريخ فلا حاجة الى الاطالة بها وفى هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم ولنرجع الى ما نحن بصدده من ذكر ولاة مكة فنقول وممن وليها (محمد بن طغج) المعروف بالاخشيد عقدله بها ولولديه (أبى القاسم وعلى) وكان مبدأ ذلك سنة ثلاثمائة واحدى وثلاثين قال الفاسى ولا أعلم من باشر لهم ولاية مكة واغنا ولوها بعد من المكتفى ولما مات طغج الاخشيد تولى كفالة ولديه كافور الاخشيدى بمصر وممن ولى مكة (القاضى أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسى) وذلك سنة ثلاثمائة وثمانية وثلاثين وقيل انه باشر ذلك لعلى بن الاخشيد هذا ما تحصل من الكلام على ولاتها فى هذه المدة

﴿ذكر خطبة محمد بن سليمان العلوى لنفسه بمكة﴾

وفى سنة ثلاثمائة وواحد وقع فى الموسم أن محمد بن سليمان من ولد محمد بن داود العلوى خطب لنفسه بالامامة فى مكة وخلع طاعة العباسيين وكان أول خطبته الحمد لله الذى أعاد الحق الى نظامه وأبرز

الله تعالى و يلحظ بنظره و يستمر جالسا هناك الى صلاة المغرب فيطوف بعد صلاة المغرب و يسعى و يعود الى منى وكان يقول ان أولياء الله لابد أن يحجوا فى كل سنة و يفعلوا الافضل وهو الاتيان بطواف الزيارة فى أول يوم النحر فأبادر الى النزول من منى فى ذلك اليوم وأجلس فى الحطيم و ى أشاهد الطائفين لعل أن يقع نظرى الى أحدهم أو يقع نظره على فيحصل لى بذلك بركتهم واستمر على ذلك الى أن كف نظره رحمه الله تعالى فكان يذهب به و يجلسه فى الحطيم و يقول ان كنت لا أنظرهم فلعل أن يقع نظرهم على فيحصل لى بركتهم واستمر على ذلك الى أن توفى رحمه الله وان أولياء الله يخفون أنفسهم عن أعين الناس فلا يراهم الا من أسعده الله تعالى والله تعالى المسؤل أن يجعلنا ممن سعد بالدنيا والآخرة بعفوه وكرمه ان شاء الله تعالى

﴿الباب الثانى فى بناء الكعبة المشرفة زادها الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما﴾

قال قاضى القضاة السيد تقى الدين محمد بن أحمد بن على الحسنى الفاسى المكى فى كتابه شفاء الغرام لاشك ان الكعبة المعظمة بنيت مرات وقد اختلف فى عدد بنائها و يتحصل من مجموع ماقيل فى ذلك انها بنيت عشر مرات وهى بناء الملائكة عليهم السلام و بناء آدم عليه السلام و بناء أولاده و بناء الخليل ابراهيم عليه السلام و بناء العمالقة و بناء جرهم و بناء قصى بن كلاب جد النبى صلى الله عليه وسلم و بناء قريش قبل بعث النبى صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف يومئذ خمس وعشرون سنة و بناء عبد الله بن الزبير بن العوام الاسدى وآخرها بناء الحجاج بن يوسف الثقفى وفى اطلاق العبارات فى بناء الكعبة تجوز فان بعضها لم يستوعبها البناء كالبناء الاخير وهو بناء الحجاج فانه انما هدم جانب الميزاب فقط وأعادهو أبقى الجوانب الثلاث وهى جهة الباب وجهة المستجار الذى هو مقابل الباب وجهة الصفا المقابل لجهة الميزاب قائما باقية على بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ﴿أما بناء الملائكة الكعبة المشرفة وهو أول بنائها﴾ فذكره الامام أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد الازرقى فى تاريخه فقال حدثنا على بن مسلم العجلى عن أبيه حدثنا القاسم بن عبد الرحمن الانصارى حدثنا الامام محمد الباقر بن الامام على زين العابدين بن الحسين بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب قال كنت مع أبى على بن الحسين عليهما السلام بمكة فبينما هو يطوف وأنا وراءه اذ جاء رجل طويل فوضع يده على ظهر أبى فالتفت أبى اليه فقال

وهو الاسلام من كانه وكل دعوة خير الرسل باسباطه لابى أعمامه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وكتب عنهم ببركته أمر المعتدين وجعلها فى عقبه الى يوم الدين ثم أنشد

لاطابن سبق * من كان للحق دينا * واسطوت بقوم * بغوا وجاروا علينا
* يهسدون كل بلاء * من العراق الينا *

وفى سنة ثلاثمائة وسبعة عشر كان دخول القرامطة مكة كما تقدم الكلام على ذلك وفى سنة ثلاثمائة وثمانية وخمسين خرجت مصر عن حكم الدولة العباسية ودخلت فى حكم دولة العبيديين واشتهروا أيضا بالفاطميين ودخلها قائدهم القائد جوهر وهو عبد المعز العبيدى ثم دخلها مولاه سنة ثلاثمائة واحدى وستين ثم اتسع ملكهم حتى دعى لهم على منابر الحرمين وصارت الخطبة الاسلامية على قسمين فمن بغداد وحلب وسائر ممالك الشرق الى أعمال الفرات يخطب فيها للمطيع العباسى ومن حلب الى بلاد المغرب مع الحرمين يخطب فيها للعبيديين

﴿ذكر دولة الاشراف بمكة﴾

(ولنذكر أول دولة الاشراف الذين ملكوا مكة) طبقة بعد طبقة فان ابتداء ملكهم ولاية مكة كان من هذه المدة فالطبقة الاولى من الاشراف الذين ملكوا مكة الموسويون و يقال لهم بنو موسى وهم أول من ملكها من الاشراف الحسنيين وتداولوها وأولهم (جعفر بن محمد بن الحسين) وقيل ابن الحسين بن محمد الثائر بن موسى الثانى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه تغلب جعفر بن محمد المذكور على مكة زمن الاخشيدية قبل أن تملك مصر العبيديون وكان ذلك بعد موت كافور الاخشيدى وكان موت كافور سنة ثلاثمائة وستة وخمسين وتغلب جعفر على مكة سنة ثلاثمائة وثمان وخمسين وقيل ست وخمسين وقيل سنة ثلاثمائة وستين وسبب ذلك انه وقعت فتنة بين بنى حسن و بنى حسين أصحاب المدينة وكان جعفر بن محمد بالمدينة فبادر وملك مكة ولما ملك العبيديون مصر دعا جعفر للمعز العبيدى فكتب له المعز بولاية مكة ثم لما توفى جعفر المذكور تولى (ابنه عيسى بن جعفر) ودامت ولايته الى سنة ثلاثمائة وأربعة وثمانين ثم ملكها بعده أخوه (أبو الفتوح الحسن بن جعفر) كما سيأتى وفى مدة ولاية عيسى بن جعفر سنة خمس وستين وثلاثمائة أرسل العزيز العبيدى صاحب مصر أميرا على المكة ولاه بائسا عنه فحصر مكة واشتد الغلاء ولم يحج أحد من العرب فى هذه السنة وتوالت جيوشه وضيقوا على أهل مكة والمدينة لاجل طلب الخطبة لهم ومازال الامر حتى خطبوا

للعزيز

السلام عليك يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أريد أن أسألك فرد عليه السلام وسكت أبى وأنا والرجل خلفه حتى فرغ من أسبوعه فدخل الحجر فقام تحت الميزاب فصلى ركعتى أسبوعه ثم استوى قاعدا فالتفت الى فقلت الى جانبه فقال يا محمد أين السائل فأومأت الى الرجل فجاء فجلس بين يدى أبى فقال له عم تسأل قال انى أسألك عن بدء هذا الطواف بهذا البيت فقال له أبى من أين أنت قال من أهل الشام قال أين مسكنك قال بيت المقدس قال قرأت الكتابين يعنى التوراة والانجيل قال نعم فقال له أبى يا أخا الشام احفظ عنى ولا تروعنى أما بدء هذا الطواف فان الله تعالى قال انى جاعل فى الارض خليفة فقالت الملائكة أى رب أتخلق غيرنا من يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ونطيعك ولا نعصيك فقال الله تعالى انى أعلم ما لا تعلمون قال فظنت الملائكة أن ما قالوه رد على الله وانه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤسهم يتضرعون ويبكون اشفاقا من غضبه وطافوا بالعرش ثلاث ساعات فنظر الله اليهم ونزلت الرحمة عليهم ووضع الله سبحانه وتعالى تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور على أربع أساطين من زبرجد غشاهن بياقوتة حمراء وقال للملائكة طوفوا بهذا البيت فطافت الملائكة بهذا البيت وصار أهون عليهم من العرش ثم ان الله تعالى بعث ملائكة وقال لهم ابنوا لى فى الارض بيتا بمثاله وقدره وأمر الله تعالى من فى الارض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور فقال الرجل صدقت يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كان انتهى فإن هذا الحديث الشريف يدل على أن بناء الملائكة عليهم السلام الكعبة الشريفة كان بعد خلق الارض ولنا أحاديث دالة أن الكعبة خلقت قبل الارض بأربعين سنة فى رواية وبألفى عام فى رواية قال الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق ابن العباس الفاكهى المكى فى أوائل تاريخ مكة حدثنى عبد الله بن أبى سلمة قال حدثنا الواقدى قال حدثنا اسحق بن يحيى بن طلحة أنه سمع مجاهدا يقول ان قواعد البيت خلقت قبل الارض بألفى سنة ثم بسطت الارض من تحته أقول وظهر مما رويناه أن موضع البيت الشريف خلق قبل الارض لا نفس بناء البيت وانه أول ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى كما سقناه والله تعالى أعلم

للعزيز وتوفى العزيز سنة ثلاثمائة وست وثمانين فولى مصر ابنه الحاكم بأمر الله ثم انه فى سنة ثلاثمائة وخمسة وتسعين أرسل الحاكم بأمر الله الى صاحب مكة اذ ذاك وهو أبو الفتوح الحسن بن جعفر سجلا يتنقص فيه الصحابة رضى الله عنهم وبعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأمره أن يأمر الخطيب أن يقرأه على المنبر فشق ذلك على الامير أبى الفتوح وتأنى ذلك الامر فى الموسم وحضر الحجاج وتداعت العرب من حوالى مكة من هذيل وغيرهم وحضروا فى المسجد غضبا لله ورسوله فلما كان الخطيب على المنبر زحف الناس زحفة واحدة بالحجارة والعصى على المنبر فكسروه حتى صار رضاضا ولم يدروا أنه على المنبر أم لا وكان يوما عظيما فلم يقدر أحد بعد ذلك أن يعلن بهذا المذهب القبيح ثم ان أبا الفتوح أظهر العصيان لصاحب مصر الحاكم بأمر الله بسبب ذلك السب للصحابة وخلع طاعة الحاكم وبايع الناس لنفسه وخطب بالناس فقال فى أول خطبته بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين الى قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ثم خرج من مكة يريد الشام فدانت له العرب وسلموا عليه بالخلافة وأظهر العدل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فانزعج منه الحاكم صاحب مصر وخضع لقبائل من العرب منهم آل الجراح واستمال منهم حسان بن مفرج فبذل له ولاخوانه أموالا جزيلة على أن يتخلوا عن أبى الفتوح ويخلوا بينه وبينه فلما فطن لذلك أبو الفتوح استجار بمفرج أبى حسان فكتب مفرج الى الحاكم فى شأنه فصفح الحاكم بذلك ورضى عن أبى الفتوح وأبقى له ملك مكة فرجع الى مكة والذى تغلب على مكة فى مدة غيبته عن مكة تغلب على مكة أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن القاسم ابن الفاتك عبد الله بن داود ابن سليمان بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ويقال لبنى أبى الطيب السليمانيون فلما رجع أبو الفتوح الى مكة تنحى أبو الطيب عنها وأبو الفتوح هذا ذكره صاحب دمية القصر وأورد له من الشعر قوله

وصلتنى الهموم وصل هواك ❊ وجفانى الرقاد مثل جفاك

وشكى لى الرسول انك تغضبى ❊ يا كفى الله شر ما هو حاكى

وكان فيه من الشجاعة والشدة والقوة ما لا مزيد عليه ❊ يحكى أن أخته أرسلت اليه بدراهم ليأخذ لها حنطة فأنف من ذلك فأخذ الدراهم وفركها بيده حتى محا رسمها وذهب نقشها وردها اليها مع حنطة أرسلها اليها وقال لحامل الدراهم ان هذه الدراهم زيوف لا تصلح فبلغ أخته ذلك وكانت مثله فى القوة فأخذت كفا من الحنطة وفركتها حتى صيرتها دقيقا ثم أرسلت به اليه وقالت ان هذه

﴿الثاني بناء آدم عليه السلام الكعبة المشرفة﴾ وقد ذكره الامام أبو الوليد الازرقي فقال حدثني جدي عن سعيد بن سالم عن طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء بن أبي رباح بفتح الراء والباء الموحدة بعدها ألف ثم حاء مهملة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أهبط الله آدم الى الارض من الجنة قال يارب مالي لا أسمع أصوات الملائكة قال بخطيئتك يا آدم ولكن ابن لي بيتا فطف به واذكرني حوله كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي قال فأقبل آدم يتخطى الارض فطويت له ولم يقع قدمه على شئ من الارض الا صار عمرانا وبركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام وان جبريل عليه السلام ضرب بجناحه الارض فكشف عن أس ثابت في الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة من الصخر مالا يطيق الصخرة ثلاثون رجلا وانه بناه من خمسة أجبل من لبنان وطور سيناء وطور زيتا والجودي وحراء حتى استوى على وجه الارض وهذا يدل على أن آدم عليه السلام انما بنى أساس الكعبة حتى ساوى وجه الارض وأول ذلك بعد دثور ما بنته الملائكة بأمر الله تعالى ثم أنزل الله تعالى البيت المعمور لآدم عليه السلام ليستأنس به فوضعه على أساس الكعبة ويدل على ذلك ما رواه أبو الوليد الازرقي في تاريخه قال حدثني أبي عن جدي قال حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال بلغني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب يا كعب أخبرني عن البيت الحرام قال كعب أنزل الله من السماء ياقوتة مجوفة مع آدم فقال له يا آدم ان هذا بيتي أنزلته معك يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويصلى حوله كما يصلى حول عرشي ونزلت معه الملائكة فرفعوا قواعده من حجارة ثم وضع البيت عليه فكان آدم عليه السلام يطوف حوله كما يطاف حول العرش ويصلي عنده كما يصلى عند العرش فلما أغرق الله قوم نوح رفعه الى السماء وبقيت قواعده ﴿وقال الازرقي أيضا حدثني أبي قال حدثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران عن عمر بن أبي معروف عن عبد الله بن أبي زياد قال لما أهبط الله آدم عليه السلام من الجنة قال يا آدم ابن لي بيتا بحذاء بيتي الذي في السماء تتعبد فيه أنت وولدك كما تتعبد ملائكتي حول عرشي فهبطت عليه الملائكة فحفر حتى بلغ الارض السابعة فقذفت فيه الملائكة الصخر حتى أشرف على وجه الارض وهبط آدم بياقوتة حمراء مجوفة لها أربعة أركان بيض فوضعها على الاساس فلم تزل الياقوتة كذلك حتى كان زمن الغرق فرفعها الله تعالى

الجزائر لا تصلح ولم يزل أبو الفتوح واليا على مكة حتى مات سنة أربعمائة وثلاثين فمدة ملكه ثلاثة وأربعون سنة ثم ولي مكة بعد أبي الفتوح ابنه (شكر الملقب بتاج المعالي واسمه محمد ويكنى أبا عبد الله) وكان جوادا عظيم القدر وقد عليه بعض العرب وكانت تحت العربي فرس مشهورة عجيبة الخلق فأعجبت الشريف شكرا ولكن لم يسعه طلبها من ذلك العربي لكونه نزل ضيفا عنده فلما رجع ذلك العربي الى أهله أرسل اليه الشريف شكر بعض قواده بمائة دينار وقال له انزل عليه في بعض الطريق واشتر منه الفرس بتلك الالف ولا تذكرني له فادرك القائد العربي في بعض المنازل فنزل عليه فلما عرفه أكرمه وقرب له فأتاه بعد ساعة بجفنة فأكل ونام فلما أصبح ذكر له ما جاء له من جهة الفرس وانه يريد شراءها منه فأتاه العربي بجلدها وأكرعها وقال له انه لما نزلت علينا البارحة كرهنا أن لا نذبح لك فما وجدنا غير الفرس فذبحناها وكانت نفيسة فقدمناها لك فشكر له القائد ذلك وأسلمه المائة الدينار ورجع الى الشريف شكر وأخبره بالخبر فقال له أحسنت ولو رجعت بالدراهم ألحقتك بالفرس وأما الآن فأنت حر لوجه الله اهـ واستمر الشريف شكر الى أن توفي سنة أربعمائة وثلاثة وخمسين في شهر رمضان وفي عمدة الطالب ان وفاته كانت سنة أربعمائة وأربع وستين وكان له شعر حسن منه

قوض خيامك من أرض تهان بها • وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الاوطان منقصة • فالمندل الرطب في أوطانه حطب

قيل ان ملكه كان ثلاثا وعشرين سنة جمع بين ملك مكة والمدينة بعد محاربة بينه وبين بني حسين ولم يخلف بعده الا بنتا فولى الامر بعده (عبد له) فغضب لذلك بنو الطيب المتقدم ذكرهم فانتزعوا الملك منه ووقعت بينه وبين بني أبي الطيب مظالم وأشياء يطول الكلام بذكرها وكان ممن ولي مكة من بني الطيب (محمد بن أبي الفاتك بن عبد الرحمن بن جعفر) وفي سنة أربعمائة وخمسة وخمسين قدم الى الحج صاحب اليمن علي بن محمد الصليحي فدخل مكة سادس ذي الحجة وملكها وانتزعها من بني أبي الطيب واستعمل العدل والاحسان لاهل مكة فرخصت الاسعار واستراحت الناس جدا وكثر الدعاء له واستمر بمكة الى يوم عاشوراء وقيل الى ربيع الاول فقام الاشراف الحسنيون عليه وقالوا له اخرج الى بلدك واجعل لنا بمكة أميرا من شئت فجعل على مكة (محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن هاشم) واستجند له الصليحي عسكرا وأعطاه مالا وسلاحا وخمسين فارسا وقيل ان الداعي للصليحي على الخروج من مكة ان بني أبي الطيب كانوا قد انهزموا من مكة لما قصدها الصليحي فجمعوا جموعا وأرسلوا اليه يطالبونه الخروج من مكة وأن يولي عليهم واحدا منهم وكان قد وقع في جماعته الوباء ومات

وقال الازرقي أيضا حدثني محمد بن يحيى عن ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن أبي المليح أنه قال كان أبو هريرة يقول حج آدم فقضى المناسك فلما حج قال رب لكل عامل أجر قال الله تعالى أما أنت يا آدم فقد غفرت لك وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت فباء بذنبه غفرت له فاستقبلته الملائكة بالردم فقالوا بر حجك يا آدم قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام قال وما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وكان آدم عليه السلام اذا طاف يقول هذه الكلمات وكان طواف آدم سبعة أسابيع بالليل وخمسة بالنهار قال نافع وكان ابن عمر رضي الله عنهما يفعل ذلك وقال الازرقي أيضا حدثني محمد بن يحيى عن ابن عمر قال حدثني هشام بن سليمان المخزومي عن عبد الله بن أبي سليمان مولى بني مخزوم أنه قال طاف آدم عليه السلام سبعا بالبيت ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم فقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم ما في نفسي وما عندي فاغفر لي ذنبي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي اللهم اني أسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لا يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قضيت علي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد دعوتني بدعوات فاستجبت لك ولن يدعوني بها أحد من ولدك الا كشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وأتته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها قال فمنذ طاف آدم عليه الصلاة والسلام كانت سنة الطواف

﴿الثالث بناء أولاد آدم عليه السلام الكعبة المعظمة﴾ روى الازرقي بسنده الى وهب بن منبه قال لما رفعت الخيمة التي عزى الله بها آدم عليه السلام من حلية الجنة حين وضعت له بمكة في موضع البيت ومات آدم عليه السلام فبنى بنو آدم من بعده مكانها بيتا بالطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم حتى كان زمن نوح عليه السلام فنسفه الغرق وغير مكانه حتى بوأ لابراهيم انتهى وقال الحافظ أبو القاسم السهيلي في الفصل الذي عقده لبنيان الكعبة وكان بناؤها الاول حين بني شيث بن آدم عليه السلام انتهى ولعل مراد السهيلي بالاولية بالنسبة الى بناء البشر لا الملائكة وان بناء آدم عليه السلام انما هو الاساس الى أن ساوى وجه الارض وأنزل الله عليه من الجنة البيت المعمور فوضعه على ذلك الاساس والمراد بالخيمة المشار اليها في خبر وهب بن منبه رضي الله عنه هو البيت المعمور ولعلها

ومات منهم نحو سبعمائة فخرج منها الى الصورة المذكورة وفي عمدة الطالب انه لما توفي شكر بقيت مكة شاغرة فملكها حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود السليماني وقامت الحرب بين بني موسى وبين بني سليمان قريبا من سبع سنين ثم خلصت للامير محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم وبقيت في أولاده مدة ولم يملكها من السليمانيين سوى حمزة بن وهاس لكن الذي في التواريخ انه ملكها أربعة منهم أبو الطيب ومحمد بن أبي الفاتك كما تقدم قال الفاسي ومحمد بن جعفر هذا أحد ملوك مكة المعروفين بالهواشم وهو أبو هاشم محمد بن جعفر بن عبد الله بن أبي هاشم محمد بن الحسين بن محمد الثائر لانه ثار بالمدينة زمن المعتز بن المتوكل ومحمد الثائر هو ابن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ودامت ولايته الى ثلاثين سنة وفي تاريخ السنجاري نقلا عن الوقائع وفي سنة أربعمائة وسبع وخمسين خرج أبو الغنائم نقيب الاشراف ببغداد فأمر أمير مكة محمد بن جعفر بالدعاء في الخطبة للعباسيين ولم يدع لصاحب مصر فقطع صاحب مصر الميرة عن أهل مكة فقطع محمد بن جعفر صاحب مكة الدعاء لصاحب مصر وأخذ محمد بن جعفر صاحب مكة قناديل الكعبة وصفائح الذهب التي كانت على الباب واستمر على الخطبة لبني العباس وترك الاذان بحي على خير العمل وقد كانوا أيام العبيديين أذنوا بها فلما بلغ العباسيين ذلك بعثوا اليه بثلاثين ألف دينار وقصده بنو سليمان الحسنيون وهم أولاد سليمان ابن عبد الله بن موسى ويقال لسليمان الحرابي لشجاعته ويقال لبنيه الحرابيون ومعهم حمزة بن وهاس بن أبي الطيب داود بن عبد الرحمن بن أبي الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله الصالح بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلاقاهم محمد بن جعفر المذكور وحاربهم فغلبوه ففر الى ينبع وولي مكة (حمزة بن وهاس) فجمع محمد بن جعفر جموعا وقصد حمزة بن وهاس وكانت بينهم حروب حتى أخذ محمد بن جعفر مكة من حمزة بن وهاس وكان محمد بن جعفر على غاية من القوة والشجاعة ذكر في بعض حروبه على التركمان فضربه بالسيف فقطع درعه وجسده والفرس حتى وصل السيف الى الارض فبهت الجند واستمر محمد بن جعفر الى أن توفي سنة أربعمائة وأربعة وثمانين فولي مكة أيضا (القاسم بن محمد بن جعفر) كذا قال الفاسي وقال غيره القاسم بن شميل بن محمد بن جعفر قال وهذا البطن يقال لهم الهواشم ولم يزل القاسم على مكة حتى هجم الاصبهبذ بن سارتكين في أوائل السنة المذكورة فهرب القاسم وأقام (الاصبهبذ بمكة) الى شوال سنة أربعمائة وسبعة وثمانين فجمع القاسم جموعا وكبس الاصبهبذ سنة أربعمائة وثمانية وثمانين واستقر القاسم واليا على مكة الى أن توفي في صفر سنة

جة غير البيت المرفوع وانما رفعت بعد وفاة آدم عليه السلام وابقى البيت المعمور الى آن رفع زمن الطوفان وفي ذلك ارتكاب المجاز ما صحح به هذه الروايات المتباينة ظواهرها ﴿الرابع بناء الخليل عليه الصلاة والسلام الكعبة المشرفة﴾ قال السيد الامام التقي الفاسي رحمه الله تعالى أما بناء الخليل عليه السلام فهو ثابت بالكتاب والسنة الشريفة وهو أول من بنى البيت على ما ذكره الفاكهي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وجزم الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره وقال لم يرد عن معصوم أن البيت كان مبنيا قبل الخليل عليه السلام انتهى فهو يشكر ما قدمناه من الآثار فبناء ابراهيم عليه السلام أول بناء بالنسبة الى من بناه بعده لا أول تحقيق والله تعالى أعلم وأحكم وروى الازرقي رحمه الله في تاريخه عن ابن اسحق ان الخليل عليه السلام لما بنى البيت جعل طوله في السماء تسعة أذرع وجعل طوله في الارض من قبل وجه البيت الشريف من الحجر الاسود الى الركن الشامي اثنين وثلاثين ذراعا وجعل عرضه في الارض من قبل الميزاب من الركن الشامي الى الركن الغربي الذي يسمى الآن الركن العراقي اثنين وعشرين ذراعا وجعل طوله في الارض من جانب ظهر البيت الشريف من الركن الغربي المذكور الى الركن اليماني احدى وثلاثين ذراعا وطول عرضه في الارض من الركن اليماني الى الحجر الاسود عشرين ذراعا وجعل الباب لاصقا بالارض غير مرتفع عنها ولا مبوب حتى جعل لها تبع الحميري بابا وغلقا بعد ذلك وحفر ابراهيم عليه السلام في بطن البيت على يمين من دخله حفرة تكون خزانة للبيت يوضع فيها ما يهدى الى البيت وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يبني واسمعيل عليه السلام ينقل له الاحجار على عاتقه فلما ارتفع البنيان قرب له المقام فكان يقوم عليه ويبني ويحوله له اسمعيل عليه السلام في نواحي البيت حتى انتهى الى موضع الحجر الاسود فقال ابراهيم لاسمعيل عليهما الصلاة والسلام يا اسمعيل ائتني بحجر أضعه هنا يكون علما للناس يبتدؤن منه الطواف فذهب اسمعيل في طلبه فجاء جبريل عليه السلام الى سيدنا ابراهيم عليه السلام بالحجر الاسود وكان الله عز وجل استودعه جبل أبي قبيس حين طوفان نوح فوضعه جبريل عليه السلام في مكانه وبنى عليه ابراهيم وهو حينئذ يتلألأ نورا فأضاء بنوره شرقا وغربا وشاما ويمنا الى منتهى انصاب الحرم من كل ناحية وانما سودته أنجاس الجاهلية وأرجاسها

خمسمائة وثمانية عشر وقيل سبعة عشر وكان القاسم بن محمد هذا أديبا شاعرا لطيفا من شعره

قوم اذا اغشوا العجاج حسبتهم * ليلا وخلت وجوههم أقمارا
لا يبخلون بزادهم عن جارهم * عدل الزمان عليهم أو جارا
واذا الصريخ دعاهم لملمة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا
واذا زناد الحرب أذكت نارها * قدحوا بأطراف الاسنة نارا

ولما توفي القاسم بن محمد ولي مكة بعده ابنه (فليتة بن القاسم) ويقال له أبو فليتة وكان أديبا لا شاعرا واستمر الى أن توفي سنة خمسمائة وسبعة وعشرين فولي مكة ابنه (هاشم بن فليتة) وفي سنة خمسمائة وتسعة وثلاثين نهب هاشم بن فليتة الحج العراقي بالحرم الشريف وهم يطوفون لفتنة وقعت بينه وبين أمير الحاج العراقي ودامت ولاية هاشم بن فليتة الى سنة خمسمائة وتسعة وأربعين وقيل الى سنة خمسمائة واحدى وخمسين فتوفي فولي مكة ابنه (القاسم بن هاشم) وكان يلقب عمدة الدين وفي سنة خمسمائة وثلاث وخمسين وقعت فتنة بين القاسم وعمه قطب الدين عيسى واستولى على مكة عمه (عيسى) وقال الفاسي ان القاسم لما فر من أمير العراق استولى على مكة عمه عيسى ولهذه الفتنة دخلت هذيل مكة ونهبوها ونهب الناس وفر اصادر القاسم بن هاشم أعيان مكة والتجار والمجاورين وأخذ غالب أموالهم وهرب من مكة خوفا من أمير الحاج ثم ان القاسم جمع جموعا ورجع فخرج عيسى من مكة فملكها القاسم وذلك سنة خمسمائة وسبعة وخمسين وأقام بها أياما يسيرة ثم قتل وسببه أنه قتل قائدا من قواده فتغير عليه أصحابه وكاتبوا عمه عيسى وأقبل عليهم فهرب القاسم وطلع جبل أبي قبيس فسقط عن فرسه فأخذه بعض أصحاب عيسى فقتلوه فلما سمع بذلك عمه ندم وغسله ودفنه بالمعلا وفي تاريخ السنجاري نقلا عن الوفائي وفي أيام عيسى وقعت فتنة عظيمة بين عسكر عيسى بن فليتة وبين الحج العراقي فقتل من أهل مكة جماعة وانزعج الحج العراقي وانتهبوا ولم يقدروا من دخول مكة فنفروا منها وقد أخذوا جميع جمالهم وأسبابهم وقتل من الفريقين خلق كثير واستمر عيسى بن فليتة الى سنة خمسمائة وخمس وستين فنازعه أخوه مالك بن فليتة واستولى على مكة نحو نصف يوم وجرى بين عسكره وعسكر أخيه فتنة الى وقت الزوال ثم خرج مالك الى بني عيسى ثم عاد مالك سنة سبع وخمسين وخمسمائة ومعه هذيل فخرج اليهم عسكر عيسى فانهزموا ودخل مالك جدة ونهب التجار وأخذ ما في الجلاب

﴿انقراض دولة العبيديين﴾

وفي سنة خمسمائة وسبع وستين كان انقراض دولة العبيديين بمصر وكان آخرهم العاضد وتفاصيل دولتهم

قال ولم يكن ابراهيم عليه السلام سقف البيت ولا بناه بمدر وانما رصه رصا قال وذكر بسنده الى عبد الله بن عمر أن جبريل عليه السلام نزل بالحجر على ابراهيم عليه السلام من الجنة وانه وضعه حيث رأيتم وانكم لا تزالون بخير ما دام بين ظهرانيكم فتمسكوا به ما استطعتم فانه يوشك أن يجيء جبريل عليه السلام فيرجع به من حيث جاء به انتهى قال السيد الامام تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى روينا عن قتادة قال ذكر لنا أن الخليل عليه السلام بنى البيت من خمسة أجبل من طور سيناء وطور زيتاء ولبنان والجودي وحراء قال وذكر لنا ان قواعده من حراء قال ويروى أن الخليل عليه السلام أسس البيت من ستة أجبل من أبي قبيس ومن الطور ومن القدس ومن ورقان ومن رضوى ومن احد وقال الازرقي رحمه الله قال أبي وحدثني جدي عن سعيد ابن سالم عن ابن جريج عن مجاهد أنه قال كان موضع الكعبة قد خفي ودرس زمن الطوفان فيما بين نوح وابراهيم عليهما السلام قال وكان موضعه أكمة حمراء لا تعلوها السيول غير ان الناس كانوا يعلمون أن البيت ثما هنالك من غير تعيين محله وكان يأتيه المظلوم والمتعوذ من أقطار الارض ويدعو عنده المكروب وما دعا عنده أحد الا استجيب له وكان الناس يحجون الى موضع البيت حتى بوأ الله مكانه لابراهيم عليه السلام لما أراد عمارة بيته واظهار دينه وشرائعه فلم يزل منذ أهبط الله آدم الى الارض معظما محترما عند الامم والملل • قال الامام أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي في كتابه العرائس في قصص الانبياء عليهم السلام لما أنجى الله خليله ابراهيم عليه السلام من نار النمرود وآمن به من آمن خرج مهاجرا الى ربه وتزوج ابنة عمه سارة وخرج بها يلتمس الفرار بدينه والامان على نفسه ومن معه فقدم الى مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وكانت لا تعصي ابراهيم وبذلك أكرمها الله تعالى فأتى ابليس الى فرعون وقال ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء فأرسل الجبار الى ابراهيم وقال له ما هذه المرأة منك فقال هي أختي وخاف ان قال هي امرأتي أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الي فرجع ابراهيم الى سارة فقال ان هذا الجبار سألني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله فانه ليس مسلم في هذه الارض غيري وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم يصلي وقد رفع الله الحجاب بين ابراهيم وسارة ينظر اليهما منذ فارقته الى أن عادت

دولتهم مذكورة في التواريخ واستولى على مصر السلطان صلاح الدين الايوبي ودعا للعباسيين ولم يزل عيسى بن فليتة الى أن توفي سنة خمسمائة وسبعين وفي الحج من هذه السنة وقع بين عيسى قبل وفاته وبين أمير الحج العراقي مقاتلة بالزاهر ولما توفي عيسى بن فليتة ولي مكة بعده ابنه (داود بن عيسى) واستمر الى ليلة النصف من رجب سنة خمسمائة واحدى وسبعين فعزله الناصر العباسي ووليها أخوه (مكثر بن عيسى) واستمر الى الموسم ثم عزل وجرى بينه وبين طاشتكين أمير الحج العراقي حرب شديد كان الظفر فيه لطاشتكين وتحصن مكثر بحصن له على جبل أبي قبيس بعد نهب الحجاج وأخذ أموالهم فدخل طاشتكين مكة وأخرجه من الحصن قهرا فهرب ونهبت مكة وأحرقت بها دور كثيرة فلما استقر الحال سلم طاشتكين البلد (القاسم بن مهنا الحسيني) أمير المدينة فاستقر بمكة ثلاثة أيام فرأى عجزه عن القيام بامارة مكة فراجع في ذلك طاشتكين فولى مكة (داود بن عيسى) السابق ذكره وأمر طاشتكين بهدم القلعة التي كانت على أبي قبيس ولم يوف أكثر الحجاج المناسك في هذا العام

﴿ذكر آخر أمراء مكة الملقبين بالهواشم﴾

قال الفاسي بعد ذكر اعادة داود بن عيسى لامارة مكة ولا نعلم الى متى استمرت غير انه كان يتداول هو وأخوه مكثر امارة مكة ثم انفرد بها مكثر بن عيسى نحو عشر سنين آخرها سنة سبع وتسعين وخمسمائة وهو آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم غير ان الاشتراط هل هي ولايته أو ولاية أخيه داود على الشك والصحيح انها ولاية مكثر وفي أيام مكثر بن عيسى أبطل السلطان صلاح الدين الايوبي صاحب مصر المكس المأخوذ من الحجاج في البحر على طريق عيذاب وكان من لم يؤد بعيذاب يؤخذ منه بجدة وهو سبعة دنانير مصرية على كل انسان وكان يأخذ ذلك أمير مكة وكان سبب ابطاله ان الشيخ علوان الاسدي الحلبي حج فلما وصل الى جدة طولب بذلك فأبى أن يسلم لهم شيأ وأراد الرجوع فلاطفوه وبعثوا الى صاحب مكة وكان الشريف مكثر بن عيسى فأمر باطلاقه ومسامحته فلما طلع الى مكة اجتمع به واعتذر اليه بأن مدخول مكة لا يفي بمصالحنا وهذا الحامل لنا على هذا فكتب الشيخ علوان الى السلطان صلاح الدين وذكر له حاجة أمير مكة وعرفه ان البلاد ضعيفة وان أهلها تحتاج الى ما يكفيه وان ذلك هو الذي حمله على هذه البدعة الشنيعة فأنعم عليه مولانا السلطان صلاح الدين بثمانية آلاف أردب قمح وقيل بألفي دينار وألفي أردب قمح وأمره بترك هذه المظلمة جزاه الله خيرا وكان الخطيب يدعو في خطبته للخليفة العباسي ثم لمكثر ثم السلطان صلاح الدين

﴿ذكر من مات في جوف الكعبة من الزحام﴾

اليها اكراماله وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام فلما دخلت سارة على الجبار ورآها دهش فى حسنها ولم يملك نفسه ان مد يده اليها
فيبست يده على صدره فلما رأى ذلك أعظم أمرها وقال لها سلى ربك أن يطلق يدى فوالله انى لا أوذيك فقالت سارة اللهم ان
كان صادقا فاطلق يده فوهب لها هاجر وهى جارية قبطية جميلة وردها الى ابراهيم فأقبلت اليه فلما أحس بها انفتل من صلاته وقال
مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر ووهبنى هاجر وقد وهبتها لك فلعل الله أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أيست
فوقع ابراهيم على هاجر فحملت وولدت له اسمعيل وأقام ابراهيم بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايلياء وهو يضيف من يأتيه
وقد أوسع الله عليه وبسط له فى الرزق والمال والخدم فلما أراد الله هلاك قوم لوط بعث الله رسله يأمرونه بالخروج (٢٢)
من بين ظهرانيهم
وأمرهم أن يبدؤا
فيبشروه باسحق ومن
وراء اسحق يعقوب فلما
نزلوا عليه سر بهم وقال
لا يخدمهم الا انا فوجا لا
أتا فاتى بعجل سمين مشوى
بالحجارة فقربه اليهم
فامسكوا أيديهم فنكرهم
وأوجس منهم خيفة حيث
لم يأكلوا من طعامه ثم
قالوا لا تخف انا أرسلنا الى
قوم لوط وامرأته قائمة
تخدمهم فبشروها باسحق
ومن وراء اسحق يعقوب
فضحكت وقال ابن عباس
فضحكت تعجبا من أن
يكون لها ولد على كبر سنها
وكانت بلغت تسعين سنة
وبلغ ابراهيم مائة وعشرين
وقال مجاهد وعكرمة
ضحكت أى حاضت فى
الوقت تقول العرب
ضحكت الارنب اذا حاضت
* قال السدى فحملت
سارة باسحق وكانت قد
حملت هاجر باسمعيل
فوضعتا وشب الغلامان فتسابقا فسبق اسمعيل فأخذه ابراهيم وأجلسه فى حجره وأخذ اسحق الى جانبه فغضبت وكان
سارة وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته فى حجرك وعمدت الى ابنى فأجلسته الى جنبك وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت
لتقطعن منها بضعة ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فتحيرت فى يمينها فقال لها ابراهيم اخفضيها واثقبى أذنها ففعلت ذلك فصارت
سنة فى النساء والخفاض بالجيمات للنساء كالختان للرجال ثم تضارب اسمعيل واسحق كما تهارش الاطفال فغضبت سارة على هاجر
وحلفت أن لا تساكنها فى بلد واحد وأمرت ابراهيم أن يعزلها عنها فأمر الله تعالى ابراهيم أن يأتى بهاجر وابنها الى مكة فذهب
بهما حتى قدم مكة وهى اذ ذاك عضاه وسلم وموضع البيت ربوة حمراء فعمد بهما الى موضع الحجر يسكون اليه فيه وأمرها أن تتخذ

وفى سنة خمسمائة واحدى وثمانين مات فى جوف الكعبة من الزحام أربعة وثمانون نفسا وفى سنة
خمسمائة وخمسة وثمانين أخذ داود بن عيسى بن فليتة طوق الحجر الاسود وكان من فضة وزنه ثلاثة
آلاف وسبعة وتسعون درهما فلما قدم الحاج عزل داود أمير الحج وولى أخاه مكثر وهرب داود الى
وادى نخلة ومات هنالك ويه يتبين الشك السابق ويعلم ان انتهاء دولتهم كانت فى ولاية مكثر وفى سنة
خمسمائة واثنين وتسعين عند رحيل الحاج وقعت بمكة ريح سوداء عمت الدنيا ووقع على الناس
رمل أحمر وسقطت أحجار من الركن اليمانى من الكعبة الشريفة وقال أبو شامة فى ذيل الروضتين
فى سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وقع من الركن قطعة وتحرك البيت الشريف مرارا وهذا شئ
لم يعهد وفى سنة خمسمائة وسبعة وتسعين وقيل ثمانية وتسعين وقيل تسعة وتسعين انتزع مكة من
مكثر (الشريف قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن
على بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن
المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنه) والشريف قتادة هذا هو جد سادتنا
الاشراف ملوك مكة الى الآن خلد الله ملكهم الى آخر الزمان وبه انقرضت دولة بنى فليتة
الهواشم وكان الشريف قتادة يكنى أبا عزيز وهو أول من ملك مكة المشرفة من هذا الفخذ الشريف
وكان ذا بأس ونجدة وشوكة فجمع بنى عمه وأركبهم الخيل قبل أن يملك مكة وحارب الاشراف بنى
حراب من أولاد عبد الله المحض بن الحسن المثنى ثم استأصلهم جماعة فصار واتبعه وملك ينبع
والصفراء وسبب طمعه فى ملك مكة ما بلغه من عكوف أمرائها الهواشم بنى فليتة على اللهو وتبسطهم
فى الظلم واعراضهم عن العدل اشتغالهم عنه بما هم فيه من اللهو والعسف لرعاياهم فتوحش لذلك خواطر
جماعة من قوادهم ولما عرف ذلك قتادة منهم اليه وسألهم المساعدة على ما يرومه من الاستيلاء
على مكة وبعثه على المسير اليها ان بعض الناس فزع اليه مستغيثا به فى ظلامة ظلمها بمكة فوعده
بالنصر وتجهز فى جماعة من قومه فما شعر أهل مكة الا وهو معهم بها ولا تماعلى ما هم عليه من
اللهو والآثام فلم يكن لهم عنه ولا به طاقة فملكها دونهم وقيل انه لم يأت اليها بنفسه فى ابتداء ملكه
لها وانما أرسل اليها ابنه حنظلة فملكها وأخرج منها مكثر بن عيسى بن فليتة وقال حنظلة بن قتادة
ولم يحصل لمحمد ظفر وبعث البلاد لقتادة فجاء اليها قتادة بنفسه بعد ولده حنظلة سنة ستمائة وواحد
وعلى القول الاول قالوا ان قتادة دخل مكة بغتة يوم السابع والعشرين من رجب وكانت ملوك مكة
تخرج فى مثل ذلك اليوم الى التنعيم تعتمر مع غالب أهل مكة اتباعا لعبد الله بن الزبير فى اعتماره
فى مثل هذه الليلة فدخل الشريف قتادة من أعلى مكة فرجع الشريف مكثر وجماعته فحاربوهم

عن بشأنه انصرف فتبعته هاجر فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرجعت عنه وكان معها شن ماء فنفد فعطشت وعطش ولدها فنظرت الى الجبل فلم ترد احدا ولا مجيبا وصعدت على الصفا فلم تر أحدا ثم هبطت وعينها من ولدها حتى زالت فغابت عنه فهرولت حتى صعدت من الجانب الآخر واستمرت الى ان صعدت المروة فلم تر أحدا فترددت لذلك سبعا وعادت الى ولدها وقد نزل جبريل عليه السلام فضرب موضع زمزم بجناحه فنبع الماء فبادرت هاجر اليه وحبسته عن السيلان كي لا يضيع الماء • وفي لفظ النبوة لولا انها عجلت لكانت عينا معينا فشربت وأرضعت ولدها وقال لها جبريل لا تخافي الضيعة فان ههنا بيت الله عز وجل يبنيه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وقال الامام أبو عبد الله محمد (٢٣) بن أحمد بن أبي بكر القرطبي في تفسيره لا يجوز لأحد أن يتعلق بهذا في جواز طرح ولده وعياله بأرض مضيعة اتكالا على العزيز الرحيم واقتداء بفعل ابراهيم الخليل عليه السلام وانه فعل ذلك بأمر الله تعالى وقد روي ان سارة لما غارت من هاجر لما ولدت اسمعيل خرج بها ابراهيم عليه السلام الى مكة وأنزل ابنه وأمه هنالك وركب منصرفا من يومه وكان ذلك كله بوحي من الله تعالى (وماء زمزم من الشرف والخواص والمزايا ما لا يوجد لغيره) ففي المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ماء زمزم لما شرب له ورجاله موثقون الا انه اختلف في ارساله ووصله وارساله أصح كذا في فتح الباري لشرح البخاري وروى الدارقطني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له ان شربته تستشفي شفاك الله وان شربته لشبعك أشبعك الله به وان شربته لقطع ظمئك قطعه وهي هزمة جبريل وسقيا الله اسمعيل وعن عكرمة قال كان ابن عباس اذا شرب من زمزم قال اللهم اني أسألك علما نافعا ورزقا واسعا وشفاء من كل داء وفي صحيح البخاري قال أبو ذر رضي الله عنه ما كان لي طعام الا ماء زمزم أجتزي به ثلاثين ما بين يوم وليلة فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على كبدي سخفة جوع وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر انه طعام طعم زاد الطيالسي من الوجه الذي أخرجه مسلم وشفاء سقم وقال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله وهذا موجود فيه الى يوم القيامة لمن صحت نيته وسلمت طويته ولم يكن مكذبا ولا شربه مجربا (قلت) ومن عجيب ما اطلعت عليه من كتاب وفاء الوفا في أخبار دار المصطفى للسيد نور الدين السمهودي الشافعي عالم المدينة في

وكان الظفر له عليهم فهربوا الى وادي نخلة قال الشيخ أحمد بن الفضل باكثير ووقع حرب أيضا بين الشريف قتادة وصاحب المدينة الشريف سالم بن قاسم الحسيني وفي ذلك يقول الشريف قتادة

(مصارع آل المصطفى عدت مثل ما • بدأت ولكن صرن بين الأقارب)

ثم حارب ثقيفا وأهل الطائف وملك البلاد منهم واتسع ملكه واتسعت ولايته من بلاد اليمن الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وعظم شأنه مجدا وصار له صيت في العرب لم يكن لغيره وكان فاضلا أديبا شاعرا وله الشعر البليغ وكانت ولادته في حدود سنة سبع وعشرين وخمسمائة وتوفي بمكة سنة سبع عشرة وستمائة في سن التسعين ولقتادة شعر بليغ يشهد بنبله وتسموا الهمم العلية لمثله وذلك ان الخليفة الناصر العباسي طلب الشريف قتادة بأن يسير ببغداد فسار متوجها اليه الى أن وصل النجف وبلغ الخليفة وصوله فأخرج القائد العلماء والاعيان وكبراء الدولة وكان مما أخرجوا معهم أسد في سلسلة فلما رآه الشريف قتادة تطير وقال مالي ولارض تذل فيها الاسود والله لا دخلتها ورجع من النجف ولم يدخل العراق فلما بلغ ذلك الناصر كتب اليه يعاتبه فكتب اليه الشريف قتادة الجواب ومن جملته قوله

(بلادي وان جارت علي عزيزة • ولو انني أعرى بها وأجوع)
(ولي كف ضرغام اذا ما بسطتها • بها أشتري يوم الوغى وأبيع)
(معودة لثم الملوك لظهرها • وفي بطنها للمجدبين ربيع)
(أأتركها تحت الرهان وأبتغي • بها بدلا اني اذا لرقيع)
(وما أنا الا المسك في أرض غيركم • أضوع وأما عندكم فأضيع)

قيل لما جاءه كتاب الناصر المشتمل على العتاب في رجوعه أرسل له الناصر معه مالا وكسوة فاخرة ولم يظهر له التعب مما جرى من فعله وجعل الامير الذي جاء بالكتاب يستدرجه ويخدعه ويحثه على التوجه للقاء الخليفة ويقول له ليس كمال الخدمة الا تقبيل العتبة ولا عز الدنيا والآخرة الا بنيل هذه المرتبة فقال له الشريف قتادة أنظر في ذلك ثم جمع بني عمه وعرفهم ان ذلك استدراج لهم وقال لهم يا بني الزهراء عزكم الى آخر الدهر بمجاورة هذه البنية والاجتماع في بطحائها واعتمدوا بعد اليوم ان تعاملوا هؤلاء بالشر يرهبوكم من طريق الدنيا والآخرة ولا يرغبونكم بالمال والعدد فان الله قد عصمكم وعصم أرضكم بانقطاعها وانها لا تبلغ الا بشق الانفس ثم غدا الشريف على الامير وقال له اسمع الجواب وأنشده الابيات المتقدمة فقال الامير يا شريف أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفة ابن عمه وأنا مملوك تركي لا أعلم من الامور التي في الكتب ما علمت ولكن

عصره ومؤرخها ومحدثها وقد أخذنا عمن أخذ عنه فروى عنه بواسطة قال ان بالمدينة بئر زمزم ولم تزل أهل المدينة قديما وحديثا
يتبركون بها ويشربون من مائها وينقلون منه الى الآفاق كما ينقل ماء زمزم لبركتها انتهى ورجعنا الى القصة قال ومرت رفقة
من جرهم يريدون الشام فرأوا طيرا يحوم على جبل أبي قبيس فقالوا ان هذا الطير يحوم على ماء فتبعوه فأشرفوا على بئر زمزم
فقالوا لهاجر ان شئت نزلنا معك وآنسناك والماء ماؤك نشرب منه فأذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة وتوفيت هاجر وقبرها
في الحجر يسكنون الحجر وشب اسمعيل فتزوج اسمعيل من جرهم وتكلم بلسانهم فتعرب فيقال لبني اسمعيل العرب العاربة والعرب
المتعربة وكان لسان ابراهيم عبرانيا ولسان اسمعيل عربيا ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة ان يزور هاجر وابنها

فقد رأيت ان هذا من شرف العرب الذين يسكنون البوادي وحاشا الله أن أحمل هذه الابيات عنك
الى الديوان فأكون قد جنيت على بيت الله وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وبني بنته رضي الله عنهما
والله لو بلغ هذا الى حيث أشرت يعني الخليفة لترك كل وجه وحول جميع الوجوه اليك حتى يفرغ
منك مالهذا ضرورة الا ان كان خطر ببالك انهم استدرجوك فلا تسر اليهم وقل جميلا فأصغى اليه
الشريف قتادة وشكر رأيه ثم قال ما الرأي عندك قال الرأي عندي أن ترسل من أولادك من ان
وقع عليه شيء ما يهمك ولا يقع ان شاء الله ومعاذ الله أن يجري الا ما تحبه وسترى ان شاء الله من الخير
ما لا يخفى عنك فأعجبه قوله وفعل فبعث ابنه راجحا ومعه أشياخ من الشرفاء فدخلوا بغداد واجتمعوا
بالخليفة الناصر فقابلهم بالاعزاز والاكرام وأنزلهم أشرف الاماكن ثم عادوا الى مكة وكان
الشريف قتادة عند ذكر هذه القضية يقول لعن الله أول رأي عند الغضب ولا أعدمنا عاقلا
ناصحا يثبتنا عند ذلك وقيل ان الخليفة لما بلغته الابيات السابقة كتب اليه أما بعد فاذا نزع
الشتاء جلبابه ولبس الربيع أثوابه قابلناك بجنود لا قبل لكم بها ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم
صاغرون فلما أحس الشريف قتادة بالشر كتب الى بني عمه بني حسين بالمدينة يستنجدهم ومن
جملة كتابه قوله

(بني عمنا من آل موسى وجعفر * وآل حسين كيف صبركم عنا)
(بني عمنا انا كأفنان دوحة * فلا تتركونا يجتني الغنا فنا)
(اذا ما أخ خلى أخاه لآكل * بدا بأخيه الآكل ثم بدنا)

فلما قابلت الجنود الناصرية أتته بنو حسين فكسروها وبددوا شملها فلما رأى الخليفة الناصر
شدة بأسه مدحه على سيرته وأولاه مقامه ورتب له قرى متعددة وتوفي الشريف قتادة سنة
سبع عشرة وستمائة في سن التسعين كما تقدم وقيل ان ولده الحسن قتله خنقا وكان مريضا والله أعلم
بحقيقة الحال فولي مكة (الحسن بن قتادة) المذكور وكان للشريف قتادة كثير من الاولاد منهم
الحسن وراجح وادريس وعلي فتولى مكة بعد قتادة الحسن وكان قاتلا لأقباش الناصري
لاتهامه أنه واطأ راجح بن قتادة أن يوليه مكة ثم علق رأسه في ميزاب الكعبة واستمر على ولاية مكة
الى سنة ستمائة وتسعة عشر فانتزعها منه الملك المسعود صاحب اليمن من قبل أبيه ملك مصر
والملك المسعود هو يوسف الملقب اقسيس بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب
صاحب مصر وأبو بكر العادل هو أخو السلطان صلاح الدين كان ملك مصر فيه وفي أولاده بعد
أخيه صلاح الدين قدم الملك المسعود من اليمن الى مكة ومعه جيش فحاربه الشريف حسن ثم كان

واذنت له واشترطت أن
لا ينزل عندها فقدم ابراهيم
مكة وقد ماتت هاجر فأتى
الى بيت اسمعيل فوجد
امرأته فسألها أين صاحبك
فقالت ذهب يتصيد
وكان اسمعيل عليه
السلام يخرج من الحرم
الى الحل يتصيد ما يتعيش
به فقال لها عندك ضيافة
من طعام أو شراب فقالت
ليس عندي شيء فقال لها
اذا جاء زوجك فاقرئيه مني
السلام وقولي له غير عتبة
بابك فذهب ابراهيم عليه
السلام فلما جاء اسمعيل
قالت جاءني شيخ صفته كذا
وكذا فاقرأك السلام وقال
غير عتبة بابك فقال الحقي
باهلك وتزوج غيرها فمكث
ابراهيم مدة ثم استأذن
سارة أن يزور اسمعيل
واذنت له واشترطت عليه
أن لا ينزل فجاء ابراهيم الى
مكة وقدم على منزل
اسمعيل فوجده غائبا في
الصيد فقال لامرأته أين
صاحبك قالت ذهب يتصيد ويجيء به وقالت انزل يرحمك الله وجاءت بلحم ولبن فاكل وشرب وقالت له
يا عم هلم حتى أغسل رأسك وأزيل شعثك وجاءته بحجر وهو حجر المقام الذي بني عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه في الحجر
فغسلت شقه الايمن ثم الايسر ثم أفاضت الماء على رأسه وبدنه الى أن فرغت من تنظيفه فقام من عندها وتوجه من حيث جاء وقال
لها اذا جاء صاحبك فاقرئي عليه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فالزمها فلما جاء اسمعيل وجد رائحة أبيه فقال هل جاءك
أحد قالت جاءني شيخ من أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فأنقته وسقيته وغسلته وهذا موضع قدميه وحين توجه أقرأك
السلام وقال لك كذا وكذا فقال نعم أمرني أن أثبت معك وقيل موضع قدم أبيه من الحجر وحفظه يتبرك به الى أن بني عليه فيما بعد

الظاهر

ابراهيم عليه الصلاة والسلام الكعبة لما بناها كذا في قصص الانبياء وروى فيها أيضا عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أنه قال أشهد ثلاث مرات انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس نورهما ولولا أن طمس نورهما لأضا آ ما بين المشرق والمغرب ثم لما أمر الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام ببناء بيته الشريف قدم الى مكة وبناها كما قدمناه فلما فرغ من بناء بيت الله الحرام أمره أن يؤذن الناس بالحج فقال يارب وما عسى أن يبلغ مدا صوتى فقال عليك الأذان وعلينا البلاغ فطلع على جبل ثبير ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنى بيتا وأمركم أن تحجوه فحجوه وأجيبوا داعى الله فأسمع الله صوته جميع من فى الدنيا ومن سيولد

ممن هو فى أصلاب الرجال الآباء وأرحام الامهات ﴿وأما أمر الله تعالى ابراهيم بذبح ولده اسمعيل عليهما السلام﴾ فقد اختلف العلماء فى أن المأمور بذبحه اسمعيل أو اسحق فقال قوم هو اسحق وذهب اليه عمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب رضى الله عنهما وذهب عبد الله بن عمر وابن المسيب والشعبى ومجاهد والحسن البصرى رضى الله عنهم أنه اسمعيل قال الامام أبو زكريا النووى رحمه الله تعالى فى كتابه تهذيب الاسماء واللغات اختلف العلماء رحمهم الله تعالى فى الذبيح هل هو اسمعيل أو اسحق عليهما السلام والاكثرون على أنه اسمعيل عليه السلام انتهى وممن رجح كون الذبيح اسمعيل عليه الصلاة والسلام الحافظ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى قال فى ترجمته وهو الصحيح وروى عن كعب الاحبار عن رجال

قالوا لما أرى ابراهيم فى المنام أنه يذبح ابنه وتحقق انه أمر ربه قال لابنه يابنى خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب لاهلنا فاخذ المدية والحبل وتبع والده فقال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرى أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب لنا من هذا الشعب فقال الشيطان لا والله ماذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أشفق به وأشد حبا له فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك قالت ان كان الله تعالى قد أمره بذلك فليطع أمره فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشى على اثر أبيه فقال ياغلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك قال ليحتطب لاهلنا من هذا الشعب فقال لا والله مايريد الا ذبحك فقال لاى شئ فقال يزعم ان الله أمره بذلك

الظفر الملك المسعود وهرب الشريف حسن ولما علا الملك المسعود من مكة جعل أمرها بنيابة (نور الدين على بن عمر بن رسول) ورتب له عسكرا فقصده الحسن بن قتادة بجيش جاء به من ينبع سنة عشرين وستمائة فخرج اليه نور الدين الى الحديبية وكسره فهرب الحسن راجعا ثم وصل الى الشام ثم الى العراق ووصل الى بغداد وادركه أجله هناك وفى سنة ستمائة وستة وعشرين ولى مكة للملك المسعود عتيقه (صارم الدين ياقوت المسعودى) ثم توفى فى تلك السنة الملك المسعود واستولى على اليمن بعده نور الدين عمر بن على بن رسول وبويع بالسلطنة وتلقب بالملك المنصور ولما توفى الملك المسعود كان أبوه الملك الكامل صاحب مصر موجودا فولى على مكة (طغتكين التركى) أحد خدامه قال ابن خلكان ولقد حكى الى من حضر الخطبة بمكة يوم الجمعة فسمع الخطيب يقول على المنبر فى حق الملك الكامل صاحب مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين الحترمين الملك الكامل خليل أمير المؤمنين وفى سنة ستمائة وتسعة وعشرين وقيل سبع وعشرين اتصل راجح بن قتادة بنور الدين عمر بن على بن رسول صاحب اليمن فلم يزل به ويحسن له أخذ مكة حتى بعث معه جيشا الى مكة فأخرجوا نائب الملك الكامل وهو طغتكين التركى ثم جاء جيش من الملك الكامل فأخرجوا راجحا ومن معه ثم وليها (راجح بن قتادة) مع عسكر من صاحب اليمن سنة ثلاثين وستمائة ثم وليها (عسكر الملك الكامل) فى آخر هذه السنة وخرج منها راجح كذا فى تاريخ السنجارى والحاصل أنه من سنة ست وعشرين وستمائة وما بعدها كانت ولاية مكة لملوك اليمن وعساكرها وملوك مصر وعساكرها ولم تصف مكة لآل قتادة بل كانوا مع ملوك اليمن اما أصولا أو توابا ثم صفا الامر للشريف راجح بن قتادة ودامت ولايته الى آخر ذى الحجة سنة احدى وخمسين وستمائة وهذا اجمال تحته تفصيل ينطوى على عجائب تدل على همة هذا السيد الشريف الجليل وان كان فيها تطويل وقد بسط ذلك العلامة الرضى فى تاريخه وان كان فى بعض ماذكره مخالفة لما فى تاريخ السنجارى باعتبار تواريخ الازمان فلنذكر عبارة الرضى بتمامها قال العلامة الرضى فى تاريخه ذكر أهل التواريخ المعتمدة انه فى سنة ستمائة وست وعشرين التى توفى فيها الملك المسعود وصل جيش من مصر ومعه أمير عظيم من أمراء مصر يسمى طغتكين ودخل مكة وكان فيها نور الدين فتنحى نور الدين الى اليمن واستمر بها جيش مصر الى سنة سبعة وعشرين وستمائة فوصل جيش من صاحب اليمن نور الدين عمر بن على بن رسول وصحبته الشريف راجح بن قتادة فاستولوا على مكة فجهز صاحب مصر الملك الكامل جيشا كبيرا فقاتلوا الشريف راجحا فانكسر واستولوا على مكة بأمرهم

قال فليفعل ما أمره الله تعالى به وسمعا وطاعة لامر الله تعالى فاقبل الشيطان الى ابراهيم عليه السلام فقال أين تريد أيها الشيخ قال
أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه فقال اني أرى أن الشيطان خدعك بهذا المنام الذي رأيت انك تريد ذبح ابنك وفلذة كبدك فتندم
بعد ذلك حيث لا ينفعك الندم فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال عني يا ملعون فوالله لامضين لامر ربي فنكص ابليس على عقبيه
ورجع بخزي بغيظه فلما خلا ابراهيم في الشعب ويقال ذلك في ثبير قال يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك قال يا أبت افعل ما تؤمر
ستجدني ان شاء الله من الصابرين فقال لقد ثبت ان اسمعيل قال له عند ذلك يا أبتاه اذا أردت ذبحي فاشدد رباطي لا يصيبك من
دمي فينقص أجري وان الموت شديد ولا آمن أن أضطرب عنده اذا وجدت مسه واشحذ شفرتك حتى تجهز
على فتذبحني فاذا أنت أضجعتني لتذبحني فاكبني على وجهي ولا تضجعني لشقي فاني أخشى ان أنت نظرت الى وجهي ان تدركك الرقة فتحول بينك وبين أمر ربك في وان رأيت ان ترد قميصي الى أمي فاني أرجو ان يكون أسلى لها فافعل فقال ابراهيم نعم العون أنت يا بني على أمر الله ويقال انه ربطه كما أمره بالحبل فأوثقه ثم حد شفرته ثم تله للجبين واتقى النظر الى وجهه ثم أدخل الشفرة حلقه فقلبها جبريل عليه السلام لقفاها في يده ثم اجتذبها اليه ونودي أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فهذه ذبيحة فداء لابنك فاذبحها دونه وأتاه بكبش من الجنة قال ابن اسحق حدثني الحكم بن عيينة عن مجاهد عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أخرج الله هذا الكبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين عاما قال الفاكهي ذكر أهل الكتاب وكثير من العلماء أن الكبش وهو
الذي فدي به اسمعيل كبش أملح أقرن أعين ثم روى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه هو القربان المتقبل من أحد ابني
آدم فانظر رحمك الله الى طاعة هذا الوالد أمر الله تعالى من ذبح ابنه قرة عينه وقطعة كبده والى طاعة هذا الولد أمر الله تعالى
وأمر والده وانقياده الى ذلك راضيا محتسبا باذلا روحه لله تعالى وانظر الى هذه الوالدة الشفيقة الرحيمة واطاعتها لامر الله تعالى
واطاعة زوجها ٭ اللهم صل وسلم عليهما أفضل صلاتك وسلامك وعلى سائر الانبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين
وانفعنا ببركاتهم أجمعين وارزقنا التوفيق وحسن اليقين آمين ٭ قال الازرقي ثم ولد لاسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام من زوجته

الاول فاشتكين فأسرف في القتل ونهب البلاد وأخاف أهل مكة وفاشديدا ثم عاد الشريف راجح
بجمع عظيم وأمده صاحب اليمن بعسكره فقدم مكة وطرد أمير صاحب مصر فلما بلغ الملك الكامل
صاحب مصر ذلك جهز عسكرا مع الحاج فلما بلغ ذلك الشريف راجح خرج من مكة ودخل عسكر
مصر من غير قتال به وذلك في سنة ثلاثين وستمائة ثم في سنة احدى وثلاثين جهز الملك المنصور
صاحب اليمن عسكرا ومعهم الشريف راجح فدخلوا مكة وأخرجوا أمير صاحب مصر فلما أن وصل
الحاج بلغ الشريف راجحا أن السلطان الملك الكامل صاحب مصر واصل بنفسه على النجائب
فخرج الشريف راجح فلما الملك الكامل وحج فلما رجع عاد الشريف راجح الى مكة وفي سنة اثنين
وثلاثين وصل عسكر من مصر وأخرجوا الشريف راجحا فتوجه الى اليمن فبعث معه المنصور بخزانة
وعسكر فخرج اليه عسكر مصر ووقع بينهما قتال كبير انكسر فيه عسكر الشريف راجح هذا كله
في سنة أربع وثلاثين وستمائة وفي سنة خمس وثلاثين قدم السلطان نور الدين عمر بن علي بن رسول
في ألف فارس ذلك الشريف راجح في ثلاثمائة فارس فدخلوا مكة وخرج عسكر مصر وتصدق نور
الدين على أهل مكة بأموال كثيرة وفي هذه السنة مات الملك الكامل صاحب مصر وخطب بمكة
لصاحب اليمن المنصور وأقام الشريف راجح في ولاية مكة الى سنة سبع وثلاثين وستمائة وفي هذه
السنة أرسل صاحب مصر الملك الصالح بن الملك الكامل ألف فارس ومعهم الشريف شيحة بن قاسم
الحسيني أمير المدينة فلما سمع بهم الشريف راجح خرج من مكة ودخلها الشريف شيحة فلما بلغ
ذلك صاحب اليمن جهز عسكرا الى مكة مع الشريف راجح فلما أحس بهم الحسيني فر هاربا من مكة
وأخلاها وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة أرسل صاحب مصر عسكرا الى مكة فلما بلغ صاحب اليمن
تجهز وخرج الى مكة بجيش كثير فهرب المصريون وأقر ادارة السلطنة بمكة فدخل السلطان نور
الدين علي بن رسول مكة وصام رمضان بها وأبطل المكوس والجبايات وأعرض عن ولاية الشريف
راجح وأرسل يطلب الشريف أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة وولاه مكة فذهب الشريف راجح
الى المدينة واستنجد أخواله من بني حسين على ابن أخيه الحسن بن علي بن قتادة فأنجدوه فخرج
راجح معهم من المدينة ومعهم سبعمائة فارس قاصدا مكة ومعهم الامير عيسى الملقب بالحرون
وكان فارس بني حسين في زمانه فبلغ ذلك الشريف أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة وكان ابنه أبو نمي
في ينبع فأرسل اليه يطلبه وعمر أبي نمي في ذلك الوقت سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة فخرج في
أربعين من ينبع قاصدا مكة فصادف القوم سائرين فلما صادفهم حمل عليهم بالاربعين الذين معه وهم
سائرون فهزمهم ورجعوا الى المدينة مغلوبين وفي ذلك يقول السيد جعفر بن محمد بن معية الحسني

السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي اثنا عشر رجلا منهم ثابت بن اسمعيل وقيدار بن اسمعيل وقطور بن اسمعيل وكان عمر اسمعيل مائة وثلاثين عاما ومات ودفن في الحجر مع أمه فولي البيت بعده ثابت بن اسمعيل ونشر الله العرب من ثابت وقيدار فكثروا ونموا ثم توفي ثابت فولي البيت بعده جده لامه مضاض بن عمرو الجرهمي وضم بني ثابت بن اسمعيل وصار ملكا عليهم وعلى جرهم ونزلوا بقيقعان بأعالي مكة وكانوا أصحاب سلاح كثير وتتعقع فيهم وصارت وكانوا نازلين باسفل ونزلوا بأجياد وكانوا أصحاب خيل وغيره وكان الامر بمكة لمضاض بن عمرو ودون السميدع الى أن حدث بينهما البغي واقتتلوا فقتل السميدع وتم الامر لمضاض بن عمرو وفي ذلك يقول ونحن قتلنا سيد الحي عنوة • فأصبح فيها وهو حيران موجع (٢٧) وما كان يبقى ان يكون خلافنا • بها ملك حتى أتانا السميدع

فذاق وبالا حين حاول ملكنا • وعالج منا غصة تتجرع

فنحن عمرنا البيت كنا ولاته • نداوم عنه من أتانا وندفع

وما كان يبغي ان يلي ذاك غيرنا • ولم يك حي قبلنا ثم يمنع

وكنا ملوكا في الدهور التي مضت • وكنا ملوكا كالاكرام فنوضع

ثم نشر الله بني اسمعيل وخؤلتهم جرهما وكانت جرهم ولاة البيت لا ينازعهم بنو اسمعيل لخؤلتهم وقرابتهم فلما ضاقت عليهم مكة انتشروا في الارض فلا يأتون قوما ولا ينزلون بلدا الا أظهرهم الله عليهم بدينهم وهو دين ابراهيم حتى ملكوا البلاد ونفوا عنهم العماليق وكانوا ولاة مكة وكانوا انتهكوا حرمة الحرم واستحلوها واستخفوا بها فأخرجهم الله من أرض الحرم قال ثم ان جرهما استخفت بامر البيت الحرام وارتكبوا الامور العظام وأحدثوا فيها ما لم يكن قبل ذلك فقام فيهم مضاض بن عمرو بن الحارث بن عمرو خطيبا فقال يا قوم احذروا البغي فقد رأيتم من كان قبلكم من العماليق كيف استخفوا بالبيت فلم يعظموه فسلطكم الله عليهم وأخرجتموهم فتفرقوا في البلاد وغرقوا كل ممزق فلا تستخفوا بحق بيت الله تعالى فيخرجكم منه فلم يطيعوه ودلاهم الشيطان بالغرور وقالوا من يخرجنا ونحن أعز العرب وأكثرها رجالا وسلاحا فقال لهم اذا جاء أمر الله بطل ما تقولونه فلما رأى مضاض بن عمرو ذلك عمد الى غزالين من ذهب كانتا في الكعبة وما وجد فيها من الاموال التي كانت تهدى الى الكعبة ودفنها في بئر زمزم وقد نضب ماؤها فحفرها بالليل وأعمق الحفر ودفن فيها الغزالين والاموال وطم

وهو اذ ذاك لسان بني حسن بالعراق من قصيدة يذكر فيها تلك الواقعة ويمدح أبانمي ويحسن فعاله

ألم يبلغك شأن بني حسين • وفرهم وما فعل الحرون

فبالله فعل أبي نمي • وبعض الناس يشبهه الحرون

بصف بار بعين على مئين • وكم من كثرة غلبت تهون

ثم ان أبانمي دخل مكة بعد هزم الجيش مسرورا منصورا فأكرمه أبوه بان جعله شريكا له في الملك وكان أبوه الحسن بن علي بن قتادة من الشجاعة بالمحل الاعلى وكانت أمه أم ولد حبشية يحكى أنه كان في بعض حروبه فلحقته أمه في هودج ودعته فلما جاءها قالت له يا بني انك تقف اليوم موقفا ان ظفرت فيه بعدوك قال الناس ظفر ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هربت قال الناس هرب ابن الامة السوداء فانظر لنفسك فانه لا موت قبل فراغ العمر فشكرها اذ ذاك وقال جزاك الله خيرا فلقد نصحت وأبلغت ثم ردها وقاتل قتالا شديدا عنده حتى ظفر وأقام الحسن بن علي بن قتادة على ولاية مكة أربع سنين وفي سنة احدى وخمسين وستمائة قدم الشريف (جماز بن حسن بن قتادة) من دمشق في عسكر من الملك الناصر على انه يأخذ له مكة ويخطب له بها فدخل مكة في رمضان واستولى عليها وقتل الحسن بن علي بن قتادة ثم نقض العهد السابق مع الناصر وخطب للملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن واستمر الى الحج فقدم عمه الشريف راجح بن قتادة بجيش واستولى على مكة وخرج منها جماز بن الحسن بن قتادة بلا قتال وكانت هذه الولاية للشريف راجح آخر ولايته بمكة واستمر فيها الى شهر ربيع الاول سنة ثنتين وخمسين وستمائة فهجم على مكة ابنه (غانم بن راجح) وانتزع الملك من أبيه وتوفي الشريف راجح سنة أربع وخمسين وستمائة وكان شجاعا طوالا من الرجال اذا قام تصل يده الى ركبتيه واستمر غانم بن راجح الى شوال من السنة المذكورة فانتزعها منه (أبونمي وعمه ادريس بن علي بن قتادة) بعد قتال بينهم مات فيها ثلاثة أنفار واستمرا الى الخامس والعشرين من ذي القعدة فجاء بجيش المبارز بن علي بن الحسن بن برطاس من الملك المظفر صاحب اليمن فجمع ادريس وأبونمي جموعا فقاتلوا ابن برطاس وهزموه وأسروه ثم افتدى نفسه ورجع من حيث جاء ولم يحج أحد تلك السنة لهذه الفتنة وفي سنة أربع وخمسين وستمائة تنازع ادريس وأبو نمي ثم اصطلحا واستمرا الى سنة سبع وستين وستمائة فتنازعا وانفرد بها أبونمي وأخرج عمه ادريس وخطب لصاحب مصر السلطان بيبرس وحج السلطان بيبرس تلك السنة فلاقاه الشريف أبونمي وأصلح بينه وبين عمه ادريس واشرك معه في أمر مكة ثم توجه الى بلاده فانفرد بها ادريس وأخرج أبانمي فبعد أربعين يوما جمع جموعا وقصد مكة فخرج اليه الشريف ادريس والتقيا بخليص فقتل

البئر واعتزل جرهماً وأخذ معه بني إسمعيل وخرج من مكة فجاءت خزاعة فأخرجت جرهماً من البلاد ووليت أمر مكة وصاروا أهلها فجاءهم بنو إسمعيل وكانوا قد اعتزلوا حرب جرهم وخزاعة فسألوا خزاعة السكن معهم فأذنوا لهم وسألهم في ذلك مضاض بن عمرو الجرهمي وكان قد اعتزل أيضاً حرب جرهم وخزاعة ولم يدخل بينهما واستأذنهم أن يساكنهم فأبت خزاعة وقالت من قارب الحرم من جرهم فدمه هدر ونزعت إبل لمضاض بن عمرو وقد خلت مكة فأخذتها خزاعة وداورت نحرها وأكلها فاقتص مضاض آثارها فوجدها في بطن وادي مكة فأبصر الإبل تنحر وتؤكل ولا سبيل له إليها ورأى أنه إن هبط الوادي قتل فولى منصرفاً إلى أهله وأنشأ يقول

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا • أنيس ولم يسمر بمكة سامر

ولم يتربع واسطاً فجنوبه • إلى المنحنى من ذي الأراكة حاضر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا • صروف الليالي والجدود العواثر

وأبدلنا منها الإله دار غربة • بها الذئب يعوي والعدو محاصر

وكنا ولاة البيت من بعد نابت • نطوف بهذا البيت والخير ظاهر

وكنا لإسمعيل صهراً وجيرة • وأبناؤه منا ونحن الأصاهر

فأخرجنا منها المليك بقدرة • كذلك بالناس تجري المقادر

وصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة • كذلك عضتنا السنون العوابر

وسحت دموع العين تبكي لبلدة • بها حرم أمن وفيها المشاعر

بواد أنيس لا يطار حمامه • ولا ينفرن يوماً لديها العصافر

وفيها وحوش لا تريب أنيسه • إذا خرجت منها فما إن تغادر

فياليت شعري هل يعمر بعدنا • ظلماهما جياد ومفضى سيله والظواهر

وهل فرج يأتي بشيء نريده • وهل جزع ينجيك مما تحاذر

وانطلق مضاض بن عمرو ومن معه إلى اليمن وهم يحزنون على مفارقة مكة وحازت خزاعة حجابة بيت الله الحرام وولاية أمر مكة وفيهم بنو إسمعيل لا ينازعونهم في شيء ولا يطلبونه إلى أن كبر قصي بن كلاب بن مرة فاستولى على حجابة البيت وأمر مكة وكان قصي أول رجل من بني كنانة أصاب بمكة فكانت إليه الحجابة والرفادة والسقاية والقيادة وهو الذي جمع أمر قريش فسمي مجمعاً بكسر الميم المشددة وفي ذلك يقول القائل

أبوهم قصي كان يدعى مجمعاً • به جمع الله القبائل من فهر

هم ملكوا البطحاء مجداً وسودداً •

الشريف إدريس وذلك سنة تسع وستين وستمائة فدخل أبو نمي مكة واستقل بولايتها فاستنجد غانم بن إدريس بجماز بن شيحة صاحب المدينة فجمع جموعاً وقصد مكة وأخرج أبا نمي ثم عاد أبو نمي بعد أربعين يوماً ومعه جموع فأخرجهما واستمر بها

﴿ذكر من مات من الزحام بباب العمرة﴾

قال الفاسي وفي سنة ستمائة وسبعة وسبعين مات من الزحام بباب العمرة ثمانون رجلاً وفي سنة ستمائة وثلاثة وثمانين وقعت فتنة بين الشريف أبي نمي وبين بني أخيه وأعانهم عليه عسكر وردوا من اليمن فخرج الشريف أبو نمي من مكة وجمع جموعاً وأخرج بني أخيه والعسكر اليمني فورد جيش من مصر مع الحج لإخراج أبي نمي وكان على مكة سور فأغلق أبو نمي أبواب السور ومنعهم من الدخول فحاصروه وأحرقوا باب السور من جهة المعلا ودخلوا مكة وفر من مكة أبو نمي زمن الحج فأقام بمكة ثلاثة آلاف فارس مع نائب من قبل صاحب مصر فاتفق أن خرج منهم ناس إلى جهة منى فكمن لهم أبو نمي في تلك الناحية وهجم عليهم فقتل أميرهم ثم نادى مناديه من قتل رجلاً فله فرسه وسلبه ففتكت العرب بالترك وأخذوا خيلهم وسلاحهم ثم دخل العرب مكة وصادقوا معه فكسروا ما وجدوه بمكة من العسكر وفر من فر إلى مصر فلما بلغ ذلك صاحب مصر جهز جيشاً كثيفاً وأراد أن يسير بنفسه فعدله بعض الصالحين ومنعه وأدركه مكاتيب الشريف أبي نمي وهدايا وهو يعتذر إليه فقبل عذره وأبقاه على إمارة مكة ثم في سنة ستمائة وثمانية وثمانين ولى السلطان قلاوون صاحب مصر على مكة (جماز بن شيحة الحسيني) صاحب المدينة وأعانه بعسكر فخرج منها أبو نمي ودخلوا مكة ثم عاد أبو نمي وأخرجهم منها وفي سنة ستمائة وتسعة وثمانين وقع بين الشريف أبي نمي وبين الحاج فتنة بالشبيكة من الشبيكة وانتهى الأمر إلى أن حصروا مكة وشهروا أياماً وأبرز الشريف أكثر من عشرة آلاف سيف وقتل من الفريقين وأربعون نفساً من جانبهم ولد الشريف أحمد بن قتادة وأما الجرحى فكثير ونهبت أموال الناس واستمر الشريف أبو نمي منفرداً بمكة إلى سنة سبعمائة وواحد فلما كان شهر صفر نزل عن ولاية مكة لولديه (الشريف حميضة ورميثة) ثم توفي الشريف أبو نمي بعد ذلك بيومين وخلف ثلاثين ولداً ما بين ذكر وأنثى ولما توفي صلي عليه وطيف بنعشه سبعاً على جري عادتهم ودفن وبني عليه قبة بالمعلا وكان فاضلاً كريماً شجاعاً وكانت ولايته مكة انفراداً ومشاركة لأبيه وعمه خمسين سنة إلا أوقاتاً يسيرة زالت ولايته عنها وبقي ملك مكة في بنيه ثم بعد وفاته استمر ولداه حميضة ورميثة إلى الموسم وفي هذه السنة حج الأمير بيبرس صاحب الكرك فلما كان بمكة اجتمع به الشريف (عطيفة وأبو الغيث) ابنا الشريف أبي نمي وشكيا إليه أن أخويهما

وهم طردوا عنها خزاعة بني عمرو وقيل سميت قريش قريشا لتجمعهم على قصي والتقرش هو الاجتماع وما كان يسمى قريش قبل ذلك قريشا وقيل ان النضر بن كنانة كان يسمى قريشا واستمر بنو قصي كذلك الى ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وقد أطلنا الكلام في هذا المقال وهو مع ذلك قطرة من بحر فاخترنا منه هذا المقدار لاشتماله على فنون من الاعتبار ﴿الخامس والسادس بناء العمالقة للكعبة المعظمة﴾ ذكر الازرقي في ذلك وذكر سنده الى سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال في خبر بناء ابراهيم عليه السلام للكعبة ثم انهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته قبيلة من جرهم وذكر الفاكهي بسنده الى سيدنا علي بن أبي طالب أيضا رضي الله عنه أنه قال أول من بنى البيت ابراهيم عليه السلام ثم انهدم فبنته جرهم ثم انهدم فبنته العمالقة قال السيد التقي قلت هذا يقتضي أن جرهما بنت البيت الشريف قبل العمالقة والخبر الاول يقتضي أن العمالقة بنته قبل جرهم وبه جزم المحب الطبري في القرى وذكر المسعودي في مروج الذهب أن الذي بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مضاض الاصغر وانه زاد في بناء البيت ورفعه كما كان عليه بناء ابراهيم عليه السلام والله أعلم بحقيقة ذلك وذكر الازرقي شيئا من خبر العمالقة يقتضي سبقهم على جرهم فانه روى بسنده الى سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال كان بمكة حي يقال لهم العماليق كانوا في عز وثروة وكانت لهم خيل وابل وماشية ترعى حول مكة وما حولها وكانت العضاه ملتفة مبقلة وكانوا في عيش رخي فبغوا في الارض وأسرفوا على أنفسهم وأظهروا الظلم والالحاد ولم يشكروا الله فسلبوا نعمتهم وكانوا يكرون بمكة الظل ويبيعون الماء فأخرجهم الله بأن سلط عليهم النمل حتى خرجوا من الحرم حتى ألحقهم بمسقط رؤوس آبائهم ببلاد اليمن فتفرقوا وهلكوا وأبدل الله بعدهم الحرم جرهم فكانوا سكانه الى أن بغوا فيه أيضا فأهلكهم جميعا ﴿السابع بناء قصي للكعبة المعظمة﴾ ذكر الزبير بن بكار قاضي مكة في كتاب النسب أن قصي بن كلاب لما ولي أمر البيت جمع نفقته ثم هدم الكعبة فبناها بنيانا لم يبنه أحد من بناتها قبله مثله وذكر أبو عبد الله محمد بن عائذ الدمشقي في مغازيه أن قصي بن كلاب بنى البيت الشريف وجزم به الامام الماوردي في الاحكام السلطانية فانه قال فيها أول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد ابراهيم قصي بن كلاب وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل انتهى قال السيد

ظلماهما واستبدا بإمارة مكة وأساءا فقهرا أهلها وأذاهما الخلق فولاهما الامير بيبرس تولى مكة وقبض على حميضة ورميثة وصحبهما معه الى مصر وقيل ولي أبو الغيث ومحمد بن ادريس بن قتادة وفي سنة سبعمائة وثلاث عاد رميثة وحميضة من مصر واليين على مكة وأظهرا العدل ثم رجعا الى الجور فبعث اليهما صاحب مصر جيشا فانكسرا ثم عادا وفي سنة اثني عشر وسبعمائة حج الناصر قلاوون صاحب مصر ففرا منه ثم عادا بعد رجوعه وفي سنة سبعمائة وثلاثة عشر وصل عسكر من صاحب مصر ومعهم ثلاثمائة فارس مدرعين ومعهم أبو الغيث بن أبي نمي فلما سمع بهم حميضة ورميثة فرا الى حلي من أرض اليمن واستولى أبو الغيث على مكة وقصد حلي بمن معه في طلب حميضة ورميثة فلم يظفر بهما لالتجائهما بالسراة فرجع الى مكة وأقام الجيش بمكة شهرين ثم ان أبا الغيث قصر في حق الجيش وكتب لهم خطا بأنه غني عنهم فعادوا الى مصر ولما بلغ حميضة رجوع الجيش قصد أبا الغيث بجمع من العرب وانتزع مكة منه وقتله على فراشه وذلك سنة سبعمائة وأربعة عشر وبعد أن قتله جره الى داره ثم استدعى اخوانه للضيافة فأتوه فقدم لهم لحم أخيهم أبا الغيث مصلوقا في جفنة وكان قد أوقف على رأس كل واحد منهم عبدين أسودين في يد كل واحد منهما سيف فاذعنوا له واستقر حميضة مستقلا بأمر مكة فانتزعها منه أخوه رميثة في شعبان سنة سبعمائة وخمسة عشر بولاية من الناصر صاحب مصر وجاء معه جيش فهرب حميضة الى الخلف والخليف وهو حصن بينه وبين مكة ستة أيام بعد ان أخذ ما جمعه من النقد وانتهب مائة جمل وأحرق الباقي بالنار وكان وصول الجيش مكة منتصف شهر رمضان وأقاموا بها ثلاثة عشر يوما ثم توجهوا الى الخلف والخليف وكان حميضة قد التجأ الى صاحب ذلك الحصن وصاهره ليحميه فقصده أخوه رميثة بمن معه من العسكر الى هناك فوقعت بينهم محاربة فأسروا ابنا لحميضة وأخذوا جميع ما معه من الاموال ورجعوا الى مكة في شهر ذي القعدة وهرب حميضة الى العراق وقصد السلطان خدابنده من سلاطين التتار وكان سلطانا كريما وأنعم عليه فلما رأى اقباله عليه حسن له أن يعينه على أخذ مكة ووعده بأن يخطب له بها فعين له عشرة آلاف من العسكر وأمر عليهم السيد طالبا الافطس وأرسل الشريف حميضة الى أمراء العرب فأجابوه وأهم ذلك أهل الشام فلجؤوا الى أمراء طي وهم عرب كثيرون فاتفق وفاة السلطان خدابنده في أثناء ذلك وكان بين وزيره رشيد الدين وبين السيد طالب الافطس عداوة فكاتب الوزير العسكر وذكر لهم موت السلطان فحصل فيهم الاختلاف وثارت عليهم العرب الذين مع الشريف حميضة فنهبت العرب العسكر وكانت بينهم مقتلة وقاتل الشريف حميضة العرب قتالا شديدا وشد حتى قال الافطس ما زلت أسمع بحملات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

حتى شاهدتها من الشريف حميضة معاينة ثم ان الشريف حميضة قدم مكة ومعه ثلاثة وعشرون راحلة وكتب الى أخيه رميثة يستأذنه في دخول مكة فامتنع أن يدخلها الا باذن السلطان فكتب الى السلطان بمصر يعرفه بذلك وانه ليس مع أخيه الافرس واحدة فكتب اليه السلطان ان وافق أن يأتي الى أبوابنا يقيم عندنا باقامته وسامحه بذنوبه السالفة وأما الحجاز فلا يقيم فيه وكتب السلطان بالامان لحميضة وأرسله مع عدة من الاتراك لاحضار حميضة فلما وصلوا اعتذر حميضة بعدم القدرة على السفر وتغيب عنهم فرجعوا الى مصر واستمر رميثة الى انقضاء السنة فلما كان يوم الاحد سادس جمادى الآخرة سنة سبعمائة وثمانية عشر أقبل حميضة بجموع ودخل مكة وأخرج منها رميثة وخطب حميضة لملك العراق وهو ابن خدابنده أبي سعيد وقيل ان استيلاءه هذا كان برضا من رميثة فجهز الملك الناصر جيشا من مصر وأمرهم أن لا يعودوا الا بعد القبض على حميضة فلم يظفروا به بل ترك مكة وفر منها وبقي مشردا الى أن قتل بالشرق وقيل ان الملك الناصر دس عليه من قتله غيلة وقيل ان جيش الناصر تبعه حتى أدركوه فقتلوه وبقي رميثة على ولاية مكة ثم قبض عليه بهادر مقدم العسكر الذي بعث به الناصر وولى الناصر سنة تسعة عشر (عطيفة بن أبي نمي) وجهز معه جيشا وحج الملك الناصر تلك السنة وفي سنة سبعمائة واحدى وعشرين توجه الشريف عطيفة الى مصر من القحط الذي حصل بمكة من عدم الامطار وقلة الواصل من البحر فرسم السلطان بنقل الحب الى مكة ورتب لصاحب مكة كل عام شيأ من القمح يحمل اليه من الصعيد والزمه أن يسقط المكس الذي يأخذه على الواردين ففعل ذلك وفي سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة أطلق الملك الناصر الشريف رميثة وأشركه مع أخيه عطيفة في ولاية مكة

﴿ذكر الفتنة بين الترك والتكاررة﴾

وفي سنة سبعمائة وأربعة وعشرين حج ملك التكرور موسى وحضر معه للحج أكثر من خمسة عشر ألفا من التكارر ووقعت فتنة بين الترك والتكارر بالمسجد الحرام وأشهرت السيوف بالمسجد وكان أمير التكرور بالشباك المشرف على المسجد من رباط هناك فأمر جماعته بالكف فأمسكوا وفي سنة سبعمائة وثلاثين وقعت فتنة بين أمير المصريين وأهل مكة وقتل الامير وابنه وجماعة منهم وذلك يوم الرابع عشر من ذي الحجة والخطيب يخطب فلما بلغ السلطان ذلك غضب ونوى أن يبعث الى مكة جيوشا ويستأصل الاشراف فقيض الله له قاضي القضاة جلال الدين القزويني فوعظه وعظا بليغا وصرفه عن نيته فرضي على رميثة وأبقاه واليا على مكة بمفرده ورحل عطيفة الى مصر واستمر رميثة الى سنة سبعمائة وأربعة وثلاثين فاشترك معه أخاه عطيفة بلا قتال ثم انفرد بها

رميثة

اتفق الفاسي في شفاء الغرام وما رواه القاضي الزبير بن بكار أن قصيا بنى الكعبة على خمسة وعشرين ذراعا ففيه نظر لما اشتهر في الاحكام ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام بنى طول الكعبة تسعة أذرع وأن قصيا أراد أن يجعل عرضها خمسة وعشرين ذراعا فالمعروف انه من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين ذراعا في بناء الخليل بل يزيد عن الثلاثين مقدارا قليلا وان أراد عرضها من الجهة الشامية واليمانية فعرضها في هاتين الجهتين ينقص عن خمسة وعشرين ذراعا ثلاثة أذرع أو أزيد وكل من بنى الكعبة بعد ابراهيم عليه السلام لم يبنها الا على قواعد ابراهيم غير ان قريشا اقتصرت من عرضها في جهة الحجر الشريف لامر اقتضاه الحال وصنع ذلك الحجاج بعد عبد الله بن الزبير عنادا له والله تعالى أعلم، وكان مبدأ أمر قصي ان أباه كلاب بن مرة تزوج فاطمة بنت سعد بن سيل فولدت له زهرة وقصيا فهلك كلاب وقصي صغير وهو بضم القاف وفتح الصاد بمعنى بعيد واسمه زيد وانما لقب قصيا لانه أبعد عن أهله ووطنه مع أمه لما توفي أبوه فانها تزوجت ربيعة بن حرام فرحل بها الى الشام وولدت له رزاحا فلما كبر قصي وقع بينه وبين آل ربيعة شر فعيروه بالغربة وقالوا ألا تلحق بقومك وكان لا يعرف له أبا غير ربيعة بن حرام زوج أمه فشكى اليها ما عيروه به فقالت له ياولدي أنت أكرم أبا منهم أنت ابن كلاب بن مرة وقومك بمكة عند البيت الحرام فقدم لمكة فعرف له قومه فضله فقدموه وأكرموه وكانت خزاعة مستولية على البيت وعلى مكة وكان كبيرهم حليل بن حبشية الخزاعي بيده مفتاح البيت الشريف وسدانته فخطب الى حليل ابنته فعرف حليل نسبه فزوجه ابنته حبى فتزوجها قصي وكثرت أولاده وأمواله وعظم شأنه وهلك حليل وأوصى بمفتاح البيت الشريف لابنته حبى فقالت لا أقدر على السدانة فجعلت ذلك لابي غبشان وكان سكيرا يحب الخمر فأعوزه في بعض الاوقات ما يشرب به من الخمر فباع مفتاح البيت بزق خمر فاشتراه منه قصي وسار في الامثال أخسر صفقة من أبي غبشان فلما سار المفتاح الى قصي تنكر خزاعة وكثر كلامها عليه فأجمع على حربهم فأخرجهم من مكة وولي قصي أمر الكعبة ومكة وجمع قومه فملكوه على أنفسهم وكانوا يحترمون أن يسكنوا مكة ويعظمونها على أن يبنوا بها بيتا مع بيت الله فكانوا يكمنون بمكة نهارا فاذا أمسوا خرجوا الى الحل ولا يستحلون الجنابة بمكة

فلما جمع قصي قومه اليه أذن لهم أن يبنوا بمكة بيوتا وان يكثروها وقال لهم انكم ان سكنتم الحرم حول البيت هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم ولا يستطيع أحد اخراجكم فقالوا له أنت سيدنا ورأينا تبع لرأيك فجمعهم حول البيت وفي ذلك يقول القائل

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا ❊ به جمع الله القبائل من فهر ❊ وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم ❊ به زيدت البطحاء فخرا على فخر

وابتدأ هو فبنى دار الندوة وهي في اللغة الاجتماع وكانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها من المهمات فلا تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش الا فيها قال الازرقي ولم يدخل من قريش ولا غيرهم الا ابن أربعين سنة وكان ولد قصي كلهم أجمعون يدخلونها وقسم جهات البيت الشريف بين طوائف قريش فبنوا دورهم حول الكعبة الشريفة من جهاتها الاربع وتركوا للطواف بيت الله تعالى مقدارا قال انه المفروش الآن حول البيت الشريف بالحجر المنحوت المسمى بالمطاف الشريف وشرعوا أبواب بيوتهم الى نحو البيت وتركوا ما بين كل بيتين طريقا ينفذ منه الى المطاف الى أن زاد عمر رضي الله عنه في المسجد الحرام وتبعه عثمان رضي الله عنه وتبعهما غيرهما على ما سيأتي تفصيله ان شاء الله تعالى وكان قصي أول ملك من بني كعب أصاب ملكا أطاعه به قومه وله كلمات حكم تؤثر عنه منها من أكرم لئيما شركه في لؤمه ومن استحسن قبيحا نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان ❊ وكان اجتمع لقصي ما لم يجتمع لغيره من المناصب فكان بيده الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة فالحجابة وهي سدانة البيت الشريف أي توليته مفتاح بيت الله والسقاية اسقاء الحجيج كلهم الماء العذب وكان عزيزا بمكة يجلب اليها من الخارج فيسقي الحاج منه وينبذ لهم التمر والزبيب فيسقونه الحاج وكانت وظيفة فيهم والرفادة اطعام الطعام لسائر الحاج عدلهم الاطعمة في أيام الحج وكانت السقاية والرفادة مستمرة أيام الخلفاء ومن بعدهم من الملوك والسلاطين قال السيد الفاسي رحمه الله ان الرفادة كانت أيام الجاهلية وصدر الاسلام واستمر الى أيامنا وقال وهو الطعام يصنع بأمر السلطان كل عام حتى ينقضي الحج ❊ قلت وأما في زماننا فلا يفعل شيء من ذلك ولا أدري متى انقطع وأما الندوة فقد تقدم بيانها وأما اللواء فراية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر اذا توجهوا الى محاربة عدو فيجتمعون

رميثة وأخرج عطيفة ليلة رحيل الحاج من مكة واستمر الى سنة سبعمائة وخمسة وثلاثين فرجع عطيفة وشاركه الى اثنتين سنة سبعمائة وستة وثلاثين فتنافرا فأقام عطيفة بمكة وخرج رميثة وأقام بالجديد من وادي مر ثم هجم رميثة مكة في شهر رمضان من السنة المذكورة فلم يظفر وخرج منها بعد ان قتل وزير عطيفة وبعض أصحابه وأقام بالجديد ثم اصطلحا سنة سبعة وثلاثين ثم انفرد رميثة بالولاية بعد ان حضر هو وأخوه عطيفة عند الملك الناصر بمصر فاعتقل عطيفة وبعث رميثة الى مكة ولم يزل عطيفة بمصر الى أن توفي بها سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة وكان موصوفا بالشجاعة والكرم

﴿ذكر فتنة بعرفة بين الاشراف وأمير الحج المصري﴾

وفي سنة سبعمائة وثلاثة وأربعين كان بعرفة فتنة وقتال عظيم بين الاشراف وأمير الحج وقتل من الترك نحو ستة عشر رجلا ومن الاشراف نفر يسير منهم السيد محمد بن عقبة بن ادريس بن قتادة وبعد الوقوف توجهوا الى مكة وتحصنوا بها وتركوا الحضور الى منى في أيامها ودخل الحج مكة قبل النفر الاول وفات كثيرا من الناس المناسك بسبب هذه الفتنة وفي سنة سبعمائة وأربعة وأربعين وقعت أيضا فتنة بين أمير الحاج وأهل مكة وقتل جماعة وخمدت الفتنة ولم يزل الشريف رميثة متوليا الى سنة خمس وأربعين وسبعمائة فنزل عن الولاية وتركها لولديه ثقبة وعجلان الكبير وعجزه ثم ان ثقبة توجه الى مصر يطلب مكة من السلطان الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد فلازوى فلما وصل اليه اعتقله وأمر برد ولاية مكة الى أبيه رميثة فورد اليه وخرج الشريف عجلان الى اليمن ومنع الجلاب من الوصول الى مكة ولما رحل الحج قصد مكة ونزل الزاهر ثم اصطلح مع أبيه

﴿ولاية الشريف عجلان بن رميثة﴾

وفي سنة ست وأربعين توجه الشريف عجلان الى مصر فولاه الملك الصالح مكة دون أبيه فوصل الى مكة ومعه خمسون مملوكا وقبض على البلاد بلا قتال في حياة أبيه وبايعه أخوه ثقبة وخرج الى وادي نخلة وأقام مع رميثة بمكة أخواه سند ومغامس وأعطاهما رسوما يأكلانها ثم أخرجهما الى مر الظهران ثم لحقا بأخيهما ثقبة بنخلة فلم يجد لهما وأخيرا انه توجه الى مصر فلحقاه بمصر فقبض عليهم جميعا وكان الملك الصالح قد توفي قبل وصول عجلان الى مكة وتسلطن بعده أخوه الكامل شعبان وكتب الى عجلان بالولاية وتوفي الشريف رميثة سنة ست وأربعين أيام مجيء ابنه عجلان من مصر وولايته عليها وكان عند وصوله زين السوق بمكة وفي أثناء الزينة توفي أبوه رميثة وكانت ولايته مكة سبع مرات كما في تاريخ الرضي شريكا لاخيه حميضة نحو عشر سنين وشريكا لاخيه عطيفة نحو

يحمونها ويقاتلون عندها والقيادة امارة الجيش اذا خرجوا الى حرب وهذه كلها اجتمعت في قصي فلما كبر سنه وضعف بدنه قسمها بين أولاده وكان عبد الدار أكبر أولاده وكان عبد مناف أشرف زمان أبيه فقال قصي لعبد الدار لالحقنك يا بني بالقوم وان شرفوا عليك فاعطاه الحجابة وسلم اليه مفتاح البيت وقال لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له وأعطاه السقاية واللواء وقال لا يشرب أحد الا من سقايتك ولا يعقد لواء لقريش لحربها الا أنت بيدك وجعل له الرفادة وقال لا يأكل من هذا الموسم طعام الا من طعامك وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش من أموالها في كل موسم فتدفعه الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وكان قصي فرض ذلك على قريش حين جمعهم وقال لهم يا معشر قريش انكم جيران الله

وأهل بيته وأهل حرمه وان الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الاضياف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدر عنكم فجعل قصي كلما كان بيده من أمر قومه الى عبد الدار وكان قصي لا يخالف ولا يرد عليه شئ صنعه لعظم شأنه وقال سلطانه قال ابن اسحق ثم ان قصيا هلك فقام على أمره بنوه من بعده ثم ان بني عبد مناف هاشما وعبد شمس والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا انهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم وتفرقت قريش فكانت طائفة منهم يرون ان بني عبد مناف أحق من بني عبد الدار وطائفة يرون ابقاء بني عبد الدار على ما جعله قصي لابيهم فاجمعوا على الحرب ثم اصطلحوا على ان تكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف والحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار وتحالفوا على ذلك فولي الرفادة والسقاية هاشم وكان عبد شمس سفارا مقلا ذا ولد وكان هاشم موسرا وهو أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وهو أول من أطعم الثريد بمكة واسمه عمرو وانما سمي هاشما لهشمه الخبز وثرده لقومه كما قال القائل

عمرو الذي هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف
سنت اليه الرحلتان كلاهما • سفر الشتاء ورحلة الاصياف

ثم هلك هاشم بغزة من أرض الشام تاجرا فولي الرفادة والسقاية أخوه المطلب بن عبد مناف وكان ذا شرف وكرم وكان يسمى الفيض لسماحته وكرمه وفضله وكان أسفر من عبد شمس فتوفي المطلب بردمان من أرض اليمن وتوفي

خمس سنين ومنفردا نحو خمس عشرة سنة فكانت مدة ولايته ثلاثين سنة وكان الشريف رميثة كريما شجاعا ممدوحا

﴿ذكر شراكة ثقبة وسند ومغامس للشريف عجلان في ولاية مكة﴾

وفي سنة سبع وأربعين أو ثمانية وأربعين أطلق السلطان الشريف ثقبة وأخويه سندا ومغامسا وأشركهم مع الشريف عجلان فجاؤا من مصر ومعهم مرسوم فيه أن لهم نصف البلاد وأن الشريف عجلان له نصف البلاد ثم تنازعوا فكان ثقبة بالجديد من وادي مر فخرج اليه الشريف عجلان وأراد قتاله فاصلح بينهما القواد ثم انسحب الشريف عجلان عن البلاد فوثب ثقبة ودخل البلاد فجاء الخبر الى الشريف عجلان فذهب الى مصر ومعه ولداه احمد وأحمد فرجع متوليا مكة وأخرج منها اخوته ثقبة وسندا ومغامسا الى اليمن وكان قدومه مكة خامس شوال سنة خمسين وسبعمائة وفي سنة سبعمائة واحدى وخمسين حج الملك المجاهد صاحب اليمن فوقع بينه وبين الشريف عجلان وحشة فاغرى به الشريف المصريين فقبضوا عليه عن قبل انه لما أحس بهم هرب الى جبل هناك وقاتل بعض جماعته ثم انكسروا ونهبت محطته وما فيها فنزل من الجبل على أمان من المصريين فقيدوه وقيل انه لما صعد الى الجبل ورأى القتل في جماعته نادى بأعلا صوته ان كان القصد أنا فلا تقتلوا الناس فانا آتيكم فكفوا عن الحرب ونزل اليهم بنفسه فترجل له الامراء عن الخيول وأركبوه بغلا وذهبوا به وألزم الامراء الشريف عجلان بحفظ الحج بعد ان ذهب أكثره نهبا ثم ذهب المصريون بالملك المجاهد الى مصر فاكرمه صاحبها ثم جهزه الى بلاده فلما بلغ الدهنا من وادي ينبع ورد أمر من صاحب مصر بالذهاب به الى الكرك فاعتقل هناك ثم شفع فيه فاعيد الى مصر ثم توجه منها الى بلاده فوصلها في ذي الحجة سنة سبعمائة واثنين وخمسين وفي سنة احدى وخمسين وسبعمائة ولي مكة الشريف ثقبة مع الشريف عجلان على اتفاق بينهما وكان ثقبة قد وليها منفردا في هذه السنة فلم يمكنه عجلان فاقام خليص الى أن دخل مع أمير الحج فاصلح الامر بينه وبين أخيه على المشاركة ثم استقل بها ثقبة اثناء سنة سبعمائة وثلاث وخمسين بعد قبضه على أخيه عجلان واستمر ثقبة الى أن قبض أمراء الحج عليه وعلى أخويه سند ومغامس وابن عمه محمد بن عطيفة وفرعنه القواد والعبيد وذلك في موسم سبعمائة وأربعة وخمسين وذلك ان عجلان خرج الى الامراء واشتكى عليهم أمره فدخلوا مكة وقبضوا على الاشراف ثم أحضروا الشريف عجلان وألبسوه الخلعة من الزاهر ودخلوا به مكة وذهبوا بالاشراف الى مصر ثم أطلق ثقبة من مصر واصطلح مع عجلان وشاركه في ولاية مكة سنة سبعمائة وسبعة وخمسين ثم انفرد بها ثقبة في ثالث عشر

عبد شمس بمكة وتوفي نوفل بالعراق ثم ولي عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عمه المطلب فأقام لقومه ما كانت تقيمه آباؤه من قبله وشرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعلا خطره فيهم * وكان أكبر أولاده الحارث لم يكن له أول أمره غيره وبه كان يكنى فقال عدي بن نوفل بن عبد مناف يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال عبد المطلب أو بالقلة تعيرني فوالله لئن آتاني الله عشرة من الولد لأنحرن أحدهم عند الكعبة فلما كمل له عشرة جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بذلك فأطاعوه وقالوا له أوف بنذرك وافعل ما شئت قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا فيكتب فيه اسمه ثم ائتوني ففعلوا ودخل بهم على هبل وهو صنم كان يعبد في جوف الكعبة فقال عبد

المطلب لصاحب القداح اضرب على هؤلاء بقداحهم وأعطاه كل واحد قدحه وكان عبد الله ابن عبد المطلب أصغرهم سنا وأحبهم الى والده ثم ضرب صاحب القداح فخرج السهم على عبد الله فأخذ عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به على اساف وهو صنم كان على الصفا ليذبحه عنده فجذب العباس عبد الله من تحت رجل أبيه حتى أثر في وجهه شجة لم تزل في وجه عبد الله الى أن مات فقامت قريش من أنديتها وقالوا لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على هذا ولكن اعذر فيه فتفديه بأموالنا وكان بالحجاز عرافة كاهنة لها تابع من الجن فانطلقوا حتى قدموا عليها وقص عليها عبد المطلب خبر نذره فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا من عندها ثم غدوا عليها

فقالت كم الدية فيكم فقالوا عشرة من الابل فقالت قربوا عن ولدكم عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعلى ولدكم واستمروا كذلك الى أن يخرج السهم على الابل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا ولدكم فخرجوا حتى قدموا مكة فقربوا عشرة من الابل وضربوا القداح فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرة فخرج على عبد الله واستمروا يزيدون عشرة فعشرة حتى بلغت الابل مائة فخرج القدح على الابل فأعادوه ثانية ثم ثالثة فخرج القدح على الابل فأتي بها فنحرت ثم تركت لا يمنع عن لحومها آدمي ولا وحش ولا طير قال الزهري وكان عبد المطلب أول من سن دية النفس مائة من الابل فجرت في قريش ثم في العرب وأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم

((الثامن بناء قريش الكعبة المشرفة))

قال خاتمة الحفاظ والمحدثين مولانا الشيخ محمد

عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم وليها عجلان بمفرده في موسم هذه السنة ثم اشتركا في موسم سنة سبعمائة وثمانية وخمسين ودامت ولايتهما الى أن عزلا سنة سبعمائة وستين بعد أن استدعيا للحضور الى سلطان مصر الناصر حسن فاعتذرا فولاها (الشريف سند بن رميثة ومحمد ابن عطيفة بن أبي نمي) وجهز مع محمد بن عطيفة جيشا كثيفا وكان سند باليمن مع أخويه فوصل الى مكة ولاثم العسكر والامراء

((ذكر فتنة بين الاشراف وعسكر مصر))

وفي سنة سبعمائة واحدى وستين وقعت فتنة بين عسكر مصر والاشراف وقتل كثير من الاتراك وعثرت بالشريف مغامس بن رميثة فرسه فسقط فقتله الاتراك وأسر الاشراف كثيرا من الاتراك وأرسلوهم الى ينبع وصاروا يبيعونهم وينادي عليهم بلا ثمن كالعبيد فلما بلغ صاحب مصر هذه الفتنة أرسل الشريف عجلان وولده الى الاسكندرية الى البرج وكانا معتقلين عنده وأمر بتجهيز عسكر للحجاز وأمرهم باستئصال الاشراف وقال لا حاجة لنا بهم فلم يقم بعد ذلك الا أياما حتى قتله الاتراك وولوا مصر الملك المنصور محمد بن المظفر فأطلق السيد عجلان وولاه مكة وأشرك معه أخاه ثقبة بسؤال منه وأرسل السلطان مع الشريف عجلان عسكرا وكان ثقبة بوادي مر فلما وصل عجلان وادي مر اجتمع بأخيه ثقبة وكان عليلا فاستمر هنالك الى أن توفي في شوال سنة اثنين وستين وسبعمائة وحمل الى مكة ودفن بها واستمر الشريف عجلان على ولاية مكة

((ذكر اشتراك أحمد بن عجلان مع أبيه في ولاية مكة))

ثم أشرك معه ابنه أحمد في شوال من السنة المذكورة وجعل له ربع المتحصل وقطع الدعاء لسند على المنبر وأمر بالدعاء لابنه أحمد ثم ان سند بن رميثة استولى على جدة ونازع في الامر ولم يتم له ومات بالهند سنة سبعمائة وثلاثة وستين واستمر عجلان وابنه الى سنة سبعمائة وأربع وستين ثم انفرد بها أحمد بن عجلان بسؤال أبيه له ذلك على شروط منها أن لا يقطع اسمه في الخطبة والدعاء بأعلى زمزم فولي ابنه أحمد ذلك وكان نجيبا وجمع من الاموال والخيل ما لم يجمعه أحد قبله من هذا الفرع وفي سنة سبعمائة وستة وستين أسقط السلطان المكس المأخوذ بمكة وعوض عنه صاحب مكة مائة وستين ألف درهم من بيت المال وألف اردب قمح وقرر ذلك في ديوان السلطان شعبان صاحب مصر ونقر ذلك في دعائم المسجد الحرام وذلك باق الى الآن من جهة باب الصفا وباب الزيادة وباب الباسطية وفي سنة سبعمائة وخمسة وثمانين وقعت فتنة بين حاج العسكر والمغاربة وبين حجاج العراق واليمن زمن الحج وقتل فيها نحو ألف انسان واستمر

الصالحي قدس الله تعالى روحه في كتاب سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وهو أحسن كتاب للمتأخرين وأبسطه في السيرة
النبوية ولنا منه اجازة عامة رحمه الله تعالى ان امرأة أجمرت الكعبة بالبخور فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترق
أكثر أخشابها وجاء سيل عظيم فصدع جدرانها بعد توهينها فأرادوا أن يشدوا بنيانها ويرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من شاؤا وكان
البحر قد رمى بسفينة الى ساحل جدة لتاجر رومي اسمه باقوم عوجدة ووافق مضمومة وكان نجارا بناء فخرج الوليد بن المغيرة في نفر
من قريش الى جدة فابتاعوا خشب السفينة وكلموا باقوم الرومي أن يقدم معهم الى مكة فقدم اليها وأخذوا أخشاب السفينة

أعدوها لسقف الكعبة • قال الاموي كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم يحمل فيها الرخام والخشب
والحديد الى الكنيسة مع
باقوم الى الكنيسة التي
أحرقها الفرس بالحبشة
فلما بلغت قريبا من مرسى
جدة بعث عليها ريحا
فحطمتها انتهى قلت
لا يعرف طريق من بحر
الروم والحبشة يرسيها على
جدة الآن يكون ملك
الروم طلب ذلك من ملك
مصر فجهزها له من بندر
السويس أو الطور أو نحو
ذلك • قال ابن اسحق وكان
بمكة قبطي يعرف نجر
الخشب وتسويته فوافقهم
أن يعمل لهم سقف
الكعبة ويساعده باقوم
• قال وكانت حية عظيمة
تخرج من بئر الكعبة التي
يطرح فيها ما يهدى الى
الكعبة تشرف على جدار
الكعبة لا يدنو منها أحد
الا اكشت وفتحت فاها وكانوا
يهابونها ويزعمون أنها
تحفظ الكعبة وهذا بابها
وان رأسها كرأس الجدي
وظهرها وبطنها أسود
وانها أقامت فيها خمسمائة سنة قال ابن عتبة فبعث الله تعالى طائرا فاختطفها وذهب بها فقالت قريش المصريع
نرجو أن يكون الله تعالى رضي لنا ما أردنا فعله فأجمع رأيهم على هدمها وبنائها قال ابن هشام فتقدم عائذ بن عمران بن مخزوم وهو
خال النبي صلى الله عليه وسلم فتناول حجرا من الكعبة فوثب من يده حتى رجع الى مكانه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها
من مالكم الا حلالا لا يدخل فيه مهر بغي ولا ربا ولا مظلمة ثم ان قريشا اقتسمت جوانب البيت فكان شق الباب لبني زهرة وبني عبد
مناف وما بين الركن الاسود والركن اليماني لبني مخزوم ومن انضم اليهم من قريش وكان ظهر الكعبة لبني جمح وبني سهم وكان
شق الحجر لبني عبد الدار وبني أسد بن عبد العزى وبني عدي بن كعب وجمعوا الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل

الدعاء على المنبر للشريف عجلان وابنه أحمد الى سنة سبعمائة وسبعين فانتقل الشريف
عجلان الى الجديد من وادي مر ثم توفي به وحمل على أعناق الرجال الى مكة وصلي عليه وطيف به اسبوعا
ودفن بالمعلى وبني عليه قبة وقد بلغ سبعين سنة وكانت مدة ولايته استقلالا واشتراكا نحو ثلاثين
سنة

((ذكر اشتراك محمد بن أحمد بن عجلان لابيه في ولاية مكة))

ثم استمر أحمد بن عجلان الى سنة سبعمائة وثمانية وسبعين فأشرك معه ابنه محمد بن أحمد بن عجلان
ودامت ولايتهما الى أن توفي أحمد سنة سبعمائة وثمانية وثمانين

((ذكر من مات في جوف الكعبة من الزحام))

وفي سنة احدى وثمانين وسبعمائة مات في جوف الكعبة من الزحام أربعة وثلاثون رجلا ولما ان
توفي الشريف أحمد بن عجلان أقام ابنه محمد مائة يوم ثم قتل في مستهل ذي الحجة من السنة المذكورة
قتله أمير الحج المصري وقيل قتل في أيام منى بسوق منى ضربه رجل بسكين مسمومة وغاب في سواد
الناس ولم يعرف وقيل ان الشريف محمد بن أحمد بن عجلان كان في حبس أبيه جماعة من الاشراف
منهم عمه محمد وخاله أحمد وحسن ابنا ثقبة وابن خاله علي بن أحمد بن ثقبة فسأل السلطان أباه أحمد
أن يطلقهم فأبى ثم كحلهم ابنه محمد بعد موت أبيه فتغير عليه السلطان وكان عمه عنان بن مغامس
فارا من أحمد بن عجلان فأضمر السلطان ولاية (عنان بن مغامس بن رميثة) عوض محمد وسيره من
مصر مع الحج المصري ولم يطلعه على ذلك وأمر أمير الحج المصري أن يحتفل بمحمد لئلا يتشوش
فيفوت المراد فلما وصل الى مكة خرج محمد للقائه فلما حضر عند الجمل وثب عليه باطنيان
فقرباه جراحات مات منها من فوره وذلك يوم الاثنين مستهل ذي الحجة سنة سبعمائة وثمانية
وثمانين وله من العمر نحو عشرين سنة ولما قتل أعلنوا بولاية عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي
عوضه ودخل مكة مع الترك وهم مسلحون حتى انتهوا الى أجياد ففر بنو من ثبت لهم من جماعة
محمد وثبتت ولاية مكة لعنان بن مغامس وله قصة عجيبة في فراره من مكة الى مصر خوفا من أحمد بن
عجلان

((قصة فرار عنان بن مغامس من مكة الى مصر))

وذلك ان الشريف أحمد بن عجلان كان قد قبض على عنان وحسن بن ثقبة ومحمد بن عجلان وأحمد بن
ثقبة وابنه علي وقيدهم وحبسهم ثم انهم أرادوا الفرار من السجن ففطن بهم الحراس وفر منهم
عنان وما شعر أحد به هنالك فسار الى جهة سوق الليل فصادف كبيش بن عجلان وجماعة يفتشون
عليه يتحوطونه فاختفى في محل هنالك وأراد الله خلاصه فلم يصادفوه وصادف بعض معارفه فأخفاه
في بيت له يشمب علي في صهريج ووضع عليه حشيشا فمشى الى كبيش انه قد جاء الى البيت وفتشه سوى

معهم حتى اذا انتهى الهدم الى الاساس فأفضوا الى حجارة خضر كالاسنمة فضربوا عليها بالمعول فخرج برق يكاد أن يخطف البصر فانتهوا عند ذلك الاساس ثم بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن الحجر واختصم فيه القبائل وكل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه وكادوا أن يقتتلوا على ذلك فقال لهم أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان شريفا مطاعا اجعلوا الحكم بينكم فيما اختلفتم فيه أول من يدخل من باب الصفا فقبلوا منه ذلك فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين وكان يسمى قبل أن يوحى اليه أمين الامانة وصدقه فقالوا جميعا رضينا بحكمه ثم قصوا عليه قصتهم فقال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فأتى به فأخذ الركن فوضعه بيده فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بطرف من هذا الثوب ففعلوه جميعا وأثوابه ورفعوه الى ما يحاذي موضعه فتناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثوب ووضعه بيده الشريفة في محله وفي ذلك يقول هبيرة بن أبي وهب المخزومي

تشاجرت الاحياء في فصل خطة * جرت طيرهم بالنحس من بعد أسعد
تلاقوا لها بالبغض بعد مودة * وأوقد نارا بينهم شر موقد
فلما رأينا الامر قد جد جده * ولم يبق شيء غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع * يجيء من البطحاء من غير موعد
ففاجأنا هذا الامين محمد * فقلنا رضينا بالامين محمد
بخير قريش كلها أمس شيمة * وفي اليوم مع ما يحدث الله في غد
فجاء بأمر لم ير الناس مثله * أعم وأرضى في العواقب والبد
أخذنا بأطراف الرداء وكلنا * له حصة من رفعها قبضة اليد
فقال ارفعوا حتى اذا ما علت به * أكفهم وافاه خير مسدد
وكل رضينا فعله وصنيعه * فأعظم به من رأي هاد ومهتد
وتلك يد منه علينا عظيمة * يروح بها هذا الزمان ويغتدي

(ولما بنت قريش الكعبة) جعلت ارتفاعها من خارجها ثمانية عشر ذراعا منها تسعة أذرع زائدة على ما عمره الخليل عليه السلام ونقصوا من عرضها أذرعا من جهة الحجر لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارة الكعبة ورفعوا بابها عن الارض ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا وجعلوا في داخلها استة دعائم في صفين ثلاث في كل صف من شق الحجر الى الشق اليماني وجعلوا في ركنها الشامي من داخلها درجة يصعد منها الى سطح الكعبة ((تنبيه)) اختلف في سن رسول الله صلى

الصهريج فلم يجده فرجع ثم ان عنانا بعث لبعض أصحابه فأخرجوا له ركائب الى المعلى وجعلوا عليها حشيشا لمتبعي أمرها ولحقها عنان من سوق الليل وجاء الى المعابدة عند امرأة كان يعرفها فأخفته بالباس ثياب النساء ونما الخبر الى كبيش فركب وأتى الى منزل تلك المرأة وسألها عنه فقالت من عنان وأتت بكلام فهم منه انه ليس عندها فصدقها ورجع فلما جن الليل ركب عنان مع رجلين أو ثلاثة ووصل خليصا وقد كانت ركائبه فسأل عن ناقة لصاحب له غنية في مهاو أخبروه ان صاحبها كان اذا فرغ من علفها قال ليت عنانا يخلص فينجو عليك فكانت ماعناه فركب عنان وسار الى مصر فأقبل عليه الملك الظاهر برقوق وولاه مكة عوضا عن محمد بن أحمد بن عجلان كما تقدم وكان السيد كبيش بن عجلان لما قتل محمد بن أحمد بن عجلان فر الى جدة فاستولى عليها بمن معه من العرب ونهب الاموال التي بجدة والغلال التي فيها لبعض الدولة بمصر واتفق عليه للطمع بعض أصحاب عنان ثم اتصل كبيش بما أخذه من الاموال للوادي وأكثر القتل في الطرقات وعنان مقيم بمكة

((مشاركة أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة لعنان في ولاية مكة))

وأشرك معه في الامارة ابن عمه أحمد بن ثقبة وعقيل بن مبارك بن رميثة وكان أحمد بن ثقبة ضريرا لانه كحله محمد بن أحمد بن عجلان وانما أشركه لانه كان من أهل بني حسن وأسعدهم خيلا ورجالا وسلاحا وكان يدعي انهم معه على زعمه ورأى ان ذلك تقويم لامره فكان الامر بخلاف ذلك فنما الامر الى السلطان وعرفوه ما وقع من الاختلال فعزل عنانا

((ولاية علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي على مكة ورجوعه الى مصر حيث لم يمكنه منها عنان))

وولي مكة (علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي) ووصل الخبر بولايته في ثاني شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ثم قدم مكة ومعه كبيش وآل عجلان ومن جمعوا فلم يمكنهم منها عنان وأصحابه وقاتلوهم بأذاخر وقتل كبيش ونحو عشرين معه ورجع آل عجلان الى الوادي ثم توجه علي بن عجلان الى مصر

((ذكر رجوع علي بن عجلان مشاركا لعنان في ولاية مكة))

فأعاده صاحب مصر وأشركه مع عنان بشرط حضور عنان الى خدمة المحمل المصري وجاء علي مع المحمل فلما بلغ عنانا ذلك تهيأ للقاء المحمل فلما كاد ان يصل خوفا بآل عجلان فرجع الى الزيعا وأقام بها وحج بالناس علي بن عجلان بعد ان قرأ توقيعه بالحطيم وسار بعد الحج بمن معه من الاتراك الى الزيعا فهرب عنان ومن معه ولما رحل الحج المصري نزل عنان بمن معه الوادي وشارك علي بن عجلان في جدة ثم سافر عنان الى مصر في اثنا سنة تسعين وسبعمائة فاعتقل هناك واصطلح علي بن عجلان مع

الله عليه وسلم حين بنت قريش الكعبة فقيل كان ابن خمس وثلاثين سنة وهو أشهر الاقوال وروى عن مجاهد ان ذلك كان قبل المبعث بخمس سنين والله أعلم ((التاسع بناء عبد الله بن الزبير الكعبة الشريفة في زمن الاسلام)) وسيأتي تفصيل ذكره وما وقع له في الباب الثالث في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في أيام الجاهلية وصدر الاسلام ان شاء الله تعالى ((العاشر بناء الحجاج بن يوسف الثقفي)) بعد بناء سيدنا عبد الله بن الزبير وسيأتي بيانه عقب ذكر بناء عبد الله بن الزبير للكعبة ان شاء الله تعالى وبناء الحجاج هو جهة الميزاب والحجر بسكون الجيم وتعلية جوف الكعبة ورفع الباب الشريف الذي في لصق الملتزم وسد الباب الغربي الذي بلصق المستجار لا غير وما عدا ذلك في الجهات الثلاث وهو وجه الكعبة الشريفة وجهة ظهرها وما بين الركن اليماني والحجر الاسود فهو بناء سيدنا عبد الله بن الزبير باق الى الآن كما سنذكره في زيادة عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام وهدمه الكعبة وبنائها على قواعد ابراهيم عليه السلام

((فصل في تحلية الكعبة الشريفة وبابها المشرف بالذهب والفضة وقناديلها الشريفة)) قال أبو الوليد الازرقي رحمه الله أول من حلى الكعبة الشريفة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بالغزالين اللذين وجدهما في بئر زمزم حين حفرها ثم قال أول من ذهب البيت في الاسلام عبد الملك بن مروان وقال الفاسي ما يقتضي خلاف ذلك فقال أول من حلى البيت عبد الله بن الزبير وجعل على الكعبة وأساطينها صفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وذكر الفاكهي ان عبد الملك بعث الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار فضرب بها على باب الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين التي في جوف الكعبة وعلى أركانها من داخل ۞ وذكر الازرقي ان الامين بن هارون الرشيد أرسل الى عامله على مكة سالم بن الجراح بثمانية عشر ألف دينار فضرب بها صفائح ذهب على الباب وجعل مساميرها وحلقتي الباب وأعتابه من الذهب وذكر أيضا ان حجبة الكعبة أرسلوا الى المتوكل العباسي يذكرون له ان زاويتين من زوايا الكعبة من داخلها كانا ذهبا فأرسل المتوكل الى اسحق بن سلمة الصائغ بذهب وأمره بعمل ذلك فكسر اسحق تلك الزوايا وأعادها من الذهب وعمل منطقة من فضة ركبها فوق ازار الكعبة من داخلها عرضها ثلثا ذراع وجعل لها طوقا من الذهب متصلا بهذه

الاشراف بمكة واستمر الى سنة سبعمائة واثنتين وتسعين وفي اثنائه شاركه عنان بولاية من الملك الظاهر برقوق صاحب مصر فوصل مكة في نصف شعبان من السنة المذكورة واصطلح هو وآل عجلان وكان معه القواد ومع علي الشرفاء واستمر الى شهر صفر سنة سبعمائة وأربعة وتسعين فولى مكة علي بن عجلان بمفرده وذلك ان بعض آل عجلان هم بقتل عنان في المسعى فشعر ولم يظفروا به وخرج من مكة ولم يدخلها الا بعد ان استدعاه هو وعلي بن عجلان سلطان مصر فدخل عنان مكة ليتجهز بعد ان آخلت من العبيد فأقام مدة يسيرة وخرج الى مصر ولحقه علي بن عجلان واستخلف على مكة أخاه محمد بن عجلان مع العبيد وقبض على عنان بمصر وسجن بالاسكندرية مع جماز الحسيني صاحب المدينة وعلي بن مبارك بن رميثة ووالده وذلك سنة سبعمائة وتسعة وتسعين ورجع علي بن عجلان الى مكة متوليا من الظاهر برقوق

((موت الشريف عنان بمصر))

ثم نقل عنان الى مصر سنة ثمانمائة وأربعة وحصل له مرض اقتضى استئصال بعض جسده فعولج لذلك بأن جعله في محل حمي بالنار فاشتدت عليه الحرارة فاحترق ومات سنة ثمانمائة وخمسة عن ثلاث وستين سنة وكان شجاعا فقدامدحوا اذاكر عنا أجاز الشاعر ابن المعلف في قصيدة ثلاثين ألف درهم واستمرت ولاية علي بن عجلان الى أن استشهد في سابع شوال سنة سبعمائة وسبعة وتسعين وكان مغلوبا عليه من الاشراف وذلك انه بعد وصوله من مصر بشهر قبض على جماعة من الاشراف والقواد فخودع فيهم فأطلقهم فصاروا يشوشون عليه ويكلفونه ما لا تصل قوته اليه

((قتل الشريف علي بن عجلان))

فأفضى الحال الى أن قل الامان بمكة وبعدة قصد التجار ينبع ولحق أهل مكة لذلك شدة وما زال القواد به حتى عملوا على قتله فقتلوه سابع شوال سنة سبعمائة وسبعة وتسعين ولما قتل ولي مكة أخوه (الشريف محمد بن عجلان)

((ولاية الشريف الحسن بن عجلان))

وتقوى بالعبيد الى أن وصل أخوه الشريف الحسن بن عجلان من مصر بولاية مكة عوضا عن أخيه لانه كان قبل ذلك توجه الى مصر مغاضبا لاخيه علي فلما وصل خبر قتل علي الى مصر جعل سلطان مصر الحسن واليا على مكة فجاء الى مكة ومعه عسكر ولاقاه أخوه محمد من عسفان ودخل مكة يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة سبعمائة وثمانية وتسعين وهرب منه بعض الاشراف ثم خرج الى بئر شمس لقتالهم فساروا منه الى وادي مر فسار اليهم والتقوا بمكان يقال له

الزيارة

المنطقة قال وكان اسفل الباب عتبة من خشب ساج قد رثت وتآكلت فأبدلها بخشب آخر والبسه صفائح من فضة قال اسحق الصائغ فكان مجموع الزوايا والطوق الذهب ثمانية آلاف مثقال ومنطقة الفضة وما على الباب من الفضة وما حلى به المقام من الفضة سبعين ألف درهم وذكر السيد القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى ماوقع بعد الازرقي من تحلية البيت الشريف فقال من ذلك ان الحجبة كتبوا الى المعتضد العباسي ان بعض ولاة مكة قلع أيام الفتنة عضادتي باب الكعبة وعتبتها وسبكهما دنانير وصرفهما على الفتنة فأمر المعتضد باعادة ذلك جميعه وأعيدت كما كانت قال ومن ذلك ان أم المقتدر الخليفة العباسي أمرت غلامها لؤلؤا أن يلبس جميع اسطوانات البيت الشريف ذهبا ففعل ذلك في سنة عشر وثلثمائة قال ومن ذلك ان الوزير جمال الدين ابن محمد بن علي بن منصور المعروف بالجواد وزير صاحب الموصل أنفذ في سنة تسع وأربعين وخمسمائة حاجبه الى مكة ومعه خمسة آلاف دينار ليعمل بها صفائح الذهب والفضة في أركان الكعبة من داخلها قال ومن حلاها الملك المظفر الغساني صاحب اليمن ومن حلاها حفيده الملك المجاهد صاحب اليمن أيضا ثم ان الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي صاحب مصر حلى باب الكعبة الذي عمله لها بخمسة وثلاثين ألف درهم وان حفيده الملك الأشرف شعبان حلى باب الكعبة في سنة ست وسبعين وسبعمائة انتهى ماذكره التقي الفاسي رحمه الله قلت وقد أدركنا الباب الشريف مصفحا بالفضة وكان نحاس من فضته أوقات الغفلة من قل دينه وخفت يده الى ان انكشف أسفل الباب الشريف عن خشب الباب ومسك من أراد من يفعل ذلك وحبسوا واهينوا فعرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية في أيام المرحوم المقدس السلطان سليمان خان أسكنه الله تعالى فراديس الجنان في سنة احدى وستين وتسعمائة فبرز الامر الشريف السلطاني بتصفيح الباب الشريف بالفضة الى ناظر الحرم الشريف المقيم بمكة في منصب نظارة الحرم الشريف يومئذ وهو من فضلاء كتبة مصر أحمد جلبي المقاطعجي صهر المرحوم محمد بن سليمان دفتردار مصر اذ ذاك رحمه الله تعالى وكان لهشعر لطيف بالتركي وبالفارسية تركي وبالعربي يترجم اللسان التركي كتابه روضة الشهداء لمولانا جامي وضمنه من لطائف النظم والنثر ما يستحسنه ومن محاسن السجع مايحسن على السمع وهو كتاب مقبول

الزيارة فقاتلهم وقتل منهم عدة وغتب له ولاية مكة وحاسن الناس من الرعية والتجار وكان أديبا فاضلا شاعرا واستقر الشريف حسن بن عجلان على ولاية مكة الى سنة ثمانمائة وتسعة فأشرك معه ولده بركات بن حسن في امارة مكة وفي هذه السنة وصلت هدية كبيرة من صاحب بنقالة السلطان غياث الدين أعظم شاه ومعها صدقة لاهل الحرمين وخلع للقضاة والائمة وهدية من صاحب كنباية وكتاب يعرف فيه انه أمر ان البنكالة الناس في صلاة الجمعة لايجدون ما يستظلون به من الشمس عند سماع الخطبة بالمسجد الحرام وان بعض الناس منهم الشيخ حسن البنكالي المجاوري حسن البنكالة فجعل مايستظل به الناس واما بعثنا خيام تنصب في المطاف فانصبت تلك الخيام وصبت حول المطاف مدة قليلة وكان في نصبها ضرر فعثار الناس باطنابها فأخذها الشريف بعد سفر الحج المصري بأيام قلائل وفي سنة ثمانمائة وعشرة تكلم الشريف حسن لابنه أحمد في مشاركته لاخيه بركات فولى السلطان نصف امارة مكة لاحمد شركة لاخيه وولى أباهما نيابة السلطنة في جميع بلاد الحجاز وجاء التوقيع من السلطنة سنة احدى عشرة وثمانمائة فكان الخطيب يدعو للشريف حسن وولديه بمكة ويدعى في المدينة للشريف حسن بمفرده وفي سنة ثمانمائة واثنتي عشرة كان بين الشريف حسن وأمير الحاج المصري منافرة حصل بسببها قتل في الحاج ونهب لكثير منهم حال توجههم لعرفة ومنى وتخلف أكثر أهل مكة عن الحج وسبب ذلك ان أمير الحاج لما وصل الى ينبع أعلن للناس ان أمير مكة معزول وانه يريد غدار بنه فبلغ الخبر الى الشريف فاستعد للقتال وجمع من الخيل والرجال مالم يجمع مثله أحد قبله من امراء مكة قيل ستمائة فرس وخمسة آلاف مقاتل حتى ضاقت بهم مكة ونهبت الخواطر وتوقع الناس فتنة عظيمة فيما بينهم كذلك اذ لاطف الله وأتى الخبر من مصر أن السلطان قد أعاد الشريف حسنا وأولاده وبعث اليهم بالخلع مع خادمه الخاص فيروز وبعد ذلك بيوم أو يومين وصل الخادم فيروز مكة وألبس الشريف وأولاده التشاريف السلطانية وقرأ العهد الذي معه بعودهم وتأخر أمير الحج عن الدخول خوفا من الشريف لما بلغه ماعوقب به من القوة فتكلم الاعاقبه وزوم الشريف في عدم مؤاخذة أمير الحاج وطلب منه ان يأذن له في الدخول فأجابه الشريف الى ذلك مع اشتراطه ان يسلم اليه الامير جميع مامعه من السلاح الى وقت خروجه فمضى فيروز المذكور وذلك وسلم أمير الحاج جميع مامعه من السلاح للشريف ودخل مكة مع فيروز المذكور وحضر بين يدي مولانا الشريف واعتذر اليه ثم انه خرج من عنده وانقبض كل منهما عن صاحبه الى ان انقضت أيام الحج ووقف الناس بعرفة في هذه السنة يومين لاختلاف وقع في الشهور وتوجه أمير الحاج بالحج بعد ان دفع اليه الشريف سلاحه وظهر من الشريف في حقه ماحمده

عدة الناس كافة ولم يحج مولانا الشريف ولا احد من أولاده تلك السنة ولا أهل مكة الا القليل وأصاب الحج مشقة بين المأزمين فحصل هناك قتل ونهب من غوغاء العرب ودفع عن الناس بعض رجال الشريف وفي سنة ثمانمائة وخمسة عشر وقعت فتنة بعرفة بين العرب وقتل من آل جميل جماعة فركب الشريف حسن بنفسه لاخماد الفتنة وسلم الله تعالى

﴿ذكر الجمل الذي دخل المسجد الحرام﴾

قال العلامة القطبي ان في أثناء جمادى الآخرة من هذه السنة هرب جمل لجمال فدخل المسجد وجعل يطوف بالكعبة والناس حوله يريدون امساكه فلم يقدروا وافتركوه الى أن أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود واستلمه ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هناك محاذيا للميزاب ودموعه تتساقط وألقى نفسه على الارض فمات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة وحفروا له ودفنوه ثمة

﴿ذكر الفتنة التي حصلت في المسجد بين القواد والمصريين وتسمير أبواب المسجد وتعطيل الجمعة والجماعة﴾

وفي سنة ثمانمائة وسبعة عشر لما كان يوم الجمعة خامس ذي الحجة حصلت فتنة بين القواد والمصريين وانتهكت حرمة المسجد الحرام لما حصل فيه من القتال وسفك الدماء وتلويث الخيل بسبب طول مقامها في المسجد وسبب ذلك ان أمير الحاج المصري أدب بعض العبيد بالعمرة على حمل السلاح فنهيه عن ذلك وحبسه فرغب مواليه في اطلاقه فامتنع فلما قام الناس لصلاة الجمعة من اليوم المذكور هجم جماعة من القواد المسجد الحرام من باب ابراهيم على خيولهم وعليهم لامات الحرب واتوا الى مقام الحنفي فلقيهم الترك والحجاج وقاتلوهم الى ان وصلوا سوق المعلاة أسفل مكة فظهر عليهم المصريون وانتهب السوق وبعض بيوت المكيين فلما كان آخر النهار أمر أمير الحاج بتسمير أبواب المسجد كلها الا باب بني شيبة والباب الذي عند المدرسة المجاهدية فسمرت الابواب وأدخل جميع خيله المسجد وجعلت في الرواق الشرقي قريبا من رباط الشرابي وباتت في المسجد الى الصباح والمشاعل موقدة في المسجد ومشاعل المقامات موقدة أيضا ونهب القواد الحاج الذي بالابطح وخارج المسجد فخرج الشريف حسن وانضم الى القواد وعسكر بأسفل مكة وحضر اليه في بكرة هذا اليوم جماعة من أعيان مكة وذكروا له ما وقع فأظهر التعب وكراهة ذلك ورجعوا الى أمير الحاج المصري وأخبروه بمقاله وأخبروه انه أخطأ في امساك القائد وضربه وأمر باطلاقه وطلب منهم ان صاحب مكة يخمد هذه الفتنة فرجعت الجماعة الى الشريف وأخبروه والتمسوا منه اخماد الفتنة والعفو عن هذه الزلة فبعث ولده الشريف أحمد الى أمير الحاج فعلم

متداول بين الناس اللطفاء وكان وصوله الى مكة في افتتاح سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وكان في البيت الشريف خشبة من أخشاب خشبة السقف انكسرت وصار الماء ينزله من موضع الكسر الى جوف البيت المعظم وكان قاضي مصر يومئذ قدوة علماء الموالي العظام مولانا حامد أفندي وهو اليوم مفتي ممالك الاسلام بالباب العالي أطال الله عمره المديد وأدام بقاءه السعيد فدخل الى بلد الله الحرام وقاضي مكة يومئذ الافندي مولانا محمد بن محمود المعروف بخواجه قيني أسكنهما الله فسيح الجنان وحف تربتهما بالروح والريحان فاطلعا على هذا الاختلال وعرضاه على الابواب الشريفة السلطانية فلما وصل العرض الى المرحوم المقدس المغفور الاقدس السلطان سليمان خان حاز أعلى غرف الجنان أرسل الى مفتي الاسلام سلطان العلماء الاعلام مولانا أبي السعود أفندي المفتي الاعظم قدس الله روحه يستفتيه عن حكم الله في هذه المسئلة جوازا وعدم جواز فكتب اليه بجواز ذلك ان دعت الضرورة اليه فأرسل بجواب المفتي الاعظم الى صاحب مصر يومئذ الوزير المعظم المرحوم علي باشا فأرسله الوزير المذكور الى ناظر الحرم المشار اليه وقاضي مكة يومئذ محمد بن محمود رحمهما الله تعالى مع أمر شريف سلطاني مضمونه العمل بمقتضى الفتوى فجمع أحمد جلبي مؤن العمارة والاخشاب اللازمة لهذا العمل وكان كاتبه مولاي مصطفى جلبي ومعماره مصطفى المعمار وقبل الشروع في العمل القاضي رأيهم مشاورة العلماء في ذلك فجلس مولانا الافندي محمد بن محمود بن كمال بعد صلاة الجمعة لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمائة في الحرم الشريف واستحضر مفتي العلماء الشافعية المرحوم مولانا الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ومولانا الشيخ نور الدين علي بن ابراهيم العسيلي ومولانا القاضي يحيى بن جار بن ظهيرة ومؤلف هذا الكتاب وتفاوضوا في هذه المسئلة فذكر مصطفى المعمار انه شاهد عودين من أعواد سقف الكعبة مكسورين الا عن محاذاة بقية أخشاب السقف الشريف من وسطهما مقدار اثني عشر قيراطا وذكر ان عودا ثالثا الى جانبهما نحو الباب الشريف نزل أيضا نحو أصابع عن محاذاة أعواد السقف الصحيحة هبوطا الى أسفل وانه يحتمل ان يكون مكسورا أيضا ويحتمل ان يكون صحيحا لكنه اعوج باعوجاج مال الى جانبه من العود المكسور وشهد معه أحمد الجيماني المصري وغيره

عليه

عليه الامير وخرج من عنده ونادى بالامان فاطمأنت الناس وأمنت بعد جراحات كثيرة حصلت للفريقين قال بعضهم ولا أعلم فتنة أعظم منها بعد القرامطة وكان القائد الذى وقعت الفتنة بسببه يقال له سراد واتفق ان تلك السنة كانت غلاء فقال بعض الادباء فى ذلك

وقع الغلاء بمكة * والناس أضحوا فى جهاد
والخير قل بها هم * يتقاتلون على جراد

وفيه تورية لطيفة واستمر الشريف حسن وأولاده الى سنة ثمانية عشر وثمانمائة

(ولاية رميثة بن محمد بن عجلان)

فولى السلطان الشريف (رميثة بن محمد بن عجلان) فدخل مكة فى العشر الاول من ذى الحجة وصرح فى توقيعه انه ولى نيابة السلطنة عن عمه حسن وامارة مكة عوضا عن ابن عمه

(رجوع الشريف حسن فى ولاية مكة)

وخرج الشريف حسن من مكة الى الشقان وبعث ابنه بركات الى مصر لاستعطاف السلطان فأنعم عليه بولاية مكة وجهز له خلعة فوصلت فى العشر الاوسط من شوال سنة ثمانمائة وتسعة عشر فتوجه الشريف حسن الى مكة فلما بلغ باب المعلى قاومه أصحاب رميثة ومنعوه الدخول فأزال من كان هناك بالرمى بالنشاب والاحجار فصعد بعض العسكر الى الباب فحرقه حتى سقط على الارض وهدموا بعض السور بأعلى الجبل و بركة الشامى ودخل منه بعض العسكر و رقوا فوقهما من الجبل و رموا أصحاب رميثة بالنشاب وحاصل الامر انهم دخلوا مكة بعد حصول قتال بين الفئتين وخرج جماعة من أعيان مكة ومن الفقهاء والصلحاء ومعهم ربعات شريفة وقابلوا الشريف حسنا وسألوه كف القتال فأجاب الى ذلك بشرط اخراج معانديه من مكة فرجع الجماعة الى الشريف رميثة وأخبروه بذلك ودخل الشريف حسن وخيم عسكره بالمعلى حول البركتين فأقام هناك حتى أصبح ودخل مكة لابسا خلعة السلطان الملك المؤيد فى السادس والعشرين من شوال من السنة المذكورة وطاف بالبيت وقرئ توقيعه وكان يوما مشهودا ونادى بالامان للمعاندين خمسة أيام فخرجوا الى اليمن ثم ان الشريف رميثة اجتمع بعمه الشريف حسن واصطلحا فتغير القواد على الشريف حسن وقاموا بنصرة ذوى رميثة بن أبى نمى وهم أولاد أحمد بن ثقبة بن رميثة بن أبى نمى وأولاد على بن مبارك بن رميثة وأعانوا ولاية مكة لثقبة بن أحمد بن ثقبة ومانع بن على بن مبارك وجعلوا الكل منهما نائبا بجدة فجهز عليهم الشريف حسن فهربوا من جدة وقصدوا مكة فلاقاهم نائب الشريف وهو حسن مفتاح الزفتاوى فقتلوه وقتلوا معه جماعة ثم فروا الى جهة اليمن

وذكروا بأنه ان لم يتدارك تغيير الخشب المكسور بخشب صحيح فالغالب فى أمثال ذلك ان يسقط الى أسفل وتتزعزع الجدران بسقوطه ويغلب فى الظن اختلال فى جوانب السطح يؤدى الى سقوط السقف جميعه وتشقق الجدران وسقوطها فاتفقت آراء الحاضرين على الاقدام على تعمير السطح وتبديل تلك الاعواد وعينوا ان يشرعوا صبح يوم السبت منتصف شهر ربيع الاول سنة تسع وخمسين وتسعمائة فتعصب طائفة حركهم الهوى والغرض لمخالفة ما رأينا وحركوا طائفة من الغوغاء الى الاقلاق وزعموا ان من تعظيم البيت الشريف ان لا يتعرض له بترميم ولا اصلاح وان قيام الكعبة الشريفة هذه المدة المديدة مع تزلزل بناء تشققها من الجوانب الاربع ولا تؤثر فيها دليل على أن قيامها ليس بقوة البناء بل هى قائمة بقدرة الله تعالى وانه لا يجوز تغيير أحجارها الا اذا سقطت بنفسها وغير ذلك من التمويهات والتزويرات التى تنبو عن مسامع العقلاء وهولوا الامر على عوام الناس وغوغائهم وكادت أن تقوم لذلك فتنة عظيمة فى العوام وكتب شيخنا مولانا شهاب الدين أحمد بن حجر مؤلفا واسعا فى الرد على أولئك المعاندين واستند الى النقول الكثيرة ونص على الجواز وجاءنى رحمه الله تعالى بعرضى على الشهاب على ما سطره من النقول بالجواز ونقل لى عن المحب الطبرى فى كتابه استقصاء البيان فى مسألة الشاذروان بسنده ذكره حديث عائشة رضى الله عنها فى هدم الكعبة ما نصه ومدلول هذا الحديث تصريحا أو تلويحا انه يجوز التغيير فى الكعبة لمصلحة ضرورية أو حاجية أو مستحسنة انتهى * ولما بلغ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن أبى نمى صاحب مكة اذ ذاك تغمده الله تعالى برضوانه وأسكنه فسيح جنانه حضر بنفسه من البر الى مكة المشرفة وطلب سيدنا ومولانا سلطان العلماء الاعلام شيخ الاسلام شمس الملة والدين الشيخ محمد بن مولانا الشيخ أبى الحسن البكرى نفع الله به وبأسلافه الكرام وشيد به أزر شريعة سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ومولانا الافندى الاعظم قاضى مكة المشرفة وسيدنا ومولانا قاضى القضاة ومرجع أهل بلد الله الحرام القاضى تاج الدين بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكى طيب الله مثواه وجعل الفردوس الاعلى مأواه وناظر الحرم الشريف المكى يومئذ أحمد جلبى المذكور رحمه الله فحضروا جميعا تجاه البيت الشريف عند مقام سيدنا ابراهيم عليه السلام وأشير الى سيدنا

ومولانا الشيخ الاعظم محمد البكري ان يلقي درسا يتكلم فيه على قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم فتكلم على جاري عادته بلسان طلق فصيح ولفظ منتظم مليح أبهر به الحاضرين وأدهش الناظرين وأفاد وأجاد وقلد نفائس الدرر الاجياد * فلما انقضى الدرس أخرج الناظر فتوى المفتي للناس فرآها مولانا الشيخ الاعظم الشيخ محمد البكري فقال ومن يخالف هذا من الناس هذا هو عين الحق ومحض الصواب وأمر مولانا السيد أحمد العمال بالشروع في العمل فشرعوا وسكنت الفتنة ولله الحمد وكل ذلك بتدبير المرحوم القاضي تاج الدين المالكي رحمه الله وكان عاقلا ثقة اذا رأى صواب مضى ولا ينفصل الا بموفكر صائب

همام وتوفي الى رحمة الله تعالى في سنة احدى وستين وتسعمائة ثم لما كشف عن تلك الاعواد في السقف وجدوها كما ذكروا وأبدلوها بأعواد جديدة في غاية الاحكام والاستقامة وأعادوا السقف والسطح كما كان بغاية الاتقان وسطر تواريخ ذلك في صحائف المرحوم السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان ثم بعد الفراغ طلبوا منا شيئا يمكن كتابته فكتبت اليهم كلاما يتضمن التاريخ وهو الحمد لله الذي عمر الكعبة الشريفة بأشرف يد محمدية وسقفها بالتشييد واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا وأعلى الوجود بوجود من وجد فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه وخصه بذكر انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر فكان له أعظم كرامة وأنالها الحظ الاوفر من ملك معيد في الله سيدنا السلطان بن السلطان سليم خان الحادي عشر من ملوك بني عثمان خادم الحرمين (ولاية الشريفين الخلافة الوثيقة) أدام رايات ظفره في الخافقين فاستجد سقف الكعبة المعظمة حفظ الله دولته حفظ البيت المعمور والسقف المرفوع وأعلى أركانها المقدسة وجدرانها الثابتة قبلة للسجود والركوع وغرد طير تاريخ تجديد عمارته على غصون حساب أبجد (مكان تجديد سطح بيت الله مالك الدولة سلطان سليمان) ملكه الله الارض ومن عليها وجعل باب سعادته قبلة تسجد تجاه القبائل اليها ثم لما فرغ من تجديد سطح البيت الشريف وما يتعلق به شرع في تسوية فرش المطاف الشريف فان أحجاره انفصلت وصار بين كل حجر وحجر حفر وكانت تلك الحفر تسد تارة بالتراب وتارة بالرصاص ويسمر بمسامير الحديد فأزال ما بين

أشراف سنة ثلاث وعشرين وقدم من مصر الشريف بركات بن حسن شريكا لوالده فسر بذلك والده و[illegible]

(ذكر قيام الشريف بركات بن حسن بولاية مكة)

وفي سنة ثمانمائة واحدى وعشرين تخلى الشريف حسن عن أمر مكة لابنه الشريف بركات فجمع عليه ابنه أحمد وخرج عن طاعة أبيه فاستعطفه أبوه فلم يفد وأغراه بعض جماعة من المفسدين على نهب جدة ففعل ثم صالح أباه ودخل مكة ثم نكث وذهب الى ينبع ثم رجع مع الحج ثم عاد الى ينبع وفي سنة ثمانمائة وثلاثة وعشرين طلب الشريف حسن من السلطان المؤيد صاحب مصر تفويض امارة مكة لولديه بركات وابراهيم والانفصال عن الامارة لرغبته في العبادة لكبره وضعفه وتوجه بعد الارسال الى حلي فوصل جوابه ثاني عشر ربيع الاول سنة ثمانمائة وأربعة وعشرين وبه تقليد مكة لولديه بركات ولم يسمح ابراهيم بحصول الاتفاق بين الاخوين فخرج ابراهيم الى اليمن ثم جاء ومعه جمع من الاشراف وغيرهم ودخل مكة والزموا القواد بأن يدعى له بالخطبة مع أخيه وأبيه فأنكر عليهم وما استمر الامر على ذلك سنة ثمانمائة وستة وعشرين فأمر الشريف حسن بترك الدعاء لابنه ابراهيم لانه أمر مع ابنه ذوي راجح فلم يقبل ووصلت علامات الشريف حسن وابنه بركات من صاحب مصر الملك الظاهر بن الملك المؤيد ويعطى للشريف حسن ألف أحمر يحمل اليه من مصر في مقابلة ترك المكوس على الخضراوات بمكة وأمر أن يكتب ذلك في بعض أساطين المسجد الحرام ثم ولي مصر السلطان برسباي فجعل امارة مكة للشريف رميثة بن محمد بن عجلان وكان باليمن فلم يصادف الامر محلا وكان أمير الحاج قرقماس الشاعري فدخل مكة وهو في غاية الوجل والخوف وكان يظن عدم مقابلة الاشراف له فتسقط حرمته فخرج الشريف حسن الى تلقي المحمل على جري العادة ولبس التشريف الوارد ثم قابل الامير المذكور ثانيا وقال له ان السلطان مولانا السلطان عزلنا عن امارة مكة فكان كالمساد الباطل فقال له أهل الخير والذين اذا بلغهم عزلهم نهبوا البلاد وأفسدوا العباد فأبلغه الامير أن هذا لم يكن عن صائب ومولانا السلطان محب لكم وسوف تأتون خلعة توليه اذا رجعت وبيان تلك المكاتيب منه بعدم صحة ما نقل لكم عنه فلما سافر الامير المذكور أرسل معه الشريف حسن هدية عظيمة للسلطان فلما وصل الامير الى مصر وذكر للسلطان ما قاله الشريف حسن وأخبره بما وقع من تحذره من الفتنة وحفظه للحاج وقدم له الهدية رضي السلطان فأرسل الى الشريف حسن بالتأييد والاستمرار وقضى جميع مطالبه

الاحجار من المفروشة طرف الحجر الى أن ألصقه بطرف الحجر الآخر من جوانبه الاربعة وا
هـذا الاسلوب الى ان فرغ من ذلك واصلح أبواب المسجد الشريف وفرش المسجد جميعه بالحصى ثم
الباب الشريف واصلاح الميزاب الشريف وصفح بالفضة المموهة بالذهب الى ان غير بعد ذلك وعمر
فوصل ووضع فى الخزانة العامرة (وأما عمارة المطاف الشريف) فوقع فى سنة احدى وستين وتسعمائة
يكتب على بعض مواضع المطاف فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا
بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا تقربا الى الله تعالى (٤١) زتجديد فرش أحجار المطاف وتـ
الطائفين
وتحلية الباب ..
والميزاب المعظم الم
خليفة الله تعالى الاعظم
سلطان الروم والعرب
والعجم من اصطفاه الله
تعالى واجتباه لترميم بيته
الحرام واختاره وارتضاه
بخدمة الركن والمقام
السلطان ابن السلطان
الملك المظفر أبو الفتوحات
السلطان سليمان خان
تقبل الله منه صالح
الاعمال وبلغه ما يؤمله من
السعادة والاقبال وتمام
ذلك غرد بالتاريخ طير الهنا
عمر الله قبلتنا

• (فصل فى ذكر تعاليق الكعبة المعظمة وكسوتها) •

اما التعاليق فقال المسعودى فى مروج الذهب كانت الفرس تهدى الى الكعبة أموالا وجواهر فى الزمان الاول وكان ابن ساسان بن بابك أهدى غزالين من ذهب وجواهر وسيوفا وذهبا كثيرا الى

الكعبة • وقال الشريف التقى الفاسى فى شفاء الغرام يقال ان كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن
غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشى أول من علق فى الكعبة السيوف المحلاة بالذهب والفضة ذخيرة للكعبة ثم نقل
عن الازرقى فى أشياء أهديت للكعبة منها ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث
اليه هلالان فبعث بهما فعلقهما فى الكعبة وبعث السفاح بالصفيحة الخضراء فعلقت فى الكعبة والمأمون بالياقوتة التى تعلق فى
كل موسم بسلسلة من الذهب فعلقت فى وجه الكعبة وبعث المتوكل على الله بشمسية من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت الرفيع
والزبرجد تعلق بسلسلة من الذهب فى وجه البيت فى كل موسم واهدى المعتصم العباسى قفلا لباب الكعبة فيه ألف مثقال ذهب

• (ولاية الشريف على بن عنان بن مغامس على مكة) •

وفى سنة ثمانمائة وسبعة وعشرين توجه الشريف على بن عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى الى مصر فولاه السلطان برسباى امارة مكة فورد من مصر ومعه عسكر جرار فدخل مكة سادس جمادى الاولى من السنة المذكورة وخرج منها الشريف حسن وأهل بيته

• (رجوع الشريف حسن فى الامارة) •

وفى أول ذى الحجة سنة ثمانمائة وثمانية وعشرين ورد التفويض من السلطان برسباى للشريف حسن وعزل على بن عنان لوجب كتاب وصل الى السلطان من الشريف حسن رقق فيه المعانى وعرفه ان عزله من غير جناية فأعاد اليه مكانته وحفظ عليه أمانته فدخل مكة رابع ذى الحجة من السنة المذكورة

• (ذكر وفاة الشريف حسن بمصر سنة ٨٢٩) •

ثم ان الشريف حسن بعد موسم سنة ثمانمائة وثمانية وعشرين توجه الى مصر للقاء السلطان برسباى فاجتمع به وأجله وأعظمه وقرره على أمر مكة وذلك فى العشرين من جمادى الاولى سنة ثمانمائة وتسعة وعشرين وقد أصابته علة فتجهز للرجوع فأدركته منيته فتوفى بمصر سادس عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكانت ولايته سنة سبعمائة وخمسة وسبعين وكانت مدة ولايته انفرادا ومشاركة لابنه بركات ستة عشر سنة وشهورا وكان صاحب ثروة وخيرات كثيرة بمكة بنى رباطا للرجال وآخر للنساء ولم يكن بمكة من يدانيه فى جوده وكرمه وكان من الفضلاء أجازه بالحديث جماعة من علماء مصر والشام وخرج له التقى بن فهد أربعين حديثا ومدحه كثير من الشعراء منهم العلامة شرف الدين اسمعيل بن المقرى صاحب الروض والارشاد فى مذهب الشافعية وله فى مدحه قصائد منها قصيدة مطلعها

أحسنت فى تدبير ملكك ياحسن • وأجدت فى تحليل اخلاط الفتن وهى طويلة

• (ولاية الشريف بركات بن حسن على مكة بعد وفاة أبيه وذكر بعض فضائله) •

وولى مكة بعده ابنه الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نمى بن حسن بن على بن قتادة وكان الشريف بركات بن حسن هذا أديبا فاضلا مائلا بالطبع الى العلماء والاخذ عنهم وقد أجازله جماعة منهم الحافظ العراقى والهيثمى والبرهانى والمراغى وحدث عنه البقاعى وغيره

• (ذكر استدعاء السلطان برسباى الشريف بركات الى مصر) •

قال القاضى جمال الدين بن ظهيرة ان السلطان برسباى بعد موت الشريف حسن استدعى ابنه

لى مكة يومئذ من قبل صالح بن العباس فأرسل الى الحجبة ليقبضهم القفل فأبوا ان يأخذوه منه
رسل به الى الخليفة فأبوا ان يعطوه ذلك وتوجهوا الى بغداد وتكلموا مع المعتصم فترك قفل الكعبة
كان بعثه اليها فاقتسموه بينهم وذكر الفاكهي أن مما اهدى الى الكعبة طوق من ذهب مكلل
ية كبيرة خضراء أرسله ملك الهند لما أسلم في سنة تسع وخمسين ومائتين فعرض أمره على المعتمد على الله
الشريف فعلقت قال التقي الفاسي رحمه الله تعالى ومما علق بعد الازرقي قصبة من فضة فيها كتاب بيعة
بن المعتمد على الله وبيعة أبي أحمد الموفق بالله ابن أخي المعتمد على الله وقدم بها الفضل بن عباس
لدى وستين
ب وكان وزن
ه ثمانمائة وستين
رهما فضة وعليها شاربا
من ذلك ثلاث أزرار
بثلاثة سلاسل من فضة
ودخل الكعبة يوم الاثنين
لاربع خلون من صفر
فعلق هذه القصبة مع
تعاليق الكعبة (قلت)
وسيأتي ان هرون الرشيد
كتب أن يكون ولي عهده
بعده محمد الامين ثم عبد
الله المأمون وبايع لهما
على ذلك أعيان مملكته
وكتب مبايعتهم وأرسل
نسخة ذلك العهد الى
الكعبة وعلقها في الكعبة
ثم لما وقع بعده الاختلاف
بينهما وأرسل الامين
عسكر القتال أخيه
المأمون أرسل الى مكة
وأخرج كتاب العهد من
الكعبة ومزقه فرق الله
ملكه وانكسر عسكره
وانتصر المأمون وجاء الى
بغداد وحاصر الامين الى
أن أمسكه عبد الله بن طاهر وقتله وأتى برأسه الى المأمون وسيأتي تفصيل ذلك جميعه ان شاء الله تعالى • ثم لما فولى
وقعت الفتن بمكة أخذت تلك التعاليق من الكعبة وصرفت في ذلك وقد كانت الملوك ترسل بقناديل الذهب وتعلق في الكعبة
وكانت شيوخ سدنة البيت الشريف اذا احتاجت اختلست منها ما تسد به خللها او تدفع به فقرها واحتياجها وقد أدركنا في أيام
الصبا وقد ذهبت القناديل من شيوخ الكعبة من كان يتهم بذلك بل أخبرني بعض جيرانه تمل لاحدهم مطامر كامن الخشب مؤلفا من
عدة أعواد طول كل واحد منها نحو ذراع تركب فيطول ثم ينكل ويحمل في الكم فاذا دخل الشيخ يوم فتح الكعبة ابتدأ فدخل
بعده كما هو عادة مشايخ الكعبة وركب ذلك المطامر وزل قنديلا وفك تلك الاعواد وغمس ذلك القنديل ووضع في كمه الواسع ثم

بركات من مكة فتوجه اليه ومعه أخوه ابراهيم فقدما مصر في شهر رمضان سنة تسع وعشرين
وثمانمائة فلاقاهم السلطان بالاجلال والاكرام وخلع عليه الخلعة السنية وعزاه من الروح
الزكية وولاه أمر مكة المحمية وطلب الشريف بركات لاخيه ابراهيم ان يكون نائبا عنه بمكة اذا
غاب وتوجها الى مكة فوصلا لاثنا في ذي القعدة فقرأ عهده ولبس الخلعة واستمر الى سنة ثمانمائة
وخمسة وأربعين فعزل بأخيه علي ثم أعيد

•(ولاية علي بن حسن بن عجلان)•

وفي سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة وصلت المراسيم من صاحب مصر بأن ثلث ما يحصل من عشور
المراكب الهندية يكون لامير مكة والثلثان لصاحب مصر ثم في سنة ثمانمائة وأربعين جاءت
المراسيم بأن نصف عشور جدة من المراكب الهندية يكون لامير مكة وفي سنة اثنين وأربعين توفي
سلطان مصر السلطان برسباي فتغلب السلطان جقمق على ابن برسباي وملك مصر وأرسل
للشريف خلع التأييد وأرسل الامير سودون ومعه خمسون فارسا من الترك تقيم بمكة وولاه نظر
الحرمين ومشد العمائرها وفي هذه السنة وقع بين الاشراف وآل بني نمي وبين السيد علي بن حسن
منافرة فسافر السيد على صحبة الحاج ثم وقعت فتنة بين الاشراف والاتراك واقتتلوا في المسعى
وقتل جماعة من الفريقين

•(ذكر اعفاء السلطان الشريف من تقبيل خف جمل المحمل)•

وفي سنة ثلاث وأربعين وردت مراسيم باعفاء السلطان الشريف من تقبيل خف الجمل الذي يأتي
بالمحمل وفي سنة خمسة وأربعين وقيل ست وأربعين عزل السلطان الشريف بركات

•(ولاية الشريف علي بن حسن بن عجلان على مكة)•

وولي مكة أخاه الشريف علي بن حسن ووصل الى مكة في رجب وخرج منها الشريف بركات وتوجه
الى اليمن واستمر الشريف علي الى شوال من السنة المذكورة فقبض عليه الاتراك وعلى أخيه
ابراهيم وتوجهوا بهما الى جدة ثم الى مصر وأظهروا مرسوما بولاية أخيهما الشريف أبي القاسم بن
حسن وكان بمصر فقام بحفظ مكة ولده زاهر بن أبي القاسم

•(ولاية الشريف أبي القاسم بن حسن على مكة)•

ووصل الشريف أبو القاسم من مصر في ذي القعدة من السنة المذكورة ودخل مكة لابسا الخلعة
واستمر الى ربيع الاول سنة تسع وأربعين وثمانمائة فهجم عليه الشريف بركات ففر

•(رجوع الشريف بركات الى مكة وفرار أخيه أبي القاسم)•

أذن للناس بالدخول الى البيت الشريف وما كان يحمله على ذلك غير فقره واحتياجه فجاوز الله عنه واتفق مرة أمير من أمراء جدة قنديلا كان علقه قربيا في البيت الشريف فتكلم على ذلك الشيخ وأراد اهانته فلم يقدر على ذلك وتكلم الناس عليه وكان يقول المحافظة على بنية الانسان أوجب من المحافظة على قناديل معلقة في الكعبة لا ينفعها تعليقه ولا يضرها فقده ووصلنا الى حد المخمصة فتعذر في ذلك ان وقع فعله منا والبيت الشريف الآن ولله الحمد والشكر في غاية الصون في أيام هذا الشيخ الموجود الآن لعفته وأمانته وعلقت في أيامه قناديل كثيرة أهداها الملوك الى الكعبة الشريفة وهي محفوظة معلومة عند الناس باقية برونها في سقف البيت الشريف في أوقات فتح الكعبة لسائر الناس • وقد وصل في وسط سنة أربع وثمانين وتسعمائة من الباب العالي الشريف السلطاني جاويش اسمه محمد جاويش كان قبل ذلك كاتبا للحرم الشريف على عمارة المسجد الحرام وكان توجه ببشارة اتمام المسجد الشريف الى الباب العالي السلطاني وهو رجل في غاية الامانة والاستقامة وحسن الخدمة وفضيلة الكتابة وحسن الخط والمروءة وعلو الهمة سلمه الله تعالى فأقبلت عليه السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى وأنعمت بأنواع الانعام والترقي وغير ذلك من الاكرام وأدخل في عداد خواص جاوشية الباب العالي وأرسل الى الحرمين الشريفين بالخلع الشريفة السلطانية لمن باشر خدمة الحرم الشريف في هذه العمارة أجلهم سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي سيد السادات الاشراف صفوة الصفوة من شرفاء بني عبد مناف السيد الشريف الحسيب النسيب المستغني بشرف ذاته عن التوصيف والتلقيب بدر الدنيا والدين حسن بن أبي نمي خلد الله دولتهما وسعادتهما وأدام عزهما وسيادتهما وكذلك شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء الاعلام ونسل الفضلاء الكرام ناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم سلاطين الانام صفوة آل سيد المرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقاضي المدينة المنورة سابقا بدر الملة والدين مولانا السيد حسين الحسيني المكي المكين لا زال مرحوم الله الامين مشمولا في أيام نظارته بالعز والتمكين وأهل الحرمين الشريفين غارقين في بحر احسانه كل وقت وحين وكذلك قاضي مكة المشرفة يومئذ أقضى قضاة المسلمين أولى ولاة الموحدين معدن الفضل واليقين وارث علوم الانبياء والمرسلين مولانا مصلح الدين

فولي مكة الشريف بركات وشاع في آخر السنة ان السلطان غضب من فعل الشريف بركات وانه بعث بعزله مع الحج فجاء الحج وقد احترز الشريف بركات غاية الاحتراز وورد مع الحج نحو عشرين أميرا فخرج الشريف بركات للقاء الامراء على مجرى العادة في أكمل عدة فلما بصروا به على هذه الصفة ألبسوه الخلعة الواردة معهم وحج بالناس الا أنه اعتزلهم بالموقف فوقف جانبا عنهم الى أن تفرقوا ثم خرج بعد النزول عن مكة ولم يجتمع بأحد من أرباب الدولة

•(رجوع الشريف أبي القاسم الى مكة)•

فعاد الشريف أبو القاسم الى مكة واستمر الى سنة احدى وخمسين

•(رجوع الشريف بركات الى ولاية مكة)•

فلما كان سابع عشر ربيع الاول من السنة المذكورة ورد قاصد من مصر باعادة الشريف بركات الى امارة مكة ورضي عنه السلطان لان ابنه محمد بن بركات توجه الى مصر وتلطف بالسلطان فأكرمه ورضي عنه وأعاد والده الى مكانته ولما جاء هذا القاصد الى مكة خرج منها الشريف أبو القاسم الى وادي الابار ثم توجه الى مصر ومات بها ورآخوه على سنة ثمانمائة وثلاثة وخمسين وكان الشريف علي بن حسن فاضلا كريما اديبا ذوق وفهم ونظم رقيق فمن شعره قوله

اذا نال العلا قوم بقوم • رقيت علوها فردا وحيدا

•(استدعاء السلطان جقمق الشريف بركات الى مصر وأخذ العلماء عنه الحديث المسند ورجوعه الى مكة)•

وفي سنة ثمانمائة واحدى وخمسين استدعى السلطان الشريف بركات الى مصر فقدم الى القاهرة مستهل رمضان فخرج السلطان للقائه الى الرميلة وبالغ في اكرامه وقابله بالاجلال والاكرام وأخذ عنه العلماء بالقاهرة وازدحموا على القراءة عليه لعلو سنده وأجازهم ورجع الى مكة ودخلها خامس جمادي الاولى محرما بالعمرة فطاف وسعى بالليل وخرج الى الزاهر وبات به ودخل مكة في الصبح لابسا الخلعة الولاية وقرئ توقيعه بالحطيم وفي سنة ثمانمائة وتسعة وخمسين مرض الشريف بركات ففوض لابنه محمد أن يكون ولي عهده من بعده

•(وفاة الشريف بركات)•

ثم توفي الشريف بركات تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة بأرض خالد من وادي مر وحمل على أعناق الرجال الى مكة وغسل وصلي عليه وطيف به سبعا على عادة أشراف مكة ودفن بالمعلاة وبني عليه قبة ورثاه الشعراء

الطف بلد زاده ذكره الله بالصالحات وأفاض عليه سوابغ الخيرات وكذلك أمير العمارة الشريفة افتخار الامراء العظام معمر المسجد الحرام الامير أحمد وفقه الله وسدد واكرمه وأسعد وجهزت السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى بها الاسلام وأيدنا أيدها دين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام مع الجاويش المشار اليه ثلاثة قناديل من الذهب مرصعة بالجواهر ليعلق اثنان منها في سقف بيت الله تعالى زاده الله تعالى تشريفا وتعظيما والثالث في الحجرة الشريفة تجاه الوجه الشريف النبوي تعظيما لسيد الانام وقال على ذلك الوجه المليح تحية * مباركة من ربنا وسلام فلما وصل محمد جاويش الى مكة المشرفة شرفها الله تعالى بما في يده من الخلع والتشاريف والقناديل المعظمة قوبل بغاية التعظيم والاجلال وعومل بنهاية الاحترام والاقبال وألبس الخلع الشريفة الفاخرة وأنعم عليها بالضيافات والانعامات الوافرة وحضر الى المسجد الحرام بنفسه النفيسة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي السيد حسن المشار الى حضرته العالية أدام الله عزه واقباله ومعه أكابر السادة الاشراف وجلس في الحطيم الكريم تجاه بيت الله المنيف ومعه سيدنا ومولانا ناظر الحرم الله تعالى شيخ مشايخ الاسلام السيد القاضي حسين الحسيني المومى اليه خلد الله عظمته واجلاله عليه وباقي من ذكر وسائر الاعيان والاهالي وكافة العلماء والفقهاء والموالي واجتمعت الناس حول الكعبة الشريفة وامتلأ الحرم الشريف بذلك الموكب المنيف وفتح باب بيت الله تعالى وأحضرت الخلع الشريفة السلطانية والقناديل السنية الخاقانية وقرئت المراسيم الشريفة المطاعة في الاقطار في والجهات فوق منبر لطيف بصوت جهوري يسمعه الخاص والعام وألبس سيدنا ومولانا السيد حسن نصره الله تعالى خلعتين فاخرتين ثم مولانا ناظر الحرم الشريف ثم من كان له خلعة من السلطنة ثم طاف مولانا وسيدنا السيد حسن بالبيت بخلعته على المعتاد والرئيس المؤذن يدعو للسلطنة الشريفة وله بعلو زمزم على العادة والناس كلهم رافعون أصواتهم بالدعاء والتأمين الى آن فرغ سيدنا ومولانا من الطواف ودعا بالملتزم الشريف ثم صلى ركعتي الطواف في مقام ابراهيم عليه السلام ثم طلع هو ومولانا ناظر الحرم الشريف وبقية الاعيان الى باب بيت الله تعالى ودخلوا الكعبة وأحضرت القناديل الشريفة واختاروا لها مكانا عاليا يقع

●(تفويض الولاية للشريف محمد بن بركات)●

وجاء جواب عرضه ثاني يوم دفنه وفيه تفويض مكة للشريف محمد بن بركات وكان غائبا في اليمن لقبض بعض أموال والده ولما رجع قرئ مرسومه بالحطيم والخطاب فيه لوالده الشريف بركات وفي شهر شوال ورد اليه مرسوم من السلطان يتضمن التعزية في والده وتأييده في ولاية مكة وكان مولد الشريف محمد بن بركات في رمضان سنة ثمانمائة وأربعين بمكة وكان جم الفضائل شريف الشمائل واستمر الى سنة ثلاث وتسعمائة متوليا على مكة مظهرا العدل في الرعية ودانت له العباد واتسع ملكه وتصرفه في البلاد وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة وفي سنة ثمانمائة واثنين وسبعين تولى سلطنة مصر الملك الاشرف قايتباي وأرسل الخلعة لمولانا الشريف محمد بن بركات وخلعة لقاضي مكة القاضي برهان الدين بن ظهيرة القرشي المخزومي وأرسل مراسيم تقتضي رفع المكوس بمكة وأمر ان ينقر ذلك على اسطوانة بالمسجد الحرام بباب السلام وفي سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة غزا مولانا الشريف محمد بن بركات قبيلة زبيد بين خليص ورابغ وقتل شيخهم روحي وأخاه مانكا ونحو سبعين رجلا وغنم نحو ثلاثة آلاف من المواشي وفي سنة ثمانمائة وسبعة وسبعين وصل مع الحج مرسوم من السلطان بطلب صاحب مكة مولانا الشريف محمد بن بركات والقاضي ابراهيم بن ظهيرة فأرسل مولانا الشريف عوضه ابنه الشريف بركات وصحبته القاضي برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة والقاضي أبو السعود بن ظهيرة وجماعة من أقاربهم فقوبلوا بالاجلال والاكرام من السلطان قايتباي ثم رجعوا

●(ذكر من مات بجوف الكعبة من الزحام)●

وفي سنة احدى وثمانين مات من الزحام بالكعبة خمسة وعشرون نفرا

●(ذكر صلاة الشريف هزاع بن محمد بن بركات التراويح بالختمة)●

وفي سنة اثنين وثمانين صلى بالناس السيد هزاع بن الشريف محمد بن بركات صلاة التراويح بجميع القرآن على يمين مقام المالكية وجعل له حطيم من الخشب علق فيه من الثريات والقناديل ما لا يحصى وأوقد من الشموع في تلك الليالي ما لا يحصى وكان في كل ليلة يخرج من بيت والده في زفة عظيمة فيها جماعات من الاعيان ويتلقاه من باب المسجد القضاة الاربعة ويمشون معه الى مصلاه ثم اذا فرغ يمشون معه الى باب المسجد ويصلي خلفه الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان والاروام والتجار وغيرهم ويصلي على يمينه نقيبه وعن شماله القاضي أبو السعود ابن ظهيرة وفي ليلة الختم زف المصلي المذكور راكبا من بيت والده الى الصفا وسار الى ان دخل المسجد وزيد

فى الشموع والوقيد أضعافا مضاعفة ومشى معه جميع الناس وكان من جملة الماشين معه والده
وأنشد المنشدون فى الختم وخلع عليهم وعلى المكبرين والفراشين والوقادين وفرقت الحلاوة على
الحاضرين وكان ذلك كله مما يضرب به المثل وفى سنة أربعة وثمانين وثمانمائة غزا مولانا الشريف
جازان من أرض اليمن فخرب حصونها وأوديتها وأخذ الاموال وغنم غنائم جزيلة منها ورجع سالما

※(ذكر حج السلطان قايتباى)※

وفى هذه السنة حج السلطان قايتباى فاحتفل به مولانا الشريف غاية الاحتفال وأرسل بعض قواده
بسبقه للقاء السلطان فوصل الى الحوراء ولاقى السلطان ومد له سماطا فجلس عليه السلطان بنفسه
وأظهر من كرم الاخلاق واللطف ما لا يوصف حتى يقال انه لما تناول من نوع الحلواء الذى يقال له
كل واشكر التفت الى قائد الشريف وقال له قد أكلنا وشكرنا وخلع على القائد ومن معه ولما
وصل الى ينبع عدل الى المدينة لزيارة النبى صلى الله عليه وسلم وسار مولانا الشريف محمد بن
بركات للقائه الى الصفراء فلاقاه السلطان راجعا من المدينة وكان صحبة الشريف ولده هزاع
وقاضى مكة برهان الدين بن ظهيرة وجملة من الاعيان ووجوه مكة وصار السلطان يلاطفهم ويشكر
لهم فعلهم وفارقوه من بدر وتقدموا الى مر الظهران ورتبوا هنالك سماطا فلما كان يوم الاحد
مستهل ذى الحجة وصل السلطان الى الوادى ووجد السماط ممدودا فجلس عليه ومن معه وجعل
يأكل وخلع على الخدم ووصل بقية الخطباء والقضاة وأعيان مكة وسلموا عليه وانصرفوا وركب
فيمن معه ودخل مكة ليلا وكان قاضى مكة ابن ظهيرة هو الملقن له الادعية الى ان دخل من باب
السلام فدخل بحصانه فمر فطاحت عمامته فتقدم رمضان المهتار فناوله اياها وكان ذلك تأديبا له
من الله تعالى حيث لم يدخل محرما فترجل من العتبة الثانية وقرأ الرئيس لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق لتدخلن المسجد الحرام الآية ثم دعا للسلطان وأمن أصحاب الاصوات وطاف وخرج الى
الصفا فسعى راكبا فلما فرغ من السعى عاد الى الزاهر فى صيوانه وبات هنالك وركب فى الصبح
فى موكب أعظم ولاقاه مولانا الشريف محمد بن بركات وأعيان الاشراف وقضاة مكة وخرج للقائه
حتى النساء ودخل مكة فى أوفى عظمة ووصل الى مدرسته التى بناها قبل ذلك عند باب النبى ومد له
الشريف سماطا واستمر بها الى ان طلع عرفات وعاد بعد أيام التشريق الى مكة وتأخر بعد الحج
أياما بمكة ولما أراد السفر ركب معه شريف مكة وأولاده وقاضيها فودعهم وأمرهم بالرجوع من
الزاهر ورجع الى مصر فوجدها على غاية من الضبط فى مدة غيبته واستمر السلطان قايتباى على
سلطنة مصر الى ان توفى سنة احدى وتسعمائة

نظر الداخل الى البيت الشريف فى أول دخوله الى الكعبة المعظمة عليها وأحضر سلما يصعد عليه فعلقهما سيدنا ومولانا السيد
حسن بيده الشريفة تعظيما لامر السلطنة العلية المنيفة وقرئت الفواتح فى الكعبة الشريفة وحولها ودعت الناس
أجمعون ورفعت أصواتهم وهم الى الله تعالى يتضرعون بدوام دولة هذا السلطان الاعظم سلطان سلاطين العالم خلد الله
تعالى خلافته الزاهرة وأبد أيام سلطنته القاهرة وجمع له بين سعادتى الدنيا والآخرة ثم انفض ذلك المجلس العظيم وانقضى
ذلك الموكب الشريف الوسيم وكان يوما شريفا مشهودا ووقتا مباركا محمودا رقمته الليالى والايام فى صفحات
أوراقها وأثبتته فى جرائد دفاترها وأطباقها واعلم المرء حديث بعده ※ فكن حديثا حسنا لمن روى ثم توجه
محمد جاويش بالقناديل
الذى بقى معه الى المدينة
المنورة ووصل الى تلك
الروضة الشريفة المطهرة
واجتمعت له أكابر المدينة
الشريفة وأعيانها
وعلماؤها وصلحاؤها
وأركانها وشيخ حرمها
ونوابها ومن له شان وقدر
من مجاوريها وسكانها وحمل
موكب شريف فى الحرم
الشريف النبوى وفتحت
الحجرة الشريفة النبوية
على ساكنها أفضل
الصلاة والسلام وعلق
ذلك القنديل تجاه وجه
النبى صلى الله عليه وسلم
وقرئت الفواتح وحصل
الدعاء من جيران سيد
الانام عليه أفضل الصلاة
والسلام بدوام دولة هذا
السلطان الاعظم سلطان
سلاطين العالم خلد الله
تعالى ملكه السعيد وأبد
معدلته وفضله واحسانه
المزيد فالله يطيل عمره
ويسعده ويوفقه للخيرات
ويرشده ويسوقه الى الباقيات الصالحات من أعمال الخير ويسدده وهو أول من علق قناديل الذهب فى الحرمين الشريفين
من سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى سلطنتهم وأبد دولتهم الى انتهاء الزمان وقد سبق بهذه المنقبة الشريفة آباءه السلاطين
العظام ووافق بهذه المزية آباءه وأجداده الكرام لا زال فائقا سلاطين العالم وخلفاءها وراقيا باقدام اقدامه عزمه ملوك الدنيا
وعظمائها هو العادل الظلام للمال والعدا ※ خزائنه قد أقفرت وديارها عليم بنور الله ينظر قلبه ※
فلم يخف أسرار القلوب استتارها به ملة الاسلام عال منارها ※ فلا زالت الافلاك تجرى بنصره ※
ولا زال عنه قطبها ومدارها ※(فصل فى ذكر كسوة الكعبة الشريفة قديما وحديثا وحكم بيعها وشرائها والتبرك بها)※ ذكر

الأزرقي وابن جريج رحمهما الله تعالى ان أول من كسى الكعبة تبع الحميري من ملوك اليمن في الجاهلية تعظيما لها واسم هذا التبع
أسعد وانه رأى في منامه أن يكسو الكعبة فكساها الانطاع ✱ ثم رأى انه يكسوها فكساها من حبر اليمن وجعل لها بابا يغلق وقال
أسعد في ذلك ✱ وكسونا البيت الذي حرم الله ✱ ملاء معصبا وبرودا ✱ وأقمنا منه الى حيث كنا ✱ ورفعنا لواءنا المعقودا
قال الأزرقي أيضا حدثني سعيد بن سالم عن ابن جريج عن ابن مليكة قال كان يهدى للكعبة هدايا شتى فاذا بلي شيء منها جعل فوقه
ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شيء ✱ وكانت قريش في الجاهلية ترافد في كسوة البيت فيضربون على القبائل بقدر احتمالهم من عهد
قصي بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم وكان متريا يتجر في المال فقال لقريش أنا أكسو
الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة وكان يفعل ذلك الى ان مات فسمته قريش العدل لانه عدل قريشا وحده في كسوة البيت الشريف ويقال لبنيه بنو العدل وقال أيضا أخبرني محمد بن يحيى عن الواقدي عن اسمعيل بن ابراهيم بن أبي حبيبة عن أبيه قال كسى النبي صلى الله عليه وسلم البيت الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي وكان يكسى كل سنة كسوتين فيكسو أولا الديباج قميصا يدلى عليها يوم التروية ولا يخاط ويترك الازار حتى يذهب الحاج لئلا يخرقوه فاذا كان الى عاشوراء علقوا عليها الازار وأوصلوه بالقميص الديباج فلا يزال عليها الى اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان فيكسوها الكسوة الثانية
وهي من القباطي ✱ فلما كان أيام خلافة المأمون أمر أن تكسى الكعبة ثلاث مرات فتكسى ثم
الديباج الاحمر يوم التروية وتكسى القباطي أول رجب وتكسى الديباج الابيض في عيد رمضان واستمر على ذلك ثم أنهي اليه
أن الازار الذي تكسى به الكعبة في العاشوراء ويلصق بالقميص الديباج الاحمر الذي يكسى به يوم التروية لا يصبر الى تمام السنة
وانه يحتاج أن يجدد لها ازار في عيد رمضان مع قميص الديباج الابيض الذي تكسى به على العيد فأمر أن تكسى ازارا آخر في
عيد رمضان ثم بلغ المتوكل على الله ان الازار يبلى قبل شهر رجب من كثرة مس أيادي الناس فزادها ازارا وأمر باسبال قميص
الديباج الاحمر الى الارض ثم جعل فوقه في كل شهرين ازارا وذلك في سنة أربعين ومائتين ✱ ثم بعد الخلفاء العباسيين وأيام وهنهم

✱(وفاة الشريف محمد بن بركات)✱

وفي سنة تسعمائة وثلاثة توفي الشريف محمد بن بركات في الحادي عشر من محرم بوادي مر الظهران وحمل الى مكة وصلي عليه ودفن بالمعلاة وبني عليه قبة ولما وصلوا به من الوادي الى مكة ضجت البلاد وغلقت الابواب وقرئت الربعات ستة أيام بالمسجد الحرام صباحا ومساء بحضرة الاشراف والقضاة والفقهاء وغيرهم وحزن عليه الناس وكانت وفاته مصيبة عظيمة على العباد ورثاه الشعراء بالمراثي وكانت مدة ولايته ثلاثا وأربعين سنة كما تقدم وكان رحمه الله جامعا لاشتات الفضائل حاويا لمحاسن الشمائل وكان الشيخ علي بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن مصاص من الصالحين المجاورين بمكة قال رأيت في المنام في أيام الشريف محمد بن بركات صاحب مكة ان الشريف المذكور توفي وان الشيخ عليا المذكور والرائي للرؤيا يغسله وكان دملا يخرج منه القيح ويسيل فاراد الشيخ علي ان يكتفي بذلك الغسل ويكفنه والقيح يسيل فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول له نقه نقاك الله قال فكررت غسله الى ان نظف ثم استيقظت فلما توفي الشريف محمد بن بركات المذكور ودعيت لغسله فرأيت الدمل الذي كنت رأيته في المنام ورأيته يخرج منه القيح فلا زلت أغسله حتى نظف وهذا يدل على صلاح مولانا الشريف محمد وصلاح هذا الرائي

✱(ولاية الشريف بركات بن محمد)✱

فتولى مكة بعده ابنه الشريف بركات ومولده سنة ثمانمائة واحدى وستين بمكة المشرفة ونشأ في كفالة والده وكان دخل القاهرة سنة ثمانمائة وثمانية وسبعين ورجع شريكا لوالده وأخذ في مصر على نحو أربعين شيخا وأجاز وأجازه بمكة جماعة وجاء التأييد له من سلطان مصر وأشرك معه أخوه هزاع في لبس الخلعة الثانية الواردة اليه ثم خالفه أخوه الشريف هزاع ومعه أخوه أحمد سنة تسعمائة وأربعة وتداخلا مع أمراء الحج فسعوا له في ولاية مكة وطلبوا له مرسوما بالولاية من سلطان مصر السلطان الغوري

✱(ولاية الشريف هزاع بن محمد بن بركات)✱

فجاء المرسوم بولاية هزاع ووقع بينه وبين الشريف بركات حرب بوادي مر فكسر فيه هزاع وقتل من أصحابه نحو الثلاثين ثم أعانه أمير الحج المصري فكثر القتال على الشريف بركات وأخذت محطته بما فيها فانهزم وذهب الى جدة ودخل الشريف هزاع مكة ثم ذهب الشريف بركات الى بدر وجمع جموعا فلم يأمن هزاع فخرج مع الحج المصري الى ينبع فدخل الشريف بركات مكة أواخر ذي الحجة

ثم تأهب لقتال هزاع وأقبل هزاع نحوه بجموع وعساكر فخرج لقتاله والتقيا بالبرقاء تاسع جمادى الاولى سنة تسعمائة وسبعة وقتل خلق كثير من الفريقين فانهزم الشريف بركات وتوجه الى الليث

• (وفاة الشريف هزاع) •

ودخل الشريف هزاع مكة وجاءته المراسيم والخلع من السلطان ثم مرض وتوفي خامس عشر رجب من السنة المذكورة

• (ولاية الشريف أحمد بن محمد بن بركات) •

فولي مكة أخوه أحمد بن محمد بن بركات الملقب بالجازاني وكان أيضا مغاضبا لاخيه بركات وكانت ولايته بمساعدة القاضي أبي السعود بن ظهيرة ومالك بن رومي شيخ طائفة زبيد وأعيان الشرفاء

• (رجوع الشريف بركات بن محمد لولاية مكة واعتذار صاحب مصر له) •

ثم وردت المراسيم والخلع من السلطان صاحب مصر للشريف بركات واعتذر اليه السلطان بأن ما وقع اغاه وعاطفه أمير الحج لاخويه فدخل مكة الشريف بركات وخرج منها أخوه الشريف أحمد الجازاني ثم قبض الشريف بركات على القاضي أبي السعود بن ظهيرة لاعانته الشريف أحمد الجازاني وأخذ أمواله وقتله تغريقا في البحر عند القنفذة ثم ان الشريف أحمد الجازاني جمع جموعا وقاتل مع أخيه الشريف بركات سنة ثمانية وتسعمائة فانهزم الشريف بركات وقتل ولده السيد ابراهيم ودخل مكة ثم خرج منها وتوجه الى اليمن ودخل مكة الشريف أحمد وصادر أهاليها وأخذ أموالهم وسبى الارقاء وأمهات الاولاد وحصل الخوف والنهب الكثير ثم عاد الشريف بركات وتحارب حادي عشر رمضان مع أخيه أحمد بالمعنى وانهزم الشريف بركات وتوجه الى الحسينية فتبعه أخوه أحمد بعسكره فاختلف الشريف بركات الطريق ودخل مكة ففرح به أهل مكة لما جرى عليهم من ظلم أخيه وعاهدوه على القتال معه وحفروا خندقا في أعلى مكة وفي أسفلها فعاد اليه أخوه أحمد ثالث عشر رمضان من أسفل مكة فقاتله الشريف بركات وأهل مكة معه وأظهر له المجاورون من الاروام الصدق فكسر والشريف أحمد بعد قتل جماعة من الفريقين وفر الى جهة جدة واستنجد بصاحب ينبع فأعانه بجيش بعثه له فتقوى به وقصد مكة في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة ودخل مكة من اذاخر فتلقاه الشريف بركات بمن معه من أهل مكة وقاتلوهم عند باب المعلاة قتالا شديدا وفر جماعة الشريف بركات وثبت معه الاروام والمجاورون وأبان ذلك اليوم عن شجاعة وقوة حتى انه كان تحته ذلك اليوم فرس تسمى بالجرادة وانه أخذ بها الخندق الذي حفره الاتراك حول سور المعلاة وكان عرضه سبعة

وضعفهم كانت كسوة الكعبة الشريفة تارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل سلاطين اليمن بحسب قوتهم وضعفهم الى ان استقرت الكسوة الشريفة من سلاطين مصر الى ان اشترى السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الناصر قلاوون قريتين بمصر ووقفهما على عمل كسوة الكعبة الشريفة اسمهما بيسوس وسندبيس ثم استمرت سلاطين مصر من بعده ترسل كسوة الكعبة في كل عام وكانوا يرسلون عند تجدد كل سلطان مع الكسوة السوداء التي تكسى من ظاهر البيت الشريف كسوة حمراء لداخل البيت الشريف وكسوة خضراء للحجرة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مكتوب على كل من الكسوة السوداء والحمراء والخضراء لا اله الا الله محمد رسول الله دالات في قلب دالات وقد زاد في حواشي تلك الدالات آيات أخر مناسبة أو أسماء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تترك ساذجة بحسب ما يؤمر النساج به فلما آلت سلطنة ممالك العرب الى سلاطين آل عثمان خلد الله تعالى أيام سلطنتهم القاهرة ما دام الدوران وأقام الزمان وأخذ المرحوم المقدس السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد خان عليه الرحمة والرضوان مملكة العرب من الجراكسة بالسيف والسنان جهزت كسوة المدينة الشريفة على ماجرت به العادة وأمر باستمرار الكسوة السوداء للكعبة الشريفة على الوجه المعتاد ولما آلت السلطنة الى المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أمر باستمرار الكسوة الشريفة على عوائدها السابقة ثم ان قريتي بيسوس وسندبيس الموقوفتين على كسوة الكعبة الشريفة تر تناقص مغل ريعهما عن الوفاء بمصروف الكسوة فأمر أن تكمل من الخزائن السلطانية بمصر ثم أضاف الى تلك القريتين الموقوفتين قرى أخر ووقفها على كسوة الكعبة الشريفة فصار وقفا عامرا فائضا مستمرا وذلك من أعظم مزايا السلاطين العظام التي يفتخرون بها على ملوك الانام ولا يصل الى ذلك الا أعظم السلاطين الفخام وهي الآن من مخصوصات سلاطين آل عثمان الكرام زين الله بمزاياهم اجياد الليالي والايام وخلد ذكر محاسنهم في صفحات دفاتر الدهر الى يوم القيامة ان شاء الله الملك العلام ﴿واما نزع كسوة الكعبة الشريفة وتقسيمها بين الناس﴾ فقد ذكر الازرقي رحمه الله تعالى قال حدثني جدي عن مسلم بن خالد عن أبي نجيح عن أبيه ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينزع

كسوة البيت في كل سنة فيقسمها على الحاج وقال أيضا حدثني جدي حدثنا عبد الجبار بن الورد المكي قال سمعت ابن أبي مليكة يقول كان على الكعبة الشريفة من كسوة الجاهلية ما بعضها فوق بعض فكلما كسيت في الإسلام من بيت المال خففت عنها تلك الكساوي شيأ فشيأ • وكان أول من ظاهر لها بكسوتين عثمان بن عفان رضي الله عنه فلما كان أيام معاوية بن أبي سفيان كساها الديباج مع القباطي ثم انه بعث اليها بكسوة ديباج وقباطي وحبر وأمر شيبة بن عثمان أن يجرد الكعبة عن الكساوي ويخلقها بالطيب ويلبسها ما بعث اليها فجردها وطيبها وطيب جدرانها بالخلوق وكساها تلك الكسوة التي بعث بها معاوية وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة وكان سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حاضرا في المسجد الحرام فما أنكر ذلك ولا كرهه قال وكان شيبة يكسو منها حتى رأى على امرأة حائض من كسوتها فأنكر ذلك عليها وقال أيضا حدثني محمد بن يحيى عن الواقدي عن عبد الحكيم ابن أبي فروة عن هلال بن اسامة عن عطاء بن يسار قال قدمت مكة معتمرا فجلست الى عبد الله في منبه زمزم وشيبة بن عثمان يجرد الكعبة ورأيته يخلق جدورها وطيبها ورأيت ثيابها التي جردها عنها قد وضعت بالأرض ورأيت شيبة بن عثمان يومئذ يقسمها فلم أر ابن عباس أنكر شيأ من ذلك مما صنع شيبة بن عثمان وقال أيضا حدثني جدي حدثنا ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى حدثنا علقمة عن أمه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ان شيبة بن عثمان دخل عليها وقال لها يا أم المؤمنين تكثر ثياب الكعبة عليها فتجردها عن خلقانها ونحفر لها حفرة فندفن فيها ما بلي منها كيلا يلبسها الحائض والجنب فقالت له عائشة رضي الله عنها ما أصبت فبئس ما صنعت فلا تعد الى ذلك فان ثياب الكعبة اذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من حائض ولكن بعها واجعل ثمنها في سبيل الله تعالى وابن السبيل ومذهب علمائنا رضي الله عنهم في ذلك رجوع أمره الى السلطان وقال الامام فخر الدين قاضي خان رحمه الله تعالى في كتاب الوقف من فتاواه ديباج الكعبة اذا صار خلقا يبيعه السلطان ويستعين به في أمر الكعبة لأن الولاية فيه للسلطان لا لغيره وفي تتمة الفتاوى عن الامام محمد رحمه الله تعالى في ستر الكعبة يعطى منه انسان فان كان شئ له ثمن لا يأخذه وان لم يكن له ثمن فلا بأس قال الامام نجم الدين الطرسوسي في منظومته

فحقدوا

أذرع وجعل يضرب في الجيش بسيفه فانهزموا وهو يضرب فيهم حتى أبعدهم وانهزموا راجعين الى ينبع ثم ان الشريف بركات خرج الى اليمن لأجل بعض الاصلاحات فقام الشريف أحمد ودخل مكة في غيبة الشريف بركات وأذل أهلها وعاقبهم أشد عقاب وأهانهم أشد اهانة وقتل خلقا كثيرا ونهب البيوت وسبى الأرقاء وأمهات الأولاد ورجع الى ينبع فصادف اقبال تجريدة من مصر الى مكة واجتمع بأميرها وجعل له ستين ألف أشرفي أحمر على ان يقبض على الشريف بركات ويوليه مكة فنزل ينبع ورجع الى مكة وكان قد رجع الشريف بركات من اليمن في ثالث عشر ذي القعدة فخرج الى ملاقاة التجريدة فقام أمير التجريدة على الشريف بركات بالزاهر ودخل مكة وهو لابس الخلعة وأمير التجريدة معه فلم يزالوا الى ان وصلوا مدرسة الأشرف قايتباي فقبض على الشريف بركات ومن معه من الأشراف وجعلهم في الحديد ونهبت بيوتهم وأخذت خيولهم وأثاثهم ونادى في البلد للشريف أحمد الجازاني وحج بهم أمير التجريدة وهم في الحديد ثم رجع بهم الى مصر فتعجب السلطان الغوري لذلك وأمر باطلاقهم من الحديد وأنزل الشريف بركات في منزل خاص به هو ومن معه من الأشراف ثم ان الشريف بركات ما زال ينتهز الفرصة حتى أمكنه الله ففر الى مكة أواخر سنة تسعمائة وثمانية وفي تاريخ الرضي سنة تسعمائة وتسعة ولم يشعر به الغوري الا بعد يومين فأرسل خلفه فلم يلحقه فبالغ في التحفظ على من بقي بمصر من الأشراف وجعل عليهم حرسا وأخرج الحاج في هذه السنة بقوة عظيمة من العسكر والمدافع خوفا من الشريف بركات فلما بلغ ذلك الشريف بركات بعث مكاتيب لأمير الحج يؤمنه ويأمره بالحج على أمن الأحوال ويعرفه انه من خدمة السلطان ولا يحصل منه شئ في أمر الحاج فلما بلغ هذا الخبر السلطان رضي عنه وجهز اليه عياله وجميع ما كان له بمصر وفي غيبته هذه عن مكة قتلت الأروام المقيمون بمكة أخاه الشريف أحمد صاحب مكة في الطواف يوم الجمعة عاشر رجب

﴿ولاية الشريف حميضة بن محمد بن بركات﴾

وبعد دفنه ألبس الأمير علي العساكر أخاه السيد حميضة خلعة لولاية مكة وأقامه على الحجاز حتى يأتي أمر السلطان من مصر وكتبوا الى السلطان الغوري بذلك ثم ان الشريف حميضة قابل أمير الحج المصري ولبس الخلعة الواردة وحج بالناس ذلك العام وأما الشريف بركات فانه سار من ينبع الى المدينة ثم منها الى الشرق فنزل على السيد حيدان بن شامان الحسيني وكان بعض الأشراف من بني حسن خطب ابنة الشريفة عيشة بنت حيدان فقبله وفي الحي زير يضرب وقد تهيؤوا للزواج ولم يبق الا العقد فسأل الشريف بركات من العريس ان يسمح له بهذه البنت فيتزوجها فسمح له بها

وماعلى الكعبة من لباس • ان رث جاز بيعه للناس ولا يجوز أخذه بلا شرا • للاغنيا لا ولا للفقرا وقال الامام الفقيه أبو بكر الحدادي في السراج الوهاج لا يجوز قطع شيء من كسوة الكعبة ولا نقله ولا بيعه ولا شراؤه ولا وضعه بين أوراق المصحف ومن حمل شيأ من ذلك فعليه رده ولا عبرة بما يتوهمه انهم يشترون ذلك من بني شيبة فانهم لا يملكونه • فقد روي عن ابن عباس وعائشة انهما قالا يباع ذلك ويجعل ثمنه في سبيل الله تعالى انتهى • وقد ورد في الحديث لولا حداثة قومك بكفر لانفقت كنز الكعبة في سبيل الله قال القرطبي من علماء المالكية رحمه الله تعالى كنز الكعبة المال المجتمع مما يهدى به من الذهب والفضة لان حليتها حبس عليها كحصرها وقناديلها لا يجوز صرفها في غيرها انتهى فعلى قول القرطبي يكون كسوتها أيضا حبسا عليها كحصرها وقناديلها فلا يملكها انتهى وقال الزركشي من علماء الشافعية رحمهم الله تعالى في قواعده قال ابن عبدان امتنع من بيع كسوة الكعبة وأوجب رد من حمل منها شيأ وقال ابن الصلاح مفوض الى رأي الامام والذي يقتضيه القياس أن العادة استقرت قديما بأنها تبدل كل سنة ويأخذ بنو شيبة تلك العتيقة فيتصرفون فيها بالبيع وغيره والذي يظهر لي أن كسوة الكعبة الشريفة ان كانت من قبل السلطان من بيت مال المسلمين فأمرها راجع له يعطيها لمن شاء من الشيبيين أو غيرهم وان كانت من أوقاف السلاطين وغيرهم فأمرها راجع الى شرط الواقف فيها فهي لمن عينها له وان جهل شرط فيها عمل فيها على ما جرت العوائد السابقة فيها كما هو الحكم في سائر الاوقاف وكسوة الكعبة الآن من أوقاف السلاطين ولم يعلم شرط الواقف فيها وقد جرت عادة بني شيبة انهم يأخذون لانفسهم الكسوة العتيقة بعد وصول الكسوة الجديدة فيبقون على عادتهم فيها والله تعالى أعلم • وللعلماء المتأخرين رسائل في حكم كسوة الكعبة لم يتيسر لي الآن الوقوف على شيء منها

•(الباب الثالث في بيان ما كان عليه وضع المسجد الحرام في أيام الجاهلية وصدر الاسلام وبيان ما أحدث فيه من التوسع والزيادة في زمان خلافة سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومن خلافة سيدنا عثمان بن عفان وزمن سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم وهدم عبد الله بن الزبير بناء قريش للكعبة واعادتها على قواعد ابراهيم عليه السلام ثم هدم الحجاج جانب الحجر

فقدوا بها على الشريف بركات

﴿زواج الشريف بركات بالشرق﴾

فدخل بها الشريف بركات فحملت منه بالشريف أبي نمي ابن بركات

﴿ولادة الشريف أبي نمي ابن بركات سنة ٩١١ ليلة ٩ من ذي الحجة﴾

فولدت له الشريف أبا نمي المذكور ليلة التاسع من ذي الحجة سنة تسعمائة واحدى عشرة ونرجع الى اتمام الكلام الاول فنقول انه لما كان يوم التروية سنة تسعمائة وثمانية هجم الشريف بركات بمن معه من العرب من عنيبة وغيرهم على مكة وشرعت العرب في النهب فأرسل الامراء للشريف بركات وخمد والمان يأخذوا له من أخيه حميضة خمسة آلاف دينار فقال حميضة مالي قدرة فأعطاه الامراء من مال الصر الذي جاؤا به فكف العرب ودخل مكة وهرب الشريف حميضة ثم ان السلطان الغوري أرسل بالتفويض الى الشريف بركات سنة تسعمائة وعشرة وان المعول في الامور عليه • ثم امر ان يخلع على أخيه قايتباي ويدعى له ولابنه علي بن بركات وتختص الشريف بركات بالدعاء على المنبر وفي سنة تسعمائة وثلاثة عشر خرج الشريف بركات لقتال مالك بن رومي الزبيدي الذي كان سببا في نهب مكة زمن أخيه أحمد الجازاني ووصل الى جبل الروحا وقتل مالك بن رومي وأولاده الثلاثة وأخاه مقبل وبن روحي وطائفة كثيرة منهم وبعث برؤسهم الى الغوري ونصبت على أبواب مصر وحصل بذلك غاية الفرح للسلطان الغوري

﴿وفاة علي بن بركات بن محمد بن بركات﴾

وفي هذه السنة توفي علي بن بركات فجعل الشريف بركات عوضه أخاه محمد بن بركات وكان كل منهما يلبس معه الخلعة أعني محمدا وقايتباي وفي سنة تسعمائة وخمسة عشر بعث مولانا الشريف السيد عرار بن عجل الى السلطان الغوري بهدية من جملتها عشرون عبدا حبشيا وعشرون ألف دينار ذهبا وعشرون فرسا وللدويدار ثلاثة آلاف دينار فقابلهم السلطان وخلع عليه وعلى من معه وأرسل الى مولانا الشريف خلعة وهدية سنية وخاطبه بخطاب بليغ وفوض اليه جميع أمور الاقطار الحجازية حتى ينبع وغيرها وحصل بمكة فرح عظيم

﴿وفاة قايتباي بن بركات بن محمد بن بركات﴾

وفي سنة تسعمائة وثمانية عشر توفي السيد قايتباي وفي شهر ربيع الاول من هذه السنة أرسل السلطان الغوري يطلب الشريف بركات الى عنده فأرسل يعتذر اليه وأرسل ابنه أبا نمي ابن بركات بدله الى مصر ومعه السيد عرار بن عجل وقاضيا مكة صلاح الدين بن ظهيرة الشافعي ونجم الدين بن

والميزاب من الكعبة واعادتها على ما بنته قريش فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه الشريف)* اعلم ان الكعبة الشريفة لما بناها سيدنا ابراهيم عليه السلام لم يكن حولها دار ولا جدار احتراما للكعبة الشريفة فلما آل أمر البيت الى قصى ابن كلاب واستولى على مفتاح الكعبة كما تقدم بيانه جمع قصى قومه وأمرهم ان يبنوا بمكة حول الكعبة الشريفة بيوتا من جهاتها الاربع وكانوا يعظمون الكعبة ان يبنوا حولها بيوتا أو يدخلوا مكة على جنابة وكانوا يقيمون بها نهارا فاذا أمسوا خرجوا الى الحل فقال لهم قصى ان سكنتم حول البيت هابتكم الناس ولم تستحل قتالكم والهجوم عليكم وبدأ هو وبنى دار الندوة فى الجانب الشامى كما تقدم بيانه ويقال (٥٠) انها مقام الحنفية الذى يصلى فيه الآن الامام الحنفى الصلوات الخمس وقسم قصى باقى الجهات بين قبائل قريش فبنوا دورهم وشرعوا أبوابها الى نحو الكعبة الشريفة وتركوا للطائفين مقدار المطاف الشريف بحيث يقال ان القدر المفروش الآن بالحجر المنحوت الى حاشية المطاف الشريف وجعلوا بين كل دارين من دورهم مسلكا شارعا فيه باب يسلك منه الى بيت الله تعالى ثم كثرت البيوت واتصلت الى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فولد صلى الله عليه وسلم على أشهر الاقوال بشعب بنى هاشم بقرب المحل المسمى الآن شعب على وكان صلى الله عليه وسلم يسكن دار سيدة النساء أم المؤمنين خديجة الكبرى رضوان الله عليها ثم لما ظهر الاسلام وكثر المسلمون استمر الحال على ذلك الوضع فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وزمان خليفته أبى بكر الصديق رضى الله عنه ثم زاد ظهور الاسلام وتكاثرت المسلمون فى زمن أمير المؤمنين عمر الى الفاروق رضى الله عنه فرأى انه يزيد فى المسجد الحرام فأول زيادة زيدت فى المسجد الحرام زيادته رضى الله عنه *(فنبدأ بذكرها فنقول)* روينا بالسند المتصل المذكور سابقا فى المقدمة عن الامام أبى الوليد الازرقى قال أخبرنى جدى قال أخبرنا مسلم بن خالد عن ابن جريج قال كان المسجد الحرام ليس عليه جدران تحيط به وانما كانت دور قريش محدقة به من كل جانب غير أن بين الدور أبوابا يدخل منها الناس الى المسجد الحرام * ولما كان زمان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضاق المسجد بالناس ولزم توسيعه اشترى دورا حول المسجد وهدمها وأدخلها فى المسجد وبقيت دور احتيج الى ادخالها فى المسجد وأبى أصحابها من بيعها

يعقوب المالكى وولداه القاضى محمد والقاضى تاج الدين وجملة من القواد فتوجهوا الى مصر ومعهم السيد أبو نمى وعمره اذ ذاك ثمانى سنين فلما دخلوا مصر قابلهم السلطان الغورى بالاعزاز والاكرام وأجلس السيد أبا نمى على حجره وقبل يده وفرح به غاية الفرح وكان السلطان الغورى يتجهز للخروج الى قتال فسأل السيد أبا نمى ما سورتك فقال انا فتحنا لك فتحا مبينا فاستبشر الغورى بذلك ثم جعله شريكا لوالده فى أمر مكة وجدة وينبع وسائر الاقطار الحجازية وكتب له توقيعا شريفا بكل ذلك وأعاده الى والده وأكثر الشعراء المدائح والتهنئة وكان يدعى لهما على المنابر وفى سنة تسعمائة وعشرين حج زوجة السلطان الغورى ومعها ولده محمد وكاتم السر محمود فأكرمهم مولانا الشريف بركات وقام بكل ما يحتاجونه أتم قيام وسألاه ان يتوجه معهم الى مصر ليجازوه على فعله فسار معهم وأكثر شعراء مصر من مدائح الشريف بركات بقصائد كثيرة لما وصل الى مصر وكانت هذه ثالث مرة لدخوله مصر وأكرمه السلطان وأجزل بره والاحسان اليه ثم رجع الى مكة فى شهر رجب من العام المذكور وزينت مكة لقدومه وكان يوم قدومه أكبر فرح

(ذكر قتال السلطان الغورى والسلطان سليم خان وفقد سلطان مصر سنة ٩٢٢)

وفى سنة اثنين وعشرين كان القتال بين السلطان الغورى والسلطان سليم ملك القسطنطينية بمرج دابق وكسرت الجراكسة وفقد السلطان الغورى فى المعركة تحت سنابك الخيل وذلك كله مبسوط فى التواريخ ودخل السلطان سليم مصر يوم الجمعة غرة محرم الحرام سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وكان السلطان سليم كثير المحبة لاهل الحرمين وهو أول من رتب لهم صدقة الحب ولما فرغ من أمر مصر أراد أن يجهز جيشا الى مكة المشرفة وكان بالديار المصرية القاضى صلاح الدين ابن أبى السعود بن ظهيرة معتقلا لان الغورى طلب منه عشرة آلاف دينار فجهز قاصدا يحمله الى مصر واعتقله ثم أطلقه السلطان سليم لما دخل مصر فلما بلغ القاضى تجهيز الجيش اجتمع بوزير مولانا السلطان سليم وعرفه عظمة صاحب مكة ومنزلته من الشرف وانه من خدم مولانا السلطان وان الرأى ارسال مكتوب اليه ولا تبدو منه مخالفة أبدا ولا يحتاج الى تجهيز جيش فاستقر الحال على ارسال توقيع شريف لمولانا الشريف بركات بابقاء الشريف أبى نمى على شركة أبيه نظير توقيع السلطان الغورى وكتب القاضى صلاح الدين لمولانا الشريف يعرفه بما وقع ويسأل منه ارسال ابنه الشريف محمد أبى نمى الى الحضرة السلطانية يتشرف بالقائه ويكون دليلا على الرضا والبقاء فقبل الشريف ذلك فلما وصل اليه الامر السلطانى أرسل ابنه أبا نمى وأطلق السلطان سليم الجماعة الذين كانوا بمصر من أعيان مكة فى حبس الغورى وأرسل بهم بعد اكرامهم

الى مكة

•(ابتداء المحمل الرومى سنة ٩٢٣)•

وأرسل الامير مصلح بيك بمحمل رومى وكسوة للكعبة وصدقات ولما وصل الشريف أبونمى الى مصر قابله السلطان سليم بالاجلال والاكرام وأعاده شريكا لوالده وعمره اذذاك اثنا عشرة سنة وبعث معه أمرا سلطانيا بقتل حسين الكردى صاحب جدة من جهة الغورى وهو أول من بنى السور على جدة وولى على جدة الخواجا قاسم الشروانى فجاء بالامر السيد عرار ونزل جدة وأغرق حسين الكردى المذكور فى البحر بعد ان ربط فى ظهره صخرة ولما ان قدم الامير مصلح بيك بالمحمل الرومى والامير العلائى بالمحمل المصرى خرج الشريف للقائهما هو وابنه فى عرضة من قومه فالتقوا فى الزاهر ولبسا الخلعة وسار امع الامراء والمحمل خلفهما الى ان أوصلاهما الى باب السلام فأدخل المحملان الحرم وجعل أحدهما على يمين مدرسة الاشرف قايتباى والآخر على يسارها وسكن الامير مصلح المدرسة وسكن الامير المصرى رباطا كان فى مسيل الوادى هدم بعد ذلك لتوسعة المسيل وفرقت الصدقة الرومية لاربع مضين من ذى الحجة سنة تسعمائة وثلاثة وعشرين فى الحرم على الفقراء والمجاورين من أهل مكة وقرر فيها الصاحب مكة خمسمائة دينار ثم فرقت الذخيرة وهى صدقة كانت تخرج من خزينة مصر تخرجها الجراكسة فأبقاها مولانا السلطان سليم تفرق على العربان أصحاب الادراك وفقراء أهل مكة ثم فرقت صدقة الاوقاف المصرية ويسمى الصر الحكمى وارتجع فى تلك السنة المحمل الشامى وخطب يوم التروية الشريف النواكيرى ودعا لحضرة مولانا السلطان سليم وخطب بعرفة قاضى مكة القاضى صلاح الدين بن ظهيرة ودعا للسلطان فى الموقف الاعظم

•(أول ورود حب الصدقة لاهل مكة سنة ٩٢٣)•

ثم وصلت الى بندر جدة مراكب من السويس فيها سبعة آلاف أردب قمح وهو أول حب ورد لاهل مكة فكتب جميع بيوت أهل مكة الا السوقة والتجار ووزع عليهم ذلك الحب وكان المتولى لذلك الامير مصلح قال العلامة السنجارى وقد تزايد هذا الحب ولله الحمد حتى صار معاش أهل مكة منه فان السلطان سليمان زاد على ذلك ثلاثة آلاف أردب والسلطان مراد بن سليم بن سليمان زاد خمسة آلاف أردب فيجب على أهل مكة وسائر الاقطار الاسلامية الدعاء من صميم الفؤاد بدوام هذه الدولة الشريفة العثمانية أدامها الله تعالى الى يوم القيامة وعمر الامير مصلح مقام السادة الحنفية ولما فرغ توجه الى المدينة المنورة لاجراء الصدقات ثم الى مصر ثم الى الروم

فقال لهم عمر رضى الله عنه أنتم نزلتم فى فناء الكعبة وبنيتم بدوركم ولا تملكون فناء الكعبة ومازالت الكعبة فى سوحكم وفنائكم فقومت الدور وجعل ثمنها فى جوف الكعبة ثم هدمت وأدخلت فى المسجد ثم طلب أصحابها الثمن فسلم اليهم ذلك وأمر ببناء جدار قصير أحاط بالمسجد وجعل فيه أبوابا كما كانت بين الدور وقبل ان تهدم جعلها فى محاذاة الابواب السابقة • ثم كثر الناس فى زمان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فأمر بتوسعة المسجد واشترى دورا حول المسجد هدمها وأدخلها فى المسجد وأبى جماعة عن بيع دورهم فعمل كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهدم دورهم وأدخلها فى المسجد فضج أصحاب الدور وصاحوا فدعاهم وقال انما جرأكم على حلمى عليكم ألم يفعل ذلك بكم عمر رضى الله عنه فاحتج به أحد ولا صاح عليه وقد احتذيت حذوه فضجرتم منى وصحتم على ثم أمر بهم الى الحبس فتشفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فتركهم ولم يذكر الازرقى رحمه الله متى كانت زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ولا زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنهما • وذكر ابن جرير الطبرى وابن الاثير الجوزى فى تاريخهما ان زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانت فى سنة سبع عشرة من الهجرة بتقديم السين وان زيادة أمير المؤمنين عثمان بن عفان فى سنة ست وعشرين من الهجرة • أقول زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعمارته للمسجد كانت عقب السيل العظيم سنة سبع عشرة من الهجرة وتخريبه معالم الحرم الشريف ويقال لذلك السيل سيل أم نهشل • قال شيخ شيوخنا حافظ عصره الشيخ عمر بن الحافظ التقى محمد بن فهد الهاشمى العلوى رحمهم الله تعالى فى كتاب اتحاف الورى باخبار أم القرى فى حوادث سنة سبع عشرة فيها جاء سيل عظيم يعرف بسيل أم نهشل من أعلى مكة من طريق الردم فدخل المسجد الحرام واقتلع مقام ابراهيم من موضعه وذهب به حتى وجد بأسفل مكة وعمى مكانه الذى كان فيه لما عفاه السيل فأتى به وربط بلصق الكعبة فى وجهها وذهب السيل بام نهشل بنت عبيدة بن سعد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب فماتت فيه واستخرجت بأسفل مكة وكان سيلا هائلا فكتب بذلك الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو بالمدينة الشريفة فهاله ذلك وركب فزعا الى مكة فدخلها بعمرة فى شهر رمضان فلما وصل الى مكة وقف على حجر

•(وفاة السلطان سليم سنة ٩٢٦)•

وتوفي السلطان سليم سنة تسعمائة وستة وعشرين وتولى ابنه مولانا السلطان سليمان وأرسل بالتأييد لصاحب مكة مولانا الشريف بركات وابنه السيد أبو نمي

•(وفاة الشريف بركات سنة ٩٣١)•

واستمر الشريف بركات الى ان توفي رابع عشر ذي الحجة وفي تاريخ الرضي لست بقين من ذي القعدة سنة تسعمائة واحدى وثلاثين وصلي عليه تجاه الكعبة وطيف به سبعا ودفن بالمعلاة وبني عليه قبة وله من العمر احدى وسبعون سنة وكانت مدة ولايته استقلالا ومشاركة لابيه وولده واخوته نحو ثلاث وخمسين سنة وخلف كثيرا من الاولاد أعظمهم وأعلاهم قدرا الشريف أبو نمي

•(ولاية الشريف أبي نمي استقلالا بعد وفاة أبيه وعمره عشرون سنة)•

فولي مكة بعد وفاة أبيه وتقدم ان ولادته كانت سنة احدى عشرة وتسعمائة وكان ذا جد واقبال وسعد يستمد به في جميع الاحوال وكان والده الشريف بركات يضع يده على ناصية ابنه أبي نمي ويقول لم تزل الاكدار علي متوالية حتى ظهرت هذه الناصية وقد أعز الله الشريف أبا نمي هذا وأعلاه ورفع شأنه وجعل له من الذكر والصيت مالم يكن لاحد من اسلافه وآبائه شارك والده في ولاية مكة وعمره ثمان سنين ثم أبقاه السلطان سليم على المشاركة ثم استقل باعباء سلطنة الحجاز بعد موت أبيه وعمره اذ ذاك عشرون سنة وجاءته المراسيم السلطانية العلية بتأبيد ولايته فاز الفتن وأجمع بمكة وجه الزمن ولم يزل متمتعا بمكارم الشيم ودانت له رقاب الامم وفي سنة تسعمائة وأربعة وأربعين توجه الشريف أبو نمي لاخذ جازان وصاحبها اذ ذاك عامر بن عزيز فأخذها الشريف وفر صاحبها وأقام بها الشريف قائدا من جهته يضبطها ورجع ظافرا منصورا واستمرت في حكمه الى سنة تسعمائة وخمسة وأربعين فلما مر بها سليمان باشا راجعا من اليمن أخرج منها قائد الشريف وأقام فيها نائبا من جهته وأضافها الى ما افتتحه من اليمن ثم ورد سليمان باشا مكة فواجهه الشريف ليلة دخوله في الحجر ولما أراد التوجه الى مصر بعث معه الشريف أبو نمي ابنه السيد أحمد فقابله مولانا السلطان سليمان وصحبته السيد عرار بن عجل والقاضي تاج الدين المالكي فوصلوا الروم واجتمعوا بمولانا السلطان سليمان ففرح بهم وأجلس السيد أحمد بن الشريف أبي نمي مسامتا له على يساره وأحسن اليهم وأشرك السيد أحمد مع أبيه في امرة مكة

•(جد الاشراف آل منديل وآل سرار)•

المقام وهو ملصق بالبيت الشريف ثم قال أنشد الله عبدا عنده علم في هذا المقام فقال المطلب بن أبي وداعة السهمي رضي الله عنه انا يا أمير المؤمنين عندي علم ذلك فقد كنت أخشى عليه مثل هذا الامر فأخذت قدره من موضعه الى باب الحجر ومن موضعه الى زمزم بقماط وهي عندي في البيت فقال له عمر رضي الله عنه اجلس عندي وأرسل اليها من يأتي بها فجلس عنده وأرسل اليها فأتي بها فقيس ووضع حجر المقام في هذا المحل الذي هو فيه الآن واحكم ذلك واستمر الى الآن قال وفيها وسع أمير المؤمنين رضي الله عنه الردم الذي بأعلى مكة فوق المسجد وبناه بالضفائر والصخر العظام وكبسه بالتراب فلم يعلم سيل بعد ذلك غير انه جاء سيل عظيم في سنة اثنتين ومائتين وكشف عن بعض أحجاره وشوهدت فيه صخار عظيمة كبيرة لم ير مثلها والاقدمون يسمون هذا الردم ردم بني جمح بضم الجيم وفتح الميم وبعدها حاء مهملة وهم بطن من قريش نسبوا الى جمح بن عمرو بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك • أقول المراد بهذا الردم الموضع الذي يقال له الآن المدعا وهو ما كان يرى منه البيت الشريف أول ما يرى وكان الناس يرونه خصوصا من يريد الحج من ثنية كداء وهي الحجون اذا وصلوا هذا المحل شاهدوا منه البيت الشريف والدعاء مستجاب عند رؤية بيت الله تعالى وكانوا يقفون هناك للدعاء واما الآن فقد حالت أبنية عن رؤية البيت الشريف ومع ذلك يقف الناس للدعاء فيه على العادة القديمة وعن يمينه ويساره ميلان للاشارة الى انه المدعا • قال مولانا القاضي جمال الدين محمد أبو البقاء بن الضياء الحنفي في كتاب البحر العميق في مناسك الحج الى بيت الله العتيق انه كان يرى في زمانه رأس الكعبة لا كلها من رأس الردم يعني المدعا فاذا والسيد ظاهر له يقف ويدعو ويسأل الله حوائجه فان الدعاء مستجاب عند رؤية البيت • ونقل حافظ الدين النسفي في المنافع عن صاحب الهداية رحمهما الله تعالى انه استوصى عن شيخ سماه له فقال له اذا وصلت المدعا من كدا ورأيت الكعبة فادع الله تعالى ان يجعلك مستجاب الدعاء لمن قال ان من زارها ودعا كانت دعوته مستجابة انتهى • وكان القاضي أبو البقاء بن الضياء المذكور في أواسط المائة التاسعة ووفاته في سنة أربع وخمسين وثمانمائة ولا شك ان من عهد الصحابة رضي الله عنهم الى زمانه كان الناس يقفون ويدعون عنده لمشاهدتهم الكعبة ولا أعلم هل وقف النبي صلى الله عليه وسلم أم لا وكان ذلك المحل غير مرتفع في عهده صلى الله

عليه وسلم ومارفعه الاسياد نا عمر رضي الله عنه بالردم الذي بناه وارتفع عن الارض فصار البيت الشريف يشاهد منه حينئذ فوقف الناس عنده بعد ذلك لمشاهدة البيت الشريف منه ولكني أنظر في جميع عمري في المدعا او وقف فيه تبركا فالالآن استمرار وقوف الناس بهذا المحل الشريف والدعاء فيه تبركا بوقوف من سلف للدعاء فيه والله تعالى أعلم • ولما ردم هذا المكان صار السيل اذا وصل من أعلى مكة لا يعلو هذا المكان بل كان ينصرف عنه الى جهة الشمال للبناء الذي بناه عمر رضي الله عنه فلا يصل هذا السيل الى المسعى ولا الى باب السلام الى الآن وصارت هذه الجهة من يومئذ الى اثناء هذا مرتفعة عن ممر السيل وصار السيل الكبير كله ينحدر الى جهة سوق الليل ويمر بالجانب الجنوبي من المسجد الى ان يخرج من أسفل مكة وهذا السيل وادي ابراهيم ويكاد يمنع جريان هذا السيل الى مكة سيل آخر يعترضه يسمى سيل جياد وعسر عرضنا الى ان يصدم الركن اليماني من المسجد وينصرف الى أسفل مكة ولو قد جريان هذا السيل يمنع من جريان سيل وادي ابراهيم فيقف ويتراكم ويدخل المسجد الحرام ويقع مثل هذه السيول بمكة في كل عشرة أعوام تقريبا مرة فيدخل المسجد الحرام ويحتاج الناس الى التنظيف وتبديل الحصى ونحو ذلك وقد عمل المتقدمون والمتأخرون لذلك طرقا واهتموا لذلك غاية الاهتمام واندثرت أعمالهم اطول الزمان ولم يتفطن الملوك بعدهم لذلك فاستمرت السيول العظيمة بعد كل مرة تدخل المسجد ولنا الآن بصدد شرح ذلك ﴿واما زيادة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه في المسجد الحرام﴾ فقد ذكرها الامام أقضى القضاة الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية وغيره من الائمة المعتمدين رحمهم الله تعالى وفي كلام بعضهم زيادة على بعض فقالوا اما المسجد الحرام فكان فناء حول الكعبة وفضاء للطائفين ولم يكن له على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه جدار يحيط به وكانت الدور محيطة به وبين الدور أبواب تدخل الناس من كل ناحية فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكثر الناس وسع المسجد واشترى دورا وهدمها وزادها فيه واتخذ للمسجد جدارا قصيرا وكانت المصابيح توضع عليه وكان عمر رضي الله عنه أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام فلما استخلف عثمان رضي الله عنه ابتاع منازل ووسعه بها أيضا وبنى المسجد الحرام والاروقة فكان عثمان أول من اتخذ

والسيد أحمد هذا هو جد السادة آل منديل وآل حراز وتوفى السيد عرار هنالك وتوعك السيد أحمد فلم يرجع من عامه ورجع سنة تسعمائة وسبعة وأربعين ولاقاه والده الشريف أبو نمي من وادي مر الظهران ومدله سماطا هنالك ودخل مكة غرة ربيع الاول وقرأ توقيعه بالحطيم يوم العاشر من ربيع والبس الخلعة السلطانية وطاف بها والمؤذن يدعو له ولوالده وامتدحه الادباء والشعراء بالشعر الرائق

•(ذكر قتال الشريف أبي نمي الافرنج بجدة)•

ومن مناقب الشريف أبي نمي قتاله الافرنج وذلك انه في سنة تسعمائة وثمانية وأربعين خرجت طائفة عظيمة من الافرنج وضربت غالب البنادر ثم قصدوا جدة في أواخر السنة ونزلوا المرمى المعروف بابي الدوائر في خمسة وثمانين برشة مشحونة بالرجال والسلاح فقاتلهم مولانا الشريف أبو نمي بنفسه وترك الحج ونزل الى جدة في جيش عظيم بعد ان أمر بالنداء في نواحي مكة من جميع اهله آمرا بالجهاد وعينا السلاح والنفقة فبلغ أهل الجهاد مبلغا عظيما لا يعد ولا يحد ونفقة مولانا الشريف شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين فشاهدوهم يزيدون عددا وعددا وعيشا رغدا وخدم مولانا الشريف يتوجهون الى أطراف البلاد ويحضرون بأنواع الطعام باغلا ثمن حتى فرغت الحبوب وكادت تعدم فاقبلوا على نحر الابل فكانوا ينحرون لكل مائة نفس بدنة فاستمر ذلك مدة فقال بعض الناس لمولانا الشريف ان هذا الفعل يستأصل ما عندك من الابل فأجابه باني نويت ان أنحر ما أملكه ويملكه أولادي وأحفادي واذا نفدت الابل نحرت الخيل ثم كل حيوان يجوز أكله ولما قرب زمن الحج برز أمره الى ابنه الشريف أحمد ان يقابل الامراء ويلبس الخلع الواردة ويحج بالناس على عادة أجداده فلما وصل أمراء الحج وبلغوا ما قصدوه توجهوا لقاء مولانا الشريف أبي نمي بجدة لالباسه الخلع فقابلهم ولاقاهم وهو شاكي السلاح لا يبادرونه على هيئة المقاتل ولما ان قرب الامراء أمر باطلاق المدافع فاطلق لقابلتهم نحو ثمانمائة مدفع فالبسوه الخلع الواردة صحبتهم وانصرفوا راجعين ولما رأى الافرنج صبره وحصاره لهم انقلبوا خائبين مخذولين ولما بلغ مولانا السلطان سليمان ذلك زاد في اكرام المشار اليه وسمح له بنصف معلوم جدة الى غير ذلك من الانعامات التي لا تحصر

•(فتنة بين الشريف أبي نمي وأمير الحج محمود باشا سنة ٩٥٨)•

وفي سنة تسعمائة وثمانية وخمسين وقعت فتنة عظيمة بين الشريف أبي نمي وأمير الحاج محمود باشا وذلك ان محمود باشا سولت له نفسه الهجوم على الشريف أبي نمي يوم النحر وقتله هو وأولاده في ساعة واحدة فظفرهم الله به ووقع في أيديهم وأرادوا قتله ثم ان الشريف خشي على الحاج فامسك

المسجد الازرقي انتهى (وقال الحافظ النجم عمر بن فهد في تاريخه في حوادث سنة ست وعشرين فيها اعتمر امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه من المدينة فأتى ليلا فدخل فطاف وسعى وأمر بتوسيع المسجد الحرام فذكر ماقدمناه قال وجدد أنصاب الحرم وكلم أهل مكة عثمان رضي الله عنه أن يحول الساحل من الشعيبة وهي ساحل مكة قديما في الجاهلية الى ساحلها اليوم وهي جدة لقربها من مكة فخرج عثمان رضي الله عنه الى جدة ورأى موضعها وأمر بتحويل الساحل اليها ودخل البحر واغتسل فيه وقال انه مبارك وقال لمن معه ادخلوا البحر للاغتسال ولايدخله أحد الا بمئزر ثم خرج من جدة على طريق عسفان الى المدينة وترك الناس ساحل الشعيبة من ذلك الزمان (٥٤) واستمرت جدة بندرا الى الآن لمكة شرفها الله تعالى وهي على مرحلتين طويلتين من مكة بسير الاثقال تستوعب احداهما الليل كله في أيام اعتدال الليل والنهار وتزيد المرحلة الثانية على جميع الليل بشيء قليل وأما الراكب المجد والساعي على قدميه فيقطعهما في ليلة واحدة ومارأيت من علمائنا من صرح بجواز القصر فيها بل رأيت من أدركت من مشايخي الحنفية كانوا يكملون الصلاة فيها وأما أنا فأرى القصر فيها لان مدة القصر عندنا ثلاث مراحل يقطع كل مرحلة في أكثر من نصف النهار من أقصر الايام بسير الاثقال وهاتان المرحلتان تكونان على هذا الحساب ثلاث مراحل فأزيد ثم رأيت في موطا الامام مالك رضي الله عنه حديثا صحيحا يدل على صحة ماجنحت اليه صورته عن مالك أنه بلغه ان ابن عباس كان يقصر الصلاة في مثل مابين مكة والطائف وفي مثل مابين مكة وعسفان وفي مثل مابين مكة وجدة والله أعلم (ثم وقعت زيادة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه) هو صحابي ابن صحابي أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ذات النطاقين وخالته عائشة الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها ولد بالمدينة بعد عشرين شهرا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وهو أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحا شديدا لان اليهود زعموا انهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم ولد وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها وسماه عبد الله وكناه أبا بكر باسم جده الصديق رضي الله عنه وكان صواما قواما طويل الصلاة وصولا للرحم عظيم الشجاعة قويا قسم الليالي الى ثلاث فليلة يصلي قائما الى الصبح وليلة

عن قتله وأمر باطلاقه ثم ذهب الشريف ليلة النفر الى مكة والناس في أمر مريج فلم يرد ذلك الجبار الا طغيانا فنادى ان الشريف معزول فلما سمع الاعراب ذلك نهبوا الحجاج وأخذوا أموالا كثيرة وعزموا على أخذ مكة أيضا فبلغ ذلك الشريف وعلم هلاك الحجاج فركب بنفسه وأثخن في العرب الجراح وقتل بعضهم فخمدوا واستمر أمير الحاج بمكة والناس في أمر مريج بحيث عطلت أكثر شعار الحج ورحل كثير من الحجاج من غير رمي للجمار ثم رحل محمود باشا وهو يتوعد الشريف بالعزل والنقمة من السلطنة ثم كان عكس ماأضمر فلما وصل الخبر الى الابواب السلطانية أرسلوا التأييد والاعتذار لمولانا الشريف عما وقع من محمود باشا وانه قوبل بما يستحقه من النكال وكان ذلك من كرامات صاحب مكة وقبل هذه الفتنة كان السيد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي بن أحمد بن الاستاذ الفقيه المقدم باعلوي بالفقيه المشهور صاحب الشبيكة أرسل من حضرموت كتابا لمولانا الشريف أبي نمي يقول فيه ماعليك من الطباخين والعبيد والفلاحين وأنت منصور عليهم مع اشارات كثيرة لم يفهم معناها الا بعد وقوعها أرسلها مع خادمه فحفظ الشريف الكتاب فوقعت تلك الواقعة بمنى فلما أراد الخادم ان يسافر الى حضرموت طلب من الشريف جواب الكتاب فقال له الشريف شخص صفته كذا وكذا ووصف صفة السيد فقال له الخادم هذه صفة سيدي عبد الله بالفقيه فقال له الشريف رأيته في وقت الواقعة وهو امامي يذود الناس عني وكان الشيخ محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري حج في هذا العام ونزل من منى للطواف والسعي وكان عنده في منزله الشيخ أحمد الحرفوش فحصل للشيخ محمد حالة جلال فجعل يدور في المجلس الذي هو فيه وقد امتلأ غيظا ويشير بيده كأنه يدفع شيئا ويقول حوش ياحرفوش فاستغرب الحرفوش ذلك ثم ان الشيخ لما سكنت حالته قال للحرفوش الآن وقعت بمنى فتنة عظيمة وكان الامر كذلك (ويحكى) عن بعض مشايخ اليمن انه أمر بعض فقرائه وهو باليمن ان يجذب ماء من بئر عندهم في بلدهم ويكبه في الارض في ساعة الوقعة ثم عاد الى شعوره وقال وقعت فتنة عظيمة بمنى وطفأناها بهذا الماء ومحمود باشا صاحب الواقعة كان ممن ولي اليمن وأرسله داود باشا صاحب مصر بخلع للشريف فلما وصل الى مكة كأنه لم يرض بما قوبل به من الشريف فعاد الى مصر وهو تعبان في نفسه فلما صار أمير الحج سنة تسعمائة وثمانية وخمسين وقعت منه هذه الفتنة ثم انه ورد متوليا اليمن سنة تسعمائة وستين فلما وصل الى جدة لم يحتفل به جماعة الشريف لما سلف منه فأرسل للشريف يعتذر ويحلف له ان ماوقع منه كان من غير اختيار وانه تاب الى الله عز وجل ورجع فقبل الشريف عذره وأرسل الى خدمه فتلافوا ما فرط منهم في حقه ثم انه صعد الى مكة للطواف فخرج الناس للاقاته وبشروه برضا الشريف

يصلي ويستمر راكعا الى الصبح وليلة يصلي ويستمر ساجدا الى الفجر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثين حديثا • وكان ممن أبى البيعة ليزيد وفر الى مكة وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ولم يخرج عن طاعته الا أهل مصر والشام فانهم بايعوا يزيد فلما هلك أطاع أهلها عبد الله بن الزبير ثم خرج مروان بن الحكم فتغلب على مصر والشام الى أن ولي عبد الملك فجهز جيشا كثيفا على ابن الزبير وأمر الحجاج عليهم ابن يوسف الثقفي فحاصره ورمى عليه بالمنجنيق وخذل ابن الزبير أصحابه فخرج ابن الزبير وحده وقاتل قتالا عظيما الى أن استشهد رضي الله عنه في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وأنشد فيه النابغة الجعدي

حكيت لنا الصديق لما وليتنا • وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس في الحق فاستوى • وعاد صباحا حالك الليل أسحم

وكان لما حاصره الحصين ابن نمير في عسكر جهزه يزيد عليه التجأ الى المسجد الحرام فنصب عليه المجانيق وأصاب بعض حجارة الكعبة فتهدم بعض جدرانها واحترق بعض أخشابها وكسوتها وانهزم الحصين بعسكره لهلاك يزيد وبلوغ خبر نعيه فرأى عبد الله بن الزبير أن يهدم الكعبة ويحكم بناءها ويبنيها على قواعد ابراهيم عليه السلام لما سمعه من حديث عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة فألزقتها بالارض وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر فان قريشا استقصرتها حين بنت الكعبة فان بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فهلمي لأريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع أخرجه الشيخان في صحيحيهما وفي رواية مسلم عن عطاء قال قال ابن الزبير اني سمعت عائشة رضي الله عنها تقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي من النفقة ما يقوى على بنائه لكنت أدخلت فيه من الحجر خمسة أذرع فاستشار عبد الله بن الزبير من بقي من الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فمنهم من أبى ومنهم من وافقه على ذلك فصمم وأقدم على ذلك ﴿ولما أراد هدم البيت الشريف لتجديد بنائه خرج أهل مكة خوفا فأمر العمال عن ذلك فارتقى عبد الله بن الزبير عبدا دقيق الساقين وعبيدا من الحبوش يهدمونها رجاء ان يكون فيهم الحبشي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وقال الامام عبد الله بن أسعد اليافعي رحمه الله في تاريخه مرآة الجنان أراد عبد الله بن

الشريف ففرح بذلك وقابله مولانا الشريف من تربة الشيخ محمود هو واخوته ففرح غاية الفرح وأنزلوه مدرسة قايتباي وحملوا له سماطا فأقام يومين ورجع الى جدة متوجها الى اليمن

•(وفاة السيد أحمد بن أبي نمي سنة ٩٦١)•

وفي سنة تسعمائة واحدى وستين توفي السيد احمد بن أبي نمي والسيد احمد هذا هو جد السادة الاشراف آل منديل وآل سرار وكان أكبر من الشريف حسن وكان مشاركا لابيه بأمر سلطاني بالتماس والده فكان يلبس معه خلعة ثانية فلما توفي التمس مولانا الشريف من السلطنة ان يكون عوضه السيد حسن أكبر أولاده فجاءت التشريفات والمراسيم والخلعة من السلطنة للشريف حسن في مشاركة أبيه في ولاية مكة وزينت البلد سبعة أيام

•(ابتداء مجيء المحمل من اليمن سنة ٩٦٣ واستمر الى سنة ١٠٤٩)•

وفي سنة تسعمائة وثلاثة وستين عرض الوزير مصطفى باشا المتولي على اليمن على مولانا السلطان أن يحدث محملا يجيء من اليمن فأذن له فوصل المحمل فبرز مولانا الشريف لملاقاته الى بركة ماجن ولبس الخلعة ودخل الشريف مكة ومعه المحمل والامير وأنزلوا المحمل بالمعلا واستمر مجيء هذا المحمل الى سنة ألف وتسعة وأربعين ثم انقطع لما حدث من الفتن وفي سنة أربعة وسبعين وتسعمائة طلب مولانا الشريف من السلطنة تفويض الامر الى ابنه الشريف حسن وأراد هو العكوف على العبادة فجاء الامر بالتفويض لابنه الحسن بحيث فوض اليه أمر مكة وجدة والمدينة وينبع وخيبر وحلي وجميع أقطار الحجاز من خيبر الى حلي الى نجد وما دخل في ذلك وعكف مولانا الشريف أبو نمي على العبادة واجتناء العلوم وكان جامعا لاشتات الفضائل حاويا لمحاسن الشمائل وله النثر الفائق والشعر الرائق وتوفي ابنه الشريف بركات سنة تسعمائة وخمسة وثمانين فحزن عليه كثيرا قال الشيخ نور الدين الشهير بالعلم دخلت على مولانا الشريف أبي نمي معزيا له في ولده السيد بركات فانهلت دموعه فأخذها عند يل فأنشدته ارتجالا

يا أيها الملك العزيز ومن رقى • هام العلى رفع المهيمن شانه

لا تبك مرحوما أتى تاريخه • بركات أنزله اللطيف جنانه

•(وفاة الشريف أبي نمي سنة ٩٩٢ ومدة ولايته مشاركة واستقلالا ٧٢ وعمره ٨٠)•

فسري عنه بعض ما كان فيه واستمر الشريف أبو نمي الى أن توفي تاسع شهر المحرم وقيل في العاشر سنة تسعمائة واثنين وتسعين بوادي الابار من جهة اليمن وحمل الى مكة وصلي عليه تجاه الكعبة ودفن بالمعلا وبني عليه قبة وكان عمره ثمانين سنة وشهرا ويوما ومدة ولايته منفردا ومشاركا لوالده

الزبير ان يجعل الطين الذي بني به الكعبة من الورس فقيل له انه لا تستمسك به البنيان كما تستمسك بالجص فأرسل الى صنعاء اليمن طلب منها جصا نقيا فاحكا فأتوا به فبنى به الكعبة اه ﴿فلما أكملوا هدمها﴾ كشف منها عن أساس ابراهيم عليه السلام فوجد الحجر داخلا في البيت فبنى البيت على ذلك الاساس وكان أدار سترا على فناء البيت وكان البناة يبنون من وراء ذلك الستر والناس يطوفون من خارج وادخل الحجر في البيت وألصق باب الكعبة بالارض ليدخل الناس منه وفتح لها بابا غربيا في مقابلة هذا الباب ليخرج الناس منه كما كان عليه لما جددت قريش الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وعمره الشريف خمسة وعشرون سنة وكانت النفقة قصرت بقريش لما بنوا الكعبة يومئذ فأخرجوا الحجر من البيت وجعلوا عليه حائطا قصيرا

على انه من الكعبة فأزال عبد الله بن الزبير ذلك الوضع وأعادها على ما كانت عليه زمن الجاهلية وهي على قواعد ابراهيم عليه السلام وكان طول الكعبة قبل قريش تسعة أذرع فلما أكمل عبد الله بن الزبير طولها ثمانية عشر ذراعا عرضية لا طول لها فزاد في طولها تسعة أذرع فصار طولها في السماء سبعة وعشرين ذراعا ﴿ولما فرغ من بنائها﴾ طيبها بالمسك والعنبر داخلا وخارجا من أعلاها الى أسفلها وكساها بالديباج وبقيت من الحجارة بقية ففرشها حول البيت الشريف نحوا من عشرة أذرع ٭ وكان فراغه من عمارة البيت الشريف في سابع عشر رجب سنة أربع وستين من الهجرة فخرج الى التنعيم هو وأهل مكة معتمرين شكرا لله تعالى ونحر مائة بدنة وذبح كل أحد على قدر وسعه وجعلوا ذلك اليوم عيدا مشهودا وبقيت هذه العمرة سنة عند أهل مكة الى هذى اليوم يجتمعون الى الاعتمار فيه ولا يكادون يتخلفون عن الاعتمار في هذا اليوم في كل عام ويأتون من البر بقصد هذه العمرة وكان اعتناء الناس بهذه العمرة قبل الآن أكثر وأعظم من الآن بحيث يقال ان صاحب الينبع يومئذ السيد قتادة بن ادريس ابن الحسني جد ساداتنا الاشراف ولاة مكة الآن أدام الله تعالى عزهم وسعادتهم لما علم من أمراء مكة يومئذ وهم طائفة أخرى من بني حسن يقال لهم الهواشم لانهماكهم على اللهو واللذات وكثرة الظلم من عبيدهم على الناس واستيلاء الغرور عليهم ونفرت القلوب عنهم وعدم توجههم الى أحوال البلاد ارتقب الشريف قتادة اليوم السابع والعشرين من رجب واغتنم الفرصة لاشتغال

ثلاث وسبعون سنة (يحكى) ان الشيخ عفيف الدين الدلاصي لما توفي الشريف أبو نمي امتنع من الصلاة عليه فرأى تلك الليلة سيدة النساء السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها في المسجد الحرام والناس يسلمون عليها وأراد الشيخ عفيف الدين السلام عليها فأعرضت عنه فتذلل وسألها فقالت يموت ابني ولا تصلي عليه فاعتذر اليها واستيقظ من نومه وحدث بما رأى وأعقب الشريف أبو نمي كثيرا من الذكور والاناث فمن الذكور الحسن وثقبة وشبير وراجح ومنصور وسرور ومنهم أحمد وبركات لكنهما توفيا في حياته ولكل منهما عقب وكان من أعظم أولاد الشريف أبي نمي الشريف حسن

٭(ولاية الشريف حسن بن أبي نمي استقلالا)٭

فولي مكة بعد موت أبيه ولبعض الفضلاء من أهل مكة في تاريخ وفاة الشريف أبي نمي

يا من به طبنا وطاب الوجود ٭ قد كنت بدرا في سماء السعود
ما صرت في الترب ولكنما ٭ أسكنك الله جنان الخلود

٩٩٢

ذكر السيد عبد القادر العيدروس صاحب النور السافر في أخبار أهل القرن العاشر ان الشريف أبا نمي كان من أكابر العلماء وأجلة الاولياء وقد أخذ كثيرا عن العلماء وأخذ عنه كثيرون اه وكانت ولادة مولانا الشريف حسن بن أبي نمي سنة تسعمائة واثنين وثلاثين حملت به أمه عام وفاة جده الشريف بركات وكان الشريف حسن جامعا بين الفتوة والديانة كما جمع جده صلى الله عليه وسلم بين النبوة والرسالة كأنه معهد للكمالات الجليلة ومعقد لخناصر أرباب الهمم العلية وكانت آية عظيمة في حل المشكلات مع وفور العقل وصحة الفراسات أقر له العلماء الافاخر وألحق علمهم بالماهر فانتظموا في سمطه انتظام لآلئ الاكاليل ونظموا في محاسنه ما يضاهي زواهر الاكاليل وكان يجيز على المائة والقصيدة الالف وأكثر وأبرزت له مخدرات العلوم من أنواع ما ينظم وينثر وهو أول من كتب في التوقيعات يجري على الوجه الشرعي والقانون العرفي فكان يكتب ذلك على الحجج الشرعية وتبعه على ذلك من بعده من الملوك ويكتب على القصص وهي الاعلامات تعاب الى سؤاله زاد الله في نواله وكتبه فلان وعلى ظهر الحجة والقصة ويكتب على اقتداره بيده فقط من غير أن يجهر عليها ولما توفي والده تولى امارة مكة وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد وهنأه الشعراء ومدحوه بقصائد كثيرة ولما بنى دار السعادة التي هي منزله جعل له بعض الافاضل أبيات شعر كتبت في بعض الطراز وهي هذه

يا سائلي عن محل الملك من كتب ٭ لها السعادة ما ان سارت الفلك

أهل مكة بهذه العمرة وخروجهم بمحملاتهم الى التنعيم فهم يعينه وذويه يدخل مكة وهي يومئذ مسورة وولاتها من حسن الهواشم آخرهم الشريف مكثر بن عيسى بن فليتة ففر عن معه الى جهات اليمن وتمكن السيد قتادة من البلاد وذلك في سنة تسع وتسعين وخمسمائة واستمرت الولاية في ولده الى الآن والى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وفي سنة أربع وسبعين من الهجرة كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يذكر له ان عبد الله بن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها وأحدث فيها بابا آخر فكتب اليه عبد الملك ان يعيدها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدم الحجاج من جانبها الشامي قدر ستة أذرع وشبرا وبنى ذلك الجدار على أساس قريش وكبس أرضها بالحجارة التي فضلت ورفع الباب الشرقي وسد الباب الغربي وترك سائرها ولم يغير منها شيأ فهي الآن جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع الشامي بناء الحجاج وهو ظاهر الانفصال من بناء عبد الله ابن الزبير فلما فرغ الحجاج من ذلك وفد عبد الملك بن مروان وحج في ذلك العام ومعه الحارث بن عبد الله ابن ربيعة المخزومي وهو من ثقات الرواة فتحادثا في أمر الكعبة فقال عبد الملك ما أظن ابن الزبير سمع من عائشة ما كان يزعم انه سمع منها في أمر الكعبة فقال الحارث أنا سمعت ذلك من عائشة رضي الله عنها انها تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قومك استقصروا في بناء البيت ولولا حداثة عهد قومك بالكفر أعدت فيه ما تركوا منه وأعدته على ما كان عليه في زمن ابراهيم وان بدا لقومك ان يبنوه فهلمي لاريك ما تركوا منه فأراها قريبا من سبعة أذرع قال صلى الله عليه وسلم وجعلت لها بابين موضوعين على الأرض بابا شرقيا يدخل الناس منه وبابا غربيا يخرج الناس منه فقال عبد الملك أنت سمعتها تقول ذلك قال نعم سمعت هذا منها قال فجعل ينكت بقضيب في يده منكسا ساعة طويلة ثم قال وددت والله اني تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك ذكره النجم بن فهد رحمه الله تعالى وقد ذكرنا ذلك جميعه بالاستطراد لاشتماله على الفوائد المهمة والحديث مشهور رجعنا الى ما نحن بصدده في ذكر زيادة سيدنا عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام • وبسندنا المتقدم ذكره متصلا مرفوعا الى الامام أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الازرقي قال حدثني جدي قال كان المسجد الحرام محاطا بجدار قصير غير مسقف وكان

هذي الديار التي قد عز منشؤها • فما يرى مثلها عجم ولا ترك
أرخت بنيانها اذ تم معظمها • بنظم بيت كدر زانه السلك
ما منزل الملك الا ما حوى حسن • وفي بنيه يكون العز والملك

فكتب ذلك في الطراز فعظم على أخيه السيد ثقبة بن أبي نمي بيت التاريخ فأنشأ دار المعز وفيه وكتب في طرازها شعرا أنشأه له بعض الفضلاء رجا فيه بقوله

•(ما منزل الملك الا ما حوى ثقبه)•

ففرح به السيد ثقبة غاية الفرح لمناقضته للسابق في دار الشريف حسن فاتفق انه لما جلس فيه للسكنى أتاه الشريف حسن للتهنئة وجعل يقرأ الطراز فلما وصل الى هذا النصف قرأه بكسر الميم من الملك فلا تسأل عما وقع للسيد ثقبة من الخجل وعجب الحاضرون من حسن هذا التحريف من مولانا الشريف حسن وللشيخ عبد القادر الطبري أبيات فيها تاريخ دار السعادة في شطر هي هذه

ان بيتا بناه خير مليك • أسس الملك كفه واشاده
فاق في وصفه وحسن بناه • كل قصر لاهل العلى والسياده
جاء تاريخ وصفه في نصيف • أنا بيت الملوك دار السعاده

•(موضع دار السعادة ودار الهناء)•

يقال ان دار السعادة كان في موضع التكية المصرية الآن وكان من تولى من ذوي زيد ينزله وأما ذوو بركات فينزلون في دار الهناء ويقال انه كان في موضع بيت الشريف محسن الذي تجاه باب الوداع وذكر السيد محمد مدني المعروف بكبريت انه دخل الشيخ عبد الرزاق الشيبي على مولانا الشريف حسن يستأذنه في السفر الى الهند فأنشده مولانا الشريف بيت الطغرائي

فيم اقتحامك لج البحر تركبه • وأنت تكفيك منه مصة الوشل

(فاجابه بقول الطغرائي من القصيدة)

أريد بسطة كف استعين بها • على قضاء حقوق للعلى قبلي

فاستحسن استحضاره الجواب من القصيدة حيث لم يكن مذكورا عقب البيت الذي ذكره مولانا الشريف وامر له بألف دينار وفي أيامه في سنة تسعمائة وست وتسعين فقد مفتاح الكعبة وذلك ان الشيخ عبد الواحد الشيبي فتح الكعبة في رمضان على جري العادة فسرق من حجره مفتاح الكعبة وهو مصفح بالذهب فوقعت الصيحة واغلقت أبواب الحرم وفتشت الناس فلم يظفر وا به ثم وجد سنان باشا باليمن مع رجل أعجمي فأخذه وقرره وكبس داره فوجد عنده غير المفتاح كثيرا من

الناس يجلسون حول الكعبة بالغداة والعشي يتبعون الافياء فاذا قلص قامت المجالس ، قال وحدثنا جدي حدثنا عبد الرحمن بن الحسن بن القاسم بن عقبة عن أبيه قال زاد عبد الله بن الزبير في المسجد الحرام واشترى دورا وأدخلها الى المسجد وكان مما اشترى بعض دار جدنا الازرقي وكانت لاصقة بالمسجد الحرام وبابها شارع على باب بني شيبة على يسار الداخل الى المسجد وكانت دارا كبيرة اشترى بعضها ببضعة عشر ألف دينار وأدخلها المسجد الحرام وكتب لنا الى أخيه مصعب بن الزبير بالعراق بدفع المال فركب رجال منا الى العراق فوجدوا مصعبا يقاتل عبد الملك بن مروان فلم يلبث الا يسيرا حتى قتل مصعب فرجعوا الى مكة فصار ابن الزبير بعد تأويد افتتاحه جاء الحجاج بن يوسف وحاصره وقتل ولم نأخذ منه شيأ ، قال وذكر جدي أنه سمع مشيخة أهل مكة يذكرون ان عبد الله بن الزبير سقف المسجد غير انهم لا يدرون أكله سقف أم بعضه قال ثم عمره عبد الملك ابن مروان ولم يزد فيه لكنه رفع جدرانه وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة ، قال وحدثني جدي حدثنا سفيان بن عيينة عن سعيد بن قرة عن أبيه قال كنت على عمل المسجد في زمان عبد الملك بن مروان فأمر أن يجعل في رأس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب قال وروى جدي عن سفيان عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن زاذان بن فروخ قال مسجد الكوفة تسعة أجربة ومسجد مكة سبعة أجربة وذلك في زمان عبد الله بن الزبير ﴿ذكر عمارة الوليد بن عبد الملك للمسجد الحرام﴾ قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى كان الوليد جبارا ظالما أخرج أبو نعيم في الحلية قال عمر بن عبد العزيز الوليد بالشام والحجاج بالعراق وعثمان بن تاماها جبارة بالحجاز وقرة بن يزيد بمصر امتلأت الارض والله جورا قال الحافظ السيوطي لكنه أقام الجهاد في أيامه وفتحت في دولته الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال ابن أبي عبيدة وأين مثل الوليد افتتح الهند والاندلس وبنى مسجد دمشق وكتب بتوسيع المسجد النبوي وبنائه قال أبو الوليد الازرقي قال جدي عمر الوليد المسجد الحرام ونقض عمل عبد الملك وعمل عملا محكما وكان اذا عمل المساجد زخرفها وهو أول من نقل الاساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف وجعل على رؤس الاساطين صفائح الذهب وأزر المسجد بالرخام وجعل للمسجد شرافات قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى بعث الوليد بن عبد

المسرقات أقر بها فقطع رأسه وأرسل المفتاح للشيخ عبد الواحد الشيبي وقد ترجم مولانا الشريف حسن بن أبي نمي العلامة المحبي في كتابه المسمى خلاصة الاثر في أعيان أهل القرن الحادي عشر وأطال في ترجمته فيا ذكره وله نشأ في كفالة والده سعيد دار ثم ساعده ولبس الخلعة الثانية بعد أخيه أحمد في سنة اثنتين وستين وتسعمائة ثم فوض اليه والده الامر فلبس الخلعة الكبرى التي لصاحب مكة ولبس أخوه ثقبة الخلعة الثانية واستمر مشاركا لوالده في الامرة الى ان انتقل والده سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة فاستقل بسلطنة الحجاز وقام بها أحسن قيام وضبط الامور والاحكام على أحسن نظام وأمنت البلاد واطمأنت العباد وقطع دابر أهل الفساد فكانت القوافل والاحمال تسير بكثير من الاموال مع آحاد الرجال ولو في المخاوف والمهالك وخافه كل مقدام فاتك وكان عظيم القدر مفرط الذكاء بصيرا بفصل الامور شجاعا مقداما صاحب فراسة عجيبة

﴿فراسة الشريف حسن بن أبي نمي في أحكامه﴾

(حكي) انه سرقت الفرضة السلطانية بجدة وضاع منها قناش له صورة وأموال كثيرة ولم يكسر بابها ولا نقب جدارها ولا أثر يحال عليه معرفة المطلوب والطالب بل وجد حبل مسدول من بعض الجوانب فلما عرض الامر عليه طلب الحبل ثم شمه فقال هذا حبل عطار ثم دفعه الى ثقة من خدامه وأمره ان يدور على العطارين فعرفه بعضهم وقال هذا الحبل كان عندي اشتراه مني فلان فسألوا عن ذلك فوجدوا الحبل قد نقل من رجل الى رجل الى ان وصل لشخص من جماعة أمير جدة ثم وجدت السرقة بعينها في المحل الذي ظنها فيه ومن ذلك انما اختصم عنده رجلان مصري وشامي في جارية فادعى كل منهما انها له وأقام بذلك بينة فأحال فكرته الوقادة وطلب قليلا من الحب وقال لها ما اسم هذا في بلادكم فقالت برغر فكم بها اليمني فظهر بعد ذلك انها ملكه ومن ذلك انما اختصم لديه رجلان شامي ومصري في جمل فادعى كل منهما انه له وأقام بذلك حجة ثم قال لهما اني سأحكم بحكم فان ظهر لي أن الحق بيد أحد كما غرمت الآخر ثمن الجمل فأمر بذبح الجمل فذبح وأمر باستخراج مخه فاستخرج فتأمله وقضى بالجمل للشامي وأمر المصري بتسليم القيمة فقيل له في ذلك فقال رأيت مخه منعقدا فاستدللت بذلك فان أهل الشام يعلفون دوابهم الكرسنة وهي تعقد المخ وأهل مصر يعلفون الفول وهو يعقد الشحم دون المخ فظهر بعد ذلك ان الحق كما قال ومن ذلك ان شخصا دفن مالا بالمزدلفة أي ليكون محفوظا مدة مقامه بالمزدلفة وكان شخص يرقبه فلما قصد النفر منها الى منى وجد المال قد حفر عنه وأخذ ولم يظفر بأثر من آثار الغريم الا بعصا ملقاة فأخذها ورفع شكواه اليه وذكر له القصة فسأله هل وجدت من أثر فقال نعم وجدت عصا ملقاة فطلبها منه فأحضرها ثم

الملك الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين ألف دينار فضرب منها على بابي الكعبة صفائح الذهب وعلى ميزاب الكعبة وعلى الاساطين التي في باطنها وعلى الاركان التي في جوفها ويقال ان الحلية التي حلاها الوليد بن عبد الملك للكعبة هي ما كانت في مائدة سليمان بن داود من ذهب وفضة وكانت قد احتملت من طليطلة من جزيرة الاندلس على بغل قوي تفسخ تحتها وكان لها أطواق من ياقوت وزبرجد

﴿الباب الرابع في ذكر ما زاده العباسيون في المسجد الحرام﴾

لما انطوى بساط ملك بني مروان وآل الى آل عباس الامرة والسلطان مزقت بنو أمية كل ممزق وشقق الدهر حلل ابناسهم ومزق وحرق بنار البأس لباسهم وحرق وكان رقص لهم (٥٩) وصفق وكانت ثغور آمالهم بواسم وغرر أيامهم بصنوف اللهو مواسم ورياح عزتهم في رياض عزتهم نواسم وكانت تضيء بهجتهم نجوم القضا وتجري على حسب مطامعهم خيول القدر والقضا ثم انحرفت عنهم الايام فأظلمت اشراقهم وأذوى ذاهب العكس يانع اوراقهم ورمتهم بصواعق ارعادهم وابراقهم فلم يدفع عنهم الرمح ولا الحسام ولم ينفع ما سبق لهم من المن الجسام وأذيق الموت الاحمر مروان الحمار ونزع من تخت الملك الى تحت حافر الحمار فما بكت عليهم الارض وما بقي لهم الا ما قدموه من نفل وفرض ونزعوا من بين الاتراب الى باطن التراب وسيقوا للحساب الى يوم الحساب فصفة الدنيا لا وفاء فيها لبنيها ولا بقاء لحالتي تجليها وتجنيها ولا بقاء منها على مجتليها ومجتنيها ذلك عزة عاد وهدمت قصر شداد وآخرت ارم ذات العماد فأف على الدنيا وزخرفها والحذر الحذر من هجوم صرفها وتصرفها كم نادت عليهم حذار حذار من بطشي وفتكي وكم صاحت عليهم لا تغتروا بضحكي ولا يغرركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي وكانت مدة ملكهم ألف شهر وكان ما تحملوه من الوزر والقهر لتلك المدة كالمهر وجعل الله تعالى لبيت النبوة عوض ذلك ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في الدر المنثور أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ولد الحكم بن العاص على المنابر كأنهم القردة وأنزل الله في ذلك وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة يعني الحكم وولده وأخرج ابن مردويه عن

تأملها فأمر باحضار جماعة مخصوصين من العرب فحضروا فأشرفهم على العصا وسألهم هل يعرفون صاحبها فقالوا انهم هي عصا فلان فأحضره وسأله فأنكر فشدد عليه فأقر بالمال ومن ذلك ان شخصا من سادات اليمن وصل الى مكة بجارية حسناء سنها نحو العشر سنوات فتعصب عليه طائفة من الجبرت وادعى بعضهم انها من أصل وانها ابنة فلان وشهد منهم شاهدان من طلبة العلم بذلك واستخلصوها من يد ذلك السيد قهرا فرفع القضية لمولانا فطلب الشاهدين وأخذ يستدرجهما عن حالهما وانهما من شاهير من جاور بمكة من مدة طويلة وان شهادتهما مقبولة ثم سألهما عن الشهادة وأدياها كما سبق وانها بنت فلان الجبرتي ولدت ببلده وبحن بها قبل وصولنا مكة فقبل شهادتهما ثم سألهما عن مدة اقامتهما بمكة وهل خرجا بعد دخولها فذكرا ان المدة تزيد على ثلاثين سنة وانهما ما خرجا منها الى بلدهما بعد ان دخلا فشغلهما بالكلام ساعة ثم سألهما عن سن الجارية فقالا نحو عشر سنين فأخذ يسبهما ويتكلم عليهما حيث شهدا بولادتها وهما ببلدهما وقصد اتلافهما وأعاد الجارية الى سيدها وكانت هذه الحكومة منه حكمة بالغة وانه فضح بها طائفة الجبرت عن مثل ذلك فانهم سلكوا هذا المسلك مدة واستخلصوا به ارقاء الناس من أيديهم ثم قال في الخلاصة وكان محبا للعلماء معظما لهم كثير الانعام عليهم فكانوا يتقربون الى خدمته بالتآليف الجليلة فيجزهم عليها الجوائز الجزيلة من ذلك ان الشيخ عبد القادر الطبري تقرب الى خدمته بشرح القصيدة الدريدية فأجازه عليها بألف دينار واتفق انه حكم تاريخ الشرح قوله

أرخني مؤلفي • بيت شعر مذهب

أحمد جود ماجد • أجازني ألف ذهب

فلما قرأ البيتين قال والله ان هذا النزر جدا بالنسبة الى هذا التأليف ولكن حيث وقع الاختصار عليه فعلى الرأس والعين وأعطاه ذلك وكان مولانا الشريف حسن رحمه الله ذا فضل باهر وأدب غض ومحاضرة فائقة واستحضار غريب (يحكى) انه كان في مجلس تصدر بعض الناس على بعض بني عمه فيه فظهر أثر الغضب على ابن عمه ففطن له مولانا الشريف حسن فقال انه ليقودني للعجب ويهز من عطف أريحي ساعد الطرب قصيدة أبي الطيب المتنبي التي أولها

فؤاد ما يسليه المدام • وعمر مثل ما يهب اللئام

فتسلى بذلك ابن عمه وتبسم وجهه بعد القطوب لانه علم انه عنى الى قوله فيها ولو لم يعل الا ذو محل

ويروى

ولو ان المقام له علو • تعالى الجيش وانحط القتام

(ويحكى) انه سقط من يد بعض بني عمه خاتم به حجر ثمين القيمة فلم يطلبه ويفتش عليه فقال له مولانا

الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح يوماً وهو مهموم فقيل له مالك يا رسول الله قال اني رأيت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا فقيل يا رسول الله لا تهتم فانها دنيا تنالهم فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قال ابن عطية في تفسيره ولا يدخل في هذه الرؤيا عثمان رضي الله عنه ولا معاوية ولا عمر بن عبد العزيز وما كانت في الحقيقة ولاية بني أمية الا فتنة للناس وآل الملك من بعدهم الى آل العباس وأضحكهم الدهر بعد العبوس والباس وألبسهم الدهر حلل الامر والنهي وافرحهم بذلك الالباس وآنسهم بعد الوحشة وما دام لهم ذلك الايناس وهكذا الدنيا دول تدول وتدال وما زال لكل زمان دولة (١٠) ورجال ﴿فأول من ولي منهم السفاح﴾ أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن العباس رضي الله عنهما وكان أصغر من أخيه أبي جعفر المنصور قال جرير الطبري كان بدء أمر العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس عمه ان الخلافة تؤول الى ولده فلم يزل ولده يتوقعون ذلك الى أن بويع لولده محمد سرا فلما مات محمد عهد لولده ابراهيم فحبسه مروان وقتله في الحبس فعهد ابراهيم لأخيه عبد الله هذا وبويع له في الكوفة في ثالث ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان مولده سنة ثمان ومائة وتوفي بالجدري في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وكان بذولا سفاكا قتل في مبايعته من بني أمية وأتباعهم ما لا يحصى كثرة ووطئت الممالك من المشرق الى أقصى المغرب وكان عمره ثمانية وعشرين عاما ومدة امارته أربعة أعوام وجرت عادة الله في الملوك والسلاطين قصر أعمار من سفك الدماء منهم ﴿وولي بعده أخوه أبو جعفر المنصور عبد الله﴾ هو أسن من أخيه السفاح وبويع له بعهد من أخيه في أول سنة سبع وثلاثين ومائة وكان ظلوما غشوما وهو أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وقتل الاخوين محمدا وابراهيم ابني محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وكانا خرجا عليه وآذى بسببهما خلقا كثيرا من العلماء قتلا وضربا ممن أفتى بجواز الخروج عليه منهم الامام أبو حنيفة رضي الله عنه أكرهه على القضاء فحبسه فمات في السجن لكونه أفتى بالخروج عليه وسمي لبخله أبا الدوانيق لمحاسبته الصناع والعمال على الدانق والحبة وقتل أبا مسلم الخراساني وهو الذي قام بدعوة

الشريف لم لا تقف لطلب ذلك الخاتم الثمين فقال الست من أبناء أمير المؤمنين فلمح مولانا الشريف الى قول أبي الطيب

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها • وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

(ولمح ابن عمه لقول المتنبي)

كذا الفاطميون الندى في أكفهم • أعز امحاء من خطوط الرواجب

وقد نظم الامام عبد القادر الطبري أرجوزة في محاسن مولانا الشريف حسن وسماها حسن السيرة وشرحها بشرح سماه حسن السريرة وأطال في ذلك ثم قال في خلاصة الاثر انه لم يزل حاميا حوزة البيت المعظم وذابا عن سوحه المطهر المفخم حتى انه من مزيد أمنه اختلط فيه العرب والعجم ورعى الذئب مع الغنم وأمن السبل الحجازية ومهد الطرق الحرمية فكانت تشد الرحال في سائر جهاته وليس معها خفير سوى الاجير ولا يفقد منها سواع ولا يختلس منها ولا قدر صاع وربما ترك المتاع أو المنقطع في القفر الجدب لا يوقي له عما يحمل عليه أو يركب فيوجد سالما من الآفات ولو طالت الاوقات مع كثرة الطارقين لتلك المعاهد والسالكين لهذه المواطن والمقاصد ولم يعهد هذا الا في زمن هذا الملك العادل ولم ينقل مثله عن مثله من الملوك الاوائل فلقد كانت هذه الطرق مخوفة والمخاليف كلها غير مألوفة حتى من أراد أن يعزم من مكة الى التنعيم للاعتمار لا بد له أن يأخذ خفيرا من أرباب الدولة الكبار وان لم يفعل ذلك يعطب في نفسه وماله ولا يرثى في أخذ الثار لحاله واطالما نهبت الاموال ما بين مكة وعرفة ليلة الصعود اليها وسفكت الدماء في تلك المشاعر وجدلت الاجساد لديها واذا سرق متاع قل ان يظفر به وربما قتل صاحبه عند طلبه بسببه وكل ذلك من العرب المحيطين باطراف البلاد الساعين في الارض بالفساد فقد بسط الله بساط الامان بولايته وألزمهم بحراسة هذه المواطن وغرم ما يذهب للناس في هذه الاماكن وعاملهم بصنوف العقاب وأنواع العذاب من الصلب وقطع الايدي وتكليف أحدهم بالقتل ان لم يرد الى غير ذلك من أصناف الاجتهادات السياسية والآراء السلطانية المرضية حتى صلح العالم غاية الاصلاح ونادى منادي الامن بالبشر والفلاح فاطمأنت النفوس باقامة هذا الناموس واعتدلت أحوال الرعايا واتصل ذلك الى علم الملوك البقايا فشكر كل سعيه في هذه المآثر الجيدة وحمد الله تعالى في هذه المعدلة الظاهرة الحميدة وكثر حجاج بيت الله العتيق وضربوا اليها آباط الابل من كل فج عميق فيرون ما كانوا يسمعون به عيانا فيستخيرون الله تعالى في ان تكون بلد الله مسكنا وأهلها اخوانا وكان في القواعد القديمة

لولا مكة الكريمة أن ينادي بعد تمام الحج يا أهل الشام شامكم ويا أهل اليمن يمنكم فيرحل كل الى بلاده ولا يقيم بمكة الا الخواص أهلها من ذوي البيوت القديمة فلما تولى مكة وشاع ذكره رغب كل أحد في المجاورة بها وصارت مصرا من الامصار

•(وفاة داود بن عمر الانطاكي صاحب التذكرة سنة ١٠٠٨)•

وفي تاريخ الرضي في سنة ثمان بعد الالف توفي العالم العلامة الفاضل الحكيم داود بن عمر الانطاكي البصير صاحب التذكرة وكان اجتمع بمولانا الشريف حسن بن أبي نمي صاحب الترجمة وله معه محاورات ولطائف وكان آية في الحذق والنباهة من جملة ذلك انه لما حضر مجلس الشريف المذكور أمر الشريف أحد أخوانه أن يمد يده ليجسها على انها يد الملك فلما جسها قال ليست هذه يد الملك فأعطاه الاخرى فقال وهذه أيضا ليست يد الملك فأعطاه الشريف حسن يده فقبلها وقال هذه والله يد الملك فانظروا الى فطنته وذكائه مع كفاف نظره

•(وفاة الشريف ثقبة بن أبي نمي سنة ١٠٠٨)•

وفي هذه السنة توفي الشريف ثقبة بن أبي نمي أخو مولانا الشريف حسن وله عقب يقال لهم ذوو ثقبة كان بعضهم بمكة وكان بعضهم في البر

•(وفاة الشريف حسن بن أبي نمي سنة ١٠١٠)•

وفي سنة ألف وعشرة توجه مولانا الشريف حسن الى نجد غازيا فتوفي هناك ثالث جمادى الآخرة وكان في مسافة عشرة أيام عن مكة فحمل على البغال الى مكة ووصلوا به في ثلاثة أيام وغسل وكفن وصلى عليه تجاه الكعبة ودفن بالمعلى وبني عليه قبة رحمه الله وله من العمر سبع وسبعون سنة ونحو ثلاثة أشهر ومدة ولايته مشاركا لابيه ومستقلا نحو خمسين سنة

•(عدد أولاد الشريف حسن وأسماؤهم)•

وله أولاد كرام وذريه فخام نحو سبعة وعشرين وخلف من الاناث خمسا وعشرين وقيل ستة عشر فأولاده الذكور أبو طالب وحسين وبازوسالم وأبو القاسم ومسعود وعبد المطلب وعبد الكريم وادريس وعقيل وعبد الله وعبد المحسن وعبد المنعم وعدنان وفهيد وشنبر والمرتضى وهزاع وعبد العزيز ومضر وعنان وجود الله وعبيد الله وبركات ومحمد الحارث وقايتباي وآدم قال الشهاب الخفاجي في كتابه الريحانة آخر ترجمة مولانا الشريف حسن بن أبي نمي وقد كان انتهاء سعود الشرف بالحجاز بالشريف حسن وفي المغرب بمولاي أحمد وفي الروم بالسلطان مراد ونحن الآن لا ندري ما يريد وما يراد فقد ذهب سليمان وانحلت الشياطين ووقف الرجاء على شفا جرف هار

الناس الى بني العباس وشرح ذلك يطول وملكت لهم الممالك ودانت لهم الامصار ولم يخرج منه غير جزيرة الاندلس ملكها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي فانفرد بالاندلس وطالت مدته وملكها بنوه واستمرت في يدهم مدة • وفي المحرم سنة ثلاثين ومائة أمر أبو جعفر المنصور بالزيادة في المسجد الحرام فزيد في شقه الشامي الذي يلي دار الندوة وزاد في أسفله الى أن انتهى الى المنارة التي في ركن باب بني سهم ولم يزد في الجانب الجنوبي لاتصاله بمسيل الوادي ولصعوبة البناء فيه وعدم ثباته اذا اقوى السيل عليه ولذلك لم يزد في أعلى المسجد واشترى من الناس دورهم وأدخلها في المسجد الحرام وكان الذي ولى عمارة المسجد لابي جعفر أمير مكة يومئذ من جانبه زياد بن عبيد الله الحارثي • وكان من شرطته (٦١) عبد العزيز بن عبد الله بن مشافع جد مشافع بن عبد الرحمن الشيبي وكان زياد أجحف بدار شيبة بن عثمان وأدخل أكثرها في الجانب الاعلى من المسجد فتكلم مع زياد في أن يميل عنه قليلا ففعل فكان في هذا المحل ازورار في المسجد وأمر أبو جعفر المنصور بعمل منارة هناك فعملت واتصل عمله في أعلى المسجد بعمل الوليد بن عبد الملك وكان عمل أبي جعفر طاقا واحدا بأساطين الرخام دائرا على صحن المسجد وكان الذي زاد فيه مقدار الضعف مما كان قبله وزخرف المسجد بالفسيفساء والذهب وزينه بأنواع النقوش ورخم الحجر بالحاء المهملة المكسورة ثم الجيم وهو أول من رخمه وكان كل ذلك على يد زياد بن عبيد الله الحارثي والي الحرمين والطائف من قبل المنصور وفرغ من عمل ذلك في عامين وقيل في ثلاثة أعوام • وكتب على باب بني جمح أحد أبواب المسجد الحرام من جهة الصفا بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين أمر عبد الله أمير المؤمنين المنصور بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظرا منه للمسلمين واهتماما بأمورهم

(قوله بركات) المذكور من أولاد الشريف حسن من عقب بركات الشريف سعيد العمري ابن مساعد بن مبارك بن هزاع بن عبد الله بن عمرو بن بركات بن حسن بن أبي نمي

والذي زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل وفرغ منه ورفعت الايدي منه في ذي الحجة سنة اربعين ومائة وذلك بتيسير الله على أمير المؤمنين وحسن معونته وكفايته واكرامه له بأعظم كرامته فاعظم الله أجر أمير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام وأحسن ثوابه وجمع الله له به خيري الدنيا والآخرة وأعز نصره وأيده * وحج المنصور في ذلك العام وأحرم من الحيرة وبذل على يده الأموال العظيمة وأعطى أهل المدينة عطايا لم يعطها أحد كان قبله ولما قضى الحج والزيارة توجه الى زيارة بيت المقدس ثم سافر الى الشام ثم أتى الى الرقة فنزلها كذا ذكره الحافظ عمر بن فهد رحمه الله تعالى * وذكر حكاية مفيدة أذكرها استطرادا وان كانت خارجة عن مقصود بالذات وانما هي لما حج كان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل فيطوف ويصلي ولا يعلم به أحد فاذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة فيجيء المؤذنون ويسلمون عليه ويؤذنون للفجر ويقيمون الصلاة فيخرج يصلي بالناس فخرج ذات ليلة في السحر فشرع يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم يقول اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فأسرع المنصور في مشيته حتى ملأ مسامعه من كلامه ثم خرج من الطواف الى ناحية من المسجد ثم أرسل الى ذلك الرجل يطلبه فصلى ركعتين وقبل الحجر وأقبل مع الرسول وسلم على المنصور فقال له المنصور ما هذا الذي سمعتك تقول من ظهور البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فوالله لقد حشوت مسامعي ما أقلقني وأمرضني وأشغل خاطري فقال يا أمير المؤمنين ان أمنتني على نفسي وصغيت الى باذن واعية أنبأتك بالامور من أصلها والا احتجبت عنك بقدرة الله واقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل عن غيري فقال أنت آمن على نفسك وقل فاني ألقي اليك السمع وأنا شهيد بالقلب فقال ان الذي داخله الطمع حتى حال بينه وبين الحق ومنع عن اصلاح ما ظهر من البغي والفساد في الارض هو أنت فقال أيها الرجل كيف يداخلني الطمع والصفراء والبيضاء بيدي والحلو والحامض في قبضتي ومن يحول بيني وبين ما أريد من ذلك فقال هل داخل الطمع أحدا من الناس ما داخلك يا أمير المؤمنين ان الله عز وجل استرعاك أمور المؤمنين وأنفسهم وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجمع أموالهم وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والطين وأبوابا من

بين قوم مجانين فالجواد دون الحمار المصري وأبو جهل بعد الحسن البصري اهـ وأرخ بعضهم وفاة مولانا الشريف حسن بقوله من قصيدة

فنظمت تاريخ الوفاة جواهرا * في سلك بيت صغته بنضار
حسن عناه العز بطوله * وأحله أوج الجناب الباري

(ولاية الشريف أبي طالب بن حسن بن أبي نمي)

ولما توفي مولانا الشريف حسن تولى امارة مكة ابنه مولانا الشريف أبو طالب قال في خلاصة الاثر كان من أمره انه لما كبر أبوه فوض أولا نيابة الامارة لابنه الشريف حسين فلم يطل أمره فيها فمات فولاها شقيقه الشريف مسعودا وكان موصوفا بالشجاعة والقوة لكنه لم يسلك مسلكا مرضيا فتوفي وهو شاب فآلت الى أبي طالب صاحب الترجمة وكان ذا فكر صائب وشجاعة عظيمة وفضيلة باهرة وبعد ما حكم بالنيابة عن أبيه مدة أمر أبوه أمراء الحاج أن يلبسوه الخلعة الكبرى وألبسوا والده عبد المطلب الخلعة الثانية فألبساهما ثم جهز من أتباعه الامير بهرام بهدية سنية الى الابواب السلطانية في هذا الخصوص والتمس من السلطان محمد بن السلطان مراد تقرير ذلك فأجيب الى ملتمسه ورجع بهرام بالتقارير وصورة منشوره مطولة مذكورة في ريحانة الخفاجي

(ما كتب في منشور الشريف أبي طالب)

ومن جملة ما في ذلك المنشور ليعلم كل من كان بصره بانعقاد منشورنا الكريم وتشنف مسامعه بلآلي لفظه العظيم من في دائرة تلك الديار وهالة تلك الاقطار وانتظم في سلك سكان القرى والامصار من السادات الكرام والقضاة والحكام وولاة الامور من الاعيان والوافدين على تلك الديار والسكان ان امارة تلك المعاهد وما فيها من العساكر وما أحاطت به من الاصاغر والاكابر وسائر الوظائف والمناصب والجهات والمراتب مفوضة الى السيد السند الشريف أبي طالب ناظرا بعين الانصاف متجنبا سبيل الاعتساف ويصرف المستحقين بحسن التصريف ويصرف من لا يستحق برأيه الشريف أقمناه مقام نفسنا في ذلك المقام وفوضنا اليه النقض والابرام والعلامة السلطانية حجة لما فيه مرقوم محققة كافية من منطوق ومفهوم فليتحقق من وقف على هذا الخطاب ومن عنده علم الكتاب من أهل مكة ومن في جوارها وطيبة الطيبة وسائر اقطارها وبقية الثغور الباسمة لدولتنا عن أسام السرور من حاضرها وباديها انا أعطينا القوس باريها فلم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها سدد الله سهام رأيه في اغراض الصواب وفتح له مغالق السر كل مغلق من الابواب ما سقطت من أكف الثريا الخواتم وورقت على منابر الاغصان خطباء الحمائم والسلام

وفاة

الخشب والحديد وجعلت معهم السلاح واتخذت وزراء فجرة وأعوانا ظلمة ان نسيت لا يذكرونك وان أحسنت لا يعينونك وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والسلاح والرجال وأمرت أن لا يدخل عليك غيرهم من الناس ولم تأمر بايصال المظلوم اليك ومنعت عن ادخال الملهوف عليك وحجبت الجائع والعاري والمحتاج وما أحد منهم الا وله حق في هذا المال فما زال هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرتهم أن لا يحجبوا عنك يقولون في أنفسهم هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه فاتفقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس الا ما أرادوه ولا يخالف أمرهم عامل الا أقصوه عنك وأبعدوه فلما انتشر ذلك عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم وأكرموهم وهادوهم وكان أول من صانعهم وداراهم عمالك بالاموال والهدايا والرشا فقووا بها على ظلم رعيتك ليظلموا من دونهم فامتلأت بلاد الله تعالى بالظلم والغشم وزاد بغيهم وطمعهم وكثر فسادهم وافسادهم وصار هؤلاء شركاءك في سلطانك وأنت غافل فان جاءك متظلم حيل بينه وبين الوصول اليك وان أراد رفع قصته اليك وصرخ بين يديك ضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر بعينك ولا ترحم بقلبك وان سألت عنه قالوا أساء الادب فاذا بنا وجهل مقامك فضربناه فما بقاء الاسلام على هذه المظالم والآثام وانى سافرت الى أرض الصين فقدمتها وقد أصاب ملكها آفة أذهبت سمعه فجعل يبكي فقال له وزراؤه لم تبكي لا بكت عيناك فقال انى لا أبكي على فقد سمعي ولكني أبكي على المظلوم يصرخ ببابي يطلب رفع ظلامته فلا أسمع صوته وحيث ذهب سمعي فان بصري لم يذهب فنادوا في الناس ان لا يلبس الاحمر الا مظلوم لاميزه بالنظر فاعينه وكان يركب الفيل كل يوم ليرى المظلومين ويستدنيهم ويرفع عنهم ظلامتهم انظر يا مسكين هذا مشرك بالله غلبت رأفته بالمشركين على رأفتك بالمسلمين وأنت مؤمن بالله وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الاموال لا تجمع الا لواحد من ثلاثة أمور ان قلت أجمعها للولد فقد أراك الله عبرا في الطفل يخرج من بطن أمه عريانا ماله على وجه الارض مال وما من مال الا ودونه يد شحيحة بحويه وتصونه عن كل أحد فما زال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى يسوق اليه ما قدر له من المال فيملكه ويحويه كاحواء غيره ولست بالذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء الا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وان قلت اجمع المال ليشتد به سلطاني فقد أراك

•(وفاة الشريف عبد المطلب بن حسن سنة ١٠١٠)•

وفي سنة وفاة الشريف حسن توفي ابنه الشريف عبد المطلب وكانت ولادة الشريف أبي طالب سنة تسعمائة وخمس أوست وستين واستقل بالملك بعد وفاة أبيه من غير شريك فيه وهيأ الله عاملا اليه وأصلح الله به أمور البلاد والعباد وقام بأعباء الملك وأظهر السطوة وقهر أهل العناد وهابته النفوس وانصف في أحكامه وسار السيرة المرضية وكان حسن الهيئة شديد الهيبة واذا حضر الناس مجلسه سكتوا لمهابته وكانت تخافه البوادي وأهل النوادي وكان سخيا ندي الكف

﴿ومما يحكى﴾ من كرمه انه زار النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يلي أمر مكة فلما أمسى نزل في واد هنالك هو ومن معه فاضافه رجل من أهل الوادي يقال له السوداني فذبح الذبائح ومد الموائد وقدمها ثم بلغه أن الشريف أبا طالب لم يأكل من ذلك الطعام ولم يحضره لشغل عرض له فعمد السوداني الى أربع أو خمس دجاجات فذبحهن وطبخهن وقدمهن على كيلتين من العيش في زبدية كبيرة من الصيني وجاء بها اليه وقال له يا سيدي هذا عشاء عبدك اجبر خاطره جبر الله خاطرك فغسل الشريف يده وأكل من تلك الزبدية لقيمات ودعا له فلما استقل بالولاية وفد عليه السوداني بعد سنة فقال له الشريف الزبدية التي تعشينا فيها عندك فقال نعم فقال ائتني بها فملأها له ذهبا وله كثير من هذا القبيل ولاهل عصره فيه مدائح كثيرة ولما توفي أبوه أمر بالقبض على عبد الرحمن بن عتيق وكان وزيرا لابيه الشريف حسن وكان ظالما جبارا عنيدا صدرت منه مظالم كثيرة تتعلق بدماء الناس وأموالهم وكان غالبا على الشريف حسن متوليا عليه لا يسمع فيه شكية شاك حتى كان الناس يقولون ليس في دولة الشريف حسن ما يشينها الا ابن عتيق ويقال انه كان صانعا عند الشريف حسن فلما توفي وتولى ابنه الشريف أبو طالب قبض على ابن عتيق وحبسه وأراد أن يحقق مظالمه فيردها الى أهلها فايس ابن عتيق من الخلاص فقتل نفسه وذلك في جمادى الآخرة سنة ألف وعشرة وأرخ بعض الادباء ذلك بقوله

أشقى النفوس الباغيه • ابن عتيق الطاغيه • نار الجحيم استعوذته • مذ وفاتت ماليه
لما أتى تاريخه • أجب لظى والهاويه

ولم يزل الشريف أبو طالب في أعلى درجات الحبور مالكا لازمة الامور والعلماء كافة على أبوابه والشعراء ناظمة محاسن صفاته في أحاسن ألقابه

•(وفاة الشريف أبي طالب سنة ١٠١٢)•

الى ان توفي راجعا من بعض غزواته بمحل يقال له العش من نواحي بيشة في العشر من جمادى الآخرة

الله عبرا فمن كان قبلك ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من السلاح والكراع وما ضرك ما كنت أنت وولد
آبيك عليه من الضعف والقلة حين أراد الله بكم ما أراد وان قلت أجمع المال لطلب غاية هي أعلى مما أنت فيه فوالله ما فوق ما أنت
فيه منزلة تدرك الا بالعمل الصالح واعلم بانك لا تعاقب أحدا من رعيتك اذا عصاك بأعظم من القتل وان الله تعالى يعاقب من عصاه
بالعذاب الاليم وانه يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فكيف يكون وقوفك غدا بين يديه وقد نزل ملك الدنيا من يدك ودعاك الى
الحساب هل يغني عنك ما كنت فيه شيأ ٭ قال فبكى المنصور بكاء شديدا حتى ارتفع صوته ثم قال كيف احتيالي فيما خولت ولم أر
من الناس الا خائنا قال يا أمير المؤمنين عليك بالائمة الاعلام الراشدين قال ومن هم قال العلماء العاملون قال فاهم
قد فروا مني قال نعم فروا
منك مخافة أن تحملهم على
ما ظهر لهم من طريقتك
واذا فتحت الابواب وسهلت
الحجاب ونصرت المظلوم
ومنعت الظالم وظهرت
بالعدل ونشرت الفضل
واني ضامن لمن هرب منك
أن يعود اليك ٭ وجاء
حينئذ المؤذنون وسلموا
عليه وأذنوا الفجر وأقاموا
فقام المنصور للصلاة
وصلى بالناس واذا بالرجل
قد غاب من بين أيديهم فلما
فرغ المنصور من الصلاة
سأل عنه فقالوا ذهب
فقال ان لم تأتوني به عاقبتكم
عقابا شديدا فذهبوا
يلتمسونه فوجدوه في
الطواف فتقدم اليه
الحرس وقال انطلق معي
والا هلكت وهلك من
معي فقال كلا لا يقدر
عليك وأخرج من جيبه
ورقة وقال ضعها في جيبك
فلا ينالك منه سوء فانه
دعاء الفرج قال وما دعاء
الفرج قال دعاء لا يرزقه الى السعداء من دعا به صباحا ومساء هدمت ذنوبه واستجيب دعاؤه وبسط الله   بالسلطان
تعالى رزقه عليه وأعطاه أمله وأعانه على عدوه وكتب عند الله تعالى صديقا فقال اقرأه لي لآخذه عنك وأتلقاه منك ٭ فقال قل
اللهم كما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء وعلمت ما تحت أرضك كما علمت ما فوق عرشك وكانت
وساوس الصدور كالعلانية عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان لسلطانك وصار
أمر الدنيا والآخرة كله بيدك اجعل لي من كل هم أمسيت فيه فرجا ومخرجا اللهم ان عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي
وسترك على قبيح عملي أطمعني أن أسألك ما لا أستوجبه منك فصرت أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وانك المحسن الي وأنا المسيء ٭

سنة ألف واثنتي عشرة فغسل هنالك وكفن وقصد به مكة ولم يأت معه من السادة الاشراف غير
السيد ابراهيم بن بركات وصلي عليه يوم الاربعاء ضحى ثاني عشر جمادى الآخرة ودفن بالمعلى وبني
عليه قبة فكانت ولايته سنتين وأربعة عشر يوما وعمره سبع وأربعون سنة وهو يزار ويحمي
ساداتنا بنو حسن من استجار بقبره ولا ينال من استجار به مكروه

﴿ولاية الشريف ادريس بن حسن﴾

فولي مكة بعده أخوه مولانا الشريف ادريس بن الحسن بن أبي نمي ومولده سنة تسعمائة وأربعة
وسبعين وكانت ولايته باجماع من السادة الاشراف وأشركوا معه أخاه السيد فهيد بن حسن وابن
ابن أخيه الشريف محسن بن الحسين بن الحسن وأرسلوا قاصدا الى الروم بما وقع عليه الاتفاق
فقوبل بالاجلال والاكرام من مولانا السلطان أحمد وبعث اليه بخلعة الاستمرار ووردت وفيه
بالتعظيم حادي عشر صفر سنة ألف وثلاث عشرة قال في خلاصة الاثر في ترجمة الشريف ادريس
وكان من أجل الناس من سراة الاشراف تهابه الملوك والاشراف شجاعا حسن الاخلاق وكان
يكنى أبا عون وكان له من العبيد المولدين والرقيق الجلب ما يزيد على أربعمائة ومن المقاديم من
العرب جماعة كثيرون واستمر أخوه الشريف فهيد وابن أخيه الشريف محسن مشاركين له في
الربع في جميع أقطار الحجاز الداخلة تحت حكم صاحب مكة فكثرت أتباع فهيد من الاشراف وغيرهم
حتى صار موكبه يضاهي موكب الملك وكان اذا جلس وقفت الترك عن يمينه وشماله واتخذ رماة
البندق نحو مائتين أو أكثر ولم يحفظ أتباعه وعبيده من النهب والسرقة فكثر ضررهم على الناس
وعجز عن مداراته الشريف ادريس ولما اشتد أمره أخذ جانبا كمال الدين القطبي وأراد أن
يصيره مفتيا فلم يرض الشريف ادريس ووقع بينهما تنافر بسبب ذلك فأرسل الشريف ادريس لابن
أخيه الشريف محسن وكان اذ ذاك باليمن وكان توجه الى اليمن مغاضبا لعمه الشريف ادريس
وكتب اليه أن يأتي بجميع من معه من الاشراف والقواد والعرب فحضر ومعه أمير حلي محمد بن
بركات الحرامي ونودي في البلد بأن البلاد لله وللسلطان وللشريف ادريس والشريف محسن وخلع
الشريف فهيد من الذكر ومنع من الربع وجعل ما كان له للشريف محسن ولم يخطب له وكان يومئذ
في بيته جموع وافرة فاستعد أصحابه للقتال وأشار اليه أعيانهم بالحرب فامتنع من ذلك وطلب من
الشريف ادريس مقدار شهر مهلة لبتأهب للخروج من مكة الى حيث أراد فأعطاه ثم خرج من
مكة سنة تسع عشرة وألف بعد أن طلب من أخيه الشريف ادريس أن يمكنه من سكنى مكة بغير
ربع فامتنع فانضم الى بعض أكابر الحج المصري وسافر الى مصر ثم توجه الى الديار الرومية واجتمع

بالسلطان أحمد فيقال انه أنعم عليه بامارة مكة فعاجلته المنية ومات هناك في سنة عشرين بعد الالف وقيل في تاريخ موته مات بالروم فهيد بن الحسن واستمر الشريف محسن مشاركا لعمه الشريف ادريس على صدق الكلمة والنصح والمساعدة في الاحوال المهمة وتنافر بنو أخيه عبد المطلب ابن حسن لامر فقام الشريف محسن في موافقتهم له فتم ذلك ودخلوا في الطاعة وطابت نفوسهم

•(دخول الشريف ادريس وابن أخيه الشريف محسن أقصى الشرق)•

وتوغل الشريف ادريس والشريف محسن في الشرق ووصلا الى قرب الاحساء واجتمع واهنالك بذوي عبد المطلب حين كانوا مغاضبيه واصطلحوا ثم وصلوا الى الاحساء وضربت خيامهم قبالة الباب القبلي من سور الاحساء وأكرمهما صاحبها علي باشا وأمرهما بالدخول والاقامة عنده واستمرا أقاماته ثمانية أيام ورجعا ولم يتفق لاحد من أشراف مكة المتولين من المتقدمين دخول الاحساء كما اتفق لهذين الشريفين ثم وقع بين الشريفين ادريس ومحسن تنافر بسبب خدام الشريف ادريس وتجاوزهم في التعدي وعمت البلوى بما صدر عنهم من الامور المشتملة على التلبيس خصوصا من وزيره أحمد بن يونس وكان الشريف ادريس متغافلا عما يصنعونه ولم يلق سمعه الى ماينهى اليه من فعلهم ولا ينصف أحدا من شكايتهم وراجعه الشريف محسن في شأنهم مرارا ورد القول عليه فكانت الشكوى الى غيره منصف فرأى الشريف محسن وخامة عواقب الحال فعند ذلك اجتمع أهل الحل والعقد من بني عمه السادة الاشراف والعلماء والفقهاء والاعيان ورفعوا الشريف ادريس عن ولاية الحجاز

•(استقلال الشريف محسن بولاية الحجاز)•

وفوضوا الامر الى الشريف محسن وكان ذلك في سنة أربع وثلاثين وألف ولما أشيع بمكة ان السادة الاشراف بتمام اقامة الشريف محسن مستقلا بالامر حصل اضطراب عظيم في البلد وحركة عظيمة وقسمت آلات الحرب من الجانبين وكان ذلك يوم الاربعاء ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين وألف فلما كان يوم الخميس ألبس كل منهما آلة الحرب لمن معه من العساكر والجنود ووقف كل منهما عند باب داره فبرز من جماعة الشريف محسن شرذمة من جانب مقعد السيد بشير بنية عقد الندا في البلد للشريف محسن استقلالا فقبل وصولهم المقعد رماهم الجماعة المحمولون في مدرسة السيد العيدروس بالبندق فقتل من الجماعة المذكورين بالبندق السيد سليمان بن عجلان بن ثقبة وانفلت جماعة بن زين العابدين وزير الشريف محسن فرجع الباقون وفي ضحى هذا اليوم ركب الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن ومعه خيل والمنادي ينادي بالبلاد للشريف محسن

الى نفسي فما يبني و بينك تتردد الي بالنعم وأتبغض اليك بالمعاصي ولكن الثقة بك حملتني على الجراءة عليك فعد بفضلك واحسانك الى انك أنت التواب الرحيم قال فقرأته وأخذت الورقة في جيبي واذا بالرسل تسعى الي تستعجلني فأتيته واذا هو جمر يتلظى فلما وقع نظره علي سكن غضبه وغيظه وتبسم وقال لي ويلك أتحسن السحر فقلت لا والله يا أمير المؤمنين ثم قصصت عليه أمري ثم قال هات الورقة فأخذها وصار يبكي الى ان بل لحيته وأمر لي بعشرة دنانير ثم قال أتعرف الرجل فقلت لا قال ذاك الخضر عليه السلام • قلت وأنا أروي هذه الحكاية عن والدي الشيخ علاء الدين أحمد القادري الخرقاني النهرواني الحنفي نزيل مكة المشرفة رحمه الله تعالى قال أنبأني بهذه الحكاية العز بن عبد العزيز بن النجم عمر بن فهد عن القاضي زين الدين أبي بكر بن الحسين العثماني المراغي عن الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي • قال أنبأنا الامام أبو الحسن علي بن أحمد بن البخاري عن الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي قال له أنبأنا محمد ابن ناصر أنبأنا المبارك بن عبد الجبار أنبأنا محمد بن علي بن الفتح حدثنا أبو نصر محمد بن محمد النيسابوري عن ابراهيم ابن أحمد الخشاب حدثنا أبو علي الحسن بن عبد الله الرازي حدثنا المثنى حدثنا سلمة القرشي قاضي اليمن قال سمعت أبا المهاجر المكي يقول قدم المنصور مكة وكان يخرج من دار الندوة الى الطواف آخر الليل وساق الحكاية بطولها قال النجم عمر بن فهد رحمه الله • وفي سنة ثمان وخمسين ومائة عزم على الحج أبو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان الثوري فلما وصل الى بئر ميمون بعث الى الخشابين فقال لهم ان رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه فجاؤا ونصبوا له الخشب وكان بالابطح فناء الكعبة ورأسه في حجر فضيل بن عياض ورجلاه في حجر سفيان بن عيينة فقيل له يا أبا عبد الله قم واختف ولا تشمت بنا الاعداء فتقدم الى أستار الكعبة وأخذها ثم قال برئت منه ان دخلها أبو جعفر وعاد الى مكانه فركب أبو جعفر وعاد الى مكانه فركب أبو جعفر المنصور من بئر ميمون فلما كان بين الحجون سقط عن فرسه واندقت عنقه فمات لوقته في سابع الحجة وقت السحر فحفر والمعلاة قبر ودفنوه في أحد هاليعموا قبره على الناس وبر الله قسم عبده سفيان فانظر الى عباد الله المخلصين وادلالهم على جناب قدس رب العالمين وكيف حال أهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم في عظمة سلطان السلاطين

وما اسفر سلطان المنصور العباسي من مأمونين وما اسرع زوال ملكه وصير وزيره عبرة للمعتبرين ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وعلم ان الملك لله الواحد القهار لا شريك له في الملك ولا ولي له من الذل على الدوام والاستمرار والمنصور هو الذي بنى مدينة بغداد ومولده سنة خمس وتسعين ومدة ملكه اثنتان وعشرون سنة وثلاثة أشهر وعاش أربعا وستين سنة وكان رأى منا ما يدل على قرب أجله فعهد الى ولده محمد وسار الى الحج وتوفي كما ذكرنا (وولي بعده الملك والخلافة ولده أبو عبد الله محمد ولقبه المهدي)* ثالث من ولي من العباسيين وقام بالبيعة له بمكة لما مات أبوه أبو الربيع بن يونس الحاجب وأسرع بارسال الخبر اليه فوصل اليه الخبر في بغداد فكتم الامر ثم جمع الناس فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان المنصور أمير المؤمنين عبد دعى فأجاب وأمر فأطاع ثم ذرفت عيناه ثم قال بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفراق الاحبة وقد فارقت عظيما وقلدت جسيما فعند الله أحتسب أمير المؤمنين وبه أستعين على خلافة أمور المسلمين ونزل فبايعه الناس وأول من جمع بين تعزيته وتهنئته أبو دلامة الشاعر حيث قال

عيناي واحدة ترى مسرورة ... بأميرها جذلى وأخرى تذرف

تبكي وتضحك تارة ويسوءها ... ما أنكرت ويسرها ما تعرف

فيسوءها موت الخليفة محرما ... ويسرها ان قام هذا الخلف

ما ان رأيت كما رأيت ولا أرى ... شعرا أسرحه وآخر أنتف

هذا حباه الله فضل خلافة ... ولذاك جنات النعيم تزخرف

وكان المهدي لما شب ولاه أبوه طبرستان والري وما يليها فتأدب وتميز وجالس من العلماء وكان كريما مليح الشكل شجاعا محبا للعلماء وكان يقول ادخلوا على العلماء والقضاة وأحضروهم عندي فلو لم يكن من حضورهم الا رد المظالم حياء منهم لكان خيرا وقدم عليه مروان بن أبي حفصة الشاعر وأنشده قصيدة فلما وصل الى قوله

اليك قصرنا النصف من صلواتنا ... مسيرة شهر بعد شهر نواصله

وما نحن نخشى أن يخيب مسيرنا ... اليك ولكن أهنأ البر عاجله

فضحك المهدي وقال كم بيتا قصيدتك قال سبعون بيتا فأمر له بسبعين ألف درهم قبل أن يتم انشادها وله شعر رقيق لطيف أحسن من شعر أبيه وأولاده بكثير ومنه ما ذكره الصولي وهو

ما يكف الناس عنا ... ما يريد الناس منا

انما همتهم أن ... ينبشوا ما قد دفنا

ولم يزل هذا الاضطراب في البلد ذلك اليوم جميعه ومن ألطاف الله تعالى ان الجماعة بالمسجد الحرام فاتته ذلك اليوم والاسواق فاتحة وفيها الاقوات ولم يحصل تغير أبدا فلما كانت ليلة الجمعة خامس المحرم وقع الصلح بينهما على أن يستقل الشريف محسن بالامر ويكون الكف عن المحاربة ستة أشهر منها ثلاثة يكون الشريف ادريس فيها في البلد وثلاثة في البر فاتفق الحال ودعا الخطيب للشريف محسن يوم الجمعة بمفرده ثم خرج ادريس من مكة ليلة المولد وقال في خلاصة الاثر ونقل الثقات انه لما شوري عليه وأجلبت عليه الاشراف ومن معهم حيث انه أصيبت جوربة بين يديه بالبندق فسقطت ميتة بين يديه فارتاع لذلك وحزن ووضع منديلا لطيفا على وجهه وبكى لفقد الناصرين فدخلت عليه في تلك الحالة أخته الشريفة زينب بنت الحسن فقالت له علي م ذا الحزن والعناد منهم الاين أخيك فقد وليتها مدة طويلة فحينئذ أرسل الى الشريف محسن والاشراف وطلب منهم مهلة شهرين في البلد وأربعة أشهر خارجها ليتأهب للسفر الى حيث شاء فأعطاه الشريف محسن ذلك وشرط عليه أن لا يحدث شيئا من المخالفات فاستمر شهر محرم وصفر فمرض فيه حتى خيف عليه

(وفاة الشريف ادريس سنة ١٠٣٤)

وفي ليلة المولد خرج من مكة فما طاق للوداع الا في محفة وخرج وقد أضعفه المرض فتوفي سابع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة بمحل يسمى ياطب ودفن بمحل يسمى ياطب ومن الاتفاق العجيب ان ياطب حسابه بالجمل اثنتان وعشرون سنة وهي مدة ولايته مجبورة فان ولايته احدى وعشرون سنة ونصف وعمره ستون سنة ووصل خبر وفاته الى مكة في مستهل رجب وصلى عليه صلاة الغائب بالمسجد الحرام رحمه الله تعالى واستمر الشريف محسن على امارة مكة وعرض الى الابواب السلطانية بما وقع فجاءه الجواب بالتأييد وقرئت المراسيم رابع عشر رمضان سنة ألف وأربعة وثلاثين وكان القارئ لمرسومه العلامة الشيخ عبد الرحمن المرشدي وكانت ولادة مولانا الشريف محسن سنة تسعمائة وأربع وثمانين ونشأ في كفالة عمه أبي طالب لان أباه الشريف حسينا توفي في حياة أبيه الشريف الحسن بن أبي نمي كما تقدم وكان الشريف محسن كثير الفضائل قال العلامة العصامي في تاريخه قام بالامر الشريف محسن وأحسن كما أحسن الله اليه ونهض من الاحكام ما وجب عليه فصفت من الامن مناهله وصحت من طريق الجهل مجاهله وقد ألف العلامة أحمد بن الفضل باكثير تأليفا في مناقبه ومحاسنه سماه وسيلة المآل بذكر فضائل الآل ومدحه الشعراء بقصائد وأرخوا عام ولايته فمن ذلك قول الامام علي بن عبد القادر الطبري

عام ولاية المليك محسن ... ابن الحسين بن الشريف الحسن

من رام أن يضبطه فقد أتى • تاريخه خير ملوك الزمن

وللامام زين العابدين بن عبد القادر الطبري أبيات في آخرها التاريخ وهو هذا

فاهنأ فقد جاء تاريخه المقشرون بالحسن المؤرخ عامه

ولي الملك محسن بن حسين • أعجز الله نصره وأدامه

ومن الوقائع الغريبة في مدة ولايته انه خرج في خمس وثلاثين بعد الالف غازيا الى جهة الشرق فاتفق انه في هذه السنة كانت خطبة العيد للامام زين العابدين ابن الامام عبد القادر الطبري فتأهب واستعد لها بجميع ما يحتاجه من السماط والحلوى على القاعدة المعروفة

•(نقل خطبة العيد من الائمة الشافعية الى الائمة الاحناف وما وقع فيها من الغرائب)•

فلما كان يوم الاربعاء سلخ رمضان المعظم أرسل الوزير حيدر باشا الوارد من اليمن ذلك العام الى الوزير مصطفى السيوري ان لا يباشر العيد الا خطيب حنفي فتوجه الامام عبد القادر الطبري الى الوزير مصطفى السيوري وراجعه في ذلك فقال الوزير تراجع الباشا فرجع الامام عبد القادر الى منزله وأتى بعد المغرب الى دار ولده وقد تأهب وأحضر كل ما يحتاج اليه فجاءه الخبر بالمنع فشهق شهقة الامام عبد القادر وكانت موتا وطلعت روحه فلما تحقق موته نقل الى بيته وباشر الخطبة الشيخ محمد بن موسى الفليوي المكي ونزلوا بجنازة الامام عبد القادر والخطيب على المنبر فيا له من فرح انقلب الى مأتم وسرور تبدل الى حزن ومأتم وتقطع قلوب عيال أتتهن المصائب ماقلات فدموع الحزن في دم الدلال سافكات ولم يزل مولانا الشريف محسن منفردا بمراده قامعا الاضداده آمنا في سربه عزيزا في حزبه الى ان دخلت سنة سبع وثلاثين وألف فورد من السلطنة العلية أحمد باشا متوليا على اليمن فلما دخل مركبه بجدة ومعه نحو الفين من العسكر غرق بالقرب من جدة ونجا هو ونحو ثلثمائة من عسكره وكان دخوله الى جدة في صفر من السنة المذكورة فطلب الباشا المذكور من خدام مولانا الشريف محسن الذين في جدة غواصين لطلب أسبابه فعينوا له أقواما غاصوا نحو خمسة عشر يوما ولم يخرجوا شيأ من أسبابه فتخيل انهم مأمورون بذلك من مولانا الشريف محسن مع انه بعث الى مولانا الشريف بهدية سنية وأرسل له مولانا الشريف الشيخ عبد الرحمن المرشدي مفتي السلطنة بمكة فكان بينه وأوصى عليه خدمه فلما استحكم ذلك الخيال من الباشا أنفت نفسه وشنق حاكم مولانا الشريف بجدة وهو القائد راجح ونزل الى جدة الشريف أحمد بن عبد المطلب بن الحسن بن أبي نمي قال في خلاصة الاثر انه كان بين الشريف مسعود بن ادريس بن حسن وبين الشريف أحمد بن عبد المطلب عالانة ومواطأة قبل نزوله لبندر جدة مضمونها ان الشريف أحمد قال للشريف مسعود اني

لو شكا باطن الارض • من اكانوا ابحيث كانا ان أرادوا كشف أمري • قد سترناه كشفنا ومن نظمه هذا البيت من عدة أبيات نظمها في جارية كان يحبها حبا شديدا أما يكفيك انك تملكيني • وأن الناس كلهم عبيدي وكان المهدي يحب الحمام فدخل عليه غياث وكان يروي الحديث فقال يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا لا سبق الا في حافر أو نصل وزاد فيه أو جناح ففهم المهدي انه وضع له هذه الزيادة في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه بالرد تأدبا وأمر له بعشرة آلاف درهم فلما قام قال المهدي أشهد ان قفاه قفا كذاب ثم أمر بذبح ما عنده من الحمام فذبحت وكان نقش خاتمه الله ثقة محمد وبه يؤمن وحكى الربيع قال عرض على المنصور يوما خزائن مروان بن محمد وكان من جملتها اثنا عشر ألف عدل ثياب خز فأخرج منها ثوبا واحدا ودعا الخياط وقال فصل من هذا جبة لي وجبة لولدي محمد المهدي فقال لا يجيء منه جبتان فقال فصل جبة وقلنسوة وبخل ان يخرج ثوبا آخر منها فلما أفضت الخلافة الى ولده محمد المهدي أمر بتلك الثياب كلها بعينها ففرقها كلها في عبيده وخدمه في ساعة واحدة وكان جوادا شجاعا كثير الظهور انصيد الا انه يكره الزنادقة وقتل منهم خلقا كثيرا ووصى ابنه الهادي بقتلهم حيث وجدهم وقال النجم عمر بن فهد في حوادث سنة ستين ومائة وفيها حج أمير المؤمنين المهدي العباسي وحمل له الامير محمد بن سليمان الثلج حتى وافى به مكة وهذا شيء لم يتم لاحد قبله ونزل المهدي دار الندوة وجاءه عبد الله بن عثمان بن ابراهيم الحجبي في ساعة خالية نصف النهار فأدخل عليه فقال له ان معي شيأ لم يعمل لاحد قبلك فكشف له من الحجر الذي فيه صورة قدمي ابراهيم خليل الله عليه السلام وهو الذي يزار الآن بمقام ابراهيم عليه السلام فسر المهدي بذلك وقبله وتمسح به وصب فيه ماء وشرب به وأرسله الى أهله وأولاده فتمسحوا به وشربوا منه ثم احتمله وأعاده الى مقام ابراهيم وأعطاه المهدي جوائز كثيرة وأقطعه شرفا بوادي نخلة يقال له ذات الفريع فباعه بعد ذلك بسبعة آلاف دينار • وذكر حجبة الكعبة للمهدي انه تراكمت على الكعبة كسوة كثيرة أثقلتها ويخاف على جدرانها من ثقلها فأمر بنزعها فنزعت حتى بقيت مجردة ووجدوا كسوة هشام من الديباج الثخين وكسوة من قبله عامها من ثياب اليمن فجردت الكعبة منها وطلي جدرانها من داخلها وخارجها بالغالية والمسك والعنبر وصعد الخدام على سطح

الكعبة وصاروا يسكبون قوارير الغالية الممسكة المطيبة على جدران الكعبة الى أن استوعبوها ثم كسيت ثلاث كساوى من القباطى والخز والديباج وقسم المهدى فى الحرمين الشريفين أموالا عظيمة وهى ثلاثون ألف ألف درهم وصل بها معه من العراق وثلثمائة ألف دينار وصلت اليه من مصر ومائتا ألف دينار وصلت اليه من اليمن ومائة ألف ثوب وخمسون ألف ثوب فرق جميع ذلك على أهل الحرمين واستدعى قاضى مكة يومئذ وهو محمد الاوقص بن محمد بن عبد الرحمن المخزومى وأمره أن يشترى دورا فى أعلى المسجد ويهدمها ويدخلها فى المسجد الحرام وأعطاه لذلك أموالا عظيمة فاشترى القاضى جميع ما كان بين المسجد الحرام والمسعى من الدور وقفا كانت من الصدقات والاوقاف (٦٨) اشترى للمستحقين بدلها دورا فى فجاج مكة واشترى كل ذراع مكسر فى مثله مما دخل فى المسجد بخمسة عشر دينارا وكان مما دخل فى ذلك الهدم دار الازرقى وهى يومئذ لاصقة بالمسجد الحرام من أعلاه على يمين الخارج من باب بنى شيبة وكان ثمن ناحية منها ثمانية عشر ألف دينار وكان أكثرها داخلا فى المسجد الحرام فى زيادة عبد الله بن الزبير ودخلت أيضا دار خيرة بنت سباع الخزاعية وكان ثمنها ثمانية وأربعين ألف دينار دفعت اليها وكانت شارعة على المسعى يومئذ قبل ان يؤخر المسعى ودخلت أيضا دار لآل جبير بن مطعم ودار شيبة بن عثمان اشترى جميع ذلك وهدم وأدخل فى المسجد وجعل دار القوارير رحبة بين المسجد الحرام والمسعى حتى استقطعها جعفر البرمكى من الرشيد لما آلت الخلافة اليه فبناها دارا ثم صارت الى حماد البربرى فعمرها وزين باطنها بالقوارير وظاهرها بالرخام والفسيفساء ثم قلت وتداولت الايدى عليها بعد ذلك الى أن واناه صارت رباطين متلاصقين أحدهما كان يعرف برباط المراغى والثانى كان يعرف برباط السدرة فاستبدلهما السلطان قايتباى وبناهما مدرسة ورباطا فى سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ووقف عليها مسقفات بمكة وأقطاعا بمصر وهو باق الى الآن صدقة جارية على سكانه غير انه شرع فى أوقافه الخراب لاستيلاء الايدى الجارية عليها عمر الله من عمرها وأحسن الى من أحسن نظرها وهذه الزيادة الاولى للمهدى فى أعلى المسجد وكذلك فى أسفل الى أن انتهى به الى باب بنى سهم ويقال له الآن باب العمرة والى باب الخياطين ويقال له الآن باب الخياطين وكذلك زاد من الباب الشامى الى منتهاه الآن وكذلك زاد فى الجانب اليمانى أيضا الى قبة

لا أريد الملك لنفسى انما أريده لك وهو بيننا فقد بذل من استطعت من آل أبى نمى وثبطهم وحل عزائمهم فوعده الشريف مسعود بذلك وفعل فلما نزل الشريف أحمد الى جدة تداخل مع أحمد باشا المذكور فولاه شرافة مكة ونادى له فى جدة وآبان عزل مولانا الشريف محسن ثم قدر الله ان الباشا مات فى تلك الايام وعد الناس ذلك من كرامات صاحب مكة فكتب كخيا الباشا لمولانا الشريف محسن بوفاة الباشا وطلب منه عشرة آلاف قرش ليتوجه بها الى اليمن قال والبلاد بلادكم فلم يفعل فكلم الكخيا الشريف أحمد بن عبد المطلب واستمال العسكر فقتلوا الكخيا ومن بقى من جماعة الشريف محسن ونهبوا دار التجار وأهل البلد فأخذ منهم جملة من الاموال ونهب حرب الشريف محسن فلما بلغ ذلك مولانا الشريف محسنا خرج لهم الى الحديبية موضع مقابل لجدة فخرج اليه بعض الاشراف وأخذوا قطيع غنم لعرب فقاتلهم بعض الاشراف فقتل السيد ظافر بن سرور ابن أبى نمى والسيد أبو القاسم بن بازان وغيرهما ومن الاشراف ذوى الحسين ثم انحاز كل الى فئته وأتى الخبر لمولانا الشريف محسن ان السيد مسعود بن ادريس دخل مكة واستمال الاشراف بنى حسن بكتاب جاءه من الشريف أحمد بن عبد المطلب أطمعه فيه بمناصفة مكة ان هو استمال الاشراف اليه فكر الشريف محسن راجعا الى مكة ونزل على جماعته هنالك السيد قايتباى بن سعد بن بركات فخرج خلفه الشريف أحمد ومعه العسكر الذى ورد مع الباشا السابق ذكره وسار من جدة الى مكة فى سبعة عشر يوما ولما وصل التنعيم لاربع عشرة ليلة بقيت من رمضان خرج الشريف محسن لقتاله بجيش جرار الا أن غالب من معه كان مباطنا للشريف أحمد وواسطة السيد مسعود بن ادريس فلما التقى الفريقان وتبين للشريف محسن انحلال عقد من معه كف عن القتال بعد ان أطلق جماعة الشريف أحمد مدافعهم وتوجه الشريف محسن ومعه بعض جماعته الى اليمن

•(وفاة الشريف محسن بأرض اليمن سنة ١٠٣٨)•

واستمر هنالك الى ان توفى سنة ألف وثمان وثلاثين وعمره أربع وخمسون سنة ودفن بصنعاء وبنى عليه قبة هنالك تزار

•(دخول الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن مكة ومعاقبته لبعض أعيانها سنة ١٠٣٧)•

ودخل مكة الشريف أحمد بن عبد المطلب ضحى يوم الاحد سابع عشر رمضان سنة سبع وثلاثين وألف وفر من مكة من كان فيها من جماعة الشريف محسن واختفى من اختفى وممن اختفى من الاعيان الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدى الحنفى مفتى السلطنة العلية فلما بلغه اختفاؤه حث فى طلبه ونادى عليه ببراءة الذمة ممن وجد لديه فأظهره من أضمره فذهب به داره وقبض عليه وحبسه

وأنشأه القاضي أحمد بن عيسى المرشدي

* (سبب قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدي) *

ثم قتل الشيخ عبد الرحمن في السجن كما سيأتي قال الرضي في تاريخه اختلفت الاقوال في سبب قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدي فقيل تعريضه بالشريف أحمد بن عبد المطلب في خطبة عقد بها الى خطيبها في زواج سلطانة بنت علي شهاب وكان الشريف أحمد طلب التزوج بها فلم يزوج فعرض الشيخ بذلك حيث قال في ابتداء الخطبة الحمد لله الذي أعز سلطانه وأدحض شيطانه وقيل انه جاء الى الشريف المذكور عند موت أخيه السيد محمد بن عبد المطلب معزيا لابسا صوفا أبيض أي وكانت عادتهم لبس السواد في مثل ذلك اليوم وقيل ان الشريف أحمد حين استولى على مكة وطلع الى دار السعادة على فرش الشريف محسن وجد تحت طرف المرتبة قيا من الشيخ المذكور يتضمن بقاء جارين ظالمين ويوجب قتالهم بخطه المعروف وامضاء الموصوف وكان الشريف أحمد بعد ان حبس الشيخ عبد الرحمن المرشدي يخرجه في كل شهر لحضور ديوانه وهو في اصفاده واحزانه فأقبل مرة فلما قرب من حضرة الشريف أحمد بن عبد المطلب أنشد

لا تضع للعزيز قدرا وان كنت مشارا اليه بالتعظيم

فالعزيز الكريم ينقص قدرا * بالتعدي على العزيز الكريم

فالتفت الشريف الى الحاضرين وقال انظروا الى جراءته في ثلبي وقوة جنانه لحربي فجعل عين ذلك المجلس وهو الامام زين العابدين بن عبد القادر الطبري يعتذر ويحسن التعليل عما قدر وقصره الشريف عن التطويل وقال هيهات انما قصده من القطعة ما قيل ولم الحر بالتسول رى المشعر بتعيينها وبالتصريح * ثم قال والله اني لاعلم انه افضلكم على الاطلاق وتدعو لي العفو عنه الا انه يطأ تكرا ان جعل نفسه عقلا وجعلني تمرا وأمر باعادته الى حبسه الى ان نقله الى رمسه فانه لم يزل في الحبس الى الموسم فورد الحج المصري وأميره قانصوه باشا ومعه الخلع الواردة لصاحب مكة فخرج للقائه الشريف أحمد فالبسه الخلعة على جري العادة ورجع بالناس ولم يحج أحد من أهل مكة في هذا العام الا القليل ولما كانت ليلة الحادي عشر من ذي الحجة جاء مولانا الشريف من أوحى اليه ان الامراء عزموا على اطلاق الشيخ عبد الرحمن المرشدي وتخليصه من يد مولانا الشريف فبعث من ليلته الى الحبس

* (قتل الشيخ عبد الرحمن المرشدي في السجن) *

وأمر بقتل الشيخ وأخيه فشفع ما كه عتيق بن عمر في القاضي أحمد أخي الشيخ عبد الرحمن لصحبة

الشراب وتسمى الآن قبة العباس والى حاصل الزيت وكان بين جدار الكعبة اليماني وجدار المسجد الحرام الذي يلي الصفا تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع وكان مارا بمسيل الوادي فهذه كلها الزيادة الاولى للمهدي وأمر بالاساطين فنقلت من مصر ومن الشام وحملت بحرا الى قريب جدة في موضع كان في أيام الجاهلية ساحلا لمكة يقال لها الشعيبة فجمعت هنالك لان مرساها قريب بخلاف بندر جدة لان مرساها التي تقف فيه السفينة بعيدة من البر وحاذت أساطين الرخام تحمل منها على العجل وتساق الى العربات ان بها الآن بقايا أساطين رخام دفنها الريح بالرمل والله أعلم بحقيقة ذلك * وعمل الاساس لتلك الاساطين بحيث حفروا لها في الارض جدارات على شكل الصليب أقاموا كل اسطوانة على موضع القاطع كشف منه السيل العظيم الواقع في سنة ثلاثين وتسعمائة فشاهدنا أساس الاساطين على هذا الوجه واستمر عليهم الى سنة أربع وستين ومائة فحج المهدي في ذلك العام وشاهد الكعبة المعظمة ليست في وسط المسجد بل في جانب من وراء المسجد فقد اتسع من اعلاه وأسفله ومن جانبه الشامي وضاق من الجانب اليماني الذي يلي مسيل الوادي وكان في محل السيل الآن بيوت الناس وكانوا يسلكون من المسجد في بطن الوادي ثم يسلكون زقاقا ضيقا ثم يصعدون الى الصفا وكان المسعى في موضع المسجد الحرام اليوم وكان بابه دار محمد بن عباد بن جعفر العابدي عند حد ركن المسجد اليوم عند موضع المنارة الشارعة في نحر الوادي يردونها في بعض المسجد الحرام اليوم فهدموا أكثر دار محمد بن عباد بن جعفر العابدي وجعلوا المسعى والوادي فيها وكان عرض الوادي من الميل الاخضر اللاصق لمأذنة التي في الركن الشرقي وكان هذا الوادي مستطيلا الى أسفل المسجد الآن يجري فيه السيل ملاصقا لجدر المسجد اذ ذاك وهو الآن بطن المسجد من الجانب اليماني * فلما رأى المهدي تربيع المسجد الحرام ليس على الاستواء ورأى الكعبة الشريفة في الجانب اليماني من المسجد أراد لتكون الكعبة في وسط المسجد فقال له لا يمكن ذلك الا بأن تهدم البيوت التي على حافة المسيل في مقابلة الجدار اليماني من المسجد وينقل المسيل الى تلك البيوت ويدخل المسيل في المسجد كما قدمنا ومع ذلك فان وادي ابراهيم له سيول عارمة وهو واد منحدر يخاف ان حولناه عن مكانه ان لا يثبت أساس البناء فيه على ما تريد من الاستحكام فيذهب به السيل ونحولوا السيول فيه

فانصب في المسجد يلزم هدم دور كثيرة وتكثر المؤنة وتكبر ولعل ذلك لا يتم فقال المهدي لابد ان أزيد هذه الزيادة ولو أنفقت جميع بيوت الاموال وصمم على ذلك وعظمت نيته واشتدت رغبته وصار يلهج به فهندس المهندسون ذلك بحضوره وربطوا الرماح ونصبوها على أسطحة الدور من أول الوادي الى آخره ورمموا الوادي من فوق الاسطحة وطلع المهدي الى جبل أبي قبيس وشاهد تربيع المسجد ورأى الكعبة في وسط المسجد ورأى ماهدم من البيوت وعمل مسيلا محلا للسعي وتخصوا له ذلك بالرماح المربوطة من الاسطحة ووزنوا له ذلك مرة بعد أخرى حتى رضي به ‌• ثم توجه الى العراق وخلف الاموال الكثيرة لشراء هذه البيوت والصرف على هذه العمارة العظمى وهذه هي الزيادة الثانية للمهدي في المسجد الحرام هذا ملخص ماذكره الازرقي والفاكهي والحافظ نجم الدين عمر بن فهد وتواريخهم رحمهم الله تعالى ﴿وههنا اشكال﴾ ما رأيت من تعرض له وهو ان السعي بين الصفا والمروة من الامور التعبدية التي أوجبها الله تعالى علينا في ذلك المحل المخصوص ولا يجوز لنا العدول عنه ولا تعتبر هذه العبادة الا في ذلك المكان المخصوص الذي سعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وعلى ماذكره هؤلاء الثقات أدخل ذلك المسعى في الحرم الشريف وتحول المسعى الى دار ابن عباد كما تقدم ‌• وأما المكان الذي يسعى فيه الآن فلا يتحقق انه بعض من المسعى الذي سعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غيره فكيف يصح السعي فيه وقد حول عن محله كما ذكر هؤلاء الثقات ولعل الجواب عن ذلك ان المسعى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عريضا وبنيت تلك الدور بعد ذلك في عرض المسعى القديم فهدمها المهدي وأدخل بعضها في المسجد الحرام وترك بعضها للسعي فيه ولم يحول تحويلا كليا والا لانكره علماء الدين من الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين مع توفرهم اذ ذاك فكان الامامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما والامام مالك بن أنس رضي الله عنه موجودين يومئذ وقد أقروا ذلك وسكتوا وكذلك من صار بعد ذلك الوقت في مرتبة الاجتهاد كالامام الشافعي وأحمد بن حنبل وبقية المجتهدين رضوان الله عليهم أجمعين فكان اجماعا منهم رضي الله عنهم على صحة السعي من غير نكير نقل عنهم وبقي الاشكال في جواز ادخال شيء من المسعى في المسجد وكيف يصير ذلك مسجدا وكيف

كانت بينهما فشفعه فيه ونزل المأمورون بقتل الشيخ عبد الرحمن فقتلوه صبرا في تلك الليلة ودفن بالشبيكة وقتل معه تلك الليلة حيدر الشامي أحد تجار مكة بدلا عن القاضي أحمد بن عيسى المرشدي لكونه أمر بقتل الاثنين فلما كانت صبيحة يوم الثلاثاء جاء الامر الى مولانا الشريف وذكروا له أمر الشيخ وشفعوا فيه فقال قد تفرطنا فيه وهلا ذكرتم لنا قبل هذا وكان عمر الشيخ المرشدي حين قتل احدى وستين سنة وأصاب الناس عليه أعظم حسرة وقتل الشريف أحمد هذه القتلة بعينها كما سيأتي وفي الاثر كما تدين تدان وهذا حال الدهر مع كل قاصر وذان وكان أحمد الشريف بن عبد المطلب ذا أدب وفضل نبيها نجيبا جيد الذكاء حسن الصورة عظيم الهيبة أخذ طريق الصوفية عن العارف بالله أحمد الشناوي وهو الذي بشره بولاية مكة لكنه قال له على الشهادة يا أحمد فقال على الشهادة وكان كثيرا ما يكني عنها بطلوع الشمس ولما دخل مكة واستولى عليها صادر كثيرا من الناس وأخذ أموالهم ولم يرحم أحدا وعاقب كثيرا ممن كان قبل استبعدها عنه ويغض منه وكان له اخوان وطلباء قبل الولاية فقال لهم الاذية واستمر متغلبا على مكة نحس من حبس وقتل من قتل فنفرت الناس وجلت عن مكة وخالفت القبائل وتقطعت الطرق وأكثر العسكر الفساد في تشريف البلاد وسكنوا بيوت الاشراف وانتهكوا حرمتهم وكان ممن فر منه واختفى الشيخ جمال الدين محمد باقشير فتوجه مع الحج المصري الى مصر مختفيا وفي ليلة خروجه مختفيا صادف في خروجه في طريقه الشريف أحمد عائدا من العمرة فكتب بطاقة وأمر بعض العامة أن يعطيها الشريف أحمد فأوصلها له فقرأها في ضوء الشمع وكان يسير به ليلا بدلا عن المشاعل فاذا فيها

تستحل الدماء وتحرم بالعمـ ـرة دعها وعن دما الناس أمسك
ما رأينا والله أعجب حالا ‌• منك وا لها الغافل متنسك

فسأل عن صاحب الرقعة فلم يعرف ولحق الشيخ جمال الدين باقشير بمصر الى ان قتل الشريف أحمد فرجع الى مكة واستمر الشريف أحمد على ولاية مكة ولم يف للشريف مسعود بن ادريس بتلك العهود بل أراد قتله ففر الى قانصوه باشا والتجأ اليه فوجد قانصوه ملوا على الشريف أحمد فلما أقبل قانصوه قاصد اليمن لاواه الشريف مسعود من ينبع أوالحوراء وجاء معه مختفيا وكان قانصوه مأمورا ان ينظر في أمر مكة ويولي فيها من يختار ولما ان قضت الحاج مناسكهم وذهبوا الى بلادهم نزل قانصوه بنفر أسفل مكة فلما تحرك للسفر قدم ثقله ولم يبق الا خيمه وخيام العسكر فأشار قانصوه الى شخص يتعاطى خدمته من أبناء الطواف يسمى محمد الميناس ان يحسن للشريف أحمد الوصول الى قانصوه للوداع ففعل وذهب الى الشريف أحمد وحسن له ذلك يوم السبت رابع عشر صفر

حال الاعتكاف فيه وحله بأن يصل حكم المسعى حكم الطريق فيصير مسجدا ر يصح الاعتكاف فيه حيث لم يضر بمن يسعى فاعلم ذلك وهذا مما انفردت ببيانه ولله الحمد على التوفيق لتبيانه ﴿فصل﴾ ومما يلائم ما نحن فيه ما نقل في التعدي على المسعى الشريف واغتصاب ما وقع قبل عصرنا بنحو مائة عام في أيام دولة الجراكسة في سلطنة الملك الاشرف قايتباى المحمودي سامحه الله تعالى ومحصله انه كان تاجر يستخدمه قبل سلطنته ويتعاطى له متاجره مع دينه وخيريته وما آثره الجبلة واعتقاده في العلماء والصلحاء واتصافه بطلب العلم أيضا وكان السلطان قايتباى أرسله الى مكة ليتعاطى له متاجره وليعمر له مدرسة ويعمر جانبا من الحرم الشريف ومن المسجد الشريف النبوي بعد الحريق المشهور الواقع في سنة ست (٨٦) وثمانين وثمانمائة وبنى له المدرسة التي في المدينة الشريفة وأجرى عين الزرقاء بالمدينة وعين خليص من طريق المدينة وعين عرفات وغير ذلك من الخيرات الجارية الى الآن غير أن حب الجاه ونفاذ الامر أوقعه فيما نذكره وهو انه كان بين الميلين ميضأة أمر بعملها الملك الاشرف شعبان بن الناصر حسن ابن قلاوون وكانت في مقابلة باب علي وحدها من الشرق بيوت للناس ومن الغرب المسعى الشريف ومن الجنوب سيل وادي ابراهيم الذي يقال له الآن سوق الليل ومن الشمال دار سيدنا العباس رضي الله عنه الذي هو الآن رباط يسكنه الفقراء فاستأجر الخواجا شمس الدين بن الزمن هذه الميضأة وهدمها وتقدم من جانب المسعى نحو ثلاثة أذرع وحفر أساسه ليبني بها رباطا لسكن الفقراء فمنعه من ذلك قاضي القضاة بمكة عالم المسلمين وقاضي الشرع المبين القاضي برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي فلم يمتنع من ذلك فجمع القاضي ابراهيم محضرا حافلا حضره علماء المذاهب الاربعة ومن أجلهم مولانا الشيخ زين الدين قاسم بن قطلوبغا الحنفي رئيس العلماء الحنفية يومئذ والشيخ شرف الدين موسى بن عبد الملك المالكي والقاضي علاء الدين الرداوي الحنبلي وبقية العلماء المكيين والقضاة والفقهاء وطلب الخواجا شمس الدين بن الزمن وأنكر عليه جميع الحاضرين وقالوا له في وجهه ان عرض المسعى كان خمسة وثلاثين ذراعا وأحضر النقل من تاريخ الفاكهي وذرعوا من ركن المسجد الى المحل الذي وضع فيه ابن الزمن أساسه فكان سبعة وعشرين ذراعا فقال ابن الزمن المنع ما يصير الا بخط السلطان الذي أرسلني في أربعة ميع الناس فقال له القاضي أمنعك الآن لا تلك مباشرق

سفر فلما كانت ليلة الاحد خامس عشر الشهر المذكور سنة تسع وثلاثين وألف ركب الشريف أحمد اليه وصحبته جماعة من الاشراف ومن الخدم فلم يزالوا يدخلون في الخيم من باب الى باب حتى وصلوا اليه فصادفوه نائما ثم نصبوا الشطرنج

•(قتل الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة ١٠٣٩)•

فلما كانت الساعة الخامسة من الليلة المذكورة قبض على الجميع فقتل الشريف أحمد وأطلق الباقين فتحركت عساكره فأظهر لهم مقتولا ونشر العلم ونودي المطيع للسلطان يمشي تحته فوقفت العساكر تحته وخلع على الشريف مسعود بن ادريس وكانت مدة ولاية الشريف أحمد بن عبد المطلب سنة واحدة وأربعة أشهر وثمانية عشر يوما

•(ولاية الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن أبي نمي سنة ١٠٣٩)•

فولي مكة بعده مولانا الشريف مسعود بن ادريس بن حسن بن أبي نمي وكان ملكا جوادا شجاعا حسن التدبير محبا للادب عارفا بمقادير العلماء والافاضل فابتهج به الناس المكي وكثر عليه الثناء ومدحه الشعراء بالقصائد

•(دخول السيل المسجد وسقوط البيت سنة ١٠٣٩)•

وفي هذه السنة أعني سنة تسع وثلاثين بعد الالف كان سقوط البيت في مدة الشريف مسعود المذكور وسببه انه وقع مطر شديد في التاسع عشر من شعبان ودخل السيل المسجد وغرق فيه نحو ألف انسان وهذه القصة مع العمارة مذكورة في التواريخ فلا حاجة بنا الى ذكرها

•(وفاة الشريف مسعود سنة ١٠٤٠)•

وفي اثناء مدة العمارة توفي الشريف مسعود في عشرين من ربيع الثاني سنة أربعين وألف فكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر

•(ولاية الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي وهو جد سادتنا
آل عون أمراء مكة حالا الى آخر الدوران)•

فاجتمع السادة الاشراف واتفقوا على تولية الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي وعرضوا ذلك الى السلطنة العلية فجاء مرسوم التأييد وكان اتمام عمارة البيت الشريف على يده وهذا الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي هو جد سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن عون أمير مكة فانه محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن ابن أبي نمي وقد ترجم صاحب خلاصة الاثر مولانا الشريف عبد الله بن حسن بن أبي نمي فقال كان سيدا جليلا

هذا الحال لهذا الفعل الحرام وأمر المعبرة أيضا بازالة تعليه وتوجه القاضي بنفسه الى محل الاساس ومنع البنائين والعمال من العمل وأرسل عرضا ومحضرا فيه خطوط العلماء الى السلطان قايتباي وكتب ابن الزمن أيضا اليه وكانت الجراكسة لهم تعصب وقيام ومساعدة من يلوذ بهم ولو على الباطل فلما وقف على تلك الاحوال السلطان قايتباي نصر ابن الزمن وعزل القاضي ابراهيم وولى خصمه المنصب وأمر أمير الحاج ان يضع الاساس على مراد ابن الزمن ويقف عليه بنفسه وكان أمير الحاج شيبك الجمالي فوصل في موسم سنة خمس وسبعين وثمانمائة ووقف بنفسه بالليل وأوقد المشاعل وأمر البنائين والعمال بالبناء خوفا من انكار العلماء عليهم فبنوه الى ان صعدوا بوجه الارض (٧٢) وجعل ابن الزمن ذلك رباطا وسبيلا وبنى في جانبه دارا وصغر الميضأة جدا وجعل لها بابا من جهة سوق الليل وجعل في جانب الميضأة مطبخا لطبخ فيه الدشيشة وتقسم على الفقراء ووقف على ذلك دورا بمكة ومزارع بمصر واستمرت الى آن انقطع ذلك الطبخ وبيعت القدور بل والدور وبالله العجب من ابن الزمن وما ذكرناه في فضله وخيريته كيف ارتكب هذا المحرم باجماع المسلمين طالبا به الثواب وكيف تعصب له سلطان عصره السلطان قايتباي مع انه أحسن ملوك الجراكسة عقلا ودينا وخيرية وهو يأمر بفعل هذا الامر المجمع على حرمته في مشعر من مشاعر الله تعالى وكيف يعزل قاضي الشرع الشريف لكونه نهى عن منكر ظاهر الانكار فرحم الله الجميع وسامحهم وغفر لهم وأين هذا مما يحكى عن أنوشروان العادل وهو من أهل الكفر لما أراد المهندسون تسوية ايوانه بادخال قطعة أرض لعجوز بعد أن بذلوا لها العلامة أضعاف ثمن أرضها فأبت فأمر بعدم التعرض لارضها فبقي في ايوانه ازورار بسبب ذلك فقيل هذا الازورار خير من الاستقامة وصار ذلك مثلا يذكر بعد الوقف من السنين وقال وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن روى ﴿فصل﴾ قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في حوادث سنة سبع وستين ومائة ما لخصه فيها هدمت الدور التي اشتريت لتوسعة المسجد والزيادة فيه الزيادة الثانية للمهدي فهدموا أكثر دار محمد بن عباد وجعلوا المسعى والوادي فيها وهدموا ما بين الصفا والوادي من الدور وخرقوا الوادي في موضع الدور حتى أوصلوه الى مجرى الوادي القديم في الاجياد الكبير وهو الآن الطريق الذي يمر منه الى دور السادة

عظيما لما ولي مكة بعد أخيه الشريف مسعود وهو اذ ذاك أكبر آل أبي نمي بالاتفاق من الاشراف وأمراء السلطان وكان ممتنعا من الولاية وتخلف عن جنازة الشريف مسعود فلذلك فالزموه بذلك حقنا للدماء فأقام ومازال وابه حتى رضي وحصل بولايته الامن والامان واستمر مولانا الشريف عبد الله بن حسن الى ان حج بالناس سنة أربعين

•(نزول الشريف عبد الله بن حسن عن الامارة لولده محمد ومشاركة زيد بن محسن لولده المذكور سنة ١٠٤١)•

وفي شهر صفر من سنة احدى وأربعين وألف خلع نفسه تعففا وديانة وقلد أمر مكة لولده الشريف محمد بن عبد الله وأرسل الى اليمن يطلب مولانا الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي لانه بقي هناك بعد ان توفي والده وأخبره انه يريد ان يجعله شريكا لولده فوفد عليه الشريف زيد ابن محسن من اليمن فأشركه مع ولده في النصف الآخر وتخلى مولانا الشريف عبد الله عن الامر وتجرد للعبادة الا انه كان يدعى له على المنبر معهما

•(وفاة الشريف عبد الله بن حسن سنة ١٠٤١)•

واستمر مولانا الشريف عبد الله بن حسن بعد ان خلع نفسه الى ان توفي ليلة الجمعة عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة وصلي عليه ودفن في قبة والده الشريف حسن فكانت مدة ولايته تسعة أشهر وثلاثة أيام وأعقب جملة من الذكور وهم محمد وأحمد وجود وحسين وهاشم وتقبة وزامل ومبارك وزين العابدين واستمر بعد وفاته ابنه الشريف محمد والشريف زيد بن محسن على ولاية مكة وجاءهما التأييد من السلطنة العلية واستقلتين وقرئ مرسومهما في سابع جمادى الاولى من هذه السنة وفي هذه السنة عصى أهل الطائف وقتلوا السيد راشد بن بركات بن أبي نمي صبرا في مضربه بالمبعوث فجاء الخبر للسيد علي بن بركات بن أبي نمي فاستنجد بني عمه جميعا فأجابوه فخرج معهم مولانا الشريف زيد بأمر مولانا الشريف محمد بن عبد الله ففضها وقتل من رأى في قتله الاصابة ورجع الى مكة ومعه غالب الاشراف في موكب عظيم وفي أواخر هذه السنة كانت وقعة الجلالية وملخصها ان عسكرا من اليمن خرجوا عن طاعة قانصوه باشا وجاء الخبر انهم لما وصلوا القنفذة اجتمع بهم السيد نامي بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي واستمالهم على أخذ مكة فأرسلوا مكاتيب لمولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد يطلبون الاذن في دخول مكة ثم يتوجهون الى مصر فرجع اليهم الجواب بعدم الاذن في دخول مكة ثم جاء الخبر بأن الاراذل وصلوا السعدية فخرج مولانا الشريف محمد ومولانا الشريف زيد ومعهما عساكر الى قوز المكاسة أسفل مكة قال

الاشراف أمراء مكة المشرفة عمر الله بهم البلاد وأزال بوجودهم مواد الفتنة والفساد وابتدؤا من باب بني هاشم من أعلى المسجد ويقال له الآن باب على رضى الله عنه ووسع المسجد منه الى أسفل المسجد وجعل في مقابلة هذا الباب باب في المسجد يعرف الآن بباب حزورة وهو يعرفه العوام فيسمونه باب عزورة لان السيل اذا زاد على مجرى الوادي ودخل المسجد خرج من هذا الباب الى أسفل مكة واذا اطفح عن ذلك خرج من باب الخياطين أيضا ويسمى الآن باب ابراهيم فمر السيل ولا يصل الى جدار الكعبة الشريفة ومن الجانب اليماني وكان من جدار الكعبة الى الجدار اليماني من المسجد المتصل بالوادي تسعة وأربعون ذراعا ونصف ذراع فلما زيدت هذه الزيادة الثانية فيه صار من المسجد أولا الى الجدار الذى عمل آخرا وهو باق الى اليوم تسعون ذراعا فاتسع المسجد غاية الاتساع وأدخل في قرب الركن اليماني من المسجد في أسفله دار أم هانئ لان دارها رضى الله عنها كانت بقرب هذا الباب داخل المسجد الحرام الآن ومن هذا الباب يدخل الى المسجد أمراء مكة سادتنا الاشراف آل الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكانت عند دار أم هانئ رضى الله عنها بئر جاهلية حفرها قصي بن كلاب أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم فأدخلت أيضا تلك البئر في المسجد الحرام وحفر المهدي عوضها بئرا خارج الحزورة يغسلون عندها الموتى من الفقراء ومن أبواب المسجد من أسفله باب بني سهم يعرف الآن بباب العمرة لان المعتمرين من التنعيم يدخلون منه الى المسجد

من أعلى مكة كما هو السنة الشريفة وسيأتى ذكر بقية أبواب المسجد الحرام عند ذكر العمارة الشريفة السلطانية العثمانية خلد الله ملك سلطنتها الى قيام الساعة ان شاء الله تعالى واستمر البناة والمهندسون في بناء الزيادة ووضع الاعمدة الرخام وتسقيف المسجد بالخشب الساج المنقش بالالوان نقرا في نفس الخشب كما أدركناه وكان في غاية الزخرفة والاحكام باقيا ذهبه لون اللازورد في غاية الصفاء والرونق بالنسبة الى لازورد هذا الزمان واستمر عملهم الى ان توفى المهدي رحمه الله لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة قبل أن تتم عمارة المسجد على الوجه الذى أراده وكان مولده في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ومدة ملكه احدى عشرة سنة وشهرا وعاش ثلاثا وأربعين سنة وعقد الامر لولده موسى الهادى

العلامة العصامي وكان خروجهم في عشرين من شعبان في مثل سقوط البيت وفي الساعة بعد العصر وكان ذلك السقوط سنة تسع وثلاثين وألف كما تقدم ووقع اللقاء بين العسكر بن هنالك فحصلت ملحمة عظيمة

(قتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله في وقعة الجلالية سنة ١٠٤١)

وقتل مولانا الشريف محمد بن عبد الله صاحب مكة وجماعة من الاشراف منهم السيد أحمد بن حراز والسيد حسين بن مغامس والسيد سعيد بن راشد وأصيبت يد السيد هزاع بن محمد الحرث وقتل من الجماعة نحو المائتين ورجع الاشراف بالشريف محمد عصر ذلك اليوم وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه في المعلى مع آبائه وكانت مدة ولايته سبعة أشهر الا ستة أيام وتوجه من نجا من الاشراف الى جهة وادى مر الظهران بعد ان قاتل مولانا الشريف زيد قتالا شديدا ثم بعد تمام الواقعة دخلت الاتراك مكة

(ولاية الشريف نامى بن عبد المطلب سنة ١٠٤١)

ومعهم الشريف نامى بن عبد المطلب بن حسن بن أبى نمى فنودى له بالبلد وأشركوا معه السيد عبد العزيز بن ادريس بن حسن في ربع مكة لكن لم يشركوه في الدعاء على المنبر وأرسلوا الى أمير جدة دلاور اغا ان يسلمها اليهم فمنع من ذلك فجهز اليه الشريف عبد العزيز والعسكر وحاصروا الامير المذكور ثم دخلوا جدة ونهبوا بيته وأخذوه وأهانوه وضربوه ثم أطلقوه ونهبوا غالب التجار بجدة ثم رجعوا الى مكة وتفرق العسكر الى غالب بيوت الاشراف وبقية البيوت وعاثت العسكر في مكة وصادر الشريف نامى بعض التجار وقتل مصطفى بيك كبير العسكر الذين كانوا مع شريف مكة وفر بقية العسكر الذين كانوا معه الى جدة ثم الى سواكن ولما كان اثناء شهر ذى القعدة أشيع بأن صاحب مصر بعث أربعة صناجق مع تجريدة وأسلحة لمولانا الشريف زيد بن محسن وكان بعد الواقعة توجه الى المدينة فصادف بدر السيد على بن هزاع بريد مصر فكتب معه الى صاحب مصر فوصل السيد على المذكور وأخبر الباشا وهو الامير فيما وقع بمكة من الجلالية فجهز الباشا ثلاثة آلاف عسكرى ومعهم خمسة صناجق سافروا برا وجهز قبطان السويس ومعه خمسمائة عسكرى وأرسل قفطانين لمولانا الشريف زيد وأمره بلبسهما والتوجه الى ينبع لملاقاة العسكر فلبسهما بالمدينة المنورة في حجرة النبى صلى الله عليه وسلم وتوجه الى ينبع ولاقى العسكر وسار معهم الى ان وصلوا الجموم ووصل خبرهم الى مكة فبعث الشريف نامى عيونا يبصرون له العسكر في وادى الجموم نحو ثلاثين خيالا وعشرة هجانة فوصلوا الوادى ليلا فشعر بهم العسكر المصرى فلحقهم الخيل

•(فصل في ولاية أبي محمد موسى الهادي بن المهدي بن المنصور العباسي)• ولد بالري في سنة سبع وأربعين ومائة وأمه أم ولد تسمى الخيزران والدة هرون الرشيد وكان حين موت والده بجرجان وقد عهد له أبوه بالخلافة فأخذ له البيعة أخوه هرون الرشيد لما مات أبوه لثمان بقين من شهر المحرم سنة تسع وستين ومائة ولم يل الخلافة قبله أحد في مقدار سنه • وركب خيل البريد من جرجان الى بغداد لما أتوه بالخلافة وما ركبها خليفة غيره وكان طويلا جسيما أبيض شفته العليا تقلص فيكثر لذلك فتح فمه ويغفل عن ذلك فتستمر شفته مفتوحة وكل به أبوه في صباه خادما كلما رآه مفتوح الفم قال له موسى أطبق فيستفيق على نفسه ويضم شفته فلقبه الناس موسى أطبق فعرف بهذا اللقب وكان وصاه أبوه بقتل الزنادقة فقتل منهم خلقا كثيرا وكان شجاعا

كريما يعجبه المدح دخل عليه مروان بن أبي حفصة فأنشده قصيدة في مدحه فلما بلغ الى قوله

تشابه يوما بأسه ونواله
فما أحد يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادي قبل أن يتمها أيما أحب اليك ثلاثون ألفا معجلة أو سبعون ألفا مؤجلة فقال بل ثلاثون ألفا معجلة فقال له معجلات المعجل والمؤجل ثم قال بل عجلت لك جميعها وأمر له بمائة ألف ومدحه ابراهيم الموصلي بقصيدة أولها

سليمى أزمعت بينا
فأين تقولها أينا

فأعطاه سبعمائة ألف درهم وكان إكمال المسجد الحرام أول شيء أمر به الهادي وبادروا وكانوا بذلك الى اتمامه الى ان اتصل بعمارة المهدي وبنوا بعض أساطين الحرم الشريف من جانب باب أم هانئ بالحجارة ثم طليت بالجص وكان العمل في خلافة الهادي دون العمل في خلافة المهدي في الاستحكام والزينة والاهتمام لكن كملت عمارة ولايته المسجد الحرام على هذا الوجه الذي كان باقيا الى هذه الايام وما زيد بعد ذلك الا الزيادتان كما نشرحهما ان شاء الله تعالى • وهذه الاساطين الرخام جابها المهدي من بلاد مصر والشام وأكثرها مجلوب من بلاد اخميم من أعمال مصر وهي بلدة خراب الآن من بلاد مصر القديمة كثيرة الرخام يجلب منه الى مصر والى غيرها من البلدان الرخام العظيم والاعمدة اللطيفة المنحوتة المخروطة من الرخام الابيض يقال ان أكثر رخام المسجد الحرام مجلوب منه والله أعلم • ولم تطل مدة موسى الهادي وكان مدة ملكه سنة وشهرا وتوفي شابا وعمره أربع وعشرون سنة في منتصف ربيع الآخر سنة سبعين ومائة • واختلف في سبب موته فقيل انه دفع نديما فتعلق

فقتلوا منهم ثلاثة عشر خيالا وخمسة أو ستة هجانة وفر الباقون الى مكة فجاؤا الى الشريف نامي وأخبروه بما نالهم فلما تيقن ذلك خرج من مكة ومن معه من الخلالية ومعه أخوه سيد بن عبد المطلب والسيد عبد العزيز بن ادريس لاربع خلون من ذي الحجة بعد صلاة العصر سنة احدى وأربعين وألف وتوجهوا الى تربة وتحصنوا بها وفارقهم في اثناء الطريق السيد عبد العزيز بن ادريس وانحدر الى ينبع وكان بمكة مولانا السيد أحمد بن قتادة بن ثقبة بن مهنا فنادى في البلاد لمولانا السلطان فأمن الناس واطمأنوا وأرسل لمولانا الشريف زيد يعرفه بخلو البلاد

•(دخول مولانا الشريف زيد بن محسن مع العسكر المصريين
وخروج الشريف نامي الى تربة)•

فلما كان وقت شروق الشمس يوم الخميس سادس ذي الحجة دخل مولانا الشريف زيد ومعه الصناجق ونزل بدار السعادة ودخل المحمل المصري عقب دخوله ولم يكن معهم حجاج غير العسكر ثم نزل مولانا الشريف زيد المسجد وقت الضحى من ذلك اليوم وطاف بالبيت والريس يدعو له والمنادي ينادي له في شوارع مكة ثم سأل عمن تخلف من العسكر فأخبر بجماعة منهم تخلفوا وانهم قتلوا منهم نحو الخمسين وحج بالناس في السنة المذكورة وامتدحه الشعراء بقصائد وحصل للناس سرور كثير

•(توجه الشريف زيد لقتال الشريف نامي في تربة)•

ثم بعد قضاء المناسك توجه مولانا الشريف زيد مع الاشراف والعسكر الى تربة لمحاصرة المتحصنين بها فحاصروهم وخرج من الحصن بعضهم بالامان وهجم العسكر على الحصن ودخلوه وقتلوا غالب من فيه وأمسكوا كور محمود والشريف نامي وأخاه سيدا وجاء الخبر الى مكة فزينت البلد سبعة أيام وكان دخولهم الحصن عاشر محرم سنة اثنين وأربعين وألف ثم رجعوا ودخلوا مكة ثاني عشر محرم فاستفتوا بمكة على الشريفين نامي وأخيه فأفتى العلماء بقتلهما

•(تعليق الشريف نامي وأخيه بالمدعى)•

فشنقوا الشريفين بالمدعى في دروشمين متقابلين يوم الخميس ثامن عشر محرم وأمرت العساكر بضرب مواعد كور محمود وأركبوه جملا وطافوا به في شوارع مكة ثم علقوه بالجميزة التي في المعلى وبقي حيا الى آخر النهار فأنزلوه وقتلوه وحرقوه وذروا رماده في الهواء وتخلف أمير الحاج المصري والشامي الى ان رجع العسكر من تربة وتوجهوا جميعا أواخر صفر واستمر مولانا الشريف زيد حاكما بمكة ضابطا لها مؤمنا لها ولاهلها الى أن توفي الى رحمة الله وكانت مدة الشريف نامي مائة يوم ويوما على قدر حروف اسمه وكان مولد مولانا الشريف زيد سنة ست عشرة وألف بأرض بيشة وكانت أيام

ولايته مواسم لاهل الفضائل تجبى اليه ثمرات العلوم والاداب من كل طائل ويقابل بالبشر والنائل ومباحث العلماء في دقيق المسائل وفي سنة ثلاث وأربعين خرج مولانا الشريف زيد لقتال صبح وهم فرقة من حرب فسار اليهم ونصره الله عليهم حتى صعد الى أقصى جبلهم وغنم منهم أموالا لا تعد ثم صالحه أهل السهل بالسلاح والمال فأخذه منهم ورجع

●(وقوع الفناء في الخيل بمكة سنة ١٠٤٣)●

وفي هذه السنة وقع الموت والفناء في الخيل بمكة وسمته العامة أبا مشفر وفنيت الخيل حتى لم يبق بمكة الا فرس واحد أخذه مولانا الشريف وصارت الاشراف تركب الحمير وفي عشرين من ذي الحجة وقعت فتنة بين العبيد والعسكر المصري وسببها انهم تزاحموا عند سقيا الماء بالزاهر فثارت الفتنة واتسعت حتى ان العسكر أحضروا المدافع عند الزاهر وآخر عند المدرسة واستمرت الفتنة الى ان هجم الليل ثم خرج مولانا الشريف ثاني يوم وأسكن الفتنة ونادى مناديه بالامان فأمن الناس وسكنت الفتنة

●(منع العجم من الحج والزيارة سنة ١٠٤٧)●

وفي سنة سبع وأربعين وألف ورد أمر سلطاني مضمونه ان العجم لا يحجون البيت ولا يزورون قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعد النزول نادى منادي الشريف على الموجود منهم في ذلك العام ان يخرجوا الى السفر سابع عشر ذي الحجة ولا يحجون بعد عامهم هذا وداروا عليهم العسكر وأخرجوهم من بين الحاج فخرجوا على أشنع حال وفي هذه السنة غزا مولانا الشريف بني سعد وعامد ورجع سالما غانما وفي سنة تسع وأربعين وألف حج بشير آغا الطواشي من مماليك السلطان مراد وكان حظيا عنده فاستأذنه في الحج فأذن له وأخرج دستورا بمكرما بيده ومعناه جواز تصرفه في كل ما يريد من عزل وتولية فلما دخل مصر خرج للقائه صاحب مصر الى خارج البلد فلما نظر اليه ترجل عن فرسه وسار الى أن قبل ركبته ومشى الى ان أمره بالركوب فدخل مصر ووصل الخبر بما وقع لمولانا الشريف زيد فأخذته أنفة الاريحية والهمة العلية وأقلقه ما ورد عليه من الخبر وحدوث هذه الغير فعزم على الخروج من مكة ليكون عذرا في عدم اللقاء وحاجزا عن التساؤل بعد الارتقاء ولما تزايد بابه هذا الطارئ قصد العارف بالله السيد عبد الرحمن المحجوب وذكر له ما خطر بباله لتزايد بلباله فقال له مولانا السيد عبد الرحمن دع عنك هذا والله يكفيك من ذلك وطب نفسا فما يقع الا الخير ولله التدبير فاعتمد على قوله فلما ان وصل بشير آغا الى رابغ أتاه نجاب بخبر وفاة مولانا السلطان فبطل ما بيده من الاحكام وصار كأحد الناس بعد ان كان رئيس الحكام وجاء الخبر الى مولانا الشريف زيد بالتأييد

بعوفها في مقصبته فدخل القصب في مخارجه فخنقها فماتا جميعا وقيل بل قتلته أمه الخيزران لما أراد قتل أخيه هرون الرشيد ليولي العهد ولدا صغيرا من أولاده عمره عشر سنين وكانت أمه الخيزران قد استبدت بالامور والاحكام وكانت المواكب تقف على بابها فزجرها الهادي عن ذلك وقال لها لئن وقف أمير على بابك لاضربن عنقه أما لك مغزل يشغلك أو مصحف أو سبحة تذكرك فقامت من عنده غضبى فبعثت اليه طعاما مسموما فأطعمه فعملت على قتله فلما وعك أمرت جواري لها أن يغموا وجهه ببساط جلس على جواريه فأفسد نفسه الى أن مات ●(وولي الخلافة بعده بعهد من أبيه أخوه هرون الرشيد العباسي الخامس من العباسيين) ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من ربيع الاول سنة سبعين ومائة ومولده في الري لما كان أبوه المهدي أميرا عليها وعلى خراسان في سنة ثمان وأربعين ومائة وأمه الخيزران أم الهادي وفيها قال مروان بن حفصة الشاعر

يا خيزران هناك ثم هناك
أمسى يسوس العالمين ابناك

وكان فصيحا بليغا كثير العبادة كثير الحج والغزو وفي ذلك يقول بعض شعرائه

فمن يطلب لقاءك أو يرده
فبالحرمين أو أقصى الثغور

وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما في عام واحد وكان يصلي في خلافته كل يوم ألف ركعة لا يتركها الا لعلة ويتصدق كل يوم بألف درهم ويحب العلم وأهله ويعظم حرمات الاسلام ● وبلغه عن بشر المريسي انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتي بنفسه الى بيت الفضيل بن عياض رضي الله عنه ويعظمه وكان يبكي على نفسه وعلى اسرافه وذنوبه وكان قاضيه الامام أبو يوسف رضي الله عنه وكان يعظمه كثيرا ويمتثل أوامره ● ويروى عن أبي معاوية الضرير قال أكلت مع الرشيد يوما ثم صب على يدي من لا أعرفه ثم قال لي الرشيد أتدري من يصب عليك قلت لا قال أنا اجلالا للعلم ● وأراد الرشيد أن يوصل بحر الروم ببحر القلزم ليتهيأ له ان يغزو الروم ببلادهم فقال له يحيى بن خالد البرمكي لو فعلت ذلك دخلت سفائن الروم واختطفوا المسلمين من المسجد الحرام فتركه وكانت أيام الرشيد أيام خير كأنها أعراس وله أخبار في اللهو واللذات سامحه الله تعالى وله مناقب لا تحصى ومحاسن لا تستقصى ● وأسند الصولي عن يعقوب بن جعفر قال خرج الرشيد في السنة التي ولي فيها الخلافة الى طرق الروم غازيا أماما فظفر وعاد فغنم

بالناس آخر السنة وفرق بالحرمين مالا وكان رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال ان هذا الامر قد صار اليك في هذا الشهر فاغز وحج ووسع على أهل الحرمين ففعل هذا كله في عام واحد أول خلافته ذكر ذلك الحافظ السيوطي وغيره وقال الحافظ النجم عمر ابن فهد رحمهما الله في حوادث سنة سبعين ومائة فيها حج هرون الرشيد بالناس وفرق مالا كثيرا وكان حجه ماشيا على اللبود تفرش له من منزل الى منزل وقيل ان الحجة التي حج فيها ماشيا هي حجته في سنة سبع وسبعين ومائة وقال وفي بعض حجات هرون اخلي له المسعى ليسعى فيه فتعلق بعقاله وهو يسعى أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فوقف له هرون الرشيد وأقبل عليه فصاح به يا هرون فقال لبيك يا عم قال ارق الى الصفا فلما رقاه قال ارم بطرفك الى البيت قال قد فعلت فقال كم هي يعني الحجيج فقال ومن يحصيهم الا الله تعالى قال فاعلم أيها الرجل ان كل واحد من هذه الخلائق يحاسب عن خاصة نفسه ويسئل عنها وحدها يوم القيامة وأما أنت وحدك فتسئل عنهم أجمعين فانظر كيف جوابك حين تسئل يوم القيامة فبكى هرون بكاء شديدا وخدمته يعطونه منديلا بعد منديل وهو يبلها بدموعه فقال له وأخرى أقولها لك قال قل يا عم فقال ان الرجل اذا أساء التصرف في ماله حجر عليه فكيف أنت تصرف في مال المسلمين وتسيء التصرف فيه وأنت محاسب عليه بين يدي الله عز وجل فازداد بكاؤه وآخر نحيبه وأراد خدمه ان يطردوا الرجل عنه فكفهم عنه الى ان فرغ من نصائحه كلها وقام عنه بنفسه وهرون يبكي ويتضرع ويستغفر ﴿فصل﴾ وفي اثناء دولة الرشيد قدمت الخيزران أم الرشيد والهادي الى مكة قبل الحج في سنة احدى وسبعين ومائة فأقامت الى ان حجت وعملت الخيرات واشترت دورا بالصفا الى جنب دار الارقم المخزومي التي تشتمل على مسجد مأثور يقال له المختبأ لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيه الى الاسلام خيفة من صولة على المسلمين في أول البعث وأسلم فيه جماعة رضي الله عنهم ولما أسلم فيه عمر رضي الله عنه أظهر الاسلام وفيه قبة ومزار تسمى قبة الوحي وهذه الدور التي اشتراها صاحبنا المغفور له المرحوم المبرور المشكور الامير المأمور باجراء عين عرفة الى بيت الله المعمور الباذل نفسه وماله وأولاده في سبيل الله طالبا لنيل المثوبات والاجور دفتردار مصر سابقا صاحب اللواء السلطاني قال

وان السلطان توفي في أوائل شوال فولي بعده مولانا السلطان ابراهيم بن أحمد خان أخو السلطان مراد فورد بشير آغا مكة فلاقاه مولانا الشريف بقرب مكة وبشير آغا عنده ان خبر موت السلطان مكتوم فلما تقاربا وتصافحا ركض مولانا الشريف فرسه متقدما على بشير آغا وناكبه وقال (الله رحمتا بالسلطان مراد) فحين سمعه بشير آغا تداخل في جسمه ومشى كالاسير وهذا من جملة سعودات مولانا الشريف زيد ومن جملة ما اتفق ان الشريف رحمه الله رأى ليلة في منامه ان شخصا ينشد هذا البيت

كان لم يكن أمر وان كان كائنا ... فكان به أمر في ذلك الامر ا

فحفظ البيت وكتبه بالسواك على رمل في صحن شماس خشية النسيان وكانت هذه الرؤيا في الليلة التي أسفر صباحها عن ورود هذا الخبر واستمر بشير آغا الى ان حج وتوجه صحبة الحاج وقد ضمن البيت الذي رآه مولانا الشريف زيد في منامه الشاعر المشهور محمد الانسي في قصيدة طويلة امتدح بها مولانا الشريف زيد فاجازه بألف دينار وفي هذه السنة عم أهل الحجاز غلاء اهم مولانا الشريف ولم يزل بهم حتى أضعفهم ثم رجع سالما رابع ذي الحجة وفي سنة ثلاث وخمسين وألف وقع سيل عظيم بعرفة يوم الموقف واستمر من الظهر الى المغرب ولما نفر الناس عاقهم السيل المعترض من تحت العلمين عن المرور ومنعهم من دخول الحرم واستمر الناس وقوفا الى آخر الليل فخف فقطعه الناس بغاية المشقة وفي سنة ألف وست وخمسين وردت مشيخة الحرم المكي لصنجق جده مصطفى بيك وكان متوليا صنجقا فقط من سنة اثنين وخمسين فلما جاءته مشيخة الحرم مضافة الى الصنجقية استفحل أمره وشرع في التطرق للاحكام بمكة فنفرت نفس مولانا الشريف زيد من ذلك فلما جاء وقت الحج خرج مولانا الشريف من مكة وأقام بها نائبا السيد ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن حسن ابن أبي نمي وتوغل في بلاد الشرق حتى وصل الى محل بينه وبين البصرة خمسة أيام وكان أوصى بعض هذيل رجلا يقال له أحمد الجعفري بقتل مصطفى بيك وأمره أن يقتله مهما أمكن وفي هذه السنة ورد بشير آغا السابق ذكره متوليا مشيخة حرم المدينة فأتى الى مكة وطلع الى الطائف للتنزه مع الصنجق المذكور في أوائل سنة سبع وخمسين وألف فطلعا وهما في أعلى درجات النعمة واستمر الى هلال رجب فنزل مصطفى بيك الى مكة من طريق كرا فلما وصل الى النقب الاحمر ظهر له العربي المأمور بقتله وكان قد صحبه وخدمه وتعرف به وآلفه فأقبل عليه وقد انفرد عن أعوانه ومع الجعفري شاب آخر فلما قرب منه وحاذاه قال للشاب قبل يد سيدك وكان على جانبه الايسر فاعطاه يمينه فضربه الجعفري من جانبه الايسر بجنبية في وسطه فقطع بها مصارينه وكلاه وأقام عليه تكلاه فلما طاح

قال لرفيقه السراح وتولوا بين الجبال لا تدركهم الخيل ولا الرجال فلحق مصطفى بيك أصحابه وقد خرجت روحه ونقلوه الى مكة ودفنوه بالمعلى وقدم مولانا الشريف من سفره في ذي القعدة وسرت بقدومه كل نفس وذهب الضيق مثل ما ذهب أمس

•(زيارة مولانا الشريف زيد بن محسن المدينة المنورة سنة ١٠٥٩)•

وفي سنة تسع وخمسين وألف عزم مولانا الشريف على زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فتوجه ودخلها ثامن شهر شعبان من السنة المذكورة

•(قتل زفر افندي قاضي المدينة)•

واتفق أن وقعت حادثة عجيبة ليلة عاشر الشهر المذكور وهي ان حضرة زفر أفندي قاضي الشرع الشريف نزل لحضور صلاة الصبح وقت الغلس ومعه ثلاثة من الخدم فلما كان عند الدفتردارية وثب عليه شخص فضربه بالسلاح في ظهره فانفذه من صدره فانكب على دابته ولم تزل سائرة به الى ان دخلت به محراب سيدنا عثمان رضي الله عنه وامام الشافعية قائم يصلي في المحراب الفجر فقام بعض الناس اليه وانزلوه على آخر نفس وهو يقول يارسول الله يارسول الله ووضع امام الوجه الشريف وبعد لحظة قضى عليه واتهموا مولانا الشريف زيدا بقتله من غير معرفتهم شيأ يقتضي ذلك فتشددت العساكر واجتمعت وأغلقت باب السور وكان الشريف زيد نازلا خارج السور فوجهوا المدافع اليه وشرعوا ينادون النفير فأرسل اليهم الشريف زيد أكابر جماعته وأكابر جماعة عسكره مصر فأفهموهم بانه لا علم للشريف زيد بذلك ولا شعور له ولاموهم على ذلك فطلبوا من تحت السور فتراجعوا وفتحوا باب السور وفي اليوم الثاني استدعى وجوههم ابن ظافر في حال قتلة الافندي وبحث عنهم فلم يزل يمسك رؤس الفتنة واحدا بعد واحد وحبسهم مدة مديدة ثم حصلت شفاعة في بعضهم فأطلقهم وذهب بالباقين وهم تسعة نفر وأمر باتلافهم في ينبع واستمروا الى الحج فاستشفعوا بأمير الحاج فشفعه فيهم ثم ان عسكر والغيطاس بيك أمير جدة نزلوا معه واتفق انه في نزوله هذا الى بندر جدة كان مغاضبا لمولانا الشريف لاسباب ذكرها المؤرخون أقواها وأعظمها تردد السيد عبد العزيز بن الشريف ادريس المذكور سابقا في دولة الشريف نامي على غيطاس بيك وافساده على الشريف زيد وتوغير خاطر البيك المذكور عليه فواطأه على الباسه شرافة مكة فعند نزوله الى جدة ألحقه السيد عبد العزيز المذكور فألبسه شرافة مكة ونودي له في البلاد ثم خرج غيطاس بيك والشريف عبد العزيز ومن معهما من العسكر وخرج الشريف زيد ومن معه من الاشراف لدفعهم وتلاقوا تاسع عشر جمادى الآخرة سنة

المنشور المذكور باحسان الى يوم النشور ابراهيم بك ابن تغري بردي المهمندار أسكنه الله تعالى في دار القرار جنات تجري من تحتها الانهار ثم ملكها من المرحوم بطريق الهدية على يد المرحوم رجب جلبي أفندي ناظر الصدقات السليمية حضرة السلطان الاعظم سلطان ملوك العالم ذوي الخلق الحليم والطبع الكريم المرحوم المغفور له السلطان سليم نقله الله الى جنات النعيم وملكه ملكا أعظم من ملكه العظيم فملكها وهو شاهزاده يومئذ قبل ان يلي تخت السلطنة العظامي ففرح بها كثيرا واستبشر بحصولها ونوى ان ينشئ فيها عمائر وخيرات وجهات تصرف الى فقراء هذه الجهات فلم يقدر له ذلك وزاحمته أمور الملك والسلطنة ومجاهدة الكفار وافتتاح بلاد قبرس وغيرها ولم يمهله الزمان الجائر ولا ساعده الدهر الغادر ولكن حصل له ثواب ما نواه من الخيرات فالاعمال بالنيات وان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وصارت هذه الدار الآن من املاك ملك العصر والزمان سلطان سلاطين الدهر في هذا الاوان صاحب تخت السعادة والاسعاد وارث سرير الملك عن الآباء والاجداد السلطان الاعظم الاكرم السلطان مراد خلد الله تعالى أيام سلطنته القاهرة الى يوم التناد وألهمه العدل في الرعية لاحياء رسوم المعدلة بين العباد • قلت ولم أطلع للرشيد مع كثرة خيره على انه عمر في أيامه شيأ من المسجد الحرام غير أن عامله بمصر موسى بن عيسى أهدى الى مكة المشرفة منبرا منقوشا مكلفا له تسع درجات فجعل في المسجد الحرام وأخذ المنبر القديم الذي كان يخطب عليه بمكة ووضع في عرفة وذلك في أول حجات الرشيد في سنة سبعين ومائة وقيل غير ذلك • وفي سنة أربع وأربعين من الهجرة الشريفة نصب وخطب عليه معاوية بن أبي سفيان وهو أول من خطب بمكة على منبر وكانت الخلفاء والولاة قبل ذلك يخطبون بها قياما على أقدامهم في وجه الكعبة وفي الحجر • قال أبو الوليد الازرقي حدثني جدي عبد الرحمن بن حسن عن أبيه قال أول من خطب بمكة على منبر معاوية بن أبي سفيان وساق ما قدمناه في ذلك ثم قال وذلك المنبر الذي جاء به معاوية ربما اخرب فكان يعمر ولا يزاد فيه حتى حج الرشيد فأتى بمنبر له تسع درجات وخطب عليه فكان منبر مكة لمن بعده الى أيام الواثق بالله العباسي فأراد ان يحج فأمر ان يعمل ثلاث منابر منبر لمكة ومنبر لمنى ومنبر لعرفات وحج وخطب عليها وفرق بالحرمين على أهلها مالا كثيرا • وفي أيامنا التي

ستين وألف قريب موضع قبر السيدة ميمونة رضي الله عنها وصار بينهم قتال عظيم أصيب فيه عدد كثير من الجانبين من الاشراف وغيرهم فلما اشتد الحال طلب الشريف عبد العزيز الامان له ولغيطاس بيك ومن معهما فأعطاهم مولانا الشريف زيد الامان وأرسل مع غيطاس بيك خمسين نفرا يوصلونه الى جدة ثم بعد مدة جاء الامر بعزله فتوجه الى مصر ولحقه السيد عبد العزيز

(وفاة السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون سنة ١٠٦٣)

وتوفي السيد عبد العزيز بمصر بالطاعون سنة ثلاث وستين وألف وأما غيطاس بيك فإنه في سنة احدى وستين أميرا على الحاج فتوهم منه مولانا الشريف غاية التوهم الا انه خرج للملاقاة على العادة وما أخل بالقانون القديم وهي المناكبة فصافحه بيده ومن تلك السنة تركت المناكبة وبقيت المصافحة فقضى حجه وذهب وقيل في أسباب فتنة غيطاس بيك ان سببها رضوان بيك الفقاري أمير الحاج وكان غيطاس بيك من عمائكه في سنة ثمان وخمسين وقعت منافسة بين رضوان بيك وبين مولانا الشريف فحقد عليه رضوان بيك وكتب الى الابواب وأكثر الخطاب وطلب عزل الشريف زيد فوافقه السلطان على مراده وأخرج عزل الشريف زيد فاضمر رضوان بيك عزله وتوليته الشريف مبارك بن بشير بن حسن الى ان وصل الى عرفات ولم يظهر ما أكن وكان صاحب مصر أحمد باشا طالب الى الابواب فلما وصل الروم أخبر بذلك فتكلم مع حضرة الوزير الصدر الاعظم وراجعه في ذلك وعرفه ان رضوان بيك حمله على هذا الفعل لكثير مما أبره وان هذا الامر لا يكون الوصول اليه الا بشق الانفس واقتضى الامر ان أعيد مولانا الشريف زيد وجهز واقاصدا بأمر مولانا السلطان ناسخا للامر الاول الذي بيد رضوان بيك وأمر القاصد بالجد في السير لاداء هذا الخبر فوصل يوم الرابع من ذي الحجة وكان ذلك يوم وصول مولانا الشريف من الطائف فنزل من المابدة في الاي أعظم الى ان دخل من باب السلام والامر بين يديه الى ان وصل الحطيم وفتحت الكعبة فقرأ مرسومه الوارد ولبس القفطان وكتبت الاثار لرضوان بيك بما وقع فدخل مطويا على حنق فحج ورجع وهو جاهد في هوى نفسه فأخذ بخويصته غيطاس بيك وقربه لا تمام فرصته حتى وقعت تلك الفتنة وقيل سببها اتهامه مولانا الشريف بقتل قاضي المدينة والله أعلم بحقيقة الحال ولا مانع من اجتماع تلك الاسباب وفي سنة سبع وستين عقد مولانا الشريف زيد على ابنته لمولانا الشريف حمود بن عبد الله واحتفل في زواجه ومدحه علماء مكة ومدحوا مولانا السيد حمود بعدة قصائد وفي سنة اثنين وسبعين وألف حصل بمكة غلاء شديد وسببه حدوث جراد كثير وأعقب ذلك وباء عظيم عم الارض ودخل الجراد مكة فصار يقع في كل شئ

أدركناها من الشباب الى المشيب شاهدناها مما برعها لسلاطين مصر تاو سنذكرها في محلها ان شاء الله تعالى (فصل) اعلم أن ما ينبغي العاقل ويدخر عنه الا الابله أن الدنيا دار الاكدار وتحمل الهموم والغموم والحسرات وان أخف الخلق بلاء وألما الفقراء وأعظم الناس تعبا وهما وغما الملوك والامراء والكبراء ويقال لكل شيء غني قامة من الهم وقيل

لقد قنعت همتي بالخمول ... وصدت عن الرتب العاليه
وما جهلت طيب طعم العلى ... ولكنها تؤثر العافيه

وقيل أيضا

بقدر الصعود يكون الهبوط ... فاياك والرتب العاليه
وكن في مقام اذا ما وقفت ... تقوم برجلاك في عافيه

وما المراتب الملوك والسلاطين بحال الضعفاء والفقراء والمساكين

في كل بيت كربة ومصيبة ولعل بيتك ان رأيت أقلها فارض بحالك وتدرك واشكر الله على نعمة طهرك ولا تتعد طورك تجد ذلك نعمة خفية ساقها اليك ورحمة أفاضها الله تعالى من خزائن لطفه عليك واعتبر بهذه الكلمات وخذ لنفسك منها وافرا من هذه العظات ومن ذلك ان هرون الرشيد من أعقل الخلفاء العباسيين وأكملهم رأيا وتدبيرا وفطنة وقوة واتساع مملكة وكثرة خزائن بحيث كان يقول للسحابة امطري حيث شئت فان خراج الارض التي تمطري فيها يجبى الي ومع ذلك كان أتعبهم خاطرا وأسنهم فكرا وأشغلهم قلبا وكان من أولاده محمد الامين من زبيدة بنت جعفر المنصور

(تقسيم الرشيد الملك بين ولديه الامين والمأمون)

وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيف أرادت وكان ولده منها محمد الامين شديد الترفه والدلال كثير اللهو واللعب مغلوبا على عقله لا يصلح للملك ولا حتى يستحق الخلافة وولده الثاني من جارية سوداء اسمها مراجل من جواري المطبخ ماتت في نفاسها عن عبد الله المأمون وكان أتم عقلا ورأيا وأصح تدبيرا وأكثر فضلا ومعرفة فيه صلاحية لتدبير الملك واهلا لان يكون خلفا عن أبيه في خلافته وما قدر أبوه ان يجعله ولي عهده بعده مخافة على خاطر زبيدة على ذلك فجعل ولي عهده محمد الامين في سنة خمس وسبعين ومائة ولقبه بالامين وعمره يومئذ خمس سنين لحرص أمه زبيدة على ذلك وجعل عبد الله المأمون ولي العهد بعد محمد الامين في سنة ست وثمانين وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي ثم ولقبه المؤتمن وقسم مملكه بين هذه الثلاثة فقالت العقلاء لقد ألقى بينهم بأسهم وأضر الرعية بهم قال عبد الملك بن صالح

الله قلدهرون الخلافة ه لما اصطفاه فأحيا الدين والسننا ... وقدم الامر هرون لرأفته ه بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

وطوى الرشيد الملك عن ولده الرابع وهو محمد المعتصم لكونه أميا فاراد الله تعالى خلاف ما أراده الرشيد وقتل محمد الامين على يد عبد الله المأمون وصارت الخلافة بعد المأمون الى محمد المعتصم ساقها الله تعالى اليه وجعل الخلفاء كلهم من نسله ولم يجعلها من غير نسله من أولاد الرشيد وان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء وكان الرشيد لما كمل عهده لاولاده الثلاثة جمع الجموع وأمرهم بمبايعة أولاده المذكورين فبايعوهم وعاهدوهم وكتب بذلك عهدا محكما وكتابا مبرما ووضع الاعيان والاركان والامراء والكبراء خطوطهم عليه وجهز الى بيت الله تعالى وأمر بتعليقه فى وسط الكعبة الشريفة (٧٩) ليشتد الوثوق به ولا يقع خلاف فى ذلك

قال ابراهيم الموصلى

خير الامور بغية

وأحق أمر بالتمام

أمر قضى احكامه

مولاى فى البيت الحرام

ولم يغن ذلك التدبير عما رقمه قلم التقدير فى لوح المقادير والله على كل شئ قدير وقال

ولو كانت الدنيا تنال بفطنة ... وتدبير رأى نيل أعلى المراتب

ولكنما الاقدار تجرى بقدرة ... من الله لا تجدى تدابير طالب

قال شيخ شيوخنا الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى وذكر محمد بن الصباح الطبرى ان أباه مشى مع الرشيد من خراسان الى النهروان فجعل الرشيد يحادثه فى الطريق ويشكو همومه ويتنفس عند نفثات الصدور والى آن قال يا صباح أظنك لا ترانى بعد هذا فقلت بل يطيل الله عمر أمير المؤمنين ويفديه بارواحنا ويعيش سالما من الآفات فقال انك لا تدرى ما أجد فقلت لا والله فقال تعال حتى أريك ما أخفيه عن غيرك وتنحى عن الطريق وأوما الى من معه بالتنحى عنه فأبعدوا عنهم وهم يرمقونه بطرف خفى ثم قال أمانة الله يا صباح اكتم أمرى فقلت نعم فكشف عن بطنه فاذا عصابة حرير معصوبة على بطنه فقال هذه علة أكتمها عن كل احد وحولى رقباء الكل واحد من أولادى يعدون أنفاسى على فمرور رقيب المأمون وجبريل بن بختشوع رقيب الامين وفلان وعد ثالثا أنسيته رقيب المؤتمن وكل منهم يحصى أيامى وساعاتى ويستطيل عمرى وحياتى وظهر ذلك الآن منهم أن أطلب منهم برذونا يركبنى فيأتونى به أعجف ضعيفا يزيد فى علتى ويضاعف على مرضى ثم طلب منهم برذونا يركبه فأتوه ببرذون عاجز منقطع بتعسير ا ركبه كاد كروهو بدارنا بهم ويصبر على ما يكابده منهم فنظر الى

حتى تعب الناس واستمر مدة حتى كسى الجدران بأجمعها فأعقبه الغلاء فأشار مولانا الشيخ محمد البابلى بترك التسعير فنادى المنادى بذلك فأظهر كل ما عنده وهون الله الامر

•(حدوث سيل عظيم بمكة دخل المسجد سنة ١٠٧٣)•

وفى سنة ثلاث وسبعين وألف يوم السبت السابع من شعبان أمطرت السماء بعد صلاة العصر وحصل سيل عظيم دخل المسجد الحرام فبلغ القناديل ومات به فى المسجد ستة نفر وبات تلك الليلة الى الصباح فلما طلعت الشمس نزل مولانا الشريف بنفسه وأمر بفتح مسيل باب ابراهيم فنزل السيل الى أسفل مكة وباشر مولانا الشريف العمل بنفسه حال التنظيف فاقتدى الناس به ونظفوا المسجد وغسلت الكعبة وطاهروا بأطنافها جميعا بالجير والبقر لحرث الارض وحمل ما بقى من التراب والطين ووجد سليمان أغا المعمار بعض ما تلف ثم جاء سنة أربع وسبعين محمد أغا الكزلار بالامر لاتمام هذه العمارة وأعقبه السلطان بالامر بقتله فما وجد وه فى مكة بل توجه الى الزيارة بعد الحج فادركوه فقتلوه وبقى سليمان أغا على العمارة وفى سنة ست وسبعين وألف خرج مولانا الشريف الى بلاد جهينة لقتالهم بالعساكر المصرية ومعه غالب الاشراف وكان خروجه لاخذ ثار السيد مساعد بن محمد بن مساعد بن حسن بن مسعود وكان الملزم له بالخروج أخاه السيد غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود لانه ولى الدم الاقرب فتوجه مولانا الشريف لقتالهم فظفر بهم ورجع سالما

•(وفاة الشريف زيد بن محسن سنة ١٠٧٧)•

وفى سنة سبع وسبعين وألف مرض الشريف زيد ثم توفى يوم الثلاثاء ثالث محرم الحرام فمدة ولايته خمس وثلاثون سنة وشهر وأيام ورثاه الشعراء بقصائد وأرخوا وفاته بتواريخ من ذلك قول الشيخ أحمد بن أبى القاسم الحلى حيث قال

مات كهف الورى مليك ملوك الـ ه أرض من لم يزل مدى الدهر محسن

فالمعالى قالت لنا أرخوه ه قد ثوى فى الجنان زيد بن محسن

وعمره احدى وستون سنة وأعقب الشريف سعدا ومحمد يحيى وأحمد ومحسنا وأما ابنه حسين فمات فى حياة أبيه وخلف محسنا ولى من امارة مكة كما سيأتى ولم يحضر وفاته غير الشريف سعد ومحسن وأما السيد محمد فكان بالمدينة وأحمد كان بجدة ردیف ملازم الشريف زيد السيد حمود بن عبد الله ابن حسن بن أبى نمى فكان يرى انه الاحق بولاية مكة بعد الشريف زيد لكون أبيه الشريف عبد الله بن حسن هو الذى طلب الشريف زيدا من اليمن وأشركه فى الامر مع ابنه محمد كما تقدم فلما توفى الشريف زيد انحازت الاشراف بأجمعها الى دار السيد حمود ولم يبق مع الشريف سعد

نظرة حزين مكروب وركب ذلك البرذون فقبلت رجله وودعته وهم ينظرون الى نظرة خفت عاقبتها وكفاني الله تعالى شرهم واستمر الرشيد عليلا الى أن انتهى وفاته بطوس رحمه الله تعالى فانظر الى هذا الملك الجليل والخليفة النبيه النبيل والسلطان الذي قل ان يوجد له مثيل وهو عاجز في يد غلمانه مغلوب عليه في ملكه وسلطانه متحسر على عظيم شأنه متأسف على علو مكانه بيده خزائن الارض ولا يملك منها نقيرا ولا قطميرا ولا يقدر على كل شئ وكان ربك قديرا * ولما جرعت المنية موسى الحمام على هرون ومزقت ثياب رشد الرشيد مخالب المنون وخلعت عنه خلع الخلافة والسلطان وغسلته بماء الدموع الممزوج بدماء الاجفان وحنطته بحنوط أعماله (٨٠) وأدرجته في أكفان خصاله وخلاله ونقلته من سرير السعود الى اخدود اللحود تقضى كانه لم يكن شيأ مذكورا وكان أمر الله قدرا مقدورا * وقد حكى الرشيد انه كان رأى مناما انه يموت بطوس فلما وصل الى طوس وقد غلب عليه الوعك عرف انه ميت فبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لي قبرا في هذا المحل فحفروه فقال قربوني الى شفيره فحملوه في قبة الى ان نظر الى القبر فسالت عبرته وزادت حسرته وقال يا ابن آدم الى هذا تصير ولا بد من هذا المصير وامر ان ينزل الى لحده من يقرأ ختمة فيه ففعلوا ذلك فمات وصلى عليه ابنه صالح والحد في القبر بطوس لثلاث مضين من جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين ومائة وتقدم ان مولده بالري سنة ثمان وأربعين ومائة وكانت مدة ملكه ثلاثا وعشرين سنة وشهرين ونصف رحمه الله تعالى

﴿فصل﴾ ولما توفي الرشيد ولي الخلافة ولده محمد الامين وكان مليح الصورة أبيض جميلا فصيحا بليغا سيئ التدبير وبقائه كثير التبذير ضعيف الرأي أرعن لا يصغي الى قول المشير * ولما ولي الخلافة اتخذ اللهو شعارا وشرب الخمر جهارا وخلع العذار في العذارى واشترى عريب المغنية بمائة ألف دينار وجارية ابن عمه ابراهيم بن المهدي بعشرين ألف ألف دينار وعزل أخاه المؤتمن وخلع أخاه المأمون وأرسل الى الكعبة المعظمة من جاءه بصحيفة عهد والده له ولأخويه فمزقها وعهد الى ولده رضيع سماه الناطق بالحق ودعي له على المنابر ومن نصح الامين ومنعه عن هذا الغدر والنكث حازم بن خزيمة فقال له يا أمير المؤمنين لن ينصحك من كذبك ولن يغشك من صدقك واني أنصحك وأصدقك ولا أكذب في نصحك لا تجرئ القواد على الخلع فيخلعوك ولا تحملهم على

الاجماعة بحصيهم العدد فترددت الرسل من الجانبين السيد حمود والشريف سعد الى عماد أفندي وكان عين الدولة بمكة لانه مفتي جدة وشيخ الحرم المكي * ووقعت رجة عظيمة بمكة في التولية على السلطنة حين يقوم مقام الشريف زيد من ولده الشريف سعد والسيد حمود بن عبد الله وقام كل من الرجلين أشد قيام وجمع الجموع وبذل المال وتحصنوا في البيوت والمنائر فرد الامر الى عماد أفندي شيخ الحرم فاستحسن تولية الشريف سعد فأرسل الخلعة اليه فلبسها في بيته فقيل لعماد افندي ان الشريف زيدا كان قد أخذ أمرا سلطانيا من الدولة لابنه السيد محمد وكتمه لامر خشيه ولم يظهره خوفا من الاختلاف فهو ولي العهد بعده فقال قولوا للشريف سعد بشرط ان يقام بهذا جماعة من الاشراف من جهة السيد حمود راجعين عماد أفندي فقال لهم نحن البسنا الشريف سعد بشرط انه قائم مقام أخيه السيد محمد يحيى لانه هو القائم بعد أبيه بأمر سلطاني فلم يردوا له جوابا ورجعوا الى بيت السيد حمود فأخبروه وفي خلاصة الاثر ثم راجعوا عماد أفندي فقال له بعضهم وهو السيد مبارك بن فضل بن مسعود نحن حمود شيخنا وكبيرنا ولا نرضى الا به وكان عند عماد أفندي السيد راجح بن قايتباي من جانب الشريف سعد فوقع بينهما كلام طويل ثم ذهب الاشراف الى الشريف حمود وكان للشريف زيد عبد حبشي اسمه بلال ومملوك تركي اسمه ذو الفقار وكان شيخا للعسكر وأوصاه الشريف زيد على بنيه فقام عليهم أحسن قيام وكان ذا هيبة ورأي سديد فقام على قدميه وشمر عن ساقيه ورتب العسكر في المواضع الحصينة والسيد حمود لم يبرح من بيته بين بني عمه وشيعته ونار الفتنة قائمة أشد قيام

(جلوس الشريف سعد بن زيد للتهنئة بالامارة سنة ١٠٧٧)

فجلس الشريف سعد للتهنئة ودخل عليه مشايخ العرب وأهل الادراك وفعل ما تفعل الملوك حال الجلوس وامتدحه الشعراء بعدة قصائد وفي اليوم الثالث من جلوسه حصل اضطراب عظيم من بعد الظهر الى بعد العصر بين الشريف سعد والسيد حمود وكل منهما جمع جيوشه وتحصنوا في البيوت والمنائر وركب جماعة السيد حمود على الجبل الذي خلف بيته وعلى الجبل المعروف بجبل عمر وتراموا بالرصاص من بعد ولم تحصل مواجهة واستمر بهم الحال وكل يوم يصبحون في قيل وقال وكل من الفريقين واقف على قدميه كالسبع الصائل ولما كان اليوم الثالث عشر وقع الاتفاق بين الشريف سعد والسيد حمود على قدر معلوم من المعلوم وعينت جهاته وكان يوما عظيما عند الناس وحصل بذلك الامن وارتفع الباس وأمر الشريف سعد بالزينة ثلاثة أيام ثم كتب محضر من الشريف سعد الى الدولة العلية بانها ما صار من وفاة الشريف زيد وجلوس الشريف سعد بعده والتماس تأييده

تمسكت العهود فيتكثرون عهدك وان الغدر شؤم والناكث منكوب مغلوب وصاحب الحق مظلوم وجرت العادة بنصر المظلوم وتوجه القلوب اليه ورقة النفوس عليه ولذلك تأثير في الظاهر والباطن فأبى الامين منه ونبذ كلامه وعمل برأيه السقيم وصمم أشد تصميم وأرسل جيشا مع علي بن عيسى على أخيه المأمون عدتهم أربعون ألفا وأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين ومعه أربعة آلاف مقاتل فانهزم علي بن عيسى وقتل وذبح وتشتت عساكره وجاء طاهر بن الحسين برأسه الى المأمون وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقوى قلب المأمون بذلك وكثر أتباعه ومال الناس اليه فجمع الجموع وسار الى بغداد لقتال أخيه الامين ولا زال أمر المأمون يحسن بحسن تدبيره وامتثال الناس اليه ويضعف الامين في لهوه وغفلته ولعبه مع نسائه بحضرته واحتجابه عن أهل دولته الى ان هجم طاهر بن الحسين ودخل الى بغداد فجاء مسرور الخادم الى الامين وهو في جنب حوض مع جواريه يصطاد سمك السمك من ذلك الحوض وكان وضع في أنف كل سمكة درة نفيسة شبكها بقضيب الذهب فكل من صادته من جواريه سمكة كانت الدرة التي في أنفها لها ثم انه رفع الامين رأسه الى مسرور فقال له ان طاهر بن الحسين دخل بعسكره الى بغداد فقال له دعني فان الجواري قد صادت سمكتين وأنا ما صدت شيأ فرجع مسرور وبأثره واذا بالجند قد أحاطوا بدار الخلافة ونهبوها وأمسك طاهر ابن الحسين الامين بيده وحبسه فلما شاهد الامين هذا الحال قال لطاهر بن الحسين يا طاهر اعلم انه ما قام لنا قائم قط فكان جزاؤه عندنا الا السيف فانظر لنفسك أو دع يلوح بأبي موسى الخراساني وأصحابه الذين بذلوا أموالهم في قيام الدولة العباسية فكان مآلهم الى القتل وهذه عادة الله تعالى فمن ذكر من مقيمي الدول كعمرو بن سعيد أقام دولة عبد الملك بن مروان فقتله وأبي مسلم الخراساني أقام دولة السفاح فقتله المنصور وكعبد الله القائم بدولة العبيديين قتله عبيد الله المهدي وأمثال ذلك كثير فأثرت هذه الكلمات في قلب طاهر وصار يحذرها الى أن كان آخر قتله بيد المأمون ولما رأى طاهر بن الحسين بعد الاستيلاء على الامين وحبسه عدم سكون الفتنة أدخل أعاجم لا يعرفون اللسان على الامين وأمرهم بقتله فقتلوه فأخذ رأسه وطيف به في مدينة بغداد ونودي عليه هذا رأس المخلوع الى أن سكنت الفتنة وكان ذلك في المحرم سنة

خطوط الاعيان وذهب به عبد الله المذكور سابقا بلال أغا الى مصر وسلمه صاحب مصر فأرسله الى الدولة العلية مع مزيد الاعتناء منه وأصحبه مكتوبا من عنده وصدر أيضا عرض آخر من السيد حمود ينقض ما كتبه الشريف سعد ولم يكن عليه الا خطوط السادة الاشراف وأرسله مع رجل من أهل مصر يسمى الشيخ عيسى فقضى الله عليه قبل دخوله مصر بيومين فوجد ذلك العرض في تركته فلم يجد نفاذا وصدر أيضا عرض ثالث من السيد محمد يحيى بن زيد من المدينة لانه كان بها وعليه خطوط الاعيان من أهل المدينة وألزم السيد محمد يحيى نفسه أربعين ألف دينار لوزير الدولة العثمانية فلما كان اليوم الثاني والعشرون من رجب جاءت الاخبار الصحيحة بأن الدولة العلية قد أنعمت على الشريف سعد بشرافة مكة وفي السادس والعشرين من رجب وصل رسول حضرة السلطان بالخلعة الشريفة والامر السلطاني فلبس الخلعة بالمسجد الحرام وقرئ الامر السلطاني وجلس للتهنئة وامتدحه الشعراء ولم يحضر هذا المجلس السيد حمود ولا أحد ممن معه من السادة الاشراف ثم استمر الشريف سعد والسيد حمود على كيفية حسنة وحالة مستحسنة الى أن حصل بينهما التنافر والفراق وقام كل منهما في مقاومة صاحبه على ساق وذلك بأسباب عدم ايفاء الشريف سعد بما رتبه للسيد حمود من تلك المقررات والوعود فأزمع السيد حمود على الترحل عن البلاد ومفارقة العيال والاولاد فبرز الى وادي مر يوم الاربعاء ثامن ذي القعدة من سنة سبع وسبعين وألف وأرجفت الناس لهذا الخروج وخيف انقطاع السبل وأقام عن معه من السادة والاشراف والخدم والاتباع الى قدوم الحاج المصري فاجتمع بأميره السيد حمود ومعه السيد أحمد ابن محمد الحارث والسيد بشير بن سليمان فأنهوا اليه الحال وعدم الوفاء من الشريف سعد فيما التزم لهم به من معاليمهم وقالوا لامير الحج انا أيها الامير لا ندع أحدا يحج الآن نأخذ ما هو لنا وكان قدره مائة ألف أشرفي فالتزم للسيد حمود ان يقدمه الشريف سعد قبل الصعود خمسين ألفا فأجاب الى ذلك وخلى سبيله ومن معه فلما دخل أمير الحج مكة خامس ذي الحجة خرج اليه الشريف سعد ولبس الخلعة المعتادة ثم كلمه أمير الحج فيما التزمه للسيد حمود ومن معه فصدق التزامه وأعطى خادم السيد حمود الخمسين الالف قبل الصعود وبقي السيد حمود ومن معه بالوادي الى ثالث عشر وقيل عشرين من ذي الحجة فدخل مكة ومن معه من الاشراف وقصد أمير الحج وكبار العساكر الصلح بينه وبين الشريف سعد فترددت الرسل بينهم ثم عقدوا المجلس بحضرة الامراء ووجوه أركان الدولة وعمادا قاضي الشرع لسماع الدعاوي التي بينهم فأرسل الشريف سعد الى الآغا وكيلا عنه في الخصومة والدعوى فاغتاظ السيد حمود من ذلك وأراد الفتك به في ذلك المجلس فذهب مسرعا فارا

فأرسل الشريف سعد أخاه السيد محمد يحيى وكيلا عنه وتطالبا على يد الحاكم الشرعى وطال المجلس ولم يقع بينهما اتفاق وادعى على السيد جود بأنه أخذ أموال الامين طريق جدة فلم يثبت عليه ذلك بوجه شرعى وطلب مولانا السيد جود ان يتوجه الى الديار المصرية و يرفع أمره الى الحضرة السلطانية فأذنوا له واتفق الحال على ذلك ثم لما توجه الحاج الشامى وسائر الحجاج توجه معهم حتى وصل الى بدر فتخلف عنهم وأقام بها فلما دخلت سنة ثمان وسبعين وألف توجه السيد جود من بدر الى ينبع فى شهر صفر وأرسل ولده أبا القاسم والسيد أحمد الحارث وولده السيد محمد والسيد غالب ابن زامل بن عبد الله بن حسن وجماعة من ذوى عنقا وأرسل معهم هدية الى صاحب مصر المسمى عمر باشا ومن جملة تلك الهدية ستة من الخيل فلما بلغوا الحوراء لاقاهم قاصد من ابراهيم باشا المتولى بعد عزل عمر باشا بمكاتيب متضمنة للامر بالاصلاح فرجع السيد غالب بن زامل صحبة القاصد لينظر مايتم عليه الحال وأقام الباقون بالحوراء نحو خمسة عشر يوما ينتظرون الفرج بعد الشدة فلم يصل اليهم خبر بعد هذه المدة فساروا الى مصر فدخلوها ليلة عيد المولد وقدموا مكاتيبهم والهدية والخيل التى معهم لابراهيم باشا فأكرمهم وعظمهم وأضافهم واحترمهم فاستمر الحال كذلك الى شهر جمادى الآخرة ولم يرجع ذلك القاصد من مكة الى مصر فأشيع بها ان السادة الاشراف اللذين بينبع قتلوا ذلك القاصد وحصل الهرج والمرج وجاءت الاكاذيب فرجا بعد فوج فأشار بعض الاشقياء على الباشا بامساك السيد أبى القاسم والسيد محمد الحارث ونقلهم من منزلهم الى محل آخر وجعل عليهم حرسا واستقر السيد جود بينبع ولما ان سافر الحج وقع تنافر بين الشريف سعد وأخيه السيد محمد فانه طلب ان يكون له ربع مكة بشعار الدعاء مع الشريف سعد فامتنع الشريف سعد فخرج السيد محمد مغاضبا لاخيه ولحق بالسيد جود بينبع فخرج الشريف سعد وضرب وطاقه بالزاهر لارادة لحوقهم ثم جاءه خبر ورود خلعة له من صاحب مصر فرجع الى مكة وجاءته الخلعة سابع عشر رجب ولما سمع السيد جود باعتقال ولده أبى القاسم والسيد محمد الحارث لحقه من التعب مالامزيد عليه ثم جهز الباشا صاحب مصر تجريدة لقتال السيد جود ومن معه خمسمائة من العسكر وعليهم صنجق فلما وصلت الى ينبع اعترضها السيد جود والسيد محمد بن زيد ومن معهم من الاشراف وجمع من جهينة وغيرهم وقتلوا منهم نحو أربعمائة نفس واستولوا على أموالهم وقبضوا على الصنجق وحريمه وأولاده وقالوا هؤلاء رهائن فى السيد أبى القاسم بن جود والسيد محمد بن محمد الحارث وأصيب فى هذه الوقعة جماعة من الاشراف وقتل آخرون ولم يزل الصنجق عندهم الى ان مات ووصل خبر هذه الواقعة بمكة تاسع عشر رجب وحصل بمكة اضطراب عظيم ولما

ثمان وتسعين ومائة وقال محمد بن راشد أخبرنى ابراهيم بن المهدى انه كان مع الامين لما حوصر قال فطلبنى فى ليلة مقمرة بقبته فقال ماترى فى حسن هذه الليلة وضوء هذا القمر فاشرب معى نبيذا فسقانى ثم طلب جارية تغنيه فجاءت جارية اسمها ضعف فتطيرت منها وغنت بشعر النابغة الجعدى كليب لعمرى كان أكثر ناصرا ☆ وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم فتطير من ذلك وقال غنى غير هذا فغنت تقول أبكى فراقهم عينى فأرقها ☆ ان التفرق للاحباب بكاء ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء فقال لها لعنك الله أما تعرفين غير هذا فقالت أما ورب السكون والحرك ان المنايا كثيرة الشرك (٨٣) مااختلف الليل والنهار ولا ☆ دارت نجوم السماء فى الفلك الا لنقل السلطان عن ملك قد زال سلطانه الى ملك وملك ذى العرش دائم أبدا ليس بفان ولا بمشترك فقال لها قومى لعنك الله فقامت فعثرت فى كأس بلور فكسرته فازداد تطيرا فقال ياابراهيم ماأظن أمرى الاقد قرب واذا بصوت سمعناه من الشارع قضى الامر الذى فيه تستفتيان فقام مغتما وقتل بعد ليلتين وقتل تجاوز الله تعالى عنه وعظم قتل الامين على المأمون وكان يريد أن يرسل به طاهر بن الحسين الى أخيه حيا ليرى رأيه فيه فخالف ذلك طاهر حتى عاش طريدا بعيدا وآل أمره الى ما آل

﴿ فصل ﴾ لما تم على الامين ماتم وكان ذلك على أمه زبيدة أعظم ماتم آل الملك الى عبد الله المأمون بعد قتل أخيه فى سنة ثمان وتسعين ومائة وكان من أتم رجال بنى العباس حزما وعزما وعلما وحلما وفراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وتأدب وتفقه وبرع فى فنون التاريخ والادب ولما كبر اعتنى بالفلسفة وعلوم الادب ففضل وأفضل ومحن الناس بالقول بخلق القرآن ولولا ذلك لكان يعد من أكمل الخلفاء وكان يضرب المثل بحلمه ومن انصافه انه رأى آل النبى صلى الله عليه وسلم أحق بالخلافة من غيرهم وهم بخلع نفسه وتفويض الامر الى على بن موسى الكاظم وهو الذى لقبه بالرضا وضرب الدنانير والدراهم باسمه وزوجه ابنته وأمر بترك السواد ولبس الخضرة وجعله ولى عهده فى الخلافة فاشتد ذلك على بنى العباس وخرجوا عليه وبايعوا ابراهيم بن المهدى ولقبوه المبارك فثار المأمون عليه فهرب منه واختفى ثمان سنين ثم جاء الى المأمون فى صفر سنة أربع ومائتين

وتوفي الامام علي بن موسى الرضا في سنة ثلاث ومائتين وأسف عليه المأمون وأراد اقامة غيره فذكر الصولي ان بعض نعمه انه قال له انك في برك بأولاد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه والامر فيك أقدر على برهم والامر فيهم وكلمه العباسيون في اعادة لبس السواد فأبي فكرروا ذلك عليه الى أن أجابهم الى ذلك وأعاد شعار السواد وكان كثير الجهاد وهو الذي افتتح قره حصار وكان كثير العبادة قيل انه ختم في شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وكان العلماء ممتحنين في أيامه بجبرهم على القول بخلق القرآن فدعوا عليه فأهلكه الله تعالى ويقال ان سبب موته انه اشتهى أكل سمكة تسمى الرعادة ان لمسها أحد أخذته النفضة من ساعته ليبردها فأكل فمات لوقته وما أمن المأمون من اظفار ريب المنون ونقل من الملك الى الهلاك جسمه المصون وواراه التراب عن الاحباب وسالت العيون ورجع الى ربه الكريم وانا الى الله راجعون وكانت وفاته لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين بأرض الروم ودفن في طرسوس وفيه قال أبو سعيد المخزومي

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ ... مون أو عن ملكه المأسوس
خلفوه بعرصتي طرسوس ... مثل ما خلفوا أباه بطوس

{فصل لما مات المأمون ولي بعده الخلافة أبو اسحق محمد المعتصم بن هرون الرشيد} مولده سنة ثمانين ومائة وكان يقال له المثمن لانه ثامن الخلفاء وثامن أولاد الرشيد والثامن من ولد العباس واستخلف سنة ثمان عشرة ومائتين وملك ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام وعاش ثمانية وأربعين سنة وذكر الصولي قال كان مع المعتصم غلام في الكتاب يتعلم معه القرآن فمات الغلام فقال له الرشيد يا محمد مات غلامك قال نعم يا سيدي واستراح من الكتاب فقال يا ولدي وان الكتاب ليبلغ منك هذا المبلغ وقال لمعلمه اتركه لا تعلمه شيأ فاتفق أنه كان عاميا يكتب كتابة مغشوشة ويقرأ قراءة ضعيفة وقال نفطويه كان المعتصم من أشد الناس قوة وبطشا كان يجعل زند الرجل بين اصبعيه فيكسره نقل ذلك الحافظ السيوطي وتلك قوة عظيمة ما وصل اليها أحد وقال وهو أول من أدخل الاتراك الدواوين وكان يتشبه بملوك الاعاجم وبلغ غلمانه الاتراك ثمانية عشر ألفا وبعث الى سمرقند وفرغانة أمر الاشراء الاتراك وألبسهم أطواق الذهب والديباج وكانوا يطردون الخيل في بغداد ويؤذون الناس فضاقت بهم البلد فشكاهم أهل بغداد الى المعتصم واجتمعوا على بابه وقالوا ان لم تخرج جندك

وصل الخبر الى مصر اشتد حنق صاحب مصر وأمر بقتل من بها من اتباع السيد أبي القاسم والسيد محمد الحرث وضيق عليهما بنقلهما الى حبس شنيع لا يليق بهما وجمع العلماء واستفتاهم في قتلهما فامتنعوا عن الافتاء بذلك فضيق عليهما الحبس واستمر الى ان عزل ابراهيم باشا وتولى حسين باشا جنبلاط فسأل عن حالهما من حين دخوله عن سبب حبسهما فأخبر بقضيتهما ثم تفحص الى الغاية عن حالهما بسؤالات كثيرة حتى ظهر له انهما مظلومان فأمر بالافراج عنهما واحضارهما اليه فأكرمهما غاية الاكرام وخيرهما بين الاقامة والعود بعد ان أنزلهما في بيت نقيب الاشراف وأكرمهما هو وأتباعه بما لا مزيد عليه ثم مشى السيد محمد الحرث الى مكة خفية على ركائب وتأخر السيد أبو القاسم بن محمود واستمر بمصر الى ان توفي بالطاعون ولم يزل السيد محمود بينبع بعد الواقعة المشهورة ثم انتقل الى الشرق ووقع له بالشرق وقائع مع مطير وبني ظفر وبني حسين ولم يزل على هذا الحال وهو في غاية الاعزاز والاجلال الى ان أذن الله بالصلح بينه وبين الشريف سعد فوفد عليه السيد محمود بالطائف وقابله بالمعبوث سنة احدى وثمانين وألف فقابله بالاجلال والاكرام ثم دخل معه الطائف وتكاتبا وتعاهدا على تشييد مباني الصلح المحكم الاساس بمرأى من ضريح سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وأقاما في أرغد عيش بعد ذلك الطيش وفي سنة تسع وسبعين وقع غلاء وقحط بمكة حتى أكل الناس الكلاب والهرات والرمم العظام وأما بندر جدة فكان أعظم من ذلك فكانوا يرسلون الى مكة لطلب القوت وأهل الطائف اجتمع عليهم البرد والجوع والخافة وصارت كيلة الحب عندهم بخمسين محلقا ثم لطف الله فوردت جدة المراكب المصرية بالغلال وجرايات أهل مكة وفي هذه السنة ورد مع الحاج الشامي حسن باشا وفوضت الدولة اليه أمر جدة ومشيخة الحرم المكي والتطرق أمر مكة ولما دخل المدينة أغراه بعض الناس منهم محمد ظافر ببعض خدم مولانا الشريف سعد الذين كانوا بالمدينة فقبض عليهم وحبسهم بالقلعة ومنع الخطيب من الدعاء للشريف سعد وفي خلاصة الاثر ان سبب ارسال حسن باشا ان أهل المدينة رفعوا الى السلطان شكايات من الشريف سعد فلما بلغ الشريف سعدا ما فعله حسن باشا بالمدينة أخذ حذره منه وجمع جموعا فلما دخل حسن باشا مكة دخلها وهو في تخت الى باب السلام ثم استلم الصر المكي ولم يقسم منه شيأ فدعا مولانا الشريف كبراء الحج وسألهم عن حال هذا الرجل وقال ليظهر ما بيده ان كان بيده عزل أو تولية وكادت ان تقوم فتنة فالتزم له الامراء بانه لا يقع منه تعد وتوثقوا منهم وخرج مولانا الشريف بالناس بعد اضطراب شديد وقع بمكة بحيث عزل السوق فلما حج ونزل فرق حسن باشا الصر على أهاليه ولم يجتمع مولانا الشريف سعد بالباشا الى ان سعى

الا ارسلت عنا حاربنا قال كيف تحاربونى وانتم عاجزون عن حربى قالوا نحاربك بسهام الاسحار ونرسل عليك سيوف الدعاء فقال
والله لا اطيق ذلك ولكن انظرونى لا نظر فى بلد استقل بهم فيها ولا تضررت بى وكفوا عنى سهام دعائكم فبنى مدينة سر من رأى
بقرب بغداد وانتقل اليها فى سنة عشرين ومائتين وللمعتصم عدة غزوات مع الكفار اشهرها غزوة عمورية ظهرت له فيها
اليد البيضاء وتصرف فيها الملة المحمدية تصرفا وخذل فيها الكفرة اعداء الدين واعز فيها الاسلام والمسلمين وملخصها ان ملك
الروم كان اخذ كلا من اكابر ملوك النصارى ارسل كتابا للمعتصم يهدده فاستشاط غضبا فكتب له الجواب فلم يرضه شئ منها ومزق
الكتاب الذى ورد عليه وامر ان يكتب فى ظاهر قطعة منها * بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ما تراه لا ما تقرؤه

وسيعلم الكافر لمن عقبى
الدار وتجهز من ساعته
بعد العيون وقالوا ان
الطالع نحس فقال هو نحس
عليهم لا علينا وسار من
يومه ولاحقت العساكر
ووقع حرب عظيم قتل فيه
ستون الفا من النصارى
واسر منهم ستون الفا
وهرب ملكهم فتحصن
بحصن عمورية فحاصره
المعتصم ونزل به الى ان فتحه
واسر ذلك الملك الكافر
وقتله وكان ذلك فتحا عظيما
من اعظم فتوح الاسلام
ومدحه الشعراء بقصائد
طنانة واحسن ما قيل فيها
قصيدة ابى تمام التى سارت
بها الركبان وطنت حصاتها
فى الاسماع والاذان
وهى

السيف اصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة * بين الخميسين لا فى السبعة الشهب   فتلاحقه
اين الرواية بل اين النجوم وما * صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
ولو تبين امرا قبل موقعه * ما خفى ما حل بالاوثان والصلب
فتح تفتح ابواب السماء له * وتبرز الارض فى اثوابها القشب
فتح الفتوح تعالى ان يحيط به * نظم من الشعر او نثر من الخطب
تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب فى الله مرتقب
لم يرم قوما ولم ينهض الى بلد * الا تقدمه جيش من الرعب
لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا * من نفسه وحدها فى جحفل لجب
عداك حر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب
حتى تركت عمود الشرك منعفرا * ولم تعرج على الاوتاد والطنب

بمرسوم امراء الحج وفتحوا ختم الخلافة وطيبوا خاطر مولانا الشريف فاجتمع به فى الحرم ثانى محرم
الحرام خلف مقام الحنفى ساعة وحضر اعيان الدولة وجمع من المسلمين واصطلحوا بينهما ثم قام
مولانا الشريف الى منزله ثم ان مولانا الشريف اتاه الى منزله هو واخوه الشريف احمد بن زيد
فلما ارادوا الانصراف البس كلا منهم قفطانا يليق به وقام مشيعا لهما الى باب الطريق وفى اليوم
العاشر من محرم وصل المذكور الى زيارة مولانا الشريف فاجتمع به ولما اراد القيام امر له مولانا
الشريف بفرس تساوى الف دينار فنزل من عنده وسافر من وقته الى جدة ثم ظهر منه غاية الشقاق
كما يأتى وفى ثالث ربيع الاول من هذه السنة ثار عسكر مولانا الشريف من اجل المرتبات
وتعصبوا مع شيخ العسكر ثم بوابة القدر واعتدوا من السوق فاقاموا بالمعلى يوما وليلة ثم رحلوا متوجهين
الى اليمن فخرج اليهم السيد حسن بن زيد وضمن لهم الوفاء فرجعوا وفى الخامس من ربيع
الاول دخل السيد محمد يحيى بن زيد مكة مصالحا لاخيه مولانا الشريف سعد وسكنت العساكر
القادمون مكة مع مولانا الشريف فى امره وانه كان من اسباب القتل يتبع فى العسكر مع السيد محمود
فاظهر لهم مولانا الشريف كتابا من الباشا صاحب مصر فيه الامر باصلاح الاشراف المتفرقين
مهما امكن ووصل ذلك عند قاضى الشرع فسكنت الفتنة وفى خامس عشر ربيع الآخر وقعت
مشاجرة بين عسكر مولانا الشريف وافترقوا فرقتين وتقاتلوا بالسيوف على باب مولانا الشريف
وحصل فى الفريقين جراحات ثم اصطلحوا وفى هذا الشهر توجه مولانا السيد محمد يحيى الى قبيلة
بنى سعد لطلب خروجهم عن الطاعة فلم يقدر عليهم فارسل الى اخيه مولانا الشريف سعد يعرفه بذلك
فارسل اليه بجموع جزيلة فقبل وصولهم دانوا بالطاعة على اعطاء جميع الاموال وسلامة
الارواح وفى ثانى رجب من هذه السنة وصل الى جدة سلطان من سلاطين العجم فارسل اليه
مولانا الشريف من يقابله ومعهم تحريرات ثم دخل مكة وادى الحج ونال منه مولانا الشريف مالا
عظيما وفى شهر رمضان فى التاسع منه من هذه السنة وقعت صاعقة بمكة فقتلت رجلا وفى هذه
السنة طلب مولانا السيد احمد بن زيد من اخيه ان يكون شريكا له فى مكة فوافقه على ذلك وفوض
اليه ربع مدخول مكة فطلب ان يدعى له فى المنبر معه فامر مولانا الشريف بذلك ثم عرض الى
السلطنة وطلب تقرير ذلك فجاءت المراسيم بذلك ولما جاء الحج البس كل منهما خلعة وفى سنة
احدى وثمانين والف لما كان يوم الجمعة السادس والعشرين من رمضان دخل المسجد رجل
اعجمى بيده سيف والخطيب يخطب وهو ينادى بالفارسية انه المهدى وجلس فى بعض الطواف الى
ان فرغ الخطيب فلما اراد ان ينزل قصده الاعجمى بالسيف واراد ضربه فرد فى وجهه باب المنبر

ان الاسود أسود الغاب همتها ● يوم الكريهة في المسلوب لا السلب
خليفة الله جازى الله سعيك عن ● جرثومة الدين والاسلام والحسب
ان كان بين صروف الدهر من رحم ● موصولة أو ذمام غير منقضب
فبين أيامك اللاتي نصرت بها ● وبين أيام بدر أقرب النسب

انظر الى هذا الدر المنضود والجوهر الذي يزري بجوهر العقود وتنزه في رياض ألفاظه ومعانيه واجتن ثمار البلاغة من معاطف أزهاره وغصانه وخذ بالحظ الوافر من ذوق تراكيبه ومبانيه ● وكان المعتصم من أعظم الخلفاء الذين ألزموا الناس بخلق القرآن وجبر علماء الاسلام على ذلك وأذاقهم الهوان وهذه من أعظم خلاله الرديه مع انه كان عاميا لاحظ له من الكمالات العلميه بل حمله على ذلك مجرد الجهل والعصبية وما كانت أغناه هو وأخوه عن إلزام العلماء بهذه الجهالات عدوانا وبغيا وما لهم والدخول في هذه المسالك الضيقة لولا الغباوة وما حملهم على ذلك غير الجهل والغرور وبهذه الدنيا اذا أسرع منهم بوا وذهب غرورهم وغرهم بهذا ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا ولما ورد عليه الاجل سيغفه الذي ما نعم المعتصم ظهور الحصون ولا اقلوته الحصون

ولا منعه من حمام اغنام ● مال ولا بنون
كل حي لاقى الحمام فمودى ● ما لحي مؤمل من خلود
لا تهاب المنون شيئا ولا تر ● عى على والد ولا مولود
يقدح الدهر في شماريخ رضوى ● ويحط الصخور من هبود
ولقد تنزل الحوادث بالاد ● ام وعتاق العصم الجلود
وأرانا كالزرع يحصده الدهـ ● ـر فمن بين قائم وحصيد
يحكم الله ما يشاء ويقضي ● ليس حكم الله بالمردود
ليس ينجي من المنون حصون ● عاليات ولا حصار حديد

ومن أرجى دعائه لما احتضر اللهم انك تعلم اني أخافك من قبلي لا من قبلك وأرجوك من قبلك لا من قبلي يا من لا يزول ملكه ارحم من زال ملكه ● وتوفي الى رحمة الله يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين ﴿فصل﴾ وولي الخلافة بعد المعتصم أبو جعفر ولقب الواثق بالله في تاسع ربيع الاول سنة ثمان وعشرين ومائتين ● ومولده لعشر بقين من سنة ست وتسعين ومائة وأمه أم ولد رومية اسمها قراطيس واستخلف تركيا اسمه أشناس ولقبه بالسلطان وهو أول خليفة استخلف سلطانا وألبسه وشاحين وتاجا بجوهر واتبع أباه في القول بخلق القرآن ثم رجع عن ذلك آخر

فلاحقته العامة من العساكر فحاوروهم فضربوا الاغوات بالسيوف الى أن أخرجوهم وجرحوهم وصيروهم الى ان أخرجوهم من باب السلام ثم جرته العامة الى المعلى وجعلوا عليه قمامة وأحرقوه ولما نزل الى جدة حسن باشا المتقدم ذكره بارز مولانا الشريف بالعداوة وقطع معاليمه من جدة وطلع الى الحج ختام سنة احدى وثمانين وقيل اثنين وثمانين وأنف المفرغ من تعريفه توجه الى المزدلفة ثم الى منى وأقام بها فلما كان اليوم الثالث من أيام منى رمي برصاصة وقيل بثلاث رصاصات عند غروب الشمس عند جمرة العقبة وهو منحدر الى مكة فأصابت نعله فوقع من فوق حصانه واحتمله العسكر الى التخت ورفعوا بيرقه وقالوا من وجدوه قتلوه من الحجاج والفقراء الى أن وصلوا الى باب الباسطية مسكنه وبلغ مولانا الشريف الخبر فنزل من منى بمن معه من العسكر والاشراف في لباس الحديد ونزل الى بيته واجتمعت عساكر حسن باشا المذكور وجعلوا المدافع في باب السدرة ورباط الباسطية ومن جهة باب الشبيكة ومن جهة سويقة واقتضى الحال حضور مولانا الشريف أيضا ولم يزل الحال هكذا الى الصبح فاجتمع أمراء الحج عند مولانا الشريف فأخبرهم ان هذا الامر ليس لي به خبر وقد وقع ذلك والله أعلم بفاعله ولا أعلم به وطلب مولانا الشريف محاسبته ما دام في قيد الحياة عما عمله من مدخول جدة لانه منعه من غير أمر فقضى ذلك بعد اتمام المحاسبة على أنه وجه في الدعوى ووكل الخواجا محمد سعيد بن مصطفى [illegible] من جهته بجدة الى حضرة القاضي وادعى على الباشا المذكور وأحضر دفاتر [illegible] جدة فصح لمولانا الشريف عنده أربعة وعشرون ألف قرش فتوسطت الامراء في ترك البعض فأخذ عشرة آلاف وسامح بأربعة عشر ألفا وقيل كان المبلغ ثلاثين ألفا فترك عشرة وأخذ عشرين ثم ان الباشا المذكور توجه الى جدة في سابع عشر ذي الحجة ثم توجه الى المدينة المنورة فلما دخلها وأقام بها أياما حسن له محمد آغا السابق ذكره أن يبعث لمولانا السيد أحمد بن محمد الحارث بن الحسين بن أبي نمي ويوليه شرافة مكة فبعث اليه فجاء الى المدينة فألبسه حسن باشا خلعة في الروضة الشريفة ونادى له في البلد وأمر بالدعاء له على المنبر وأرسل الى جدة بذخيرة ليتوجه بها الى مكة فلما بلغ مولانا الشريف الخبر توجه الى ينبع وتحقق ان حسن باشا ألبس الشريف أحمد الحارث

● (صورة ما كتبه الشريف سعد للسيد أحمد بن الحارث حين ولاه حسن باشا امارة مكة بالمدينة) ● فكتب الى السيد أحمد حسب ما بلغنا كتابا فيه ما يشتمل من الاعتراف بحق الاكرام مع مزيد اللطافه ومضمونه كما في تاريخ العصامي بعد مزيد الثناء وحمد الله ان هذا الذي بلغنا به من [illegible] الملك وأقوامه فهذا أمر أنت بيته الاصلي ومثلك أحرى به وأولى فانك أنت الشيخ والوالد الا انا كل

عمره • قال الخطيب كان أحمد بن أبي داود حمل الرجل وهو مكبل بالحديد أخبروني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس إليه هل علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس إليه أو لم يعلمه فقال ابن أبي داود بل علمه فقال فكان يسعه أن لا يدعو الناس إليه وأنتم لا يسعكم فبهتوا وضحك الواثق وقام قابضا على فمه ودخل بيته ومد رجليه وهو يقول وسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكت عنه ونحن لا يسعنا وأمر أن يعطى الرجل ثلثمائة دينار وأن يرد إلى بلده ولم يمتحن أحدا بعدها ومقت ابن أبي داود من يومئذ ولم يرفع له شأن والرجل هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأزدي شيخ النسائي • وكان الواثق عالما شاعرا حاذقا كثير الأكل أكثر بني العباس رواية للشعر ومن شعره

في واقعة حاله • حيالك بالنرجس والورد • معتدل القامة والقد
فألهبت عيناه نار الهوى • وزاد في اللوعة والوجد
أملت بالملك وصالا له • فصار ما كي سبب البعد
مولى تشكى الظلم من عبده • فأنصفوا المولى من العبد

قال الصولي أجمعوا على أنه ليس لأحد من الخلفاء مثل هذه الأبيات في الرقة واللطف • مات بسر من رأى يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين • وحكي أنه لما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل فجاء جرذون واستل عينيه وأكلها فسبحان الحي الباقي وتبارك القوي القادر ذو الجلال بيده الملك لا يزول ولا يزال (ثم ولي بعده أخوه أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد العباسي) • ولد سنة خمس ومائتين وبويع له بالخلافة في اليوم الذي مات أخوه فيه وأمه أم ولد تركية اسمها شجاع وكان كريما ما أعطى خليفة شاعرا ما أعطاه المتوكل وكان سنيا أظهر الاخيرة السنة وأكرم علماء الحديث وأمات البدع ومنع القول بخلق القرآن وألبس النصارى لباس الغل وشنع على الجهمية والمعتزلة وأمر نائبه بمصر أن يحلق لحية قاضي مصر ابن أبي الليث ويطوف به الأسواق على حمار لأنه كان جهميا معتزليا يقول بالجهة وخلق القرآن • ومن أفعاله الشنيعة أنه هدم قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما في سنة ست وثلاثين ومائتين وهدم ما حوله من الدور وجعل مزرعة ومنع من زيارته فتألم الناس لذلك وكتبوا شتمه على الحيطان وقيل فيه

تالله إن كانت أمية قد أتت • قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله • هذا لعمري قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا •

طريقة من النكال وقال وإن كان هذا تحكم الأساس والبنيان جاريا على مقتضى رسوم السلطان فنحن بالطاعة أعوان وإن كان الأمر خلاف ذلك وإنما كان من تسويلات هذا الظالم الغادر وتمعقات ذلك المذمم القصير الفاجر فلا حاجة أن نستخفه أو أن تستنزله أخلاط الأشارب وغوغاء الجيش فأرسل إليه بالجواب مولانا السيد أحمد بأن الأمر لم يكن على هواي وإنما هو الزام مع علمي بأن هذا الابتداء لا يكون له تمام والسلام ولما بلغ حسن باشا أن الشريف سعد قد ذم جميع أحواله وعزم على حربه وقتاله وتجهز للمسير إليه والركوب عليه وضع في الهواء من حديد قريبا من مائتين قلة من الرصاص والحديد يرمي بها من بعد إلى الجيش فشغله السيد أحمد الحارث عن ذلك وسهل الأمر فيما هنالك فترك الحركة واستقر وأقام بالمدينة واستمر وكان السيد حمود بن عبد الله المبعوث قد بعث إليه السيد أحمد الحارث وحسن باشا ظنا أنهما الممعوثة واتفق أن مولانا الشريف سعد بعث إليه أيضا يطلبه ويستنجد به ويعده بما يرغم فاتفق وصول الرسولين إليه في يوم واحد فتوجه قاصدا إليه مولانا الشريف سعد فوصل إليه وهو بجهة قريب من ينبع كذا في تاريخ العصامي وفي خلاصة الأثر فعزم سعد وأحمد إلى المدينة ومعهما على القتال وكان حمود نازلا بالمبعوث في المربعة المشهورة إلى السيد محمد الحارث فأتاه السيد أحمد بن حسن بن حراز رسولا من الحارث وحسن باشا بكتابين يستدعيانه إليهما للانضمام ووعداه بما يريده من الجهات والعينات ومضمون كتاب ابن الحرث بعد الثناء وإظهار الود والشوق أن أمانك لم يكن لهذا الأمر ببال ولم يلتفت إليه بالقال والحال وإنما ألقي ولدي محمد إلى الأمر وكرر علي القول مرة بعد أخرى ولم أوافقه حتى رأيت جدك النبي في المنام فألزمني وأمر ويدع الأوهام فعند ذلك رجعت والقصد إلى أمرك الذي تعرفه ولا تنكره فاقبل إلينا وأعظم جميل نذكره فتفكر حمود ساعة وقال كأني برسول سعد يصل إلي لم أستقبل الغروب فإذا براكب منيخ فتقدم إليه وأخرج مكتوبين من سعد وأحمد مضمونهما استحثاثه في المسير إليهما وأن حسن باشا قد شمر عن ساقيه للحرب وكشر عن نابيه للطعن والضرب واستشهد سعد بقول الشاعر

وما نطحت رقاب الأسد حتى • بأنفسها أتوات ما عتاها

وأتبعه بقوله وأنت تعلم أن الأمر الذي بيننا يصعب ولا أدري بما يؤول إليه الأمر في ذلك وهذه ألف دينار صحبة الواصل إليك وأدركنا أدركك أدام الله فضله عليك فقال له بعض الحاضرين ما رأيت لمن تتوجه قال إلى سعد صاحب الفضل ومولاه فإن بيني وبينه في ضريح الحبر عبد الله عهود الو عارضني فيها والذي عبد الله لكنت وجهه بالسيف دون ذلك ثم توجه على الركائب يومه الثاني وقوض

في قتله فقتله ورموه وهذا الفعل السيئ محا جميع محاسنه وصار ما عذب من زلال احسانه مغلوبا بأجاجه وآسنه وعلت عليه هذه الزلة أقبح فضيحة وهذه الخلة الشنيعة أقبح من كل قبيحة * ووقعت في أيامه عجائب منها ان النجوم ماجت في السماء وتناثرت كالجراد ولم يعهد قط مثل ذلك ورجمت قرية السويداء بناحية مصر بأحجار من السماء فوزن حجر منها فكان عشرة أرطال وسار جبل باليمن عليه مزارع الى جبل آخر ووقع في قرية طائر دون الرخمة فصاح يا معشر الناس اتقوا الله أربعين مرة ثم جاء من الغد ففعل ذلك فكتب واخبر بذلك على البريد الى بغداد وكتبوا فيها شهادة خمسمائة انسان سمعوا ذلك فيها ثم جرت أيضا في رمضان سنة احدى وأربعين ومائتين وحصلت الزلازل وغارت عيون مكة فأرسل المتوكل الى مكة مائة ألف دينار

ذهبا لاجراء ماء عين عرفات اليها فصرف فيها الى ان جرت ذكر ذلك السيوطي رحمه الله * وذكر الحافظ نجم الدين عمر بن فهد في كتابه اتحاف الورى بأخبار أم القرى في حوادث سنة خمس وأربعين ومائتين فيها غارت عين مشاش وهي عين مكة فبلغ ثمن القربة درهما فبعث المتوكل على الله جعفر بن المعتصم مالا فأنفق عليها حتى جرت كذا ذكره ابن الاثير في تاريخه وهذه العين من عمل زبيدة وهي عين بازان ظاهر التحقيق * فانت عين مشاش موجودة الى الآن وهي من جملة العيون التي تصب في ذيل عين حنين وهي تجري وتضعف أحيانا بقلة المطر وشأنها معروف * ولما كثرت المماليك في بغداد ودخلوا في أمر الملك استولوا على المملكة وصار بيدهم الحل

والعقد والولاية والعزل الى أن حملهم الطغيان على العدوان وسطوا على الخليفة المتوكل لما أراد ان يصادر مملوك أبيه وصيفا التركي لكثرة أمواله وخزائنه فتعصب له باغر التركي واتفق الاتراك عنه فدخل باغر عليه ومعه عشرة أتراك وهو في مجلس انسه وعنده وزيره الفتح بن خاقان بعد ان مضى من الليل ثلاث ساعات فقال الفتح ويلكم هذا سيدكم وابن سيدكم وهرب من كان حوله من الغلمان والندماء على وجوههم وبقي الفتح وحده والمتوكل غائب عن نفسه من السكر فضربه باغر بالسيف على عاتقه فقده الى خصره فطرح الفتح نفسه عليه فضربهما باغر ثانية فماتا جميعا فلفهما معا في بساط ومضى هو ومن معه ولم ينتطح في ذلك شاتان * وكان قتله في ليلة الاربعاء لليلتين مضتا من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين في القصر الجعفري وكان بناه المتوكل ولما انتقل

الاخيه وفارق الماني حتى وصل الى سعد وأخيه وعملا عمل يقال له مغادا وفي ذلك عزل حسن باشا وأتى الخبر لمولانا الشريف سعد بالخزانة والذخيرة التي طلبها حسن باشا فأرسلت له من جدة فقبضها وأخذها عن آخرها وقسمها على من عنده ثم جاء الخبر من السلطنة بعزل حسن باشا وطلبه الى الابواب وجاء لمولانا الشريف خلعة مع ذلك القاصد عليه القاصد عليها انتهى وفي خلاصة الاثر عند ذكر هذه الحادثة وكان ارسالها ضربا من المكايد وتوجه القاصد بخبر العزل الى المدينة فتوجه حسن باشا من المدينة على طريق غزة وتوفي في الطريق وتوجه معه محمد ظافر وابناء الشامة وذهب محمد ظافر الى غزة ثم الى مصر ثم انقطعت الاخبار عن مولانا الشريف وكثرت الاقاويل عند الوزير حتى قيل انهم أحضروا له ثوب الباشا الذي ضرب بالرصاص فيه وزاد الاعداء في الكلام وكان الشيخ محمد بن سليمان المغربي المشهور بالروداني اذ ذاك في القسطنطينية وكان مجاورا بالمدينة ثم بمكة وله عداوة مع الشريف سعد وذلك انه تشفع عنده في شفاعة فلم يقبلها ثم سافر الى الروم واتصل بالوزير واجتمع بالسلطان محمد بن ابراهيم وطلب منه ان يزيل أشياء كانت بمكة فأمر السلطان بابطالها فلما كانت قضية حسن باشا حضر عند الوزير وانتهز تلك الحال فوجد مكانا فسيحا للمقال فعند ذلك أمر الوزير الاعظم باخراج أمر سلطاني الى صاحب مصر أحمد باشا بتجهيز ثلاثة آلاف عسكري من مصر الى مكة وكتب الى حسين باشا صاحب جدة ان يحقق هذا الامر بأتي عسكري وينظر في أمر الحرمين ولا يبرم شيئا دون اشارة الشيخ محمد بن سليمان وأمر الشيخ بالحج واصلاح البلد وتولية من يرى فيه الصلاح وجعل اليه أمر ذلك فلما كان ثالث شوال ورد من مصر الخبر بتجهيز العساكر الى الجهة الحرمية وكثر الهرج والمرج واستمر مولانا الشريف ينبع الى ذي القعدة فرجع ووصل الى مكة يوم الحادي عشر من ذي القعدة

﴿ غريبة ﴾

ولما كان يوم الثالث عشر من ذي القعدة جاء رجل من أهل وادي الجموم معروف بالخير عليه آثار الجذب وانفرد عن الناس ونادى بأعلى صوته من الشبيكة وهو سائر الى ان وصل المعلى وهو يقول يا أهل مكة أشهدكم وأشهد الله وملائكته اني أديت الامانة الى شريف مكة وهو ان أمرا يريد ان ينزل بأهل هذه البلدة عقوبة فليخرج بجميع الناس يوم الجمعة يصلي بهم ركعتين ليرفع هذه البلاء بذلك عن أهل هذه البلدة وقد أديت ما أمرت بتبليغه فوصل خبره الى مولانا الشريف فاستدعاه وسأله عن حاله فقال أنا رجل مقيم بالريان فصليت البارحة العشاء ونمت ثم قمت لصلاة أصليها فاغتسلت من عين هناك فغشيني نور ملأ الافق فحجدت خشية ثم رفعت رأسي وأنا كالغائب

دفن فيه رحمه الله تعالى هو ووزيره الفتح بن خاقان رحمهما الله تعالى • وكانت خلافته أربعة عشر عاما وعمره احدى وأربعون سنة (وولي بعده ولده محمد أبو جعفر المنتصر بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله بن هرون الرشيد العباسي) بويع له بالخلافة بعد قتل أبيه ولم يتهن بالملك لاستيلاء المماليك الاتراك على المملكة ويقال انه واطأ الاتراك على قتل أبيه لينال الخلافة بعده والله أعلم بذلك • وكان على حذر من الاتراك ويسبهم ويقول هؤلاء قتلة الخلفاء فعلموا بأمره وأرادوا قتله فما أمكنهم الاقدام على ذلك لشدة محاذرته منهم فدسوا الى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار عند توعكه ليسمه ففصده بمبضع مسموم فأحس بذلك وأراد قتل الطبيب فقال انك تصبح طبيبا وتندم على قتلي فامهلني الى الصبح فأمهله فأصبح ميتا • ويحكى انه بات ليلة في وعكه فانتبه فزعا وهو يبكي فسألته أمه ما يبكيك فقال أفسدت ديني ودنياي رأيت والدي الساعة وهو يقول قتلتني يا محمد لأجل الخلافة والله لا تتمتع بها الا أياما قلائل ثم مصيرك الى النار فسمعوه وما من هذا المنام فما عاش بعد ذلك الا أياما قلائل وذكر ابن الجوزي المنجم ان المنتصر جلس يوما للهو وأمر بفرش بساط من بساط الخزانة ورثه آباؤه الملوك ففرش فرأى فيه صورة رأس عليه تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فأحضر له رجل من الأعاجم فقرأه باطنه وعبس عن قراءتها فألح عليه المنتصر في قراءتها فقال لا معنى لها فألح عليه فقال هي أنا الملك شيرويه بن كسرى بن هرمز قتلت أبي فلم أتمتع بالملك الا ستة أشهر وهي مشهورة فتغير وجه المنتصر لذلك وقام من ذلك المجلس وترك اللهو الذي أراده ومسارعة الى أجله • وكان على خلاف رأي أبيه في آل أبي طالب وعمر قبر الامام الحسين بعدما كان هدمه أبوه وأمر بعمارته ورد على آل الحسين فدك • وقصته مشهورة وهي مما تنقمه الشيعة على سيدنا أبي بكر رضي الله عنه وانما فعل ذلك لحديث سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة ووافقه على ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولم ينقض ذلك الحكم لما آلت الخلافة اليه لعلمه أن ذلك هو الحق وماذا بعد الحق الا الضلال وكانت خلافة المنتصر ستة أشهر كأبرويز • قال أبو منصور الثعالبي رحمه الله في العجائب ان أعرق الاكاسرة في الملك شيرويه قتل أباه فلم يعش بعده الا ستة

أشاهد بدت النور قد اجتمع دائرة مكتوب فيها بالضوء اثنا عشر سطرا أولها لا اله الا الله والثاني الله نور السموات والأرض والثالث خط خط شط ولم أعرف بقية الاسطر غير هذه الثلاثة فأردت ان أميل الى جهة اليمين فرأيت من أخذ بشق الايسر فأردت ان أميل الى الايسر فأخذت من الايمن فقلت من أنت وقد عمرني رائحة المسك فقال اسمع وع ما أقول أنا رسول جبريل من رب العالمين اذهب الى مكة وأبلغ صاحبها السلام وناديا على جموع من أسفل مكة الى أعلاها وقل للناس ان سلطان يوم عرفة سلطان فأمر مولانا الشريف بالاحسان اليه ثم صرفه وعاد من يومه ولم يعد مولانا الشريف رأيا في قوله وحمل الناس قوله على التخليط والهذيان واذا أشرف الى ما وقع بعد ذلك علمت صدق الدعوى ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة وصل ثلاثة آلاف من العسكر ورئيسه محمد جاويش ونزلوا بالجرول خارج الشبيكة فخرج اليهم الوزير والحاكم وبعث مولانا الشريف لمحمد جاويش هدية من الخيل والفرس مع ريحة منه وكذلك أخوه الشريف أحمد فشكر فعلهما ثم أعادها واعتذر عن قبولها من المسكر فلم يقبلها وقال لا حاجة لي واذا جهزت هذا العسكر الى مكة وقبل أن يصل الباشا حسين باشا صاحب الامر اليه وأمر في حضرة الباشا صاحب السعادة أن لا أدخل البلد بهذا العسكر ثم جاء كتاب من الشيخ محمد بن سليمان لمولانا الشريف من المدينة يخبره بوصول حسين باشا وانه من الحرمين لكونه ناظرا عليها بوكالة عن الوزير الاعظم فلما قرأ الشريف كتابه أمر القاضي امام الدين بن الشيخ أحمد المرشدي ان يأتي المشار اليه وأرسل معه كاتب الجراية محمد حلبي وفي اليوم الثالث من ذي الحجة بعث مولانا الشريف لمحمد جاويش ان يرتفع عن طريق العرضة يوم خروج الشريف لقاء الامير ولبس الخلعة وامتنع من ذلك فعند ذلك أمر مولانا الشريف المراد من هذا النزل وفي اليوم الخامس من ذي الحجة ورد الامير المصري والشامي ودعى مولانا الشريف لملاقاتهم بأنه أرسل اليه يسأله عن سبب ان تأمروا حسين مولانا الشريف امتناع محمد جاويش عن الترفع من طريقه وبعث اليه ان ارحل وانزل العسكر البلد ولا تضيق بكم الطريق وترددت المراسيل الى قبيل الزوال فأرسل محمد جاويش بعض الصناجق ورد انه لا يحصل شيء من العسكر فخرج مولانا الشريف وأخوه ومن معهما أوطاقا من الحجون ونزلوا على الزاهر ولبس الخلعة ورجعا من الشبيكة وهو أول الاختلاف فانه لم يعهد من صاحب مكة ان يخرج لقاء الامير من الحجون فلما وصلا الى منزلهما أطلقا الصناجق وعاثوا ورجعوا الى العسكر كذا في تاريخ العصامي وفي تاريخ الرضي ان مولانا الشريف لما خرج من الحجون وقف منتظرا الارسال الخلعة اليه فأرسلوا اليه بالطلب الحضور فأبى وعاد الى مكة عازما على

الحرب

أشهر وقيل وكل منهما مات مسموما وكانت وفاة المنتصر بالفصد بمبضع مسموم كما قدمناه لخمس مضين من ربيع الآخر سنة ثمان
وأربعين ومائتين وكان عمره ستا وعشرين سنة ﴿ثم ولي بعده أبو العباس أحمد المستعين بالله بن المعتصم بالله عم المعتمد بالله أخو
المتوكل على الله﴾ واتفق معه الترك واختاروه وعدلوا عن أولاد المتوكل لانهم كانوا قتلوه فخافوا أن يلي الخلافة أحد من أولاده
فيأخذ بثأر أبيه فاختاروا من أولاد المعتصم المستعين بالله ومولده سنة احدى وعشرين ومائتين وأمه أم ولد تسمى مخارق وما كان
له من الخلافة الا الاسم وكانت المماليك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف التركي وبغا التركي حتى قيل في
ذلك خليفة في قفص * بين وصيف وبغا يقول ما قالا له * كما يقول الببغا (٨٩) فاستمر كذلك وهو يترصد لهما الى
ان ظفر بوصيف التركي فقتله وتنبه بغا التركي الذي كان سطا على المتوكل وقتل به فتنكرت له الاتراك فخرج عنهم من سامرا الى بغداد فأرسلوا اليه يعتذرون منه ويسألونه في العود الى سامرا وهو محل الاتراك فامتنع منهم وكان المستعين [illegible] على التواريخ متصلا فيما بعده وهو أول من أحدث الاكمام العراض فجعل عرض الكم ثلاثة أشبار وهو الآن من شعار سادتنا أشراف مكة بني حسن أيدهم الله تعالى ولما أبى المستعين عن العود الى الاتراك في سامرا قصد الاتراك خلعه فأتوا الى الحبس واستخرجوا منه محمدا أبا عبد الله بن المتوكل على الله ولقبوه المعتز بالله وبايعوه وعمره تسعة عشر عاما ولم يل الخلافة أصغر سنا منه

الحرب والقتال فأرسلوا اليه الخامة بنهاية الاسراع وفي هذا اليوم أرسل مولانا الشريف قاصدا
الى البيضاء من جهة اليمن بأمر الامير فرحات صاحب حج اليمن بالعود من هناك وان لا يدخل مكة
فورد الحج من اليمن لما وصل الامير فرحات صنعاء وأخبر الامام القائم فيهم وهو المتوكل على الله اسماعيل
قال لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فقد صد صلى الله عليه وسلم عن البيت فتعجب غالب فقهاء
الزيدية وقصدوا الامام المذكور بالقصائد التي فيها ما يشق عليه من العتاب والتعريض
والتحريض على أخذ مكة ولما كان سادس ذي الحجة ورد الشيخ محمد بن سليمان مكة وصحبته
القاضي امام الدين بن الشيخ أحمد المرشدي والجمال محمد بن مصطفى كاتب الحرابة وحسين المبرى
فسألهم مولانا الشريف عما رآه وفهمه من حسين باشا فأخبروه انهم لاقوه ورأوا منه غاية
الكمال وسألوه عن العساكر المصرية فقال ما عندي علم بهم وانما أمرت بالخروج مع الحج الشامي
وحفظه من العرب ولما كان يوم السابع من ذي الحجة ورد حسين باشا مكة ونزل بالزاهر ودخل
الطواف ليلة ثمان بعد ان أرسل له مولانا الشريف هدية سنية منها فرس بحلية تساوي ألف
دينار وكذلك بعث اليه مولانا الشريف أحمد وخرج مولانا الشريف لملاقاته تلك الليلة بعد صلاة
المغرب بالمعلى واصطفا على ظهور خيولهما وتقابل الباشا المذكور ومولانا الشريف أحمد وأظهر
الفرح بلقائه وأبدى من الخضوع ما تقر به العين وهو مضمر ما أضمره لحسين وأمر مولانا
الشريف بالتقدم عنه وتأخر عنه في السير ولم يزل الى باب السلام فقال لمولانا اذا نزلنا الآن نشرب
عندكم قهوة اذا فرغنا فأذن له مولانا الشريف فقعود نحو الحرم وعزم مولانا الشريف الى دار
السعادة ثم طاف وسعى ودخل الحرم بعد السعي ثم دخل من الحرم الى دار الخواجا محمد الكركي
وكان نزل بها أثناء الكتاب حج في هذه السنة واستمر عنده الى نحو ثلث الليل ثم خرج من عنده وطلع
الى مولانا الشريف واستمر عنده يظهر اللطف والمؤانسة ويستدعي الحديث بأنواع المؤانسة الى
أن مضى نحو نصف الليل فخرج من عنده فأركبه مولانا الشريف فرسا أخرى من خيله ولما كان
يوم الثامن من ذي الحجة خرج مولانا الشريف وأخوه مولانا الشريف أحمد لملاقاته على جري
العادة للبس الخلعة الواردة مع الامير الا انه ترك عسكر اليمن وتأخر من الحجون وقال مولانا
الشريف لبعض جلسائه لما رجع لما نزلنا من الحجون نظرت بعين الفراسة واذا هو قد جمع عسكره
الى العسكر المصري وأظهر في طي ذلك غدري وأرقفهم موقف البراز وكل في يده جراز وخلفه
الملبس للدروع والكل منهم مدروع فعلمت انه أمر بسببنا ولم قدمنا في الحصون من ظهور
الخيل فلم نزل حتى خلصنا الى السعة وأخذنا نهيئ مرتفعة فأرسلنا له السيد الحسين بن حسن بن

(١٢ - تاريخ مكة) وخلعوا المستعين بالله في أول سنة اثنتين وخمسين ومائتين وجهزوا الى بغداد جيشا كبيرا لقتال
المستعين بالله وقاتلوه وقاتلهم ودام القتال أشهرا وكثر القتال وغلت الاسعار وعظم البلاء وتلاشى أمر المستعين بالله الى ان خلع
نفسه وأشهد القضاة والعدول على نفسه بذلك فأخذوه وانحدروا الى واسط وحبسوه بها تسعة أشهر ثم ندب له سعيد الحاجب
فقتله في الحبس في ثالث شوال سنة اثنتين وخمسين ومائتين وله احدى وثلاثون سنة رحمه الله واستمر المعتز بالله خليفة وكان بديع
الحسن مليح الصورة وليس في الخلفاء أجمل حسنا منه وكان مستضعفا مع الاتراك وكان صالح بن وصيف مستوليا على المعتز خائفا
منه فاجتمع الجند عليه وطلبوا منه أرزاقهم فركبوا معه على صالح بن وصيف وقالوا ليصف لهم المال ولم يكن في خزائنه مال

لم مرضه عليهم وطلب من أمه وكانت تركية اسمها قبيحة لفرط جمالها فأبت عليه وتعصبت بالمال وسمحت بولدها وهو خليفة وكان معها مال عظيم فاتفق الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن باغر وأتوا الى دار الخلافة وجروا المعتز وجروه من رجله فأوقفوه في الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه وأدخلوه الحمام ومنعوه من شرب الماء الى ان مات عطشا وأحضروا أبا عبد الله محمد بن الواثق بالله ولقبوه المهتدي بالله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد وبايعوه بالخلافة لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وله بضع وثلاثون سنة وصادر صالح بن وصيف أم المعتز وعذبها حتى أخذ منها ألف ألف دينار ذهبا ونصف اردب لؤلؤ ومثله زمرد وثلث اردب ياقوت   (٩٠)   أحمر ثم أخرجت الى مكة وأقامت بها الى ان ماتت وأهل الناس اتترحم عليها حيث طاوعت بهذا المال وشحت به على ولدها وكان المهتدي كثير العبادة ليس له من الامر شئ وكان قد اطرح الملاهي ومنع الظلمة عن الظلم فاتفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه فخرج اليهم وقاتلهم بنفسه الى ان مسكوه بالرؤوس وعصروا على بطنه الى ان مات رحمه الله تعالى في رجب سنة ست وخمسين ومائتين وكانت خلافته سنة الا خمسة عشر يوما

﴿وولي الخلافة بعده ابن عمه أبو جعفر أحمد﴾ وتلقب المعتمد على الله وسيأتي ترجمته قريبا ان شاء الله تعالى

﴿الباب الخامس في ذكر الزيادتين﴾

اللتين زيدتا في المسجد الحرام بعد تربيعه الذي أمر به المهدي بن المنصور العباسي ونشرع فيه باسم أدركناه الولاة قبل اقامة الامير لابنه الهادي بن المهدي المذكور كما سبق شرح ذلك فيما تقدم ووقع ترميم في الجانب الغربي من المسجد الحرام قبل الزيادتين في أيام المعتمد على الله العباسي ثم زيدت الزيادة الكبرى في الجانب الشمالي من المسجد الحرام في أيام المعتضد بالله ثم زيدت الزيادة الصغرى في الجانب الغربي من المسجد الحرام في أيام المقتدر بالله فلنذكر تراجم هؤلاء الخلفاء ولنذكر ما أحدثوه في المسجد الحرام من تجديد وزيادة وترميم على الترتيب ان شاء الله تعالى مع ما نذكره في ضمن ذلك من الفوائد الاستطرادية ترويحا للنفس وتتميما لحصول الفوائد والانس وتوقيفا على أحوال الدهر وتعريفا بما يحدث من الحوادث في كل عصر لئلا يعتمد العاقل على هذه الدنيا ويعتبر عن قبله في غدر هذه العجوز العميا وهذه الفوائد في الحقيقة هي نتائج علم الاخبار ليعتبر

عين وطلب امير الحاج بعد انتهاء عزمه مفارقة الاحياء فأرسل وأمر بالوصول اليه لشرب القهوة وقد أعدوا اسباطا على سورة فأرسلت أقول ما جرت به عادة وشرب القهوة من غير هذه العادة فأرسل يقول ان في هذا تعظيم شأن السلطان ولكم الامان وان لم يكن منكم وصول الينا فلا خلع لكم لدينا فمشى ثلاثة بيت منا هربي رابعا وفي القتال طامعا فنادى مناديه الامان الامان فلما علم الاشراف من وطاقه والتيات اشتاقه أرسل بالخلع تشوره فعلمت ان الامير شوره فلبست الخلع أنا وأحمد وبعثت أشكر أنا وأحمد ثم ركب مولانا الشريف ماشيا بالقوم وهو يتحرس من ذلك الغاش وبات عني ثم صعد الى عرفات راكبا وترك منزله بعرفات الى أن نفر الناس الى المزدلفة مع المحمل فعند ذلك ركب مولانا الشريف الى الموقف الاعظم ثم الى المزدلفة ثم الى منى ولما كان ثاني يوم النحر الذي فيه ترد الخلع السلطانية والمرسوم المتضمن بشاء الشرافة والرسم اليا على الحاج والرعايا أمر أمين الصرة في وصوله الى مولانا الشريف عن الوقت المعهود فأرسل مولانا الشريف بذلك توجده عند بابنا الى بعثوا بالقوة الى عند الابس فأرسل يعرفهم ان اتقوا واعلموا بأنا سنأتيكم اليه واعلموا حتى تلا القضاء

●(ارتحال الشريف سعد وأخيه أحمد ووصوله الى الديار الرومية سنة ١٠٨٣)●

ولما علم انه لا بد من القتال أو الارتحال رأى ان القتال في هذا الشهر الشريف مما يضر بأهل الحرم الشريف فاختار الارتحال فارتحل هو وأخوه الشريف أحمد ليلة الثاني عشر من ذي الحجة سنة اثنين وثمانين وألف فما أصبح الصباح الا وقد ذهب وراح ثم توجه الى الطائف ثم الى بيشة وأقام بها ثم سار عنها الى جهات عديدة ثم توجه الى الديار الرومية وأقام بها وقابل الدولة العلية ثم عاد الى ولاية مكة سنة ألف ومائة وثلاث كما سيأتي بيانه وحاصل الامر انه تولى شرافة مكة أربع مرات سيأتي ان شاء الله تعالى بيانها في محالها وهذه المرة الاولى وكانت مدة ولايته في هذه المرة ست سنوات الا أحد عشر يوما وقيل الا أحدا وعشرين يوما فلما أصبح الناس يوم الثاني عشر من ذي الحجة شاع بين الناس ارتحال مولانا الشريف سعد وأخيه فاجتمع حسين باشا وأمين الصرة وكاتب الديوان ومحمد جاوش في منزل الشيخ محمد بن سليمان علي واستدعوا جماعة من الاشراف منهم السيد أحمد بن محمد الحارث والسيد بشير بن سليمان

●(ولاية الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم على مكة سنة ١٠٨٣)●

واستدعوا الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبي نمي وأظهروا ان معهم أمرا سلطانيا بتوليته فأشاروا اليه بشرافة مكة وأنه يتسلم الولاية وكان بعض من حضر من الاشراف وسلمهم

المعتبر مآل نفسه بمآل غيره في هذه الدار فإن من قواعد الحكمة أن أفعال الفاعل تشابهه الآثار والله تعالى هو الفاعل المختار وإن دار الآخرة هي دار القرار وقد وجدت هذا القول ذا سعة فإن وجدت ناقلا فقل لما قال مقالة العبيد الا ان الخليفة المهتدي بالله صبر الى ان مات في الحبس وأخرج وأقاموا ابن عمه جعفرا ﴿أحمد بن المتوكل على الله بن المعتصم بالله ابن الرشيد العباسي﴾ ولقبه المعتمد على الله بايعوه على الخلافة في رجب سنة ست وخمسين ومائتين ومولده سنة تسع وعشرين ومائتين وأمه أم ولد رومية اسمها فتيان وكان له اسم الخلافة مع انهماكه على اللهو واللذات فعهد الى أخيه طلحة بن المتوكل على الله ولقبه الموفق بالله وجعله ولي عهده وولاه المشرق والحجاز واليمن وفارس وطبرستان وسجستان والسند (٩١) وكان له ولد صغير اسمه جعفر لقبه المفوض الى الله وولاه المغرب والشام والجزيرة وعقد لهما اللواءين أبيض وأسود وعقد لهما البيعة وشرط على أخيه الموفق انه ان حدث به الموت وولده جعفر لم يبلغ كان الموفق ولي عهده وان كان حدث به وولده كبيرا كان ولده ولي عهده وكتب بذلك معاهدة كتب كل منهما خطه عليها وكتب عليها القضاة والعدول شهودهم وأرسلها الى مكة فعلقت فيها وما أفادهم هذا التدبير بعد من القدر وما وقع الا ما قدره الله تعالى وكان الموفق بالله مدبرا شجاعا عالما بالامور المملكة مدبرا ملتفتا لاحوال الرعية وكان أخوه المعتمد متكلا على لهوه ولذاته مهملا لاحوال الرعية غير ملتفت للامور المملكة فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة الموفق بالله وظهرت منه نجابات كثيرة وكان مجربا للحروب مظفرا في الحروب وكان ظهر في أيام المعتمد على الله صاحب الزنج وتغلبوا على المسلمين وكان لهم رئيس اسمه بهبول يدعي انه أرسله الله الى الخلق وادعى علم المغيبات وقتل من المسلمين حينئذ كثيرا حتى قيل انه قتل ألف ألف وخمسمائة ألف مسلم وكان يسبي نساء المسلمين ويبيعهن بأبخس الاثمان وكان ينادي على العلوية والشريفة بدرهمين وكان عند هذا الخائن نساء شريفات يطؤهن ويمتهن في الخدمة الشاقة وكان ذلك من أعظم المصائب في الاسلام وغلب هذا الكافر على بلاد كثيرة أخذها من المسلمين واستأصل أهلها وجعلها دارا لمملكته كواسط ورامهرمز وما والاها فانتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع والعساكر من مملكته ووقائع الحروب وجمعته قوارع الخطوب فأخذهم جذاذا وبددا ورضي بهم ساعدا وعضدا وتعصب لموفد

كتب من الوزير الاعظم ومن صاحب مصر بالوصية والمعاونة وكل ذلك كان برأي الشيخ محمد بن سليمان وتدبيره وانه الذي سيرهم على هذا المنهج المذكور ورتب تلك المقدمات لانتاج هذا الفعل المقدور

﴿صورة كتاب الوزير للسيد محمود بن عبد الله بن حسن﴾

ومن جملة من له كتب مع السادة الاشراف من الوزير الاعظم السيد محمود بن عبد الله بن حسن المتقدم ذكره ولم يحضر معهم بل لما تولى الشريف بركات خرج من مكة ثم رجع كما سيأتي ولفظ كتابه مورد وابنه هاشم وشيخ المحامد والمكارم السيد محمود نظم الله عقوده وأبان سعوده وبعد فلا يخفاكم ان الكعبة البيت الحرام ومطاف طوائف الاسلام وهو أول بيت وضع للناس وأسس على التقوى منه الاساس وانه لم يزل في هذه الدولة العثمانية آمنا الاهنه من النوائب ورضا مخصصا بأحسن الاطايب الى أن ظهر من السيد سعد من الامر الشنيع ما تشيب عنده الطفل الرضيع وما كفاه ذلك حتى شد الخناق على أهل المدينة البهية وأذاقهم كأس المنون ريبه فلما بلغ هذا الحال المسامع الكريمة السلطانية أمر بعزل السيد سعد عن شرافة مكة وتفويضها الى الشريف بركات فعمل فيها بأحسن التصرفات وتكونوا له عونا وظهيرا وناصحا ونصيرا وكل ما يتفرع من غصنه من دوحة فاطمة الزهراء أو تتصل نسبته بمكة المكرمة الغراء تهدونه الى طريق الصلاح وترشدونه الى معالم النجاح والفلاح وأتم على ما تعهدونه من التكريم والتبجيل والله على ما نقول وكيل وأما بقية الكتاب فكلها بهذا المضمون الا ان العبارة فيها فلا حاجة الى التطويل بنقلها وفي الشرح الروي للسيد الشلي في ترجمة السيد عبد الله الحداد ان الشريف بركات قبل ان يتولى الامارة بأيام أتاه وهو في الحرم يعني السيد الحداد وسأله الدعاء بتيسير المطلوب فدعا له بذلك

﴿ترجمة الشيخ محمد بن أحمد الزرعة واستشهاده من القرآن وما وقع له بعد موته سنة ١٠٨٦﴾

فلما ذهب سأل الشيخ رجل من أشراف مكة عما طلب فقال انه طلب ان يكون مالكا ثم ان مولانا الشريف بركات نزل من منى الى مكة في موكب عظيم وجاءه الناس يهنؤنه بالملك من السادة الاشراف والاعيان والعربان وامتدحه الشعراء بقصائد ومن جاءه يهنئه الشيخ محمد بن أحمد الزرعة فقرأ عند لقائه أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا وكان الشريف بركات من آل ابراهيم بن بركات بن أبي نمي فعجب الحاضرون وكذا الشريف بركات من هذا الاستشهاد

الاسلام وأحد السيوف والرماح والسهام وركض بجحفله الى الاعداء الكفرة اللئام الى أن التقت الفئتان على حومة الحرب وتساقيا كؤوس الطعن والضرب فقلبت السودان من لمعان الصارم الابيض وولوا الادبار للفرار كما يفر الليل الاسود من النهار المبيض وانهزموا ما بين مقتول ومأسور ومجروح ومكسور غير مجبور الى أن قتل كبيرهم بهبول وجموع عسكره المخذول ونصر الله تعالى ملة الاسلام وتجلت ورقة الظلام واستردت المدن التى أخذها بالكثر والعناد كواسط ورامهرمز وغيرهما من البلاد واطمأنت المسلمون وكافة العباد (ولقبوه الناصر لدين الله) وسار له حتى تلقيان ودخل الى بغداد فى عظمة وعلو شان ورأس ذلك (٩٢) الكافر على رمح ورؤس كبار عسكره على الرماح ودعا له المسلمون وقصده الشعراء بالقصائد واحبه الناس وبعد صيته وكثر فى بابه المداح واستفحل أمره ولاحت له السعادة والفلاح واستمر أخوه المعتمد على حاله منهمكا فى لهوه ولذاته وشرب الراح وله اسم الخلافة وجميع الامور بيد أخيه الموفق يصدر منشرح ويسدد غاية السداد وفى أيامه سنة احدى وسبعين ومائتين وقع وهن فى بعض جدران المسجد الحرام من الجانب الغربى قبل زيادة باب ابراهيم وكان فى نفس الجدار الغربى من المسجد الشريف باب كان يقال له باب الخياطين وكان بقربه دار تسمى دار زبيدة بنت أبى جعفر المنصور فسقطت تلك الدار على سطح المسجد الحرام فانكسرت أخشابه وانهدمت اسطوانتان من أساطين المسجد الشريف ومات تحت ذلك عشرة أنفس من خيار الناس وكان عامله بمكة يومئذ هرون بن محمد بن اسحق وقاضيها يوسف بن يعقوب القاضى • فلما علما رفع أمر هذا الهدم الى بغداد أمر أبو أحمد الموفق بالله عامله على مكة هرون المذكور بعمارة ما تهدم من المسجد الشريف وجهز له مالا فبسبب ذلك فشرع فى عمارته وجدد له سقفا من خشب الساج ونقشه بالالوان المزخرفة وأقام الاسطوانتين الساقطتين من المعقود هما وركب السقف ونصب فى أيام عمارته سرادقا بين العمال والبنائين وبين الناس يسترهم عن أعين من بالمسجد الى أن تم كل ذلك فى سنة اثنتين وسبعين ومائتين وركب من الحجر لوحين فى جدار المسجد الشريف فى ذلك الجانب نقش على أحدهما بالنقش فى لوح الحجر ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم أمر أبو أحمد الموفق بالله الناصر لدين الله ولى عهد المسلمين أطال الله بقاءه

لكن جوزى الشيخ محمد الزرعة بعد ذلك منه كما جوزى سنمار وذلك ان الشيخ محمد الزرعة توفى سنة ست وثمانين وألف وله ولد رجل فى غاية البلادة وخلف سبعة عشر ألف دينار وأوصى منها الابن ابن له بأربعة آلاف فقال الشيخ محمد بن سليمان ان هذا الرجل لم يزك ماله وقد استغرقت الزكاة ماله وصار لبيت المال وأمر ولد الشيخ محمد الزرعة وهو الشيخ تاج الدين ان ينزل عند القاضى ويقر بأنه ليس له أهلية التصرف فى هذا المال وأقام على نفسه الحوالة محمد مكرما الصغير وكيلا مفوضا فى حفظ ماله والتصرف فيه وأخذوا المال بالكره ورتب له القاضى معلوما مقررا يأخذه من الوكيل وأرخ بعضهم ولاية الشريف بركات بقوله بارك الله لنا فى بركات الا أن فيه زيادة واحد ولما كان يوم الخامس عشر من ذى الحجة نزل مولانا الشريف بركات الى المعابدة واجتمع كبراء العسكر وقرئ مرسوم يتضمن عزل الشريف سعد بن زيد وتولية الشريف بركات وألبس مولانا الشريف قفطانا ودعا له على زمزم ودعا لمولانا السلطان ولما كان يوم التاسع والعشرين من ذى الحجة اجتمع مولانا الشريف وكبراء العسكر وحسين باشا فى منزل الشيخ محمد بن سليمان فأظهر أمرا سلطانيا يتضمن نظره فى الحرمين واصلاح مهماتهما والتصرف فى أحوالهما فأذعن له مولانا الشريف بركات ومكنه من زمام وفق التصرف فتشمر لتلك الامور والعسف وبث جيوش التكبر فنفرت عنه القلوب وشرع فى اظهار المطلوب وكان مولانا الشريف بركات يحسم مدد رسمه فى كثير من الاوقات وكذا شيخ الحرم صاحب جدة وفى رابع محرم الحرام من سنة ثلاث وثمانين وألف أخرج الشيخ محمد بن سليمان أمرا يتضمن اخراج من كان فى الخلاوى الموقوفة ممن له بيت وعيال فرجع فى ذلك فلم يقبل وأظهر والدفاترى ما أجدى ذلك نفعا وأخذ مدرسة الشرابية من يد الشيخ أحمد الحكيم وكان بيده أوامر لا تاباه تقضى له بالسكنى فما أجدى ذلك وأعطاها لبعض المجاورين وأخرج الشيخ ابراهيم بيرى زاده من وقف الدورى الكائن أعلى المدعى من جهة سوق الليل وقال انه من حق السلطان جقمق وانه كان موضع تشبيه للفقراء وأخذ ما بأيدى الناس من حب السلطان جقمق الوارد الى مكة وحب السلطان سليمان الواصل من مصر لاهل مكة وكذلك حب السلطان قايتباى ومال الدشيشة وعمر بتلك التكية فى محل وقف الدورى المذكور وطبخ فيها شربة للفقراء يا لحب المذكور وقال السنجارى وما أحسن قول المهتار الشاعر المكى ومن لم يدرك هذا الوقت المكى

وطائف الناس قد صارت مفرقة • ما بين عبد ومعتوق وآفاق

وأهل مكة قد صارت نفوسهم • فا ترى كوكب يبدو بآفاق

وعمر الشيخ محمد بن سليمان عدة أروقة بمكة كانت خربت قد استولت عليها الايدى ونصب الشيخ

بعمارة المسجد الحرام رجاء ثواب الله تعالى والزلفى اليه وتم ذلك على يد عامله على مكة ونواحيها هرون بن محمد بن اسحق بن موسى في سنة اثنتين وسبعين ومائتين وعلى اللوح الثاني نقش كتابة صورتها بسم الله الرحمن الرحيم أمر الناصر لدين الله ولي عهد المسلمين أبو أحمد الموفق بالله أخو أمير المؤمنين أطال الله بقاءهما القاضي يوسف بن يعقوب بعمارة المسجد الحرام لما في ذلك من رجاء ثواب الله تعالى أجزل الله ثوابه وأجره وتم ذلك على يد محمد بن العلاء بن عبد الجبار في سنة اثنتين وسبعين ومائتين والحجران المذكوران لاوجود لهما الآن بل شاهها الدهر والازمان وعفا أثرهما القديم الجديدان كما عفا أثر غيرهما من العمائر والبنيان ودار عليهما الدوران ولا يبقى الاثر أيضا بعد زمان (٩٣) الدهر فجميع ما على الارض داثر ٭

فما البكاء على الاشباح والصور وقد نقلت صورة تلك الكتابات من تاريخ مكة للامام أبي عبد الله محمد بن اسحق الفاكهي رحمه الله تعالى ٭ وكان الموفق بالله ولد محبب هو أحمد أبو العباس جعله الموفق ولي عهده واستعان به في حروبه وأمور الله ولو ربه غاية وقوة فقبض الموفق عليه وعلى أخيه الله الله أي من شجاعته وسياسته فأودعه علي الناس ووكل به من يثق به في أمره واستمر محبوسا الى الزمان الذي قدره الله تعالى له ٭ ثم وقعت الوحشة بين المعتمد على الله وأخيه الموفق بالله المذكور وربما تمضت قلوبهما وتشاحنت الصدور وكانت الرآسة الدنيوية لا تقبل الاشتراك والغيرة على الملك والسلطنة أسرع شيء يوغر صدور الملوك والانفراد والاستقلال مما اتفق عليه أبناء الدنيا من أصحاب الاملاك وما هي الا جيفة مستحيلة ٭ عليها كلاب همهن اجتذابها فان تجتنبها كنت سلما لاهلها ٭ وان تجتذبها نازعتك كلابها ولما كان المعتمد على الله مع كونه عاجزا عن أخيه الموفق كان يحسده ويريد قمعه لاستيلائه على المملكة ورضا الناس عنه واشتغاله بالنفس عن أحوال الرعية عن الملاهي والملاذ فاستعان المعتمد على الله في هضم جانب أخيه بصاحب مصر يومئذ أحمد بن طولون وكان ملكا شجاعا فاتكا صاحب جيوش وجنود كثيرة الاموال والخزائن مستقلا بمملكة مصر يأخذ خراجها وكانت يومئذ عامرة آهلة كثيرة الخير لرفقه برعيته وتقويته لهم وعدم ظلمه وجوره عليهم فكان يحصل منها أموال كثيرة جدا بسبب عمارتها وكانت كالروض البهيج

علما العصامي مدرسا انعيا في مدرسة قايتباي ونصب الشيخ محمد المغربي القدسي مدرسا بمالكية في المدرسة المذكورة ومدرسها الحنفي قاضي الشرع ونصب مدرسا الاعدوين الشيخ عبد الله العباسي عوضا عن المدرس الحنبلي وصرف على المذكورين من عسكر مما يحصل من وقف قايتباي وأموال الحرمين ومن الاوقاف الباقية والحاصل انه تصرف تصرفات كثيرة يطول الكلام بذكرها وفي سابع محرم من سنة ثلاث وثمانين ورد مكة السيد حمود بن عبد الله بن حسن بعد ان كان بيد مولانا الشريف فراجع وقيد الشيخ محمد بن سليمان رحسين باشا الايام انقضت من شروحه وعدم حضوره ولاية الشريف بركات واعلمهم الشريف بركات ان الصلاح في اصلاحه وكتب له حجة شرعية تتضمن الامان والاذن من جهة السلطنة في دخوله مكة وكان دخوله في اليوم المذكور وأراد الشريف بركات ومن معه من العسكر أن يتوجهوا الى الطائف فلما بلغ الشريف سعد وأخيه خلافهم الخبر خرجه من الطائف وكان خروج الشريف سعد من الطائف يوم الثامن عشر من المحرم وتوجه الى عبادة ثم الى بسوق الخامس والعشرين من المحرم توجه السيد حمود الى الطائف بالعساكر المصرية وفي السادس والعشرين توجه الشريف بركات بالعساكر المصرية وتأخر عنه محمد باشا أياما ثم لحق به ومن معه من العسكر ثم توجهوا الى المبعوث وفي ثالث صفر أمر الشيخ محمد بن سليمان ان تهدم الدوارة المكروهة في أيام المكرس ... الناس ما فيها من الكلايات فهدمت وفي كان ليلة المولد الشريف أمر بترك الدفوف ومنع من ذلك أهل الزوايا وفي حدود الاربع رجع الشريف بركات والى وفي أيامه عمرت المحكمة المعروفة الآن بمكة بين المرابط والمدعى وصرف عليها أموالا كثيرة وعم نفعها وفي اليوم الثاني عشر من ربيع ورد الخبر من مصر بقتل محمد طاغر الطاغية المذكور واستمر مولانا الشريف بالمبعوث الى شهر ربيع الاول فأتاه الخبر بأن مولانا الشريف سعدا توجه الى بيشة فنزل مولانا الشريف الى الطائف واستمر هناك وأما الشريف أحمد بن زيد فانه فارق أخاه الشريف سعدا من بيشة وتوجه الى الدورة بني حسين لمصاهرته اياهم واستمر مقيما عندهم الى ان ورد الحج الى المدينة وتوجه الى المدينة بعد دخول الحج المدينة واجتمع بأمير الحج الشامي ثم ارتحل من المدينة ثاني ذي الحجة ونزل ديار حرب على أحمد بن رحمة واستمر الى ان رجع الحج الشامي فلم يتفق له معه مسير فتوجه في أول سنة أربع وثمانين وانضم الى الفرع ... أمره ثم لما خرج مولانا الشريف بركات لقتال حرب رجع اليهم الشريف أحمد وحضر القتال ثم لما كسرت حرب رجع الى الفرع ثم وصل اليه أخوه الشريف سعد وابنا أخيه وهما السيد حسن بن زيد فتوفي باليمن سنة أربع وثمانين وألف وكان خروج مولانا الشريف بركات لقتال حرب في أواسط سنة أربع وثمانين وألف

في زمنهم او نظائرهم او ما كانت خرابا يبابا أكثرها مأوى البوم والصدا او لا تفرز ربعها من جور ولا تشاهد دائم عمرها الله تعالى بعدالة
سلطاننا الاعظم وخليفة عصرنا الاكرم الافخم الذي عمر بعدالته البلاد سلطان السلاطين (السلطان مراد) ألهمه الله تعالى
العدل والتوفيق بالعباد وحقق بسيفه الصارم أهل الظلم والفساد وأطال عمره ودولته حتى تلحق الاحفاد بالاجداد فكاتب
المعتمد على الله أحمد بن طولون وأمره أن يقاتل أخاه الموفق لينفذ أمره عليه فبلغ ذلك الموفق وجرت بينهما من ذلك شؤون
واشتغل الموفق بذلك عن أخيه وصار يوالبه تارة ويداريه ويباعده تارة ويدانيه ومضى على ذلك أيام وانقضى عليه أعوام
الى أن مالت قوى حياة الموفق كل الميل ولزم الموت (٩٤) الفراش بعد مقاومته سوابق الخيل ودخل جسده ووهنت
قواه ولا سيما بمصابه ولا قواه
وغلبه بدنه من علته فلما
من بعد سلام الشفاء في ابنه
الاسد
فلما اشتد حاله وتحقق
... انما أجله بادروا
الى الحبس وكسروه
وأخرجوا ابنه ولد المعتضد
وأوردوه ... وجاؤا
به الى والده الموفق فلما
رآه أيقن بالموت وتحقق
وقال له يا ولدي لهذا اليوم
خبأتك وفوض اليه وأوصاه
بعمه المعتضد خيرا وكان
ذلك قبل موت الموفق
بثلاثة أيام ثم غلب الموت
على الموفق فرحل طبقا عن
طبق الى أطباق الثرى
بالعنق ومضى عن الدار
الفانية الى الدار الباقية
والتحق وكانت وفاته رحمه
الله في سنة ثمان وسبعين
ومائتين وشمت في موته
أخوه المعتمد وظن انه
استراح من الموفق وما
علم انه عن قليل يأخذه
ملحق وحسب انه صفا له دهره وما علم ان الصفا يعقبه الكدر وان الدهر ما صفا لاحد من البشر السيد
وان صروف الدهر تأتي بالعجر والبجر وانها لا تبقي ولا تذر فما طال عليه المطول حتى استلب ذلك الطول والحول ولم يكن له بعد
خذلان الناصر من قوة ولا ناصر ولا طال عمره القصير ولا استطال حوله القاصر ولم يبق للمعتمد محال ولا اعتماد على الدهر
الخؤون الغادر وانتقل من سرير الملك الى ظهر الهلاك ومضى كأن لم يكن شيئا مذكورا وكان أمر الله قدرا مقدورا وكانت
وفاته ليلة الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى (وولي الخلافة بعده في تاريخه ابن
أخيه أبو العباس أحمد المعتضد بالله بن طلحة الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسي) مولده سنة ثلاث وأربعين

خرج هو وجميع السادة الاشراف بالعساكر المصرية والعربان وكان شيخهم أحمد بن رحمة فقصروا
فبادر في ذلك رسول مولانا الشريف اليهم وناهبوا المقاتلة فأقبل عليهم بجيوشه ونزل بدرا وأقام
بها مدة محاصرا لهم وهم متحصنون في جبالهم وسوره عليهم ... بعض قبائلهم بالانهم عن
الآخرين مع انه في كل عشرة أيام أو أقل يرميهم بالحركة اليهم والركوب عليهم ثم يحل عزمه عن
القتال فمل ذلك بعض من ارتاعه بدمع طول الاقامة فتفرق أكثرهم بهذه المصابرة مع أشياء أخر حتى
صاروا لا يهمون بحركته ولو عزمت في اثناء ذلك ثم ... عليه وثوب الاسد فتكسرهم واستأصلهم
وأقام في قتالهم خمسة أيام وجيوشه تحمل آدابا وسرب الى بدر وقطع نخيلهم وامتثلت القتلى
فهي متراكمة على بعضها في كل جبل ووادٍ من تلك الجبال والاودية مع سبي النساء والاطفال حتى
أبادهم وبهت ... تلك الاقطار وأجرى فيها أحكامه وبقي ... الى مكة بعد ثلاثة أيام وكانت هذه
الواقعة من أعظم الفتوحات لهذا الملك المعظم وكان ذا أنجم ... الاشراف المذكورين تمم واقعة
حتى أنه اتفق ان السيد حمود بن عبد الله والسيد أحمد بن غالب بن محمد بن مساعد بن مسعود بن حسن
ابن أبي نمي الآتي ذكر ولايته شرافة مكة وقع بينهما واقعة قبل ولاية الشريف أحمد بن غالب
شرافة مكة فكان الظلم موقف الحرب وآن وقت الطعن والضرب أقبل عليهما ... الملك العظيم
وأقسم عليهما الا ما اصطلحا في هذا الموقف فاعتنقا وتصالحا وأولاهما الانعام والنوال

(وفاة السيد حمود بن عبد الله بن حسن سنة ١٠٨٥ وكذلك وفاة
السيد أحمد بن محمد الحارث في السنة المذكورة)

وكانت وفاة السيد حمود المذكور في سنة خمس وثمانين وألف بالطائف ودفن خلف قبة الحبر رضي
الله عنه وحمل على قبره تابوت وعليه كسوة وفي السنة المذكورة توفي أيضا السيد أحمد بن محمد
الحارث المتقدم ذكره ... بالمدينة المنورة وكانت وفاته بمكة المشرفة ودفن في
قبة السيد مسعود بن حسن ووضع عليه تابوت وأما السيد أحمد بن غالب فسيأتي ذكر وفاته عند ذكر
ولايته شرافة مكة وفي سنة خمس وثمانين أيضا في سابع رجب كان خروج مولانا الشريف بركات الى
الفرع وأخذ ثاره من أهله ... وخروجهم عن طاعته وقيل لانهم ... الشريف أحمد بن زيد لما
الفرع واستمال أهله ... مولانا الشريف بركات ومعه السادة الاشراف ولم يتخلف الا من
وضع عذر وكان مسيره في التاريخ المذكور وخرج معه صاحب جدة ...
فلاقاهم ... عسفان وساروا ... وأدركهم شهر الصيام قبل وصولهم الفرع في منزل يسمى ...
وأتم بها صيامه وعيد ثم توجه اليه ووصله ونزل بقرية منه تسمى أم العيال وأمر السيد ناصر بن

ومائتين وبويع له بالخلافة بعد عمه المعتمد في تاريخ وفاته المذكور آنفا وامه ام ولد اسمها صواب وكان ملكا مهيبا ظاهر الجبروت
وافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده شديد السياسة اذا غضب على أحد ألقاه في حفيرة وطم عليه التراب وكان أسقط
المكوس في أيامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بني العباس بعد ما وهى ووهن وأظهر عزة الملك بعد ما ذال وامتهن وكان
يسمى السفاح الثاني حيث جدد لكل منهما ملك بني العباس وفي ذلك يقول ابن الرومي

هنيئا بني العباس ان امامكم ∗ امام الهدى والجود والباس أحمد
كما بأبي العباس أنشئ ملككم ∗ كذا بأبي العباس أيضا يجدد
امام يظل الامس يشكو فراقه ∗ تأسف ملهوف ويشتاقه غد

وفي ذلك يقول عبد الله بن المعتز أيضا

أما ترى ملك بني هاشم ∗ عاد عزيزا بعد ما ذللا
يا طالبا للملك كن مثله ∗ تستوجب الملك والا فلا

وكان مع سطوته وبأسه يتوخى العدالة ويمرر أمورا في صورة الجبروت والعسف وهو في الباطن محق فيما فعله وهذا هو الرأي السديد فلما كمل الرشيد جمعه بين سياسة الدين والملك رحمه الله تعالى به وقد نقله [illegible] الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في تاريخ الخلفاء عن عبد الله بن حمدون قال خرج المعتضد للصيد وأمامه عسكره فاجتاز بمقثاة فخرج صاحبها واستغاث بالمعتضد فأحضره وسأله عن سبب صياحه فقال ثلاثة من غلمانك نزلوا المقثاة فأخربوها فأمر بعد ذلك باحضارهم فضرب أعناقهم ثم مضى وهو يحادثني فقال اصدقني
يا عبد الله ما الذي تنكره الناس علي من أحوالي فقلت له سفك الدماء كثيرا فقال ما سفكت دما حراما قط فقلت له بأي ذنب قتلت أحمد
ابن الطيب فقال انه دعاني الى الالحاد وظهر لي الحاده فقتلته لنصرة الدين قلت والثلاثة الذين نزلوا المقثاة الآن بم استحللت دماءهم
ولأي شيء قتلتهم فقال والله ما قتلتهم وانما أحضرت ثلاثة من قطاع الطريق وأوهمت الناس انهم هم الذين نزلوا المقثاة فأمرت
بضرب أعناقهم ثم أمر صاحب الشرطة باحضار الثلاثة الذين نزلوا المقثاة فأحضرهم بأنفسهم وشاهدتهم ثم أمر باعادتهم الى
الحبس وهكذا ينبغي لتدبير السياسة واظهار الصفة وتخويف الجند وارهابهم ∗ ومن عدله انه كتب الى الآفاق بابطال ديوان
المواريث والامر بتوريث ذوي الارحام وكانوا لا يعطونهم الميراث وكانوا يستولون على مخلفات الناس بالظلم ولا يتصل [illegible]

السيد أحمد الحارث النزول بقرية أخرى تسمى باب ضباع ثم استمر مقيما بتلك القرية الى ان ذهب
جميع أمواله ومن ارتحل من عاد الى طاعته واستبان من غير قتال ثم لما مشى من عنده قبض
على خمسة وعشرين شخصا من كبارهم وأتى بهم الى مكة في الحديد الى ان ماتوا بأجمعهم واحدا بعد
واحد ولما قصد مولانا الشريف بركات الفرع انتقل منه الشريف سعد بن زيد والشريف أحمد
ابن زيد وتحولا الى وادي الصفراء من ديار حرب ثم قصدا المدينة ونزلا الغابة ثم توجها قاصدين الابواب
السلطانية قال في خلاصة الاثر وفي خامس شوال متوجهين الى الشام لا يعرف أحد من أحياء
العرب الا أكرموهم ومن أعجب الاتفاق نزولهم على مراح بني حسين من غير علم منهم بذلك
وكان الشريف سعد قتل آباءهم فلما علموا به حصل لهم كرب شديد ولم يشعروا الا وولده مواجهة لهم
بالعبودية والسلام وأهدروا دم والدهم وأكرموهم وذبحوا لهم الذبائح ومنحوا المنائح وهذا من غير شيمة
معهود من جدهم ولم يزالوا على مثل ذلك مع كل من مروا عليه من العرب الى ان وصلوا الشام
فتلقاهم أمراؤها وأمراء أركانها وقدموا لهم وحملوا وكان عظيم ثم دخلوا ادرنة في ربيع الاول سنة
[illegible] ودخلا اسلامبول في ربيع الثاني من السنة المذكورة فأنعم مولانا السلطان محمد بن
ابراهيم على الشريف سعد بالتولية بالمدرة في حادي عشر جمادى الاولى من السنة المذكورة
وأقام الشريف أحمد باسلامبول الى سنة ثلاث وتسعين وأنشأ في قصيدة تسمى كابية وكان قبل
ذلك أرسل مولانا السلطان الى أخيه الشريف سعد فورد عليه من المدرة فأعطى بلاد [illegible]
[illegible] واستمر بها الى سنة أربع وتسعين وألف ثم في أثناء ذلك عاد الى
اسلامبول ثم صارت ولاية الشريف أحمد شرافة مكة وسيأتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى وفي أواخر
شهر الحجة من سنة خمس وثمانين وألف ورد كتاب من السيد محمد بن زيد لمولانا الشريف بركات
يطلب الاذن في دخول مكة فامتنع الشريف بركات من الاذن له فتوجه الى اليمن ثم توفي سنة تسعين
باليمن [illegible] السادة الاشراف [illegible] عدم [illegible] ورد نعيه مكة [illegible]
وكانت ولادته سنة ألف وتسع وأربعين وفي سنة خمس وثمانين خرج جماعة من السادة الاشراف
مغاضبين لمولانا الشريف بركات يدعون عليه انه [illegible] الانعامات السلطانية
فنزلوا وادي مر الظهران فبعث اليهم السيد بشير بن سليمان [illegible] بركات [illegible] حتى
رجعوا [illegible] الانعام الواصل اليهم بالسوية وذلك [illegible] وأربعة آلاف دينار [illegible]
وفي سنة خمس وثمانين أيضا ورد مرسوم من السلطنة [illegible] مكة أربعة أقسام
الربع لمولانا الشريف وثلاثة الارباع للسادة الاشراف على السوية وفيها أيضا جعل مولانا

بجميع ما فيه من الارث بل يؤخذ كثير من حين حقه بأنواع العلالات وكان يحصل على الرعية ظلم كثير بسبب ذلك وبعض الظلم باق الى الآن أمر الله ازالته على يد سلطاننا وفقه الله تعالى لاحياء المكارم واسداء المحارم وأعانه على ابطال المظالم * ولما أمر المعتضد بابطال ديوان المواريث في سائر مملكته فرح الناس بذلك وأحبوه ودعوا له بدوام دولته وصار له بذلك صيت عظيم وأمر جميل عند الله الكريم ولعله هو الذي نفعه في يوم آخرته وأدخله الله جنات النعيم * وكان من قضاته القاضي أبو خازم الحنفي الملقب والزاهد وهو من أكابر العلماء أهل الدين والتقوى وكان من بعض قضاياه في الدين أن شخصا أنكر عليه مال كثير للناس وثبت ذلك عليه عند القاضي المذكور وأمر بتوزيع ماله على غرمائه بالمحاصة وقد أنكر على ذلك المديون مال للخليفة المعتضد أيضا فأرسل المعتضد الى القاضي أبو خازم يقول اشركني مع غرماء هذا المديون بالمحاصة فان لي أيضا مالا في ذمته فأعطني كأحد غرمائه فقال أبو خازم اني لا أحكم لمدع بدون بينة عادلة فأرسل وكيلا يدعيه آمرا له لتكون أسوة غرماء هذا المديون فاحكم لك بعد سماع الدعوى والبينة والتزكية مرارا جرا له أمر المعتضد شهودا ليشهدوا عند القاضي وكانوا من أكابر أمرائه فخشي أحد منهم الى القاضي خوفا من رد شهادتهم ولم يحكم القاضي للمعتضد أن يكون من غرماء ذلك المديون فأعجب المعتضد ديانة القاضي وثباته على الحق وتصميمه على ذلك وعدم ميله اليه وما أحوج زماننا هذا الى قاض مثل هذا القاضي في أطراف البلاد يقول الحق ويثبت ولا يميل الى خواطر العباد وكان المعتضد ينظم شعرا حسنا ومن نظمه حتى

يا حبيبا لم يكن يعدله عندي حبيب * أنت عن عيني بعيد ومن القلب قريب
ليس لي بعدك في شيء من اللهو نصيب * لك من قلبي على قلبي وان غبت رقيب
لو تراني كيف حالي * فرط عول ونحيب * وفؤادي حشوه من حرق القلب لهيب
لو تفتت بأني * فيك محزون كئيب

وقال المعتضد عفا الله عنه

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى * وخذ صفوها ما ان صفت ودع الرنقا
ولا تأمن الدهر اني أمنته * فلم يبق لي حالا ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم أدع * عدوا ولم أمهل على جنده خلقا
وأخليت دور الملك عن كل نازل * وفرقتهم غربا ومزقتهم شرقا

الشريف بركات الطواجا عثمان بن زين العابدين حيدر انور وزاله والتمسه فقط للاوصي معه العسكر الى ان توصلوه الى داره بسرعة وفي هذه السنة أيضا جاء الى آغا الوزير الاعظم وتوفي في أيام التشريق ونزل الى مكة مع جنازته مولانا الشريف بركات والشيخ محمد بن سليمان وكل امراء الدولة ودفنوه بالمعلى ثم رجعوا الى منى وفي شهر رمضان من سنة ست وثمانين جاء الخبر الى مكة بموت الوزير الاعظم أحمد باشا الكبرلي وهو مستند الشيخ محمد بن سليمان فانه كان له خبر أعظم من ذلك وأصابه عليه من التعب ما لا مزيد عليه ومن هذا اليوم ظهر الاختلال في أمر الشيخ ولما جاء الخبر بموت الوزير أمر الشيخ محمد بن سليمان الناس بقراءة الرباع بعد صلاة العصر في الحرم الشريف ونزل بنفسه مع مولانا الشريف بركات وحضره وجوه الناس وقرئت الرباع ثلاثة أيام وولي الوزارة بعده مصطفى باشا وفي سنة ست وثمانين أرسل مولانا الشريف بركات ابنه الشريف سعيدا الى الابواب العالية والتمس ان ينعموا على ابنه المذكور بامارة مكة بعده وان يكون ولي عهده فأجابته الدولة الى ذلك وقابلت ابنه المذكور بالاجلال والاكرام ورجع الى مكة رابع ذي الحجة ومعه خلعة ومرسوم بما التمس بتفويض الامارة بعد ابيه فقرئ ذلك المرسوم بالحطيم وألبس الخلعة المذكورة وجاء أمر من الوزير الاعظم المذكور مضمونه ان الشيخ محمد بن سليمان رفع يده عن معارضة أمور الحرمين فانقلب أمره وزال مخافة الناس وفي ثاني عشر من المحرم سنة سبع وثمانين وقيل سنة ثمان وثمانين ورد من مصر آغا وله من خبره ما نقل الى صاحب السعادة صاحب مصر ان مولانا الشريف بركات أخذ ربع الحب الوارد للفقراء مع ما جعل له أن يأخذ ربع الوارد عند ... رابع وأرسل معه بعض الفقهاء فسأل القاضي هل أخذ مولانا الشريف شيئا من الحب الوارد للفقراء بأخذ منه شيئا وأحضروا الرجال ... وكتب لمولانا الشريف وجمع هذا الأمر وجهه وأثبت ذلك ورجع بالجواب مولانا الشريف واضطرب أمر الشيخ محمد بن سليمان فقصد فتنة ... ومن العجب في هذا الخروج مطابقته لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم ثم نزل الشيخ من الطائف في شعبان وتوجه الى المدينة قيل ان ذلك كان بأمر من الوزير الاعظم وان الأمر كان أولا باخراجه من الحرمين ثم شفع فيه فأمر باخراجه الى المدينة فلما وصل المدينة اعتزل الناس لا يدخل عليه وفي ثاني شوال من سنة ثمان وثمانين وقت الضحى جاء الناس فاذا الكعبة الشريفة ملطخة بشيء يشبه العذرة من جميع جوانبها وتلوثت أستار الكعبة المعظمة وكذلك الحجر الاسود والركن اليماني فاتهم الناس بهذا الفعل الشيعة فاشتدت حمية الاتراك المجاورين والحجاج وأخذوا من الحرم خمسة أنفس من العجم بعد شروق الشمس ووقعوا فيهم بالضرب والرجم بالحجارة

فلما بلغت النجم عزا ورفعة • ودانت رقاب الخلق أجمع لي رقا رماني الردى سهمه فأخمد جمرتي • فها أنا ذا في حفرتي عاجلا ملقى
وأفسدت دنيا وديني سفاهة • فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى فيا ليت شعري بعد موتي ما أرى • إلى رحمة الله أم ناره ألقى

ومما وقع في أيام المعتضد من عمارة المسجد الحرام من الجانب الشامي زيادة دار الندوة وأدخلها في المسجد الشريف من الجانب الشامي ملصقة إلى رواق الجانب المذكور وهذا المحل يسمى دار الندوة وهي كانت في زمن الجاهلية دارا يجتمع صناديد قريش فيها عند نزول حادثة بهم للاستشارة في دفع ذلك الحادث عنهم بالاتفاق على رأي يجمعون على كونه صوابا فيأتون به بعد ذلك وكانت الندوة مما تفتخر به قريش في الجاهلية وكان قد اجتمع في قصي

بن كلاب الرفادة والسقاية والسدانة والندوة واللواء ففرقها في أولاده • ولما ظهر شأن النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به كثير من قريش من الأنصار خاف منه كفار قريش واجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا في قتله صلى الله عليه وسلم فظهر لهم إبليس لعنه الله في صورة الشيخ النجدي واختار لهم من الرأي ما اختاره فنجاه الله تعالى من كيد المشركين وأذن له في الهجرة كما هو مذكور في كتب السيرة وذكره الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وليست الزيادة هي عين دار الندوة بل هي في تلك الأماكن لا على التعيين من خلف مقام الحنفي الآن إلى آخر هذه الزيادة • وكانت دار الندوة بعد ظهور

الإسلام وكثرة بناء الدور بمكة دارا واسعة ينزل بها الخلفاء إذا وردوا مكة ويخرجون منها إلى المسجد الحرام للطواف والصلاة وكان لها فناء واسع صار سباخة ترمى فيه القمائم فإذا حصلت الأمطار الغزيرة سال من الجبال التي في يسار الكعبة مثل جبل قعيقعان وما حوله من الجبال سيول عظيمة إلى ذلك الفناء وحملت أوساخه وقمائمه إلى دار الندوة وإلى المسجد الحرام واحتيج إلى تنظيف تلك الأوساخ والقمائم من المسجد الشريف كلما سالت سيول هذا الجانب الشمالي وصار ضررا على المسجد الحرام • فكتب قاضي مكة من قبل المعتضد العباسي القاضي محمد بن عبد الله المقدمي وأمير مكة يومئذ من قبله أيضا عج ابن حاج مولى المعتضد المذكور مكاتبات إلى وزير المعتضد يومئذ وهو عبيد الله بن سليمان بن وهب يتضمن أن دار الندوة

حتى أخرجوهم إلى باب السلام وبعضهم إلى باب الزيادة وقتلوهم شدخا بالحجارة وضربا بالسيوف وألقوهم على بعضهم ولم يطالب فيهم أحد قال العصامي في تاريخه ولقد رأيت ذلك الشيء يعني يعني ما لوثت الكعبة به وتأملته فإذا هو ليس من القاذورات وإنما هو من أنواع الخضراوات عجن بدمس ونخيخ وأدهان معفنات فصار ريحه ريح النجاسات وكان هذا الفعل عند مغيب القمر من تلك الليلة ولم يعلم الفاعل لذلك وغلب على بعض الظنون أن ذلك جعل عمدا وسيلة إلى قتل أولئك والله أعلم بالسرائر وهو يتولى البواطن والظواهر ولبعضهم في ذلك

مذ لوث الكعبة من لم تكن • تعرفه ليلا وأصبحنا
أسلمت الأعجام أرواحها • وقالت الأعراب آمنا

وفي شهر الحج من سنة ثمان وثمانين وألف ورد مرسوم من الوزير الأعظم بأن يطلق مولانا الشريف بركات على المصونة الشريفة عمرة بنت الشريف زيد ألفا وسبعمائة قرش أحمر من المال الذي جعلته السلطنة للسادة الأشراف وكذلك يطلق عليها من الحب الوارد أسماء الأشراف سبعمائة أردب فأطلق عليها مولانا الشريف الدراهم وتوقف في أمر الحب وقال يكفيها نصفه وامتنعت من أخذ النصف ثم جاء مرسوم آخر في سنة تسع وثمانين لصاحب جدة أن يدفع للشريفة عمرة المذكورة سبعمائة أردب فدفعها الخادم لها لم آخذها من الحب الوارد في السنة المذكورة

•(ابتداء خروج أمير الطائف لقافلة الحج الشامي وتشييعه إلى المدينة سنة ١٠٨٩)•

وفي سنة ثمان وثمانين أيضا ورد أمر سلطاني لمولانا الشريف بأن يخرج مع الحج الشامي إلى أن يتعدى به على العرب القاطعين الطريق إلى أن يخرج مما هو تحت قطر الحجاز فخرج معهم يوم السابع من المحرم سنة تسع وثمانين وألف ومعه عدد من الأشراف وأقام مقامه ابن أخيه السيد عمرو بن محمد وفي جمادى الآخرة سنة تسعين وألف اعتدى بعض العسكر على رجل من سواكن ونزل على مولانا مخبرا فغار السواكني فقتل ذلك العسكري ودخل على مولانا السيد أحمد بن غالب [illegible] وسفروه إلى اليمن فطلب العسكر المقيمون بمكة إحضار القاتل من مولانا الشريف فأرسل خلفه جماعة فأدركوه في الطريق فقتلوه وأتوا برأسه إلى مولانا الشريف فأرادوا العسكر [illegible] الفتنة وفي عاشوراء المحرم سنة تسعين أيضا ورد مرسوم سلطاني بعمرة الإنعام على مولانا الشريف بعشرة آلاف أحمر قابلة تجري له كل سنة مع الحج الشامي ومع المرسوم خلعة [illegible] وقرئ المرسوم بالحطيم وفي ثاني جمادى الأولى من سنة إحدى وتسعين وألف خرج مولانا الشريف غازيا إلى جهة الشرق وسار معه جماعة الأشراف ولم يتخلف عنه

قد عظم خرابها وتهدمت وكثيرا ما يلقى فيها القمام حتى صارت ضررا على المسجد الحرام وجيرانه واذا جاء المطر سالت السيول من بابها الى بطن المسجد وحملت تلك القمام الى المسجد الحرام وانها لو أخرج ما فيها من القمام وهدمت وبنيت مسجدا يوصل بالمسجد الحرام يصلى الناس فيها ويتسع الحجاج بها لكانت مكرمة لم يتهيأ لاحد غير الخلفا بعد المهدى والهادى ومنقبة باقية وشرفا وأجرا باقيا على طول الزمان وان بالمسجد سرابا كثيرا وان سقفه يسيل منه الماء اذا جاء المطر وان وادى مكة قد انكبس بالاتربة فعلت الاودية عما كانت وصارت السيول تدخل من الجانب اليمانى أيضا الى المسجد الحرام ولا بد من قلع تلك الاراضى وتمهيدها وتنزيلها الى حد ترفعها السيول متعذرة عن الدخول الى المسجد (٩٨) الحرام ووصل أيضا الى بعد اسكفة الكعبة ورفعوا أمرهم الى ديوان الخلافة ان وجه جدران الكعبة من باطنها قد تشعث وان الرخام المفروش فى أرضها قد تكسر وان عضادتى باب الكعبة كانتا من ذهب فرفعتا قديما بمكة فى سنة احدى وخمسين ومائتين بخروج بعض العلويين فقلع عامل مكة يومئذ ما على عضادتى باب الكعبة من الذهب وضربه دنانير واستعان به على حرب العلوى الذى خرج عليه يومئذ وصاروا يسترون العضادتين بالديباج ووقعت بعدها أيضا فتنة بمكة فى سنة ثمان وستين ومائتين فقلع عامل مكة يومئذ مقدار الربع من الذهب الذى كان مصفحا على باب الكعبة ومن أسفله وما على أنف الباب الشريف من الذهب وضربه دنانير واستعان به على دفع تلك الفتنة وجعل بدل الذهب فضة مموهة على الذهب الشريف وعلى أن تكف التى ... أيام الحج ثم كان ذلك المكان

وعيد

الشريف ذهب مصبوغ الذهب وان تكف الفضة جددت وجوها كل سنة والمناسب اعادة ذلك ذهبا صرفا كما كان وان رخام الحجر الشريف قد تكسر ويحتاج الى التجديد وان بلاط المطاف حول الكعبة الشريفة لم يكن تاما ويحتاج أن يتم من جوانبها كلها وان ذلك من أعظم القربات وأكرم المثوبات وقد رفع الى الديوان العزيز المبادرة الى انجاز ذلك والامر راجع الى دار الخلافة الشريفة والسلام فلما أشرف على هذه المكاتبات كاتب الخليفة المعتضد يومئذ الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب الكاتب وكان من أهل الخبرة قدم رامح فى قصد الجبل وفعل الحسنات وله رغبة جميلة فى احراز الاجر والمثوبات بادر الى عرض ذلك على امعاع

الا المحذور وفسد بيته وفى الرابع عشر من شوال جاء المبشر بأخذ مولانا الشريف قبيلة كاتب وانه قتل فيهم قتلة شنيعة ورجع الى مكة فى السابع والعشرين من ذى القعدة سالما غانما وفى هذه السنة تشفع الدفتردار عند الوزير الاعظم فى ان الشيخ محمد بن سليمان يعود الى مكة فجاء الاذن له بذلك وان يكف يده عن مغالطة الدولة فدخل مكة فى التاسع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وفى الثانى والعشرين من ذى الحجة من السنة المذكورة حصل بمكة مطر عظيم وكثر السيل ودخل المسجد وبلغ الى نصف الكعبة واستوعب جملة العواميد التى فى الرواق من الجهة الغربية لانحدارها وكان ذلك اليوم خروج الحج المصرى فغرق فيه كثير من المسافرين ومن غريب الاتفاق أن حمل السيل جملا محملا ودخل المسجد فلم يزل السيل يدفعه وقد انقلع حتى رقى على منبر الخطيب فلم يزل الى الصبح من اليوم الثانى واستمر الماء الى الصباح ففتح باب ابراهيم وانحدر الماء فوجدوا تحته كثيرا من الغرقى من الغربا وأهل البلد وأما خارج المسجد فقد أخرب غالب البيوت وذهب بأموال عظيمة وقال كثير من الكبار فى ذلك الوقت ان هذا السيل لم نشاهد أمثاله فكان ذلك السيل من مصائب الزمان ثم شرعوا فى تنظيف المسجد على المعتاد وأرخ بعضهم هذا السيل بقوله (طغى الماء) وحصل من هذا السيل خراب عظيم فى اليمن فجاء الامر من مولانا السلطان محمد بن ابراهيم بتعميرها فعمرت سنة اثنين وتسعين وألف وفى خلاصة الاثر وفى هذه السنة أيضا حصل فى قرية السلامة وما حولها من أرض الطائف برد شديد ودم عظيم بحيث صار يضرب بالحجر والابواب كالبنادق غالبه كبيض الحمام وبعضه كبيض الدجاج قال المحبى فى تاريخه وقد سمعت غير واحد يقول وزنت واحدة فكانت رطلا ووقع بعضه على قدر تمرة وأتلفت أثمار البساتين وجرح كثيرا من الحيوانات وبعضها مات وفى ربيع الاول من سنة ثلاث وتسعين وألف ... لانا الشريف أحمد بن غالب من مكة مغاضبا لمولانا الشريف بركات وخرج للروحة عند ... مر رابع ... شهر الثلاثين وسار متوجها الى الابواب السلطانية شاكيا من مولانا الشريف بركات ... شهر جمادى الاولى وقعت فتنة بين الاتراك وعبيد الاشراف فى المسعى وانتهب بعض ا... بالمروة وقتل بعض الاتراك المجاورين تحت مدرسة القاضى وأصيب بعض الاتراك الذين ... من جهة بيت مولانا الشريف وعزل السوق ثم تدارك مولانا الشريف الامر حتى سكنت الفتنة ثم ورد خوندار ... القاضى من ... وجيهه ثم وصل ... فضربه بالشبكة وأخذ ما معه وتكلم ... مولانا الشريف مع الاشراف فيما يقع من العبيد فلم ينجع وتزايد الامر حتى صار مولانا الشريف ... فى السيل ... هو وأولاده ومعه بعض ... مصر ثم تزايد الامر واجتمع ... مولانا الشريف

الخليفة المعتضد وحسن له اغتنام هذه الفرصة والمبادرة اليها وبذل المقصود وفيها فبرز أمر المقتدر اليه والى غلامه المؤمن بالحضرة بعمل مارفع اليه من ترميم الكعبة الشريفة والحجر والمطاف والمسجد الحرام وأن تهدم دار الندوة وتجعل مسجدا يلحق بالمسجد الحرام وتوصل به وان تحفر الوادي والمسيل والمسعى وما حول المسجد الحرام وتعمق حتى تعود الى حالها الاول ويجري ماء السيل فيه الى اسفل مكة ولا يدخل المسجد الحرام فيصان المسجد بذلك عن دخول السيل اليه وأن تحكم ذلك غاية الاحكام وتعمر ما تجب عمارته على وجه الاتقان والاحكام وأمر أن يحمل من خزانته مالا عظيما الى مكة لعمل ذلك وأمر قاضي بغداد يومئذ وهو القاضي يوسف بن يعقوب أن يرتب ذلك ويجهز اعماله من يعتمد عليه وأمر بحمل المال اليه فاخرج بعضه نقدا في أيام الحج مع ولده أبي بكر عبد الله ابن يوسف وكان معتمدا على حوائج دار الخلافة ومصالح طريق الحج وعمارتها وأرسل بقية المال حتى يرسلها الى ولده المذكور ليسلمها من كتب اسمه في تلك الحوائج وعين معه لهذه الخدمة رجلا يقال له أبو الهياج عميرة بن حيان الاسدي له أمانة وحسن رأي ونية جميلة وسيرة حسنة فوصلا الى مكة في موسم حج سنة احدى وثمانين ومائتين فنزل بالذهب الخالص بابه الكعبة الشريفة ورجع وتخلف بعد الحج بمكة أبو الهياج المذكور ومن معه من العمال والاعوان وجاء عبد الله بن القاضي يوسف مع الحاج الى بغداد ليرسل اليه ما يحتاج اليه من بغداد لتكميل ما أمر به من العمارة المذكورة فشرع أبو الهياج في حفر الوادي وما حول المسجد الحرام فحفره حفرا جيدا حتى ظهر من درج المسجد الحرام الشارعة على الوادي اثنا عشر درجة وانما كان الظاهر منها خمس درجات فحفرت الارض ورمي بترابها خارج مكة ونظفت دار الندوة من القمام والاتربة وهدمت وحفر اساسها وجعلت مسجدا وأدخل فيها من أبواب المسجد الكبير ستة أبواب كبار سعة كل باب خمسة أذرع وارتفاع كل باب من الارض الى جهة الشمال أحد عشر ذراعا وجعل بين الابواب الكبار ستة أبواب صغار ارتفاع كل باب ثمانية أذرع وسعة كل باب ذراعان ونصف وجعل في هذه الزيادة بابان بطاق شارعين الى الخارج في جانبها الشمالي وباب بطاق واحد في جانبها الغربي وأقيمت أروقتها وسقوفها من جوانبها الاربعة وركبت سقوفها على أساطين او سواري بخشب الساج وجعل لها منارة وفرغ من عمارتها في ثلاث

وعبيد الحاكم وما انضم اليهم من عبيد السادة الاشراف والبوابهة الحسينية اتفاقا من سوق الشريف لمعضوهم بعسكر مصر فتفاقم الامر على مولانا الشريف فأرسل اليهم أخاه السيد عمرو ابن محمد ليردهم فامتنعوا الا ان يقتص لهم شريف من الاشراف انه لا يعطي أحدا منهم لعسكر اذا وقع شيء في البلد فضمن لهم ذلك بعض الاشراف فدخلوا أرسالا ثم ان مولانا الشريف ظفر بعبدين ليلا فأمر بقتلهما فقتلا بالمعلى وأصبحت جثتهما ملقاة بالشارع ثم أمر بعبدين آخرين كانا في حبسه فشنقهما بالمسعى وأوهم انهما القاتلان للعبدين اللذين في المعلى ثم ان مولانا الشريف ازداد به التعب والهم فأصبح مريضا يوم الثلاثاء خامس ربيع الثاني من سنة أربع وتسعين بمرض باطني لا يعلم سببه الا الله

(وفاة الشريف بركات سنة ١٠٩٤)

فازداد به المرض الى ان توفي ليلة الخميس التاسع والعشرين من ربيع الثاني من السنة المذكورة فصلى عليه الشيخ عبد الواحد بن أحمد الشيبي بعد الشروق تحت الكعبة ودفن بالقرب من المعلى بجوار الشيخ الشيبي بوصاية منه وبني عليه حائط غير مسقف وأسفت الناس عليه سامحه الله تعالى وكانت مدته عشر سنين وأربعة أشهر وعشرين يوما قال السنجاري وكان وحيد دهره وانسان عين عصره لولا ما اعترض دولته من استيلاء الشيخ محمد بن سليمان ورثاه كثير من الشعراء بقصائد تم قال السنجاري وبالجملة فانه كان كثير الاحسان عارفا بأحوال الزمان وفي خلاصة الاثر في ترجمة الشريف بركات وحظي عند السلطنة وكان مقبول الكلمة عندهم معتقدا لما كان يكثره من مداراتهم وكان كثير الاحسان للاشراف والتعطف بهم وتقووا في زمنه وقويت شوكتهم وكثرت أموالهم وبسبب ذلك بني كبار الاشراف وصغارهم تحت طوعه وكان يخرج بهم لحرب العرب من أهل الحجاز وغيرهم ويكون النظر فيه له وللاشراف وحمدت طريقته وأمنت في زمنه السبل وتجهز التجار وانتظم الامر خصوصا للحجاج وفيه يقول بعض أدباء دمشق وقد حج

أتى الركاب فهذه أم القرى • قد لاح نور الهدى من مشكاتها
واجعل شعارك منه تقوى الله كي • تستنتج الخيرات من بركاتها

قال ولم يزل كذلك على الهمة حمود النقيبة الى ان تغلب عليه غالب الاشراف وخرج السيد أحمد ابن غالب مغاضبا له في نحو ثلاثين شريفا من ذوي مسعود وغيرهم

(ولاية الشريف سعيد بن بركات بن محمد سنة ١٠٩٤)

وبعد وفاة الشريف بركات تولى ابنه مولانا الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن

سنين ولعل اكمالها في سنة أربع وثمانين ومائتين الا انها ما استمرت على هذه الهيئة بل غيرت بعد قليل الى وضع أحسن منه بعد المعتضد المذكور فقال محمد بن اسحق الفاكهي في تاريخ مكة ان أبا الحسن محمد بن نافع الخزاعي ذكر في تعليق له ان قاضي مكة محمد بن موسى القاضي لما كان اليه أمر البلد جدد بناء زيادة دار الندوة وغير الطاقات التي كانت فتحت في جدار المسجد الكبير وجعلها تساويه واسعة بحيث صار كل من في زيادة دار الندوة من مصل ومعتكف وجالس يمكنه مشاهدة البيت الشريف وجعل أساطينها حجارة مدورة وجعلوا وركب عليها سقوفا من الخشب الساج منقوشا مزخرفا وعقودا مبنية بالآجر والجص ووصل هذه الزيادة بالمسجد الكبير وصولا أحسن من أول وجدد شرفاتها وبيضها وانه عمل ذلك في سنة وثلثمائة انتهى ولقد كان ابتداء عمارة هذه الزيادة أمرا عظيما وفعلا جزيلا أتى به المعتضد بالله وأثرا باقيا على صفحات هذا الدهر ما فاز به سواه وفعلا لا يزال يذكر وصاحبه يمدح بألسنة الخلق ويشكر وقد بلي عظامه تحت التراب الأعفر فما مات من يذكر بالجميل بعد أن يقبر وما عاش من عاش بالسوء حين يذكر

ما عاش من عاش مذموما خمد أثره
ولم يمت من يكن بالخير مذكورا

واستمرت تلك الأساطين المنحوتة من الأحجار السود عليها أسقف الساج المزخرف المنقوش مشيدة باقية الى ان أدركناها في عمرنا ثم بدلت بأساطين منحوتة من الشبيكي الأصفر بعقود محكمة أزين من عقود الآجر وجعل عرض السقف الذي يلي خشبه كل حين قبابا فوقه نزهة للناظرين في غاية الاتقان والتزيين في زمان سلطان سيفت سلاطين الزمان السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان بن عثمان خلد الله تعالى سلطانه وأفاض على العالمين بره واحسانه (رجعنا الى ما كنا فيه) من أخبار المعتضد العباسي وما وقع له من الناس الذي ليس من آدمي ولما أن عضد المعتضد عضد الموت الماضد وقطع عرق حياته مباضع الزمان الحاسد وما منعه عن الحمام قوته ولا دفعته عنه منعته ولا هيبته فأزلقته يد المنايا من سرير الخلافة والملك وأركبته سرير الحدباء الى شفير الفناء والهلاك ودفنه في تربة عمله الصالح وسقى ثراه سحائب من ثنائه الفائح (ومن أغرب ما حكاه) المسعودي عن المعتضد في وقته أنه اختل من افراطه في كثرة هنا بياض بالأصل

أبي نمي ألبسه قاضي مكة خلعة الاستمرار بموجب أمر السلطان الذي بيده المتضمن كونه ولي عهد أبيه ولم ينازعه في ذلك أحد من السادة الأشراف ولما كان يوم الجمعة سلخ ربيع الثاني نزل مولانا الشريف سعيد الى الحطيم وحضر الفقهاء وأكابر الدولة وقرأ مرسومه الوارد في حياة أبيه ثم جهز قاصدا الى الأبواب السلطانية بخبر وفاة والده ويطلب صريح الاستمرار وكتب له على عرضه علماء مكة فوصل جوابه من صاحب مصر ثاني رجب المبارك من السنة المذكورة وفيه التعزية في المتوفى وصحبته خلعة الاستمرار على ما كان عليه والده من امارة مكة فلبس القفطان الباشوي ثم ورد الأمر السلطاني في الرابع والعشرين من شعبان وفي الثامن والعشرين ورد من الروم آغا وأخبر انه ورد صحبة مولانا السيد أحمد بن غالب وانه معه أمر سلطاني يخاطب به المرحوم الشريف بركات مضمونه ارضاء السيد أحمد بن غالب وابقاؤه وجميع معاليمه والوصاية على السادة الأشراف وان لا يخرج مولانا الشريف أحدا منهم الى الوصول الى الأبواب وان تكون البلاد أرباعا الربع منها لمولانا الشريف والثلاثة الأرباع للسادة الأشراف وأخبر الآغا ان السيد أحمد واصل وانه فارقه في الطريق وكان قد وصل قبل ذلك أمر بذلك للشريف سعيد عقب وفاة أبيه فما أظهره ثم وصل السيد أحمد بن غالب وصار تقسيم الأرباع ومن ذلك حصل الاختلاف بين الأشراف فكتب السيد أحمد بن غالب مائتين من العسكر لفقها من ضروب العالم واغارت اليه عبيد ذوي زيد وفي خلاصة الأثر بعد ذكر وفاة الشريف بركات قال ثم عقد مجلس الاجتماع يوم الجمعة ثاني يوم الوفاة بالحطيم حضره الأشراف والعلماء والأعيان والعسكر فأظهر الشريف سعيد أمرا سلطانيا كان برز له لما أرسله والده الى السلطان ان الملك لسعيد بعد أبيه فقرئ بذلك الجمع ولم تقع مخالفة من أحد وكان قد ورد للشريف سعيد بعد وفاة أبيه الأمر بالأرباع فأخفاه وكان الأشراف متحققين خبره قبل وصوله فطلبوه من الشريف سعيد فأحضره الى مجلس الشرع وعمل مقتضاه وجمعوا مستغل البلاد أرباعا ربع للشريف بمكة وربع أشيع فيه السيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن حسن بن حسين بن أبي نمي والسيد ناصر بن أحمد الحارث ومعهما جماعة من الأشراف والربع الثالث أشيع فيه السيد أحمد بن غالب والسيد أحمد بن سعيد ومعهما جماعة والربع الرابع أشيع فيه السيد عمرو بن محمد والسيد غالب بن زامل ومعهما جماعة فحصل بذلك التشاجر في القسمة والتعب والتشاحن ووقع في البلاد السرقة والنهب واختلفوا فيما بينهم وصارت الرعية بلا راع ولزم من ذلك أن كل صاحب ربع يكون له كتبة وخدام يجمعون ما هو له وجمع السيد أحمد بن غالب عسكرا وانضم اليه من العبيد كثير فتعب الشريف سعيد بذلك وأمرهم بترك العسكر فامتنعوا وقالوا ان السوالف

الجماع وطالت علته وغشي عليه فشك من حوله في موته وكان لايجسر عليه أحد لشدة هيبته فتقدم اليه الطبيب يختبره فجس نبضه ففتح عينه وفطن لذلك فرفس الطبيب برجله رفسة فصار أذرعا فمات الطبيب ثم مات المعتضد من ساعته ٭ وكانت وفاته يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وخلف من الاولاد ذكورا واحدى عشرة بنتا وكانت مدة ملكه تسع سنين وتسعة أشهر وتصفا رحمه الله ﴿فصل﴾ لما اشتد مرض المعتضد جعل ولي عهده من بعده ولده أبا محمد ولقبه المكتفي بالله وأخذ له البيعة قبل موته بثلاثة أيام فلما توفي المعتضد الى رحمة الله كان المكتفي غائبا بالرقة فنهض بالبيعة له الوزير أبو الحسين القاسم بن عبد الله وكتب اليه فوصل الى بغداد من الرقة في سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله يوما مشهودا زينت له بغداد ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير المذكور وخلع خلعا عظيمة ومدحه الشعراء وأنعم عليهم بالجوائز السنية ٭ وكان مولده في غرة ربيع الاول سنة أربع وستين ومائتين وأمه أم ولد تركية اسمها جيجل وكان مليح الصورة يضرب بحسنه المثل وفيه قال القائل

صفت الدنيا ميزت بين جمالها وفعالها
فاذا الملاحة بالقباحة لاتفي
والله لاأختارها ولو انها
كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وكانت سيرته حسنة وأفعاله جميلة فأحبه الناس وفرحوا بخلافته ودخوله وذكر عبد الغافر في تاريخ نيسابور عن ابن أبي الدنيا وكان معلما للمكتفي قبل أن يلي الخلافة قال فلما أفضت الخلافة الى المكتفي كتبت اليه هذين البيتين

ان حق التأديب حق الابوه ٭ عند أهل الحجى وأهل المروه
وأحق الرجال أن يحفظوا ذا ٭ ك ويرعوه أهل بيت النبوة

انتهى ٭ ومن أعظم الحوادث في أيامه ظهور القرامطة الملحدين بل الكفرة المفسدين أعداء الدين فأول من خرج منهم يحيى ابن مهرويه القرمطي ومحل خروجه سواد ملكه فهم وهم اباحية يستحلون دماء الحجاج والمسلمين يدعون ان الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وينتسبون اليه بالباطل ويسندون اليه أقاويل باطلة لاأصل لها ويكفرون من عاداهم وهم الكفرة قاتلهم الله تعالى ﴿ولما ظهر بالخروج يحيى المذكور﴾ جهز اليه المكتفي بالله جيوشا واستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة الى أن قتل وسيق الى جهنم وبئس المصير فقام بعده أخوه الحسين وأظهر شامة في وجهه

سبقت بين هذا الصاحب الربيع وشهد بذلك كبار الاشراف وذكر الشريف سعيد انه تبرأ هو من هذا الفعل وطلب من يكفل له ابن غالب فكفله عشرة من الاشراف واصطلحا على ذلك ثم ادعى الشريف سعيد ان عبيده أتلفوا البلاد والقرى ان أهل الارباع كل منهم يرسل رجلا من جانبه يمسح البلاد بالحبل مع جماعته وارسل ابن غالب أخاه السيد حسنا وأرسل السيد محمد بن أحمد ابنه السيد بركات وأرسل الشريف سعيد السيد حمزة بن موسى بن سليمان في جماعة من الجبالية والمشاة ومعهم حاكم مكة القائد أحمد بن جوهر ولما قدم الحاج وخرج الشريف سعيد لملاقاته على المعتاد خرج معه الاشراف في العرضة فبعد ان نزح الناس ونزلوا عقد الشريف مجلسا فيه أحمد باشا حاكم جدة وأمير الحاج الشامي صالح باشا وأمير الحاج المصري ذو الفقار بيك وأمين الصرة وأكابر عسكر الجهتين فلما حضروا جميعهم شكا من السيد أحمد بن غالب من جهة كتابة العسكر وانهم ما كتبوه في البلاد وافسدوا على الاشراف وانه حصل منه ومن جماعته الفساد في البلاد وأرسلوا له السيد غالب بن زامل ليحضر فتلوى عن الحضور فامتنع من الحضور في بيت الشريف سعيد وقال ان كان المقصد الاجتماع في المسجد وان كان لكم دعوى فاوكل وكيلا يسمع ما تدعون به علي فارسلوا يسألونه من جهة كتابة العسكر وما بعده فاجاب بان هذه قواعد بيننا قد سبقت ان لصاحب الربع ان يكتب عسكرا وأما قولكم انه حصل من جماعتي أو عسكري مفسدة فاطلقوا مناديا ينادي في معاشر الناس كافة هل أحد منكم يشتكي من أحمد بن غالب أو من جماعته أو من عسكره شيأ أو أخذوا حق أحد ظلما أو ضربوا أحدا وان وجدتم مشتكيا صح ما قاله الشريف سعيد والا فلا وجه له ولكم وأما قولكم انا تركنا العرضة فسببه خوفنا ان يقع شئ فينسب الينا أو الى جماعتنا أكثر هذا وجميع الاشراف اجتمعوا على قلب واحد وخيولهم مسرجة ودروعهم على ظهورهم ومالوا الى الجهاد الى العقد وتحركت الانفة الهاشمية فاتي ذوي الضمير ولما سمعوا جواب السيد أحمد بن غالب علموا انه لاوجه له عليه فسعوا في الصلح بينهما وكتب بينهما بذلك حجة وطلبوا من السيد أحمد بن غالب ان يأتي الى الشريف سعيد فاتاه ليلة ثم أتاه الشريف سعيد ليلة أخرى وتم الصلح وحصل من الشريف سعيد في ذلك الموسم انه أمر مناديا ينادي في البلاد باخراج الاعراب من مكة من جميع الناواشب فحصل للناس من ذلك تعب فتكلم العسكر معه في ذلك فرجع فلما رأى أحمد باشا حاكم جدة اختلال حاله سلطا على ربع حب الخرابة التي ترد الى مكة وأراد الاستيلاء عليه فبلغ ذلك الاشراف فلما كان يوم الجمعة ثاني عشر المحرم افتتاح سنة خمس وتسعين وأراد النزول الى جدة فشكت عليه الاشراف بعد ان تكلموا في ذلك فامتنع وتحزبوا جميعا وقالوا لايمكن حتى يعطينا ما هو لنا ولا يبقى

شاعنده شئ وكان ذلك بعد أن قدم أهله ونقله الى خارج مكة قاصدين جدة فصار حينئذ أحد من ضرب واجتمعوا كلهم ببيت السيد محمد بن حمود وأرسلوا اليه السيد تقية فقال له ان نزلت قبل أن تصلح الاشراف يأخذوا جميع أسبابك التى تقدمك ويهبوا سرملك ويقتلوك فاذعن حينئذ بوفائهم فقالوا الارضى بذلك حتى يكفل لنا فكفله كرد أحمد أغا وجميع رؤساء العسكر وكتب بذلك حجة وانه ان حصل منه منع لبعض حقوقهم يكن عاصى الشرع والسلطان ثم خرج من مكة بعد العصر كالهارب وطلب منهم شريفا يوصلهم الى جدة خوفا من العرب أن يطمعوا فيه ففعلوا ذلك وأرسلوا معه السيد مبارك بن ناصر ثم اشتد البلاء بالسرقة ليلا ونهارا وكسرت البيوت والدكاكين وترك الناس صلاة العشاء والفجر بالمسجد خوف القتل آو الطعن وصار العبيد لا يأتون الاثمانية أو عشرة وانقلب ليل الناس نهارا وكثرت القتلى فى الرعية حتى ضبطت القتلى فى رمضان فبلغت تسعة أشخاص فضجت الناس من هذه الاحوال فارسل الشريف سعيد الى الابواب السلطانية ترجمانه بذكر فساد مكة وانها تشوشت وأرسل يطلب عسكرا لاصلاحها وكانت الناس فى هذه المدة يتوسلون الى الله تعالى أن يصلح الامور واستجاب الله دعاءهم واقتضى نظر السلطان وأركان دولته أن لا يصلح هذا الحال الا الشريف أحمد بن زيد فاعطى الشرافة اه وسيأتى ذكر ذلك بعد اتمام الكلام على دولة الشريف سعيد

﴿ذكر ورود الامر السلطانى باخراج الشيخ محمد بن سليمان وما وقع له عند خروجه﴾

وفى مدته كان اخراج الشيخ محمد بن سليمان من مكة وذلك انه فى شهر شوال سنة خمس وتسعين ورد أمر سلطانى يتضمن اخراجه من الحرمين قدم به السيد أحمد بن غالب وسجل عند قاضى الشرع فلما سجله القاضى أرسل الى الوزير عثمان حمدان وبعثه مع نائبه الى الشيخ محمد بن سليمان يأمره بالخروج من الحرمين ويخبره بورود الامر السلطانى فامتنع الشيخ من الخروج وقال ليس هذا وقت خروج من البلد واذا جاء الحج خرجت مع الحج فصعب القاضى فى خروجه وعدم ابقائه الى الحج وطلع بنفسه الى مولانا الشريف وألح على اخراجه فارسل مولانا الشريف سعيد بن عمه السيد رضوان بن عمرو بن ابراهيم والقائد أحمد بن جوهر الى الشيخ يأمره بالخروج وانهم يعطونه كل ما يريد أو انه يحضر عند القاضى ويبدى عذرا فامتنع وقال ان الامر السلطانى ورد بان اخرج وأنا خارج اذا جاء الحج وأما الآن فلا أتى بيدى الى التهلكة وليس فى الامر ان أخرج يوم وصول هذا الامر وتعجيله فزادت سطوة القاضى وبعث ترجمانه الى الوزير ليرسل معه عشرة من عسكر الشريف وأمرهم ان يأتوا بالشيخ مكرها فجاؤا الى باب دار الشيخ وهو فى المدرسة التى عند مدرسة الداودية

الاسود زعم أنها آية وظهر ابن عمه عيسى بن مهرويه وتلقب بالمدثر وزعم انه المراد بالسورة الشريفة القرآنية ولقب غلاما مظلما بالنور بالنون وتسمى أمير المؤمنين وزعم أنه المهدى ودعا لنفسه على المنابر وأفسد بالشام وعاث فيها الخور بوا وقتل الثلاثة وحرقته ومشوه وطيف بها فى الثلاثة سنة احدى وتسعين ومات منهم بعد ذلك ممن خلف منهم مقالات سيأتى ذكرها استطرادا ... وكانت مدته مكة ستة أعوام وستة ... الرتبة ... سأل عن آخيه أبى الفضل جعفر بن المعتضد فقيل انه سالم وصح عنده ذلك ﴿وعهد الى أخيه ولقبه المقتدر بالله﴾ وبويعه على ان يكون الخليفة بعده قال الصولى سمعت المكتفى يقول فى علته التى مات فيها والله ما أسى الاعلى سبعمائة ألف دينار صرفتها من بيت مال المسلمين فى أبنية وعمارات لا أحتاج اليها وذكر أبو منصور الثعالبى قال حكى ابراهيم بن نوح ان الذى خلفه المكتفى مما جمعه هو وأبوه لا نيف مائة ألف ألف دينار ما بين عين وأمتعة وأوان وعقارات وكان من جملة الامتعة ثلاثة وسبعون ألف ثوب ديباج فسبحان من بيده خزائن السموات والارض له الملك واليه ترجعون ولما جاء الاجل المحتوم المقدر وتلى لسان حاله ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر انقصف غصن شبابه القشيب ويبس عود جماله النضير الرطيب وصار بدر كماله محسوقا وعاد محياه المشرق بالجمال مكسوفا وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء فى ليلة الاحد لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ذى القعدة الحرام سنة خمس وتسعين ومائتين رحمه الله تعالى وخلف ثمانية أولاد ذكور وثمانى بنات ﴿وولى بعده أخوه أبو محمد على المقتدر بالله بن المعتضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكل على الله بن المعتصم بن هرون الرشيد العباسى﴾ بايعه الناس وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر منه ذكره الجلال السيوطى وأمه أم ولد تسمى شغب وولى الخلافة ثلاث مرات هذه الاولى منها ولم يتم له فيها أمر لصغر سنه فتعصب الجند عليه واتفقوا على خلعه فخلعوه وعقدوا البيعة لابى العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولقبوه الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين واستمر خليفة ساعة من ذلك النهار وعبد الله بن المعتز الشهورة مدة خلافته لا يعده من الخلفاء ولكن نذكره لفضله وأدبه

وهو أشعر بني العباس بل أشعر بني هاشم على الاطلاق وأكثرهم فضلا وأدبا وشعرا وأرسخهم معرفة بعلم الموسيقى وأشعر الشعراء مطلقا في التشبيهات المبتكرة الغريبة المخترعة المرقصة التي لا يشق غباره فيها أحد مولده في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين وقال المعافى بن زكريا لما بويع ابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبري العالم الكبير المفسر المحدث المؤرخ رحمه الله تعالى فقال لي ما الخبر قلت بويع بالخلافة لعبد الله بن المعتز قال فمن رشح للوزارة قلت محمد بن داود قال فمن ذكر للقضاء قلت أبو المثنى فأطرق قليلا ثم قال هذا أمر لا يتم قلت ولم لا يتم فقال كل من ذكرت ذو شأن عظيم متقدم في فضله وعلمه وعقله وان الدنيا مولية والزمان مدبر ولا مناسبة لاحد ممن ذكرت اسمه برآسة في مثل هذا الزمان وما أرى هذا العقد (١٠٣) الا آيلا الى الاضمحلال والانحلال فقدر الله تعالى انه لم يتم له في ذلك اليوم ولم يمش أمره فان عبد الله بن المعتز لما عقدت له البيعة والخلافة أرسل الى المقتدر يأمره باخلاء دار الخلافة وان يذهب الى دار محمد بن طاهر لينظر في أمره فلما جاء الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة قال ليس له جواب عندي غير السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستبسلون للقتال في غاية الخوف والرعب وهجموا على عبد الله بن المعتز وعلى بعض الامراء والفقهاء وسلمهم الى يونس الخازن وقتل منهم من أراد وحبس عبد الله بن المعتز وأخرج من الحبس ميتا واستقام الامر للمقتدر وهذه ولايته الثانية فسار أحسن سيرة واستقام أمره بعد الاضمحلال وتلاشت شمس سعادته بعد الزوال ولاح بدر فلاحه من أوج الكمال والعزة لله الكبير المتعال وحيث انجر الكلام الى ذكر عبد الله بن المعتز فلا بأس بتعليق هذه العجالة وترويق هذه الرسالة ببعض أشعاره المستطرفة ليعلم البلغاء مرتبته في البلاغة واقتداره على الكلام فنورد قصيدته التي فاخر بها آل النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخفى على أن الاقدام على مثل ذلك يدل على قوة الطبع فان الادعاء لهذا المطلب العالي من أمثاله ممجوج في الاسماع منفر للطباع فاذا أبرزه مع ذلك في قالب مطبوع دل ذلك على قوة طبع الشاعر كما قال شاعر عصره الاديب المفوه ابن الرومي في زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان تعب قلت ذا قيء الزنابير وهذه منتخب تلك القصيدة التي فاخر فيها بين قومه بني العباس وآل أبي طالب رضي الله عنهم في

المشهورة بمدرسة ابن سليمان والباب مغلق فهموا بكسر الباب والشيخ واقف في الطاقة يستغيث بالناس وينادي باعلى صوته يا أهل مكة يا مسلمين اطلب شريعة محمد بن عبد الله ان أمر السلطان بقتلي فأمضوه وان كان باخراجي فانا خارج اذا جاء الحج والازدحام على بابه يجمع بين الخاص والعام وأهله يضجون بالبكاء والنحيب فخرج عند ذلك العلامة الشيخ أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي المصري وكان مجاورا بمكة وكان أعطاه الشيخ المدرسة الداودية يقيم فيها ويأخذ معلومها وطلع الى القاضي فلم يقبل شفاعته فرجع من عنده فرآه الشيخ محمد بن سليمان فصاح بأعلى صوته مستغيثا به فوقف الشيخ وقال له يا شيخ محمد أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم فقال أنا مطيع لله ورسوله ولأولي الامر ولم يأمر السلطان بخروجي في هذا اليوم وأنا خارج مع الحج ولست بكافر وأودع من يسمعني شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأنا غير مداجم للشرع ولست بخارج من داري فليسمعوا ما يرونه والعامة عن آخرهم تصرخ بسببه بانواع السب الشنيع ويحمل هو بسب مولانا الشريف سعيد والمرحوم مولانا الشريف بركات بانواع السب وعم الجميع بالقول الفاحش ثم ان بعض أصحاب الشيخ لحق بمولانا الشريف ثقبة بن قتادة واستغاثه وأطمعه فيه فخرج من بيته ودخل من باب رباط الغوري الذي عند باب الوداع وتسبب في الوصول الى الشيخ فدخل عليه وآمنه وأمر مولانا السيد ثقبة بفتح باب الدار فلما رآه العسكر ومن معهم وقفوا ورجعوا الى مولانا الشريف والقاضي وأخبروهم بأن مولانا السيد ثقبة عند الشيخ وانه آمنه وأرجعهم الى من أرسلهم ثم ان السيد ثقبة قال للشيخ ان كان لا بد من خروجك فاخرج أنت وأنا الى بلدي بجلس واصبر عندي الى الحج فرضي ثم ان مولانا السيد ثقبة فرق الناس وطلع الى الشريف والقاضي وكلمهما بأنه في جواره واستأذنهما في بقائه بمكة الى الحج فبقي وقد ذلت عمريته ولانت صعدته وانقبض انبساطه وتطأطأ اشتعاله ثم سافر مع الحج وهكذا الدنيا افرقتا بوفاء لا تدوم على صفاء وبمارضع في المسامع ان الدنيا بجمعها غير الاكل وبأكلها غير الجامع ثم توفي في حادي عشر ذي القعدة سنة أربع وتسعين بالشام ودفن بالصالحية بسفح قاسيون وكان الشيخ محمد بن سليمان المذكور من أكابر العلماء وأصله من سوس وولد بها سنة ثلاث وثلاثين وألف وأخذ العلم بالمغرب وصحب اجلاء الشيوخ من أهل المغرب ولازم أكابر العلماء ثم رحل وطاف المغرب ثم رحل الى المشرق فدخل مصر وأخذ عن أكابرها وعلمائها ثم دخل أرض الحرمين وأقام بالمدينة المنورة ملازما غالب أوقاته للذكر والخلوة عن الناس ثم وصل الى مكة المشرفة وأقام بها وصحبه الفضلاء وأخذوا عنه وكان رحمه الله عالما متفننا متسما عديم النظير فصيح اللسان ذا هيبة

الخلافة وما أنصف فيما ادعاه ولكنه أتى بشعر بليغ معناه فقال الا من لعيني وتسكابها ۞ تشكى القذى وبكاها بها

ترامت بنا حادثات الزمان ۞ ترامي القسي بنشابها ويا رب ألسنة كالسيوف ۞ تقطع أرقاب أصحابها

وكم دهي المرء من نفسه ۞ فرقته حد أنيابها وان فرصة أمكنت في العدو ۞ فلا تبد فعلك الا بها فان لم تلج بابها مسرعا

أتاك عدوك من بابها وما ناقم ندم بعدها ۞ وتأميل أخرى وأنى بها وما ينتقص من شباب الرجال ۞ يزد في نهاها وألبابها

نهيت بني رحمي ناصحا ۞ نصيحة بر بأنسابها وقد ركبوا بغيهم وارتقوا ۞ معارج تهوي بركابها وراموا افتراس أسد الشرى

وقد نشبت بين أنيابها (١٠٤) دعوا الاسد تفرس ثم اشبعوا ۞ بما فضل الاسد في غابها قتلنا أمية في دارها

وكنا أحق بأسلابها
ولما أبى الله أن تملكوا
نهضنا اليها وقمنا بها
ونحن ورثنا ثياب النبي
فلم تجذبون بأهدابها
لكم رحم يا بني بنته
ولكن بنو العم أولى بها
فهلا بني عمنا انها
عطية رب حبانا بها
وكانت تزلزل في العالمين
فشدت لدينا بأطنابها
وأقسم انكم تعلمون
بأنا لها خير أربابها
فرد عليه شاعر زمانه
وبليغ أوانه الصفي الحلي
بقوله
ألا قل لشر عبيد الاله
وطاغي قريش وكذابها
أأنت تفاخر آل النبي
وتجحدها حق أنسابها
بكم باهل المصطفى أم بهم
ترد العداة بأوصابها
أمنكم تقي الرجس أم عنهم
لطهر النفوس وألبابها
أما الشرب واللهو من دأبكم
وفرط العبادة من دأبها
هم الصائمون هم القائمون
هم العالمون بآدابها

هم الزاهدون هم العابدون ۞ هم الساجدون بمحرابها

هم قطب ملة دين الاله ۞ ودور الرحاء بأقطابها تقول ورثنا ثياب النبي ۞ فلم تجذبون بأهدابها وعندك لا تورث الانبيا

فكيف حظيتم بأثوابها أبوهم وصي نبي الاله ۞ وأهل الوصية أولى بها أبعدك يرضى بما قلته ۞ وما كان يوما بمرتابها

وكان بصفين من حزبهم ۞ لحرب البغاة وأحزابها وصلى مع الناس طول الحياة ۞ وحيدر في صدر محرابها

فهلا تقمصها جدكم ۞ وهل كان من بعض خطابها واذ جعل الامر شورى لهم ۞ فهل كان من بعض أربابها

وقولك أنتم بنو بنته ۞ ولكن بنو العم أولى بها بنو البنت أيضا بنو عمه ۞ وذلك أدنى لانسابها

جلالة وفراسة في اصابة الرأي وصار له بمكة شهرة فاعتقده كثير من الناس ثم رحل الى الديار الرومية صحبة أخي الوزير مصطفى باشا وبلغه بواسطة أخيه الوزير من ترقي مراتب العز ما شاء حتى قلده السلاطين ولو زير النظر في أمر الحرمين ورجع وحصل جميع ما تقدم وكان له اليد الطولى في المعقول وعلم الفلك وغيرهما وله تآليف كثيرة منها حاشية على التصريح للشيخ خالد في علم النحو قال السخاوي كان دخوله في هذه الدائرة من المحن السائرة والا فهو الامام بلا بديل والمحقق بلا بديل تقصر عن وصفه العبارة وتعجز بذكره الاشارة وكان شريف مكة وصاحب جدة لا يقطعان أمرا دونه وانتهت اليه رئاسة مكة وبنى بمكة رباطا للفقراء يعرف الآن برباط ابن سليمان عند باب ابراهيم يسكنه أهل اليمن وبنى مقبرة بالمعلى تعرف الآن بمقبرة ابن سليمان فأقام بمكة تلك المدة وأمره نافذ على غلاظة وشدة الى ان تبدلت تلك السعودات بالنحوس وهبط بعد ان كان على الرؤس فورد الامر باخراجه الى آخر ما تقدم رحمه الله وسامحه ولا يعترض بذكر قضية الشيخ محمد بن سليمان وان كان المقصد من هذا التاريخ المختصر ذكر أمراء مكة وما يتعلق بهم لان هذه القضية لها تعلق بهم وفيها عبرة لمن اعتبر وأيضا هي مشهورة بين الناس اجمالا وكل أحد يحب أن يطلع عليها تفصيلا فلا لوم في ذكرها ومن الحوادث في دولة سيدنا الشريف سعيد ان والده سيدنا الشريف بركات كان أرسل هدية الى سلطان الهند فأقام الحامل للهدية هناك أربع سنين لعدم قبول السلطان عليه والتفاته اليه فدخل بما معه من الهدية الى بندر آخر وكان بيد امرأة فأهدى اليها ما معه من الهدية وأفهمها انه مرسول من الشريف بركات صاحب مكة ففرحت بذلك فرحا عظيما ووقعت لها موقعا وأمرته بالاقامة لتجهز له هدية لمرسله فاتفق ان سرقت كيسة هناك واستبدلت ما فيها من الذهب الى ان صار له صورة وأمرت بحمله في هدية سيدنا الشريف وجعلت ايضا معها صدقة لمكة فجاء الحامل للهدية والصدقة مكة بعد ولاية سيدنا الشريف سعيد وفي جملتها هيئة الذهب ومقداره على ما قيل ثلاثة قناطير من الذهب ورغا بصفر خالصا على النصف وكافور ثلاثة أرطال وعود وزباد وخمسة قناديل ذهب للكعبة ومجمرتان وشمعدان وللمدينة أيضا قناديل وشمعدان فلما وصلت هذه الهدية في شعبان سنة أربع وتسعين وقع بين السادة الاشراف أصحاب الارباع نزاع لان الاشراف يريدون ان يأخذوا ثلاثة أرباع تلك الهدية والشريف سعيد لا يريد اعطاءهم ثلاثة ارباع فأوجب ان تحمل في بيت السيد محمد الحرث الى ان يتفقوا وينقضي رمضان فبقيت عنده ثم اتفقوا على ان يأخذ أصحاب الارباع النصف مما ورد باسم الهدية وتفرق الصدقة على الفقراء فأخذوا الهدية وفرقوا الصدقة وتقدم ذكر ما وقع من اختلاف السادة الاشراف مفصلا واستمر ذلك

ذلك الى سنة خمس وتسعين فولى مولانا السلطان سيدنا الشريف أحمد بن زيد وجاء الخبر الى مكة في عشرين من ذي القعدة وكان قدوم مولانا الشريف أحمد مع أخيه الى اسلامبول سنة سبع وثمانين وألف وقد ترجم الشيخ المحبي صاحب خلاصة الاثر سيدنا الشريف أحمد بن زيد بترجمة واسعة ووصفه بالفضل والادب وكان قد اجتمع به في القسطنطينية في جملة ما قال في الخلاصة وأقام بقسطنطينية مدة مديدة واتحدت بخدمته اتحادا تاما وتقربت اليه كثيرا وكان كثيرا ما يدنيني اليه ويقبل على بكليته وقد مدحته بقصائد منها هذه القصيدة ثم ذكرها وهي طويلة جيدة بليغة مطلعها

يجوب الارض من طلب الكمالا • ومن صحب القنا بلغ النوالا

وكم في الارض من سكن ودار • وان كان الثوى يضنى الجبالا

وما يجسرى الدماذ لا راكن • رأيت الذل ان أهوى الجمالا

ثم ذكر كثيرا من تلك القصائد ثم ذكر كيفية ولايته مكة وفي تاريخ الرضى انه في سنة سبع وثمانين أنعمت الدولة على مولانا الشريف سعد بولاية المعرة وأمر بالتوجه اليها واستمر مولانا الشريف أحمد باسلامبول وعرضت عليه ولاية طرسوس وأخرى بجهة الروملي فلم يقبل واحدة منهما وكان جوابه ان تقصانهم ولاية بلاد نار الافضل تحت أعتاب السلطنة فاستمر مقيما بها يحصل له من الاكرام والترقيات ما فوق المرام وحصل بينه وبين قرلار آغاسي محبة أكيدة وطلب الاجتماع بالوالدة فاجتمع بها وأغدقت له سوابغ النعم ووعدته بتمام المرام واستمر كذلك الى سنة ثلاث وتسعين وألف فوصل فيها الى الديار الرومية السيد محمد بن مساعد والسيد بشير بن مبارك مرسولين من السيد أحمد بن غالب فركنا الى مولانا الشريف أحمد وقالا عنده فألقى بعض المفسدين الى الوزير الاعظم وقال ان اقامة مولانا الشريف أحمد باسلامبول يخشى منها فالاولى عدم اقامته بها فاحضره الوزير وأبلغه فقطا نابولاية كرك كليسه اسم محل بينه وبين ادرنه ثمان ساعات فلكيه وكان قبل ولايته بشهرين أرسل بأخيه الشريف سعد الى البلد المسمى وزة بكسر الواو وتخفيف الزاى وهي قريبة أيضا من كرك كليسه بنحو ثمان ساعات واستمر كل منهما بمكانه الى سنة أربع وتسعين ثم قدم لهم السلطان بالتوجه الى حيث شاؤا من الديار الرومية فتوجه مولانا الشريف سعد الى اسلامبول واستمر مولانا الشريف أحمد في بلدته وطابت له وتأنس بها الى ان كانت سنة خمس وتسعين ثم لما جاءت الاخبار الى مولانا السلطان عما وقع في الحجاز من الخراب والعناد والنهب وكان السلطان بادرنة طلب مولانا الشريف أحمد ثالث شوال وولاه بعد استقرار رأى رجال دولته

وقلت بأنكم القاتلون • اسود أمية في غابها كذبت ولولا أبو مسلم لعزت على جهد طلابها وقد كان عبد الهم لادكم
رأى عندكم قرب أنسابها وكنتم أسارى بطون الحبوس • وقد شغلكم لثم أعتابها فأخرجكم وحباكم بها
وقمصكم فضل جلبابها فجازيتموه بشر الجزا • لطغوى النفوس واعجابها فدع في الخلافة فصل الخلاف
فليست ذلولا لركابها وما أنت والفحص عن شأنها • وما قمصوك بأثوابها وما ساورتك سوى ساعة
فما كنت أهلا لاسبابها ودع ذكركم فخرا بالكفاف • وجازوا الفصاحة من بابها عليك بالهول بأنه أثابت
وخل المعاني لاربابها ووصف العذار وذات الخما • ر ونعت العقار وألقابها • فذلك شأنك لا شأنهم
وجرى الجياد بأحسابها

ومن السحر الحلال الذى عقد في سلك الاكل ورقمه بقلم البلاغة على صفحات الايام والليالى هذا الموشح الذى يصلح وشاحا للجوزا واكليلا على التاج الجلى نجوم الثريا سارت به الركبان وتناقلته الرواة بألسنة الزمان قوله

أيها الساقى اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته وبشرب الراح من راحته
كلما استيقظ من سكرته جذب الزق اليه واتكى
وسقانى أربعا في أربع
ما لعينى عشيت بالنظر أنكرت بعدك ضوء القمر
واذا ما شئت فاسمع خبرى عشيت عيناى من فرط البكا
وبكى بعضى على بعضى معى
غصن بان مال من حيث الهوى
مات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى • كلما فكر في البين بكى • ويحه يبكى لما لم يقع • ليس لى صبر ولا لى جلد
بالقوى عذلوا واجتهدوا • أنكروا شكواى مما أجد
مثل حالى حقها أن تشتكى • كمد اليأس وذل الطمع
كبدى حرى ودمعى يكف • يذرف الدمع ولا يعترف
أيها المعرض عما أصف • قد نمى حبى بقلبى وزكا
لاتقل في الحب انى مدعى ومن تشبيهاته الرائقة واشعاره الفائقة قوله ومقرطق يسعى الى الندماء • بعقيقة في درة بيضاء
والبدر في أفق السماء كدرهم • ملقى على ياقوتة زرقاء • (وله مثله وهو معنى بديع) • خلى نقاب الراح من بعد طبخها
وقد عدت بعد الكسر والعود أحمد • فهاتا عقارا من قميص زجاجة • كياقوتة في درة تتوقد • يصوغ علينا الماء شباك فضة

لها حاتي بيض تحل وتعقد • وتقي من نار الجحيم نفسها • وذلك من إحسانها ليس بجحد   وله من التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهات الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب السرقات الشعرية وكتاب أشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان شعره وغير ذلك • ومن كلامه في البلاغة البلوغ الى المعنى ولم تطل سفر الكلام واشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثيرة لا تطاول بإحداها العبارة ولما تقرر أمر المقتدر في التمكن والاقتدار واستقرت خلافته أتم استقرار استوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات فسار أحسن سيرة واستمر في الخلافة الى سنة سبع عشرة وثلثمائة فخرج يونس الخادم على المقتدر وركب وركب معه الجيش (١٠٦) والامراء وجاؤا الى دار الخلافة فهرب خواص المقتدر من دار ومنهم ادار الخلافة فكان مما نهب منها مائة ألف دينار وأخرجوا المقتدر وأشهدوا على نفسه بالخلع لاربع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع عشرة وثلثمائة (وأحضر أبو منصور محمد بن المعتضد ابن الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد) وبايعه يونس والامراء ولقبوه القاهر بالله وفوضت الوزارة الى الوزير أبي علي بن مقلة الكاتب المشهور وجلس القاهر يوم السبت وكتب الوزير ابن مقلة الى سائر البلاد وجلس يوم الاثنين الديوان في العسكر فطالبوا منه ... أمام السلطان فارتفعت الاصوات فتبعهم الحاجب ومالوا الى دار يونس وأخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وأتوا إليه بمحمد القاهر بالله وهو مذعور يبكي ويقول الله الله يا أخي وروحي فاستدناه المقتدر وقبل بين عيني أخيه وقال له يا أخي لا ذنب لك وأنت مغلوب على أمرك كيف والله لا ينالك مني مكروه فطب نفسا وقر عينا ولما زال روعه آوى اليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند واسترضاهم وثبتت له الخلافة وهذه ثالث مرة والثالثة ثابتة •(فصل)• ومن جملة محاسن المقتدر بالله انه زاد في المسجد الحرام زيادة باب ابراهيم وليس المراد به الخليل عليه وعلى نبينا وسائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه بل كان ابراهيم هذا رجلا خياطا يجلس عند هذا الباب مدة دهر فعرف به وكان قبل هذه الزيادة باب متصل بأروقة المسجد الحرام يقرب باب الحزورة ويقال له باب الخياطين وبقربه باب ثان يقال له باب بني جمح وخارج هذين البابين ساحة بين دار بن زبيدة أم

على ان الصلاح لا يكون الا به وقد ذكر في خلاصة الاثر كيفية توليته حيث قال ولم يزل مقيما بالروم والاحوال تتقلب به الى ان حصل لمكة ما حصل من الاختلاف بين الاشراف فبلغ ذلك السلطان فأرسل الى الشريف أحمد يطلبه فلما أتاه ودخل قام اليه وقابله بغاية الاجلال ووضع كفه بكفه وصافحه من قيام وقال اللهم صل على محمد وآل محمد وأول خطاب من السلطان قال له يا شريف أحمد الحجاز خراب أريد أن تصلحه فامتثل ذلك فخلع بعد ذلك ألبسه ما كان عليه ثم جلس السلطان وأمره بالجلوس فجلس وأعاد عليه ما قاله أولا مرتين وهو يجيبه بالامتثال والقبول ثم أنشد قال السلطان الآن أوان الذي أبرزه الله تعالى ثم أمر الوزير والكتاب ان يكتبوا له ما يحتاجه فخرج الشريف وقدم له مركوب من خيل السلطان ووصل على خيل البريد الى دمشق وقد خرج الحاج منها وكان صاحب الخلاصة قد دخل عليه مهنئا باشرافه وأنشده هذه الابيات

الحق عاد الى محله • والشيء مرجعه لاصله • يا طالما وعد الزمان بنا وأوعدنا بمطله
حتى تصرف في البلاد • في الناس عقد ملكه • والسيف عند الاحتيا • ج اليه يعرف فضل نصله
والدهر يغفر تارة • ويعود معتذرا لاهله • لا ريب في خير الورى • بفعاله الحسنى وعدله
فالكل شاكر صنعه • والسائل صاحب فضله

وأقام بدمشق ثلاثة أيام ثم خرج قاصدا الحاج حتى لحقه بالعلا ودخل المدينة الشريفة وتلقاه عسكرها ولبس الخلعة السلطانية بحضرة الحجرة الشريفة كان ... ثم دخل مكة سابع ذي الحجة ختام سنة خمس وتسعين وألف وذكر في الخلاصة أيضا عند ذكر آخر ولاية الشريف سعيد بن بركات في ضمن ترجمته أيضا ان الشريف سعيدا عرض له ولما خراب الحجاز وطلب عسكر الاصلاح وكان هو وعمه عمرو يتنازعان الجواب فلما كان سابع عشر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ركب الشريف سعيد الى أحمد باشا صاحب جدة وكان بالابطح ببستان الوزير عثمان حميدان واستمر عنده الى جانب من الليل ثم ركب وقصد ثنية الحجون ذاهبا الى السيد غالب بن زامل وكان نازلا بذي طوى فلما جاوز الحجون اذا هو برجل على ذلول فاستخبره من أي العرب فقال من بني مغيرة فقال له الشريف سعيد أهل كان ابن عمي يحيى بن بركات وهو أخو الشريف سعيد فقال لا وكان الشريف يحيى قد ذهب الى وادي الجنين الذي فأمر أصحابه وهدده بالقتل فأقر بانه رسول من الشريف أحمد بن زيد الى السيد أحمد بن غالب وانه قد قضى متوليا بمكة وبلغ الحاج الشامي في العلا ثم ذهب ليلة الثلاثاء تاسع عشر الى بيت عمه السيد عمرو واستدعى السيد غالب بن زامل والسيد ناصر بن أحمد الحارث والسيد عبد الله بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وتشاور وافق اظهار هذا الامر

الأمين بنيتا في سنة ثمانين ومائتين وما بقي لتينك الدارين أثر الآن والذي يظهر ان داري زبيدة كانت احداهما في الجانب الشامي في مكان رباط الخوزي الآن وكانت الاخرى تقابلها من الجانب اليماني من تلك الزيادة وهي رباط رامشت الذي يعرف الآن برباط ناظر الخاص فأدخلت هذه الساحة التي بين الدارين في المسجد الحرام وأدخل الداران يعني باب الخياطين وباب بني جمح بحيث دخلا في المسجد الحرام وجعل عرض البابين بابا كبيرا هو المسمى بباب ابراهيم تعرف هذه الزيادة (قال الحافظ نجم الدين عمر بن فهد رحمه الله تعالى) في حوادث سنة ثلاث وثمانمائة من كتابه اتحاف الورى باخبار أم القرى زاد قاضي مكة يومئذ محمد بن موسى في الجانب الغربي قطعة عند باب الخياطين

وباب بني جمح وهي المسوح التي كانت بين داري زبيدة أم الأمين وجعل ذلك مسجدا أوصله بالمسجد الكبير وطول هذه الزيادة من الاساطين التي في ازاء جدار المسجد الكبير الى القبة التي عليها باب ابراهيم سبعة وخمسون ذراعا الا سدس ذراع وعرض هذه الزيادة من جانبها اليماني وذلك من جدار رباط الخوزي الى جدار رباط رامشت الآن وخمسون ذراعا وربع ذراع وفي هذه الزيادة في جانبها الشرقي المتصل بالمسجد الكبير مسقفان من الرواق على أساطين مخروقة من الحجارة وكذلك في جانبها الشمالي والذي في جانبها الغربي رواق وفي جانبها الشامي سبيل وسط رواقيه وكانت بهذه الزيادة منارة ذكرها التقي الفاسي في شفاء الغرام ه قلت أما المنارة فلا أدري من بناها ولا متى هدمت وأما السبيل فكان موجودا الى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة فهدم عند وصول العمارة السلطانية وأعيد بناؤه سبيلا كما كان وهذه الزيادة الثانية وقعت في أيام المقتدر العباسي رحمه الله تعالى ه (ومن جملة محاسن المقتدر أيضا) انه أبطل من دواوينه استخدام أهل الذمة من اليهود والنصارى وأبطل تصرفهم في الاموال السلطانية وأعاد الامر بتوريث ذوي الارحام في سائر ممالك الاسلام وأتلف كثيرا من الاموال وأفرغ خزائن بيت المال وباع كثيرا من الضياع حتى أرضى الجند بإعطائهم وكان يفرق كل عام من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألف رأس كذا ذكره الجمال يوسف بن تغري بردي في تاريخه مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة ه وقال أبو المحاسن يوسف سبط ابن الجوزي رحمهما الله تعالى كان المقتدر يصرف في طريق

كيف يكون فاتفق الامر على ان يرسلوا الى السيد مساعد بن الشريف سعد بن زيد وأرسلوا له السيد عبد الله بن هاشم فأتى به فلما دخل بيت السيد عمرو ورأى الجماعة مجتمعين جلس معهم فقال الشريف سعيد يا سيد مساعد لم أرسل اليك في هذا الوقت الا قصدي أن أودعك أهلي فان حصل الشريف أحمد تولي مكة فانك تقوم مقامه حتى يصل وأرسل الشريف سعيد الى أغوات العسكر وقال لهم ان الامر للسيد أحمد بن زيد فاخدموا سيدكم وخرج الشريف سعيد تلك الليلة الى الوادي وأقام به حتى سافر الحج المصري فذهب معه الى مصر وفي تاريخ السنجاري انه في صبح الليلة التي سافر فيها الشريف سعيد انعقد مجلس في المسجد خلف مقام الحنفي وحضره أكابر الاشراف وصاحب جدة والقاضي والمفتي والعلماء ووجوه الناس وأمير السيد مساعد بن سعد بن زيد نائبا عن عمه الشريف أحمد بن زيد ونودي له في البلد وكان ذلك اليوم الثلاثاء السابع والعشرين من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ثم توجه الشريف سعيد بن بركات الى مصر وتوفي بها أما أخوه السيد يحيى بن بركات فتوجه الى الشام وسيأتي ذكر ولايته امارة الحج الشامي ثم ولايته شرافة مكة وفي ثاني ذي الحجة جاءت مكاتيب من الشريف أحمد بن زيد لأكابر الاشراف مضمونها التطمين للرعية والوصية على البلد الى حضوره وخرج الناس الى لقاء مولانا الشريف أحمد بن زيد فوصل يوم السابع من ذي الحجة ودخل مكة في موكب أعظم وكادت الناس ان تقتتل من الزحام وجلس للتهنئة ومدحته الشعراء بقصائد وفرح الناس به وحج بالناس ثم نشر لواء العدل والانصاف فحصل له في القلوب هيبة وأمنت الطرق واستقر الناس واستمرت ولايته الى سنة تسع وتسعين وألف

•(ذكر قضية الشيخ تاج الدين القلعي سنة ١٠٩٧)•

وفي أيامه كانت قضية الشيخ تاج الدين القلعي مع أحمد باشا صاحب جدة وشيخ الحرم المكي وملخصها انه في يوم الاحد خامس عشر ربيع الثاني سنة سبع وتسعين وألف اتفق أن كانت صلاة الصبح في مقام الحنفي عند الشيخ تاج الدين ابن الشيخ عبد المحسن القلعي فتأخر قليلا فصلى بالناس بعض المجاورين فلما تمت الصلاة سأل أحمد باشا شيخ الحرم عن صاحب النوبة الذي تأخر عن الحضور فأخبر به فدعاه الى مدرسة الداودية ثم أمر بضربه فلما فعل به ذلك أنفت بعض الائمة أنفسهم فاجتمع منهم جماعة مع بعض أئمة الشافعية وهو الشيخ علي العصامي وكان أكبر الجماعة وذهبوا لمولانا الشريف أحمد بن زيد وعرفوه ما وقع وقالوا له ان جرم التأخير لعذر لا يوجب هذه الاهانة وطلبوا منه ان يعفوهم من هذه الخدمة بعد هذا القدر وقالوا لا طاقة لهم بذلك ثم على فرض كون الامام أتى جرما لا يوصل به الى هذه الحالة فقال مولانا الشريف انا لا أرضى بهذا الذي

مكة والحرمين ثلثمائة ألف دينار وخمسة عشر ألف دينار . وقال الحافظ السيوطي كان النساء غالبين على المقتدر فأخرج عليهن
جميع جواهر الخلافة ونفائسها وأعطى بعض حظاياه الدرة اليتيمة وكان وزنها ثلاث مثاقيل وأعطى زيدان القهرمانة سبحة
جوهر لم ير مثلها وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصي غير الصقالبة والروم والسود . وكان مبلغ النفقة على بيمارستان
أم المقتدر في كل عام سبعة آلاف دينار وانه ختن خمسة من أولاده فصرف في ختانهم ستمائة ألف دينار (وقدمت رسل ملك
الروم) يطلبون الهدنة فتجمل المقتدر وركب أعظم ركوب لإرهاب العدو وأقام مائة وستين ألف مقاتل بالسلاح الكامل صفا من
باب الشماسية إلى دار الخلافة ببغداد فمر الرسل بينهم في هذه المسافة وأقام بعدهم الخدام وهم سبعة
آلاف خادم ثم الحجاب وهم
سبعمائة حاجب وكانت
الستور التي علقت على
دار الخلافة ثمانية وثلاثين
ألف ستر من الديباج
وكانت البسط الفاخرة
التي فرشت في الأرض
اثنين وعشرين ألف بساط
وفي الحضرة مائة سبع في
سلاسل الذهب والفضة
وغير ذلك . ورأوا الخيال
يوسف أقرى بردى من
جملة الزينة شجرة صيغت
من الذهب والفضة
والجواهر تشتمل على ثمانية
عشر غصنا أوراقها من
الذهب والفضة
وأغصانها تتمايل بحركات
مصنوعة وعلى الأغصان
طيور من ذهب وفضة
ينفخ الريح فيها فتسمع
لكل طير صوت مفرد
وصفير خاص وهذا
بعد وهن الدولة العباسية
وتسعفها فكيف كان
زينتها في أيام قوة دولتهم
في كمال وسعها فسبحان
من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه الزوال ولا تغيره الشؤون ولا تحوله الأحوال وهو الله وفي
الكبير المتعال المالك وحده لا شريك له ولا ضد ولا ند ولا مثل كون الأكوان وقدرها تقديرا ولم يتخذ صاحبة ولا وزيرا
تعالى شأنه وعلا سلطانه علوا كبيرا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا
(فصل وأول ما ظهر من الوهن للخلافة) في أيام المقتدر ظهور الطائفة الملحدة التي تسمى القرامطة لهم اعتقاد فاسد يؤدي إلى
الكفر يستبيحون دماء المسلمين وينتسبون إلى مولانا محمد بن الحنفية من أولاد سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله
عنه ويرون ضلال كافة المسلمين وأول خبيث ظهر منهم أبو طاهر القرمطي وبنى دارا في هجر سماها دار الهجرة أراد نقل الحج

دونكم ولكن اكتبوا سؤالا وخذوا عليه خط المفتي وأنا أحكم لكم المصلحة بعد ذلك بالوجه الشرعي
فكتبوا السؤال فأجابهم المفتي الشيخ عبد الله عتاقي زاده بأنه يجب تعزير من أهان أهل العلم وطلع
جماعة منهم لمولانا الشريف أحمد وأشرفوه على الجواب فأمر بالاجتماع عند القاضي وإقامة
الدعوى على الباشا الذي ضرب الشيخ تاج الدين فاجتمعوا وحضر الباشا عند القاضي بعد الطلب
وأقيمت الدعوى فحكم القاضي على الباشا شيخ الحرم بما يوجبه جواب السؤال ثم اصطلحوا
في المجلس وخرج شيخ الحرم وأخذه معه إلى بيته الشيخ تاج الدين القلعي وأرضاه بما طابت به نفسه
وحقد شيخ الحرم في نفسه على المفتي لأجل هذه الفتوى ثم بعد مدة أتى إلى الباشا ان المفتي
الأفندي عبد الله عتاقي أحدث مرحاضا في سبيل السلطان مراد فجعله في جدار المسجد فأرسل
جماعة يشرفون على ذلك فرجعوا إليه بعد الإشراف وأخبروه بأنه قديم من أبناء الأصل فقام
بنفسه وذهب إلى دار المفتي وسأله عن المرحاض فقال له إنه قديم وليس بحادث فسبه وضربه إلى
أن أدماه ورماه على الأرض وداسه برجله وخرج فتلاه المفتي وقصد منزل مولانا الشريف وعليه
دمه فغضب مولانا الشريف لذلك غضبا شديدا وحصل اضطراب في البلد وأخذ الناس حمية
وأنفة مما حصل للمفتي وقفل السوق وفر الباشا فدخل عند القاضي فأرسل مولانا
الشريف للقاضي أن يحفظه عن الفرار وأمر شيخ الفراشين أن يدعو الفقهاء ووجوه الناس
للقيام بهذا الشأن فمشت العامة إلى بيت القاضي ووجدوا القاضي والباشا في المسجد ثم جاء
الوزير عثمان حميدان وأخذ الباشا وخرج به من الباب الذي من جهة باب الزيادة وأدخله منزله
بسويقة والناس تتبعه بالرجم بالحجارة ثم اجتمعوا عند القاضي وألزموه بإحضار الباشا لتقام
الدعوى عليه وامتنع من الحضور فقالت الفقهاء إنه خان الشرع وحكموا بارتداده وكفره
لإهانته الشرع وضربه للمفتي وأخذوا بذلك حجة وطلعوا بها لمولانا الشريف فأخذها منهم
ولم يؤذن في هذا اليوم لصلاة الظهر لهذه الحادثة غير أن الأئمة صلوا وقامت الجماعة ثم نادى
المنادي من مولانا الشريف بالأمان وبعد صلاة العشاء أخذ الوزير عثمان حميدان الباشا
وأطلعه لمولانا الشريف فلامه على فعله فلم يجد جوابا وطلب مولانا الشريف المفتي فجاء بعد
الامتناع وجلس معتزلا عن الباشا ولم يجتمع به واجتمع بمولانا الشريف واعتذر له وقال له
أما تعرف ما وقع لهذا الباشا من هذه الهيضة وقد جاء متعذرا ثم بعد يومين أو ثلاثة توجه
الباشا بعساكره إلى جدة وكتب الأفندي عتاقي زاده المفتي إلى من يعتمد عليه في اسلامبول
وكذلك كتب مولانا الشريف أحمد بما وقع فجاءت المراسيم من السلطنة بعزل الباشا المذكور

إليها لعنه الله وأخزاه وكثر فتكه في المسلمين وسفك دماء المؤمنين الى ان اشتد بهم الخطب وانقطع الحج في أيامه خوفا منه ومن طائفته الفاجرة واشتدت شوكتهم في أواخر عام سبع عشرة وثلثمائة لم يشعر الحاج يوم التروية بمكة الا وقد داهمهم أبو طاهر القرمطي في عسكر جرار فدخلوا بخيلهم وسلاحهم الى المسجد الحرام ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين والمحرمين وهم في احرامهم الى ان قتلوا في المسجد الحرام وفي مكة وشعابها وأزقتها ثلاثين ألف انسان وتلك مصيبة ما أصيب الاسلام بمثلها وكان أبو طاهر بسيفه مشهورا في يده وهو سكران فصفر بفرسه عند البيت الشريف فبال وراث والحاج يلوذون حول البيت الحرام والسيوف تنوشهم الى ان قتل في المطاف الشريف ألف وسبعمائة طائف محرم (١٠٩) ولم يقطع طوافه علي بن بابويه وجعل يقول

ترى المحبين صرعى في ديارهم
كفتية الكهف لا يدرون كم لبثوا

والسيوف تنوشه الى ان سقط ميتا رحمه الله تعالى وطرحت القتلى في بئر زمزم ودفن كثير منهم بلا كفن ولا غسل وحفر قبورا لهم وطلع أبو طاهر الى باب الكعبة وقلعها وصار يقول

أنا بالله وبالله أنا
يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وصاح في الحاج يا حمير أنتم تقولون ومن دخله كان آمنا فأين الأمن وقد فعلنا ما فعلنا فأخذ شخص بلجام فرسه فقال وقد استسلم للقتل ليس معنى الآية الشريفة ما ذكرت وانما معناه ومن دخله فأمنوه فلوى أبو طاهر عنان فرسه عنه ولم يلتفت اليه وسلمه الله تعالى ببركة بذل نفسه في سبيل الله والرد على ذلك الكافر أخزاه الله وأراد قلع الميزاب وكان من ذهب فأطلع قرمطيا ليقلعه فأصيب بسهم من جبل أبي قبيس فخر ميتا وأمر آخر مكانه فسقط من فوق الى أسفل على رأسه فهاب الثالث من الاقدام على القلع فعند أبو طاهر تركه على رغم أنفه وقال اتركوه حتى يأتي صاحبه يعني المهدي الذي زعم انه يخرج منهم وكان ممن قتل بمكة أمير حاج خراسان والحافظ أبو الفضل محمد بن الحسن بن أحمد الجارودي الهروي أخذته السيوف وهو متعلق بيده بحلقة باب الكعبة حتى سقط رأسه على عتبة باب بيت الله تعالى وأخوه امام الفقهاء الحنفية أبو سعيد أحمد بن الحسين البردعي والشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن بن عبد الله الرهاوي وشيخ الصوفية علي بن بابويه الصوفي والشيخ محمد بن خالد بن يزيد البردعي نزيل مكة وجماعة كثيرون من العلماء والصلحاء والصوفية والحاج

وفي سنة سبع وتسعين أيضا غزا مولانا الشريف أحمد وقصد جهة الشرق وخرج من مكة عاشر ربيع الثاني في جيش عظيم وجهز نحو خمسمائة عسكر وأطاعته القبائل وكافة العرب بعد انقيادهم وأذعنوا بالطاعة قال السنجاري ولم يزل مولانا الشريف يتنقل في تلك الرحاب ويأخذ ما يتوقف من نهب الاعراب الى ان وصل الى المدينة المشرفة يوم الخميس سادس عشر شوال من السنة المذكورة فخرج لملاقاته أهل المدينة واستمر الى العصر ثم سار لزيارة السيد حمزة سيد الشهداء رضي الله تعالى عنه وبات هنالك ثم دخل المدينة يوم الجمعة واتفق انه في ذلك اليوم ورد قاصد من الروم معه خلعة وسيف لمولانا الشريف وقفطان لشيخ الحرم المدني فلبس مولانا الشريف الخلعة في الروضة ولبس أيضا شيخ الحرم قفطانه واستمر سيدنا الشريف بالمدينة الى ان توجه الى مكة ثاني عشر ذي القعدة ودخل مكة هلال ذي الحجة محرما فطاف وسعى بالليل ثم عاد الى الزاهر ودخل في الصبح في الآلاي أعلم وفي شهر المحرم افتتاح سنة تسع وتسعين حصل الاختلاف والتنافر بين مولانا الشريف والسيد أحمد بن غالب فخرج السيد أحمد بن غالب من مكة غاضبا في شهر صفر وتبعه جماعة من الاشراف ثم في شهر ربيع توجه السيد أحمد بن غالب الى جهة الشام وفي أواخر ربيع الثاني مرض مولانا الشريف أحمد وجاءته حمى واستمر معه نحو خمسة عشر يوما ثم توفي الى رحمة الله يوم الخميس ثاني عشر جمادى الاولى وقت الضحى وكتم موته ابن أخيه الشريف سعيد الى بعد صلاة الظهر وكان مولانا الشريف سعيد هذا ابن مولانا الشريف سعد بن زيد مقربا عند عمه مولانا الشريف أحمد بن زيد يخصه بمزيد محبته البارى من فجأته ورجع أمره والأمور في ديوان نيابته في مدة توعكه

(الولاية الاولى للشريف سعيد بن سعد ١٠٩٩)

فلما توفي مولانا الشريف أحمد جلس مولانا الشريف سعيد في الديوان العام وبعث الى الوزير وكبار العسكر فكلمهم في المكاتبة فأذعنوا له وطلعوا الى قاضي الشرع مع جماعة من وجوه الفقهاء واتفق رأيهم على اقامة المذكور مقام عمه وأخذوا الخلعة وطلعوا بها الى دار السعادة وألبسوه اياها واستقر الحال على أحسن ما يكون وأخرجوا الجنازة وقت العصر فصلوا عليه ودفنوه بالمعلى على والده فكانت مدة دولته أربع سنين الا ثلاثة أيام ومولده سنة اثنين وخمسين وألف فعمره سبع وأربعون سنة وأسف الناس عليه وحزنوا لغيبته ورثاه الشعراء بقصائد ومولد الشريف سعيد سنة خمس وثمانين وألف وسافر والده من مكة وهو عند عمه وهذه أول ولايته الاولى من ولاية ثم رافقه بمكة وفرق يوم السبت على العسكر جوامكهم وزاد من أراد زيادته وختم على جميع مخلفات عمه الشريف أحمد بحضرة السيد ثقبة بن قتادة وكتب الى ابن عمه السيد

من أهل خراسان والمغاربة ونهبت أموالهم وسبيت ذراريهم ونهبت دور الناس وقتل من وجد من أهلها الا من اختفى في الجبال
ومن هرب من مكة يومئذ فاستشهد بها يحيى بن عبد الرحمن بن هرون القرشي مع عياله الى وادي رهمان ونهبت القرامطة من داره
وأثاثه وأمواله ما قيمته مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار وافتقر بعد تلك الثروة وكذلك نهبت دور مكة الى ان صار الباقي ممن
نجا من تلك الواقعة فقراء يتسولون ولم يحج في هذا العام أحد ولا وقف بعرفة الا عدد يسير فازوا بأنفسهم وسعوا وأتموا حجهم
خوفا من القرامطة دون امام وأغرى جهم مستحلين ناموسه وأخذ أبو طاهر خزانة الكعبة وما فيها من الذهب والفضة وكسوة الكعبة
وقلعوا ميزابها مع ما نهبه من أموال الحجاج قسمها بين أصحابه وأراد أخذ حجر المقام الذي فيه صورة قدم سيدنا ابراهيم
صلوات الله وسلامه على
نبينا وعليه وعلى سائر
أنبياء الله ورسله الكرام
فلم يظفر به لان سدنة
الكعبة أخفوه ونحوه في
شعاب مكة وتألم لذلك
واستدعى بجعفر بن أبي
علاج البناء وأمره بقلع
الحجر الاسود من محله
فقلعه بعد العصر يوم
الاثنين لاربع عشرة ليلة
خلت من ذي الحجة ذلك
العام وصار يدقه بدبوس
قاتله الله ولعنه وأخزاه
ثم كان هذا البيت الشريف
لصب عليه النار من
فوق فادسا
لا يا لحجة ...
عليها لم يبق شيء ولا شربة
وما ترك كانا بزمزم
والصفا
جملا لا تبغي سوى ...
وقلع ذلك الكافر ...
وباب الكعبة وأقام بمكة
أحد عشر يوما وقيل ستة
أيام ثم انصرف الى بلده
هجر وحمل معه الحجر الاسود يريد أن يحول الحج الى مسجد الضرار الذي بناه بدار الهجرة وعلقه هو
في الاسطوانة السابعة مما يلي صحن الجامع من الجانب الغربي من المسجد وبقي موضع الحجر الاسود خاليا يضع الناس أيديهم فيه
ويتبركون بمحله وأمر هذا الفاجر أن يخطب لعبيد الله المهدي أول الخلفاء العبيديين الفاطميين وكان أول ظهوره فبلغ عبيد الله
المذكور ذلك فكتب اليه ان أعجب العجب ارسالك بكتبك تمتن علينا بما ارتكبت في بلد الله الامين من انتهاك حرمة بيت الله الحرام
الذي لم يزل محترما في الجاهلية والاسلام وسفكت فيه دماء المسلمين وفتكت بالحجاج والمعتمرين ثم تعديت وتجرأت على بيت الله
تعالى وقلعت الحجر الاسود الذي هو يمين الله في الارض يصافح بها عباده وحملته الى أرضك ورجوت ان أشكرك على ذلك فلعنك

الحسن والى أخيه ابن المرحوم الشريف أحمد بن زيد يخبرهم بذلك وكانا بينبع فأمرهم بالمقام هنالك
لمحافظة ما لديهم وعاملوه من مكة الاشراف بالسمع والطاعة وزينت البلد ثلاثة أيام وفي جمادى
الثانية يوم السادس منه ورد قابجي بخبر خلع السلطان محمد بن ابراهيم وتولية أخيه السلطان سليمان
ابن ابراهيم ومعه مرسوم باسم الشريف أحمد بن زيد وقفطان ومضمون المرسوم الانعام على
الشريف أحمد بحماية الحرمين الشريفين على ما كانت عليه أولا فحضر الشريف سعيد بالحطيم
والقاضي والمفتي وأعيان الناس وقرؤا المرسوم ولبس الشريف سعيد القفطان وخلع على الناس
ثم جلس في بيته للتهنئة وفي الرابع عشر من الشهر ورد السيد عبد المحسن بن الشريف أحمد بن زيد
من ينبع ومعه السيد مساعد بن سعد بن زيد وجلسا للعزاء وفي الثالث والعشرين من الشهر
المذكور كتب الشريف سعيد عرضا لصاحب مصر يطلب التقرير له على شرافة مكة وبلغه ان
الفقهاء يتكلمون فيما لا يعنيهم فبعث اليهم ان يلزموا منازلهم ويحفظوا ألسنتهم بعد التهديد
... عنهم ... القائد أحمد بن جوهر وفي غرة شعبان جاء الخبر بان السيد أحمد بن غالب اعترض
الكتاب والعرض الذي أرسله الشريف سعيد وأخذه في ينبع ممن كان معه وكان مرسلا مع الشيخ
محمد المنوفي ثم كتب الشريف سعيد عرضا آخر عليه خطوط الفقهاء وعرفهم بواقعة الحال وما جرى
من السيد أحمد بن غالب وبعثه من جهة الشام وكان الشريف أحمد بن غالب مقيما بينبع وبعث الى
صاحب مصر يطلب ولاية مكة وبذل لصاحب مصر مالا يقال انه مائة كيس وكان بمصر مال
يجمع للفقراء من أهل مكة من باقي الحب نحو خمسة وسبعين ألف قرش فقام ابراهيم بيك
القاسمي أمير الحاج المصري ويوسف أغا وكيل صاحب مكة وأعطيا الباشا ذلك من قبل السيد
أحمد بن غالب وقاما في توليته لكتب وردت اليهما منه وتصالحا على ذلك وأخذا بعضا من المال
واستخرجوا الامر من الباشا بولاية الشريف أحمد بن غالب شرافة مكة فأخذ الامر مع بعض أعوان
الباشا وبعثوا به الى صاحب جدة ومعه أمر لصاحب جدة في تنفيذ ذلك وأرسل صاحب مصر الى
أبواب السلطنة يطلب الولاية للشريف أحمد بن غالب فلما كان ليلة الرابع عشر من رمضان ورد
من صاحب جدة قاصد الى قاضي الشرع وأغاة الانكشارية يعرفهم بأن صاحب السعادة صاحب
مصر وصله أمر بان مكة قد تولاها السيد أحمد بن غالب وقد بعث الينا السيد أحمد بعض
أشرافه وأتباعه وأوصلوه اليكم مع تسلم مولانا الشريف أحمد بن غالب وهو مولانا السيد محمد بن
مساعد بن مسعود بن حسن فطلع مولانا القاضي الى مولانا الشريف سعيد وأخبره بذلك فما
أجاب الا بالتصميم على القتال وانه لا يسلم مكة بأمر باشوي وعلى فرض ذلك فمكان وصوله اليك

الله ثم لعنك الله والسلام على من سلم المسلمون من لسانه ويده وقدم في يومه ما ينجو به في غده فلما وصل كتاب عبيد الله المهدي الى أبي طاهر القرمطي وعلم ما فيه انحرف عن طاعته واستمر الحجر عندهم أكثر من عشرين سنة يتحايلون به الناس اليهم طمعا ان يتحول الحج الى بلادهم ويأبى الله ذلك والاسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وهذه أعظم مصائب الاسلام وأشد وهنا في الدين من أولئك الفجرة اللئام ذابت لها أكباد العباد وعمت فتنتها الحاضر والباد الى أن رمى الله تعالى تلك الطائفة الفاجرة وتمزقت كل ممزق بيد الله القاهرة وابتلى أبو طاهر الخبيث بالاكلة فصار يتناثر لحمه بالدود ومات أشقى ميتة الى دار الخلود وتعذب بأنواع البلاء في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولما أيست القرامطة من تحويل الحاج جهزوا الحجر ردوا الحجر الاسود الى محله وورد سنبر بن الحسن القرمطي الى مكة في يوم النحر يوم الثلاثاء عاشر ذي الحجة الحرام سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ومعه الحجر الاسود فلما صار بفناء الكعبة حضر معه أمير مكة وهو اذ ذاك أبو جعفر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي فأظهر [illegible] فلما أخرج سنبر الحجر الاسود عليه ضبات من فضة قد عملت له على طوله وعرضه تضبط شقوقا حدثت فيه بعد قلعه وأحضر معه جصا يشد به فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر في مكانه الذي قلع منه وقيل ان وضعه سنبر بيده وقال أخذناه بقدرة الله وأعدناه بمشيئته وقد أخذناه بأمر ورددناه بأمر ونظر الناس الى الحجر فقبلوه واستلموه وحمدوا الله تعالى وحضر ذلك محمد بن نافع الخزاعي ونظر الى الحجر الاسود وتأمله فاذا السواد في رأسه دون سائره وسائره أبيض وحضر معهم من حج في تلك السنة محمد بن عبد الملك بن صفوان الاندلسي وشهد رد الحجر الى مكانه ولما أعيد الحجر الى مكة حمل على قعود هزيل فسمن وكان لما مضوا به مات تحته أربعون جملا وكانت مدة استقراره عند القرامطة اثنين وعشرين سنة الا أربعة أيام وكان المنصور بن القائم بن المهدي العبيدي راسل أحمد بن سعيد القرمطي أخا طاهر بخمسين ألف ذهب في الحجر الاسود ليرده فلم يفعل وبذل بجكم التركي مدبر الخلافة خمسين ألف دينار للقرامطة على رد الحجر الاسود فأبوا وقالوا أخذناه بأمر ولا نرده الا بأمر الى أن أراد الله تعالى رده على الوجه الذي ذكرناه وفي التواريخ صور أخرى لهذه القصة رأيناها متناقضة وهذا أصح ما روي فيها فاعتمدنا عليه فعض عليه بالنواجذ ثم

هو الواجب لا الى صاحب جدة وفي تاريخ الرضي ان الشريف سعيدا قال للقاضي ان كان بيد السيد أحمد بن غالب أو صاحب جدة أمر سلطاني فلنا أتوا به ونحن متبعون للأمر السلطاني وان كان ليس بأمر سلطاني فحكم الباشا على مصر وسعيد هاهنا يعزل فيه ويولي من شاء وما دون مكة الا السيف فقال له القاضي يا مولانا نامسدار وزير مصر يعزل ويولي فكذلك صريحا فقال يعزل ويولي متى شاء فلما سمع القاضي كلامه بعث الى صاحب جدة يحذره عاقبة الأمر فجاء جوابه بانه بايع السيد أحمد بن غالب بجدة في ثالث عشر رمضان وانه طالع الى مكة مع قائم مقام المذكور السيد مساعد فلما بلغ مولانا الشريف سعيدا ذلك تأهب للقتال وجمع عبيد ذوي زيد وكلم العساكر فظهر لهم اجتماعهم وفي ثالث وعشرين خبا الامين عبيده الى نحو جدة فجاءه الخبر بان صاحب جدة وصل هو وبعض الاشراف ممن كان مع الشريف أحمد بن غالب ونزلوا الركاني بلد الشريف أحمد بن غالب في طريق جدة وان جماعة الشريف سعيد جاؤوهم وقالوا له لا تدخل مكة فان مولانا الشريف سعيدا غير مسلم البلد بدون قتال أو أمر سلطاني فقال لهم انه لا بد من دخول مكة ثم جاء الى الشريف سعيد كتاب فأقروا به من قاضي مكة لصاحب جدة يأمره بالدخول ويخبره بأنه يميل اليه أمارات تعلم [illegible] فهذا الكتاب وزاد في التحرز وحفظ الطرقات وأقام عسكرا ببابه محافظين وأقام آخرين في بعض البيوت التي على الطريق ثم ظهر للشريف سعيد ان شيخ عسكره موافق للشريف أحمد بن غالب وانه بعث الى صاحب جدة يأمره بالطلوع وانه عازم على تثبيط العسكر فأمر بقتله فقتل وفي أواخر رمضان ورد الخبر بقدوم الشريف أحمد بن غالب الى مكة فاشتد الضبط وفي التاسع والعشرين من رمضان وصل المذكور الى التوارية وهل هلال العيد ليلة الخميس والناس في أعلى درجات الشدة وجلس مولانا الشريف سعيد لرؤيتها [illegible] الليل وهو في غاية التحفظ من كل الجهات ولم يحضر في الصبح صلاة العيد وعيد الشريف أحمد بن غالب في التوارية ومد لجماعته سماطا أعظم وترددت الرسل بينه وبين الشريف سعيد وكل يدل صاحبه عن القتال ثم جاء الخبر بوصول الشريف أحمد العمرة وجاء جماعة من الاشراف للشريف سعيد وأخبروه بان الأمر قد خرج عنه وأظهروا له التخلي عنه بالكلية حتى أخوه وابن عمه فلما رأى اختلال الأمر وكل الأمر الى الله تعالى وأودع طوارفه السيد أحمد بن سعيد بن شنبر وسار متوجها الى الطائف فدخل مكة الشريف أحمد بن غالب بن محمد بن مسعود بن حسن بن أبي نمي ضحى يوم الجمعة ثاني شوال سنة تسع وتسعين وألف في آلاي أعظم من الجون لابسا خلعته السلطانية ومعه جميع الاشراف ونزل دار بيت الشريف محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي وكان قد اشتراها من السيد محمد بن زيد وجلس للتهنئة وحقن الله الدماء وامتدحه الشعراء بقصائد وغزل

كثيرا من أهل المناصب وولى غيرهم

(ولاية الشريف أحمد بن غالب سنة ١٠٩٩)

وفي شهر القعدة جاء المرسوم السلطاني مضمونه ان صاحب السعادة صاحب مصر حسن باشا رفع الى الابواب السلطانية انه بعد وفاة الشريف أحمد بن زيد يستحق الشرافة الشريف أحمد بن غالب وان الاشراف راضون به فحصل من السلطنة الانعام عليه بذلك فقرئ المرسوم بالحطيم ولبس الشريف أحمد القفطان الوارد وجلس للتهنئة وزينت البلد ثلاثة أيام ولما جاء الحج خرج لملاقاته على العادة وحج بالناس وبعد سفر الحاج جاء الخبر أن الشريف سعيدا توجه مع الحج الشامي الى جهة والده وجده وولاية الشريف أحمد بن غالب قاصدا الى الروم أوائل سنة ألف ومائة بهدية سنية وجاءه الجواب بالقبول في شوال مع مرسوم وخلعة فقرئ المرسوم بالحطيم وفتحت الكعبة للدعاء على المعتاد ولبس الخلعة وفي سنة واحد ومائة وألف في أوائل المحرم تنافر الشريف احمد بن غالب مع جماعة من الاشراف ذوي زيد فخرجوا من مكة مغاضبين له ولم يبق بمكة منهم الا السيد عبد المحسن ابن الشريف أحمد بن زيد ووصلوا الى ينبع واستمالوا العرب واتفقوا على تولية الشريف محسن بن الحسين بن زيد ونادوا له بشرافة مكة في ينبع وأخذوا استمائة اردب حب كانت هناك للشريف أحمد ابن غالب وكتبوا الى صاحب مصر يعرفونه باخراج الشريف احمد لهم من مكة وخرج جماعة من الاشراف من ذوي عبد الله وأخذوا القنفذة ومنعوا الزائد وانقطع طريق اليمن وكثر القطاع في دار بني جدة وكثرت السرقة بمكة ووقع القتل بها ليلا ونهارا وكثرت الاقاويل بين العامة في ذلك وتنافر السيد أحمد بن سعيد بن مبارك بن شنبر مع الشريف أحمد بن غالب وقبل ذلك تنافر أيضا ذوو الحرث فتتابع الاشراف المتنافرون في الخروج من مكة واجتمعوا على السيد احمد بن سعيد بن مبارك بن شنبر ونزلوا الحسينية واراد الشريف احمد بن غالب الركوب عليهم فلم يتيسر له ذلك ثم جاءه الخبر بمنادى في جدة للشريف محسن بن الحسين بن زيد واضطرب حال الشريف وفرق العسكر في المدارس والاوقات وشمل أهل مكة واضطرب الناس لذلك ثم اجتمع العلماء وكتبوا محضرا لصاحب جدة يسألونه عن هذا الامر ونزل به مولانا السيد عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي ومعه السيد عبد المحسن بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي ومعهم جماعة من الناس ومن أصحاب الملكات فرجعوا وأخبروا بعدم الوفاق ولم يزل الامر يتفاقم وسبب انقلاب صاحب جدة عن الشريف احمد بن غالب توليته وزارة جدة لابن حميد القرشي فانه ورد جدة وجعل يناقض الباشا في كل أمر الى أن تكدر خاطره بعد صفائه فرجع لفسده بعد وفائه ثم جاء الخبر من

ان الجهة خافوا على الحجر الاسود من استطالة يد مانع اليه لعدم استحكام بنائه فقلعوه وجعلوه في البيت الشريف حفظا له وصونا عمن أراده بسوء ثم أمروا ما عمل فصنعا له طوقا من فضة وزنه ثلاثة آلاف وسبعة وثلاثون درهما فطوقوا به الحجر وشدوا عليه به وأحكموا ثباته في محله كما كان ذلك قد عمل كذلك والآن أيضا كذلك وكان قلع الحجر الاسود في أيام المقتدر ثم وقع بينه وبين مؤنس حرب فقتل في المعركة ضربه واحد من البربر من خلفه فسقط الى الارض فقال لغلمانه ويحكم أنا الخليفة فقال له أنت المطلوب وذبحه بالسيف ورفع رأسه على الرمح وسلب ما عليه وبقي مكشوف العورة الى أن ستر بالحشيش ثم حفر له مكانا ودفن فيه وعفي أثره فسبحان المعز المذل السميع البصير له الملك وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير وكانت مدة خلافة المقتدر أولا وثانيا وثالثا خمسا وعشرين سنة الا أياما وقتل [illegible] من شوال سنة عشرين وثلثمائة وولي أخوه مكانه أبو منصور محمد بن المعتضد ولقب القاهر بالله وتقهر القاهر المذكور وسمل عينيه وجاؤا بأبي العباس محمد بن المقتدر بالله بن المعتضد ولقبوه الراضي بالله وبايعوه في سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وصار خليفة الى أن مات سنة تسع وعشرين وثلثمائة وبويع لأخيه أبي اسحق ابراهيم بن المقتدر بعده ولقب المتقي لله ثم قبض عليه توزون التركي وسمل عينيه في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وبويع بعده لابن عمه أبي القاسم عبد الله بن المكتفي بالله بن المعتضد ولقب المستكفي بالله واستمرت خلافته سنة واحدة وأمسكه معز الدولة ابن بويه وسمل عينيه وضمه الى المكتفي بالله والقاهر بالله وصاروا ثلاثة في العمى وولي الخلافة الفضل

الطائع

ابن المقتدر ولقب المطيع لله بويع له بالخلافة في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وكان رد الحجر الاسود الى مكانه من البيت الشريف في أيام المطيع لله [illegible] ثم أمره على ضعف الخلافة ووهنها واستيلاء بني بويه على الملك وطالت أيامه الى أن خلع نفسه وبويع لولده أبي بكر عبد الكريم في سنة ثلاث وستين وثلثمائة ولقب الطائع لله وكان مغلوبا عليه من قبل امرائه وما كان له الا الخطبة فقط [illegible] وفي سنة تسع وستين وثلثمائة رسول العزيز بالله بن المعز العبيدي صاحب مصر الى بغداد وسأله عضد الدولة ابن بويه وهو يومئذ ملقب بالدولة من الطائع وبيده أمر المملكة ان يزيد في ألقابه ويقال له تاج الملة ويجدد

عليه الظلم وبلبسه التاج فأجابه الى ذلك فجلس الطائع على سرير عال وأوقف حوله مائة سيف مسلول وبين يديه مصحف عثمان رضى الله عنه وعلى كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم وبيده قضيب النبي صلى الله عليه وسلم وهو متقلد سيف النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك جميعه كان وارثه الخلفاء يحملونه لمواكبهم العامة واحتجب بستارة عالية حتى لا يقع عليه نظر أحد قبل رفع الستارة وحضر الجند من الاتراك والديلم ووقف أرباب المراتب صفين ثم أذن لعضد الدولة فدخل ثم رفعت الستارة وقبل الارض وادخل رسول العزيز صاحب مصر فارتاع وأهاله ما رأى فقال لعضد الدولة أهذا هو الله فقال له هذا خليفة الله في أرضه ثم استمر يمشي ويقبل الارض سبع مرات التفت الطائع الى خادمه المقرب عنده وأمره بالتمس وقال له استدنه فقربه الى رجل السرير وقبل رجله فثنى الطائع يده على رأس عضد الدولة وأمره أن يجلس على كرسي وضع له قريبا من السرير فاستعفى عضد الدولة من ذلك فأقسم عليه ليجلس فقبل الكرسي ثم جلس عليه فلما استقر جالسا قال له الطائع قد فوضت اليك ما كان الله تعالى فوضه الي من أمور الرعية في شرق الارض وغربها فقال يعينني الله تعالى على طاعة أمير المؤمنين وقبل الارض فأمر أن يفاض عليه سبع خلع فأفيضت عليه وهو يقبل الارض في كل واحدة وانصرف الناس خلفه وقد أهالهم ما رأوه واستعظموا ما شاهدوه وما كانت هذه العظمة الا صورة شاملة كاذبة لسلطنة حقيقتها واحدة وغيرها واهنة وان السلطنة لما آلت الى أبي النصر بن بويه ركب الطائع اليه وخلع عليه سبع خلع وطوقه بطوق من جوهر وسوره بسوارين ولقبه بهاء الدولة وضياء الملة في سنة تسع وسبعين وثلثمائة ثم في سنة احدى وثمانين وثلثمائة جاء بهاء الدولة الى الطائع وقبل الارض بين يديه وجلس على الكرسي وأمر خدامه من الديلم فجذبوا الطائع من سريره ولفوه في كساء وأمر بهاء الدولة أن يخلع نفسه ففعل ﴿وأتى بأبي العباس أحمد ابن اسحق بن المقتدر ولقبه القادر بالله﴾ وبويع له بالخلافة لعشر مضين من شهر رمضان من ذلك العام وكان على غاية من الديانة والعبادة والفضل وصنف كتابا في الرد على القائلين بخلق القرآن وأمر أن يقرأ في كل جمعة في حلق أصحاب الحديث بحضرة الناس وعده ابن الصلاح في علماء الشافعية وذكره في طبقاتهم ولما امتدت خلافته حتى أنافت على احدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر

الطائف بأن السيد محسن بن أحمد الحرث نادى في الطائف للشريف محسن بن الحسين بن زيد وبذلك الاشراف الذين مع السيد أحمد بن سعيد الى البلد وأخذوا بلاد الشريف أحمد بن غالب نحو خمسمائة ناقة من السعدية ولم يزل مولانا الشريف في الحرز وأمر عسكر اليمن بالاقامة في الاروقة التي خارج المسجد بالاحمرار وفي عشرين من جمادى الثانية خرج من مكة السيد محمد بن جود مغاضبا أيضا ونزل العابدية ثم كتب أهل مكة عرضا الى صاحب مصر والى أبواب السلطنة وينهون فيه ما وقع من صاحب جدة وأكثروا فيه من التشنيع عليه وفي سادس رجب عقدوا مجلسا في الحطيم حضره جماعة من الاشراف والعلماء والقاضي فقال مولانا الشريف اشكو للقاضي ما وقع من صاحب جدة في حقه وانه كان سبب تفرق الكلمة وتفضل الاشراف عليه وقد انقطعت السبل وقد نادى في جدة للشريف محسن بن حسين بن زيد من غير أمر السلطنة وان مطلوبي ان تكتبوا لي حجة في تحرير مقالته لئلا تقوم على السلطنة فقال له كبير أغا سردار العسكر يا شريف نحن حافظون لمكة نذود عنها العدو ونقاتل حتى نقتل وأما الاشراف فهم بنو عمك لا ندخل بينكم وأما الباشا فتسأل عما فعل وانه لا يفعل شيأ من ذاته في بلد السلطان فاتفق الامر على ان يرسلوا الى صاحب جدة رسولا من القاضي والمفتي الحاضرين عن جماعة ظاهرة فأرسل القاضي رسولا الى صاحب جدة فعاد بلا مراد وفي هذا اليوم أخرج الشريف بعض المدافع الى جهة الشبيكة وبعضها الى جهة المعلى وبعضها الى جهة بركة ماجن من جهة اليمن في كل جهة مدفعان وفي ثامن عشر رجب جاء الخبر ان الشريف محسن بن حسين بن زيد ومن معه نزلوا الزاهر وان السيد أحمد بن سعيد بن مبارك بن شبير في أول القوم وأطلق الصنجق سبعة مدافع لما نزل الزاهر وركب من بقي مع الشريف أحمد من الاشراف وغيرهم وخرجوا الى جرول ومعهم بيرق عسكر اليمن وأخرج الى جهة المعلى جماعة من العسكر وجماعة الى جهة الشبيكة والشريف أحمد بن غالب في بيته وفي يوم السبت تاسع عشر رجب أرسل الشريف محسن بن حسين بن زيد جماعة من الاشراف فدخلوا مكة وقصدوا القاضي بالشرع واستدعوا رؤس البلكات وأظهروا صورة بيوردي بالشريف وطلبوا من القاضي تسجيله فامتنع وحضر موالية الشريف محسن وطلب القاضي نفس البيوردي الباشوي وثارت الاكشارية لعدم تنفيذ البيوردي الوارد من الباشا وهجموا على القاضي وأعانهم العامة لما لحقهم من التعب فهرب القاضي من سطح المدرسة فلم يجدوه فنهبوا ما وجدوه وأطلقوا البنادق على المدرسة وجاءت طائفة من جماعة مولانا الشريف ودخلوا المسجد ووقعوا في المدارس وتناردوا ساعة ودخل بعض العسكر مدرسة المفتي عبد الله أفندي عتاقي زاده على أهله

وتوفي الى رحمة الله تعالى في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ﴿وولي بعده بعهد منه ولده أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله ولقبه القائم بأمر الله﴾ وكان خيرا دينا ظاهر الفضل الا انه مغلوب على أمره وطالت مدته مع ذلك وكانت خلافته خمسا وأربعين سنة وتوفي في شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ﴿وولي بعده بعهد منه حفيده أبو القاسم عبد الله محمد بن القائم بأمر الله ولقب المقتدي بأمر الله﴾ وبويع له بالخلافة يوم وفاة جده بحضرة الامام الكبير الولي الشهير مولانا أبي اسحق الشيرازي أحد أركان أئمة الشافعية رضي الله عنهم وكان خيرا دينا من خيار خلفاء بني العباس وصالحيهم ومن جملة صلاحه وبركته ان السلطان ملك

شاه من آل سلجوق كان قصد ان يحكم عليه ويظهر الحيف والجنف على الخليفة المذكور فأرسل اليه وهو يقول لا بد أن تترك لي بغداد وتذهب الى أي بلد شئت فأرسل الخليفة اليه يتلطف به في ذلك فأبى الا الشدة وغلظ وقال لرسوله اسأله المهلة في داره شهرا فأبى وقال ولا ساعة فأرسل الى وزيره واستمهله عشرة أيام فصار الخليفة يصوم بالنهار ويقوم بالليل ويتضرع الى الله تعالى ويضع خده على التراب ويناجي رب الارباب ويدعو على ملكشاه فنفذ دعاؤه وهو مظلوم نفوذ السهم المسموم في كبد الظالم واستجاب الله دعاءه وتقبل ضراعته فهلك السلطان ملكشاه قبل مضي عشرة أيام وكفاه الله تعالى شره ومات بلا انتقام وعدت هذه كرامة للخليفة المقتدي وهذه عقبى كل ظالم معتدي ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفي * يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم فرج أتى من بعد عسر * وفرج كربة القلب الشجي
وكم هم تساء به صباحا * وتأتيك المسرة بالعشي
اذا ضاقت بك الأحوال يوما * فثق بالواحد الفرد العلي
توسل بالنبي فكل هم * يزول اذا توسل بالنبي

وكذلك من قال

لا تشتغل بهموم القلب مكتئبا * ولا تبيتن الا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها * يغير الدهر من حال الى حال

وكانت وفاة الخليفة المقتدي بأمر الله في محرم سنة سبع وثمانين وأربعمائة ﴿وولي بعده ابنه أبو العباس أحمد ولقب المستظهر بالله﴾ وبويع له بالخلافة يوم مات ابوه وكانت أمه أم ولد تركية اسمها الطون وكان كريم الاخلاق حسن الخط لا يقاومه أحد في كتابته حفظ القرآن عالما فاضلا وكان قد غلب عليه ملوك آل سلجوق وكانت مدة خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر وتوفي يوم

وعياله وأولاده وأتباعه فقرعتهم واستترعنهم ثم أخرجوهم من الحرم بعد قتل بعض العبيد وقتل رجل في المسجد من الهنود وعزل السوق ثم جاء من جهة الشريف محسن بن حسين السيد عبد الله بن سعيد واجتمع بالشريف أحمد بن غالب ثم خرج من عنده وأرسل الشريف أحمد جماعة الشريف محسن بن حسين يطلب منهم ان يعينوا له رجلا يوثق به اطراف فعينوا له السيد أحمد بن سعيد وطلب مهلة عشرين يوما يجهز فيها ولما كان ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من رجب خرج الشريف أحمد ابن غالب الى الحسينية قاصدا جهة اليمن ومدة دولته سنة كاملة وتسعة أشهر وعشرون يوما

•(ولاية الشريف محسن بن الحسين سنة ١١٠١)•

فلما كان ضحى يوم الثلاثاء دخل مكة مولانا الشريف محسن ومعه محمد باشا صاحب جدة في آلاي أعظم ولبس قفطانا كان قد ورد للشريف أحمد بن غالب فاحتبسه الشريف محسن عنده من سنة احدى ومائة وألف وجلس في دار السعادة للتهنئة وامتدحته الشعراء وكانت ولادة الشريف محسن بعد الخمسين وألف ونشأ في كفالة جده الشريف زيد بعد انتقال والده بعد الستين ولم يزل الى أن سافر الى الابواب مع عميه ثم انتقل قبلهم الى مصر وأقام بها الى أن رجع الى مكة مع عمه الشريف أحمد ثم خرج هذا الخروج فرجع وقد كمل بدره وبزغ فجره وعاقب بعد دخوله مكة جماعة كانت أيديهم مع الشريف أحمد بن غالب فنزع مفتاح الكعبة من الشيخ عبد الواحد بن محمد الشيبي وأعطاه لاخيه الشيخ عبد الله بن محمد الشيبي وكان أسعد من أخيه الشيخ عبد الواحد ومنع مولانا الشريف محسن الشيخ عبد الواحد من الخروج والاجتماع بأكابر الحج زمن الحج وما أخذ منه المفتاح الا بعد أن عقد عليه مجلسا أحضر فيه القاضي والعلماء وادعى عليه بأنه أعطى بعض قناديل الكعبة للشريف أحمد بن غالب جعلها سككا وأحضر الصواغ الذين سكوها فسألهم مولانا الشريف فقالوا سككناها بأمر مولانا الشريف أحمد فسألهم ما الذي سككتموه فقالوا السورة وعمول فقامت العامة فقالت انه من ذهب قناديل الكعبة التي مكنه منها الشيخ عبد الواحد وتكاثر الكلام من بعض الفقهاء الحاضرين لذلك المجلس الى أن أخذت العامة الشيخ عبد الواحد بالايدي وقام الصنجق وأخذه من أيدي العامة ودخل به مختصا من داره ولانا لشريف وفزع أهل الشيخ عبد الواحد الى السيد ناصر الحارث فركب وأتى الى دار مولانا الشريف وخرج به الى داره ثم ان الصنجق بعث الى جدة يطلب الشيخ عبد الله بن محمد الشيبي وكان بجدة فلما حضر أمر مولانا الشريف بعض الفقهاء ان يدعي عند القاضي بطريق الوكالة عن مولانا الشريف على الشيخ عبد الواحد بالخيانة وانه اعطى الشريف أحمد بن غالب أربعة قناديل من الكعبة وادعى عليه وأثبت

الاربعاء لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ● (وولي بعده ولده أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله ولقب المسترشد بالله) ● وبويع له بالخلافة يوم مات والده وأمه ام ولد تسمى لبابة وكان شجاعا ذا همة ولا الى العبادة حفظ القرآن وقرأ الحديث ونظم الشعر ومن شعره   أنا الاشقر الموعود بي في الملاحم ● ومن يملك الدنيا بغير مزاحم   وكان هذا التخيل من خيالاته الفاسدة فانه ما نال من الدنيا ولا قضاء اربه وخرج الى قتال مسعود بن محمد بن ملك شاه السلجوقي فلم يقاتل معه أحد فقاتل وحده الى ان قتل في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ● (وولي بعده ابنه جعفر منصور بن المسترشد ولقب الراشد بالله) ● وبويع له بالخلافة يوم قتل أبيه رحمه الله تعالى ولم تطل مدته بل قبض عليه

السلطان مسعود السلجوقي وخلعه من الخلافة في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة الحرام سنة ثلاثين وخمسمائة وحبسه وقتله في حبسه ● (وولي عمه أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ولقبه المقتفي بالله) ● وبويع له يوم خلع ابن أخيه وكان عالما فاضلا حسن السيرة دمث الاخلاق شجاعا توفي يوم الاحد لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة ● (وولي بعده ولده المظفر يوسف بن المقتفي ولقب المستنجد بالله) ● وبويع له يوم وفاة أبيه وأمه أم ولد حبشية اسمها طاوس ويحكى أنه قبل أن يصير خليفة رأى في منامه ان ملكا نزل من السماء فكتب في كفه خمس خاءات فلما أصبح سأل بعض المعبرين عن منامه فقال انك تلي الخلافة في سنة خمس وخمسين وخمسمائة فكان كذلك توفي الى رحمة الله تعالى في يوم السبت لليلتين خلتا من ربيع الثاني سنة ست وستين وخمسمائة ● (وولي بعده ابنه أبو محمد المستضيء بالله ولقب المستضيء بامر الله) ● وبويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس في ممالكه وكثر ثناء الخلق عليه وتوفي في مستهل ذي القعدة سنة خمس وسبعين وخمسمائة ● (وولي بعده ابنه أبو العباس أحمد ولقب الناصر لدين الله) وبويع له بالخلافة لثمان مضين من ذي القعدة وهو اليوم الثاني من وفاة والده وفي أيامه ظهر السلطان صلاح الدين بن أيوب واستخلاصه بيت المقدس من أيدي النصارى الفرنج واستيلاؤه على مصر وازالة دولة الفاطميين عنها وخطب لهذا الناصر العباسي على منابر مصر ووقع بينه وبين السلطان صلاح الدين منافرة بسبب لقبه بالناصر لدين الله فان صلاح الدين تلقب

ذلك بشهود والله أعلم بهم فحكم القاضي بعزله عن هذه الكتابة التي هي حجابة البيت الشريف وألبس مولانا الشريف محسن الشيخ عبد الله وأعطاه المفتاح وخرج الى بيته ثم بعد يومين حضر محمد وأخوه عند مولانا الشريف فأمر كلا منهما بالعمل بحق الاخوة وان يكونا شيئا واحدا فقصا فاحضرته وأما هذا على ذلك واستمر عنده المفتاح الى أوائل محرم سنة ثلاث ومائة وألف وذلك سنة وخمسة أشهر الا ثمانية أيام وهي مدة ولاية الشريف محسن فلما ولي الشريف سعيد أعاد المفتاح للشيخ عبد الواحد ثم طلب الشيخ عبد الواحد ان يكون المفتاح لابنه عبد المعطي وأقر بذلك له فاجيب ثم توفي ابنه عبد المعطي سنة عشرة فطلب الشيخ عبد الواحد ثانيا ان يكون لابن ابنه الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي فاجيب لذلك وارتفع صيت محمد هذا وعظم بمكة مقامه حتى ساد أوحد زمانه وفريد اقرانه واستمرت سدانته وشكرت بين أهالي مكة واردها أمانته وديانته الى ان توفي في سابع عشر شوال وورد الاغا بقفطان الاستمرار للشريف ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف محسن للقاء الامراء على المعتاد ولبس الخلعة ورجع بالناس وفي يوم النحر ظهرت كتب بايدي السادة الاشراف وانها وردت من اليمن من الشريف أحمد بن غالب من جملتها كتاب لمولانا الشريف محسن ومضمونه الانذار وطلب المواجهة وان القصد الملك عن قريب فاضطرب الحال بمنى وحصل للعالم قلق عظيم ثم ان مولانا الشريف جمع أكابر الدولة وأمراء الحج والفقهاء بعد النزول من منى وتحاولوا في هذا الامر فاقتضى رأيهم تعريف صاحب مصر بذلك وأمر صاحب جدة بتجهيز أموال التجار وضبطها بجدة واشتد الامر وكثر القيل والقال ثم ظهر ان ذلك كله مختلق من مكة من بعض الاشراف وأما الشريف أحمد بن غالب فانه توجه الى صنعاء فاكرمه امام صنعاء وأراد ان يرسل معه جيشا لتخليص مكة له ثم مات الامام ووقعت حوادث فمكث في اليمن وتولى الامارة صبيا ولاقى حروبا وأمورا يطول ذكرها ثم رجع الى الركاني كما سيأتي فكانت غيبته في اليمن ثلاث سنين وعشرة أشهر وفي يوم النحر الاول من هذه السنة ظفر بعض عبيد السيد أحمد بن ناصر الحرث برجلين من حرب وردا حاجين فقبضوا عليهما في المسعى وذهبوا بهما الى سيدهم فأمر بقتلهما فقتلا على جبل أبي قبيس ولزم من ذلك ان فسخ عقده مع مولانا الشريف وخرج الى الحسينية وبعد أيام خرج السيد أحمد بن سعيد بن شنبر مغاضبا وخرج معه جماعة من الاشراف وفي أواخر ذي الحجة وقع بيد مولانا الشريف عرض حال الى صاحب مصر وعليه خطوط السادة الاشراف مضمونه عدم الرضا بالشريف المذكور فعتبهم على ذلك ولام ثم ان السيد عبد الله بن هاشم خرج مغاضبا مع السيد أحمد بن سعد بن شنبر وأخذوا الطريق على المارة وارتفعت الاسعار بسبب ذلك واشتد الامر

بهم الفاطميون ويقال لهم العبيديون أربعة عشر خليفة أولهم عبيد الله المهدي واختلف المؤرخون في نسبهم وهم ينسبون الى فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأنكر ذلك كثير من المؤرخين وطعنوا فيهم بأنهم من أولاد اسماعيل بن محمد بن القداح وقالوا كان القداح المذكور مجوسيا وثانيهم المنصور وثالثهم القائم ورابعهم المعز وهو الذي انتقل من بلاد المغرب الى مصر وملكها من الاخشيديين وبنى القاهرة المعزية واستمر هو ومن بعده من العبيديين بمصر الى ان كان آخرهم العاضد وهو الرابع عشر منهم • توفي يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة وذلك بعد استيلاء صلاح الدين بن أيوب عليه وعلى مملكته وخطب على منابر مصر للناصر لدين الله وانقرضت دولة

العبيديين وكانوا روافض اسماعيلية ومنهم ملاحدة كالحاكم بأمر الله ويحكى عنه كفريات عجيبة وأكثر المؤرخين على نفي شرفهم والله أعلم بحقيقة ذلك وطالت مدة الناصر فاحيا رسوم الخلافة وامتلأت القلوب من هيبته وكان ذا فكرة صائبة وكانت أيامه غرر الزمان وكان له احسان الى أهل الحرمين الشريفين وكانت الكعبة الشريفة تكسى الديباج الابيض في زمن المأمون الى آخر أيام الناصر فكساها الديباج الاسود كما العام ثياب أكفانه وعزله عن مصر ملكه وتخت سلطانه وكانت وفاته في سلخ شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة • (وولي مكانه بعد موته أبو نصر محمد بن الناصر ولقب القاهر بالله) • وبويع له بالخلافة يوم مات والده بعهد منه فأظهر العدل والاحسان وأبطل المكوس وورث ذوي الارحام وكان له مال يكيلون الديون بكيل زائد على ما يكيلون به للناس فأبطل الظاهر ذلك وكتب الى وزيره ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين فقال الوزير ان تفاوت الكيل يشوف على ثلاثين ألف دينار فقال ابطله ولو انه ثلاثمائة ألف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال اتركني افعل الخير فاني لا أدري كم أعيش فلم يلبث ان توفاه الله الكيل الاوفى وأثابه على عمله الصالح وتوفي فعاش حميدا ومضى سعيدا وتوفي في رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة • (وولي بعده ولده أبو جعفر منصور بن الظاهر ولقب المستنصر بالله) • وبويع له بالخلافة يوم وفاة والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد

ونهبت أموال من طريق جدة ثم وقع الصلح بين مولانا الشريف والمذكورين في شهر صفر سنة اثنتين ومائة وألف ودخل مكة السيد أحمد بن سعيد واتفقوا على ان المكس للسادة الاشراف وقدره أربعة وعشرون ألف قرش يقطع منه الثلث ويعطيهم الثلث ويصيرون على الثلث الباقي الى ان ترد المراكب وكتبوا بذلك تذكرة وما لهم في تسليم الثلث الى ان يرد من مكة فاستعد معه فقط الثلث بالاستقرار لمولانا الشريف ودخل مكة في الآلاي أعظم عاشر صفر وقد نزل مولانا الشريف المسجد وحضر القاضي والمفتي والفقهاء والاشراف وقرئ المرسوم بالحطيم وألبس مولانا الشريف الخلعة وقرأ بعده ثمانية أوامر منها ان تعطى السادة الاشراف ما كان لهم من غير زيادة تعرض لمولانا الشريف والتحرز من الطائفة وأمران من الوزير خطابا لهما أصحاب البلكات بالامر بالطاعة لمولانا الشريف وأمران من صاحب مصر أحدهما بالتعريف بمضمون الاوامر السابقة والثاني خطابا لأصحاب البلكات بالسمع والطاعة ولم تعتن السلطنة بغيره مثل ما اعتنت به من هذه المخاطبات وفي أوائل جمادى الثانية تفرقت كلمة الاشراف وخرجوا الى الطرقات وأكثروا النهب في طريق جدة وغيرها وأخذوا منها الصنجق من جدة واشتد الحال على الناس حتى ان الصنجق صار ما يقدر على ايصال الذخيرة من جدة الى مكة الا بعسكر وبيرق وفي ثالث رجب اجتمع القاضي ومراد بالعسكر لمولانا الشريف وأسمعوه غليظ القول حيث انهم قالوا له ان كنت عاجزا عن اصلاح البلاد فعين لهذا المنصب من يقوم به فكان عذره ان قال لهم ان الاشراف لا اقاتل بني عمها واذا أردتم الخروج بالعسكر المصري فاخرجوا بهم فأمرهم القاضي بالخروج ومقاتلة من والاهم فقال كبار العسكر نحن حفظة لمكة ليس هذا الامر مما بعثنا اليه ولم يزل الامر يتفاقم ولا يطلع أحد من جدة الا مع عسكر وأشراف نحبهم من جدة الى مكة ثم يرجعون بهم ولا يرد من جدة الا صحب العسكر وارتفع السعر ثم لما كان أواخر ذي القعدة ورد الخبر بوصول الشريف سعيد بن سعد بن زيد المدينة متوجها الى مكة فاختبط العالم وكثر القيل والقال ثم ورد الخبر انه وصل وادي مر وأرسل رجالا الى مكة يطلب الدخول فقال الشريف محسن لا يدخل مكة الا بأمر سلطاني ان كان متوليا ثم وصل الشريف سعيد الى التنعيم ثم انتقل الى ربع اذاخر واستمر هناك ودخل شهر الحجة وكان أمير الشامي السيد يحيى بن بركات جاء في زي الامراء فخرج له مولانا الشريف وألبسه القفطان الوارد معه على جري العادة وحج مولانا الشريف محسن بالناس ولم يحج الشريف سعيد واستمر بربع اذاخر الى ان سافر الحج الشامي والمصري فخرجت الاشراف عن طاعة مولانا الشريف محسن وعاد الامر الى انقطاع الطرق ونهب الاموال وفي سلخ ذي الحجة جمع

مولانا

والربط والمدارس وهو الذي بنى المدرسة النظامية ببغداد التي لم يماثلها في مدارس الاسلام ولم يوجد في المدارس أكبر منها كتبا ولا أكثر أوقافا منها وكان لهذه المدرسة أربعة مدرسين يدرسون فيها على المذاهب الاربعة ورتب فيها الخبز والحلوى والفاكهة وكسوة الشتاء والصيف وجعل فيها اللاتين تيمارا ووقف على ذلك ضياعا وقرى كثيرة سرد ها الذهبي وغيره فرحم الله أهل الخير وأهل الاحسان ورفع الله درجاتهم في أعلى الجنان ووفقهم لنشر العدل بالقسط والميزان وكانت مدارس بغداد يضرب بها المثل في ارتفاع العماد واتقان المهاد وطيب الماء ولطافة الهواء ورفاهية الطلاب وسعة الطعام والشراب وغير ذلك من الاسباب وقد حكى ان أول مدرسة بنيت في الاسلام مدرسة نظام (١١٧) الملك في بغداد ثم خلفاء ما وراء النهر عند الخبرة اتخذوا العلم دائما لمرتزقاتهم في سقوط حرمة العلم فسألوا عن ذلك فقالوا ان العلم ملكة شريفة فاضلة لا يطلبها الا النفوس الشريفة الفاضلة واذا صار الشرف المالي بالمناصب الطلبية والتحصيل عليه آخره تطلبه النفوس الرذيلة وتحصله بسبب ذلك الطالب الدنيا ويزاحم عليه لا لتحصيل شرف العلم بل لتحصيل المناصب التي هي الدنيئة الفانية فيرذل العلم برذالتهم ولا يشرفون بشرفه الا ترى الى علم الطب فانه مع كونه علما شريفا لما تعاطاه أراذل اليهود بشرف علم الطب وهذا الحال أشرطه العلم في هذا الزمان الفاسد وهذا شأن الاديب بهذه العلوم المتداولة الآن في هذا السوق اذ كاسدة فانك ترى أكثرهم مع دأبهم في الطلب والكتابة على فنون العلم والادب يزداد كل وقت عجبا وكبرا ويتعاظم على كل أحد تيها وفخرا ولم يتنق من أوصاف الاخلاق الرذيلة ولو اكتسب مهما اكتسب من الفضيلة وقلما يتحلى أحد منهم بحلى الاخلاق الحسنة الجميلة والمزايا الفاضلة الكاملة الجليلة وما ثمرة كسب العلوم غير التخلق بحسن الاخلاق والعمل بمقتضى طيب الاصول والاعراق فالله تعالى يبصرنا بعيوبنا ويستر علينا معايب ذنوبنا وينير بصر بصائرنا ويزيل عوارض قلوبنا ويرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه

وقلت وحيث انجر الكلام الى ذكر نظام الملك فأذكر لك حكاية لطيفة نقلها صاحب كتاب وصال الحبيب ونديم اللبيب ﴿قال ذكر﴾ ان نظام الملك لما استوزر بالعراق للسلطان أبي الفتح السلجوقي قام بالدولة أحسن قيام وشيد أركانها وأسس بنيانها ووالى

مولانا الشريف الفقهاء وأعيان الناس واجمع رأيهم على كتابة عرض الى السلطنة فيه شكوى حالهم وما وقع من الاشراف وهل شهر المحرم افتتاح سنة ثلاث بعد الالف ومائة فتفرقت العساكر من يد مولانا الشريف ولم يبق معه من يعول عليه ونمى اليه ان الشريف سعيدا والسيد عبد الله ابن هاشم كل منهما يطلب هذه المنزلة فطلب من صاحب جدة ان يبعث له عسكرا يكونون بالباب فباتوا ليلة ثالث المحرم ثم طلع صاحب جدة والقاضي لمولانا الشريف وتذاكروا في هذا الامر فاقتضى الحال ان يركب الصنجق ومعه مائة من العسكر ليسعدوا الشريف سعيدا فلما وصل سوق المعلى خرج في ملاقته السيد مساعد بن سعد والسيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد وجماعة آخرون واعترضوه ومنعوه الى أن ورد ومنعوه وأخبروه انهم ان جاوز هذا الحد قتل فرجع الى منزله ثم سار الى جدة ولما كان يوم السبت سادس محرم نزل مولانا الشريف سعيد الى المعلا بالقرب من داره ولاذ به بعض عسكر الشريف الذي تفرق واجتمعت عليه العامة فلما بلغ ذلك عسكر مصر طلعوا الى القاضي واستدعى القاضي بعض الاشراف وبعض وجوه الناس وبعثوا الى الشريف سعيد يسألونه عن هذا الفعل فقال مرادي انزل داري في قعقعان وجاء الخبر الى مولانا الشريف محسن فنزل عن شرافة مكة لمولانا السيد مساعد بن سعد وجاء السيد مساعد الى القاضي لتسجيل هذا النزول فجاءهم الخبر ان مولانا الشريف سعيدا وصل المسعى فخرج مولانا الشريف محسن من دار السعادة الى منزل السيد ثقبة بن قتادة ولم يزل مولانا الشريف سائرا الى ان دخل منزل آبائه والمنادي ينادي بين يديه بان البلاد له وليس معه أحد غير العامة

﴿الولاية الثانية للشريف سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٠٣﴾

فلما بلغ ذلك أتباع السيد مساعد انزل عما نزل له به الشريف محسن من الكتابة بحضرة القاضي والمفتي وكبار العسكر فسجل ذلك وبعث له القاضي بقفطان نيابة عن مولانا السلطان فلبسه في منزله وجلس للتهنئة وامتدحه الشعراء ونودي في البلاد بالزينة سبعة أيام ولم يختلف أحد من الاشراف فولي مكة مولانا الشريف سعيد بن سعد بن زيد بن محسن وجلس للتهنئة يوم الاحد سابع المحرم سنة ثلاث ومائة بعد الالف فكانت مدة ولاية الشريف محسن بن الحسين بن زيد سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام وهذه الولاية الثانية للشريف سعيد وتقدمت الاولى عند موت عمه الشريف أحمد وكلاهما بغير أمر سلطاني وكتبوا الى الباشا صاحب جدة فامتنع من المداخلة ثم وجه في ذلك مراسلات ونادى له بجدة سلخ محرم ثم خرج جماعة من الاشراف مغاضبين للشريف سعيد واما الشريف محسن فانه توجه الى المدينة وأخبرهم انه خرج من مكة قهرا وانه آثر عدم القتال وان الشريف سعيدا تولاها من

الأولياء واستمال الأعداء وعم إحسانه العدو والصديق والقريب والبعيد وكان أقبل إقبالاً عظيماً على العلماء والصلحاء
والفقهاء وبنى المدارس العظيمة والخانقاهات العالية وأجرى الخيرات الكثيرة والكساوي الجليلة الفاخرة لطبقات طلبة العلم
والمشايخ والصوفية وغيرهم ممن يتوسم فيه الدين والصلاح وعم بذلك الأقطار من بلاد العراقين إلى الحرمين الشريفين بحيث
كان يخرج من خاصته الخاصة السلطانية والخزائن الديوانية من هذه الوجوه ما ينوف عن ستمائة ألف مثقال من الذهب غير
الذي ينفقه من خاصة أمواله ومحصلات غلاله وما يدخل عليه من الهواتبات وغيرها ولعله كان يقرب من القدر الذي يخرجه
من أموال السلطنة فسار صيته في الآفاق (١٠٨) وكثر حساده ولا يخلو السعداء من الحساد في كل زمان كما هو مشهود
بالعيان في كل أوان وما
وجدوا للطعن على نظام
الملك طريقاً غير إسرافه
في الإخراج من الأموال
السلطانية في هذه الوجوه
فرشوا به إلى السلطان
أبي الفتح من طرق شتى
وكرروا في سمعه أن نظام
الملك أخرب بيت المال وأن
هذه المصاريف الزائدة
التي يخرجها في هذه
الوجوه يمكن أن يصرف
في جمع جيش كثيف
يركز رايته في سور
قسطنطينية وكانت يومئذ
مملكة النصارى وهي
الآن بحمد الله دار ملك
الإسلام عمرها الله تعالى
بعدالة سلطان سلاطين
الأنام وحرسها بالنصر
والتأييد إلى يوم القيام
وأنه يأخذ بتلك الجيش
كثيراً من الممالك
والأقاليم ويتسع به المملكة
ويكثر الخراج والأموال
فلما تكرر ذلك على سمع
السلطان أثر كلامهم في
قلبه واعتقد نصحهم وكل كلام تكرر على السمع قبله القلب وانطبع في الطبع ولو كان واهناً واهياً قائم
في نفس الأمر فعاتب نظام الملك وقال له يا أبي وكان يخاطبه بالأب تعظيماً له لكبر سنه وعقله بلغني أنك تخرج من بيت المال في كل
سنة ستمائة ألف دينار إلى من لا ينفعنا ولا يغني شيئاً فبكى نظام الملك وقال يا بني أنا شيخ أعجمي لو نودي علي في السوق ما ساويت
خمسة دنانير وأنت شاب تركي لو نودي عليك عسى أن تساوي ثلاثين ديناراً وقد اختارنا الله وفوض أمور عباده وبلاده إلينا فلم
نقابله بالشكر ولا عرفنا قدر نعمة الله تعالى فاستمريت أنا في كتابتي وضبطي وأنت منهمك في لذاتك ولهوك وأكثر ما يصعد إلى
الله تعالى معاصينا دون طاعتنا وشكرنا وجيوشك الذين أعددتهم للنوائب إذا احتشدوا عليك كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان

غير رضا الأشراف فتوقف شيخ الحرم من الدعاء للشريف سعيد بالمدينة وأجرى على الشريف
محسن ما يقوم به ثم جاءهم كتاب من مولانا الشريف سعيد ومعه خطوط القاضي والمفتي والعلماء
بصورة الواقعة فنادى له بالمدينة ودعا له على المنبر يوم الجمعة رابع عشر صفر وأمر القاضي
الشريف محسناً بالخروج من المدينة خوف الفتنة فخرج عنها وأرسل الشريف سعيد أخاه السيد
دخيل الله بن سعد ومعه ثلاثمائة من العسكر إلى القنفذة لإخراج الأشراف الذين فيها وجاء الخبر
سابع ربيع الثاني بأنه التقى معهم وانتصر عليهم وقتل من الأشراف خمسة ومن العسكر كثيراً وأنه
دخل القنفذة بعد هروب من فيها واختبطت الأشراف بمكة لذلك ثم إن الأشراف الذين أخرجوهم
من القنفذة جاؤوا إلى طريق جدة وأخذوا قافلة فبعث مولانا الشريف سعيد عسكراً [?] وهم في
الطريق وفي ليلة الاثنين الثاني من جمادى الأولى ورد قفطان ومرسوم من صاحب مصر فأدخلوه
بالآلاي إلى أن وصل باب السلام ودخل الحطيم ونزل مولانا الشريف سعيد وبعض الأشراف
ووجوه أهل مكة فقرئ المرسوم ومضمونه أنه وصل إلينا واتصل بمسامعنا أن مولانا الشريف
محسن بن الحسين بن زيد نزل عن الشرافة للشريف سعيد وما أحسن هذا إذ فرغت في أخرى وأن
الواصل إليكم قفطان من جانبنا وأمر آخر يخاطب به العسكر المحافظون مضمونه أن يكونوا تحت أمر
مولانا الشريف والحذر من المخالفة إلى أن يأتي الأمر السلطاني من الأبواب فلبس مولانا
الشريف سعيد القفطان الوارد وخلع على من يستوجب ذلك في مثل ذلك اليوم وطلع داره وجلس
للتهنئة ولما كان يوم الاثنين رابع عشر جمادى الثانية ورد سلحدار مولانا الشريف سعد بن زيد
ومعه صورة أمر مولانا السلطان بتفويض أمر الأقطار الحجازية لمولانا الشريف سعد بن زيد
وخلعة سلطانية للشريف سعيد ليكون نائباً عن أبيه الشريف سعد فنزل مولانا الشريف سعيد
إلى الحطيم في جمع من الأشراف وحضر القاضي والمفتي وأكابر العساكر ووجوه الناس وقرئ الأمر
الوارد ومضمونه أنه لما بلغنا عجز الشريف محسن عن حفظ الديار المكية أنعمنا على الشريف سعد
بولاية مكة والمدينة وضبط العربان والأشراف وحفظ الحاج وقلدناه جميع الأقطار الحجازية من
غير مراجعة في ذلك إلى غير ذلك من الوصاية على الفقراء وأصحاب الوظائف وأمر آخر من صاحب
مصر يخاطب فيه مولانا الشريف سعيداً وقاضي الشرع وبلكات العساكر مضمونه حكاية
الواقع وأن مولانا السلطان أنعم بشرافة مكة لمولانا الشريف سعد قبل وصول عرضنا إليه وأنه
أقام نائباً عنه بمكة مولانا الشريف سعيداً إلى وقت وصوله فالله الله بإطاعته وعدم المخالفة
وكتاب ثالث من مولانا الشريف سعد إلى ولده ذي الشرف المنيف مضمونه التعريف بالواقع وأنه

قائم مقامه في الوصاية الى غير ذلك وفي أوائل جمادى الثانية رجع مولانا السيد دخيل الله من القنفذة وأقام نائبا في مقامه ثم جاء الخبر بعد ان الاشراف تغلبوا على القنفذة ولم تزل الاخبار تتوارد بمجيء مولانا الشريف سعد الى أن وصل الحج فجاء معه فدخل مكة ليلا وطاف وسعى ورجع الى الزاهر ودخل وقت الضحى في آلاي أكبر من الشبيكة ولم يزل الى أن دخل المسجد وحضر القاضي والمفتي والعلماء والاشراف بالحطيم ودخل قابجي بالامر السلطاني فقرئ بالحطيم وألبس مولانا الشريف سعد الخلعة السلطانية وصعد الى داره للتهنئة ومدحته الشعراء وجاء في زي الاروام بعمامة على قاووق الا أن لسانه بالفاظ أهل الشام بحيث ان غالب ألفاظه شامية واستمر بهذا الزي ثم انه لبس عمامة العرب فصار بعد ذلك يلبس هذه مرة وهذه مرة وفرح الناس بهذه السنة مولانا الشريف سعد قال السنجاري وما أحسن قول بعضهم وهو قديم

يا سعد دارت رحى الافلاك وانتصرت • لك الليالي امدتها المقادير

﴿الولاية الثانية للشريف سعد سنة ١١٠٣﴾

وهذه الولاية الثانية لمولانا الشريف سعد وبين انفصاله من الولاية الاولى وهذه الولاية احدى وعشرون سنة وهي مدة غيبته وعند سفر الحج أمر ابنه مولانا الشريف سعيد ان يخرج مع الحج ومعه جماعة من الاشراف وفي تاسع صفر جاء الخبر بان جماعة من عنزة عدوا على الحج الشامي واعترضوه على الماء فقتل مولانا الشريف سعيد منهم جماعة وربط جماعة ووصل الحج الى المعلى فنصبت الرايات على دور السادة الاشراف على جري العادة لخبر النصرة وفرح الناس وفي شهر جمادى الاولى سنة أربع ومائة وألف خرج مولانا الشريف غازيا قبيلة حرب وسبب ذلك انهم قتلوا السيد عبد الله بن أحمد بن الحرث فالزم الشريف بقتالهم أخاه السيد ناصر بن أحمد بن الحرث بالاخذ بالثار ولم يزل سائرا الى ان وصل بدرا وجمعت حرب جموعا وأرسلوا يطلبون الصلح والقيام بما يجب فامتنع الشريف سعد ومن معه وفي سادس عشر رجب جاء خبر بانه التقى بحرب ثالث عشر رجب واقتتل معهم فنشطت الاشراف وأبعدوا عن اللقاء فحصل بموجب ذلك الكسر وتقوت حرب ودخلوا بدرا ورجعت الاشراف الى رابغ ثم جاء الخبر بتحول مولانا الشريف ومن معه الى خليص ووصل الى مكة في رمضان ثامن عشره واستمر الى عاشر شوال ثم توجه الى المبعوث ودخل الطائف وأقام به يوما وليلة وأقام بالمبعوث الى العشرين من ذي القعدة ثم جاء الى مكة ولم يزل بها الى أن حج بالناس وفي سنة خمس ومائة وألف خرج جماعة من ذوي عبد الله بن حسن بن أبي نمي مغاضبين لمولانا الشريف سعد الى جهة اليمن واعترضوا القوافل الواردة من تلك الجهة وتفاقم الامر

وسهم لا يعرو مرماهم مع ذلك منهمكون في المعاصي والخمور والملاهي هم أحرى بنزول القهر عن نزول الفتح والنصر فاتخذت لك بيننا كشفا وعسكرا منيفا يسمى جيش الليل وعسكر السحر اذا نامت جيوشك ليلا قامت هذه الجيوش على أقدامهم صفوفا بين يدي ربهم وأرسلوا دموعهم وأطلقوا بالدعاء ألسنتهم ومدوا أكفهم فرموا سهاما تخرق السموات والارضين وسلوا سيوفا تعمل في كل حين فلو الا تبلغ الى الصين فانت وجيوشك في خفارتهم تعيشون وببركاتهم تغاثون وبدعائهم تنصرون فبكى السلطان أبو الفتح بكاء شديدا وقال شاباش باباه استكثر من هذا الجنس فانه الذي لابد لنا منه ولما كان كل هو مائله وقابلة الخير مصحوبا بما أثر عنده لكنه كلام الحساد مع تكرره الا تأثيرا ضعيفا وزال وحال الحال وعاد الى حب الخير الذي جبل عليه واستغفر الله تعالى مما فرط من تقصيره فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم في الدار الآخرة فقد زالوا وما زالت أخبارهم تروى وآثارهم الحسنة تنشر على ألسنة الرواة ولا تطوى ﴿عدنا الى ما كنا فيه﴾ ومن جملة خدام المستنصر بالله الامير شرف الدين اقبال الشرابي المستنصري العباسي بنى بمكة مدرسة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب السلام ووقف فيها كتبا كثيرة في سنة احدى وأربعين وستمائة ذهبت شذر مذر والمدرسة باقية الى الآن وقد صارت رباطا وفيه محل التدريس وبه كتب وقفها أهل الخير ممن أدركناه رحمه الله تعالى وبلصق الكعبة الشريفة في وسط مقام سيدنا جبريل عليه السلام من الرخام الازرق الصافي منقور فيه بالمنبت ما صورته • بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمارة هذا المقام الشريف سيدنا ومولانا الامام الاعظم المفترض الطاعة على سائر الامم أبو جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين بلغه الله آماله وزين بالصالحات أعماله وذلك في شهور سنة احدى وثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم اه وهذا اللوح باق الى زماننا وكانت وفاة المستنصر بالله لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة وكتم موته وخطب بعد موته الى أن جاء الامير اقبال الشرابي الى ولده أبي أحمد بن المستنصر وسلم عليه بالخلافة لعشر مضين من رجب سنة أربعين وستمائة (فبويع له ذلك اليوم ولقب المستعصم بالله) وهو آخر الخلفاء العباسيين في بغداد وبزواله زالت دولتهم من الدنيا كما سنشرحه ان

الله تعالى وحجت والدة المستعصم بالله في سنة احدى وأربعين وستمائة وهي أم ولد حبشية واسمها هاجر وكان في خدمتها اقبال
الشرابي الدويدار ومعه ستة آلاف خلعة وتصدق بخمسين ألف دينار وعدة جمال ركب بغداد في تلك السنة فكانت مائة ألف
وعشرين ألف جمل ثم عادت الى بغداد رحمها الله تعالى ولما جرت عادة الله تعالى بانقراض الدول واختصاص العزة والبقاء لله
عز وجل آلت دولة آل عباس الى الانقراض والزوال وغيرتهم الغير ونابتهم النوائب وحالت بهم الأحوال ودالت دولة غيرهم
ولكل زمان دولة ورجال ما من نعمة الا وانتهاؤها يغير الدهر من حال الى حال وكل شيء له سبب من الأسباب وعلة
يدور عليها الانقلاب والانتقال (١٢٠) وكان سبب ضعف خلفاء بني العباس استيلاء مماليكهم وأمرائهم عليهم وتفويض
أمور جميع الممالك اليهم وتفويضهم ... أرباب الاقطاعات وترددهم لانهم على مواليهم واستيلائهم ... الاعنان الى أن صاروا ... ولا ... والاشارات وصار أمر الخلافة يتشوقون ... ويصل أرباب ... الى ... ومن أول أسباب زوال الخلافة المستعصم بالله ... الخلفاء كان ... الناس ... المستعصم بالله ... الرأي ... الأمير اقبال الشرابي ... بالأمور ... المملكة ولا ... من المستعصم ولا ... الأمير اقبال موته عشرين
يوما حتى ... بولاية المستعصم وبويع له بالخلافة وفوض أموره الى العربان والذي أمره ثم أعظم سبب يكن
الزوال ان مؤيد الدين محمد بن عبد الملك العلقمي صار وزيرا للمستعصم وكان رافضيا خبيثا متسلطا على المستعصم عدوا له
ولأهل السنة يداريهم في الظاهر وينافقهم في الباطن وكان تدبيره على ازالة الخلافة من بني العباس واعادتها الى العلويين
وطمس آثار أهل السنة واطفاء نورهم وتقوية أهل البدعة واقامة دارهم فصار يكاتب هولاكو خان ويطمعه في ملك بغداد
ويخبره من صورة أحوالها وضعف الخليفة واختلال العسكر وصار يحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر
والاذن لهم في التفرق والذهاب أين شاؤوا ويقطع أرزاقهم ... حتى أذن مرة لعشرين ألف مقاتل أن يذهبوا أين

وشرع أهل الفساد في التلصص بالسرقات بمكة الى أن أمر مولانا الشريف بعض الاشراف أن
يمس مع العسكر ثم أدى الامر الى أن خرج بنفسه في الليل يخفف الفساد أحدا من المفسدين
وفي تاسع عشر شعبان جاءت كتب من الشريف أحمد بن غالب لبعض الاشراف يطلبون له الاذن
بدخول مكة فامتنع أكابر العساكر وفي هذه السنة خرج مولانا الشريف أيضا لقتال قبيلة حرب
في شهر جمادى الاولى ووردت البشائر رابع عشر رمضان بانهم التقوا مع حرب بالصفراء وحصلت
ملحمة عظيمة قتل فيها من الفريقين خلق كثير واتصل مولانا الشريف أربعة من مشايخ حرب
ودخل الباقون في الطاعة وكان قائم مقام مولانا الشريف بمكة السيد عبد الله بن محمد بن زيد وأمر
الشريف ... ثلاثة أيام ثم رجع مولانا الشريف في شوال وجاءت الاخبار بان الشريف أحمد بن
غالب هجم على القنفذة ... ثم جاء الخبر انه سار متوجها الى مكة فوصل ... ونادى باسمه
... من أصحاب الخلاف ولم يزل يتنقل في المنازل الى أن طرقه وصول اسمعيل باشا من جهة
الروم ومعه محمد باشا صاحب جدة ... ثم كاتب مولانا الشريف ... وذكر له أنه ليس لي
بمكة حاجة ... وأذن له بدخول مكة ... ثم نزل ... وما زال الشريف
... حتى ... الى أن حصل ... بينه وبين صاحب جدة ...
في ... انه كان ... محمد باشا ... قبل السلطنة فعزل عنها ...
... بين حضرة الشريف ... والمشايخة ... بينهما
... الشريف المذكور عند الدولة العلية ثم ... الى الاوطان ...
... وبعد ... محمد باشا المذكور
... العسكر ... الى مكة ... الحاج الشامي ... الحاج ... أيضا
... من ... على عزل الشريف ... وتولية
السيد عبد الله بن هاشم امارة أقطار الحجاز فوصل ... الى مكة المشرفة فخرج مولانا الشريف
... الطاعة ... وكان مع اسمعيل باشا عسكر ... اليهم العسكر المصري فالتقوا
... اسمعيل باشا ... أن يحيطوا بالشريف ...
الى جهة ... وثبت مولانا الشريف ...
أطراف العسكر ... مولانا الشريف ... اسمعيل باشا ...
الشريف ... ورجع ... الى مكة ... لاهل البلد ... ثم بعث اليهم مولانا
الشريف ... كان معه ... بالسلطان ... الحرم الشريف ...

يكن الامر كذلك فاخبروني عن سبب هذه العساكر وابعثوا الي بالامر السلطاني الذي بقرأ يوم النحر لا تطرقيه فلم يعيدوا له جوابا شافيا فبات ليلة سبع سنة ألف ومائة وخمسة ولما كان يوم السبت سابع ذي الحجة طلع أمير الحج ويوسف أغا شيخ الحرم المدني ومراد بك العسكر وقاضي الشرع والمفتي الى بستان حيدان وكان اسمعيل باشا نازلا به فلما ان وصلوا بعثوا الى مولانا السيد عبد الله بن هاشم ابن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وأظهر محمد باشا أمر السلطان بانفيه عزل مولانا الشريف سعد وتوليه السيد عبد الله بن هاشم شرافة مكة فالبسه اسمعيل باشا قفطانا في المجلس وأمره بالنزول الى البلد فركب ومعه محمد باشا والامر السلطاني بين أيديهم والمنادي ينادي بالبلد للشريف عبد الله بن هاشم فلما رصلوا الخناطة جاءهم الخبران بعض جماعة مولانا الشريف سعد ضربوا في المنادي وحصل عليهم الرمي وتحصن مولانا الشريف سعد في داره وحصروه عن الوصول واستمروا الى صلاة الظهر ونزل مولانا الشريف عبد الله بن هاشم بدار الشفاء وبقيت العساكر وانضمت اليهم العرب والاتكدارية ووقف العسكر الى قايتباي وملكت جماعة مولانا الشريف جبل أبي قبيس فانحازوا الى المسعى ونهب جماعة الشريف سعد بعض دور الاتراك وقتل جماعة في المسعى وتم سد رباط الهندية بسوق الليل وبعض دور مكة ولما طال الامر على محمد باشا نزل بنفسه وأخذ مدفعا وجاء به الى باب السدرة الذي يلي باب العتيق وأراد رميه على بيت الشريف سعد فاصيب طبجيه برصاصة مات بها فانتقل المدفع عن ذلك المحل ورجع به الى المسعى وقتل من جماعته خلق كثير بالمسعى واستمر الحال الى الليل فلما رأى مولانا الشريف سعد ان الامر يطول رحل ليلا هو وابنه الشريف سعيد الى جهة الحسينية ثم الى اليمن وأصبحت الناس وقد رحل مولانا الشريف سعد فجمع محمد باشا القاضي المتولي والمعزول والمفتي وبعض العلماء بالحطيم

﴿ولاية الشريف عبد الله بن هاشم امارة مكة﴾

وأظهر الامر السلطاني ملخصه ان مولانا السلطان عزل الشريف سعدا عن شرافة مكة لامور اقتضته وانه أنعم بها على مولانا الشريف عبد الله بن هاشم بن محمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي وألبسه القفطان وركب من باب السلام وطاف شوارع مكة والمنادي ينادي بالبلد له ونهبت العسكر منزل مولانا الشريف سعد ونحو عشر بيوت من بيوت ذوي زيد ثم ان مولانا الشريف عبد الله بن هاشم لما بلغه ذلك ركب بنفسه وجاء لمحمد باشا وقال له ان هذا النهب لا نرضاه واسترد بعض أشياء لا تذكر وسلم ذلك لبعض خدم مولانا الشريف سعد وعد من قتل ذلك اليوم فكان زهاء مائة رجل ثم ان الباشا ظفر برجل من عسكر الشريف وشهد عليه بانه قتل بعض الرعايا فامر

ابن أراد وأودعوا أموالهم في الخزينة وأظهر للمستعصم انه وفر من علوفاتهم خزائن أموال عظيمة توفرت في بيت المال فاعجب المستعصم رأيه وتوفيره وكان يحب المال وجمعه وما علم انه يجمعه لعدوه • وقد سئل بنو أمية بعد ذهاب ملكهم فقالوا أقوى ما نا اعتمدنا على المال واستهونا بالرجال فوفرنا المال وقللنا الرجال فأخذ العدو مالنا وتقوى به علينا وانا أبعدنا الصديق اعتمادا على صداقته وقربنا العدو استجلابا لمحبته فصار الصديق عدوا ولم يصر العدو صديقا لاستجلاب المحبة بدولته مرة • واحدة ومدبقلت ألف مرة فلم يتقلب الصديق فصار أدرى بالمضرة وكان من قضاء الله وقدره ان هولاكو خان سلطان المغول وختاي من دشت قبجاق يزحف على بلاد الاسلام وجاء بعسكر جرار لا يعلمه الا الله تعالى وكان أقوى سلاطين الاسلام اذ ذاك علاء الدين خوارزم شاه وكان علكه من العراق الى أقصى بلاد الشرق وكان له قوة وشوكة وعسكر وافر وجند مسكار فظهر هولاكو وقاتله خوارزم شاه مرارا وهو ينكسر الى ان قتل هو وأولاده وجنوده واستباح كثيرا من بلاد الاسلام وقتل من فيها بالقتل العام وصار يجول هولاكو في الديار ونار ه في غاية الاشتعال والاستعار والمستعصم ومن معه في غفلة عنه لا يخفاء ابن العلقمي عنه سائر الاخبار الى ان وصل هولاكو خان الى بلاد العراق واستأصل من بها قتلا وأسرا وتوجه الى بغداد وأرسل الى الخليفة يطلبه اليه فاستيقظ من نوم الغرور وندم على غفلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتاله

وجمع من أهل بغداد وخاصة عبيده وخدمه ما يقارب أربعين ألف مقاتل لكنهم مرفهون بابن الهاد ما كنون على شاطئ بغداد في ظل نعيم وماء معين وفاكهة وشراب واجتماع أحباب وأصحاب ما كابدوا حربا ولا ذاقوا طعنا ولا ضربا وعساكر المغل يتوفرون عن مائتي ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وسالب وباسل وقاتل يثبون وثب القردة ويتشكلون باشكال المردة يقطعون المسافات الطويلة في ساعات قليلة ويخوضون الاوحال ويتعلقون بالجبال ويصبرون على العطش والجوع ويصبرون القمص والجوع ولا يبالون بالبرد والحر والسهل والوعر والبحر والبر طعامهم كف شعير وشرابهم من طرف البير يكاد أحدهم يتقوت بأذن فرسه يقطعها ويأكلها ويصبر على

ذلك أياما عديده أو يكتفي هو وفرسه بحشيش الارض مدة مديده فوقع المصاف والتحم القتال ووقع الطراد والنزال وزحف الخميس الى الخميس في يوم الخميس عاشر المحرم الحرام سنة ست وخمسين وستمائة وثبت أهل بغداد مع رواقهم على حد السيوف وصبروا مضطرين على طعم الحتوف وأعطوا الدار حقها فاصطبروا اغمام السهام ووابلها وودقها واستقبلوا بنحورهم وجوههم مواقع الحرب وبرقها ورزقوا في تلك المكابدة الفوز بالشهاده وارتقوا في الدار الآخرة رتب السعاده وجادوا بانفسهم في سبيل الله وأجادوا أحسن اجاده واستمروا كذلك من اقبال الفجر الى ادبار النهار فعجزوا عن الاصطبار وانكسروا أشد الانكسار وولوا الادبار بالادبار وما أغنى عنهم الفرار ولاذهم الطراد الى قتال • أحد سلاحهم فيه فرار

• ضروا منه سابق الاعضاء فيه

لا يجاوزهم بار ؤسهم عثار روث الموت قداما وخلفا يختارون والموت اضطرار وغرق كثير منهم في دجلة وقتل أكثرهم أشد قتلة وأعقبهم التتار ووضعوا السيف فيهم والنار وقتلوا من المسلمين في ثلاثة أيام ما يزيد على ثلثمائة ألف وسبعين ألفا وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الدور والاموال وأخذ هولاكو جميع النقود وأمر باحراق الباقي ورموا كتب بغداد في بحر الفرات وكانت لكثرتها جسرا يمرون عليها ركبانا ومشاة وتغير لون الماء بمداد الكتابة الى السواد وكانت هذه الفتنة من أعظم مصائب الاسلام (واستؤسر المستعصم) هو وأولاده وجماعته وأتوا به الى هولاكو أسيرا ذليلا فقيرا فسبحان المعز المذل القادر القاهر تعالى شأنه الباهر وعلا سلطانه على كل ذي سلطان قاهر واستبقى هولاكو الخليفة أياما الى أن استصفى أمواله وخزائنه وذخائره ودفائنه ثم رمى رقاب أولاده وذويه وأتباعه ومتعلقيه وأمر أن يوضع الخليفة في غرارة فيرفس بالارجل الى أن يموت ففعل به ذلك فاستشهد رحمه الله تعالى في يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة ست وخمسين وانقطعت الخلافة من بني العباس وهم سبع وثلاثون أولهم السفاح وآخرهم المستعصم وبعده صار المسلمون بلا خليفة ولم ينل ابن العلقمي ما أراده ولم يستفد غير سلامة أهل الحلة من النهب والقتل بمساعدة فاتهم فان مجد الدين محمد بن الحسن بن طاوس الحلي وسديد الدين يوسف بن المطهر الحلي أرسلا كتابا الى هولاكو على يد ابن العلقمي وفيه كلام

بشنقه فشنق بالجيزة في باب المعلى تحت سبيل السلطان وطلع الامير المصري بالمحمل يوم ثمان وطلع الباشا اسمعيل بالمحمل الشامي يوم التاسع ولم يحج أحد من أهل مكة الا القليل وأخذ بعض الحجاج في طريق منى ونهبت ثيابه بعرفة من الحاج قبل وصول الامراء وقتلوا بعرفة نحو أربعة من أهل اليمن ثم بعد الحج خرج جماعة الى جدة وأخذوا الحاج الامراء الى أن تجمع أهل جدة وينزلوا دفعة واحدة ونزل دفعة أخرى فاستباح بعضهم شيء ورجع من الطريق واضطربت الناس ولم يزل الامر في شدة وصار الناس ينزلون الى جدة ببيرق عسكر من عسكر الباشا ومعهم شريف وأخذت قافلة بالدرب الشريف أحمد بن غالب وهو بلدة الركاني فارجع البعض الى أهله

•(ذكر قبض محمد باشا على الوزير جيدان وكيف كانت الاسباب)•

وفي هذا الشهر بعد النزول قبض محمد باشا على الوزير عثمان جيدان وزير الشريف سعد وسبب ذلك انه كان بينه وبين الوزير مشاحنات في أيام ولايته على بندر جدة فاضمرها في نفسه ولم يبد له شيأ من ذلك وكان يتعاطى خدمته وخدمة اسمعيل باشا ويتردد عليهما لقضاء حوائجهما وعند قرب سفرهما تواطآ على قتله فأرسلا اليه وطلباه واعتقلاه في خيمة من خيام العسكر ووكلا به شخصا من كبار العسكر وأمره أن يأتي به اليهما بعد ست ساعات من الليل ليقتلاه فلما جزم بالهلاك واشتد به الحال وآيس من الحياة استند الى صندوق في الخيمة وهو يفكر في حاله فغفي بجانب من الليل وهو على هذه الحالة فبينما هو كذلك واذا الرجل الموكل به متكئ على وجهه يصيح مدد مدد فحركه بيده وناداه باسمه مرارا فلم يجبه فتحقق نومه ثم قام الى ابريق وأخذه بيده ليبول ثم يعود فلما خرج من الخيمة قال له انهم الآن ينتبهون له ويجدونه بغفلته واهانته فعزم على العود واحس عند ذلك بدافع يدفعه الى قدامه وزوال ما كان به من الارتياع ورقد جميع الحراس المحيطين بالخيمة فتقدم ومشى ولحقه غلام له كان معه الى أن اتصل بجدار المعلاة ثم تعلق من الجدار الى داخل المقبرة واختفى ببعض الحيطان المقاربة لقبة السيدة خديجة رضي الله عنها فانتبه الحراس وأوقدوا المشاعل وفرعت الخيل والعساكر خلفه وهو يشاهدها فلما غابت عنه وزال وهمه قام ومشى في المقابر وخرج من تربة الشيخ محمد بن سليمان ثم أخذ طريق الماق حتى وصل الى المسجد ثم قصد بيت مولانا الشريف عبد الله بن هاشم شريف مكة حالا فأخفاه وأصبح الاميران يفتشان عليه فلم يجداه وخلت القضية بدفع مال عظيم وافتداه بسببه ومازال الشريف احمد بن غالب بالركاني معتزلا عن شريف مكة ومولانا الشريف عبد الله بن هاشم كان يحب أن يواليه لكونه من آله وليأمن من شره فلم يزل يتلطف به الى ان وافقه على المعاملة فلزم مولانا الشريف وطلب من الباشا أن يكتب له

يروونه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه صورته اذا جاءت العصابة التي لا خلاق لها تجري بأم الظلمة ومسكن الجبابرة وأم البلايا ويل لك يا بغداد وللدار العامرة التي لها أجنحة كأجنحة الطواويس تأتي كلها بنات الملوك في الماء يأتي بنو قنطورا ومقدمهم جهوري الصوت لهم وجوه كالمجان المطرقة وتراطن كتراطن الفيلة لم يصل الى بلد الا افتتحها ولا راية الا نكسها الى ان وصل الكتاب الى هولاكو وأمر أن يترجم فلما قرأه أمر لهم بسهم الامان وسفكوا بسبب ذلك من القتل والنهب ما كان من العلقمي بأنه واثم من ظلم بسببه وكان من أهل النار وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قلت وأما هذه الكلمات فما عليها الاوة كلام سيدنا علي رضي الله عنه ولا حلاوته وآثار الوضع ظاهرة عليها وكأنهم اخترعوه بعد وقوع القيامة وعند حصول هذه الفتنة العامة والا لاشتهر ذلك قبل الوقوع وتناقلته الرواة في كل مجموع والله أعلم بالسرائر وما تخفيه الاحشاء والضمائر

﴿فصل﴾ كان ممن نجا من سيوف هولاكو من بني العباس أحمد ولقب المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي بالله العباسي فوصل الى مصر وافدا على سلطانها اذ ذاك وهو الملك الظاهر سيف الدين بيبرس البندقداري في سنة ست وخمسين وستمائة فخرج السلطان بيبرس الى تلقيه وأكرمه وأثبت نسبه في موكب عظيم فيه قضاة الشرع الشريف وأعانه الظاهر بجيش وتوجه الى بغداد ووصل الى الفرات في ثالث ذي القعدة سنة تسع وخمسين وستمائة فقاتله فرقة من عساكر هولاكو على بغداد فقتل المستنصر ومن معه ولم ينج منهم الا القليل ولم يتم له أمر ثم وصل بعد ذلك الى مصر من بني العباس أبو العباس أحمد ولقب الحاكم بأمر الله بن الراشد بن المسترشد بن المستظهر بن المقتدر العباسي فأكرمه الملك الظاهر وأثبت نسبه قضاة الشرع بحضرته وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقته وسكن بمصر وليس له من الامر شيء وانما معه الخلافة وأولاده من بعده على هذا المنوال ليس لهم الا اسم الخلافة ويأتون به الى السلطان الذي يريدون توليته فيبايعه ويقول له وليتك السلطنة هكذا كانوا بألقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكان سلاطين الاقاليم يتركون بهم ويرسلون اليهم أحيانا يطلبون منهم تفويض السلطنة بالسان فيكتبون له تقليدا ويعهدون اليه بالسلطنة عهدا ويولونه سلطنة الجهة التي هو فيها فيتبرك بهذا التقليد ويتيمن به ولا يخفى ان هؤلاء ليس لهم من

جهة بأن دخوله برضا مولانا الشريف وضمانته ان لا يقع منه ما يضر بالرعية فكتب له وضمن مولانا الشريف انه ما يقع منه خلاف

﴿دخول الشريف أحمد بن غالب مكة﴾

فدخل مكة مولانا الشريف أحمد بن غالب سابع صفر واجتمع مولانا الشريف عبد الله بن هاشم ثم اجتمعا معا بالباشا وأرسل الباشا له هدية وفي أواسط ربيع الاول جاء خبر بقوة مولانا الشريف سعد في [illegible] المنتفقة وانه أحد عشر رحالا فعقد مجلس بمكة عند مولانا الشريف حضره الباشا والقاضي والمفتي واتفقوا على ارسال عسكر للمنتفقة وطلبوا دراهم من التجار فامتنعوا ثم حبسوا فأخذوا من بعضهم ثم أطلقوا ثم وردت كتب من الشريف سعد لمولانا الشريف والباشا والشريف أحمد بن غالب مضمونها ان ما وقع من السلطنة انما كان لما رسامهم من الاسد اماني قتلت شيخ الحرم المدني وبعض الاروام بمكة ونهبت الحجرة وكل ذلك لم يكن وأنا داخل البلد أطالب شرع الله وحجة من القاضي أتوجه بها الى أبواب السلطنة واياكم والمنع فاني مقاتل على الدخول من قاتلني فاستدعى الشريف أحمد أغاوات العسكر وأخبرهم ان الشريف سعدا اعتمد وعرفوا الباشا بذلك في جدة فطلع الباشا من جدة ومعه العساكر وجاء الخبر أن الشريف سعدا وصل الليث مقبلا ففرق العساكر على جبال مكة وعمر المتاريس وفرق المدافع في الطرق وفي غرة ربيع الثاني نادى منادي مولانا الشريف عبد الله بن هاشم في البلد بالنفير العام فاغتم الناس لذلك وفي ثالث ربيع الثاني وصل مولانا السيد أحمد بن حازم بن عبد الله والسيد عثمان بن جازان من عند الشريف سعد وأخبرا بأن الشريف سعدا في أقوام عظيمة لا تكاد توصف فاجتمع مولانا الشريف عبد الله بن هاشم ومولانا الشريف أحمد بن غالب عند الباشا في الصحن الى الظهر واستدعوا كبار العسكر المصري من السبع البلكات ثم خرجا من عند الباشا ثم ان الباشا كتب صورة فتوى كتب عليها المفتي عبد الله عتاقي وأمر العلماء بالكتابة عليها ومضمون ذلك جواز قتال من اراد الدخول على صاحب مكة وان القائم بأمرها المخاطب بذلك وجميع من بها من أرباب الدولة وذوي القدرة على الدفاع فكتبوا عليه وفي ليلة رابع ربيع الثاني تفرقت عساكر مصر في كل رأس منهم جماعة وباتوا ساهرين الى الصبح مخافة ان يدهموا البلاد ولم يزالوا كذلك الى ليلة السابع من ربيع الثاني ففي صبح ذلك اليوم جاء الخبر بوصول مولانا الشريف سعد من أعلى مكة فكان أول من قام في هذا الامر والقتال الشريف أحمد بن غالب فركب في خيله وسلاحه وجماعته ومن يلوذ به وأظهر القوة وكذا من معه من الاشراف الى مولانا الشريف عبد الله بن هاشم وطلعوا بهم المعلى هو ومولانا الشريف عبد الله

الخلافة والصورة كما كان للخلفاء العباسيين ببغداد الحجور عليهم من جهة امرائهم الا صورة الخلافة فقط وهؤلاء ليس لهم ولا تلك الصورة أيضا وانما لهم الاسم المجرد عن المعنى من كل وجه ولكن شيخ شيوخنا الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى عدهم من جملة العباسيين وكتب تاريخا للخلفاء ذكر هؤلاء من جملتهم وقام بشأنهم واعتبارهم وآخر من ذكره منهم في تاريخ الخلفاء ﴿المتوكل على الله أبو العز عبد العزيز بن يعقوب﴾ بويع له يوم الاثنين السادس والعشرين من المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة بحضرة السلطان الاشرف قايتباي والقضاة والاعيان بالقاعة في مصر ثم ركب من القلعة الى منزله وكان يوما مشهودا وبه ختم كتابه تاريخ الخلفاء ورأيت في تاريخ الطيب للحافظ السيوطي أيضا سماه الوفيات في الرقيات ان في سنة ثلاث وتسعمائة مات في المحرم منها الخليفة المتوكل على الله أبو العز العباسي المصري رحمه الله تعالى ﴿وعهد لابنه يعقوب ولم يلقبه فلقبه الناس المستمسك بالله﴾ قلت واستمر يعقوب المستمسك بالله خليفة الى ان كبر سنه وكف نظره ودخلت أيام الدولة الشريفة العثمانية وافتتح السلطان الاعظم والخاقان الاقهر الافخم السلطان سليم خان بن السلطان بايزيد خان مصر القاهرة وقهرها وأزال عنها مظالم الجراكسة وعاد مع الفتح والبشرى الى دار السلطنة الكبرى قسطنطينية العظمى فتوفي الخليفة المذكور بمصر لعشر بقين من ربيع الثاني سنة سبع وعشرين وتسعمائة أخذ معه كما الى اسطنبول عوضا عن والده يعقوب المستمسك بالله لكبر سنه وذهاب نظره فلما توفي السلطان سليم رحمه الله عاد المتوكل على الله هذا الى مصر وسار خليفة بها واستمر الى الناس

آن توفي الى رحمة الله تعالى لاثنتي عشرة ليلة مضت من شعبان سنة خمسين وتسعمائة في أيام المرحوم داود باشا الخادم صاحب مصر رحمه الله تعالى وبموته انقطعت الخلافة العباسية الصورية بمصر أيضا وكان المتوكل هذا فاضلا أديبا له شعر فمنه قوله

لم يبق من عشن يرجى ولا حسن ٭ ولا كريم اليه مشتكى الحزن وانما ساد قوم غير ذي حسب ٭ ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني

ضمن قول الطغرائي من لامية العجم ما كنت أوثر ان يمتد بي زمني ٭ حتى أرى دولة الاوغاد والسفل وقد اجتمعت به وأخذت عنه في رحلتي الى مصر لطلب العلم الشريف في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكانت مصر اذ ذاك مشحونة بالعلماء العظام مملوءة

ثم ان مولانا الشريف سعد الماوصل الى المعابدة عند بستان الوزير عثمان حميدان رجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة والطلقت العربان على جبال مكة والمتاريس فذبحوا من بها وقرمن فر واستولوا على المعلى ثم انطلقوا الى ما حول البلد من المتاريس وشرع القتل في المعلى في جماعة الشريف أحمد بن غالب والشريف عبد الله بن هاشم الى ان قتل أغلبهم واسعف الله بمطر ارد ما كان هناك بالمتاريس من النار وفرق بين الفريقين ونزل الشريف عبد الله والشريف أحمد بن غالب من المدعى الى باب السلام ودخل الليل فلما أصبحوا رجع الامر الى ما كان من الحرب والقتل والسيف يعمل والعسكر تقتل وكان ذلك يوم الجمعة فلما جاء وقت الصلاة الا وقد ملكت العرب جبل أبي قبيس وعطف جماعة منهم على جياد فلما ظهر للسادة الاشراف ما ظهر من تلك الامور والاحوال العظيمة خرج الشريف عبد الله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب ومن معهم من الاشراف متوجهين من أسفل مكة الى الركاني بين مكة وجدة بلد مولانا الشريف أحمد بن غالب ونزلا به ثم ارتحلا الى الديار الرومية الى ان توفيا بها

﴿وفاة الشريف أحمد بن غالب سنة ١١١٣ وكذلك الشريف عبد الله بن هاشم في السنة المذكورة﴾

فتوفي الشريف أحمد بن غالب سنة ثلاث عشرة ومائة وألف وتوفي الشريف عبد الله بن هاشم في السنة المذكورة أيضا ومدة دولة الشريف عبد الله بن هاشم أربعة أشهر من غير زيادة ولا نقصان وبعد ارتحال الشريف عبد الله بن هاشم والشريف أحمد بن غالب الى الركاني اجتمع ناس من العلماء عند القاضي وقالوا له ان كان لهذا الباشا قدرة على دفاع هذا الرجل فليخرج لدفاعه فان جلوسه في بيته وقد استمر القتل بعسكر مصر وبالناس وان لم يكن لكم قدرة على دفاعه فالواجب عليكم دره هذه الفتنة بالنداء للشريف سعد واقتضى رأي الجماعة حضور شريف من كبار الاشراف فطلب القاضي حضور السيد أحمد بن سعيد فامتنع فبينما هم في المجلس جاء رسول من الباشا يقول ان الباشا يقول لا غرض لي في أحد فاذا جاءكم ناس يريدون عدم القتال وذكروا من يولون من الاشراف فانا تبع لهم فقالوا له أين الاشراف الذين يريدون ان يولى واحد منهم فانك لا تجد الآن أحدا يقدم على هذه المكانة فالرأي ان تصلحوا للشريف سعد وتنادوا له وتخمدوا هذه الفتنة فرجعوا الى الباشا واخبروه فطلب الجماعة الذين عند القاضي فما وصل اليه منهم الا أربعة فلما أن دخلوا عليه حصل لهم خوف كثير بجعل يهدد ويقول نحن قائمون على حفظكم بعد ان كتبتم لنا على الفتوى بجواز قتاله فكيف هذا الاختيار منكم له اليوم فقالوا له أيها الباشا وهكذا

بالفضلاء العظام محفوفة بمن بركات المشايخ الكرام كأنها عروس تهادى بين أقمار وشموس ثم انقضت تلك السنون وأهلها •
فكأنها وكأنهم أحلام

•(الباب السادس في ذكر ملوك الجراكسة ولاة بعضهم أو أكثرهم عمر في المسجد الحرام وسبق لهم فيه من الترميم والنظام لما صاروا من سلاطين الإسلام)

اعلم أن الجراكسة جنس من الترك في جنوب الأرض لهم مسدان عامر قواه جبال وعن أربع يرعون الغنم ويرعون وهم تابعون السلطان خوارزم وملوك هذه الطوائف تلك سراي كالرعية يقاتلونهم ويسبون منهم النساء والأولاد ويجلبونهم الى أقطار البلدان والآن هم كذا ذكر المقريزي في عقوده قال واستكثر المنصور قلاوون صاحب مصر من ملوك الأتراك بعد الأيوبية ملوك

الأكراد أصحاب مصر من شرى المماليك الجراكسة وكذلك ولده وبنوه وأدخلوهم في الخدم الخاصة فصاروا أجنادارية وجامدارية وجاشنكيرية وأمراء وكبروا وعظموا هم وسلكوا طريق أسيادهم من ملوك الترك وداخلوا السلطنة وغلبوا عليها واستقلوا بها واستكثروا من جنسهم وعملوا لها قوانين وقواعد انتظمت بها دولتهم وولي منهم ومن أولادهم السلطنة بمصر اثنان وعشرون ملكا وكانت مدة ملكهم مائة وثمانيا وثلاثين سنة •(وأولهم السلطان الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص العثماني الجركسي) كذا ذكره المقريزي في عقوده وخططه وقال الجمال يوسف ابن تغري بردي هو جركسي الأصل قام بدولة الجراكسة جلبه عثمان ابن مسافر ولذلك يقال له برقوق العثماني فاشتراه الأتابك يلبغا العمري وهو من جملة الأتراك الذين مسهم الرق من مماليك أجلب المتغلبين عليهم بمصر ومات يلبغا وهو من صغار مماليكه وتنامى برقوق التحوط في عينه وتقلبت به الأحوال الى أن صار أمير مائة ألف مقدم وكان أتابكا للملك الصالح حاجي بن الأشرف شعبان بن الأمجد حسين بن الناصر محمد بن قلاوون وهو الرابع والعشرون من ملوك الأتراك من مماليك الأيوبية الأكراد المتغلبين عليهم ثم الجراكسة وكان سن الملك الصالح لما ولي السلطنة عشرة أعوام ليس له من السلطنة غير الاسم فلزم الأمير الأتابك برقوق أن يخلع الملك الصالح ويتولى السلطنة بدله فخلعه بعد سنة ونصف سنة وذلك في يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة ومن آثاره مدرسة أنشأها بين القصرين كان مشيد

الناس فكأنه عرف الحق فأمر بالخروج وخف على أبناء جنسه فأمر بالتعجيل والتبدل فحصل ذلك ووصل مولانا الشريف سعد بعزله بسوق الليل ونودي له وحصل الأمن فهرب العرب الا البلد لصاحبها ونودي بالزينة ثلاثة أيام وخرج مولانا الشريف وجميع العساكر الى بستان الوزير عثمان حميدان بالمعابدة ونزل في الأرض يوم السبت تاسع ربيع الثاني وقدم العساكر المصرية وجاء العرب من خلفه وهم كالسيل حتى ملؤا ذلك الوادي الى أن وصلوا سوق المعلى فعطف بالعسكر على سوق الليل ولم يزل سائرا الى أن وصل الى باب علي فبعث للعسكر ان يطلعوا من السوق الكبير الى بيوتهم فلما انتهى آخرهم تقدم هو بمن معهم من العرب حتى دخل منزله وامتلأ بهم ذلك الوادي ثم أمر بهم الى أجياد فدخلوها وجعلوا يدخلون شيئا فشيئا الى ثاني يوم وجلس [illegible] يوم السبت وطلع له الناس ومدحته الشعراء واستقرت البلاد وتقلد الحمد وبعث اليه الباشا بفرو سمور ألبسه اياه الآن بعض العرب خرج بما نهب من الأموال يبيعها في السوق على رؤس الأشهاد وما أمكن رد شيء منها وفي يوم الأحد ألبس الوزير عثمان حميدان الفرو الذي ألبسه الباشا وجعله وزيرا كما كان وطلب له أصحاب الإدرارات فخلع عليهم ولما كان يوم الخميس الرابع عشر من ربيع اجتمع بالباشا في مدرسة ابن عتيق بعد صلاة الظهر وجلس عنده ساعة ورجع الى بيته ثم بعث له مولانا الشريف مركوبا من اصطبله بكامل العدة ولما كان يوم السبت نزل الباشا الى جدة وركب مولانا الشريف معه الى الشيخ محمود ومعه ولده مولانا الشريف سعيد فودعه فنزل الباشا عن حصانه وقدمه له لما أراد الرجوع وقدم لابنه أيضا مركوبا من مراكبه وسار الى جدة ورجع مولانا الشريف الى بيته واستمر مولانا الشريف وكتب للأبواب السلطانية يعتذر اليهم عما وقع فقبلوا عذره وجاءه التأييد والتشريفات

•(الولاية الثالثة للشريف سعد)•

وهذه الولاية الثالثة لمولانا الشريف سعد ثم ان مولانا الشريف أمر وزيره الخواجا عثمان حميدان أن يصنع ضيافة للعرب في بستانه في المعابدة فعمل لهم سماطا حضره مولانا الشريف وابنه واستمر واحتفل الى العصر ثم أقام العرب بعد ذلك مدة يسيرة وأذن لهم في الرجوع فرجعوا شاكرين وأبقى أناسا منهم بمكة ثم جاء الخبر من المدينة بامتناعهم من النداء لمولانا الشريف ثم عادوا ودخلوا في طاعته ثم جاءت الأخبار بأن الشريف أحمد بن غالب والشريف عبد الله بن هاشم توجها الى ينبع وأخذا منه أتى اردب حب لأهل مكة وما بين لقاضي مكة ورابع صاحب مكة وجاء الخبر أيضا بأنهم كتبوا عرضا لصاحب مصر وبعثوه ثم ان الشريف جهز جماعة

عمارة أمير كبير الخليلي فقيل له في ذلك شعر

قد أنشأ الملك السلطان مدرسة • فاقت على ارم مع سرعة العمل
يكفي الخليلي ان يأتي بآلته • هدم الجبال لها فضلا على جبل

وعمر الحرم المكي ما احتاج الى العمارة مما تهدم من المسجد الحرام وسار الركب الرجبي من مصر الى مكة بعد ما أبطل انقطاعه واستكثر من المماليك الجراكسة فاستمروا متغلبين على ملك مصر الى ان كثر ظلمهم وزاد عسفهم وتعديهم فأزالهم الله تعالى بعد ذلك بالسيوف الصارمة العثمانية وشرفت بدولتهم القاهرة مصر والقطر اليوسفية الشامية ملكهم الله تعالى كافة البسيطة وجعل مقاليد أمورهم عامة بسائر أهل الارض محيطة ودولة الظاهر برقوق متمكنا بجمع أموال الاوقاف وأكثر من (١٢٦) المماليك الجراكسة فتمكنوا من الملك ولا عبث بعد المماليك الجراكسة بملك مصر وصاروا ملوكها وسادة فيها بالقوة والغلبة والاستيلاء وكانت تقع دعوى وقتال وجدال وجدال وقتل نفوس بحرب البسوس وشدة وبوس الى أن يستقر الامر على واحد منهم فيركب في شعار السلطنة واصطلحوا على هيئة خاصة أخذوها عن الملوك الايوبية الاكراد وزادوا فيها ونقصوا وكان ذلك الوضع مقبولا عندهم وان لم يعرف تحسين ويقبح وان كان صورة مضحكة عند من لا يألفها ولكل اقليم وضع خاص لسلاطين ذلك الاقليم يكون مهيبا مقبولا في أعين أهل ذلك الاقليم لالفهم لتلك الهيئة لسلاطينهم فكان من شعار السلاطين الجراكسة عمامة ملفوفة بصناعة مكلفة يجعلون في مقدمها وخلفها ويسارها شكل منه قرون بارزة من نفس العمامة ملفوفة من نفس الشاش يلبسها السلطان في مواكبه ودوانه ويلبس قفطانا من قماش   وأقام الثياب يكون على كتفه الايمن طراز مزركش بالذهب وكذلك على كتفه اليسار الا ان ذلك ليس مخصوصا بالسلطان بل يلبس ذلك من أراد من الامراء ومن دونهم ويخلع بهذا الثوب المطرز من أراد ويحمل على رأس السلطان قبة لطيفة وفي وسط ذلك صورة طير صغير يظلل السلطان بتلك القبة والذي يحملها على رأس السلطان أمير كبير وظيفته أن يصير سلطانا بعد ذلك وأكابر أمرائه أربعة وعشرون كبيرا لطائفة على بابه مسمى او سمرا كل واحد منهم أمير مائة مقدم على ألف بمنزلة البكلربكية عندهم يلبس كل واحد منهم عمامة بأربعة قرون ودونهم أمير عشرة مقدم مائة بمنزلة الصنجق يلبس كل واحد منهم عمامة بقرنين ودونهم الطبلخانة

من العسكر الذين بمكة وبعثهم الى جدة فلما عزموا الى ينبع على البحر وما رأى الباشا في ارسالهم فلذا فرجعوا وفي شهر رمضان ورد من الابواب السلطانية خلعة لمولانا الشريف ومرسوم بالتأييد له وفيه الاخبار بوفاة السلطان أحمد بن ابراهيم وتولية السلطان مصطفى بن أحمد بن ابراهيم فقرئ المرسوم بالحطيم ولبس الخلعة وأمر بالزينة ثلاثة أيام والذي في تاريخ السنجاري ان الخبر بورود الاغا الذي معه المرسوم جاء في رمضان فكان الامر بالزينة وأما وروده الى مكة وقراءة المرسوم المذكور فكان في رابع عشر شوال ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف لملاقاته على العادة ولبس الخلعة الواردة اليه وحج بالناس وكانت الحجة بالجمعة ثم لما دخلت سنة سبع ومائة وألف أرسل مولانا الشريف أخاه الشريف محسن بن حسين متوليا على المدينة واستمر هنالك الى أن توفي وفي شهر جمادى الاولى توجه مولانا الشريف لزيارة الشرق ولم يرجع الا ثاني ذي الحجة وورد له القفطان السلطاني والمراسيم على المعتاد وحج بالناس وفي سنة ثمان توفي ثاني عشر ذي الحجة مفتي مكة عبد الله افندي عتاقي وولادته سنة تسع وأربعين وألف وأقيم بعده في الفتوى الشيخ عبد القادر ابن أبي بكر الصديقي ولم يزل مولانا الشريف سعد متفقا مع السادة الاشراف متألفا لهم الى سنة اثنتي عشرة ومائة وألف فحصل بينه وبين الاشراف ذوي عبد الله منافرة لعدم الوفاء بمعاليمهم فثار عليه ذوو عبد الله عن آخرهم وكان من جملتهم السيد أحمد بن حازم بن عبد الله وعزموا على الخروج ثم خرجوا من مكة وهم نحو أربعين شريفا فاقتفى أثرهم ووعدهم ورحل الى جدة ونزل منهم معه جماعة وأخذ لهم من التجار دراهم وأعطاهم ثم ثاروا عليه مرة أخرى سنة ألف ومائة وأربعة عشر فالتووا في معاليمهم وادعوا عليه بعدم الوفاء بها ولم يتم لهم معه حال فخرجوا مغاضبين له خالعين على الشريف وتوجهوا الى جهة الطائف وتعرض بعضهم للقافلة عند خروجهم ونهب بعض الجمال فأرسل ذوو الحسين وأرسل الشريف المشايخ ذوي عبد الله وعرفهم ما وقع من رفقائهم ثم سلطن السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات بن أبي نمي وكان في ذلك الوقت شيخ ذوي بركات ورد وكتب وبينه توجه له في وجهه فقبل ذلك فأرسل السيد عبد الكريم لذوي بركات الذين في الوادي وأكد عليهم في هذا الدرب وقال لهم متى آنستم أحدا من السادة الاشراف الجلاوية سونكم قريبا منكم فاسرعوا ان تعرفنا بذلك وردوهم على شيء يعرفه فلما كان خامس عشر ربيع الثاني أرسل بعض الاشراف الذين بالوادي قاصدا الى مكة للشريف سعد والسيد عبد الكريم يعرفهما ان السادة الاشراف الجلاوية مروا على البقاع ومعهم غزو قاصدين درب جدة ففزع الشريف سعد عصر يومه وفزعت جميع الاشراف والعسكر

يكون له فرس وخدام وعلى رأسه زنط عليه عمامة بعذبة يديرها من تحت حنكه ودونهم الجلبان وهم مشاة على رؤسهم طواق
من جوخ أحمر ضيق من موضع يدخل فيه رأسه واسع من أعلاه لا يطابق رأسه وملابس أكثرهم الملوطة البيضاء المصقولة يكون
على كتفه طراز من مخمل أو أطلس أو مزركش وفي أوساطهم شدود بيض مصقولة يشدون بها أوساطهم ويسبلون طرفها الى
أنصاف سوقهم وكانت التجار تجلب المماليك البيض من بلاد جركس ويصلون في أثنائهم الى أن كثر عددهم وبلغوا نحو عشرين
ألف فارس . وكانت لهم اصطلاحات في تربيتهم وكانت لهم الطباق يوقفون بها المعلمين من حفظة القرآن وكان الطالب يرسل
أولا الى الطبقة فيتعلم الخط والاستخراج والصلاة والقراءة حسب ما له فقد يترقى في الخط ومعرفة القرآن
والفقه وأمور دينه ثم
يترقى الى مرتبة الثقافة
والصراع ورمي السهام ثم
يترقى الى الفروسية الى
أن يتفرس في كل ذلك ثم
يترقى الى الخاصكية ثم الى
الدوادارية والتقدمة ثم
الى السلطنة فكان غالب
السلاطين في درج كل واحد
منهم من حين يجلب الى
السوق ليباع الى أن يموت
حتى ان واحدا من
الجلبان جلب وهو صغير
فاحش القرص فاشتراه
التاجر فقال له لا تبعه
هل يلي الملك الا أعرج
سلطانا في مصر [illegible] فقد
كانوا [illegible]
مع [illegible] ومداراته
لمن صادقوه وكانت أوراق
مصر بيدهم وكانت
أهل مصر تلاعب [illegible]
فيما بيدهم من الاوراق
وكانوا يسعدون [illegible]
ومباشريهم [illegible] كانوا
يختارون عربا لهم
مباشر وهم النصرانية
مصارف فيكون للجندي فقيه يعلمه القرآن وامام يصلي به ومكتب ومباشر يكتب دخله وخرجه وخزندار وركابدار وجامدار
ومهتار ومراح ومكاليس وحلاق وغير ذلك وحلوى وتفكها وكانوا في رفاهية وكان أهل مصر يعيشون في ظلهم رغدا بحيث ان
أسمطتهم كانت تكفي سائر جيرانهم وكانت خدامهم تبيع ما يفضل من طعامهم للناس من الدجاج والاوز وسائر الاطعمة وكان لهم
سوق يباع فيه ما يفضل من أطعمتهم وكانوا يتفاخرون ببناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والترب وكانت لهم خيرات
جارية ومبرات عالية الى ان فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت منهم المصادرات وغلبت سيآتهم على حسناتهم وزادت مظالمهم
على خيراتهم ومالوا الى العوائد المفسدين واخلوا بشعائر الشرع والدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار

وأوامره فأما بمكة السيد عبد الله بن سعيد بن شنبر وخرج هو ومن معه ونزلوا بالوادي وسمع
قاصد العسل المسمى بالجابر وتقدم له بعض السادة الاشراف ذوي [illegible] وهو السيد محسن بن
عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي متقدما عن رفقائه فلما التقاه سألوه فقال
قصدي مواجهة الشريف فأرسلوا الى الشريف سعد عرفوه بذلك فلما رآه قال للاشراف
لا أحد منكم يدخل محسن بن عبد الله ثم لما وصل السيد محسن وأقبل على الشريف ترجل ونزل
أيضا الشريف سعد وزاره هو والسيد محسن ثم قال له من أين جئت فقال من عند [illegible] قصدي
العصبة فقال له الشريف سعد [illegible] فقال [illegible] والذين معكم [illegible] هم
الشرقي عنهم أين يقصدون قال لا علم لي بهم فالزمه على ذلك ثم أراد أن يحلفه ثانيا فدخل على السيد
عبد الكريم بن محمد بن علي فأدخله وتكلم مع الشريف سعد في شأنه فقال له احفظه حتى ننظر من
غزونا فأرسله السيد عبد الكريم الى بيته بالوادي ومشى الشريف سعد والاشراف في طلب
القوم الى أن وصل الى الخيام فسأل عن الاشراف الجلوية والغزو الذين معهم فأخبروهم انهم
أخذوا على البقاع وقصدوا درب جدة فرجع الشريف سعد ومن معه على الوادي ثم وصلوا جدة
ولاقوا بها [illegible] وأخبر الشريف بان الاشراف الجلوية غزوا ونهبوا البلاد [illegible]
الشريف سعد أتعرف محلهم قال نعم قال انت الدال عليهم فسار بجيشهم [illegible] سيرهم
فأدركوهم عند الظهر [illegible] وجميع ما أخذوه من [illegible] فأقبل عليهم الشريف ومن معه من
الاشراف والعسكر وكان معه كتخدا الوزير سليمان باشا وبعض أشخاص من أتباع الوزير واقتتلوا
معهم وقتلوا من القوم زهاء ثلاثين غير المصابين وكان مع الاشراف الجلوية من شيوخ العرب
[illegible] شيخ الروقة وربعه وحسين بن سويدان شيخ مطير وربعه فنهب الشريف ومن معه من
الاشراف جميع ما كان معهم من الابل والبنادق وغير ذلك وردوا على هيتم جميع ما أخذ منهم
وردوا أيضا على الجلوية بعض خيل وركاب بواسطة بعض الاشراف وكانت هذه الواقعة يوم
الاحد سابع عشر ربيع الثاني ووصل خبرها الى مكة يوم الاثنين فدق الزير وألبس البشير على
معتادهم وركزت علامة النصر في بيت الشريف على جري عادتهم وفي هذا اليوم نزل الشريف على
السيد مبارك بن علي فاستعاده وأصبح يوم الاربعاء بمكة وجلس للناس وأما السادة الاشراف الجلوية
فاستمروا خارج البلد الى أواخر جمادى الثانية وفيه اصطلحوا مع مولانا الشريف وكان الساعي
بينهم بالصلح السيد أحمد بن سعيد بن شنبر والسيد محسن بن زين العابدين بن عبد الله وتوجهوا
لملاقاة مولانا الشريف واتفقوا معه على ان يعطيهم معلوم شهر ويكونوا السوقة ثم ان

الظلم خراب ولو بعد حين والملك يدوم بالكفر ولا يدوم مع الظلم والله لا يحب الظالمين وان الملك بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴿وكانت﴾ مدة سلطنتهم بمصر من سنة أربع وثمانين وسبعمائة الى سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة . وهذا كلام وقع في البين فلنرجع الى أحوال الملك الظاهر برقوق فنقول بعد سلطنته استمر على حاله سلطانا الى ان خلع فاحبس في الكرك ثم استخلص من الحبس وجمع الجيوش وقاتل وغلب على المملكة وأعيد الى السلطنة وصار يتتبع أعداءه ومن خرج عليه وخالفه الى ان استأصلهم وما صفا له الزمان وظن أنه أمن وأين الامان من يد الدهر الخوان ومالت شمس سلطنته الى الزوال واعترى بدر جماله ولا بد من المحاق بعد الكمال ورفرف (١٢٨) الزوال على برقوق وتباعد الاتصال ﴿فعهد بالسلطنة الى ولده السلطان فرج بن برقوق﴾ وطلب الخليفة والقضاة والامراء واشهد على نفسه انه نزل عن السلطنة لولده فرج وسنه عشرة أعوام وعين الاتابك ايتمش البجاسي لتدبير المملكة وتوفي الى رحمة الله في ليلة الجمعة وقت التسبيح منتصف شوال سنة احدى وثمانمائة وفي ذلك يقول أحمد المصري الشاعر

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك
الى ربه يرقى الى الطائف الدرج
وقالوا ستأتي شدة بعد موته
فاكذبهم ربي وما جاء سوى فرج

وخلف الظاهر برقوق من الذهب العين ألفي ألف دينار ومن القماش والاثاث ما قيمته ألف ألف وأربعمائة ألف ومن الخيل المسومة والبغال الفارهة ستة آلاف ومن الجمال البختية خمسة آلاف جمل وكان عليق دوابه في كل شهر أحد عشر ألف اردب شعير وفول . وفي أيام الشريف الناصر فرج بن برقوق وقع الحريق في المسجد الحرام في ليلة السبت لليلتين بقيتا من شوال سنة اثنتين وثمانمائة . وسبب ذلك ظهور نار من رباط رامشت الملاصق لباب الحزورة من أبواب المسجد في الجانب الغربي منه ورامشت هو الشيخ أبو القاسم ابراهيم بن الحسين الفارسي وقف هذا الرباط على الرجال الصوفية أصحاب المرقعات في سنة تسع وعشرين وخمسمائة فترك بعض سكان الخلاوي سراجا موقدا في خلوته وبرز عنها فضربت الفأرة الفتيلة فقبلة السراج منه الى خارجه فأحرقت الخلوة واشتعل اللهب في سقف الخلوة وخرج من شباكه المشرف على الحرم الشريف واتصل بسقف المسجد الحرام والتهب به وعجز الناس

ما مضى لا يعاد واستمر مقيما على الاتفاق والمحبة وفي سنة ألف ومائة وثلاث عشرة استحسن ان يعرض للدولة العلية تولية ولده الشريف سعيد مقامه في شرافة مكة وينزل عنها له فكتب عرضا وأرسله الى الابواب العالية فاجيب الى ذلك وجاء الجواب في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وجاءت المراسيم بولاية الشريف سعيد مع آغا مخصوص وأدخلوه مكة بالاي أعظم وجلس في الحطيم مولانا الشريف وصاحب جدة والقاضي والمفتي وأعيان الناس وورد الاغا الى الحطيم بالامر السلطاني والتشريف فلبس مولانا الشريف سعيد وألبس أرباب المناصب على جري العادة وباب الكعبة مفتوح الى ان انقضت قراءة الاوامر وكانت ثلاثة وفيها الوصية على الحاج والرعايا والمجاورين كما هو العادة ودعا الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي واقتضى رأي مولانا الشريف سعيد الجلوس للتهنئة في المدرسة القريبة من المسجد فدخل مولانا الشريف سعيد فقبل يديه وركبتيه وهو يدعو له وعينا كل منهما تذرفان بالبكاء من شدة الفرح ثم خرج من عند والده وركب الى داره التي بسوق الليل المباركة ومدحه الشعراء بقصائد

﴿الولاية الثالثة للشريف سعيد بن سعد سنة ١١١٣﴾

ولما كان يوم انتصف طلع الآغا الوارد بالقفطان بخلعة سمور وكتاب آخر خاص لمولانا الشريف سعيد وألبسه اياه والوارد عليه من الابواب زيادة في الاكرام والعناية وخوطب في كتابه بغاية التلطف وهذه الولاية الثالثة للشريف سعيد لكن ما قبلها كان بغير أمر سلطاني ولما جاء الحج خرج مولانا الشريف سعيد للبس الخلعة وخرج معه والده فلبس الشريف سعيد الخلعة ورجع وحج بالناس ومن الوقائع في هذه السنة ان أمير الحاج الشامي ذهب له باثناء عسكره غلام وذهب لابن أخت الباشا امير جدة غلام فصار كل واحد يسأل عن غلامه فاخبر لابن أخت الباشا ان غلامه عند باشا العسكر الشامي معزوز فذكر له فأخذه فلما وصل الى الباشا أمير الحاج الشامي أمر بأخذه في الحديد فأخذ وجعل في الحديد وخرج الباشا بالمحمل يوم عشرين وهو معه في الحديد وكان الباشا صاحب جدة قد نزل الى جدة لاستلام المراكب الهندية فأرسل مولانا الشريف سعيد الى الباشا يشفع في اطلاقه فلم يقبل شفاعته ثم أرسل قاضي مكة فلم يقبل وسار به معه ولم يلتفت الى أحد فلما وصلوا الى عسفان وجدوا غلام باشا العسكر الشامي فاخذ الغلام ولم يطلق المعتقل وسار به الى المدينة فتكلم فيه شيخ حرم المدينة وفكه بنحو عشرين كيسا ورجع من المدينة الى جدة ولم يزل مولانا الشريف سعيد ووالده متفقين مع الاشراف الى سنة خمس عشرة ومائة وألف فتشاجر مولانا السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة بن موسى بن بركات مع مولانا

من طاقته لعلوه وعدم وصول اليد اليه فعم الحريق الجانب الغربي من المسجد الحرام واستمرت النار تأكل من السقف وتسير ولا يمكن الناس اطفاؤها لعدم الوصول اليها بوجه من الوجوه الى ان وصل الحريق الى الجانب الشامي واستمر يأكل من سقف الجانب الشمالي الى ان انتهى الى باب العجلة وكان هناك اسطوانتان هدمهما السيل العظيم الهول الذي دخل المسجد الحرام في اليوم الثامن من جمادى الاولى من هذا العام يعني عام حريق المسجد الحرام وأخرب عمودين من أساطين الحرم الشريف عند باب العجلة بما عليهما من العقود والسقوف فكان ذلك سبب الوقوف الحريق وعدم تجاوزه عن ذلك المكان والا لعم المسجد الحرام جميعه من الرواقات الاربعة واقتصر الحريق الى باب الحزورة رحمه الله تعالى باقي المسجد الحرام وكان من اتفق انه يدق خفاه عن فهم الذكي فصار ما احترق من المسجد الحرام اكواما عظاما تمنع من زيارة الكعبة الشريفة ومن الصلاة في ذلك الجانب من المسجد وقال النجم بن فهد وشاع في أهل المعرفة ان هذا منذر بحادث جليل يقع في الناس وكان ذلك مقدم وقعة الخراب العظيمة بقدوم تيمورلنك الى بلاد الشام وبلاد الروم وسفك دماء المسلمين ونهب أموالهم واحراق مساكنهم ودورهم كما هو مذكور في التواريخ المفصلة (وقال الحافظ السخاوي) في ذيله على دول الاسلام للذهبي رحمه الله تعالى وفي آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة وقع الحريق الذي حرق عظيما أتى على ثلث المسجد الحرام ولولا العمودان اللذان وقعا من السيل قبل ذلك لاحترق

الشريف سعيد الامر اقتضاه خروج مغاضبا ومرج نائب جدة مع جماعة من آل عمه آل بركات ثم اتسع الخرق فخرج جماعة من كبار الاشراف ومشايخ من آل الحسن وآل قتادة وتعاظم الاسباب فالتجئ المتالفة في المعاليم وأشد كل لنفسه أجله وتوافق الخارجون وتحالفوا وتعاهدوا على المعاندة الكاملة فقام مولانا الشريف سعيد ساعيا في الصلح بينهم وبين ولده وقام معه في الصلح جماعة من الاشراف واجتهد في ابانة الاعذار بما أمكن وتقطعت بسبب ذلك السبل ونهبت الاموال من طريق جدة وسائر الجهات فكم من مال أخذوه وقتيل نبذوه ثم ان الشريف سعيدا ذهب اليهم بنفسه بوادي مر وضمن لهم وقام بجميع ما يتبع لهم من المعلوم وقال لهم ان الزمت ولدي تسليمه الا ان مقدر ولكن يحسن لهم أخذ العوض بينه وبينهم ومتى وافاه الكفيل الا انه فرضوا بذلك وشرطوا عليه شروطا منها انه ان وقع في الطريق من النهب والقتل ومنها انهم يكونون على ما يعاهدوا واعطاه من غير نقص لرسومهم ومنها انه ليس لهم لزومه الا ان يكون بدلا معهم او يكون في وأتت عليه بعض امورهم ذلك وقبلوا واستشاروا ان يدخل مكة معه جماعة منهم فلا يعارضه الشريف سعيد فدخل مكة ومعه جماعة من الاشراف منهم ابن أخيه السيد عبد المحسن بن أحمد ابن زيد والسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى وحسن بن غالب ومسعود بن يعلى فدخلوا وقابلوا الشريف سعيدا وبدؤا عليه ودار السعار فخرجوا من عنده ولم يتفقوا بشيء وعزم الشريف سعيد على ولده منصور بن سعيد بن عمه والمنع وأبى وقال لهم أحلف لكم في جميع ما أخذ ومن الناس من الاموال وأحسبه من معاليمهم ولا بد ان يتركوا هذا الخاطر الذي بينهم وبينا على كل واحد وحده فلما بلغهم ذلك رجعوا الى مر الظهران وتوعدهم عليه بعد ان الزموا الشريف سعيد ان يعطيهم البلد وطلب الشروط ولما قرب شهر الحج واحتاج الناس الى قضاء اشعار الحج ومناسك الوقت تصدى الوزير سليمان باشا صاحب جدة فاستكمل هذه الحركة الفتنة والتامة فقال في ذلك اليوم فكاتب السادة الاشراف وعاهدهم وضمن لهم جملة مما هو لهم في العادة من المال بدلا او متوسطة فصدق رضوا بالمال وشرط عليهم حفظ طريق جدة وحاية قبيلتهم من العربان والسادة كي لا يقع يوم الحج فعملوا بما شرط عليهم وأمنوا الطريق وسارت القوافل الى مكة والحج وكان معه السلطان بأنفسهم الى ان دخل مكة ذهابا وايابا ثم ان سليمان باشا أمر مولانا الشريف سعيدا ان يخرج وقال له اني التزمت لهم في ذمتي بخلاصهم واساعدهم بما ما اتيه هو اليهم وانما ثم ان الشريف سعيدا اعطاهم الاشراف وكانوا نحوا من ثلاثة شريف بأنهم ان يحرضوا معه في خروجه الى أمراء الحج على جري العادة وامتثلوا ولم يعترض منهم أحد الا بعض أشراف كانوا في عدة لم يتجاوزوا الاثنين فلما

المسجد الحرام جميعه واحترق من العمد الرخام مائة وثلاثون عمودا وصارت كلها كلسا ولم يتفق فيما مضى مثله وكان وقوع السيل في جمادى الاولى من هذه السنة بعد مطر عظيم الانسكاب كأفواه القرب ثم هجم السيل فامتلأ المسجد حتى بلغ القناديل ودخل الكعبة من شق الباب فهدم من الرواق الذي يلي باب العجلة عمودين وأساطين وخرب منازل كثيرة ومات في السيل جماعة رحمهم الله وقال الفاسي رحمه الله تعالى ثم قدر الله تعالى عمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الامير بيسق الظاهري وكان قدومه الى مكة لذلك في موسم سنة ثلاث وثمانمائة وكان هو أمير الحاج المصري وتخلف بمكة بعد الحج لعمارة المسجد فلما رحل الحاج من مكة شرع في تنظيف الحرم الشريف من تلك الاكوام التراب وحفر الارض لكشف عن أساس المسجد الشريف

وعن أساس الاسطوانات في الجانب الغربي من الحرم الشريف المحترم وبعض الجانب الشامي منه الى باب العمرة فظهر أساس الاسطوانات مثل تقطيع الصليب تحت كل اسطوانة قوسا فارأحكم تلك الاساسات على هيئة بيوت الشطرنج تحت الارض و بناها حتى وصل الى وجه الارض على الشكل الاول واتخذ عمودا من حجر بالشبيكة على يمين الداخل الى مكة أحجار صوان صلبة منحوتة على شكل نصف دائرة بحيث اذا جمع حجران صارا دائرة تامة في سمك ثلثي ذراع وستة على قاعدة مربعة منحوتة على شكل قاعدة الاساطين ووضع في وسط الاساس المرتفع الى الارض ووضع عليها دائرة أخرى مثل الاولى ووضع بينهما بالطول عمود حديد منحوت له من الحجرين الحديد وصب على جميع ذلك الرصاص الى أن انتهى طوله الى طول أساطين

المسجد فوضع عليه حجر منحوت من الرخام هو قاعدة وبنى العمود من فوق ذلك وصعد الى العمد الاخر وبنى ما بين ذلك بالآجر والجص الى أن وصل الى السقف الى أن تم الجانب الغربي من المسجد الحرام على هيئة الحكم وبقيت القطعة التي من الجانب الشامي الى باب العمرة تركوها بحالها من عمد الرخام الابيض وبعض الاساطين من الحديد الى ان الاسطوانة العمد التي تقدم ذكرها من الحجر الصوان المنحوت تمام المدورة على العمد الرخام فصارت الاسطوانات الاخيرة من المسجد الحرام ثلاثة أروقة والجانب الغربي وحده بالحجر الصوان المنحوت المدور على شكل عمد الرخام وكانت عمارة هذه العمد في أواخر شهر الى سنة أربع وثمانين وتسعمائة الى غير حمل السقف وأخر عمله الى موجود خشب يصلح لذلك بمكة ولا يوجد غير خشب الدوم وخشب العرعر وليس لذلك طول ولا قوة ويحتاج الى خشب الساج ولا يجلب الا من الهند أو خشب الصنوبر ولا يجلب الا من الروم فلزم تأخيرا كالة الى احضار القدر الذي يحتاج اليه من ذلك الخشب وشكر الناس الامير يوسف على سرعة تمام هذا المقدار من العمل في هذه المدة اليسيرة ومبادرته الى تنظيف المسجد الى ان صلح للصلاة فيه وكان ذا همة عالية وحسن توجه وكان كثير الصدقة والاحسان وتوجه الامير يوسف في ذلك العام وعاد الى مصر ليجهز ما يحتاج اليه من خشب سقف الجانب الغربي من المسجد الحرام ووصل الى مصر في أوائل سنة خمس وثمانين وتسعمائة وكان صاحب مكة يومئذ سيد السادات الاشراف مكة الآن السيد الشريف حسن بن عجلان سقى الله

أهل الحرم والامير ثم ذهب الاشراف الى جماعتهم وادى من خلفه الناس وهم في غاية الخوف ولم يصح من أهل مكة الا اليسير وقالت الاشراف انهم يدخلون مكة والناس معرفة فلم يكن ذلك بل التزموا الوفاء بما أخذه عليهم الوزير سليمان باشا صاحب جدة فلما ان سافر الحج وأدبر الفتح أخذ الاشراف في الارتحال من الحرم فنزلوا بالزاهر في السابع والعشرين من ذي الحجة فتوجه الشريف سعيد وأرسل اليهم الى الشريح الشريف وكالة من جانبهم السيد عبد الله بن سعيد بن شنبر ففاء الى الحكمة ومعه السيد عبد الله بن حسن بن محمد الله وزين العابدين بن ابراهيم بن محمد شهودا على الوكالة وكان الشريف سعيد قد نزل فيهم الى المحكمة وكان قاضي مكة ذلك العام القاضي أحمد الكردي أحد السادة الكرام المقيمين بالشام الا المصريين فادعى السيد عبد الله وجب وكالة عن جماعة على مولانا الشريف سعيد بانهم يمنعهم من فوقهم من مداخيل البلاد وعادتهم التي معهم مانعهم منه من كل ذلك وهم جماعة كثيرة ويقدمون ما يعهدوه من زمن الشريف قتادة الى وانهم لا يعاملونا الا على ذلك وان ذلك قوام معاشهم فانكر ذلك مولانا الشريف سعيد وقال انى أكرمهم ولا أنا أخذ دون من صاحب مكة ما يعطيكم من قبيل صلة الرحم ومدخول مكة خاص بى وانتم بهت القال بحضرة القاضي والعلماء الايافق عقدهم فتأثرت نفوسهم زيادة ثم انقضى المجلس على غير طائل ورجع الاشراف الى جماعتهم بالزاهر بعدان اجتمعوا بالشريف سعد وتردد وه على دعواهم الى القاضي والتذار وطلب امدادا عليه بعد التسليم فقبلوا عذره ثم ان الشريف سعيدا ركب بنفسه وخرج اليهم في الزاهر وخطأ امتدى في وجوه واستعطفهم وقال هو ما لاحوال مرور في حكمه وأنا الطالب جميع ما هو لكم فقبلوا ذلك وطلب جماعة منهم يدخلون معه مكة فدخل معه السيد أحمد بن زين العابدين لاستلام ما قام به اهم فلما دخل يوم البلاد أو ازداد طرفا وكان ذلك آخر يوم من شهر ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائة وألف ودخل عقب ذلك المحرم من سنة ست عشرة فرجعت الفتنة في أسبوعه الثالث والتشريف الاشراف بالعالى الى البيئة والطائف وما كان الى الجبل المطل على بركة عبد روس بالشبيكة وانتهوا الى الجبل المطل من الشفا وبرز الى سوقه وأخذ ما طلبه الى مكة جماعة من الاشراف حتى الى والى سرة الشبيكة ووصل جماعة من العبيد الى جهة المعلى حتى والجبل المطل على الوادي حيث لا تمكنهم المساعدة من هناك وبات الاشراف في مضاربهم فلما أصبح الحرب ثارت الزاهر الى طوى ووقفوا هنالك وتقدم بعض العبيد فدخلوا بيت حنان افندي في الشبيكة وكان يعرف ببيت عبد الباقي الشامي ونهبوا فافاز وافيه وجعلوا

عهده سحب الرحمة والرضوان وكان ممن يحب الخير ويرغب فيه ويسابق الى فعل الجميل ويبادر اليه وهو الذي يقول فيه شمس الدين بن المقري الشافعي صاحب الارشاد والروض وعنوان الشرف وغيرها من قصيدة له يمدحه [illegible] صاحب اليمن يومئذ

أحسنت في تدبير ملكك باحسن * وأجدت في [illegible] الخلائق [illegible] الى أن قال [illegible] موسى عمر بلا [illegible] *

في الحرب لكن ابن موسى من حسن [illegible] هذا الذي [illegible] [illegible] ومن جملة [illegible] آثاره انه لما رأى رباط رامشت وما آل اليه أمره بعد الخراب الى أن صار [illegible] [illegible] أمره [illegible] كما كان [illegible] من ماله عليه الى ان عاد أحسن من الاول وزالت [illegible] (١٢١) [illegible] الحرم الشريف [illegible]

[illegible] أمر له [illegible] [illegible] [illegible] المسجد من [illegible] الآن [illegible] الناس [illegible] [illegible] في أوائل القرن العاشر وهو من [illegible] الى الشريف في ديوان السلطنة [illegible] في خدمة السلطان [illegible] العلائي ومن بعده وكان من أهل الخير رحمه الله وفي سنة [illegible] [illegible] الى مكة الامير [illegible] [illegible] الجانب الغربي من المسجد الحرام وغيره مما [illegible] من [illegible] [illegible] الشريف من كل جانب [illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible] لذلك وجلبها من بلاد الروم وهيأها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بالالوان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الامير [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] من جهة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يومئذ في مكة

وبذل همته واجتهاده الى ان [illegible] جميع الجانب الغربي من المسجد الحرام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وبعض الجانب الشامي أيضا الى باب العجلة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في تلك الاسقف سلاسل من نحاس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الرواق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على حكم سائر المسجد الحرام من الجانب الشرقي واليماني و[illegible] الشامي الى باب العجلة [illegible] في كل عقد من العقود [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشريف ثلاث سلاسل احداها في وسط كل عقد والثانية عن يمينه والثالثة عن شماله لتعليق القناديل وأما هذا الجانب الغربي فكانت فيه السلاسل على هذا الحكم فلما [illegible] هذا الجانب واعيدت عقوده لم [illegible] [illegible] هذه السلاسل ولا أدري كانت هذه السلاسل التي هي خارج عن

[illegible] من أهل عليهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
جماعة في دار [illegible] وجماعة في دار الشيخ عبد الله [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
عسكر المصري ومن عسكر [illegible] ثم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
والاشارة به فركب وركب معه جماعة من العلماء والوجهاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
فلم يتمكن من ذلك ووقف بسوق [illegible] ووصل [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] بعض ذلك الرمي واستمر الى [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وبعض العلماء وأخذوا من القاضي حكما [illegible] [illegible] [illegible] من ولاة السلطان [illegible] [illegible]
العامة ان يقاتلوا معه هؤلاء الجماعة وأمروا مناديا ينادي في شوارع مكة [illegible] الناس [illegible]
ينادي بالنفير العام [illegible] شيخ الاسلام فلما بلغ ذلك سليمان باشا صاحب جدة و[illegible] [illegible]
وجاء [illegible] الحكم وتأمله [illegible] الامر وأطاع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
فلما علموا الشريف سعيد [illegible] بن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] عسكري فخرج [illegible] من [illegible] [illegible] على الاشراف [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشريف سعيد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
عسكر الشامي ان وصل بيت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
وصل الى البيوت [illegible] تلك البيت [illegible] من كان فيه من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
هناك [illegible] دار الاشارة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
ثم عطف على سويقة على بيت [illegible] وأمر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
الشامي و[illegible] على البيت [illegible] من كان فيه من الاسلحة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] كان هناك من الاشراف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] فرس السيد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
ابي حسن [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] واقف تحت دار السعادة [illegible] [illegible] ثم [illegible] [illegible] [illegible] من الاشراف
ثم لحق بولده [illegible] [illegible] ووصلوا جبال أبي قبيس [illegible] [illegible] الاشراف [illegible] [illegible]
مضاربهم [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] الاشراف [illegible] ثلاثة أيام ثم [illegible] [illegible] [illegible]
الشريف سعد [illegible] [illegible] المشايخ منهم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
لهم [illegible] كرامة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الامر على ان [illegible] الآن [illegible]

الاروقة تحت العقود الرابية منها يعلق فيها القناديل أحيانا أم كانت لمجرد الزينة ولم أطلع على ذكر قناديلها أولا كيف كانت
ومن بعد ذلك أكمل عمارة سقف الجانب الغربي وما احترق من الجانب الشامي الى باب العجلة في سنة سبع وثمانمائة وعمر مع ذلك
في الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام مواضع كثيرة من سقفها كان قد انكسر أعوادها ووصل بعضها وكان يسيل منها الماء الى
المسجد الشريف فأصلح الأمير بيسق جميع ذلك بالأخشاب والسرر وفي سطح الأسقف [illegible] وسواها وأتقن عمارتها ورمى في صحن
المسجد من المقامات الأربعة على الهيئة القديمة وبذل في صرف ذلك الأموال العظيمة وشكره الناس على ذلك وكان ذلك في أيام
الناصر زين الدين أبي السعادات (١٣٢) فرج بن برقوق بن أنص الجركسي ثاني ملوك الجراكسة وكانت سلطنته بعهد
من أبيه عند وفاته كما تقدم [illegible] يوم الجمعة منتصف شوال سنة احدى وثمانمائة وكان الأمير الأتابك ايتمش مدبر المملكة وكان الأمير يشبك خزنداره فوقع بينهما منافرة أدت الى مشاجرة ثم الى مقاتلة فانكسر ايتمش وهرب الى نائب الشام الأمير تنم الظاهري فجهزا جيوشا الى مصر لقتال الناصر ويشبك فخرج الناصر لقتالهم فانهزموا أمامه وانصرف أحوال مصر لاختلاف الكلمة ثم وصل تيمورلنك الى بلاد الشام وأخذها من سودون الظاهري وأسره وقتله ونهب بلاد الشام وأخرب ديارها [illegible] وخرج الناصر فرج بجيوشه من مصر لقتال تيمورلنك فوجده قد رحل عن البلاد وتوجه الى بلاد الروم فأعطى الشام لنغري بردي وعاد الى
مصر وذلك في سنة ثلاث وثمانمائة ثم كثرت الفتن بين أمراء [illegible] الظاهرية مماليك الظاهر برقوق واختلفت [illegible] الشريف
الأحوال بسبب هذه الفتن والاختلافات الى أن ضجر فرج من ذلك وهرب من القلعة بعد العشاء ليلة الاثنين سادس ربيع الأول
سنة ثمان وثمانمائة واختفى عند سعد الدين ابراهيم بن غراب أحد رؤساء المباشرين ففقده الأمراء وفقد السلطان فأقاموا في
السلطنة أخاه الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق بن أنص الجركسي ثالث ملوك الجراكسة فتلاشت أمور المملكة في أيامه
لصغر سنه واختلاف أمراء دولته وكيف يستقيم الملك مع الخلاف والحال أنه لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وكان مدة ملك
المنصور شهرين وعشرة أيام ثم ظهر الناصر فرج بعد هروبه واختفائه وركب معه أمراء من مماليك أبيه وأخذ القلعة بالحراب

الشريف سعد مشاجرة وتهدد وطلبوا منهم الدخول معه الى مكة وملاقاة الشريف سعد
فدخل معه كبارهم فخلع على الكبار بعد أخذهم منه وكفالتهم من تركوه من جماعتهم فاستمالهم
الشريف سعد ذلك اليوم وجعل لهم أنواع الأطعمة والفواكه أياما فلم يرجعوا على طائل فعند ذلك
رجعوا الى الحسينية الا السيد أحمد بن زين العابدين ومن في عمالته والسيد أحمد بن حازم ومن في
عمالته والسيد محمد بن أحمد بن حسين ومن في عمالته نقضوا ما أبرموه مع القوم وعزموا على الجلاء
بعد ان ودعوا أولادهم على حالهم وأما السيد عبد المحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبد الكريم
ابن يعلى فأرادا التقدم بمكة رجاء أن يكون الصلح فيما هم فيه التشاور فاذا بقافلة من الأشراف أخذت
قافلة عظيمة خرجت من جدة وقتلوا الرجال ونهبوا الأموال فاشتد غضب الشريف سعد والباشا
الشريف سعد وقالا لمن كفلاهم من عمهم أعطوا الحق من أنفسكم فانكم كفلتم هؤلاء الجماعة
أياما معدودة واستردوا منهم ما كانوا أعطوهم من المعلوم فصبروا تلك المدة ثم ان السيد عبد
المحسن بن أحمد بن زيد خرج اليهم حيث لم يتم ما أراده من الصلح مع حدوث أخذهم لهذه القافلة
[illegible] السيد مبارك بن حمود خرج معها من جدة وودعه الباشا والشريف سعد في [illegible]
[illegible] نحو الأربعين فارسا وكان سليمان باشا صاحب
جدة قد نزل الى جدة قبل خروج تلك القافلة وكان خروج الشريف عبد المحسن بن أحمد الى
الأشراف في التاسع والعشرين من محرم فوجدهم قد [illegible] الى [illegible] وكانوا [illegible]
فاستالوا على السيد مبارك بن حمود ومن معه ممن كان مع القافلة وقبضوا عليهم واستاقوا القافلة جميعها
فلما رأى السيد مبارك منهم ما رأى وكان مباركا كاسمه نزل عن فرسه ودخل مكة راجلا ونزل دار
السيد مساعد بن سعد وكانت قافلة عظيمة موفورة موسوقة من كل الأنواع وقتل من العسكر جماعة نحو
خمسة عشر وأخذت [illegible] وبلغت القتلى من أصحاب القافلة وغيرهم نحو ثلاثين ولم يلتزم الأمر
[illegible] الأشراف [illegible] والقافلة
بالرماح [illegible] على القلاع [illegible] وصل اليهم الشريف عبد المحسن جعلوا
[illegible] واتفقوا على تقديم الشريف [illegible] وبايعوه على شرافة مكة وعزل ابن عمه الشريف
سعد فرضي بعد تأب شديد ثم ارتحلوا من الحسينية ونزلوا [illegible] من جدة بمكان له غليل [illegible]
وأرسلوا الى الوزير سليمان باشا يعرفونه بما اتفقوا عليه فأمرهم بدخول جدة فدخلوها ومولانا
الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد والسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى والسيد أحمد بن هزاع
والسيد عبد الله بن سعيد بن شنبر وآخرون من الأشراف وأقام الباقي بغليل فأرسل الباشا كتابا

من أخيه الملك المنصور عبد العزيز وتسلطن ثانيا يوم الجمعة لاربع مضين من جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانمائة وتوفي أخوه الملك
المنصور عبد العزيز وأخوه إبراهيم إلى الاسكندرية فتوفيا بها في ليلة الاثنين سابع ربيع الآخر سنة تسع وثمانمائة واتهم
الناصر بقتلهما والله أعلم . ثم صار الملك الناصر فرج يتتبع أعداءه من الأمراء فصار يقتلهم واحدا بعد واحد لكونهم
خرجوا عن طاعته وقاتلوه فهزمهم فخرجوا عنه إلى الشام [illegible] ويجرحونه [illegible]
الاحتراز منه والهرب خوفا منه ومخافة الظلم العظيم والغم الكثير لا تستطاع [illegible] والاتباع وتفرقوا عنه
وسعوا عن الاتباع وهو يتبعهم بالحذق [illegible] (١٣٣) الأسد الفاتك وهو ومن معه ايضوا
حوله م في طلب العدو
من العشاء إلى الصباح
وانصرفوا في الصبح على
الأمراء العصاة عليه وهم
بطول القتال في الراحة
والارتياح بقول السلطان
الناصر فرج ومن معه
وهم بخير قالوا نحن حضرون
على أمراء العاصين له
وهم [illegible] كثيرون
[illegible] من هذه
الجهة وعلموا انه هو ومن
معه في غاية التعب والمشقة
ولم يطعموا وأطاع غروره
وجهله واغتر بجماعته
وحوله وظن أنه لا يقابله
أحد لغروره ودولته ولا
يقاتله أحد لهيبته وزوله
[illegible] انه قاصد غرور
[illegible] كل
مغرور وخانه الزمان
الجائر ودارت عليه
الدوائر وخذله الدهر وما
كان للناصر من قوة ولا
ناصر [illegible] أمره
وهو [illegible] ونظر به
عدوه الظافر وقبضوا وهو
أسير كسير وقتلوه للناصر [illegible] الا بشرى الشهادة [illegible] المشاعلية [illegible] الى ان
انقطع منه الوتين [illegible] فصار عبرة للناظرين [illegible] في ليلة [illegible] شهر
صفر سنة خمس عشرة وثمانمائة [illegible] الى ذلك
البدن المدفون [illegible] الإمام بعد عدة أيام
فحمله وغسله وأدرجه في كفن وواراه في التراب في مقبرة باب الفراديس وأسكنه الفراديس والرجاء من الله
الكريم أن يكون الله غفر له فإن السيف محاء الذنوب وإن الله علام الغيوب ومن العجائب الحربية في أيامه تجديد عقد [illegible] بعد

الشريف سعد والي والده الشريف سعد ومحصله ان [illegible] الاشراف [illegible]
[illegible] ومعهم أهاليهم من [illegible] خلاف على [illegible]
دفعهم وانه قصد ان تخرجوا اليوم ونحن ومن عندنا معكم أو تدفعوا اليهم [illegible]
من الضرر عليكم وعلينا [illegible] وان كنتم [illegible] عن ذلك فاخرجوا [illegible]
[illegible] الجواب ليس لهم عند الا [illegible]
الجواب استدعى الباشا مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد [illegible] وجماعة من الاشراف
[illegible] من أعيان الناس بالبسة [illegible] مكة [illegible]
له الاشراف [illegible]
وغيرها ومعه الاشراف [illegible] محمد [illegible] ثم نادى المنادي في شوارع
جدة [illegible] والأمان والاطمئنان ووضع الشريف عبد المحسن يده على [illegible]
الشريف سعيد [illegible] الذين من جهة الشريف سعد [illegible]
الوزير [illegible] مولانا الشريف عبد المحسن كل ما يحتاج اليه [illegible]
[illegible] من الملبس والمطعوم [illegible] من كل
شيء وأرسل [illegible] مولانا الشريف على الاشراف [illegible]
وأرسل الى المدينة [illegible] على المنبر [illegible]
حرب وغيرهم [illegible] بالطاعة [illegible] وأرسل الى الحجاز [illegible]
النواحي [illegible] الشريف عبد المحسن أرسل [illegible] أحمد بن زيد [illegible]
السيد عبد الله بن حسن بن [illegible] والسيد عبد الله بن أحمد بن [illegible]
بالطائف وأقام السيد عبد المطلب بالطائف [illegible] السيد عبد الله بن سعد بن سعد
ابن زيد ومعه [illegible] ومن الاشراف محمد [illegible]
السيد عبد المطلب بن أحمد [illegible]
الشريف سعد وسعيد [illegible] ثم خرج من الطائف [illegible] السيد عبد الله
ابن سعد ومن معه [illegible] وأما السيد عبد المطلب [illegible]
البادية [illegible] في الطائف [illegible] السيد عبد الله بن سعد [illegible] السيد زين العابدين
وقال له ان الشريف عبد المحسن ولي مكة [illegible] عبد المطلب [illegible]
فأبى وقال هذا [illegible] ثم اتفق رأيهم على دخول عبد المطلب [illegible] عبد الله بن سعد

سقوطه في سنة احدى عشرة وثمانمائة وكان من مهمات امير الحاج حسن بن أحمد التمرواني اوصى في مرض موته ان يصرف على
عمارة عين مكة من ماله عشرة آلاف درهم وأن يعمر الميضأة المرغنشية بخمسة آلاف درهم فنفذت وصيته بعد ذلك في العام
المذكور ووقع في أيام الناصر فرج أيضا ان سلطان بنكالة من سلاطين أقصى الهند السلطان غياث الدين أعظم شاه بن اسكندر
شاه أرسل الى الحرمين الشريفين صدقة كبيرة مع خادمه ياقوت الغياثي ليتصدق بها على أهل الحرمين ويعمر له بمكة مدرسة
ورباطا ويوقف على ذلك جهات يصرف ريعها على أعمال الخير كالتدريس ونحوه وكان ذلك باشارة وزيره خان جهان فوصل ياقوت
المذكور بها وبأوراق سلطانية الى مولانا السيد (١٣٤) حسن بن عجلان شريف مكة يومئذ جد ساداتنا الاشراف الآن جعل الله
بوجودهم الزمان وكان
وصول ياقوت الغياثي
الى مولانا السيد الشريف
حسن بن عجلان رحمه الله
مع هدايا جليلة اليه فقبلها
وأمره أن يفعل ما أمر
به السلطان غياث الدين
لكنه أخذ ثلث الصدقة
على معتاده ومعتاد آبائه
ووزع الباقي على الفقهاء
والفقراء بالحرمين
الشريفين فمنهم من تضاعف
الدعاء له على الخير والدال
عليه كفاعله واشترى ياقوت
الغياثي لعمارة المدرسة
والرباط دارين متلاصقتين
على باب أم هانئ هدمهما
وبناهما في عامه رباطا
ومدرسة واشترى أصيلتين
وأربع وجبات من عين
الركاني وجعل لها أربعة
مدرسين من أهل المذاهب
الاربعة وستين طالبا
ووقف عليهم ما ذكرناه
واشترى دارا مقابلة
للمدرسة المذكورة
بخمسمائة مثقال ذهبا
وقفها على مصالح الرباط وأخذ منه مولانا السيد حسن بن عجلان في الدارين اللتين بناهما رباطا
ومدرسة والاصيلتين والاربع الوجبات من قرار عين الركاني اثني عشر ألف مثقال ذهبا وأخذ منه مبلغا لا يعلم قدره كان جهزه معه
سلطانه لتعمير عين عرفة فذكر مولانا السيد حسن أنه يصرفه على عمارته ويقال ان قدره ثلاثون ألف مثقال ذهبا وكان السيد
حسن عين أحد أولاده وهو الشهاب بركات المكين لتفقد عين بازان واصلاحها واصلاح البركتين بالمعلاة وكانتا معطلتين فأصلحهما
الى أن جرت عين بازان فيهما ● وكان خان جهان وزير السلطان غياث الدين أرسل مع ياقوت الغياثي خادما يدعى حاجي اقبال
أرسله بصدقة أخرى من عنده لاهل المدينة المنورة وجهز معه مالا ليبني له به مدرسة ورباطا وهدية الى امير المدينة يومئذ جماز

من غير قتال ثم تكشفوا عن الخبر ووصلوا الى مكة فاذا كان الامر غير صحيح فلما كان منها ان خرج عبد
المطلب ونحن الكفلاء بهذا فوافقهم على ذلك ثم انه خرج الا عن معه من العسكر والعبيد ووصل الى
أبيه وتخلف عنه محمد بن بازان بالطائف فدخل السيد عبد المطلب الطائف ونادى لاخيه ثانيا
واستقر هذا الى ان دخل آخر ومكة هذا كله والشريف عبد المحسن بجدة فجمع الشريف سعد
والشريف سعيد جماعة من العلماء ومنهم القاضي والمفتي وقوم آخرون وتفرق المجلس على انهم
يكتبون الى الوزير سليمان باشا صاحب جدة كتابا فكتبوه وأغلظوا فيه الى ان قالوا ان بيدنا فتوى
المفتي وحكم وحجة القاضي الشرع بكفر من تجرى على عزل من ولاه السلطان على بلده اذا كان بيده
أوامر سلطانية وانه لا يعزل الا بعزل السلطان وانه قد جاءنا الخبر بعزلك ومحاسبتك فكيف لك
بالعزل والولاية مع انك معزول عن منصبك ثم أرسلوا هذا الكتاب مع السيد خليل الله بن جود
ومعه جوخدار القاضي فلما وقف الباشا المذكور على ذلك قال أنا بيدي من السلطان مصطفى بن
السلطان أحمد ومن أخيه المتولي بعده أوامر سلطانية ان أعزل وأولي من أرى فيه الصلاح لمكة
المشرفة فلما علم السيد خليل الله حقيقة الحال لم يطلع من جدة وعامل الشريف عبد المحسن من
جدة من تامله وجابا بالوا [illegible] جوخدار القاضي [illegible] الوزير المذكور فاغتاظ الشريف سعد وابنه
الشريف سعيد وأرسلا يطلبان من الباشا الاشراف على ما بيده من الاوامر السلطانية فأرسل
اليهم انه كتب اليكم بذلك فأرسلا رجلا من جهة القاضي ومن كل بلك من العساكر رجلا يشرفون
على ما بيدي من الاوامر ثم انقطعت بينهم الوسائط الى ان رحل مولانا الشريف عبد المحسن من
جدة متوجها الى مكة وذلك يوم السبت ثاني عشر ربيع الاول ومعه الجموع والاشراف الى ان وصل
وادي الجموم فخرج اليهم الشريف سعيد بمن معه من العساكر المكية والمصرية ونزل بذي طوى
وأخذ الشريف سعيد ما يلي الحجون ومعه عبيده وجماعة من الفقهاء ومنهم محمد بن جمهور العدواني
شيخا عليهم وفرق على الجبال المطلة على المحصب بعض العبيد وجماعة من يام والجبالية ولما كان
يوم الاربعاء سادس عشر ربيع الاول سار الشريف عبد المحسن من الجموم ونزل صبيحة يوم الخميس
بالزاهر وأمر بعقر آباره وكان قد طمها الشريف سعيد فلما التقى الجمعان حمل بعض جماعة
الشريف عبد المحسن على جبل كان به بعض جماعة من عسكر الشريف سعيد فأزالوهم عنه
وملكوه وقتل فيه بيرقدار العسكر وعسكري آخر أراد أن يأخذ البيرق عند قتل الاول وحصل
صوب لآخرين وأما الدفعة مما يلي جانب الشريف سعيد فجاءتهم بادية من جماعة الشريف
عبد المحسن فأثخنوهم قتلا وجرحا وضربا وطرحا ولم يزالوا على ذلك الى الليل ورجعا ومعت بعض
عسكر

عسكر الشريف عبد المحسن يدافع معهم على جماعة الشريف سعيد فأرسل الشريف سعيد الى مشايخ الحارات وأخذ منهم الزابطين التي يطلقونها البنادق فسعيد نرى بها على الجبال فأصاب مضر بإقبته عسكر من عسكر سليمان باشا ثم أمر باخراج مدفع كبير كان مدفونا بدار السعادة فأخرجوه وساروا به الى طوى فطلعوا به الى قلعة وحشوه وأطلقوه فما أفاد الا الصوت وغارت بعض شبان من جهة أشراف الشريف عبد المحسن الى بطن الوادي لطلب البراز من الشريف سعيد فضرب منهم السيد عبد المعين بن محمد بن حمود برصاصة في كتفه ولم يقدم عليهم أحد ولم يكن مع الشريف سعيد من الاشراف الا السيد عبد الله بن حسين بن عبد الله ومبارك بن حمود وعلي بن أحمد بن باز وبشير بن مبارك بن فضل وقد حضر واممعه بالجون ولما كان ليلة الاحد وهو اليوم الرابع ظهرت الغلبة للشريف عبد المحسن وضاق الامر على الشريف سعيد فنزل ضحوة يوم الاحد المذكور الشيخ سعيد المنوفي والسيد علي ميرماه وأتيا الى القاضي ما سألا الشريف سعيدا وأمروه بكتابة حجة بالنفير العام فكتب لهم حجة بذلك وأمر مناديا ينادي في الشوارع كل من لم يأت الى محكمة القاضي الا ‌ٓن فهو منهوب الدار مصلوب الاعتبار فاجتمع العالم تحت المدرسة السليمانية بالمسجد الحرام فقرأ عليهم المنوفي الحجة وهو مطل من طاقة المحكمة وفهموهم أن الشريف سعيدا قد ولاه السلطان مصطفى شرافة مكة وأبده السلطان أحمد وقد رأيتم ما صار عليه من هذا الباشا فيجب عليكم بذل الطاعة والخروج معه للقتال ودفع هؤلاء البغاة قطاع الطريق فيما علم كذلك انفضاح بعض الناس الحاضرين هذا باطل باطل وانطلقت العالم بلسان واحد وكاد أن يرجم المنوفي والقاضي ومن معه وفرت العالم من المسجد فلما رأى القاضي قيام العامة أمر بالخروج الى الزاهر للشريف سعيد واخباره بما وقع فخرج ومعه المنوفي والسيد علي ميرماه وجماعة من العلماء والمفتي وأعيان الناس فلما وصلوا اليه وأخبروه أنكر الامر بذلك وزجر من سعى في هذا الامر وقال من أمركم أن تنادوا في العامة واتفق الرأي هنالك أن يكتبوا كتابا لكتخدا الوزير سليمان باشا خطابا من الشريف سعيد وأبيه بأن لهم عليه دعوى الى القاضي فان لم تجب وتمتثل كفرت وأرسلوه مع درويش كان حاضر المجلس وقال لهم أنا أصل بهذا الكتاب اليه بعد أن لم يوافق أحد على ايصاله فأوصل ذلك الدرويش الى الكتخدا المشار اليه فلما قرأه أشرفه على الشريف عبد المحسن فكتب الجواب الشريف عبد المحسن الى الشريف سعيد نحن ان شاء الله غدا لا بد لنا من دخول مكة والكتخدا معنا وتكون الدعوى عليه بحضور نار الصبيحة تقدر له ولك ان أخذ الحذر لنفسك والخروج من البلاد وترك ما لا طائل تحته وان أصبح عليك الصباح وأنت في البلاد فقد رأيت مثل

الحسيني فانكسرت السفينة التي فيها هذه الاموال وغيرها بقرب جدة فقال مولانا السيد حسن بن عجلان ربع ما خرج من البحر على عادتهم اذا انكسرت سفينة عندهم وأخذ ما يتعلق بالسيد جان الحسيني لانه عصى وظهرت منه شناعة بالمدينة الشريفة من أخذه مفتاح خزانة النبي صلى الله عليه وسلم من قاضي المدينة جبرا بعد أن أهانه هو والقاضي زين الدين أبو بكر بن الحسين المراغي وضرب شيخ الخدام وأخذ من خزانة النبي صلى الله عليه وسلم احدى عشرة قرعة فيها نقود وقناديل كبيرة وصغيرة كانها مهورة فيها ذهب مودع لملوك العراق وخمسة آلاف كفن وصادر الخدام وأراد أخذ قناديل الذهب من الحجرة فقصمه الله تعالى ونهب الفرسان ما جمعه ومات لا رحمه الله تعالى فأرسل مولانا السيد حسن بن عجلان الى المدينة الشريفة عسكرا وصلوا اليها بعد خراب الحصرة وولى عليها عجلان ابن غير الحسيني وكل ذلك سنة احدى عشرة وثمانمائة وفي سنة أربع عشرة وثمانمائة وقع في أواسط رمضان اصلاح مواضع في سطح الكعبة الشريفة كان يكثر وكف المطر منها الى أسفلها ومنها موضع عند الطابق الذي على الدرجة التي يصعد منها الى سطحها ومنها موضع عند الميزاب وكان الذي في هذا الموضع منها مضرا يسيل الماء منه في وسط الجدار وذلك بعد قطع اللوح الذي بين مجرى الماء وأعيد اللوح كما كان ومنها موضع بقرب الروازن التي للضوء وكان اصلاح المواضع المذكورة بالجبس وكانت الاخشاب المطبقة بأعلى الروازن التي عليها البناء المرتفع في وسط البيت وقد تخربت فعوضت بخشب سوى ذلك وأعيد البناء الذي كان عليها كما كان الا الروزن الذي يلي الكعبة فان خشبه لم يغير وكان الروزن الذي يلي الركن الغربي قد تخرب بعض الخشب الذي في جوفه مما يلي السقف والكسوة التي في جوف الكعبة وكانت الكسوة التي عليه قد زال تسميلها فسمرت وكان الروزن الذي يلي الركن اليماني منكسرا فقلع وعوض بروزن جديد وجد في أسفل الكعبة قلت وهذه الروازن لا وجود لها الآن فلعلها سدت جميعها وأصلح في الدرجة أخشاب منكسرة وكان اصلاح ذلك عقب مطر عظيم حصل بمكة في أوائل شهر رمضان ولما قتل الناصر فرج بن برقوق على الوجه الذي تقدم شرحه ما قدم أحد من أمراء الحراكسة على الناس بالسلطنة خوفا من مخاصمة العسكر وحبا أن يقدموا على قتله فأتوا الخليفة العباسي وأبرموا عليه وسلطنوه بالحرم وهو (المستعين

بالله أبو العباس بن محمد بن أبي بكر العباسي المصري) بعد التمنع الشديد منه فولي السلطنة في المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة وكان القائم بتدبير المملكة الامير شيخ المحمودي ثم خلع المستعين بالله وتسلطن مكانه وتلقب بالملك المؤيد شيخ في مستهل شعبان سنة خمس عشرة وثمانمائة وهو الرابع من ملوك الجراكسة وكان أصله من مماليك الظاهر برقوق اشتراه من تاجر يسمى محمودا اليزدي وأعتقه وجعله أمير عشرة ثم صار صاحب طبلخانه ثم مقدم ألف ثم ولي نيابة طرابلس ثم أمره تيمورلنك أمير نواب البلاد الشامية ثم هرب منه ووقعت له أمور مع الناصر فرج من الخروج عليه وعصيانه الى أن آل أمره الى أن صار سلطانا وعصى عليه نواب البلاد الشامية وتوجه اليهم فهزمهم

مرارا كثيرة وافتتح الشام وغيرها وعاد الى مصر وكان يعتريه ألم المفاصل فصار يحمل على الاكتاف ويركب المحفة وكان شجاعا مقداما مهيبا * وكانت أسواق ذوي الفنون نافقة عنده لجودة فهمه وذوقه وكان يحب العلماء والفضلاء ويجل قدرهم * وفي أيامه وقع الغلاء العظيم بمكة بحيث بيعت الغرارة الحنطة وهي حمل جمل معتدل بعشرين دينارا ذهبا وكان غالب جميع المأكولات بحيث بيعت البطيخة بدينار ذهب الى أن رفع الله عن المسلمين تلك الشدة وكان في سنة خمس عشرة وثمانمائة * ومن أعجب ما وقع في ذلك أن جملا كان لجمال يقال له الفاروقي بعده فوق طاقته في جمادى الآخرة من تلك السنة فر من صاحبه ودخل المسجد الحرام ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه فيعضهم ولا يمكن أحدا من نفسه الى أن أتم ثلاثة أسابيع ثم جاء الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ووقف هنالك حروف تجاه الميزاب فبرك عنده وبكى وألقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى ما بين الصفا والمروة ودفنوه هنالك * وفي هذه السنة عمرت أماكن من سقف المسجد الحرام وعقدان من جانب الركن اليماني المتصل بصحن المسجد * وفي سنة ست عشرة وثمانمائة عمر شريف مكة يومئذ وهو الشريف حسن بن عجلان بن رميثة جد سيدنا ومولانا شريف مكة الآن حسن بن أبي نمي بن بركات ابن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان أدام الله تعالى دولته وسعادته بالجانب الشمالي من المسجد الحرام البيمارستان الذي كان وقفه المستنصر العباسي فعمر ودثر فاستأجره من قاضي مكة يومئذ القاضي جمال الدين الشافعي اجارة طويلة مائة عام بأربعين

الذمة وهذا غاية ما الكلام علينا والسلام فلما جاءهم الكتاب رجعوا الى الصواب فأودعوا طوارقهم للسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى

﴿خروج الشريف سعيد من مكة الى الهجمة بعد عزل سليمان باشا له عن امارة مكة﴾

وخرج الشريف سعيد بعد المغرب من أعلى مكة ليلة الحادي والعشرين من ربيع الاول ونزل الهجمة من جهة جعرانة ومعه السيد عبد الله بن حسين ومبارك بن حمود وشبير بن مبارك بن فضل وأما أبوه الشريف سعد فدخل مكة وبات في دار السعادة قال الشيخ أبو السعود المنعاوي ابن عم صاحب التاريخ بعث الى الشريف عبد المحسن ان افرش له دار السعادة فطلعت للشريف سعد وأخبرته بذلك فقال لا بأس قال وكنت واقفا معنا الى أن فرشناه وهو يأمر بالمجالس الجانبية في الفرش ولما تم فرش المحل خرج في الساعة الثانية من يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الاول وطلع الى بستان الوزير عثمان حميدان بالمعابدة بعد ان أودع طارقته للسيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى

﴿دخول الشريف عبد المحسن مكة متوليا امارتها﴾

ثم لما كانت الساعة الرابعة من النهار من ذلك اليوم دخل مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد من أعالي مكة ومعه جموعه وهم في الدروع الضافية واللامات اللامعة الصافية وفي الآي أعظم من سائر العساكر المصرية وجميع العساكر الذين كانوا مع الشريف سعيد وما انضم اليوم من عسكر الباشا وأنواع العرب الذين أجابوا داعيه ولم يزل سائرا الى أن دخل المسجد الحرام وقد بسط له بساط في الحطيم وفتح باب الكعبة المشرفة وحضر القاضي والمفتي والعلماء والخلق كافة ومن دخل معه من الاشراف وقرئ عليهم الاوامر السلطانية وهما أمران أحدهما من السلطان مصطفى والآخر من السلطان أحمد مضمونهما أن سليمان باشا مفوض من قبلنا على الحرمين الشريفين وأنه قائم مقامنا فقد نصبناه بصدد من رأى فيه صلاح العباد والبلاد ومن رأى فيه غير ذلك عزله ونفاه وأقام من يرى فيه الصلاح وهذا خطاب شامل لمن كان تحت طاعتنا جميعا ثم بعد تمام القراءة للأمرين دعا على باب الكعبة المعظمة الشيخ محمد ابن الشيخ عبد المعطي الشيبي والرئيس دعا أعلى زمزم على العادة المعروفة ثم دخل مولانا الشريف عبد المحسن الكعبة وخرج منها الى دار السعادة وقد هيئت له وجلس للتهنئة وقابل الناس ببشر وطلاقة وامتدحته الشعراء بقصائد وأجازهم وألبس الأغاوات وأرباب المناصب على العادة ونادى المنادي في شوارع مكة بالزينة فزينت له مكة ثلاثة أيام واستمروا الى اليوم الاربعاء فكانت مدة ولايته تسعة أيام عدد

ألف درهم ورث مصر وأذن القاضي جمال الدين للسيد حسن بن عجلان أن يصرف الاجرة المذكورة في عمارة ما تخرب منه البيمارستان المذكور ويهدم ما يحتاج الى الهدم ويرمم ما يحتاج الى ترميمه وأن ينتفع به مدة اجارته فشرع السيد حسن في عمارة البيمارستان المذكور عمارة حسنة وجدد فيه ما يحصل به النفع للفقراء وجدد به ابوانا وسهريجا ووقف جميع ذلك بما عمره وبما يستحق الانتفاع به على الفقراء والمساكين والمرضى المنقطعين يأوون فيه علوا وسفلا ويتفعون بالاقامة به والسكنى فيه لا يزعجهم أحد ولا يخرجهم بل يستمرون الى أن يحصل لهم الشفاء والعافية فيخرجون باختيارهم واذا خلا البيمارستان عن المرضى عاد الانتفاع لهم وكتب بذلك كتاب وقف على الصورة المشروحة وجعل النظر على ذلك لولديه بركات وأحمد ثم من بعدهما فالارشد والارشد من ذريته المذكور دون الاناث من ولد الظهر لا البطن وثبت ذلك وحكم بصحته القاضي السيد رضاء الدين أبو حامد محمد ابن عبد الرحمن الفاسي الحسني المالكي في يوم الجمعة لعشر مضين من صفر سنة ست عشرة وثمانمائة وانما حكم فيه المالكي لان متأخريهم أجازوا وقف المنافع وهو خلاف رأي أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما واستمر الى أن خرب ودثر واستبدل مرارا آخر ذلك في أواخر دولة المرحوم المقدس السلطان سليمان خان بن سليم خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان واستبدل الى جانبه رباط سلطان الهند أحمد شاه الكجراتي ورباط الخواجا الطاهر واشتريت دور أخر وعمر في مكانها المدارس الاربع ويبعد

مؤاخه مدرسة الحنفية منها جزى الله خيرا من كان سببا في انشائها وسيأتي بيان عمارتها ان شاء الله تعالى وفي مستهل ذي الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة قدم الى الحج أحد خواص مماليك السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودي في يوم الاثنين لتسع خلون من المحرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة وقد أناف على خمسين وكانت مدة ملكه ثمان سنين وخمسة أشهر وتسلطن بعده ولده الملك المظفر أبو السعادات أحمد بن المؤيد شيخ بعهد منه في يوم الاثنين تاسع المحرم يوم وفاة والده وعمره اذ ذاك سنة وثمانية أشهر وسبعة أيام وهو الخامس من ملوك الجراكسة وصار يدبر مملكته الامير ططر ومعه الملك المظفر أحمد طفلا وقاتلهم وقتل كثيرا منهم الى أن صفا له الوقت فخلع الملك المظفر وتسلطن عوضه في يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة أربع

حروف اسمه فنزل عن الولاية وقلدها ابن عمه مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بن حمزة ابن موسى بن بركات بن أبي نمي فنزل الى المسجد الحرام بالحطيم وحضر لحضوره وجوه السادة الاشراف والوزير المعظم سليمان باشا والقاضي والمفتي والعلماء والخطباء وكبار العساكر وأهل الادراك وعامة الناس

•(ذكر نزول مولانا الشريف عبد المحسن للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى عن شرافة مكة)•

ولما انعقد المجلس قال مولانا الشريف عبد المحسن أيها الناس اشهدوا اني نزلت عن شرافة مكة الى سيدنا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بطيب نفس وسماحة وانه أهل لذلك فأمر حينئذ القاضي عبد زاده المكي أن يخاطب السادة الاشراف هل رضيتم بما رضي به مولانا الشريف عبد المحسن من ولاية مولانا الشريف عبد الكريم فقال الجميع نعم رضينا بما ارتضيه لنا وفيه الكفاية والكفاءة وكل من حضر ذلك المجلس سمع قولهم رضينا به والباعلينا ثم أمر القاضي أن يسألوا ثانيا هذا الايمان منكم عن غير كراهة ولا اجبار على شرط أن لا نكلفوه ما لا يستطيع فقالوا نعم لا نكلفه ما لا يستطيع وليس مرادنا الا الصلاح لبلدنا ونحن معه في اصلاح البلد وما وقع فيها من فساد فعلينا ازالته فسجل عليهم القاضي ذلك في المجلس المذكور فعند ذلك أشار الوزير المعظم سليمان باشا لبعض أتباعه فأتى بفرو فألبسه مولانا الشريف عبد الكريم ثم أمر الوزير بقراءة الامرين السابق ذكرهما من السلطان مصطفى والسلطان أحمد ثم لما فرغ من قراءتهما دعا الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي على باب الكعبة لمولانا السلطان وكذلك الرئيس بأعلى زمزم على جري العادة ثم دخل الكعبة مولانا الشريف عبد المحسن ومولانا الشريف عبد الكريم ومعهم الوزير سليمان باشا ومكثوا بها ساعة وتعاهدوا وأقسموا على الصدق فيما بينهم وخرجوا جميعا فسار الشريف عبد الكريم الى بيت الشريف بركات بن محمد وجلس للتهنئة وخلع على أرباب المناصب والعساكر والخدم ونادى المنادي أيضا بالزينة ثلاثة أيام وبعث الى الطائف فنودي له فيه وخطب له على منبره وأطاعته جميع العرب وبعث الى المدينة ومدحته الشعراء بقصائد وأجازهم هذا وأما ما كان من الشريف سعيد فانه توجه الى جهة المدينة فنزل على مبارك بن رحمة شيخ حرب وشكا اليه ما فعله به بنو عمه واستنجد به فأبى وقال أنا خادم السلطنة ولا أعصي أمر السلطان فارتحل عنهم ونزل ببني ابراهيم واستمر بديارهم أياما حتى اجتمع اليه بعض عرب منهم ومن جهينة وآخرون من أفق هنالك فأخذ بندر ينبع وأنزل فيه ابنه السيد عبد الله بن سعيد وأقام هو بالجابرية وصار يعطي كل بدوي عشرين أحمر وأردبين حبا من حب لأهالي مكة وجدة كان هنالك من بقية

وعشرين وثمانمائة ورجع بالمظفر أحمد الى مصر واستمر بالقلعة الى أن نقل الى الاسكندرية مطعونا في سنة ثلاث وثلاثين
وثمانمائة ونقلت جنازته من اسكندرية الى مصر ودفن بالجامع المؤيد داخل زويلة * وتسلطن الملك الظاهر أبو الفتح سيف الدين
ططر الظاهري في يوم الجمعة لليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة وهو السادس من ملوك الجراكسة وأولادهم
بمصر وكان من مماليك الظاهر برقوق أعتقه وقدمه ولا زال يتقدم الى أن صار عند المؤيد رأس نوبة النوب ثم أمير مجلس ثم
تسلطن كما ذكر وتلقب بالظاهر لقب أستاذه ومهد مملكة الشام وقتل نائبها وقبض على الامراء المخالفين له وقدم المخالفين وله آثار
جميلة ومقاصد حسنة جليلة * من أعظمها أنه قرر لصاحب مكة الشريف حسن بن عجلان ألف دينار ذهب
تحمل له من خزينة مصر
في كل عام وجعل ذلك له في
مقابلة ترك المكس على
الخضر والفواكه
والحبوب وغيرها بمكة وأمر
أن يكتب عهد مراعاته
بذلك على سوارى المسجد
الحرام من ناحية باب
السلام ومن ناحية باب
الصفا باسقاط المكس
الذى كان يؤخذ على
الخضر والفواكه من
المأكولات وان لا يكلف
شريف مكة على أخذ
القرش منهم والسوارى
المكتوبة بهذا العهد
موجودة في المسجد
الحرام الى الآن * ثم لما
نصر الله الملك الظاهر
ططر بمملكة الشام وحلب
عاد الى مصر فمرض في أثناء
الطريق وصار يتململ في
مصر ولزم الفراش ولم
يتهن بالسلطنة ولا كمل
فرحه بالملك وما أمهله
الدهر بل سلبه الملك
وأسلمه الى الهلاك وتوفي يوم
الاحد لاربع مضين من ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة وكانت مدة ملكه أربعة وتسعين يوما شهروا
﴿وولي بعده في يوم موته ولده الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر﴾ وعمره نحو العشر سنوات وهو السابع من ملوك الجراكسة
وصار أتابكه ومدبر مملكته الاتابك جاني بك الصوفي الى أن تغلب على الاتابك برسباي الدقماقي فقبض عليه وأرسله الى سجن
اسكندرية وصار أتابكا مكانه واستبد بأمور المملكة من غير مشارك فخلع الملك الصالح وتسلطن عوضه في يوم الاربعاء لاثنتى
عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكانت مدة سلطنة الملك الصالح ثلاثة أشهر وأربعة عشر
يوما واستمر بعد الخلع عند والدته في القلعة الى أن توفي بالطاعون في سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وعمره نحو العشرين عاما ﴿وولي

الجراية وأخذ بعض أموال أهل مصر المرسلة للوكلاء بجدة واستمر أمره يفشو الى أن جهز عليه
مولانا الشريف عبد الكريم السيد عبد الله بن محمد بن بركات بن محمد ومعه بعض الاشراف
وعسكر فنزل بالصفراء على مبارك بن رحمة فكساه وكسا بقية المشايخ وأقام هناك يستجلب العرب
ثم لحقه السيد زين العابدين بن ابراهيم بن محمد ومعه بعض أشراف من ذوى بركات وذوى شنبر
وآخرون من بنى حسن وعساكر من سليمان باشا ركبوا في الزعائم من بندر جدة ثم ان السيد عبد
الله بن محمد بن بركات ومن معه أرسلوا للشريف سعيد وقالوا له اخرج من بلاد الشريف فرد لهم
جوابا غير لائق فأيقنوا منه الخلاف فسارت الاشراف بمن معهم من العساكر ومعهم ابن زياد شيخ
أهل الفرع بجماعته من قومه ومبارك بن رحمة بمن معه من قومه الى أن وصلوا الى ينبع البحر
فدهمهم السيد عبد الله بن سعيد فحاصروه أياما ثم عجز وطلب الامان فأمنوه وخرج ليلا الى أن لحق
أبيه وأقام معه بالجابرية وتفرقت عنهم العرب ولم يبق معهم الا عبيدهم ومن يلوذ بهم وكانت هذه
الواقعة رابع عشر جمادى الاولى وورد الخبر بنصرة جماعة مولانا الشريف عبد الكريم الى مكة
فألبس المبشر ودار على دور الاشراف كما هو العادة في خبر النصرة فألبسوه الملابس الحسنة
وركزت الاعلام على بيوت السادة الاشراف هذا ما كان من أمر الشريف سعيد وأما أبوه
الشريف سعد فبعد أن خرج الى المعابدة أرسل الى ابن أخيه الشريف عبد المحسن وطلب الاقامة
بجدة مكة ولا مكة وقامه املاله ثم بعد خلع الشرافة على الشريف عبد الكريم بعث اليه فماطله
من ابن أخيه الشريف عبد المحسن فاجابه الى ذلك وذلك بعد خروجه من مكة الى نواحي الشرق
ثم بعد برهة جمع جماعة من الروقة ومحلد والنفعة وقبائل من الاعراب وأطمعهم بالمال وأراد أن
يدخل بهم الطائف فصده وكيل الديرة السيد عبد الله بن حسين بن جود الله وكان معه من
الاشراف السيد مبارك بن أحمد بن زيد وعبد الله بن أحمد بن أبي القاسم وجماعة آخرون كانوا
بالطائف في عملة الشريف عبد الكريم وكانوا ينفقون على السبعمائة مع جملة عبيدهم وحواشيهم
من ثقيف وبنى سعد وغيرهم وتجهزوا لقتاله فهسم علاقاتهم فخطه السيد أحمد بن زين العابدين
بكتاب منه عرفه فيه ما أوجب اعراضه عن الطائف وتوجه الى مكة فتبعه السيد مبارك بن أحمد
بجماعة من نحو كرى وغيره من الطرق فدخل مكة فعرض بهم على مولانا الشريف عبد الكريم
سادس جمادى الاولى بالمعابدة وكان الشريف عبد الكريم لما سمع بقدوم الشريف سعد خرج الى
المعابدة واستمر هناك متهيأ لقتاله فلما كان ليلة الثلاثا سادس جمادى الاولى وصل الشريف سعد
الى الهجيا ونزل بها وهى محل على ميل من مكة مما يلى الجعرانة وسار في آخر الليل بمن معه فما

شعروا به الا وهو قد وصل بيوت المعابدة مما يلي اذاخر فهرب من معه من البدو وأهل المعابدة فركب
الشريف عبد الكريم عن عنده وطلع له عسكر الباشا من ترك ومغاربة ومعهم كخية سليمان باشا
وبعض أشراف من آل أبي نمي فكر الشريف سعد راجعا الى أن نزل الخرمانية محل قريب من
الهجيا ووقعت العسكر في البدو وعمل السيف فيهم ولحق بالشريف عبد الكريم السيد بشير بن
جازان ومعه نحو سبعين مقاتلا من هذيل يقال لهم الصلمان ولحق به أيضا سليمان بن أحمد بن سعيد
ابن شنبر وكان قد ورد هذا اليوم من جدة وكان قد تفرق عن الشريف عبد الكريم كثير من
الاشراف مغاضبين له ولم يحضر هذه الواقعة منهم أحد واستمر في المقاتلة الى الساعة الثالثة من
النهار فضربت فرس الشريف سعد برصاصة وضرب السيد أبو غى بن بازبن هاشم بن عبد الله
برصاصة فسقط من على فرسه وقتل نحو خمسة عشر فرسا من خيل الاشراف وقتل من قوم الشريف
سعد ما ينيف على الثلاثين وعقر من ابلهم ما ينيف على العشرين وقتل من جماعة الشريف عبد
الكريم نحو سبعة أو ثمانية وامتزجت الدماء من الخرمانية الى رأس الشعبة من ريع اذاخر دماء
الناس والخيل والابل وفي الساعة الرابعة ظهر عجز جماعة الشريف سعد فولوا هاربين فحمل
عليهم الشريف عبد الكريم ومن معه حملة واحدة وساروا يقتلون فيهم وساروا هاربين وخرج من
عامة الرعية أكثر من عامة الحاربين وهم يصيحون برفع الاصوات ويكبرون عليهم وكانت مقتلة
عظيمة ومصيبة مهولة ولم يزالوا يقتلون فيهم الى أن أوصلوهم الهجيا فكمن الشريف سعد ببستان
هناك فيه ابنة الشريف سعديه بنت سعد بن زيد فوقف اليه السيد عبد الكريم من جانب والسيد
عبد المحسن من جانب ووقف لوكوفهما من معهما من الاشراف والعرب الا أنهم رموا الرصاص
على نفس البستان وكادوا يصيبون الشريف سعدا فخرج من الجانب الآخر وتبعه من سلم من
القتل ورجع الشريف عبد المحسن من الهجيا وأما الشريف عبد الكريم فلحق بالشريف سعد
ومن معه من الارانك والعسكر وجدوا الى أن وصلوا بستان سلمى وهم يحثون القتل وينهبون
ما قدروا على نهبه من الابل والخيل وقتل بين سلمى والهجيا أكثر مما بين الهجيا واذاخر فصاح
الشريف سعد وطلب الامان ودخل على السيد محمد بن عبد الله بن حسين بن عبد الله فأدخله وطلب
أن يأخذ له مهلة عشرة أيام ويقيم ببستان سلمى فتكلم فيه الشريف عبد الكريم في ذلك فامتنع
وأبى الا أن يسير من وقته من حيث جاء والا فلا أدعه أبدا فرجع السيد محمد بن عبد الله وأخبره بما
قاله الشريف عبد الكريم فبينما هو يحدثه اذ غدره ابن جهور النعدواني وهنيدس شيخ الروقة
فطعنه ابن جهور في يده وخدشه هنيدس بالرمح في رأسه وهربا فأخذ في طلبهما واقتفاهما ابن هنيدس

برسباي السلطنة وتلقب الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر برسباي الدقماقي وهو الثامن من ملوك الجراكسة بمصر أخذ
من بلاد جركس وبيع في بلاد قرم فاشتراه تاجر وجلبه الى الشام وباعه فاشتراه الامير دقماق الظاهري نائب ملطية وقدمه الى
الظاهر برقوق فقربه وأعتقه فصار يترقى الى أن ولاه الملك المؤيد مقدم ألف وجرت عليه نكبات وحبوس الى أن ولي الظاهر ططر
فقربه وأنعم عليه بتقدمة ألف ثم جعله دوادارا واستمر على ذلك الى أن تسلطن على الوجه الذي قدمناه واستمر في السلطنة مدة
طالت وحسنت أيامه ومن جملة مناقبه انه أخذ بلاد قبرس وأسر ملكها في سنة تسع وعشرين وثمانمائة وهو في تحت ملكه بمصر لم
يتحرك وكان عاقلا مدبرا سياسيا ذا وقار وسكينة متجملا في ملبسه

ومركبه محبا لجمع المال واشترى من ماله
ثلاثة آلاف مملوك جركسي
وعمر بالقاهرة المدرسة
الاشرفية وهي من محاسن
مدارس مصر ووقف عليها
أوقافا كثيرة وعمر أيضا
جامعا عظيما في سرياقوس
ووقف عليه أيضا أوقافا
كثيرة وفي أول سني سلطنته
أرسل الامير مقبل
القديدي وأمره بعمارة
أماكن متعددة من المسجد
الحرام كان قد استولى
عليها الخراب فأحسن
بناءها وجدد كثيرا من
أسقف المسجد الحرام
كان قد تآكلت أخشابها
وكذلك جدد سطح الكعبة
الشريفة وكانت
الاخشاب التي تربط فيها
كسوة الكعبة قد تآكلت
وذابت فقلعها ووضع
عوضها أخشابا جديدة
محكمة بمسامير كبار من
الحديد وأحكم كل ذلك
غاية الاحكام وأتقنه غاية
الاتقان * وفي سنة ست
وعشرين وثمانمائة أمر
الاشرف برسباي أمير الحج بمكة يقال له مقبل القديدي الاشرفي بقلع الرخام المفروش في باب الكعبة وجدد رأنها من داخل لخربه
وتقلعه وأن يجدده برخام جديد وأن يعيد ما كان صحيحا غير منكسر وكذلك يصلح الاساطين التي في جوف الكعبة الشريفة
ويحكمها وذكر شيخ الكعبة أنه سمع صريرا في سقف الكعبة الشريفة فتتبعوا ذلك فوجدوا احدى الاسطوانات التي تقابل
باب البيت قد مال رأسها من محله فأعادها الى محلها وأحكمها وعمر ذلك عمارة حسنة وكتب اسم سلطانه الاشرف برسباي في لوح
رخام نقره ونقشه بالذهب وركبه في جدار البيت الشريف وهو باق الى الآن وكان مسند العمارة وهو الامير مقبل القديدي
الاشرفي والناظر عليها الخواجا علي الكيلاني تاجر السلطان وحضر في العمارة شيخ الكعبة والقضاة الاربعة وناظر الحرم

الشريف والمعمار جمال الدين يوسف المهندس وكان الفراغ من هذه العمارة في شهر صفر * وفي أول هذا العام عمر الرخام الذي في أرض الحجر في باطنه وظاهره وأعلاه وأسفله على يد الامير مقبل المذكور * وفيها عمر باب الجنائز أحد أبواب المسجد الحرام الواقع أمام رباط سيدنا العباس رضي الله عنه أمام هذا الباب واغا سمي باب الجنائز لانه كان مخصوصا بدخول الجنائز منه الى المسجد للصلاة عليها فيه وجرت عادة أهل الحرمين الشريفين بادخال جنائزهم المسجد الحرام والصلاة عليها عند باب الكعبة الشريفة وكذلك أهل المدينة يدخلون جنائزهم المسجد النبوي ويقفون بهم أمام وجه النبي صلى الله عليه وسلم ويصلون عليها في الروضة الشريفة وهذا مذهب الامام الشافعي والامام مالك والامام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم وأما الحنفية في الحرمين الشريفين فيقلدون أولئك الائمة لجواز هذا الفضل العظيم لان مذهب الامام الاعظم أبي حنيفة رضي الله عنه عدم جواز ادخال الميت المسجد وطالما تصفحت كتب الفتاوى وتفحصت عن رواية أختار الجواز الى أن ظفرت بعون الله تعالى بجواز ذلك وهي رواية عن أبي حنيفة رضي الله عنه ففرحت بها كثيرا كاني ظفرت بكنز عظيم فلا تغفل عنها فانها من مهمات المسائل لاسيما لاهل الحرمين الشريفين فبعض عليها بالنواجذ واعتمد على ما أثبت في هذه المسئلة فقد ذكر علماؤنا رضي الله عنهم ان كل قول قال به الامام أبو يوسف والامام محمد والامام زفر فهو رواية عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه وحيث ثبتت هذه الرواية عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه فهي قول له وان كانت غير ظاهر الرواية فأخذنا بها تصحيحا لعمل جيران الله والعشرين وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم في الحرمين الشريفين من صدر الاسلام الى هذا العصر ولا نقول بتأثيم من سلف مع وجود المساغ الصحيح وهو رواية عن المجتهد الذي نقلده رضي الله عنه ﴿وقد رفع السؤال في ذلك صورته﴾ ما قولكم في مسئلة الصلاة على الميت في المسجد الحرام المكي ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم في الروضة الشريفة هل يجوز للحنفي ادخال الميت اليهما والصلاة عليه فيهما كما هو عمل الحرمين قديما وحديثا وهو شأن السلف الصالح الى الآن أم لا يجوز ذلك لان الصحيح من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه كراهة الصلاة على الميت في المسجد وعلى هذا فهل يأثم فاعل ذلك وهل تؤثمون السلف الصالح على ادخال موتاهم

ووصلوا من فرسه في قنفذة وفاز بالنفس ثم ان الشريف سعدا سار مارا ببستان سلمي وبات بالزعماء وتفرق من بقي معه من العربان فرجع الشريف عبد الكريم عند ذلك الى مضاربه بالمحصب وبات هنالك ودخل صبيحة يوم الاربعاء ثامن الشهر في الآلاي أعظم بجميع عساكر مصر وعساكر الباشا الى أن وصل منزله ومعه السادة الاشراف وقبائل العرب وكان يوما مشهودا وجلس للتهنئة رابع الاربعاء ثم ان الشريف سعدا ارتحل الى كلاخ يامن عن طريق عفار الى الليث ثم الى القوس ونادى في بني علي وبني عمرو بفيه قبائل زهران وغامد وأطمعهم في أخذ القنفذة وما فيها من الاموال فأجابوه فأخذوا القنفذة فلما بلغ الخبر الشريف عبد الكريم أرسل اليهم عسكرا من عسكر الوزير سليمان باشا من طريق البحر وأمر عليهم مملوكا للشريف أحمد بن زيد فوصلوا القنفذة وحاصروا أولئك القوم فهربوا منها وارتحلوا لعداسة علو وقدموا واجتمع اليهم كثير من العربان حتى بلغوا الثلاثة آلاف ومعه خمسة أشراف فخرج الشريف عبد الكريم من مكة للالتقاء بهم وخرج معه الشريف عبد المحسن وكثير من الاشراف والعساكر وكان قد أرسل قبله جماعة من الاشراف وغيرهم مددا لمن كان هنالك وأمرهم بالتوجه الى أن يصلهم فكان من قدر الله ان وقعت الملاقاة بين الفريقين قبل وصوله واشتد القتال وكادوا ان يهزموا الكثرة من مع الشريف سعد من العرب ثم هبت عليهم ريح النصر وانكسرت قبائل الشريف سعد وطلب الشريف سعد منهم الذمة ثلاثة أيام فسمحوا له بذلك بشرط ان يرحل ويدخل الحجاز فلم يرد لهم جوابا وكان ذلك بعداسة فلما كان اليوم الثالث من أيام الذمة لم يشعروا الا وقد دهمهم بعد ان أفسدت قبائلهم قبائلهم فلما ظهر للاشراف ذلك انحاز بعضهم الى قوم الشريف سعد وأما جماعة الشريف عبد الكريم فتراجعوا وعادوا الى دوقة فلما بلغوا دوقة وجدوا أن الشريف عبد الكريم خلفوا ابهم ورجعوا الى قتال الشريف سعد فلما علم بذلك القبائل الذين معه تفرقوا عنه ولم يبق معه أحد فقصد الشريف سعد أرض غامد وليس معه الا ثلاثة أو أربعة من الخيل ومثلها من الركاب وأقام الشريف عبد الكريم بالقنفذة وجهز أخاه الشريف حامدا الى الطائف ومعه مائتان خوفا من ان الشريف سعدا يقصد الطائف فلما دنا من الطائف بلغه ان الشريف سعدا سبقه اليه ودخل الطائف ومعه نحو ألف وثلثمائة من غامد وزهران وذلك لست وعشرين خلت من رمضان ونادى فيه لنفسه وخرج متوجها الى مكة والتف على من معه كثير من العربان وغيرهم حتى صاروا آلافا كثيرة وأما السيد حامد فدخل الطائف ونادى فيه لاخيه الشريف عبد الكريم ولما بلغ ذلك الوزير سليمان باشا جمع محضرا احضره القاضي والمفتي والعلماء والسادة الاشراف وأكابر العساكر وكان ذلك المحضر بالمسجد عند مقام الحنفي في الثامن

الى مقابلة وجه النبي صلى الله عليه وسلم طلبا البركته ومرحمته ثم ادخاله الى الروضة الشريفة التي هي بنص الحديث الشريف روضة من رياض الجنة فيحرم الميت من دخولها ولا يدخل الى المسجد الحرام ولا يوضع على باب الكعبة منطرحا في باب مولاه الكريم تعالى ويحرم من هذه البركات كلها ويأثم من أدخله مواطن هذه الرحمة والخير (فكتبت ما صورته اللهم وفقنا للصواب) اعلم رحمنا الله واياك ان شرف المسجد الحرام وروضة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ونزول الرحمة فيهما على من دخل فيهما أمر واضح لا شك فيه ولا مرية تعتريه وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وقد تواطأ أهل الحرمين الشريفين وتطابقت آراؤهم الى الآن على ادخال موتاهم الى المسجد طلبا للمزيد التبرك (١٤١) والاسترحام ولم يعهد من علمائنا بالحرمين الشريفين التأبي من ذلك أو الانكار على فاعله مع انه سائغ في مذهب غير الامام أبي حنيفة رضي الله عنه من الائمة المجتهدين رضي الله عنهم فلا نقدم على تأثيم السلف الصالح فيما فعلوه طلبا لمزيد الرحمة والبركة واختلاف الائمة رضوان الله تعالى عليهم رحمة ويجوز التمسك بقول الاخذ بكلام مجتهد من المجتهدين في بعض المسائل وان خالف امامه رضي الله عنهم أجمعين ومع ذلك فقد وجدت نقلا صريحا في المحيط البرهاني عن الامام الثاني ان في رواية عنه قوله مثل قول الامام الشافعي رضي الله عنهما وصورة ما نقل وانما تكره الصلاة على الجنازة في المسجد الجامع ومسجد الحي عندنا وقال الشافعي لا يكره وعن أبي يوسف روايتان في رواية كما قال الشافعي وفي رواية اذا كانت الجنازة خارج المسجد والامام والقوم في المسجد لا يكره انتهى فترجح عندي ان أفتي بالجواز من غير كراهة واعتمدت على هذه الرواية وحسنت الظن بالسلف الصالح وكفى بالامام أبي يوسف رضي الله عنه قدوة في هذه المسئلة فاعلم ذلك واحفظه فانه نفيس ولا تجمد مع الجامدين على أن الكراهة كراهة تنزيه نص عليه شرف الائمة العقيلي كما نقله عنه الامام الزاهدي رحمهما الله تعالى قاله الفقير قطب الدين الحنفي غفر الله تعالى ذنوبه قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى في كتابه اتحاف الورى باخبار أم القرى في حوادث سنة ست وعشرين وثمانمائة وفيها عمر الامير مقبل القديدي باب الجنائز على صفته الآن لانه كان قد سقط ما فوق أحد البابين الى منتهى المسجد الحرام المقابل لرباط المراغي وتخرب ما بين هذا الباب والباب

والعشرين من رمضان وقال لهم الباشا ان الشريف سعدا جمع جموعا وقصد مكة وأخذها بالغلبة والحال انه نزل عنها لولده الشريف سعيد سابقا لادعائه العجز عن القيام بها وانا عزلنا ابنه الشريف سعيدا لعدم رضا بني عمه به حيث قطع معاشهم ووقع بذلك فساد الطرق وقتل العالم ونهب الاموال وتولد من ذلك ما شاهده العالم من القحط والغلاء وخصوصا عزل الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن ثم انه نزل عن طيب نفس وانشراح صدر للشريف عبد الكريم لما رأى فيه من الصلاح وقد صلحت معه العباد والبلاد وأمنت الطرق وعاش الناس فقال كل من في المجلس نعم لا يصلح لها الا هو ثم قال اعرضنا في الاوراق بعد رضا أهل الحل والعقد ثم سأل الحاضرين عن الحكم في هذا المتغلب فقالوا على عسكر السلطان وعونة الاسلام دفعه وقتاله فحكم القاضي بذلك وكتب بموجب ذلك حجة فأجاب جميع العساكر بالسمع والطاعة والخروج لدفع هذا المتغلب فلما كان يوم التاسع والعشرين من رمضان حملوا سلاحهم وباتوا ليلة الثلاثين مظهرين الاستعداد للمقاتلة ونزلوا في المتاريس فلما أقبل الشريف سعد بقومه نزلوا عن متاريسهم من غير قتال والله أعلم بحقيقة الحال وبلغنا ان الشريف سعدا لما رجع الى عاسد وزهران راجع نفسه وقطع آماله وعاد الى الله وبسط عذره لمن معه فيما [illegible] وكذلك اذ [illegible] بعض الرمالين فقال له اني أرى انك تلي أمر مكة ولا بد لك من دخولها ولكن ان مضيت جدا في السير هذا فانك تملكها ما دام الشريف عبد الكريم في أرض اليمن فعند ذلك جدد العزم وسار مجدا في ليله ونهاره فاطلعه الجمال والرمال برحلته لعدم [illegible] من كونه في تلك الاماكن فارتاع الناس صبح الثلاثين من رمضان الا وهو بالابطح وكان مولانا الشريف عبد الكريم بأرض اليمن ولم يكن بمكة من الاشراف الا شرذمة قليلة وكان قائم مقام الشريف عبد الكريم بمكة السيد محمد بن عمرو بن محمد بن بركات فتهيأ بمن معه من الاشراف واستعان بعسكر الوزير سليمان باشا ومن تأخر معهم فأطلعوهم على جبال المعلى المتصلة بالمعابدة وحملوا عسكرهم مع الانكشارية على جبل أبي قبيس وركب هو ومن معه من الاشراف وبطنوا وادي ابراهيم المعروف بالمدرق ومعه بعض العسكر ورموا بالرصاص الى ان تكاثر عليهم العربان وانتشروا في الجبال كالجراد ونزلت العساكر من مراكزهم فانكفوا [illegible] جماعة الشريف سعد وساوروهم بالرصاص يصل الى محل وقوف الاشراف بالمدرق فلما وصل الشريف سعد [illegible] الابطح علمت الاشراف ان لا قدرة لهم عليه فخرجوا من مكة ودخلها الشريف سعد ضحوة النهار من أعلى مكة من غير مقاومة ولا مقاتلة غير ان السيد عبد المطلب بن أحمد بن زيد كان واقفا على باب داره [illegible] الاعلى [illegible] فوقع من على فرسه وذلك بعد دخول عمه الشريف سعد ثم

الآخر وأزيل الحاجز الذي كان بينهما وأزيلت الاسطوانات الرخام الاثنان تليان هذا الحاجز وعمر فجاءت مضبوطة حتى ارتفع وعمر أماكن هذا الموضع بين باب علي وباب العباس وموضع آخر يتصل بباب الافضلية انتهى * قلت ورباط المراغي هو الآن محل رباط السلطان قايتباي الذي هو منزل أمير الحاج المصري في هذا الزمان والمدرسة الافضلية هي أوقاف الخواجا محمد بن عباد الله وبينهما بابان للمسجد أما أحدهما باب واحد يقال له باب النبي صلى الله عليه وسلم وكان يدخل الى المسجد من هذا الباب لان دار السيدة خديجة رضي الله عنها في هذا الباب يقال له باب الحريريين لان الحرير يباع في هذا الباب فات وعادة الناس في زماننا ادخال الجنائز من أبواب العباس وتخرج من (١٤٣) باب السلام وأنا أرى ان تدخل الجنائز وتخرج من باب الحريريين ما بين مدرسة قايتباي ودار الخواجا ابن عباد الله لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل من هذا الباب الى المسجد ويخرج منه ولا شك انه أكثر بركة وخيرا من سائر أبواب المسجد الحرام وانما يقال له باب القفص لان الصباغ يصوغون الحلي في أقفاص للبيع بقرب هذا الباب * قال النجم عمر بن فهد رحمه الله تعالى وفيها عمر الامير مقبل المذكور عدة عقود بالمسجد الحرام في الجانب الشامي من الدكة المنسوبة الى القاضي أبي السعود ابن ظهيرة الى باب العجلة خلف مقام الحنفية وزاد في عرض العقود التي تلي الصحن من هذا الجانب ثلاثة عقود في الصف الثالث وأحكم الاساطين التي عليها هذه العقود وهي سبعة أساطين في الرواق الأول وثمانية في الذي يليه وثلاثة في الذي يليه وسبعة متصلة بجدار المسجد وجدد من أبواب المسجد الحرام باب العباس وهو ثلاثة أبواب وجرب وباب علي وهو ثلاثة أبواب أيضا والباب الاوسط من أبواب الصفا وهي خمسة وباب العجلة وهو باب واحد وأحد بابي الزيادة وهو الواقع في الركن الغربي من الزيادة ورمم باقي أبواب المسجد وبيض غالبه وأصلح سقفه وكل ذلك على يد الامير مقبل المذكور ومعماره المعلم جمال الدين يوسف المهندس رحمهم الله تعالى * وفي هذه السنة جدد الاشرف برسباي الكسوة الحمراء داخل الكعبة الشريفة وكساها من داخل وأزال الكسوة القديمة وكانت للناصر حسن بن قلاوون وجاءت الكسوة الجديدة على يد الزيني عبد الباسط ناظر الجيش صاحب الباسطية التي على باب العجلة عن يسار الداخل الى المسجد الحرام وهي مدرسة وخلاو

توفي ثالث عيد الفطر ونزل في جنازته عمه الشريف سعد وصلى عليه ورجع الى داره وحزن عليه أخوه الشريف عبد المحسن حزنا كثيرا كان سبب الشدة قيامه في دفع الشريف سعد كاسمه ثم تمادت البادية التي مع الشريف سعد على النهب من كل جهة فنهبت البيوت وأخذوا ما وجدوا من نقود وقوت وما عز وهان من متاع وأثاث وأراعوا الذكور والاناث فكم من رجل نزعت من فوقه ثيابه وكم من حرة وشريفة هتكت وكاسية سلبت وحامل أسقطت فما زالوا يهينون الرفيع والوضيع ويسومونهم الضرب والتقطيع حتى دخل الليل فمن الناس من مات فجأة ومنهم من مرض ومنهم من اختبل فلما دخل الشريف سعد دار السعادة أرسل الى سليمان باشا بالامان ليسكن الشان غير انه لم يأمنه فجمع الباشا جميع جنده عند بابه وملأ المدافع وفرق بعض العسكر في البيوت حوله أياما عديدة والشريف سعد يأمره بترك ذلك ويقول له انت آمن على نفسك ومالك فقال ليس الى ترك هذا سبيل والله حسبنا ونعم الوكيل ثم أرسل اليه يقول له انت من الوزراء وأرباب الدولة فلا بأس ان تلبسني خلعة التشريف لتأمن العباد والبلاد ويطيع الحاضر والباد فلم يجبه الى مطلوبه معتمدا على استعداده فلما أيس من ذلك أمر الشريف سعد بمجلس في الحرم الشريف حضره القاضي والمفتي وجماعة من العلماء وبني عمه فلما تكامل المجلس نزل لهم بنفسه وقال اعلموا أيها الناس اني كنت نزلت عن شرافة مكة لولدي سعيد فلم يصطلح لها عزله بنو عمه وولوا ابن عمه عبد المحسن ثم انه نزل عنها الشريف عبد الكريم والتمست منه اقامة أودي فأبى بعد الرضا بذلك فوثبت عليها الآن فهل ترون اني أحق بها وأهل لها فقال الجميع نعم فقال اذهبوا الى سليمان باشا وألزموه ان يلبسني خلعة التشريف لتقر العباد والبلاد فذهبوا اليه فقال أمر سهل لكن على شرط ان يكتب حجة شرعية تتضمن ان الشريف سعيدا قد أفسد البلاد وأضر بالعباد وان ذلك سبب قيام بني عمه عليه وعزلهم له وانهم ولوا عبد المحسن برضاهم وانه نزل عنها بطيب نفسه للشريف عبد الكريم برضاه ورضا بني عمه الاشراف لكونه أحق بهذه الشرافة وأصلح لها وانه خرج لاصلاح بعض الطرقات فتغلب عليها الشريف سعد بسبب غيبته ودخل مكة فانهي ذلك الى الشريف سعد فجعل باذنه بكتابة ذلك فكتب بذلك حجة وأرسل له الباشا قفطانا ألبسه اياه بعد أخذ الحجة فنادى مناديه في شوارع مكة سادس شوال بالامان والاطمئنان وان البلاد بلاد السلطان وبلاد الشريف سعد ابن زيد

(الولاية الرابعة للشريف سعد)

وهذه الولاية الرابعة ومدتها عدة (حي) ثمانية عشر يوما كاسمه وثاني يوم ابتدائها سابع عشر شوال جاء الخبر ان الشريف عبد الكريم في الحسينية قافلا من اليمن ومعه بنو عمه وقبائل من عتيبة

وحرب واستمر هنالك الى الظهر وانتقل منها الى المفجر فقاومته هذيل وقوموا أشرار الحرب وكانوا مع الشريف سعد جمعهم له السيد أحمد بن جازان معونة له فحمل عليهم جماعة من عتيبة وحرب الذين كانوا مع الشريف عبد الكريم فاثخنوا فيهم الجراح وطردوهم عن مواقفهم وأما الشريف سعد فانه لما بلغه انتقال الشريف عبد الكريم ومسيره بمن معه الى المفجر خرج ظهر الاثنين السابع عشر من شوال بمن معه من الاشراف مكملون اللبسة بالدروع وهم خمسة وأربعون ومعه من بقي ممن كان معه من العرب وصعد بمن معه الى أعلى مكة ونزل المنحنى وأما الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف والعرب فانهم بعد هزيمة هذيل شمروا على ساعد الجد ودخلوا جميعا سائرين الى ان وصلوا المحصب فانصب عليهم الرصاص من الجبال المحدقة بالمحصب فلم يبالوا بذلك الى ان شارفوا الشريف سعدا ومن معه فوقع القتال ووقعت مطاعنة من الاشراف في بعضهم البعض فضربت فرس الشريف سعد برصاصة فوقعت به على الارض ونودي عليه فدخل على السيد عبد المحسن بن محمد بن حمود فاكب عليه ومنعه من الطعن ويقال انه طعن ثلاث طعنات وأركبه على فرسه وحضنه ومضى به الى العابدية ووقع انكسار شنيع اقبائله وذلك عند غروب الشمس من ذلك اليوم وحصل قتل في جماعته وهرب من هرب منهم ابن جهور العدواني ودخل الشريف عبد الكريم والشريف عبد المحسن مكة بين المغرب والعشاء ونزل على سلطان باشا وتلاهم من معهم من الاشراف وسيوفهم شاهرة في أيديهم ورماحهم مشرعة على أكتافهم الى ان دخلوا بيوتهم ثم نودي في تلك الليلة بالامان وان البلاد بلاد الشريف عبد الكريم

•(الولاية الثانية للشريف عبد الكريم)•

وهذه الولاية الثانية للشريف عبد الكريم وان كان الشريف سعد أخذها بالغلبة وحال نزوله بيت الباشا أرسل للرئيس وأمره بأذان العشاء واقامة الصلاة فامتثل الرئيس ذلك فأقيمت الصلاة وأمن الناس بعد ان كادت أرواحهم تزهق ثم بعد صلاة العشاء رجع الى المحصب ومعه جميع آل البادية وبات تلك الليلة هنالك ودخل في الصبح ثامن عشر شوال في آلاي عظيم وكان جماعة ممن كانوا مع الشريف سعد لما رأوا ما صار بين دخلوا دار السعادة وجماعة دخلوا دار بيوهر أغا وغيره من البيوت وجماعة في جبل أبي قبيس بزاوية الشيخ يابق والبيوت التي حوله فأقاموا يومهم وليلتهم محاصرين الى الضحوة الكبرى ثم أرسل الباشا مدافع وعسكرا ورموا بالمدافع الى الاماكن التي فيها أولئك المحاصرون فكسرت الابواب فدخل العسكر وقتلوا كل من هنالك وربطوا جماعة وذهبوا بهم الى بيت الباشا فقتلوا هنالك واستمر القتل بقية ذلك النهار حتى لم يبق

للفقراء في غاية الاحكام والاتقان والمدرسة شبابيك مشرفة على المسجد الحرام وسبيل الى جانب المدرسة باقية الآن بيد التجاريين أئمة مقام الحنفي يسكنها الاعيان الواردون الى الحج وكانت عليها أوقاف بمصر دثرت الآن وأبقى أيضا عبد الباسط سبيلا وحفر بئرا في طريق العمرة على يسار الذاهب الى العمرة موجودة الى الآن بقرب الموضع الذي يقال له فخ فانقبرا لجماعة فيه مدفن أبي عبد الله الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وكان أحد الاجواد في الاسلام وكان يقول ما أظن لي أجرا فيما أعطيه فقيل له وكيف ذلك قال لان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ووالله ما هذا عندي وهذا الحصى الا بمنزلة واحدة وكان خرج على الهادي العباسي بمكة وقاتل خالد اليزيدي ومن معه من جنوده العباسيين وهزمهم ثم وصل محمد بن سليمان بجنود أخرى من قبل الهادي وقاتل الحسين ابن علي بفخ وقاتل قتالا شديدا الى ان قتل هو وجماعة من شيعة أشراف بني حسن رحمهم الله تعالى وحملت رؤسهم وهي مائة رأس يقدمها رأس الحسين بن علي الى الهادي ويقال له الحسين بن علي الفخ التيمي وروى أبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم قال انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى فخ فصلى بأصحابه صلاة الجنائز ثم قال يقتل ههنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المسلمين ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة تسبق أرواحهم الى الجنة أجسادهم وعبد الباسط هذا هو ابن خليل ابن ابراهيم الدمشقي ثم القاهري ناظر الجيش في أيام الظاهر ططر ومن بعده كان عزيزا وثيسا كريما نافذ الكلمة على البلاد واسع العطاء كبير الهمة له في كل واحد من هذه المساجد الثلاثة مدرسة وكذلك بالقاهرة مدرسة عظيمة وبالشام وفوقه له على جميع هذه المدارس أوقاف كثيرة بمصر كانت تغل مغلا كبيرا استولى عليها الخراب الآن وكانت له محابة للفقراء تنصب لهم في الطريق يستظلوا تحتها وكانوا يحملون على جمال في شقادف أعدها لهم وكانوا يسقون الماء العذب كلما احتاجوا اليه ويطعمون الخبز الطري والقصماط وكان يطبخ لهم في المناهل ويذبح لهم الغنم في الذهاب من مصر الى مكة وفي مدة الاقامة بها والعود منها الى مصر مع الاحسان اليهم والى غيرهم وأصلح كثيرا من درب الحجاز وكان متكلما على أوقاف كسوة الكعبة بمصر فعمرها وغلاها الى ان فاضت وكثرت في

زمانه • وقد ذكر شيخ الاسلام قاضي القضاة بمصر الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه فتح الباري ان الصالح بن الناصر بن قلاوون اشترى ثلثي قرية يقال لها بيسوس من وكيل بيت المال ثم وقفها في كسوة الكعبة الشريفة ولم تزل تكسى من ريع تلك القرية الى ان فوض أمرها المؤيد شيخ الى الزيني عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش فنمت وكثر ريعها وبالغ في تحسينها بحيث يعجز الواصف عن وصف حسنها جزاه الله على ذلك خير الجزاء . اهـ وكفاه فخرا ذكر هذا الامام الجليل في مثل هذا التأليف العظيم • ورأيت أيضا في شرح ايضاح المناسك للسيد نور الدين علي السمهودي الحسني عالم المدينة رحمه الله تعالى ما لفظه وكسوة الكعبة الشريفة فقد وكسوة الحجرة

الشريفة النبوية في هذه الاعصر من وقف قرية يقال لها سندبيس في طرف القليوبية مما يلي القاهرة اشتراها السلطان الصالح اسمعيل بن السلطان محمد ابن قلاوون من وكيل بيت المال ووقفها لان تكسى منها الكعبة الشريفة كل سنة وتكسى الحجرة الشريفة النبوية في كل خمس سنين مرة على ما قاله الزيني المراغي وذلك في عشر الستين وسبعمائة • أقول هذه القرى موجودة الآن بمصر لكن ذكر لي من كتبة ديوان مصر الفاضل الكامل • مولانا مصطفى چلبي بن مسيح زاده لما كان مقيما بمكة المشرفة ناظرا على الحرم الشريف المكي ذكره الله تعالى بالصالحات ان هذه الاوقاف ضعفت جدا وقل محصولها وصارت لا تفي بكسوة الكعبة الشريفة فعرض ذلك على أبواب المرحوم المغفور له السلطان سليمان خان أسكنه الله فسيح الجنان فأمر بالحاق قرى أخر اشتريت من بيت المال وأوقفها وألحقها بأوقاف كسوة الكعبة الشريفة وهي باقية الى الآن ومنها كسوة الكعبة الشريفة في كل عام ﴿ولنعد الى تكميل ترجمة القاضي عبد الباسط﴾ كانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء لاربع ليال مضين من شوال سنة أربع وخمسين وثمانمائة وتوفي السلطان الملك الاشرف برسباي يوم السبت الثالث عشر ليلة خلت من ذي الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة • وفي يوم وفاته تولى بعده العزيز الملك جمال الدين يوسف وعمره يومئذ أربعة عشر عاما وهو التاسع من ملوك الجراكسة بمصر وصار مدبر مملكته الاتابك جقمق العلائي ولا زال يقوى أمره والاقدار تساعده الى ان خلع الملك العزيز يوسف بن برسباي بعد ان تسلطن نحوا من خمسة أشهر لم يكن له فيها الا مجرد

الا من توارى ثم تتبعوا من كانوا في جبل أبي قبيس فقتلوهم حتى ربطوا بالقتلى الى الصفار كانوا نحو السبعمائة وكان يوم مخطط نعوذ بالله من مكره وكل محل من مكة تجد فيه القتلى قيل ان عدة القتلى في ذلك اليوم ألف ومائتا رجل حتى عجز الناس عن مواراتهم وصاروا يحملونهم على العجلات ويرمونهم من رواشن دار السعادة واسطحتها الى الارض فيدفنونهم بجرائرهم ويلقونهم في العجلات ويحفرون لهم حفرا ويلقونهم فيها وجمعت الرؤس في حوش الشريف سعد وجعلت في الخيش وبني منها أرضهم على تار حجة سبيل السلطان مراد في المعلى بقصد المباريهم فلا حول ولا قوة الا بالله واستمر الشريف سعد بالعابدية مريضا حتى انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الاحد خامس ذي القعدة سنة ست عشرة ومائة وألف وغسل وصلى عليه الشيخ عبد القادر المفتي الصديقي بوصاية وعهد منه اليه وطلع في جنازته الشريف عبد الكريم وجميع الاشراف والناس ودفن في قبة الشريف أبي طالب عند والده الشريف زيد وقد تبين لك ان ولايات الشريف سعد على مكة أربع مرات فالمرة الاولى مدته فيها ست سنوات الا احدى وعشرين يوما والثانية سنتان والثالثة سبع سنين وسبعة أشهر واثنا عشر يوما والرابعة ثمانية عشر يوما فمدة الولايات الاربع خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وتسعة أيام متفرقة ومولده سنة اثنتين وخمسين وألف فيكون عمره أربعا وستين سنة رحمه الله تعالى وفي هذه القصة قبل وصول الشريف عبد الكريم من اليمن تعطلت جميع الطرقات والجهات وصارت الناس تؤخذ من المعلاة والشبيكة والمسفلة وقل ان تجد أحدا يمشي منفردا ويحدث فيها كثرة العربان وانتشارهم وكثر القتل والنهب حاجوه المعابدة ومما اتفق ان عتيبة ليلة التاسع من شوال قتلت أربعة من هذيل واثنين من قريش قريبا من السد فخرجت هذيل في صبيحتها في نحو مائتي مقاتل الى ان وصلت المعابدة ووجدوا هناك اسحاما من عتيبة وفيهم هتيمي شيخ الروقة فقتلوه وقتلوا معه نحو سبعة أنفار من عرب عتيبة وطرحوهم في الطريق وركبوا جبل الخندمة وصرخ صارخهم فارتجت لهم الارض فركب السيد أحمد بن جازان في جماعة من الاشراف فأعطوهم الامان فلم يأمنوا الا ان عتيبة اجتمعت فرقة منهم بالمعابدة فلم تزل بهم الاشراف حتى رضوا بعدد العدس فأخذوا هدنة عشرة أيام ونادى السيد أحمد بن جازان لهذيل انهم في ذمته وأمانه ووجهه ثم ان عتيبة رحلوا غضابا ونزلوا بالحبت على غير رضى واستمر القتال والخوف الى أن دخل الشريف عبد الكريم وكان ما كان ثم ان الشريف عبد المحسن نادى بان هذيلا وعتيبة الكل منهم في وجهه لا يمد أحد منهم يده على رفيقه فسكن الاضطراب وأمنت الناس وفي اليوم الحادي والعشرين من شوال ورد الى الشريف عبد المحسن مكاتيب من ينبع من قبل السيد عبد الله

ابن

الاسم وتسلطن مكانه في يوم الاربعاء لعشرين من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ولقب بالملك الظاهر
الدين أبا سعيد جقمق العلائي الظاهري وجلس على سرير الملك وتم أمره وهو العاشر من ملوك الجراكسة وكان جلب من بلاد
جركس الى مصر فاشتراه علاء الدين علي بن الاتابك اينال اليوسفي فنسب اليه فقيل له جقمق العلائي ثم انتقل الى الظاهر برقوق
فقيل له الظاهري وكان عنده خاصكيا ثم صار في دولة الناصر ساقيا عنده ثم صار أمير عشرة ثم صار في دولة المؤيد خزندارا ثم
صار من مقدمين الالوف ثم في دولة الاشرفية صار حاجب الحجاب ثم أمير آخور كبير ثم أمير سلاح ثم صار أتابكا الى ان تسلطن
فخرج عن طاعته الامير قرقماس فقاتله ثم ظفر به وسجنه بالاسكندرية ثم قتله ثم خرج عن طاعته نائب حلب تغري
برمش ثم اينال الحكمي نائب الشام فجهز عليهما العساكر فقاتلوهما واحدا بعد واحد وظفر بهما وقتلهما وبعد ذلك صفا له الوقت فأخذ وأعطى وأقدم وسطا وكان متواضعا محبا للفقهاء والعلماء والصالحين يميل الى تربية الايتام ويحسن اليهم عفيفا عن المنكرات طاهر الفم والذيل لا يعلم من ملوك الجراكسة قبله ولا بعده أعف منه وكان على قاعدة الاتراك الدعوى عنده لمن سبق يذاكر مسائل فقهية ويتعصب لمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه وملك مصر نحوا من خمسة عشر عاما الى أن أورى الدهر له من زنده نارا واتخذ بدل عيشه الاخضر بالموت الاحمر ولم يجد له أنصارا واتخذ تحت الارض بعد تخت الملك قرارا واصفرت

 الارض منه في سابع صفر سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكان الظاهر جقمق أول من ولى النظر
الى مكة المشرفة وأرسل خلعا ومراسيم للسيد بركات بن حسن عجلان بولاية مكة وأرسل اليه سودون المحمدي ليكون أميرا على
خمسين فارسا من الترك مقيما بمكة وشيد العمائر بها وكان من عمارة الامير سودون بالمسجد الحرام في سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة
انه قلع الرخام الذي على سطح الكعبة الشريفة وكان الخشب الموضوع في السطح الشريف لان يربط فيه حبال الكسوة الشريفة
قد تأكل وتأكل خشب الروازن الاربعة التي كانت في سقف الكعبة التي كانت للضوء فغير ذلك جميعه وجرد الكعبة الشريفة
واستمرت مجردة يومين وليلتين يشاهد الناس أحجارها الى ان أكمل ترميمها واصلاحها وأعيدت الكسوة عليها في ضحى يوم الاثنين

امير بركات بجبران الشريف سعيد اقدم من الجارية الى ينبع ومعه من قبائل العرب جماعة يريد أخذ
البندر لما بلغه ان أباه دخل مكة فخرج اليه ورده فرجع الى الجارية وأقام بها وبعد استقرار
الشريف عبد الكريم بمكة كتب عروضين منه ومن سليمان باشا عليها خطوط العلماء والاشراف
بشرح ما قد صار فلما وصلت الى مصر أخرجها عصر لتوافق بين أيوب بيك أمير الحج المصري وبين
الشريف سعيد لما كان في نفس أيوب بيك من صاحب جدة قد كتبوا من مصر عروضا غيرها
وأرسلوها الى الابواب السلطانية مضمونها ان صاحب جدة عزل الشريف سعيد اوولي الشريف
عبد الكريم من غير جناية فلما وصلت الى الابواب السلطانية أمر الوزير الاعظم صاحب مصر ان
يجهز عسكر تجريدة ليرجعوا الشريف سعيد الى مكانه ويكون باشا التجريدة أيوب بيك فلما
جاءهم الاوامر السلطانية توافق صاحب مصر مع أيوب بيك أمير الحج المصري وايواز بيك على
ارسال التجريدة الى مكة اعانة للشريف سعيد فكان الامر كذلك ثم بعد ذلك أطلق الوارد بعروض
الشريف عبد الكريم وعروض سليمان باشا صاحب جدة فوصل بها الى الابواب فأراد الوزير كتمها
فما أمكنه فأخبر بها الى السلطان أحمد فأمر باحضارها فقرئت بين يديه واستدرك الامر وكتب الى سليمان
باشا صاحب جدة بان ينظر فيما هو الاصلح للحرمين وفوض اليه الامر ان يولي من فيه الاصلاح
فجهز صاحب مصر التجريدة وجعل ايواز بيك باشا التجريدة وأيوب بيك أمير الحج المصري وعملوا
تجريدهم وباعوا حب السلطان المعين لاهالي مكة واستعانوا بثمنه على ما أرادوه فورد ايواز بيك
بالتجريدة الى ينبع في ذي القعدة فوصل اليه الشريف سعيد وأخبروهم انه بالجارية فبعثوا اليه
واستدعوه وقد تخلى عن كل أحد الا السيف وأيس حتى من طارق الطيف فأعاد عليهم الجواب
بالاعتذار لعدم وجود لوازم الهمة العلية مما يحتاج اليه في هذه القضية فبعثوا اليه بما يليق
بمقامه من جوائز وخدمه ومقامه فأقبل الى ايواز بيك في أربعمائة خيال محفوفا بالعز والرجال
فخلع عليه قفطان الشرافة الوارد صحبته مع محمود آغا أحد أغاوات السلطان أحمد ونادى له
بينبع ولما كان يوم الثالث والعشرين من ذي القعدة ورد مكة سبعة أنفار من غير معرفين
كل ثلاثة رجال ودخلوا الى قاضي مكة وبيدهم كتب من ايواز بيك أمير التجريدة ومن الشريف
سعيد وفيها الخطاب لقاضي مكة وللسرادير ومضمونها ان السلطنة أنعمت على الشريف سعيد
بشرافة مكة فانتم أطيعوا الله والرسول والسلطان واياكم والمخالفة وقد ألبسناه قفطان الشرافة
الذي ورد به محمود آغا صحبتنا وهو أحد أغاوات السلطان أحمد وهو وارد صحبتنا ووقع هذا الحال
وورد بينبع ثالث شهر ذي القعدة فوقع بمكة لموجب هذا الشأن رجفة عظيمة فلما بلغ ذلك الشريف

ثمان بقين من شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة وأصلح أيضا رخام داخل الكعبة من الجدار المقابل للباب الشريف وأصلح أيضا رخام الحجر وبيض مأذنة باب السلام وأصلح مأذنة باب العمرة وبيض مأذنة باب الحزورة ورمم أسافل مأذنة باب علي وأصلح سقف المسجد الحرام من تلك الجهة شاربابه وأصلح الرفرف الدائر بالمسجد الحرام وبيض علو مقام ابراهيم وعلو مقام الحنفية وقبة باب ابراهيم والاميال التي تلاصق بدار العباس في المسعى والميل الذي في ركن المسجد بقرب باب بازان والذي يقابله التي هي علامة للسعي بينهما وعين في كل ميل قنديلا بالليل من قناديل الحرم الشريف في شهر رجب وشعبان وشهر رمضان تضيء للمعتمرين وفي بعض ذي الحجة للاضاءة على الحاج اذا أرادوا السعي وجعل على الصفا قنديلا وعلى المروة ثم عمر الامير سودون المذكور ما بقي من المواضع المأثورة في منى وفي المشعر الحرام بمزدلفة ومسجد نمرة بعرفة وقطع جميع أشجار السلم والشوك الذي كان بين المأزمين في طريق عرفة وكانت تمزق كسوة الشقادف والمحائر عند مزاحمة جمال الحاج في ذلك المحل وكانت السراق تكمن تحت الاشجار وتنهب جميع ما تظفر به من الحاج وتخطف منهم جميع ما تقدر عليه فقطع الامير سودون جميع تلك الاشجار وأزال الصخور الكبار ونظف الطريق ووسعها وشكره الحاج على ذلك ودعوا له حيث كانت تضر في طريق المسلمين والا فشجر الحرم لا يعضد ولا يقطع فرحمه الله تعالى وأثابه الحسنى وكذلك الامير خوش كلدي نائب جدة في عصرنا في حدود سنة خمسين وتسعمائة قطع أشجار السلم ما بين المأزمين وكسر الاحجار ٢ في سفح الجبلين ومهد ووسع الطريق للحجاج ودفع بذلك الحل عنهم شر السراق الذين كانوا يكمنون خلف تلك الاشجار والاحجار وشكره الناس أثابه الله تعالى وسيأتي شيء من عماراته فيما بعد ان شاء الله تعالى وفي موسم سنة ثمان وأربعين وثمانمائة وصل مع الركب المصري رسول سلطان العجم شاه رخ ميرزا بكسوة للكعبة الشريفة وصدقة لاهل مكة فكسيت الكعبة من داخلها بتلك الكسوة من يوم عيد الاضحى وفرقت الصدقة على أهل الحرم وفي سنة خمسين وثمانمائة وصل بيرام خواجا ناظرا على المسجد الحرام وبني بالمعلاة سبيلا وحوضا ينتفع بهما الناس والبهائم على يمين الصاعد الى المعلاة صار الآن في عصرنا بستانا عمره خوجاقيني مولانا محمد بن محمود أفندي ٢ بياض بالاصل

عبد الكريم أرسل اليهم وسامهم القتل وحبسهم الى الظهر ثم أطلقهم ثم شاع ما ينافي ذلك وان القفطانين انما أرسلت باسم الشريف عبد الكريم وان هذا الامر من تعب قيام أيوب بك أمير الحاج المصري مع الشريف سعيد لغرض في نفسه ثم جعل الشريف عبد الكريم محضرا في المسجد جمع فيه القاضي والمفتي والعلماء والاشراف وكبار العسكر واجتمع معهم كثير من الناس فقال الشريف عبد الكريم اعلموا اني دخلت مكة وقد حل بها ما حل من الغلاء وانقطاع الطريق وهذا كله سببه الشريف سعيد وحكامه فقال الناس صدقت ثم قال هل تشهدون اني ظللت البلاد وأرحت العباد وأمنت الناس بعد أن وليت قالوا نعم ثم قال هل حدث مني من المظالم ما يوجب رفعي عنها قالوا حاشا لله قال هل ترضون بولايتي عليكم أو ترضون بولاية الشريف سعيد قالوا لا نرضى الا بك فقال هؤلاء الاتراك يريدون تولية سعيد وعزلي فقالت العامة باطل باطل عن لسان واحد ثم ان الاشراف الحاضرين وقع منهم تهديد للقاضي ولمن حضر من العساكر المصرية وقالوا لا نسلم لما جاء به ايواز بك ولو كان معه أمر سلطاني بولاية الشريف سعيد فنحن لا نعصي أمر السلطان غير ان السلطان لا يرضى علينا الخلاف ولا يولي علينا الا من نرضاه فجعل القاضي صورة ما وقع في هذا المجلس وكتب به حجة ووضعت خطوط الاشراف والعلماء والمراد بها علماء بعثوا بها الى ايواز بك فاجاب ان صحبتنا أغا من أغاوات السلطان معه أمر سلطاني ناص بان شريف مكة لا يكون الا سعيد وانا لسنا نقصد الا الاصلاح ولم نؤمر الا به فاذا وصلناه والشريف سعيد اليكم أشرفناكم على ما أمرنا به ويحصل هذا الاتفاق ان شاء الله تعالى فاعاد اليه الشريف عبد الكريم والسادة الاشراف ان دخول الشريف سعيد غير صلاح وانما يجلس في موضعه الى ان يرحل الناس من الحج ثم ننظر في الامر فقال ايواز بك لا بد من دخوله صحبتنا فارسل اليه الشريف عبد الكريم والاشراف يقولون ان دخلتم به فما عندنا الا السيف فاجتهدوا وتجهزوا عند ذلك تخلف ايواز بك بمن معه من العسكر الجريدة وجلسوا ينتظرون قدوم الحاج المصري بالجوم من وادي مر وصمم الشريف عبد الكريم على منعهم من الدخول بالشريف سعيد أو قتالهم فخرج رابع ذي الحجة الى بئر طوى في عبيده وتلاحقته بنو عمه الاشراف فاغربت الشمس الا وقد اجتمع عنده نحو ألف مقاتل من حرب وعتيبة وغيرهم وأصبح ذلك الوادي وهو بحر غاص بالوادي واستمر الى سادس ذي الحجة ومن الغريب انه ورد ثاني ذي الحجة على سليمان باشا وهو بجدة أمر سلطاني من البحر مضمونه ابقاؤه على جدة وزيادة سواكن وانا أبقيناك على ما في يدك من تفويض أمر الحرب والامر اليك في ولاية من ترى فيه الصلاح للبلاد والرعية ولمن يرضاه أهل

وهي بمكة المشرفة في سنة سبع وستين وتسعمائة وقدمه خانم سلطان بنت الوزير الاعظم رستم باشا وأمها والدة السلاطين خاصكي سلطان رحمهما الله وهو الآن في تصرف ناظر عمارتها بمكة المشرفة ● وفي موسم سنة خمسين وثمانمائة أيضا جاء وزير من وزراء السلطان مراد الثاني طيب الله ثراه جاء بصدقات جليلة وخيرات وافرة جليلة لاهل الحرمين الشريفين وبنى في بركة ماء العباس بالحرم الشريف ثمانمائة وستين رأس سكر وعدة قناطير من العسل وسقى الناس وملأ القرب وخرج بها السقاؤن الى المسعى يسقون الناس وصرف على الحجاج وأهل الحرمين أموالا جزيلة تقبل الله منه صالح أعماله ● وفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة عمر ناظر الحرم بيرم خواجا في الجانب الشرقي قطعة من جدار المسجد الحرام يلي رباط السدرة الذي هو الآن رباط الشريف قايتباي وعمر شباك خلوة منسوبة للشيخ عفيف الدين بن عبد الله بن أسعد اليافعي وشباك خلوة منسوبة للشيخ جمال الدين محمد بن ابراهيم المرشدي وجدد في الرواق القبلي من الجانب الشامي سبعة عقود وعمر أيضا عين حنين وأصلح مجاريها وارمها رمها احكاما وصل في ذلك العام كسوة لحجر اسمعيل مع كسوة البيت الشريف لا نعلم تجرد ذلك عادة قبل هذا او وضعت في البيت الشريف ثم كسى بها الحجر الشريف من داخله في العشر الاخير من ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بعد ان حفظت في جوف البيت الشريف سنة كاملة ● وعمر ناظر الحرم الشريف بيرم خوجا عين بازان في عرفة كانت دائرة مملوءة بالتراب فأخرج ترابها وأصلحها وساق اليها الماء من الآبار التي بقربها لشرب الحجاج منها وعمر مسجد نمرة بعرفة وعمر مسجد الخيف بمنى وصرف مالا عظيما في جهات الخيرات رحمه الله تعالى ● ثم عزل ناظر الحرم المذكور بالتاجي الامير بردبك ووصل الى مكة المشرفة ليلة الاحد السادس والعشرين من شعبان سنة أربع وخمسين وثمانمائة وطاف وسعى وعاد الى الزاهر ودخل صبح تلك الليلة من أعلى مكة ولاقاه أكابر مكة وأعيانها ولبس الخلعة السلطانية وقرأ مرسومه بالحطيم وهو مؤرخ بثاني عشر جمادى الآخرة يتضمن انه ولي نظر الحرم الشريف والربط والاوقاف والصدقات وان يحاسب من كان قبله وان يكون محتسبا بمكة فاستمر بهذه الوظائف وهو قائم الجاه نافذ الكلمة وباشرها مع التمكين وعمر في أواخر السنة بعض سقوف المسجد الحرام ● وفي هذه السنة أمر قاضي القضاة أبو

الحل والعقد ويرون فيه الصلاح وعزل من ثبت فساده فبعث سليمان باشا الشريف عبد الكريم يخبره بذلك فارتاضت نفسه عند ذلك وعلم ان الله ناظر اليه فأيس القاصد ودق الزير وأظهر السرور واستفاض الخبر عند القاضي والاهالي ففرح الناس بهذا الامر ثم ان سليمان باشا خرج من جدة ونزل بطوى مع مولانا الشريف عبد الكريم ثالث ذي الحجة ثم لما كان خامس الشهر دعا سليمان باشا القاضي والمفتي وبعض العلماء وأكابر العساكر المصرية الذين بمكة ما عدا عسكر الانكشارية فانهم لم يحضروا واجتمع الجميع بطوى عند الشريف عبد الكريم والوزير سليمان باشا وتشاوروا في هذا الامر واتفقوا على انهم يرسلون لايواز بيك من معهم ويعذلونهم على تعصبهم وتحذيرهم فتنة بني حسن الاشراف ويعرفونهم بما جمعوا من العرب وان هذا أمر يترتب عليه ابطال الوقوف بعرفة وأداء المناسك والسلطان لا يرضى بذلك فان كان معكم أمر بعثوا به المناوئين مطيعون لامر السلطان فكتبوا ذلك كله وبعث القاضي بالكتاب مع جوخدار وبعض البابكات فلما قرؤه اضطربوا وشاوروا الانقياد اليه الا انه كان من قضاء الله وقدره ان سليمان باشا نزل الى القاضي بالمحكمة سادس ذي الحجة قبل ورود الجواب اليه من ايواز بيك وأراد ان يجمع وجوه الناس عند القاضي ويظهر أمره الذي بيده ليشهد عليه الناس وليشهد الناس باستحقاق الشريف عبد الكريم وان عزله الشريف سعيد وقع في محله فلما اجتمع الناس بالمحكمة ثارت الانكشارية على الباشا والقاضي والعلماء ووقعت ضربت السيوف في المسجد فهرب الناس ولم يبق الا الباشا وحده عند القاضي فأخرج القاضي صورة أمر قرئ بحضرة الباشا والعسكر الانكشارية مضمونه انا قد ولينا الشريف سعيدا مكة ورددناه اليها بعد عزلكم فأنتم أطيعوا الله والرسول وأولي الامر منكم فبرد سليمان باشا عما أراد فقال له الاتراك اذهب أنت والقاضي وجماعة من العلماء الى الشريف عبد الكريم بطوى وأمره بالخروج من بلد السلطان والا فانتم الخصماء فذهب سليمان باشا والقاضي وجماعة من العلماء الى الشريف عبد الكريم بطوى فسألوه ان يحقن الدماء ويقيم شعار الحج بخروجه من بلد الله ورسوله فجمع الوادي والاشراف وأخبرهم بما جاء به القاضي والوزير والعلماء فأطاعوه وبعد تأهب من الاشراف فرحل بمن معه يوم السادس من ذي الحجة الى الركاني وبعث الى الشريف سعيد والى ايواز بيك والى أيوب بيك أمير الحج المصري ان ادخلوا فاني أخرت القتال الى بعد الحج فنودي للشريف سعيد بالوادي وتعاطى وكالته على مكة السيد ناصر بن أحمد الحارث وبمجرد خروج الشريف عبد الكريم تقطعت الطرق وحصل النهب في طريق جدة وذهبت جملة أموال للناس وكذلك طريق اليمن

السعادات بن ظهيرة الشافعي رباط رامشت لوكيل القاضي ناظر الخاص ثم صارت فتاوى بعدم صحة اجارة الوقف اجارة طويلة فاستبدله وحكم بصحة الاستبدال حاكم حنفي ثم أمر بعمارته رباطا فعمره له ناظر الحرم الشريف التاجي بردبك وفتح فيه عدة شبابيك على الحرم الشريف على الوضع الذي هو باق عليه الى الآن وفي سنة ست وخمسين وثمانمائة وصلت أحكام من الظاهر جقمق تتضمن الامر باخراج ما على الكعبة الشريفة من داخلها من الكسوة المنسوبة الى الاشرف برسباي وان تبقى كسوة الملك الاشرف الظاهر جقمق وحده فافعلوا ذلك وفيها سافر أمير الترك المراكز بمكة الامير جانبك النوروزي وولي عوضه في منصبه ناظر الحرم التاجي بردبك وفي (١٤٠٨) سنة سبع وخمسين وثمانمائة وردت القصاد من مصر تخبر بأن الملك الظاهر جقمق زاد به مرضه فخلع نفسه من السلطنة في يوم الخميس لتسع بقين من محرم من السنة المذكورة لولده أبي السعادات فخر الدين عثمان ولقبه الملك المنصور وعقد له البيعة ورضي الناس به واطمأنوا وهو الحادي عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وسنه دون العشرين وركب بشعار السلطنة وحمل الاتابك أينال العلائي أمير كبير القبة والطير على رأسه وجلس على تخت الملك في قلعة الجبل وباشر الامور الى أن توفي والده بعد سلطنة ولده باثني عشر يوما فوقعت فتنة بين الامراء فخلع الملك العزيز عثمان وتسلطن الملك الاشرف سيف الدين أبو النصر أينال العلائي في ضحوة يوم الاثنين لثمان مضين من شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وهو الثاني عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وهو جركسي جلبه الخواجا علاء الدين عن الى مصر فاشتراه الظاهر برقوق وأعتقه الناصر فرج بن برقوق وتنقل في الدولة الى ان صار في أيام الاشرف برسباي أمير مائة مقدم ألف وولاه الظاهر جقمق الدوادارية الكبرى الى ان جعله أتابكا واستمر الى ان تسلطن وتم أمره في الملك وطالت مدته وأيامه نحو ثمان سنين وشهرين وأياما وكان طويلا خفيف اللحية حتى اشتهر باينال الاجرود وكان قليل الظلم قليل سفك الدماء متجاوزا عن الخطا والتقصير الا ان مماليكه سارت سيرتهم في الناس وفي ابتداء سلطنته سافر اليه أمير الترك المراكز بمكة وناظر الحرم ومحتسب مكة الامير بردبك التاجي وولي عوضه أمير الترك المراكز بمكة شيبك الصوفي وطوغان شيخ الحرم ومحتسب وولي مشدا على

وحصل من الحج خلق كثير ثم ان الشريف عبد الكريم ركب من الركاني وواجه بيرام باشا أمير الحج الشامي ومعه جماعة من الاشراف واجتمع به في وادي الجموم ثامن شهر ذي الحجة وصار منهم من التدابير ما تولد منه النافع الكثير كما سنراه ان شاء الله وأما الشريف سعيد فانه دخل مكة يوم السابع من ذي الحجة ودخل معه أمير الحاج المصري أيوب بيك وأمير التجريدة ايواز بيك مع التجريدة وسائر عساكر الحج المصري ومعه نحو أربعين من الاشراف لم يكونوا مع الشريف عبد الكريم في محله وكان دخوله من الشبيكة الى المسجد هو ومن معه وقد فرش له بساط في الحطيم وتحت الكعبة الشريفة وقرئت له الاوامر على من حضر من الاعيان ثم خرج الى منزله الذي بسويقة

(الولاية الرابعة للشريف سعيد ٦ ذي الحجة سنة ١١١٦)

وهذه الولاية الرابعة للشريف سعيد وفي ليلة التاسع من ذي الحجة دخل أمير الحج الشامي بيرام باشا وأراد أن يؤخر القفطان الى منى فامتنع الشريف سعيد من تأخيره فبعث به اليه وألبسه في منزله ثم خرج الى عرفات من أعمال نصف الليل بعد بيرام باشا ومر بمنى ولم يبت بها ووقف الناس وكانت الحجة بالجمعة وحصل للناس الامان ولم يحج أحد من أهل مكة الا القليل ولم يرد في هذه السنة من العراق الا أربعون من العجم ولم يحج أحد من النواحي غير الاتراك ومن ورد مع الحج المصري والشامي غير جماعة من أهل الجامع العجم السابق ذكرهم وارتفعت الاسعار بعرفة حتى ان بعضهم اشترى كيلة بعشرة أحمر وبعث الشريف سعيد الى ناظر السوق الذي كان في زمن الشريف عبد الكريم وهو مصطفى الخاشجي وألبسه في زمن الحج قفطان النظر في السوق والعادة الجارية ان يبطل حكم الناظر في زمن الحج وفي الخامس عشر من ذي الحجة نزل الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف بوادي التنعيم وبعثوا الى الامير بيرم باشا أمير الحج الشامي فبعث اليهم الخيام والصواوين وجعلوا بينهم سفيرا السيد عبد الله بن عمرو بن بركات فتقدم عليه مولانا الشريف سعيد فبعث اليه يرام عن الدخول الى مكة فسمع بذلك بيرم باشا فقال للسيد عبد الله الملك لله ثم للسلطان وأنا باشا السلطان فلا علاقة لكم وأتبعه بيرم باشا عسكرا عشرين معه أينما أراد فكان يمشي في شوارع مكة كرها واستمر الشريف عبد الكريم بالتنعيم أياما حتى ركب اليه بيرم باشا في بعض ليالي الحج فاستمر عنده الى نصف الليل أو قرب الفجر ورجع عنه وفي مدة اقامة الشريف عبد الكريم بالتنعيم هو ومن معه لم يحصل منهم أذى للناس بل رفعهم الطارق آمنا ويسير الى مكة آمنا ولم تزل الرسل بينه وبين ايواز بيك وبيرم باشا أمير الحج الشامي ثم ارتحلت الاشراف الى البقاع من أعلى الجموم وشاع في العامة انهم يريدون أخذ الحج المصري وقتل أيوب بيك فدخله من الخوف ما أخره

جدة جانى بك وهو الذى بنى الميدان الذى على يسار الذاهب من منى المعروف به الآن وحفر فيه عدة آبار وغرس فيه ما قدر عليه من الاشجار حتى شجر التمر هندى وأدركناه فيه ووقف عليه سقايات بمكة ولم يقع فى أيام الاشرف عمارة للحرم الشريف واستمر سلطانا الى ان خلع نفسه من السلطنة وعقدها لولده * (الملك المؤيد شهاب الدين أبى الفتح أحمد بن أينال) * فى يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة وتوفى والده بعد ذلك بيوم واحد ثم خلعه أتابكه حين قدم بعد خمسة أشهر وخمسة أيام وولى السلطنة عوضه * (الملك الناصر سيف الدين خشقدم الناصرى) * يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة وهو (١٤٩) رومى جلبه الطواشى ناصر الدين وبه عرف واشتراه المؤيد شيخ وأعتقه وصار خاصكيا عنده ثم تقلب فى الدولة الى ان جعله الاشرف أينال أتابكا لولده فخلعه وتسلطن مكانه وكان محبا للخير وكسى الكعبة الشريفة فى أول ولايته على العادة ولكن كانت كسوة الشرقى والجانب الشامى بيضاء بجامات سود وفى الجامات التى بالجانب الشرقى بعض ذهب وأرسل فى سنة ست وثمانين وثمانمائة منبرا وكان من خشب فركب فى يوم الاربعاء والخميس وخطب عليه الخطيب فى يوم الجمعة ثانى الحجة الحرام وكانت مدة سلطنته ست سنين ونصفا تقريبا ومرض وطال مرضه وتوفى فى يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة * وتسلطن فى ذلك اليوم خشداشه الاتابك يلباى * (وهو الملك الظاهر الناصر يلباى المؤيدى) * فخلع على الامير تمربغا الظاهرى بالاتابكية عوضا عن نفسه وهو الرابع عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم وكان ضعيفا عن تدبير الملك فخلعه الامراء من السلطنة فى يوم السبت لسبع مضين من جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة فكانت مدة سلطنته شهرين الا أربعة أيام وتسلطن بعد خلعه عوضا عنه * (الملك الظاهر أبو سعيد تمربغا الظاهرى) * وهو الخامس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم بمصر ولكن كان يقال له رومى الاصل من مماليك الظاهر جقمق أعتقه ورباه صغيرا الى ان جعله خاصكيا ثم سلحدارا ثم خزندارا كبيرا ثم دوادارا ثانيا ثم صار فى دولة الملك المنصور دوادارا كبيرا ثم أخرج الى مكة ثم عاد الى القاهرة فى دولة الظاهر خشقدم وصار مقدم ألف ثم صار فى دولة الظاهر يلباى أتابك العساكر ثم

عن السفر فى معتاده عقب النزول من منى بيومين أو ثلاثة فقامت عليه الحجاج لشدة ما لحقهم من الغلاء وعدم الوجدان لما يريدونه فخرج تاسع عشر ذى الحجة وكان سبب اقدامه على السفر بعد ما حصل له من الخوف ان السيد ناصر الحارث وجماعة من كبار الاشراف خرجوا الى الشريف عبد الكريم ومن معه من الاشراف وسايسوهم وضمنوا لهم الصلح وتواطؤا معهم على ذلك وتكفلوا على ما يصلح الفريقين وأخذوا منهم عهدا على عدم تعرضهم للحج فخرج الامير مسافرا وخرج سالما الا أنه وقع نهب فى أطراف الحج المصرى وهل محرم الحرام افتتاح سنة ألف ومائة وسبعة عشر وفى سادسه دخل مولانا الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد مكة ومعه جماعة من الاشراف طمعا فيما جرى بينهم وبين السيد ناصر الحارث من العهد المتقدم فنزلوا على مولانا الشريف سعيد بداره التى بسوق الليل ولم يتخلف الا ذوو بركات فان الشريف عبد الكريم أفهمهم أنه يريد التوجه الى الشام بمن معه من ذوى بركات ثم عن له أن ينزل الحمراء ثم ارتحل عنها الى محل يقال له دغيم ومعه من البدو ما لا يحصى ولم يزل الى أن نزلت عليه قبائل حرب بجمالهم وقالوا لا نفارقك حتى نموت أو تموت فبلغ ذلك الشريف سعيدا واشتد عليه الامر فجمع كبار الاشراف وأطلعهم على ما بلغه من قوة الشريف عبد الكريم ووصول حرب اليه وطلب منهم أن يسعفوه بالمسير معه اليهم فما أجابه منهم أحد الى ذلك هذا فعل من معه فى محلته وأما بقية الاشراف الذين يريدون مكة من جماعة الشريف عبد الكريم فطلبوا منه ما هو لهم فأخذ فى جمع دراهم لهم وأعطاهم مما لهم شيأ يساوى الثلث ثم تجهز وخرج الى طوى فأقام بها أياما الى أن لحقه الاشراف الذين فى محلته ثم سار مريدا الشريف عبد الكريم وأودع البلاد السيد احمد بن حازم وبعث الى هذيل فاقبلوا عليه فلما وصلوا نهبوا ما وجدوه من أموال الناس فلما دخلوا مكة عاثوا فيها بالسرقة والنهب فلما شارف الشريف سعيد عدة زحف اليه الشريف عبد الكريم بمن معه فركب اليه جماعة من الاشراف يصدونهم عن الملاقاة وطلبوا منه مهلة ثلاثة أيام حتى ننظر فى أمر يجمعه ومعك فاجابهم الى ذلك فرجعوا الى الشريف سعيد وأخبروه بان الشريف عبد الكريم يقاتلك بعد ان خرجت اليه فان لم تصطلحوا والا فلا بد من هذه الملاقاة وقد أخذنا لك مهلة ثلاثة أيام فجلسوا معه مجلسا وتشاوروا بينهم فرأوا أن يجعلوا له [illegible] وأن يقيم حيث شاء غير مكة الى أن تأتيه أجوبة كتبه من الابواب فرضى الشريف سعيد بذلك فرجعوا الى الشريف عبد الكريم وأخبروه فقال انه لا ينقض هذا القول ولا شك قاطعا وعاهدوا انه ان نقض هذا نقضوا اعانته وعاملوا الشريف عبد الكريم ويكونون واياه يدا واحدة فأخذ عليهم العهود ثم رجعوا الى الشريف سعيد

سلطان وكان له فضل وصلاح وتودد للناس وحذق ببعض الصنائع بحيث يعمل القسي الفائقة بيده ويعمل السهام عملا فائقا ويرمي أحسن رمي يفوق غيره فيها مع الفروسية التامة ومع ذلك ما صفا له الدهر يوما ورماه عن كبد قوسه أبعد رمي ومازال به الامر الى ان خلعوه ونفوه الى الاسكندرية وولي السلطنة أتابك العساكر يومئذ (السلطان الملك الاشرف قايتباي المحمودي الظاهري) في ظهر يوم الاثنين وهو السادس من شهر رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وهو السادس عشر من ملوك الجراكسة وأولادهم قدم من مولده ببلاد جركس تقريبا في بضع وعشرين وثمانمائة جلبه الخواجا محمود الى مصر فنسب اليه واشتراه الاشرف برسباي وأعتقه الظاهر جقمق واليه انتسب وتنقل في المراتب الى ان صار في دولة الظاهر (١٥٠) خشقدم أمير مائة مقدم ألف ثم صار في دولة الظاهر تمربغا أتابكا ثم صار بعد خلعه سلطانا بعد تعزز منه وتمنع وحصلت له البشارة بالسلطنة من عدة أولياء الله الصالحين قبل أن يليها وكان شديد التعبد متقشفا في الصلاح * ويحكى عنه أنه كان يحكي عن نفسه أنه لما جلب الى مصر للبيع وهو أمرد مراهق أو بالغ كان معه رفيقه أحد المماليك المجلوبين فتجاذبا أطراف الحال في ليلة من ليالي شهر رمضان فقالا لعل هذه ليلة القدر والدعاء فيها مستجاب فليدع كل واحد منا بدعاء يحبه فقال قايتباي اما أنا فأطلب سلطنة مصر من الله تعالى فقال الثاني وأنا أطلب من الله أن أكون أميرا كبيرا والتفتا الى الجمال وقالا له أي شئ تطلبه فقال أنا أطلب من الله خاتمة الخير فصار قايتباي سلطانا وصار صاحبه أميرا كبيرا فكان اذا اجتمعا يقولان فاز الجمال من بيننا عبد

رحمهم الله وكان ملكا جليلا وسلطانا نبيلا له اليد الطولى في الخيرات والطول الطائل في اسداء المبرات بنى بالمساجد الثلاثة عدة ربط ومدارس وجوامع عظيمة الآثار باهرة الانوار وله بمصر والشام وغزة آثار جليلة وخيرات جميلة أكثرها باق الى الآن وجميع عمائره يلوح عليها اللوامع النورانية والانس * وفي أول ولايته أرسل الى مكة بالمراسيم والخلع للسيد الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بولاية الحرمين الشريفين والى قاضي القضاة برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة الشافعي بقضاء مكة ومراسيم تتضمن الامر بابطال جميع المكوسات والمظالم وان ينقر ذلك على اسطوانة من أساطين الحرم الشريف في باب السلام

وأخبروه بذلك فقال لهم ذلك ثم قال مروه فليرتحل من محله لتعلم الناس من البادية والاتراك أنا اصطلحنا فقبلوا له ذلك وكفل جماعة هذا وجماعة هذا وبعثوا الى الشريف عبد الكريم بذلك فارتحل من محله الى محل يقال له شعثاء قريبا من جدة فبقي بها مدة والشريف سعيد بساقة جدة تسلك طريق جدة فتارة تؤمن الطرق وتارة تخاف واستمر الحال نحو أربعين يوما ثم ان الشريف سعيدا حدثته نفسه بالنزول الى جدة ومقابلة سليمان باشا فمنعه من دخولها ومنع جماعة من الاشراف بعثهم الشريف سعيد الى جدة فدخل منهم السيد محمد بن عبد الكريم بعد جهد جهيد وحاول الباشا ان يأخذ له من الباشا شيئا للشريف سعيد يستعين به فما وافقه لا قرضا ولا على الزالة وأمرهم بالرجوع وأن لا يدخلوا جدة وطوق ان يؤذوا أهلها فتقرر عند الشريف سعيد أن سليمان باشا يده مع يد الشريف عبد الكريم وجماعته فأرسل الى ابن عمه الشريف عبد المحسن وكان بالحسينية وأخبره وطلب منه أن يأتيه بجدة ويتوسل به ان ينزل الى الباشا ويأخذ له شيئا من المال يستعين به أو يحيله على الزالة فأبى ثم التمس منه ان يركب معه لملاقاة سليمان باشا فقال له وكيف نقابل أحد وزراء السلطان ولم يوافقه ثم انه بعث الى اوزبيك صاري العسكر المصري والى الانكشارية وسائر البلكات يشكو من سليمان باشا ويستدعيهم الى قتاله فلم يوافقوه وبقي في حيرة عظيمة مقلا من المال والرجال ففارقه من معه من الاشراف لذلك ولما تقدم لهم مع الشريف عبد الكريم من العهود والوفاء والمفارقة له فذهبوا الى الشريف عبد الكريم فلما تكاملت الاشراف عند الشريف عبد الكريم انتقل من شعثاء ناويا ان يصبح الشريف سعيدا ويأخذه فلما احس بذلك أشار على الشريف سعيد ابن عمه الشريف عبد المحسن ان يرجع الى مكة فأودعه عزيته وسرى من ليلته فأصبح بمكة وذلك تاسع شهر ربيع الثاني ولما وصل الى مكة أطلق المنادي في شوارعها وطرقاتها على أرحام كل من كان من الاشراف مع الشريف عبد الكريم مثل ذوي شنبر وذوي جازان وذوي بركات وذوي نمي وغيرهم ورجالهم ان لا يبيت أحد منهم بمكة هذه الليلة ومن بات منهم فهو مصلوب وبيته منهوب فحصل عند طوارف السادة الاشراف من الخوف ما أوجب انهم يأوون بيوت سادات داخلين عليهم مما يخاف فركب اليه السيد حسن بن غالب والسيد أحمد بن حازم ولاموه على هذا النداء وقالوا له هذا لا يكون فانه يتأتى منه سالفة يقال ان كل من خرج من البلد نهبت طوارفه وتقتل وهذا أمر لا يمكن الوفاق عليه لكونه مضرا بالعالم فرجع المنادي عند العصر ينادي بخلاف النداء الاول وان النداء الاول مرجوع عنه وعليهم الامان ثم انه ثاني عشر الشهر بعث الشريف سعيد المفتي وجماعة من السبع بلكات الى الشريف

وفي آخر سنة أربع وسبعين وثمانمائة والتي قبلها بني مسجد الخيف بناء عظيما محكما وجعل في وسط المسجد قبة عظيمة على حد
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيف منى وبنيت جدرانه المحيطة به وبني أربعة أواوين من جهة القبلة فصارت قبة عالية
فيها محراب النبي صلى الله عليه وسلم وبلصق القبة مأذنة التي على عقد باب المسجد ثلاثة أدوار وصنعه الاستادين وبني دارا بلصق
الباب وكانت مسكن أمير الحاج وعلى الباب في الدار المذكورة سبيل يملأ من صهريج كبير جعل في صحن المسجد يملأ من المطر
وجعل للمسجد بابا آخر الى جهة عرفة وخوخة صغيرة الى الجبل الذي في سفحه غار المرسلات وهو الموضع الذي أنزلت فيه سورة
المرسلات على النبي صلى الله عليه وسلم وبالجملة فهذا المسجد أثر عظيم باق الى الآن من آثار المرحوم السلطان
قايتباي وقد غلب عليه
الذنوب عمر الله من عمره
أو تسبب في تعميره وعمر
السلطان المذكور مسجد
نمرة في عرفة وهو المسجد
الذي يجمع فيه الامام بين
الظهر والعصر جمع تقديم
في يوم عرفة للحجاج
المحرمين في ذلك الآن
ولا يجمع عند أبي حنيفة في
غير ذلك الحال جمع تقديم
الا في ذلك المسجد ولا يجمع
تأخيرا الا في المزدلفة بين
المغرب والعشاء للحجاج
وجعل في صدر ذلك المسجد
رواقين عظيمين يستظل
بهما الحجاج وقت الصلاة
من الشمس وجدد العلمين
المرتفعين في حد عرفة
والعلمين المرتفعين في حد
الحرم وبنى المسجد
الذي بمزدلفة على جبل
قزح وهو المشعر الحرام
على رأي وجدد عين
عرفات وأنشأ المعمار
العمل فيها من سفح جبل
الرحمة الى وادي نعمان
فوجد الماء بكثرة فاقتصر على ذلك ولم يصل الى أم العين وكانت قد انقطعت منذ مائة وخمسين سنة وكان الحجاج يقاسون في يوم عرفة
من قلة الماء ما لا يصبر عليه ثم أصلح البركة وملأها بالماء ثم أصلح عين خليص وأجراها وأصلح بركتها وبني قبتها وامتلأت البرك وعم
النفع بها وبعين عرفات وكان ذلك من أعظم الخيرات بالنسبة الى الحجاج والزوار وفي سنة تسع وسبعين وثمانمائة وصل منبر خشب
للمسجد الحرام في الخامس والعشرين من ذي القعدة الى مكة المشرفة في البحر فركب في جهة باب السلام وجر الى المطاف وخطب عليه
الخطيب في أول ذي الحجة ، وفي سنة احدى وثمانين أصلح خشب سقف المسجد بالرواق الشرقي وعمر رخام الحجر الشريف من داخله
وخارجه ورصصت الشقوق التي بين أحجار المطاف داخل البيت الشريف ، وفي سنة اثنتين وثمانين أمر السلطان قايتباي

عبد الكريم ومن معه يطلبهم الى الشرع فركب الجماعة المذكورون الى الشريف عبد الكريم
والتمسوا منه ذلك فقال سمعا وطاعة وبعث جماعة من كبار الأشراف منهم الشريف عبد المحسن
ابن أحمد بن زيد وسليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر وأحمد بن هزاع وزين العابدين بن ابراهيم بن محمد
ابن بركات وعبد الله بن حسن وغيرهم فدخلوا مكة ونزلوا على اوازبيك فأخذوا اوازبيك معهم
ووصلوا الى القاضي واستدعوا الشريف سعيدا فنزل ومعه السيد أحمد بن حازم فصارت بينهم
وبين الشريف سعيد مقاولة أنتجت زيادة الشقاق وأبعدت الاتفاق ثم انصرفوا والقلوب مشحونة
والنفوس مغبونة غير مأمونة ثم ان السيد أحمد بن حازم والسيد سليمان بن أحمد حضرا في اليوم
الثاني مع جماعة من الأشراف في بيت اوازبيك لفصل الخصومة فتزايد الكلام حتى قرب وقوع
الكلام وحصلت المباينة فانصرفوا على غير صفاء والأشراف بيدهم الدونه بالوفاء ثم ان الشريف
سعيدا اجتمع بالشريف عبد المحسن واتفق معه على انه يعطيهم ثلث المكس وعلى أن يستعمروا له
في الثلث ويصبروا عليه في الثلث الباقي فوافقت الأشراف على ذلك ورأوا أن هذا عين الصلاح
وعقدوا المجلس لذلك الأمر في منزل السيد علي بن أحمد بن باز باجياد ليلة التاسع عشر من ربيع الثاني
فبينما هم كذلك عند السحر جاءهم الخبر ان الشريف عبد الكريم وصل طوى هو ومن معه من
الأشراف فلما بلغ ذلك الشريف سعيدا أرسل اليهم رسولا لبيت السيد علي بن أحمد يقول لهم
ما هذا بيني وبينكم وهذا عين الغدر فاعتذروا له بعدم علمهم بذلك ونحن نخرج اليه ونرده
فانصرف الكل وخرجوا من طريق المسفلة وعرجوا على الطنبداوي مما يلي الشبيكة وأرادوا ان
يقفوا على طوى وأما الشريف عبد الكريم فانه لما وصل طوى وجد على جبالها جماعة من هذيل
ووجد بعض مضاربهم ومعسكر عبيد الشريف سعيد فلما أقبل عليهم هربوا وتركوا منازلهم
فنهبها العبيد وما فيها فبينما هم بطوى اذ خرج عليهم الشريف سعيد من الشيخ محمود فتلاقوا فانهزم
الشريف عبد الكريم وامتنع الى جبال أبي لهب ثم كر بمن معه من الأشراف وغيرهم من جماعته
على الشريف سعيد فانهزمت قومه ووقع فيهم القتل فقتل نحو الستين من جماعته ولما وصل
الشريف عبد الكريم الطنبداوي وجد الشريف عبد المحسن بن أحمد ومعه الأشراف السابق
ذكرهم فلم يعرج عليهم وسار خلف الشريف سعيد بمن معه من الأشراف حتى أوصله الى دار
السعادة من السوق الصغير وكان معه نحو أربعين شريفا فأشاروا على الشريف سعيد بالخروج
من المعلى وترك البلد فانه أحدث فلم يلتفت اليهم وعطف على سويقة وجاء بيت ميرداد الانكشارية
واستغاث بهم فأجابوه وخرجوا معه ودخلوا معه من المسجد على بيت اوازبيك وعنده عسكر

وكيله وتاجره الخواجا شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن أن يشيد عمائر الامير سنقر الجمالي وان يحصل له موضعا مشرفا
على الحرم الشريف ويبني له مدرسة يدرس فيها علماء المذاهب الاربعة ورباطا يسكنه الفقراء ويعمر له ربوعا ومسقفات يحصل
منها ريع كثير يصرف منه على المدرسين وعلى الفقراء وأن يقرأ له ربعة في كل يوم يحضرها القضاة الاربعة والمتصوفون ويفرق
لهم وظائف ويعمل مكتبا للايتام وغير ذلك من جهات البر فاستبدل رباط السدرة ورباط المراغي وكانا متصلين وكان الى جانب
رباط المراغي دار الشريفة شميلة من شرائف بني حسن اشتراها منها وهدم ذلك جميعه وجعل فيها اثنين وسبعين خلوة ومجمعا كبيرا
مشرفا على الحرم الشريف وعلى المسعى الشريف وكتبا ومأذنة وصير المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام
الملون والسقف المذهب
وقرر فيه أربعة مدرسين
على المذاهب الاربعة
وأربعين طالبا وأرسل
خزانة كتب وقفها على
طلبة العلم وجعل مقرها
المدرسة المذكورة وجعل
لها خازنا عين له معلوما وقد
استولت عليها أيدي
المتغلبين وتفرق منها
جانبا كبيرا وبقي منها
تتمة الف مجلد وهو تحت
تكلم مؤلف هذا الكتاب
حفظها وكانت بعض ما فات
منها وجلدت منها ما يحتاج
الى التجليد واستخلصت
بعض ما وجدته وأعدته الى
الوقف صانه الله وجعل
الواقف في ذلك المجمع
القضاة الاربعة حضورا
بعد العصر مع جماعة من
الفقهاء يقرؤون له ثلاثين
جزأ من القرآن وجعل
فيها مكتب أربعين صبيا من
الايتام ورتب لكل واحد
من الايتام وأهل الخلاوي
ما يكفيهم من النفقة في كل
سنة وللمدرسين والمؤذنين وقراء الاجزاء مبالغ من الذهب تصرف لهم كل سنة وبنى عدة ربوع في
ودور تغل في كل عام نحو ألفي ذهب ووقف عليهم بمصر قرى وضياعا كثيرة تغل حبوبا كثيرة تحمل في كل عام الى مكة وعمل من
الخيرات العظيمة ما لا يعلم ذلك الا السلطان قايتباي وذلك باق الى الآن الا أن الاكلة قد استولت على تلك الاوقاف فضعفت جدارها وهي
آيلة الى الخراب وصارت المدرسة سكنا لامراء الحاج أيام موسم الحاج وكغيرهم من الامراء اذا وصلوا الى مكة في وسط السنة
وصارت أوقافها مأكلة للنظار عمر الله من عمرها وأحيا من أحياها وكان الفراغ من بناء هذه المدرسة والرباط والبيتين أحدهما
من ناحية باب السلام والثاني من ناحية باب الحزورة في سنة أربع وثمانين وثمانمائة على يد الامير سنقر الجمالي رحمه الله تعالى

العرب وشيبة الملكات فطلب منهم الخروج معه فامتنعوا فصاحوا على ابواز بيك وقالوا له انك
مع الناس ثم خرجوا من باب ابراهيم على سوق الصغير فرموا الشريف عبد الكريم بالرصاص فظن ان
جميع الاتراك خرجوا فدفع عنهم حتى خرج من الشبيكة وقد فرق قومه على الجبال فأشار اليهم
بالنزول فنزلوا هاربين من طريق الزاهر ولحق بهم الشريف سعيد الى الزاهر فتناظروا هنالك وأخذ كل
من جانبه مهلة الى قواعدهم ثم رجع الشريف سعيد الى داره وصوب ممن معه من الاشراف
جماعة منهم السيد أحمد بن علي بن أبي القاسم برصاصة ثم مات منها وأصيب السيد أحمد بن حازم
برصاصة مات منها بعد أيام وأصيب من الاشراف الذين مع الشريف عبد الكريم أخوه السيد
حامد بن محمد بن يعلى وأخوه بركات بن محمد بن يعلى والسيد شنبر بن بازان وشريف آخر من ذوي
حراز الا ان اصاباتهم غير مضرة بهم ورجع الشريف عبد الكريم الى دغيم وأقام هنالك الى ان وردت
الى سليمان باشا الاخبار السارة بجدة في كتب من صاحب مصر ومن بعض الصناجق ومضمونها
انه ورد الى مصر القبر وسعد في السابع والعشرين من جمادي الاولى محمد باشا جاويش ومعه أربعة
أوامر سلطانية أحدها بعزل أيوب بيك عن امارة الحج لما تحقق لما حصل منه من الفساد وتولية
عثمان بيك امارة الحج والثاني بعزل الشريف سعيد وأنعمنا على الشريف عبد الكريم بشرافة
مكة وان أمره في سنة ألف ومائة وسبعة عشر والثالث تولية الوزارة باشا جدة بمراد باشا وعزل
سليمان باشا الى حضرتنا والرابع انا أنعمنا على الشريف سعيد بسكنى مصر وأقطعناه بعض
بلادين ورتبنا له كفايته من المصرف كل يوم ولم تزل الاخبار تقوى مع الواردين في المراكب
المصرية وتنتشر في الناس وعند الاتراك والشريف سعيد غير معترف بذلك وكثر القيل والقال
واستمر الشريف عبد الكريم ومن معه بالوادي الى ان بلغهم ان الشريف سعيد أغرى أغاوات
الانكشارية على ابواز بيك لاتهامه بأنه تعاهد مع الشريف عبد الكريم فصالوا عليه غفلة
وحصروه في بيته واتهموا الشريف سعيد ان ابواز بيك ورد اليه غرة جمادي الثانية ركائب من
ينبع وغيره تخبرهم السيد سيرها من طريق الشام بخبر ان السلطنة وصلت اليهم منهم أخبار بأنهم
أنعموا على الشريف عبد الكريم بشرافة مكة فلما وردت هذه الاخبار وعلم بها الشريف عبد
الكريم جهز الطرق وأمر بكف الاشراف الذين معه عن النهب ولما تحقق سليمان باشا أمسك على
ما بيده من مال البندر حتى يتعين صاحب الشرافة فكان هذا سبب تغير الشريف سعيد على
ابواز بيك مع كونه في الاصل هو السبب في تأييد شرافته ودخوله مكة فحصره في منزله ونهب أثاثا
كان له في دار السعادة وبات طرب الامير بمكة وبطلت خمس صلوات بالمسجد الحرام ووجب القتال

وفي هذه السنة وردت أحكام السلطان قايتباي الى صاحب مكة يومئذ مولانا السيد الشريف جمال الدين محمد بن بركات بن حسن ابن عجلان رحمه الله تعالى يتضمن انه رأى مناما وان بعض المعبرين عبر له ذلك المنام بغسل البيت الشريف من داخله وخارجه وغسل المطاف وانه أمره ان يفعل ذلك فحضر مولانا السيد الشريف محمد بن بركات رحمه الله تعالى بنفسه وقاضي القضاة برهان الدين ابراهيم بن علي بن ظهيرة و باشا الترك ازدمر الكبير بمكة الامير قايتباي اليوسفي والامير سنقر الجمالي والدوادار الكبير الامير جاني بك نائب جدة المعمورة وبقية القضاة والاعيان بمكة وفاتح بيت الله الحرام عمر بن أبي راجح الشيبي والشيبيون والخدام وغسلوا الكعبة الشريفة من داخلها بماء زمزم من خارجها بماء زمزم وغسلوا أرض الكعبة وسائر المطاف الشريف وطيبوها بالطيب وكان ذلك في يوم الخميس ثامن عشرين من ذي الحجة الحرام من السنة المذكورة

﴿فصل﴾ ومن أعظم ما وقع في أيام السلطان قايتباي من الامور الهائلة حرق المسجد الشريف النبوي ذكرناه استطرادا لانه أمر هائل عظيم • وتفصيل ذلك انه في ثلث الليل الاخير من ليلة الاثنين ثالث عشر شهر رمضان سنة ست وثمانين وثمانمائة طلع رئيس المؤذنين الشيخ شمس الدين محمد بن الخطيب الى المئذنة الشرقية اليمانية في ركن المسجد الشريف المعروفة بالرئيسية وهو يذكر ويمجد وكانت السماء متراكمة الغيوم متوارية النجوم فسمع رعدها الى ان سقطت صاعقة لها لهب كالنار أصاب بعضها هلال المئذنة وانشق رأسها ومات الرئيس الى رحمة الله تعالى وسقط باقيها على سقف المسجد الشريف عند المئذنة فعلقت النار فيه ففتحت أبواب المسجد ونودي بالحريق في المسجد فحضر أمير المؤمنين يومئذ السيد قسطل بن زهير الجمالي وشيخ الحرم والقضاة وسائر الناس وصعدت أهل النجدة والقوة الى سطح المسجد بالماء في القرب يسكبونها على النار لتطفأ فالتهبت وأخذت في جهة الشمال والمغرب وعجزوا عن اطفائها وهربوا واستولت النار عليهم فمات منهم فوق عشرة أنفس وعظمت النار جدا وأحاطت بجميع سقف المسجد الشريف وأحرقت ما في المسجد من المصاحف وخزائن الكتب والربعات وكانت كتبا نفيسة ومصاحف عظيمة وصار المسجد كبحر لجي من نار يرمي بشرر كالقصر الى ان استوعب الحريق جميع المسجد والقبة العليا التي فوق

في جوف المسجد واعتازت السنة بلكات الى ابواز بيك ولم يخرج عن طاعته الا الانقشارية ثم أجمع الانقشارية على الهجوم عليه في بيته وقتله ونهبه فحملوا أسلحتهم ونزلوا المسجد وأرسلوا الى الشريف سعيد وأخبروه فنزل بنفسه الى القاضي بجميع عسكره وعبيده وأرسل الى العرب من هذيل وغيرهم وأمرهم ان يقفوا على أبواب الحرم فلما خرج القاضي قالوا ان لنا دعوى على ابواز بيك فاحضره لنا لندعي عليه فبعث اليه القاضي فأعاد الرسول وهو يقول أنا بعيني أشاهد الفتنة من منزلي وأعاين اجتماع العسكر وأمر الشرع مطاع غاية الامر امهلوا هذا اليوم لئلا تكبر الفتنة اذا جئت في ذلك المكان واذا تفرقت العساكر حضرت أنا وخصمي عند القاضي ويحكم بما أراده الله تعالى فعرض القاضي مقاله على الشريف سعيد والحاضرين من العسكر الانقشارية فلم يقبلوا ذلك الا أن الشريف سعيدا صرف جنده وبقيت الانقشارية على حالهم فارسلوا مرسولا آخر الى ابواز بيك فقال لهم مادامت الانقشارية موجودة عندكم فالعذر واضح وليس لي قصد الا حقن الدماء بيننا وبينهم ولي قدرة على مكافأتهم ولكن ما في المهلة بأس فان الامر ما يحمل قتل المسلمين فحصل للشريف سعيد أنفة من هذا القول لعدم نفاذ مراده وأغلظ للقاضي غلاظة وقامت الغوغاء من الانقشارية في المحكمة وارتفعت الاصوات وقالوا هذا عاصي الشرع فاكتب لنا حجة بعصيانه فامتنع القاضي فهجموا عليه يريدون قتله فهرب من كان هناك من العلماء ولحقوا القاضي ولزوه بالايادي ورمى بعض الناس في جوف المحكمة بالبندق ارهابا له فلما رأى ذلك كتب لهم حجة على نفوسهم وبعد ذلك خرج الشريف سعيد من المحكمة وأمر الانقشارية بالهجوم على ابواز بيك في بيته فسار بهم من يمشي باب السلام على دار الامير قاصدين بيت ابواز بيك فلما وصلوا الى مقام المالكية بادر غلمانه الى البنادق وكثروا الخلف عوا عند المسجد دعما لي بيت مولاهم فلما أخذوا طالع في وجوههم الرصاص فولوا هاربين الى أن دخلوا باب الزيادة واجتمعوا في زيادة وما حولها من البيوت والمدارس ولم يزل الحصار بينهم وأما الشريف سعيد فساط على ابواز بيك بعسكره وعبيده وبدوه من جهة عقد بشير فلما شعر بذلك أرسل جماعة من البلكات الى تلك الدور فتترسوا هنالك ومنعوا ما حولهم من العبيد والعرب بالرصاص واستمر الرمي من البيوت والمدارس في جوف المسجد من الفريقين وابواز بيك ومن معه من البلكات محصورون في البيت ولم يزل الامر يتزايد حتى كثرت القتلى والجرحى في البيوت وخارجها وفي المسجد وسطح المسجد وما بين الاروقة وعزل السوق وأظلم الجو من دخان البارود وبقي الامر على هذا الى اليوم الثاني فالتمس الشريف سعيد من ابواز بيك الصلح وبعث الى القاضي وأمرهما بارسال جماعة من

فيه النبي صلى الله عليه وسلم وذاب الرصاص ولم يصل أثر النار الى جوف الحجرة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام لسلامة القبة السفلى وعدم التأثير فيها مع ماسقط عليها من عظيم الأخشاب وأمثال الجبال وأحرقت حتى الحجارة الاساطين وسقط منها نحو مائة وعشرين أسطوانة واحترق المنبر الشريف النبوي والصندوق الذي في المصلى الشريف والمقصورة التي حول الحجرة الشريفة وقد سلمت الاساطين الملاصقة للحجرة الشريفة وسلم ماحول المسجد من البيوت وشوهد أشكال طيور بيض يحومون حول النار كأنها تكفها عن بيوت جيران النبي صلى الله عليه وسلم مع وقوع بعض شرر النار فيها وعدم تأثيره فيها . قال مؤرخ المدينة وعالمها ومفتيها مولانا السيد نور علي بن عبد الله السمهودي رحمه الله بعد سوق هذه الحكاية بابسط من هذا في كتابه خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي ذلك عبرة تامة وموعظة عامة أبرزها الله تعالى للانذار فخص بها حضرة النذير الاعظم صلى الله عليه وسلم وقد ثبت ان أعمال أمته تعرض عليه فلما ساءت الاعمال المعروضة ناسب ذلك الانذار باظهار المجازاة بها يوم العرض قال الله تعالى وما نرسل بالآيات الا تخويفا وقال تعالى ذلك الذي يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون قال وشرعوا في تنظيف المسجد ونقلوا نقضه من مقدم المسجد الى مؤخره للصلاة فيه وعمل في ذلك أمير المدينة وقضاتها وعامة أهلها حتى النساء والصبيان تقربا الى الله تعالى وبادروا بارسال قاصد الى مصر وعرضوا ذلك على السلطان قايتباي رحمه الله تعالى فتهول من هذا الحادث العظيم وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله عليه لتأهيله لهذا الشرف العظيم ورسم بابطال جميع العمائر المكية وغيرها وان يتوجه شادها السيفي سنقر الجمالي مبادرا الى المدينة الشريفة وأرسل اليه نحوا من ثمانمائة من أرباب الصنائع وكثيرا من الحمير والجمال والبغال وسائر مؤنهم ومبلغا من الخزانة نحو مائة ألف دينار فأخرجوا المؤن الكثيرة الى ان امتلأت البنادر بها كالطور والينبع ونقلت الى المدينة الشريفة واستقبلوا العمارة بجد واجتهاد الى ان كملت عمارة المسجد الشريف والقبة الشريفة والمآذن وفرغوا منها على هذا الوجه الذي هو عليه الآن في هذا الزمان وذكر السيد السمهودي رحمه الله تعالى في تفصيل كتابه خلاصة الوفا ماجمعه ان أردت احاطة العلم به وذكره بأبسط من ذلك في تاريخه الكبير الذي سماه وفاء

العلماء الى اوزبيك يلتمس منه الكف فبعث اليه ان ذلك لا يكون الا ان كف هو وجماعته واتفق الامر على ارسال جماعة من رؤس العسكر فحضروا عند القاضي فأمرهم القاضي بالسعي في الصلح فسعوا في ذلك بعد التأبي الاعظم وهمدت الفتنة بعد ان نهب لاوزبيك مايساوي مائة كيس من القروش من الامتعة وغير ذلك وفي اليوم الثاني جمع القاضي بين اوزبيك والشريف سعيد عنده وأبان اوزبيك حجته وذكر ما أخذ عليه فقال الشريف سعيد أرد كل ماقدرت عليه مما هو لك ومالم أجده أعطيك ثمنه وقاما من عند القاضي وذهب كل الى بيته والله أعلم بما في نفوسهم

(ورود أغاة القفطان بولاية الشريف عبد الكريم شرافة مكة)

ثم لما كان يوم الاثنين ثامن عشر رجب ورد مكة خبر أغاة القفطان وصحبته الامر السلطاني بشرافة مكة للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى وانه وصل الى جدة وان الوزير سليمان باشا أرسل القفطان للشريف عبد الكريم وألبسه اياه ونادى له بجدة يوم السابع عشر من الشهر فلما وصل هذا الخبر للشريف سعيد أجاب بان البلاد للسلطان ونحن خدم له وان كان الامر صحيحا فانا مطيع الامر وان كان بالزور والبهتان فما عندي غير السيف وكتب كتابا لسليمان باشا عليه خطوط من معه من الاشراف وخطوط العلماء وأعيان الناس مضمونه ان الشريف سعيد امتثل بامر سلطاني ولا يعزل الا به وأرسلوا الكتاب مع السيد مبارك بن حمود بن عبد الله بن حسن فتوجه الى الباشا ورجع بالجواب الى الشريف سعيد يوم الجمعة ثاني شعبان وذكر له ان الشريف عبد الكريم وجميع من معه من السادة الاشراف وأغاة القفطان وجماعة الباشا وصلوا جدة ثم أعقبه الخبر انهم نزلوا وادي مر فأرسل اليهم الشريف سعيد ليلة الاحد رابع شعبان سليمان جاووش الانكشارية ومعه جاووش المتفرقة وجاووش الجاوشية ومعهم السيد جار الله بن صامل الى الوادي بخطاب الى الشريف عبد الكريم وأغاة القفطان مضمونه ان يشرفوهم على الامر السلطاني ليعملوا به طالبين وصلوا وسمع أغاة القفطان أحمد أغا كلام سليمان جاووش زجره بالسب واللعن ومن جملة ماقاله لولا انك رسول لقطعت رأسك فرجعوا الى الشريف سعيد وكانوا وهم ذاهبون الى الوادي واجههم خمسة من الاشراف متوجهون الى مكة ومعهم واحد من خدم أحمد أغا حامل القفطان ومعهم صورة الامر السلطاني وهم لا يعرفون حقيقة حالهم فأتى الجميع ونزلوا على اوزبيك فأخذهم وتوجه بهم الى قاضي الشرع وجعلوا صورة الامر في المحكمة فلما بلغ الشريف سعيد ذلك أرسل الى اوزبيك يلومه على هذا الفعل ويعاتبه في نزول هؤلاء الاشراف عنده فاجابه اوزبيك ان الامر السلطاني قد تحققناه وان البلاد صارت للشريف عبد الكريم وأما

هؤلاء

هؤلاء الاشراف فانهم يعرفون قواعده وهم يردون عن أنفسهم الجواب فارسل اليهم الشريف سعيد يأمرهم بالخروج من البلد وكرر عليهم الرسل بذلك فلم يرضوا عند الصنجق ايواز بيك ذلك اليوم وجعل لهم الغداء ثم بعد ذلك توجه منهم اثنان الى الشريف عبد الكريم يعرفانه بالواقع والثلاثة ذهبوا الى بيت السيد عبد المعين بن محمد بن حمود وقالوا له يقول لك الشريف عبد الكريم تكون أنت القائم مقامه في البلاد الى ان يصل فلما تحقق الشريف سعيد حقيقة الحال رجع عما كره وعزم وأفهمهم ان نيته الحرب وأرسل عربان هذيل وعتيبة الى جهة أبي لهب وما بين العمرة وأمر صاحب الزراريق وأظهر حركة المقاومة فلما كان قرب المغرب وصل المراسيل الذين أرسلهم ومن جملتهم سليمان أغا جاويش الانكشارية وكان يعتمد عليه في الصدق والخدمة فأخبره بجميع ما صار عليهم في الوادي وما وقع من آغاة القفطان وان الامر سلطاني صحيح ليس فيه شك ولا يختلف فيه أحد في ذلك الوقت أخرج نساءه وذريتهم من البيت وأرسل الجميع عند كرعته الشريفة سعدية فلما كان قرب العشاء ركب هو ومن معه من السادة الاشراف وأتباعه وتوجهوا الى العابدية فجاء السيد ظاهر بن محمد ومعه شريف آخر الى الامير ايواز بيك وأرسل معهما بعض مماليكه وعسكره ونادوا في ذلك الوقت في شوارع مكة البلاد بلاد الله وبلاد مولانا السلطان أحمد خان وبلاد مولانا الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى وعسو البلد بقية تلك الليلة وأصبح الناس يوم الاثنين والبلاد خالية

●(دخول الشريف عبد الكريم مكة متوليا امارتها وهي الولاية الثانية له سنة ١١١٧)●

ولما كان يوم الثلاثاء سادس شهر شعبان المكرم دخل مولانا الشريف عبد الكريم متوليا مكة المشرفة بكرة النهار بالالاي الاعظم ومعه السادة الاشراف وسائر عساكر مصر وعسكر الوزير سليمان باشا وعسكر الامير ايواز بيك وأغاة القفطان أحمد أغا باش جاويش الى ان وصلوا باب السلام ودخلوا المسجد الحرام وفتحت الكعبة فجاؤا الى الحطيم فوجدوا القاضي والمفتي والعلماء وأعيان الناس وسائر أرباب المناصب والوظائف كلا في محله على جاري عادته فألبس مولانا الشريف عبد الكريم القفطان السلطاني بالفرو السمور وألبس هو أغاة القفطان فروا سمورا وألبس كتخدا سليمان باشا فروا سمورا وهكذا بقية أهل المناصب ألبس كلا ما هو المعتاد وقرئ الامر السلطاني وكان القارئ له الشيخ عباس المنوفي ومضمونه بعد المدح والثناء الوصية على السادة الاشراف وبقية الرعايا والحجاج والتجار والمجاورين والوافدين وانا قد عزلنا الشريف سعيدا عن شرافة مكة لموجب

الوفا أخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمر السلطان قايتباي أن يبنى له رباطا ومدرسة ومأذنة حول المسجد الشريف فبنوا له مدرسة عظيمة ورباطا مشرفا على المسجد الشريف ما بين باب السلام وباب الرحمة وأرسل الى المدرسة خزانة كتب جليلة جعل مقرها المدرسة موقوفة على طلبة العلم الشريف وأرسل مصاحف كثيرة وكتبا للخزانة المسجد الشريف عوض ما احترق منها ووقف قرى كثيرة بمصر تحمل غلاتها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفرق عليهم لكل شخص ما يكفيه من الحب بطول السنة فكان حصة كل نفر سبعة أرادب في العام مسوى في ذلك بين الصغير والكبير والحر والعبد وذلك الخير جار الى الآن وزاد عليه الآن سلاطين آل عثمان أكثر مما أوقفه السلطان قايتباي لمكة والمدينة جزى الله المحسنين خيرا وضاعف لهم ثوابا وأجرا

●(فصل)● في حج السلطان قايتباي مع اعتراف ملوك الجراكسة ما حج منهم أحد غير السلطان قايتباي لكثرة تمكنه في الملك وكثرة ما فعله من الآثار الجليلة في الحرمين الشريفين فاقام الامير الكبير يشبك الدوادار نائبا عنه بمصر وخرج الى الحج في سنة أربع وثمانين وثمانمائة قبل وقوع حريق المسجد الشريف النبوي بنحو عامين وكان أمير الحاج خوشقدم خرج بالمحمل الشريف وركب الحاج المصري فخرج السلطان قايتباي بقصد الحج والزيارة بعد خروج ركب الحاج بثلاثة أيام ووصلت القصاد الى شريف مكة يومئذ سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي جمال الدين السيد محمد بن بركات بن حسن بن عجلان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وكان من أخص المخصوصين به وصاحب الحل والعقد عنده قاضي القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضي برهان الدين ابراهيم بن ظهيرة القاضي الشافعي يومئذ بمكة طيب الله ثراه فتهيأ هو والسيد الشريف محمد بن بركات لملاقاة السلطان فان القصاد أخبروا انهم فارقوه من عقبة أيلة وهي نهاية الربع الاول من طريق الحج وأرسل مولانا السيد الشريف أحد قواده ليسبقه الى ملاقاة السلطان بسماط حلوى فوصل الى الحوراء ولاقى السلطان ومد له السماط الحلوى هناك فجلس عليه السلطان بنفسه وأظهر غاية اللطف والجبارة وأكل وقسم على أمرائه وعسكره وكان سماطا كبيرا جليلا ●(ومما يحكى)● من لطافة السلطان قايتباي انه لما جلس على السماط تناول شيأ من الحلوى يقال له كل واشكر وأكل منه وسأل من الذي جاء بالسماط ايش اسم هذا عندكم

فقال له القائد هذا اسمعه كل واشكر فقال له سلم على سيدك وقل له أكلنا وشكرنا • ثم لما وصل السلطان الى الينبع عدل منها الى المدينة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه اليها وكان قد خرج الى ملاقاته سيدنا ومولانا السيد الشريف محمد بن بركات وولده السيد بن جيزع بن محمد ومولانا القاضي ابراهيم بن ظهيرة قاضي جدة فبلغهم في اثناء الطريق ان السلطان عدل الى زيارة النبي صلى الله عليه وسلم فتوجهوا الى منزلة بدر وأقاموا به منتظرين عود السلطان من المدينة الشريفة • قال السيد السمهودي في تاريخه الكبير ان السلطان قايتباي في سنة أربع وثمانين وثمانمائة وردا المدينة النبوية لزيارة التربة المصطفوية على الحال بها أفضل الصلاة والسلام فقدمها طلوع الفجر من يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة الحرام فلبس حولها دال التواضع والخشوع وتحلى عا يجب لتلك الحضرة النبوية من الهيبة والخضوع فترجل عن فرسه عند باب سورها ومشى على أقدامه بين دورها ودروبها حتى وقف بين يدي الجناب الرفيع الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم وناجاه بالتسليم وفاز من ذلك بالحظ الجسيم ثم ثنى بصاحبيه رضي الله عنهما بعد ان صلى بالروضة الشريفة التحية وعفر جبهته في ساحتها السنية وعرض عليه الدخول الى الحجرة الشريفة فعاظم ذلك وقال لو أمكنني ان أقف أبعد من هذا الموقف وقفت فالجناب عظيم ومن ذا الذي يقوم بما يجب له من التعظيم • ثم صلى الجمعة في الروضة الشريفة في الصف الاول بين فقراء الزوار والى جانبه امامه الشيخ الامام العالم العلامة برهان الدين بن الكركي • ثم توجه لزيارة السيد حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم ومن حوله من الصحابة الذين استشهدوا يوم أحد رضوان الله عليهم أجمعين فمشى مترجلا حتى خرج من باب المدينة ولم يزل ذلك دأبه ولم يركب بالمدينة تأدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعاد من الزيارة وحضر صلاة الجمعة وان قال السيد السمهودي رحمه الله تعالى فبدأني السلطان بالملاطفة وسألني عن بعض المباحث فرأيت من تواضعه وحلمه وتقرب فهمه ما يفوق وصف الواصف فأنشدته بيتي التلخيص

كانت مساءلة الركبان تخبرني • عن أحمد بن سعيد طيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت • أذني بأطيب مما قد رأى بصري

فطرب لهما جدا واجتمعت به قرب المغرب في الروضة ففاتحني بالكلام ورأى في المحراب النبوي مكتوبا قد نرى تقلب وجهك في

ما وقع الينا من عبد اغا سليمان باشا جميع ما صار في الحرمين الشريفين من الشريف سعيد من الشقاق وعدم الوفاق بينه وبين بني عمه السادة الاشراف وانا قد ولينا وأنعمنا على الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى بشرافة مكة المشرفة على ما هو مسطور في مرسومنا العالي الموجب ما تحققنا ان الرعايا والسادة الاشراف راضون عنه والحذر من مخالفته والخروج عن طاعته وان يعمل كل ما هو مذكور في مرسومنا البادشاه المطاع في سائر البقاع على الوجه الشرعي من غير مخالفة ولا نزاع ثم طلع مصطفى أفندي ديوان كاتب وقرأ نص الامر الوارد ثم بعد ذلك قرئت أوامر الصنجق ايواز بيك المتضمنة بانه أنعمنا على ايواز بيك بولاية بندر جدة ومشيخة الحرم الشريف وألبس الصنجق القفطان السلطاني الوارد صحبة الاغاة وألبس هو أغاة القفطان فروا سمورا ثم ان مولانا الشريف توجه الى داره السعيدة وجلس للتهنئة فطلع اليه الناس وهنؤه وباركوا له بالشرافة ومدحه الادباء وهنؤه بالقصائد الانيقة ونودي له في البلد وبالزينة سبعة أيام وحصل بذلك السرور التام للخاص والعام وهذه الولاية الثالثة للشريف عبد الكريم وفي يوم الخميس ثامن شعبان أرسلوا الامر الوارد للشريف سعيد صحبة السيد خليل الله بن حردو وأبي علي بن باز ومعهم كذا أغاة القفطان والاثنان من جمراكية مصر فقصدوا الشريف سعيدا جهة الشرقية وقرؤه عليه ومضمونه انا قد عزلناك وولينا الشريف عبد الكريم وجعلنا لك ما يكفيك عن كل يوم ألف ديواني وجميع ما تنفقه من مكة الى مصر المحروسة وما تحتاج اليه تعطاه من خزينتنا فلما فهم مضمون الامر ما استحسن ذلك وتوجه الى جهة اليمن هو ومن معه ورجع المراسيل من عنده وعرفوا الشريف عبد الكريم والصنجق وأغاة القفطان بالواقع ثم نزل الى جدة كخدا ايواز بيك وتسلم البندر وطلع الى مكة سليمان باشا بحريه وفي ثاني عشر شعبان عقد مجلسا مولانا الشريف عبد الكريم جمع فيه السادة الاشراف وسليمان باشا وشيخ الحرم ايواز بيك وقاضي الشرع والمفتين والعلماء وأغاة القفطان وأغاوات العسكر وكثيرا من الناس فلما اجتمعوا تكلم مولانا الشريف مع السادة الاشراف وشرط عليهم شروطا فقال بالوفاق قد شاهدتم ما وقع من التعب والشقاق وعدم الوفاق حتى آل الامر الى الحرب والقتال وتعب الساكن والرعايا وعمت الفتن وأصيب فيها الغني والفقير وذهب بسببها الاموال والرجال ومضى على هذا الحال زمن والكل منكم تحقق ما صار وشاهد بالعيان والموجب لهذا الشقاق كله زيادة المعاليم الخارجة عن المعتاد التي تعجز عن تحصيلها العباد والبلاد فكل من يتولى يحصل بينكم وبينه التعب والشقاق بسبب المعلوم فالقصد منكم ان تنظروا في مدخول البلاد وتوزعوه أرباعا فثلاثة أرباعه تكون بينكم والربع لي ولجماعتي وعسكري ومهمات البلد

السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام فسألني عن هذه الآية هل نزلت قبل المعراج أم بعده وكيف كان الاستقبال قبل نزولها فشرعت له في الجواب فأقيمت الصلاة في أثناء ذلك فصلينا فلما فرغ من الصلاة صلى ست ركعات بسكون وتأدب فلما انقضت الصلاة أقبل علي طالبا للجواب فذكرت له ان نزولها بالمدينة وان فرض الصلاة كان بمكة ليلة المعراج وذكرت ما حكي في تعدد نسخ القبلة وصلاته صلى الله عليه وسلم بين الركنين اليمانيين جاعلا الكعبة بينه وبين بيت المقدس الى غير ذلك من الفوائد وهو مصغ اليها متلذذا بسماعها واستمر بنا على ذلك حتى أقيمت صلاة العشاء فصلينا ثم عرضت عليه رفع بعض البدع من المدينة فأمر برفعها وطلبت منه رفع المكوس من المدينة فأمر بازالتها وجعل لامير المدينة في مقابلة ذلك ألف اردب قرره له في كل عام وفرق بالمدينة على فقرائها وفقهائها وعلمائها نحو ... ه آلاف ذهب وحصل لي منه خير كثير واحسان جزيل ثم برز في اليوم الثالث من المدينة الشريفة قاصدا حج بيت الله الحرام انتهى كلام السمهودي ملخصا قال العز ابن فهد فلما وصل الخبر الى بدر بعود السلطان وبروزه من المدينة الشريفة الى السيد الشريف محمد بن بركات ومن معه ركبوا من بدر لملاقاة السلطان فاجتمعوا به في منزلة الصفراء وتلاقيا على ظهور الخيل وتصافحا ومشى السيد الشريف عن يمين السلطان والقاضي برهان الدين بن ظهيرة عن يساره وباقي من معهما سلموا على السلطان على بعد ومشوا أمامه وسار السلطان يلاطفهم ويسأل عن أحوالهم ويشكر مسعاهم ويطمن خواطرهم ويجابرهم بالمكالمة ويصمت لهم اذا تكلموا واستمروا كذلك الى أن وصل السلطان الى أوطاقه فرجعوا عنه الى مخيمهم ثم صاروا يسايرونه في الطريق ويظهر كمال النشاط ويبدي لهم وافر الانبساط وألبسهم السلطان خلعا فاخرة مرارا عديدة وفارقوه من بدر وتقدموا على السلطان الى وادي مر الظهران ورتبوا هنالك سماطا حافلا جليلا للسلطان ولمن معه فلما كان صبح يوم الاحد مستهل ذي الحجة وصل السلطان مخيمه بالوادي ووجد السماط ممدودا فجلس السلطان ومن معه على السماط وأكل منه وأطعم وفرق على من معه من عسكره الخاص به وخلع على الخدام والانفار الذين مدوا السماط خلعا فاخرة متعددة جليلة ووصل بقية القضاة والخطباء والاعيان من مكة للسلام على السلطان فسلموا عليه وانصرفوا أمامه وركب السلطان ومعه شيخ

وان كان فيكم من يقدر على القيام والوفاء بالمعلوم الذي كان في زمن الشريف سعيد والقيام به فليتقدم وأنا أنزل له عن الشرافة وأكون كواحد منكم وطلب منهم الجواب فابتدأ السيد محمد ابن أحمد شيخ ذوي عبد الله وقال قد سمعتم ما قاله الشريف لكم فأجيبوه عما في نفوسكم فأجابوا جميعا بقولهم رضينا بذلك فسجل القاضي ما سمعه من رضاهم في المجلس وكتب عليهم بذلك حجة شرعية ثم التفت اليهم الوزير سليمان باشا وقال لهم أنا متوجه الى الاعتاب العلية وأنا ان شاء الله بالسلامة اجتهدت لكم فيما يعود به النفع عليكم وانفض المجلس وفي غرة شهر رجب توجه الامير ابواز بيك الى حضرة الشريف وطلب انعقاد مجلس فاحضر له الشريف معظم من تقدم ذكرهم ثم ادعى ابواز بيك على الانقشارية بجميع ما وقع عليه من الحصار والنهب في زمن الشريف سعيد وأثبت ذلك عليهم وكتب حجة بمضمونها ثم انهم خافوا العقاب من السلطنة فدخلوا على حضرة الشريف والقاضي وطلبوا العفو من الصنجق فعفا عنهم وفي رابع عشر رمضان أمر الشريف بشنق أحد عشر رجلا من هذيل من بني مسعود فشنقوا خمسة في سوق الصغير واثنين في المسعى عند المرابيز واثنين في المدعى واثنين في سوق المعلى والسبب في شنقهم انهم تعرضوا للمورق اولاد الشريف في طريق جدة بالمحل المعروف بأبي الدودة أخذوه وصوبوه فرجع المورق وأخبر بما صار عليه فارسل الشريف خيلا وأرسل معهم السيد عبد الله بن بركات فأخذوا أثرهم وقصوا جرتهم الى ان وصلوا الى مراح هؤلاء المشنوقين فادركوهم هنالك ورامواهم بالبندق ثم تناثروا بهم وامسكوا منهم هؤلاء الاحد عشر وما بقي منهم فر الى الجبال وفي ثامن شوال نزل ابواز بيك الى جدة وفي النصف من شوال وردت أخبار من اليمن بان الشريف سعيد ارسل القنفذة وتعرض لبعض الجلاب الواصلة من اليمن وأخذ ما فيها وانه اجتمع معه من العربان نحو خمسة آلاف مقاتل وقصده يدخل بهم مكة فلما بلغ الشريف عبد الكريم ذلك شرع في جمع القبائل وأرسل اليهم بعض الاشراف يأتيه بهم فاجتمع عنده من كل قبيلة خلق كثير ثم ذهب بنفسه عند القاضي وجمع المفتين وبعض العلماء وأغاوات العسكر وقال لهم تحيطون علما ان الشريف سعيد اجمع أشقياء العرب المفسدين البغاة وقصده أن يدخل بهم مكة بلاد السلطان ويحاربنا فما تقولون واجابوا جميعهم نحن تحت الطاعة للسلطان وتحت أمرك وقد كان عند الوزير سليمان باشا وأخبرنا بمثل هذا فأجبنا بالسمع والطاعة وليس فينا من يخرج عن الامر فقال لهم الشريف ان قصدي اقامة أحد اخواني بمكة فتكونوا جميعا تحت طاعته فتحفظوا أنفسكم ومن يلوذ بكم من الفساد وتجتهدوا في محافظة العباد والبلاد وأنا خارج لمقابلته خارج البلد فأجابوا جميعا نحن في خدمتك وتحت أمرك

الاسلام القاضي ابراهيم بن ظهيرة وولده القاضي أبو السعود وأخوه القاضي أبو البركات وامام السلطان الشيخ برهان الدين البكري الحنفي واستمروا الى أن دخلوا الى مكة من أعلاها وكان القاضي ابراهيم هو الذي تقدم لتطويف السلطان وصار يلقنه الادعية والتلبية الى أن دخل السلطان من باب السلام البراني فطلع فرسه منه فخيل به جواده فسقطت عمامته واستمر مكشوف الرأس الى أن تقدم المهتار رمضان وتناول العمامة من الارض ومسحها وناولها السلطان فلبسها وكان ذلك تأديبا له من الله تعالى حيث كان يتعين عليه أن يترجل ويدخل محرما مكشوف الرأس تواضعا لله تعالى • ثم لما وصل الى عتبة الداخلة من باب السلام ترجل ونزل وقرأ بين يديه الرئيس بصوت جهوري قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد (١٥٨) الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ثم اندفع يدعو للسلطان وأمن من حوله من أهل الاصوات ودخل من باب السلام ومولانا القاضي ابراهيم يلقنه الدعاء الى أن دخل المطاف وقبل الحجر الاسود وهو الذي يطوفه ويلقنه الادعية والرئيس ينادي بالدعاء من أعلى قبة زمزم والناس محيطون بالمطاف الشريف يشاهدونه ويدعون له الى أن تم طوافه وصلى خلف مقام ابراهيم ثم خرج من باب الصفا الى الصفا وسعى راكبا ومعه القاضي ابراهيم يلقنه الدعاء فلما فرغ من سعيه عاد الى الزاهر وبات في خيمته وركب في الصبح في موكبه واتاه مولانا السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وقاضي القضاة البرهاني الاول ابراهيم بن ظهيرة وابنه الجمالي أبو السعود وأخوه القاضي فخر الدين وابن عمه والخطباء وأعيان الناس وأكابر التجار فخلع السلطان عليهم على الجميع ومشوا قدامه في موكب عظيم وأبهة عظيمة ولم يتخلف أحد بمكة من النساء والرجال حتى المخدرات ودخل بمكة بهذا العنوان الى أن وصل الى مدرسته فترجل الناس له وسلم عليهم ودخل الى مدرسته ومد له بها السيد الشريف محمد بن بركات سماطا جليلا واستمر على ذلك مدة اقامته وأولهم الاسمطة الجليلة ومد له في ثاني يوم قاضي القضاة البرهاني سماطا جليلا واستمر السلطان بمدرسته ما ظهر لاحد غيرها يتصدق بالليل كثيرا وركب من طريق اليمن يشاهد ما قدمه مولانا السيد الشريف صص

وأمر السلطان ثم ألبس منهم جماعة عشرون معه من العسكر فأعطوه مناويه وقرؤا الفاتحة وتفرقوا وفي عاشر ذي القعدة برز الشريف بعسكره عند بركة ماجن وخرج اليه جميع العربان الذين تجمعوا وخرج أيضا الوزير سليمان باشا بعسكره ثم توجهوا الى الحسينية وجاءهم الخبر ان الشريف سعيدا ومن معه نزلوا الشرفية ثم انتقل الى ان وصل العابدية فأرسل اليه الشريف عبد الكريم السيد دخيل الله بن جود وعرفه ان هذا الفعل ليس بصواب وان مجيئك بهؤلاء القوم كالاجانب يزري بالسلطنة والاولى ان تحقن دماء المسلمين وترجع بهم من حيث جئت فما التفت لهذا الكلام لان قومه كانوا في غاية الكثرة فاغتر بهم فرجع السيد دخيل الله وأخبر الشريف عبد الكريم بما معه من الشريف سعيد فالتقى الجمعان ووقع الرمي بينهم ساعة ثم رمت المدافع التي مع الشريف عبد الكريم فارتجت العربان الذين كانوا مع الشريف سعيد من صوتها ورجعوا القهقرى وتحصنوا برؤس الجبال وكمنت عليهم خيل الشريف عبد الكريم والباشا فانهزموا وركب خلفهم الشريف عبد الكريم بعسكره الى أن نزل بجهة مسجد نمرة ونزل الباشا بعسكره بعرفة وباتوا تلك الليلة ولما أصبحوا شرعوا في الحرب ووقع بينهم الرمي بالبندق من بعد في هذا اليوم ووصل الامير ايواز بيك بعسكره من جدة وحضر الحرب فوقعت مقتلة عظيمة فانهزم الشريف سعيد ومن معه وتركوا ما وصلوا به من مال وجمال وبقر وحمير وغير ذلك من الاثقال فغنمه من كان مع الشريف عبد الكريم وصار الناس يأتون بالكسب الى مكة فوجا بعد فوج ووصل البشير الى مكة فحصل به السرور والانس فانه قام الشريف عبد الكريم ودار المبشر على بيوت الاشراف فالبسوه وركزت علامة النصر في بيت الشريف والاشراف ودق الزير وفي ثاني يوم وصل الشريف عبد الكريم الى مكة ومعه الباشا وايواز بيك والعساكر وكل من كان معهم ودخلوا في آلاي أعظم وجلس الشريف في داره للتهنئة ومدحه الشعراء بقصائد وحمد الناس فعله حيث خرج لهم خارج مكة فوقع الحرب بعيدا عن البلد والناس آمنة مطمئنة والاسواق عامرة وجماعة المسجد قائمة جزاه الله خيرا ثم بلغ الشريف عبد الكريم ان الشريف سعيدا دخل الطائف فارسل خلفه بعض اخوانه مع عرب ثقيف فخرج من الطائف ودخل موسم هذه السنة والناس في أمن وأمان وخرج مولانا الشريف عبد الكريم للقاء الحج على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس على المعتاد في أمن وأمان وبعد توجه الحج المصري والشامي سافر سليمان باشا ودخلت سنة ألف ومائة وثمانية عشر وفي أواخر صفر وردت الاخبار بأن الشريف سعيدا جمع جموعا من العرب يريد بهم مكة فشرع الشريف عبد الكريم يتهيأ لقتاله وجمع جموعا وبرز بعسكره بالابطح أوائل ربيع

الاول وبعد عيد المولد توجه من معه للاقاة الشريف سعيد ونزل الشريف بقاما الخيرات الشريف سعيد ادخل الطائف ثامن عشر ربيع وان قومه أربعمائة فتوجه اليه الشريف عبد الكريم فبرز اليه الشريف سعيد جهة المليسا

•(عزل المفتي عبد القادر الصديقي وتولية الشيخ تاج الدين القلعي سنة ١١١٨)•

وفي هذه السنة أعني ثماني عشرة وقع شيء بين المفتي الشيخ عبد القادر الصديقي والشيخ تاج الدين القلعي فسافر الشيخ تاج الدين للابواب السلطانية ثم رجع من أبواب السلطنة ومعه أمر سلطاني بعزل المفتي عبد القادر الصديقي وتوليته وكان وصوله في السادس عشر من رمضان استأجر هجنا من ينبع فقطع من ينبع الى مكة في ثلاثة أيام لاجل حضوره المجلس السلطاني بالمسجد الحرام ليلة سبع عشرة من رمضان التي يحصل بها ختم السلطان ثم أرسل مولانا الشريف عرضا للدولة العلية يطلب فيه ارجاع المفتي عبد القادر الى الفتوى فاجيب الى ذلك وجاءه الامر بذلك في رجب سنة تسع عشرة فاعيد المفتي عبد القادر الى الفتوى واستمر بها الى أن توفي سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف رحمه الله تعالى وأقيم في الافتاء بعده ابنه الشيخ يحيى وتوفي سنة احدى وأربعين ومائة وألف ووقع القتال بينهم فانهزم الشريف سعيد وتوجه الى جهة لية فتبي خلفه الى الجبال ثم رجع الى الطائف وجاء المبشر الى مكة ثامن عشر ربيع واستقر الشريف عبد الكريم بالطائف ومعه ايواز بيك نازلا في المثنى في بستان السيد أحمد بن سعيد عمالكه وعسا كره الى شهر رجب ثم رجع الى مكة وفي شعبان رجع ايواز بيك الى جدة ورجع الشريف من الطائف في شوال ودخل مكة في الاي أعظم واستمر الى الحج وفي غرة ذي الحجة من سنة ثماني عشرة وصل ايواز بيك من جدة وجاء لمولانا الشريف أغا من السلطنة ومعه القفطان وسيف مرصع ومعه مرسوم سلطاني فقرئ بالحطيم على المعتاد ومضمونه ان الحجة والمحضر المرسلين من أهالي مكة المكرمة وصل كل منهما ووصل بعدهما من طرفكم مكتوب بالصداقة وعروضات الى بابه وتنادم على مضمونها وسعادتنا خلاصتها فاستدللنا بذلك على حسن سيرتكم وصفاء طويتكم وسريرتكم وأطنب في المرسوم غاية الاطناب ثم قال وقد وجهنا اليكم جميع ما طلبتم ومن جملة ذلك ما كان معينا من مصر في بندر جدة للشريف سعيد وهي أربعون كيسا وما كان معينا الجوهر آغا نائب المذكور وهي خمسة أكياس من مقاطعة الهند المجموع خمسة وأربعون كيسا زيادة على ما هو مقرر لكم تستعينون به على مصالحكم وتقويه أموركم عناية منا بكم واحسانا اليكم ولما كان يوم الخامس من ذي الحجة دخل الحج المصري مكة فخرج مولانا الشريف يوم السادس للاقاته ولبس الخلعة على المعتاد ثم وصل الحاج الشامي

الابل والخيل وتشكر من فضل السيد الشريف واستمر بمدرسته الى أن طلع الى عرفات ومعه امامه راكبا الى جانبه وهو شيخ الشيوخ البرهاني ابراهيم بن الكركي والامير شيك الجمالي وأولاد القاضي يحيى بن الجيعان كاتم السر وخصيصه القاضي أبو البقاء ابن الجيعان ورمضان المهتار ووقف بجبل الرحمة متضرعا الى الله تعالى سائلا من رحمته القبول وكانت الوقفة يوم الاثنين فأوفى مع الناس وأتم حجه وفرق الانعامي غنما كثيرة وأهدى شيئا كثيرا وكان المناسب ان ينحر شيئا من البدن فما أشار عليه أحد بذلك وعاد بعد أيام التشريق الى مكة وتوجه الركب المصري وتأخر هو بمكة أياما وقرر وظائف مدرسته لاهلها من المدرسين والطلبة وقراءة صحيح البخاري وقراءة الربعة وخادمها وخادم المحتسب والفراشين والبوابين والوقادين والجلادين والسقائين والسبيل والايتام والعريف والفقيه والمؤذنين وناظر المدرسة والوقف والجابي والصيرفي وأصحاب الخلاوي ونحو ذلك وجعل لكل واحد جمكية من القمح والدراهم والزيت وكتب بذلك وقفية أشهد على نفسه بذلك بها وعمل من الخيرات ما لم يسبق اليه وحضر بنفسه يوم الجمعة ثالث عشر ليلة خلت من ذي الحجة بدار في الايوان وقدامه المصحف على كرسي وفرق على الحاضرين أجزاء الربعة الشريفة وتناول السلطان جزأ منها كاحد القراء وقرؤا الى ان ختم القاضي ابراهيم ولم يؤخذ من السلطان الجزء حتى وضعه بنفسه وجمعت الاجزاء في صندوق الربعة ودعا الداعي للسلطان ومدة للحاضرين سماطا حلوى بدور المدرسة ونزل السلطان وجلس الى جنب القاضي ابراهيم وأكلوا ثم سقاهم سكرا وسوبية وفرق عليهم فتوحا وانصرفوا وكان بنى السلطان سبيله على عين الداخل الى خان البزازين بالمسعى يقال له العلقمية وكان أمامه الى جهة القبلة بالمسعى سبيل قديم للقاضي شهاب الدين الطبري على عين الذاهب الى المروة فأشار الخواجا شمس الدين بن الزمن والمهندس أن يهدم هذا السبيل حتى تظهر عمارة السلطان وسبيله فهدم وصار المسعى مكشوفا وعمارة الخان والسبيل ظاهرا وسافر السلطان في ظهر يوم السبت لاربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة بعد ان طاف للوداع والرئيس يدعو له على قبة زمزم ومشى القهقرى الى أن خرج من باب الحزورة وركب معه السيد الشريف محمد بن بركات وأولاده وقاضي القضاة ابراهيم بن ظهيرة الى الزاهر ثم ردهم وودعهم وسار الى مصر وعاد الى مكته

ولم يختل عليه شيء من أمر المملكة مع غيبته عن تخت مصر مدة سفره الى الحج وعوده اليها وهي نحو ثلاثة أشهر وذلك لاتقانه أمر الملك وتدربه فيه وضبطه رحمه الله تعالى * وكان واسطة عقد ملوك الجراكسة وأقربهم الى قلوب الرعية في اللطف والمؤانسة وأجلهم جمالا واجلالا وأحسنهم احسانا وأفضلهم افضالا وأكملهم عقلا ونبلا واعتدالا وأكثرهم في جهات الخير آثارا وأوفرهم عمائر وأوقافا وادرارا وأطولهم طولا وزمانا وأكملهم ملكا وقوة وامكانا وكانت أيامه كالطراز المذهب ودولته تجلى كالعروس في حلل الجوهر والذهب وعاشت الرعية في أيامه عيشا رغدا * ظهرت العلماء في أيامه وعمرت أمصار والنجوم الهدى الى ان انتبه له الزمان الجائر واستيقظت له صروف الليالي والجدود العواثر ودارت عليه كما دارت على من قبله الدوائر وهذا شأن الدنيا الدنية في أبنائها الأصاغر والأكابر ودأبها في السلاطين والملوك القواهر والبقاء والدوام لله عز وجل القدير القاهر فقدم على قابض بأي يد أجله وما أغنى عنه ما جمعه من خيله وخوله فأقدم على ما قدم من صالح عمله وترك ما خوله من متاع الدنيا وراء ظهره وأدرج في أكفان أعماله بعد ما غسل بدموع قصره وأنزل من سرير الملك الى التابوت الى قبره وقدم على رب كريم ووقف بين يدي ملك الملوك الحكيم الحليم

إذا أمسى فراشي من تراب ... وصرت مجاور الرب الرحيم
فهنوني أصحابي وقولوا ... لك البشرى قدمت على كريم

فكان انتقاله رحمه الله تعالى في أواخر يوم الأحد لثلاث بقين من ذي القعدة الحرام سنة احدى وتسعمائة وصلي عليه الشريف يوم الاثنين ودفن بتربته بالصحراء التي بناها في حياته في غاية الحسن والزينة وبها أماكن للقراء وأوقاف دارة عليهم الى الآن ليس بمصر أحسن تربة منها وصلي عليه بعد ذلك صلاة الغائب بالمساجد الثلاثة وكان له مشهد عظيم لم يعهد لملك قبله وكانت مدة سلطنته ثلاثين سنة الا ثمانية أشهر ولم يملك أحد من ملوك الجراكسة قدر مدة ملكه رحمه الله تعالى ﴿وولي بعده الملك ولده الملك الناصر أبو السعادات محمد﴾ وكان شابا يغلب عليه الجنون والسفه وما كان له التفات الى الملك والى السلطنة بل غلب عليه الزهو واللعب والحركات المستبشعة * ويحكى عنه أمور قبيحة * منها انه كان اذا سمع بامرأة حسناء هجم عليها وقطع دائر فرجها ونظمه

وأميره سليمان باشا الذي كان متولي جدة فخرج مولانا الشريف لملاقاته على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس ولما كان يوم عرفة حصل بين الجمالين مشاجرة في التقدم عند النفر أوجبت المراماة بالرصاص مع ان القانون القديم ان التقدم لمحمل الحاج المصري ثم لما رأى حضرة الشريف ما وقع أرسل بعض الأشراف الى الأمراء لتسكين الفتنة لحفظ الحاج وتخلف هو عن وقت نفره المعتاد الى العشاء الى أن سكنت الفتنة وشمل الحاج كله ولم يبق أحد من أهل مكة وغيرهم فجزاه الله عن المسلمين خيرا وأرسل مولانا الشريف هذه السنة هدية سنية للسلطنة العلية صحبة يوسف آغا شيخ القراء وتوجه مع الحج المصري ودخلت سنة ألف ومائة وتسع عشرة وفي ثامن عشر جمادى الآخرة دخل الشريف سعيد الطائف خفية وقت النهار وطلب الضيافة من أهلها فجمعوا له شيئا وقدموه له وقبض على جماعة من أهل الطائف وأهل مكة وأخذ منهم جانبا من المال فبلغ الشريف عبد الكريم ذلك فتجهز الشريف عبد الكريم للتوجه اليه واخراجه من الطائف وتأخر خروجه من مكة الى شعبان لأمور عرضت له أوجبت التأخير فلما وصل في شعبان الى الطائف وجد الشريف سعيدا قد خرج منها وفي هذه السنة عرض مولانا الشريف عبد الكريم للسلطنة العلية في شأن السيد يحيى بن بركات واستأذنهم في أنه يسكن مكة بدلا عن الشام فأجيب الى ذلك فوصل الشريف يحيى بن بركات مكة في رمضان ومعه يوسف آغا الذي توجه بالهدية من مولانا الشريف عبد الكريم ومعهم آغاة القفطان الوارد هذه السنة أيضا بخلعة ومرسوم سلطاني وسيف مرصع فدخل مكة مع الشريف يحيى في آلاي أعظم ودخل السيد يحيى بن بركات في زي الأروام بالقاووق على رأسه فذهب للسلام عليه الخاص والعام وقابلهم بالمقابلة الحسنة اللائقة عنه وأنزل كلا منزله فشكروه على ذلك وكان مولانا الشريف عبد الكريم حين وصولهم بالطائف فوصل في شوال وبعد وصوله قرئ المرسوم الذي جاء به الآغاة ولبس القفطان وتقلد السيف المرصع وفي يوم السبت رابع ذي القعدة اجتمع السيد يحيى بن بركات وشيخ الحرم ايواز بيك وقاضي الشرع وأصحاب الادراك من السبع بلكات وبرزوا الى الأسواق والأزقة وشرعوا في هدم الدكك التي قدام الدكاكين والبيوت وأزالوا الزوائد من الأشرعة والظلال والمساطب التي في الطرق والأسواق واستمروا على ذلك ثلاثة أيام فحصل بذلك غاية السعة في جميع الأماكن ولما وردت الحجوج خرج الشريف لملاقاتها على المعتاد ولبس الخلعة وحج بالناس في أمن وأمان ثم سافرت الحجوج على المعتاد وفي هذه السنة أيضا أرسل مولانا الشريف هدية سنية للسلطنة العلية ودخلت سنة ألف ومائة وعشرين وفي شهر صفر جاء خبر لمولانا الشريف أن الشريف سعيدا وصل الى الحسينية ونزل على الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فأراد

الشريف عبد الكريم أن يركب عليه بعسكره فارسل الشريف سعيد يطلب مهلة خمسة عشر يوما فاعطاه المهلة وبعد تمامها توجه الى اليمن وكان جماعة من الاشراف تناقروا مع الشريف عبد الكريم فخرجوا مغاضبين وانضموا الى الشريف سعيد وصادفوا حولا من اليمن واستولوا من اليمن واخذوها فارسل خلفهم جماعة من الاشراف والعسكر ثم لحقهم بنفسه فالتقوا بهم فهزموا بعض اليمن واطلقوا في بعضه النار واخذوا البعض واودعوا البعض وتركوا البعض الذى عجزوا عنه وفر بعضهم الى الحرة وبعضهم الى ديرة بني سليم فلما جاءت جماعة الشريف اخرجوا امدادهم واخذوا اموالهم ورجعوا في أواخر شهر جمادى الآخرة جاءت الاخبار بان الشريف سعيدا جمع جموعا وقصد مكة ثم في رجب جاء الخبر بانه دخل بجموعه دوقة فاخذ الشريف عبد الكريم يتجهز للقائه وارسل في طلب القبائل فجاء كثير منهم فتوجه بهم الشريف عبد الكريم مع العساكر الى الحسينية في شعبان فلما بلغ قوم الشريف سعيد أن الشريف عبد الكريم خرج لهم في قوة عظيمة تفرقوا عنه بعد ان وصلوا الى العابدية ثم سعت الاشراف بينهم واخذوا له مهلة وجعلوا له في كل شهر ثلاثة آلاف احمر وشرطوا عليه أن يسكن بيشة فوافق على ذلك وبعد أيام ارسل له الشريف عبد الكريم يقول له ارحل على الشرط الواقع فاعتذر وتوقف وانقضى ذلك المعين ولم يتم واستمر الشريف سعيد في العابدية الى دخول رمضان فصام هناك وارسل الى مكة وطلب بعض اهله فصاموا عنده وعيد في العابدية وجاء في هذه السنة ايضا آغاة القفطان في رمضان ومعه مرسوم وسيف مرصع وفروة وفعل كل ما جرت به العادة وفي المرسوم كلام كثير مع غاية التلطف في الخطاب للشريف عبد الكريم والاجلال والتعظيم ومما ذكر في المرسوم الحث على ابعاد الشريف سعيد عن سائر اطراف الحجاز الى أن قيل فيه خطابا للشريف عبد الكريم ولتكن كراكب الكميت المتمكن من صرف عنانه بيده حيث شاء واستطابوا المختم الدعا فارسل الشريف سعيد بالترحل من العابدية ومن هذه الجهات واطراف الحجاز فان حضرة السلطان آمر بذلك فرحل الشريف سعيد هو واتباعه وتوجه الى اليمن ثاني شهر ذي القعدة وتعرض لقافلة جهة الليث فاخذها وفي هذه السنة عزل ابو زيلة من جدة وتولى محمد باشا وتولى امارة الحج الشامي نصوح باشا ولما جاء الحج خرج الشريف للاقاته على العادة ولبس الخلعة وحج بالناس وتوجهت الحجوج بالسلامة

•(دخول سنة ١١٢١)•

ودخلت سنة ألف ومائة واحدى وعشرين وفي شهر ربيع الاول توجه الشريف عبد الكريم الى المبعوث ومكث فيه الى أن دخل شهر جمادى الآخرة وفي خامسه دخل الطائف بالتوبة والعساكر

في غيظ أهله لتظلم فروج النساء • ومنها ان والدته كانت من أعقل النساء واجلهن هي ان له جارية جميلة جدا وجعتها به في بيت من ان آهدته لهما فدخل بها واغلق الباب على نفسه وعليها اوبطها اشرع يسلخ جلدها عنها كالجلادين وهي صيحة فلما سمعوا صوتها وبكائها ارادوا الهجوم عليه فما امكنهم لانه اغلق الباب من داخل واستمر كذلك الى أن سلخها وحشى جلدها بالتبن وخرج يظهر انهم استاذيته في السلخ وان الجلادين يعجزون عن كماله في صنعته • ومنها انه مر وهو راكب بدكان حلواني يبيع الحلاوة وبسطته قدامه فامر من دكانه وجلس مكانه يبيع الحلاوة ودار حوله امرائه يشترون منه واخذ بيده الميزان وصار يزن لهم الحلاوة الى ان يموت وكان له حركات من هذه الخرافات منها ما قيل انه ... يبكي الى أن سقط من أعين العسكر وسطوا عليه كما سطا الحمام الاشرس بطيره كما خلت النفس ... بالطير ومزقوه كل ممزق وامتد الاسرة أكبر فسر ... انه خرج مستخفيا منفردا عن بيته وخدمه من اعدائه عن خوله وحشمه فتوجه يمشي وحده الى بر الجيزة فما كان له عشرة انفس من مماليك أبيه في حيلة على عزمه فلما وصل اليهم وكان وحده منفردا خرجوا عليه من الخيمة وعسكروا ... ثم فرسه وضربوه بالسيوف الى أن قطعوه وحازوا به مقتولا الى القاهرة ودفنوه في تربة أبيه في سنة أربع وتسعمائة ﴿ثم ولوا بعده خاله الظاهر قانصوه﴾ وهو خال الناصر محمد بن قايتباي كان سازجا امينا لا يعرف الا باللسان الجركسي قريب العهد بالبلاد لان السلطان قايتباي جلبه من بلاده وهو كبير وخلته الشيب وصار يرقيه بواسطة زوجته خوند ادم للناصر فبذلت له الاموال والخزائن واردت اقامته مقام ولدها الناصر واردت تقريبه واقامته وامه لاجله • ولي بصلح العطار ما أفسد الدهر • فما استكملها الجد للاثابة وما اهلوه للسلطنة وكيف له بها وأنى له فخلعوه بعد أن ساسهم سنة وسبعة أشهر واخرجوه من الملك في أواخر سنة خمس وتسعمائة ﴿وولي بعده أمير كبير يسمى جان بلاط وتلقب الملك الاشرف جان بلاط﴾ في أوائل سنة ست وتسعمائة ومات بها بالسلطنة ولا وافقه احد عليها وخلع بعد ستة أشهر ﴿وولي مكانه الملك العادل طومان باي﴾ ومات كمل يوما واحدا حتى هجم عليه العسكر وقتلوه قدم احد على السلطنة وكانت الامراء متوفرة وكلهم يشير بعضهم الى بعض في الجلوس على تخت الملك واتفقوا على أن يولوا

قانصوه الغوري لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة أي وقت أرادوا ازالته أزالوه لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم حالا وأرقهم قوة فأشاروا عليه أن يتقدم فأبى فألزموه بذلك فقال أقبل ذلك منكم بشرط أن لا تقتلوني واذا أردتم خلعي من السلطنة أخبروني عما تريدون وأنا أوافقكم على ذلك وأترك لكم الملك وأمضي حيث أريد فعاهدوه على ذلك فقبل منهم وولوه السلطنة ولقبوه (السلطان الملك الاشرف أبو النصر قانصوه الغوري) في سنة ست وتسعمائة وفرح العسكر بولايته لانهم سئموا تعدد السلاطين وسرعة تقضي ملكهم بل فرح العامة وأمنوا على أنفسهم وأموالهم في الجملة وكان قانصوه الغوري كثير الدهاء ذا رأي وفطنة وتيقظ الا أنه كان شديد الطمع كثير الظلم والحرص على الاكثار من العمارة (ومن جملة عماراته الجامع والتربة) بين القصرين بمصر وكان في نيته أن يدفن بها ووقف عليها أوقافا كثيرة وما قدر له دفنه فيها بل ذهبت جثته تحت سنابك الخيل وما عرف وما تدري نفس بأي أرض تموت وله آثار جليلة في طريق الحج في عقبة أيلة وما زال بمكة المشرفة وغيرها وكان يحفظ حرمته على الامراء بالشريعة والتنزل من غير تشديد عليهم ولا اظهار عظمة أو نحو ذلك في ابتداء أمره الى أن تمكن من قوته وبأسه وحكى شيخنا الشهاب الشيخ أحمد بن موسى بن عبد الغفار المغربي الاصل ثم المصري نزيل الحرمين الشريفين وهو ممن أخذنا عنه رحمه الله تعالى عن والده وكان من المباشرين أرباب الاقلام من ديوان السلطان قانصوه الغوري رحمهما الله تعالى قال لما تمكن الغوري من الذي فيه أراد الامراء احداثه وأرادوا أن يعملوا ما قدموه طلبه من السلطنة فلما استشعر الغوري ذلك منهم عمل ديوانا جمع فيه الامراء وقالوا والمقدمين وأمرهم بالجلوس وجلس بينهم كأحدهم وكانت عادة الامراء والمقدمين الوقوف بين يدي السلطان ولا يجلسون معه الا على السماط في الاكل فقط فلما أجلسهم وجلس بينهم استنكروا ذلك منه وصاروا ينتقدون عن سبب ذلك وكل مصغ الى ما يقول متوجه للسلطان غاية التوجه فقال يا اخوانا بحقكم لا سألتكم سؤالا فخاطرني وأطلب جوابه على الوجه الذي ترونه صوابا فقالوا نعم فقال أسألكم عن جماعة جاؤا الى رجل وناولوه صرة من الدراهم مربوطة مختومة وأودعوها عنده فقال انما استودع منكم هذه الوديعة بشرط أن تأتوني وتطلبوها ودفعكم مني بلا نزاع ولا خصومة فأردها بعينها اليكم فقالوا له نعم قبلنا منك هذا

ثم بعد أيام رجع الى المبعوث واستمر الى شعبان ثم رحل الى ينبع وغزا قبيلة حرب وأخذ منهم أخذة عظيمة ورجع الى مكة تاسع عشر رمضان وفي الخامس والعشرين من رمضان توفي محمد باشا صاحب جدة الذي جاء بدلا عن ابراهيم بيك وأقام مولانا الشريف مقامه ترتدار الباشا وصيره الى أن يجيء بدله ثم جاء في شهر جمادى الآخرة من السنة الآتية ابراهيم باشا واليا على جدة وفي شوال من سنة احدى وعشرين جاء الى الشريف مكتوب من الصدر الاعظم مضمونه ان يوسف باشا أرسل الينا مكتوبا يشكو منكم نوع تقصير وعدم ملاطفة واستقر بذلك الخدمة لعلنا نحسن سيرتكم ومعاملتكم فالمأمول أن تزيلوا ما به الشكوى على فرض وقوعه وتبدلوه بحسن الملاطفة والمؤانسة كما هو المعروف في صدق محبتكم وخلوص مودتكم وشاع بين الناس أن يوسف باشا عرض في الشريف عبد الكريم يشكو منه وأنه يرد اليه أمر بالتفويض فحزم الشريف أمره وجمع العربان واستعد للمدافعة فلما جاء الحج خرج الاغوات على المعتاد ولبس الخلعة ولم يحصل شئ ورجع بالناس على المعتاد ولم يحصل شئ ولله الحمد ورجعت الحجوج

(دخول سنة ١٢٢٢)

ودخلت سنة ألف ومائتين واثنين وعشرين وفي آخر شعبان تفرق جماعة من السادة الاشراف من ذوي مسعود وذوي عمرو وذوي عبد الله وذوي جازان والتجؤا على الشريف سعيد وتعرضوا لثلاثة من الجلاب الواصلة من اليمن ثم جمعوا جموعا وقصدوا مكة مع الشريف سعيد فتجهز الشريف عبد الكريم لقتالهم والتقوا في شهر ذي القعدة عند المفهر ووقع بينهم قتال عظيم ثم انهزموا ورجع الشريف عبد الكريم الى مكة وتوسط بعض الاشراف فأصلح بعض المناصبين وأدخلهم في الطاعة ووصل الحج فخرج الاغوات ولبس الخلعة على المعتاد ورجع بالناس في أمن وأمان الا أنه حصل بين الشريف عبد الكريم ويوسف باشا منافرة بسبب أن حمزة أمير حج الشام عليه لبعض السادة الاشراف دراهم بحسب العوائد القديمة فنوى في هذه السنة عدم اعطائها فوصل الى يوسف باشا ودخل بيته وأراد الذي في صحبته فأرسل اليه الشريف عسكرا من جماعته الى بيت الامير حمزة لاخذ كرائه وحمله فبلغ الاشراف ذلك فتوجهوا الى الشريف وأخبروه بالواقع فاستغرب من الباشا هذا الفعل وأرسل اليه يعرفه بالعوائد والقوانين وان هذا الرجل جاء بصحبة حج الشام ما هو من عمائل الذي جاز صحبتك وعليه دراهم عوائد لبعض الاشراف فما التفت الباشا الى هذا الكلام وأعاد الجواب الى الشريف بكلام أغاظ نفسه منه فأوقف الشريف القاضي والباشا صاحب جدة وأمير الحاج المصري وأغوات السبع تكايات على كلام يوسف باشا فكلهم صار يلوم يوسف باشا

الشرط وأودعوه ومضوا ثم عادوا اليه بعد مدة وقالوا نطلب الوديعة بنزاع شديد ومخاصمة ومضاربة فقال لهم هذه وديعتكم حاضرة
خذوها بلا نزاع وضراب معي كما اشترطت عليكم فقالوا لابد لنا معك من الخصام والنزاع فانه على الباطل وأنهم على الحق ففهموا
مراده واستعفوا منه فقال لهم أنا ما جلست معكم الا لتعلموا اني كأحدكم لا أمتاز عنكم بشيء وهذه السلطنة أصلها الا بكم أرادو لا
أنازعكم فيها ولا أخاصمكم عليها وانما أنا واحد من الجند فقبل كل واحد منهم يده وأذعنوا له بالطاعة وسألوه في استمراره سلطانا
عليهم وسكنت الفتنة بهذا التدبير وغفلوا عنه مدة واشتغلوا عنه بضرورات أخرى وطال معه الحال الى أن صار يأخذهم واحدا
بعد واحد ويتغافل ثم يعمل حيلة أخرى ووسيلة أخرى لاحدهم فيأخذهم بها أو يوقع بين الاثنين ويأخذ هذا بذاك
ويأخذ ذاك بهذا ويدس
لهم الدسائس من السم في
الطعام ونحوه حتى أتى
على أعيانهم ودهاتهم وأعد
عددا وعددا فصاروا
يظلمون الناس ظلما
ويعاملون الخلق عسفا
وغشما وصار يقضي عنهم
ويتغاضى لهم فأظهروا
الفساد وأهلكوا العباد
وأكثروا العناد وطغوا
في البلاد وصار هو يصادر
الناس ويأخذ أموالهم
بالقهر والبأس وكثرت
الموارثة في أيامه أكثر
ما يصغي اليهم وصاروا اذا
شاهدوا أحدا توسع في دنياه
وأظهر التجمل في ملبسه
أو مشربه وشوا به الى
السلطان فيرسل اليه
الاعوان ويطالبه بالقرض
ويستصفي أمواله ويسلمه
الى السوباشي ليأخذ ماله
ويهتك أهله وعياله ويعذبه
بأنواع العذاب الى أن
يصير فقيرا معدما ومعدما
بعد ثروته واستغنائه
وجمع من هذا الباب أموالا عظيمة وخزائن واسعة جسيمة ذهبت في آخر الامر سدى وتفرقت بددا وعرفت بددا وهكذا
كل مال يؤخذ على هذا الاسلوب ويجمع بهذا الطريق المنكوب لا ينتفع من جمعه بل يضر صاحبه ويهلك مانعه وهيهات أن
ينفع مال حصل بأنين كل حزين وسلب بالقهر والقسر من كل محتاج مسكين وكيف ينفع ماله ومانع صاحبه وكيف يتهنأ به من
اكتسبه على هذا الوجه وأبكى كاسبه الا ان مالا كان من غير حله * سيخرب يوما أهله وأنا به وأما الميراث فبطل
في أيامه وصار اذا مات أحد يؤخذ ماله جميعه للسلطنة ويترك أولاده فقراء الا ان اعتنى به اعتناء كبيرا فيجعل له نزرا يسيرا من مال
أبيه وأخذ لنفسه باقيه واشتد طمعه وكثر ظلمه في آخر أيامه واستجاب الله فيه دعاء المظلومين وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله

وقالوا والله لا سبيل لك الى هذا تمنع الشريف من نفاذ أحكامه في بلده واتباعه والشريف لما اعتمد ذلك
رأى عزم الشريف وشدة بأسه بادر بالارتحال فتركه الشريف وأعرض عنه واستخلص كاتبه
محضرا في نصوح باشا على لسان السادة الاشراف وغيرهم من أهالي مكة وعلمائهم من صاحب
وكتب العلماء مضمون الجميع شكوى نصوح باشا ورفع أفعاله الى الدولة بجميع ما سلكه في
الحرمين وأرسل المحاضر مع هدية سنية بصحبة رجل من الاروام وجاءت أخبار بان عربان حرب
جمعوا جموعا كثيرة وقعد والنصوح باشا في جبال الخيف فأرسل جماعة من عسكره يكشفون له
خبرهم فالتقوا بالقوم ووقع بينهم قتال وقتل غالب العسكر الذين أرسلهم واشتد عليه الكرب ثم دفع
لمبارك بن مضيان شيخ حرب خمسة وعشرين كيسا فأرسل مبارك بن مضيان الى العرب وفرق عليهم
الدراهم وتعاهد معهم على الكف عن القتال وأرسل للباشا انه لا يحصل الصلح سوى ان رحل بالحج
لان العرب جمعهم عندي وفرقت عليهم الدراهم فعند ذلك رحل الباشا بعزته وصحبته أكابر الحج
وأتباع الدولة وتأخر كثير من الحجاج وكان بعض العرب وهم عوف استقلوا ما أعطاهم الشيخ مبارك
من الدراهم لكثرتهم فحصل بينه وبينهم موافقة ثم ذكروا عليه ولحقوا الحجاج الذين تخلفوا
وأخذوهم عن آخرهم وحصل بذلك غاية المصيبة على المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون وحصل
للشريف عبد الكريم والمسلمين غاية الغم لما بلغهم الخبر وأرسل لمبارك بن مضيان يقبح فعله
ويتهدده ويعرفه ان سيف السلطان طويل وأما نصوح باشا فانه لما وصل المدينة طلب من أهل
المدينة محضرا مضمونه ان جميع ما صار على الحاج من نهب وتعب فكله بأمر من الشريف عبد
الكريم فما وافقوه على ذلك وقالوا ما عندنا علم بذلك فكيف نكتب شيئا ما شهدنا به فلما أيس من
ذلك تكلم في شيخ الحرم وعزله ونفاه الى الواس مع الشريف عبد الكريم وحرب وجمع أكابر
الحاج وقاضي المدينة المتوجه بصحبته وأمين الصرة وكتب حجة مضمونها ان الشريف عبد الكريم
أرسل اخوانه الى عرب حرب وأمرهم بقتل الباشا ونهب الحاج وانما أرسل اخوانه الشريف
بأعيانهم يقاتلون مع عرب حرب وكتب فيها جميع ما أراده ومن توقف عن الشهادة أرضاه وكتب من
عنده ما أراده وأرسل الجميع صحبة الحجة الى الدولة من أثناء الطريق وأرسل صحبتهم هديته

•(دخول سنة ١١٢٣)•

وكان ذلك كله في شهر محرم الحرام افتتاح سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف وفي يوم الاثنين السابع
والعشرين من شوال من السنة المذكورة جاءت أخبار من المدينة المنورة بأن السلطنة العلية
أمرت بتوجيه شرافة مكة للشريف سعيد وورد اليهم صورة الامر الصادر من الدولة العلية ومعه

رب العالمين • حكى لي والدي رحمه الله تعالى عن شخص مجاب الدعوة من أولياء الله تعالى انه رأى بمصر في أيام السلطان الغوري جنديا من الجراكسة الجلبان أخذ متاعا من دلال ولم يرضه في قيمته فتبعه الدلال يطلب حقه منه وهو يمتنع منه فقال له الدلال بيني وبينك شرع الله تعالى فضربه بالدبوس فشج رأسه وسقط الدلال مغشيا عليه ومضى الجندي بالمتاع وما قدر أحد من المسلمين على منعه مما فعل قال الرجل فصعب علي مشاهدة هذا الحال فرفعت يدي الى الله تعالى ودعوت على الجندي المذكور وعلى سلطانه وعلى الظلمة من أعوانه فصادف ساعة الاجابة وبت تلك الليلة على طهارة وأنا متفكر في أمرهم وأحدث نفسي بذلك وأقول كيف يزول ملك هذا السلطان العظيم وقد ملأت (٤٦٤) جنوده الارض وانى للمسلمين سلطان آخر يرفق بالرعايا وتطمئن في دولته البرايا وأخذني النوم فرأيت فيما يرى النائم ملائكة نزلت من السماء وبأيديهم مكانس يكنسون الجراكسة من أرض مصر ويلقونهم في بحر النيل فاستيقظت من النوم واذا بقارئ يقرأ القرآن فأنصت له فاذا هو يقرأ قوله تعالى فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فعلمت ان الله يأخذهم أخذا وبيلا فما مضى قليل الا وبرز الغوري بجنوده وأمواله وخزائنه من مصر لقتال المرحوم المغفور له السلطان سليم خان الى حلب فقابله بعد قليل بأن انكسر وقتل أكثر جنوده وفقد الملك تحت سنابك الخيل في مرج دابق وهرب بقية السيوف من الجراكسة وصيروا الدويدار طومان باي سلطانا والسلطان سليم في اثرهم يفتح البلاد ويضبطها الى أن وصل الى الريدانية خارج مصر فخرج اليه طومان باي ومن معه الى قتاله بالواقع فما كان الا ساعة وانكسروا ودخل السلطان سليم خان الى مصر وضرب وطاقه في الجزيرة الخضراء على ساحل النيل وهرب طومان باي الى البرية فمسكه شيخ عرب وجاء به الى أوطاق السلطان سليم خان فأمر بصلبه في باب زويلة حتى يراه الناس ويصدقون بانه مسك وصاروا يرجفون بانه اختفى لعله يصل له قومه فيخرج وكثر كلام الناس وصار يظن منه الفساد وكثرة القيل والقال فأمر السلطان سليم بصلبه تسكينا للفتنة وكان صلبه في باب زويلة في حادي عشر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وبصلبه انقطعت دولة الجراكسة كما انقطعت دولة غيرهم من أرباب الدول من الاتراك والاكراد والعبيديين وهكذا شأن

كتب من نصوح باشا لشيخ الحرم وللقاضي ولاغاوات الاسباهية وآغاة القلعة وبعض من الجميع ان البلاد صارت للشريف سعيد وأمرهم بالنداء له في المدينة فتوقف شيخ الحرم ثم تغلب عليه بعض آغاوات المدينة والقاضي وواسطة بعض الناس ونادوا للشريف سعيد يوم الاثنين تاسع عشر شوال وزينوا المدينة وأرسلوا صورة الامر لاسمعيل باشا متولي جدة وطلبوا منه ان ينادي في جدة فامتنع من النداء خوفا على البلد والطريق لئلا يقع خلل يوجب ذلك وفي تاسع شهر ذي القعدة وصل جماعة من الطائف وأخبروا ان الشريف سعيدا وصل قرب الطائف ومعه قوم فأمر الشريف عبد الكريم عسكره الخيالة والقمانية ان يبرزوا الى المعابدة ثم تبعهم بيومين وبرز هو الى الابطح ببقية عسكره وعسكر مصر والسادة الاشراف ونزل في مخيمه وأرسل من يأتيه بخبر الشريف سعيد وقومه الذين معه ثم جاءه الخبر انه وصل الى الشداد فأمر بدق الزير واجتمع الاشراف والعساكر وتوجه بهم الى عرفة في الثاني والعشرين من ذي القعدة فوجد الشريف سعيدا نازلا بها فبات كل منهما وعند الصباح وقع الرمي بين الفريقين بالبندق واستمر الحرب الى آخر النهار ووقع الصواب في الجيشين وقتل البعض من العسكرين ثم ان الاشراف دخلوا بينهم بالكف عن الحرب يومين فانتقل الشريف سعيد الى الشريعة بلاد ذوي بازان والشريف عبد الكريم جالس مقابلا له بينهما مسافة ساعة فركب الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد الى الشريف سعيد وقال له يا سيدي طلبنا الكف عن الحرب يومين وقد مضت والآن قصدي ان تكون الامهلة الى ثالث عشر ذي الحجة فان كان الامر السلطاني جاء لك فتكون هذه المدة لك ويخرج الشريف عبد الكريم من مكة فتم الامر بينهم على هذا فركب الشريف عبد الكريم عن محله ورجع الى مكة ونزل في بستان الوزير عثمان حميدان واستمر في البستان من ظهر يوم الثلاثاء الى يوم الخميس وفيه طلع اليه جميع العساكر الا الانكشارية والمتفرقة فانهم تأخروا عن الطلوع وطلع أيضا السادة الاشراف لتصدر وله بالالاي على مجرى العادة وكان بعض الاشراف في مدة الامهلة نزل الى البلد بصورة الفرمان الوارد للشريف سعيد وبيت الامر لبلاء مع الانكشارية والمتفرقة والقاضي فعند خروج العسكر للالاي اجتمعوا عند القاضي وسجلوا صورة الامر الوارد واجتمع خلق في المحكمة ووقع القيل والقال فحصل من ذلك ضجة عظيمة وأرسلوا المنادي ينادي في البلد للشريف سعيد ومع المنادي شريف من الاشراف واما الشريف عبد الكريم فما عنده علم بجميع ذلك واجتمع عنده السادة الاشراف والعساكر الذين خرجوا للالاي فركب وركبوا معه وساروا من بستان الوزير عثمان حميدان الى ان وصلوا الى الدرويشية فاتيه السيد طاهر بن محمد هناك وأخبره

الدنيا في أبنائها تتقلب بهم وتحول عنهم أي تقلب وأي تحول كما قيل

ما اختلف الليل والنهار وما دارت نجوم السماء في الفلك
إلا لنقل السلطان من ملك قد زال سلطانه إلى ملك
وملك ذي العرش دائم أبدا ليس بفان ولا بمشترك

وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا أولهم الملك الظاهر برقوق وآخرهم طومان باي ومدة ملكهم مائة وثمانية وأربعون عاما وليس لطومان باي أثر لقصر أيام سلطنته وللأشرف قانصوه مآثر جليلة وعمائر حسنة جليلة رحمه الله تعالى وسامحه ومما عمره السلطان قانصوه الغوري بمكة المشرفة باب إبراهيم بنى فيه كبيرا جعل علوه قصرا وفي جانبه مساكن وطباقا وبيوتا معدة للكراء حول باب إبراهيم ووقف الجميع على جهات الخير ولا يصح وقف (١٦٥) ذلك القصر لأنه في هواء المسجد وكذلك المساكن لأن أكثرها واقع في أرض المسجد وما أمكن العلماء أن ينكروا عليه ذلك في أيام سلطنته ودولته لعدم اصغائه إلى كلام أهل الشرع والدين وعدم اقدام العلماء على الملوك والسلاطين لطمع في الدنيا الدنية وللخوف على مناصبهم الاعتبارية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ومن آثاره أيضا ميضأة خارج باب إبراهيم على يمين الخارج من المسجد وقد بطلت الآن لأن روائح عفونتها قد تصل إلى المسجد فيتأذى به المصلون فأبطل وخلي قريبا في سنة ثمانين وتسعمائة بالأمر الشريف السلطاني ومن آثار الأشرف الغوري أيضا الترخيم الواقع في حجر البيت الشريف عمل بأمره في أيامه واسمه مكتوب فيه وفرغ من عمله عام تسعة عشر وتسعمائة ومن آثاره بناء سور جدة فإنها كانت غير مسورة وكانت العربان في أيام الفتنة تهجم على جدة وتنهبها وأسرت عربان زبيد في أيام الفتن الخواجا محمد القاري وكان من أعيان التجار من أهل الاعتبار فهجموا إلى بيته وأنزلوه من السطح وأركبوه معهم على ظهر فرس أردفه واحد من زبيد وأخذوه إلى أماكنهم وهو قرب عقبة السويق من درب المدينة الشريفة ومكث عندهم إلى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم فردوه إلى مكة بعد أن استوفوا هذا القدر منه وتهيجت بعد ذلك نيران الفتن التي وقعت بأرض الحجاز بعد وفاة المرحوم المقدس الشريف محمد بن بركات بين أولاده وجرت أحوال يطول شرحها فأرسل السلطان الغوري أحد أمرائه المقدمين وهو الأمير حسين الكردي وجهز معه عسكرا من الترك والمغاربة بقوا النفط نحو خمسين نفرا بالمدفع نفرا للرمي فقال

بالوطء وأن المنادي وصل إلى سوق المعلاة وأن بعض الأماكن مترسة فأخذ الشريف يفكر في عاقبة هذا الأمر فتناخت عنده السادة الأشراف وقالوا لابد من الدخول إلى البلاد فمنعهم الشريف عبد الكريم من ذلك وقال نخشى على الرعية تذهب بسببه أرواحهم القوي والضعيف وعذري منكم يا رفاقي ما سمعتم وأما مكة فقد أعطيتها حقها وذببت عنها ودفعت من أراد دخولها وجميع ما وقع فيها من ولس وعداوة إنما كان في وجه جماعة من آل بني نمي وإن رأى أن يرجعوا شفقة على البلاد والعباد ثم مشى إلى الجنوب إلى أن وصل طوى فوقف هنالك الشريف ثم تناخت الأشراف أيضا وعزموا على دخول البلاد من الشبيكة فمنعهم أيضا ثم استدعى السيد عبد المعين ابن محمد بن حمود وأودعه دارقته ورجاله وجميع ما يتعلق به كما هو عادتهم وتوجه إلى الوادي بمن معه من الأشراف والأتباع ما عدا العسكر الجبالية فإنهم خدمة كل متول وأما الشريف سعيد فإنه لما نودي له بالبلاد وجاءه الخبر بأن الأمر قد تم له وسجل عند القاضي أقبل فوصل إلى المعابدة عصر يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة ونزل بالآلاي والعساكر والأشراف ونزل إلى دار السعادة عند غروب الشمس وأصبح يوم الجمعة فطلع إليه الناس وسلموا عليه وهنئوه ونودي له وبالأمان في شوارع مكة وبالزينة سبعة أيام وفي غرة ذي الحجة وصل جماعة من الأشراف الذين كانوا عند الشريف عبد الكريم وسلموا على الشريف سعيد وفي ثالث الشهر وصل الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وسلم عليه أيضا وفي رابع الشهر وصل الباشا من جدة وفي خامس ذي الحجة وصل كتخدا نصوح باشا ومعه الأمر السلطاني فإنه عقد مجلس بالحطيم حسب المعتاد وقرئ المرسوم على جري العادة وألبس الشريف سعيد القفطان الوارد وألبس أهل المناصب على العادة الجارية ثم أرسل الشريف سعيد إلى الأمير أن ينصب في العمرة وهيأ سماطا عظيما لكتخدا نصوح باشا وخرج لاستقباله واستقبله وألبس مولانا الشريف القفطان الوارد صحبة الحج على حسب المعتاد ورجع بالآلاي إلى بيته يوم السبت سادس ذي الحجة ثم عرض لأمير المصري على القانون المعتاد وألبس القفطان الوارد صحبته ثم حج بالناس على جاري العادة ولم يحصل شيء من المخالفات وسار الحج والمحمل

﴿الولاية الخامسة للشريف سعيد سنة ١١٢٣﴾

وهذه الولاية الخامسة للشريف سعيد واستمر في هذه الولاية إلى أن توفي سنة تسع وعشرين ومائة وألف وإن حصل من الشريف عبد الكريم بعد هذا حركات فهي غير مفيدة بشيء فإنه في شهر ربيع الأول من سنة أربع وعشرين ومائة وألف جاءت الأخبار للشريف سعيد بأن الشريف عبد الكريم وصل إلى خليص ونيته الوصول إلى مكة ومعه جماعة من الأشراف والعرب فجهز الشريف

في بحر الهند وكان مبادي ظهورهم وأمر مدفع الفتن الواقعة اذ ذاك في جدة وجعلها له اقطاعا فلما وصل الامير حسين الكردي الى جدة بنى عليها سورا في سنة سبع عشرة وتسعمائة وهو الباقي الى الآن وكان ظالما غشوما سفاكا للدماء ولا يرحم من في الارض ليرحمه من في السماء واذا تغير أو طاقه في سفر أو حضر رتب حوله أعوانه وجنوده ترتيبا خاصا للارهاب من حضر ونصب أعوادا للصلب والشنق والتنكيل وأقام جلادين للقتل والتوسيط والضرب والبهدلة فأي مسكين وقع في يده قتله بأدنى سبب أو عذبه بالمقارع أو سائر أنواع العذاب لاظهار الناموس القوي في القلوب والهيبة واخافة للخلق بالسياسة والترهيب كما يحكى ان الحاج دخل بلده فصادف انسانا عند دخوله فأمسكه وأمر بضربه فقال له بأي ذنب تضربني فسببه فقال أريد ارهاب أهل البلاد بحالي بقتلك ساعة فضربه بحضرته بالسوط ثم أطلقه • وكان للامير حسين المذكور واسطة مدورة في سائر الايام وكان أكولا بذولا للطعام سمحا في المؤاكلة والاطعام معروف الحروف يطعمه مع أربعة عشرة ونفائس الاطعمة وكان كرديا دخيلا في ونالت بلاد مكة لا علا عنهم ولا يعتبرونه فيما بينهم وأراد السلطان الغوري ابعاده عنهم حماية منهم وكان معتنيا به فأعطاه نيابة جدة على وجه التجار وجهز معه عمارة لقتال الفرنج الذين ظهروا في بنادر أرض الهند واستطرقوا اليها من بحر الظلمات من وراء جبل القمر الذي هو منبع ماء النيل وعاثوا في أرض الهند ووصل اذاهم وافسادهم الى بلاد العرب وبلاد اليمن وقصد السلطان الغوري دفع أذاهم عن المسلمين بارسال الامير حسين الكردي الى جدة فلما أتى جدة سورها وبنى أبراجها وأحكمها وهدم كثيرا من بيوت الناس فيما يقارب موضع السور لوضع الاساس واستخدم عامة الناس في حمل الحجر والطين حتى التجار المعتبرين وسائر المتسببين وضيق على البنائين بحيث يحكى ان أحدهم تأخر قليلا عن المجيء فلما جاء أمر ان يبنى عليه فبني عليه واستمر قبره بجوف البناء الى يوم الجزاء الى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العنيد وبنى السور جميعه في دون عام من شدة غشمه واقدامه وظلمه واستمر حاكما بجدة الى ان تقوى بالمال والاثقال فتوجه الى الهند في حدود سنة احدى وعشرين وتسعمائة ودخل واجتمع بسلطان كجرات يومئذ وهو المرحوم المغفور له السلطان خليل شاه مظفر ابن السلطان محمود شاه الكجراتي فأكرمه وعظمه وأنعم

سعيد بملاقاته وأخرج العساكر والمدافع الى طوى وطلب قبائل هذيل وثقيف وبني سعد وناصرة ثم رحل من طوى الى الزاهر به ثم منها الى الوادي ثم تلاقى هو والشريف عبد الكريم بثنية عسفان ولم يحصل بينهما شيء بل تبين أن الشريف عبد الكريم لم يصل بقصد المقاومة وانما قصده النزول في الحجاز بلاده وظن مولانا الشريف سعيد أنه جاء بقصد القتال فاشتد لمقاومته ومدافعته ولم يحصل شيء غير أن السيد يحيى بن بركات واخوان الشريف عبد الكريم طلبوا الدخول في البلد فوافق الشريف على ذلك ونزل الشريف عبد الكريم بالحجاز ثم سافر الى جهة حرب ومكث مدة طويلة ثم سافر الى مصر واستمر بها الى ان توفي الى رحمة الله بالطاعون سنة احدى وثلاثين ومائة وألف وولايته كانت على مكة ثلاث مرات

﴿عدد ولايات الشريف عبد الكريم ومدتها ست سنين وعشرة أشهر﴾

المرة الاولى حين نزل له عن الولاية الشريف عبد المحسن سنة ألف ومائة وست عشرة سلخ ربيع الاول واستمر فيها الى سلخ رمضان من السنة المذكورة فدخل مكة الشريف سعد حين كان الشريف عبد الكريم باليمن كما تقدم فكانت مدة هذه الولاية ستة أشهر والولاية الثانية بعد اخراج الشريف سعد من مكة في التاسع عشر من شوال من السنة المذكورة واستمر فيها الى سادس ذي الحجة ختام سنة ست عشرة المذكورة والولاية الثالثة كانت بأمر سلطاني ووصل الى مكة المشرفة رابع شهر شعبان من سنة ألف ومائة وسبع عشرة واستمر فيها الى عشرين من شهر ذي القعدة الحرام سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف فأخرجه منها الشريف سعيد بالامر السلطاني كما تقدم وبعد هاتين عاد الشريف عبد الكريم الى شرافة مكة المعظمة فجملة مدة الولايات الثلاث ست سنوات وعشرة أشهر الا أنه في الولاية الاخيرة انتظمت أحواله وكثرت أمواله وتوفرت أجناده وتعددت أعضاده فلما انقضت المدة انتقم العدو رحمه الله رحمة واسعة وفي أواخر سني دولته الاخيرة ورد من الهند صدقة لاهالي الحرمين قدرها خمسة لكوك روبية فحصل بذلك للشريف والناس سرور كثير وعم بتلك الصدقة الخاص والعام وانتفع بها خلق كثير وكان ورودها في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف

﴿وفاة الوزير عثمان حميدان سنة ١١٢٣﴾

وفي هذا الشهر انتقل الى رحمة الله تعالى الوزير عثمان حميدان رحمه الله وكان قد استوزره عدة من ملوك مكة المشرفة وارتفع صيته وعلا ذكره واجتمع عنده من الاموال ما لا يحصى ومشى في جنازته جدا ومعه مولانا الشريف عبد الكريم لان موته كان في مدة شرافته وأما مولانا الشريف سعيد

فولايته

عليه بتمام ثلاثة عظيمة جليلة ولما سمع الفرنج بها رفعوا عن بنادر بكرات إلى بنادر الركن وتحصنوا بقلعة متقنة محكمة لهم هناك هي تحت ملكهم إلى الآن يقال لها كوة بالكاف العجمية المضمومة والواو المشددة المفتوحة بعدها هاء ساكنة نصره الله تعالى لسلطان الإسلام وقطع بسيفه دابر الفرنج اللئام وكافة عباد الصلبان والأصنام وقد أحسن من قال

أعباد المسيح يخاف صحبي ۞ ونحن عبيد من خلق المسيحا

ولم يستقر الأمير حسين في بكرات بل بادر إلى اليمن واقتتل في طريقه على عودة بملكه عين بني طاهر ملوك اليمن فقاتلوا وغدروا به في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بعد أمور يطول شرحها وترك بها نائباً له في زبيد اسمه برسباي جركسي وترك السلطان عامر بن عبد الوهاب وكانوا ملوكا (١٦٧) من أهل السنة والجماعة ظاهرين في الاعتقاد ظاهرين على أهل البدع والإلحاد رحمهم الله تعالى وانقرضت به دولة بني طاهر من اليمن وعاد الأمير حسين … و… كما … طائفته وقدم إلى مكة وكانت دولة … انقرضت … السلطان سليم خان بن بايزيد خان بن محمد خان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وسقى عهده صوب الرضا والغفران ۞ وتوجه سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي سيد السادات الأشراف وتاج رؤوس الأشراف من بني عبد مناف مولانا السيد الشريف جمال الدين محمد أبو نمي بن بركات خلد الله سعادته وأبد دولته وسيادته أرسله والده الشريف بركات … السلطان … بمصر وعمره يومئذ اثنا عشر عاماً فحصل له بذلك غاية التعظيم والإكرام وبلغ بذلك جميع ما طلبه ورام وعاد إلى والده الشريف … وأحكام شريفة بكل ما طلبه وأراده وأرسل حكماً إلى السيد عزاز بن عجلان ابن السيد الشريف بركات رحمه الله بقتل الأمير حسين الكردي المذكور وهو الذي استخرج هذا الحكم لعداوة سابقة بينه وبين الأمير حسين المذكور فأخذه السيد عزاز وربط في رجله حجراً كبيراً وغرق في بحر جدة في موضع يقال له أم السمك فأكلته الأسماك بعد أن كان يأكل الأملاك … بعد … الضيفان وغرق مقيداً بالأصفاد بعد أن قتل ما شاء الله من العباد وتفرق في البلاد جنوده وأعوانه بددا ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ۞ الباب السادس … آل عثمان خلد الله سلطنتهم القاهرة إلى آخر الزمان وذكر …

ولاية الشريف سعيد بمكة كانت خمس مرات

عدد ولايات الشريف سعيد ومدتها عشر سنين وسبعة أشهر

الأولى سنة تسع وتسعين وألف بعد وفاة عمه الشريف أحمد بن زيد واستمر ستة أشهر ونازعه فيها الشريف أحمد بن غالب وولي مكة ودخلها ثاني شوال سنة تسع وتسعين وألف ومكث فيها سبعة وتسعة أشهر وعشرين يوما فانتزعها منه الشريف محسن بن حسين بن زيد ثم بعد كثرة الاختلاف بين الأشراف نزل عنها الشريف محسن للشريف سعيد بن سعد بن زيد بعد سنة وخمسة أشهر و… أيام فهي مدة ولاية الشريف محسن وكان الشريف سعيد محاصراً لمكة … فنزل الشريف محسن عن الولاية للشريف سعيد في ذلك اليوم ودخل مكة الشريف سعيد في سابع محرم سنة ثلاث ومائة وألف فمدة الولاية الثانية للشريف سعيد واستمر فيها إلى سابع ذي الحجة من ذلك العام فجاء والده الشريف سعد من الروم متوليا من الدولة العلية وكانت الولاية الثانية للشريف سعيد سنة كاملة إلا أياما إلى وصول والده … نظراً إلى وقت ولاية والده تكون مدتها ثمانية أشهر الولاية الثالثة للشريف سعيد سنة ألف ومائة وثلاث عشرة حين نزل له والده عن ولاية مكة وجاءه التأييد من الدولة العلية في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر بها إلى أن حصل الاختلاف بينه وبين الأشراف فانتزعها منه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد في الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة ست عشرة ومائة وألف وبعد تسعة أيام نزل عنها للشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى فكانت مدة الولاية الثالثة للشريف سعيد سنتين وأربعة أشهر الولاية الرابعة للشريف سعيد في ذي الحجة ختام سنة ألف ومائة وست عشرة حين جاءته المراسيم السلطانية مع التجريدة التي كان عليها الوزير … واستمر فيها من سابع ذي الحجة إلى أن انتزعها منه الشريف عبد الكريم بالمراسيم التي جاءته بواسطة … سادس شعبان سنة ألف ومائة وسبع عشرة فكانت مدة هذه الولاية الرابعة للشريف سعيد تسعة أشهر الولاية الخامسة للشريف سعيد حين جاءته المراسيم السلطانية صحبة … وولي مكة سابع عشر ذي القعدة سنة ألف ومائة وثلاث وعشرين واستمر فيها إلى وفاته في المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين ومدة عمره أربع وأربعون سنة لأن ولادته كانت … سنة خمس وثمانين وألف وكانت مدة هذه الولاية الخامسة للشريف سعيد ست سنين وشهراً واحداً فمدة ولاياته كلها عشر سنين وسبعة أشهر

(وفاة الشريف سعيد سنة ١١٢٩)

ولما توفي الشريف سعيد في الحادي والعشرين من شهر الله المحرم سنة تسع وعشرين ومائة وألف

مناقب أسلافهم السلاطين العظام وذكر ما عمروه في بلد الله الحرام وفعلوا فيه من الخيرات الجسام وذكر بناء المسجد الحرام على الوضع الذي هو عليه الآن وفيه فصول﴾ • (الفصل الاول) • في ذكر الفتح الخاقاني ودخول ممالك العرب والعجم في سلك العثماني ونبذة من ذكر أسلافهم الكبار بطريق الاختصار خلد الله ملكهم العثماني مدى الزمان وأبقى ملك الارض فيهم وفي عقبهم الى انتهاء الدوران • لما أراد الله تعالى بأهل الارض احسانا وافضالا وقدر ظهور العدل والفضل فيهم اكراما لهم واجلالا وقضى باطفاء نيران الظلم والفتن ورفع مواد الفساد والمحن وتأييد دين الاسلام وتقريب أهل السنة المتمسكين بسنن محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وإقامة الشرع (١٦٨) الشريف على رغم الملاحدة اللئام أطلع في أفق الخلافة العظمى شموس الايادي العثمانية وأسطع من أوج سماء السلطنة الكبرى بدور المعدلة الخاقانية وأجلس على سرير الملك من ملكه الله أعنة ممالك الاسلام ووضع على يديه أكثر الامصار والبلاد بالسيف الصارم الصمصام والحسام الحاسم مواد ظلم الظالم من كل ظالم أو ظلام وأشربه بجناح الامن والامان على أهل الايمان من الانام فأخذ أحاسن محاسن هذا الربع المسكون وكان مظهر القول من يقول للشيء كن فيكون ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون واستولى بتأييد الله ونصره على تمام البلاد ومصره وملأ أقطار الدنيا باحسانه سيف قهره كما ملأ هذا أوانه سيف عدله وسحب ألطافه وبره وتشرفت بذكره في الحرمين الشريفين صدور المنابر ورؤس المنابر وعمر مساجدها ولا يعمر مساجد الله الا من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الملة الحنيفية وأحيى ما هاه من مآثر الملك الهمام والليث الباسل الضرغام السلطان الاعظم والخاقان الاكرم الافخم خير خلق خلفاء الرحمن شرف سلاطين آل عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان محمد خان ابن السلطان بايزيد خان ابن السلطان مراد خان ابن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان الغازي تغمدهم الله بالرحمة والرضوان وحفهم بروائح الروح والريحان وأبدلهم عما انتقلوا عنه من الملك الفاني بالملك الباقي في غرف الجنان وأبقى السلطنة فيهم خالدة كلمة باقية الى يوم الحشر والميزان

هم معشر كلهم غاز وكلهم • خير الملوك صناديد الصناديد

كان له كثير من الاولاد وكان أكبرهم الشريف عبد الله بن سعيد وكان غائبا في نواحي الطائف فطلبه والده لما اشتد مرضه فجاء وحضر وفاة والده ثم جمع الاجناد والعساكر وفرق جانبا منها في البيوت وجانبا في المنائر حفظا للبلاد ودرأ للفساد فأراد الاشراف كافة ان تكون شرافة مكة للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد لانه في ذلك الوقت كان كبير الاشراف ورئيسهم فامتنع الشريف عبد المحسن من قبول الولاية واستحسن ان تكون للشريف عبد الله بن سعيد المتوفى ولم تخرج بقية الاشراف عن رأيه فنزل بنفسه الى المسجد الحرام ثلاثة الباشا والعساكر والاروام وقبض الخلعة من أيديهم ورجع بها ووضع الخلعة على مناكبه يريدون توليته فطرحها عن أكتافه فأخذها وزفها الى الشريف عبد الله بن سعيد وألبسه اياها في داره ونودي له في البلاد

• (تولية الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٢٩) •

وكانت ولاية الشريف عبد الله بن سعيد يوم الحادي والعشرين من المحرم سنة ألف ومائة وتسع وعشرين وسلك في أول ولايته سبيل العدل والاستقامة واتفق مع الاشراف ثم تغير حاله وحصل بينه وبين الاشراف اختلاف كثير حتى خرج كثير منهم من مكة مغاضبا له والتجأوا الى اليمن وعجز الشريف عبد المحسن عن الاصلاح بينهم وبين الشريف عبد الله بن سعيد وضاق ذرعه وخرج الشريف عبد الله بن سعيد عن طوعه ولم يزل أمر الشريف عبد الله بن سعيد في اختلال الى غرة شهر جمادى الاولى سنة ألف ومائة وثلاثين فكان عزله في هذا التاريخ فكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام وهذه ولايته الاولى وستأتي الثانية ان شاء الله تعالى ولما تحقق الشريف عبد الله عزله باتفاق الاشراف سار الى جهة اليمن ثم ان الاشراف أجمعوا على ان الولاية لا تكون الا للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وهو ممتنع من قبولها مطلقا وامتنع أن يولي أخاه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فامتنع الشريف عبد المحسن أيضا من تولية أخيه فأراد جماعة من الاشراف ولاية الشريف يحيى بن بركات وامتنع من ذلك جماعة آخرون ثم اجتمع الاشراف عند الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد وقالوا له رضينا من توليه علينا وتختاره فاستحسن حسم المادة وايضاح الجادة بولاية الشريف علي بن سعيد أخي الشريف عبد الله بن سعيد وقد كان الشريف علي المذكور يريد الارتحال واللحوق بأخيه الشريف عبد الله لما رأى كثيرا من الاشراف يريدون ولاية الشريف يحيى بن بركات ولم يخطر بباله ان الولاية تكون له ولا تحدث بذلك وانما استحسن ذلك الشريف عبد المحسن بن أحمد قطعا للنزاع لانه رأى ان ولاية الشريف يحيى بن بركات تؤول الى المخاصمات والمنازعات بين الاشراف فطلب الشريف علي بن سعيد وأفاض عليه خلعة

الولاية

الولاية وقال الحسين بن منير في ذلك

وكم طامع في حاجة لا ينالها * ومن آيس منها أتاه بشيرها

(ولاية الشريف علي بن سعيد سنة ١١٣٠)

وكانت ولاية الشريف علي بن سعيد لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة ألف ومائة وثلاثين وكتب الأشراف والعلماء وأعيان الناس محضرا للدولة العلية باستحسان ولاية الشريف علي بن سعيد وجاءته المراسيم السلطانية بالتأييد في شوال من السنة المذكورة من طريق البحر وفي هذه المدة حصل بينه وبين الأشراف اختلاف كثير واضطربت البلاد وكثر الفساد وصار النهب في أطراف مكة وبالليل في مكة أيضا وعظمت سطوة العربان بنواحي مكة واستمر ذلك الى شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وفي هذا الشهر خرج السادة الأشراف بزعمهم الى الوادي ونواحيه لقطع معاليمهم وعوائدهم المقررة من أبيه وجده ولم يبق بمكة أحد منهم واستمروا بالوادي الى قدوم الحج الشامي ولم يقع منهم خلاف في تلك الأطراف فلما وصل الحاج الشامي رفعوا أمرهم الى أمير الحج الوزير رجب باشا وأخبروه بأنهم يريدون عزل الشريف علي بن سعيد وولاية الشريف يحيى بن بركات أو الشريف مبارك بن أحمد بن زيد فسألهم الوزير رجب باشا عن كبير الأشراف الذي يرجع اليه أمرهم فأخبروه بأنه الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد الا أنه لم يحضر معهم لتوعك مزاجه وهو مقيم بالحسينية والشريف يحيى بن بركات كان معه بمكة لم يحضر مع الأشراف بالوادي فكتب الوزير رجب باشا كتابا للشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد يستشيره ويعين عنده لولاية مكة وأرسل الكتاب مع جماعة من الأشراف ومعهم أخوه الشريف مبارك بن أحمد بن زيد والأمر لم يكن محرورا الا عليه فحين حلوا ركاب الشريف عبد المحسن وأسلموه كتاب الوزير صارت بينهم مراجعات طويلة ملخصها انه تنكب عن ولايته أخيه واعتذر بأمور عظام منها انه مسؤول تعب هذا الأمر اليه

(خطاب الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد لأخيه الشريف مبارك وعزله عن ولاية مكة وما ترتب على ذلك من العزل والطرد عن مكة)

ثم خاطب أخاه مشافهة وقال له هل بعد الولاية الا انتظار العزل واذا صار العزل غدوت مطرودا في جميع الطرق والمسالك وأجمع السادة الأشراف على ابعادك عن عشيرتك وبلادك فهل أعرف من شر ذلك غير عداوتك لرفاقك وأحب فيما أؤمله فيك ان تدعوه وفيما أتكلمه من جميع الوجوه من أنك ستكون الجامع لأهلي وعيالي اذا كسفت شمسي وغاب هلالي وهل بعد اجتهادي في جانب الدر رفيك تضيع أملي فيك فقل عن ذلك واقتد بي وسر على نهجي ومذهبي ثم شرع يحول بيع

أولئك الناس ان عدوا وان ذكروا * ومن سواهم فلغو غير معدود
لو خلد الدهر ذو عز لعزته * كانوا أحق بتعمير وتخليد

وجده الأعلى السلطان عثمان الغازي رحمه الله تعالى أصله من التراكمة الرحالة النازلة من طائفة التتار والسلطان عثمان أول من ولي منهم السلطنة في بلاد الروم في سنة تسع وتسعين وستمائة وهو ابن ارطغرل بن سليمان ويتصل نسبه الى يافث بن نوح عليه السلام وهو الجد الأربعون لحضرة السلطان سليم خان بن بايزيد خان رحمهم الله تعالى كانت أسماء آبائهم ملحقة الى آخر ذكرها لعسر ضبطها وهي مذكورة في التواريخ المذكورة وكان سليمان شاه سلطانا في الشرق في بلاد ماهان قرب بلخ وأخرج منها السلطان علاء الدين خوارزم شاه وتفرقت تلك الممالك وخرج سليمان شاه من بلاد ماهان بخمسين ألف بيت من التركمان الى أرض الروم ومر بحلب وعبر بحر الفرات فغرق بفرسه في الفرات وأخرج منه الى جدار دمشق أعلى الجان ودفن أمام قلعة جعبر وتفرق من معه من التركمان في أطراف تلك البلدان وذراريهم موجودون رحالون الى الآن وكان لسليمان شاه أربعة أولاد اثنان منهم توجها الى بلاد العجم وهما سنقور ودوندار وتوجه اثنان الى بلاد الروم الثانية وهما ارطغرل ولوند وعدي وقدما على السلطان علاء الدين السلجوقي وكان سلطان بلاد قرامان وتخت مملكته قونية فأكرمهما وأذن لهما في الاقامة في أرضه واستأذناه في جهاد الكفار واجتمع عليهما طائفة من الغزاة وصار دأبهم الجهاد في سبيل الله وكان مقرهما بين قره

حصار وبيلجك في محل يقال له سكود يخرجون منه ويقاتلون ويجولون في بلاد بيلجك ولا يقوم قدامهما مع مواصلة الغزاة والجهاد وقمع الكفرة حول تلك البلاد الى ان توفي ارطغرل في سنة تسع وثمانين وستمائة وخلف أولادا أنجادا أشدهم بأسا وأقواهم جأشا وأعلاهم قدرا السلطان عثمان وكان مولده في سنة ست وخمسين وستمائة دأب في خدمة والده في الجهاد وتمرس في الغزاة في سبيل الله منذ نشأ مع الأولاد واستمر مع القمع للكفار في القتال والجهاد فرأى السلطان علاء الدين جده واجتهاده في الجلاد وعلم قابليته ونجابته في فتح أطراف تلك البلاد فأكرمه وأعزه وأمده بأنواع الاعانة والامداد وأرسل اليه الراية السلطانية والطبل والزمر وسماه باسم السلطنة تقوية لبنده وشد العضد فلما أرسل الطبل والزمر عملوا نوبة

بين يديه فعند اول سماعه أول صوت الطبل والزمر قام على قدميه تعظيماً لذلك فصار ذلك قانوناً لآل عثمان باقياً مستمراً الى الآن فانهم يقومون على أقدامهم عند ضرب النوبة على أبوابهم وكان جلوس السلطان عثمان على تخت السلطنة في سنة تسع وتسعين وستمائة وافتتح قراجه حصار من الكفار وأمر بصلاة الجمعة وخطب باسمه فقيه كان من أهل العلم اسمه طورسن فقيه • ثم افتتح قلعة حصار • ثم كوبري حصار • ثم قلعة بلجك • ثم قلعة اين اوكى • ثم قلعة يوند حصار • ثم قلعة اينه كول • ثم قلعة بكى شهر • ثم زوج ولده اورخان على نيلوفر خاتون بنت تكور صاحب يار حصار وعمل أبوها سماطاً عظيماً فلما حضرت الغزاة اسروا ولده وقتلوا

تكور وافتتحوا قلعة يار حصار فدخلها السلطان عثمان وصارت من

السادة الاشراف فمن يصلح لهم ويبلغهم من السعادة آمالهم فاتفقوا على الشريف يحيى بن بركات فكتب الشريف عبد المحسن كتاباً للوزير رجب باشا يعرفه بذلك وكتب كتاباً للشريف يحيى بن بركات يعرفه بأن الاتفاق قد صار عليك وأمره بالمسير الى الوادي لمقابلة الوزير رجب باشا والشريف يحيى بن بركات كان أبوه الشريف بركات تولى شرافة مكة ثم أخوه الشريف سعيد بن بركات ثم عزل وأسند الشريف أحمد بن زيد كما تقدم فرحل الشريف سعيد الى مصر وأخوه الشريف يحيى الى الشام فأنعمت عليه الدولة بحكومة بعض القرى بالشام ثم بامارة الحج الشامي وصيرته باشا فحج بحجه الحج الشامي سنة ألف ومائة واثنين كما تقدم ثم رجع الى الشام وتقلبت به الاحوال الى سنة ألف ومائة وعشرة فاستأذن الدولة أن يرجع الى مكة ويجاور فيها وعرض له في ذلك أيضاً الشريف عبد الكريم كما تقدم فجاء الاذن له فرجع الى مكة ولم يزل معاضداً للشريف عبد الكريم الى أن عزل بالشريف سعيد فلازم الشريف يحيى داره واشتغل بالعبادة وحضور صلاة الجماعة ولم يزل على ذلك الى وقوع هذه الحادثة واتفق الاشراف على ولايته شرافة مكة

•(ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٠)•

فلما جاء كتاب الشريف عبد المحسن بن أحمد للشريف يحيى بن بركات يأمره بالمسير الى الوادي لمقابلة الوزير رجب باشا وولايته شرافة مكة امتثل الامر وكان مجيء الرسول له بعد صلاة الصبح وهو يطوف بالبيت فسار ووصل الوادي قبل ارتفاع الشمس في رابعة النهار فوجد الاشراف في انتظاره فأفاض عليه الوزير رجب باشا خلعة الشرافة وكان ذلك في اليوم السادس من ذي الحجة سنة ألف ومائة وثلاثين ودخل مكة بعد العشاء ليلة السابع وخرج الشريف علي بن سعيد من البلاد وسار من غير حرب ولا حصار فكانت مدة دولته سبعة أشهر وأربعة أيام ولم تعد له ولاية مكة الى أن توفي سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف واستمر الشريف يحيى بن بركات في ولايته الى يوم الاربعاء لسبع خلون من شهر رجب الفرد سنة ألف ومائة واثنين وثلاثين

•(عزل الشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٢)•

فعزل عنها بالشريف مبارك بن أحمد بن زيد فكانت مدة ولاية الشريف يحيى بن بركات سنة وسبعة أشهر ويوماً واحداً وهذه ولايته الاولى وستأتي الثانية ان شاء الله تعالى

•(ذكر وفاة الشريف عبد المحسن سنة ١١٣١)•

وسبب عزله ان الشريف عبد المحسن بن أحمد بن زيد توفي في المحرم سنة احدى وثلاثين ومائة وألف فحصل بعد وفاته اختلال كثير واختلاف بين الاشراف لان الشريف عبد المحسن بعد نزوله عن الشرافة

جملة ممالكه واستمر في الغزو والجهاد وافتتاح البلاد وقتل الكفار وأهل العناد الى أن نقله الله الى جنته وأبدله سلطنة خيراً من سلطنته فأجاب داعي الحق فقد نام وبادر الى اجابته واتى الدار فعاش سعيداً ومات شهيداً الى رحمة الله تعالى عن ست وستين عاماً في سنة خمس وعشرين وسبعمائة وكانت مدة سلطنته سبعاً وعشرين سنة وكان للسيف والضيف كثير الاطعام ذلك الهمام كثير البذل واسع العطاء شجاعاً مقداماً على الاعداء ما خلف بعده ولا مالا الا درعا وسيفا يجاهد بهما الكفار وبعض خيل وقطعاً من الغنم اتخذها للضيفان وسلالتها الى الآن ترعى حول بلاد بروسا ابقوها تيمنا وتبركا ثم تولى بعده السلطان اورخان الغازي مولده سنة ثمان وسبعين وستمائة وجلوسه على تخت السلطنة بعد والده المرحوم في سنة ست وعشرين وسبعمائة ومدة سلطنته خمس وثلاثون سنة وعمره ثلاث وثمانون سنة وهو الذي افتتح بلاد بروسا وجعلها مقر سلطنته وفتح قلاعاً كثيرة وله حروب مع الكفار نصره الله فيها [illegible] • وكان السلطان اورخان في حياة والده في الجهاد وفتح البلاد ففتح بروسا في أيام والده • ثم قبوق حصار وقلعة ازنيق في سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ثم قلعة كوينك وقلعة يالى كسرى وولاية قره سي وقلعة كوجاسي وقلعة الوباد في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وقلعة قرجه طوزله في سنة ست وثلاثين وسبعمائة وفتح عدة قلاع في حصرته واتسعت ممالكه ونفذت كلمته • واجتمعت ملوك النصارى وجميع الكفرة على قتال العساكر الاسلامية ودفع ضرر المسلمين عن بلادهم فاتفق قرال انكروس

يعني سلطانها وسلطان لاز والسرب واجمعوا أن يتعدوا من بلاد روملي الى بلاد اناطولي ويقاتلوا السلطان أورخان في محله وكان له
ولد نجيب اسمه سليمان باشا استأذن من والده ان يتعدى الى روملي ويقاتل الكفار الذين اجتمعوا لقتاله قبل ان يصلوا الى اناطولي
فأجازه والده لما رأى نجابته وشجاعته فتوجه مع خدامه [illegible] من الشجعان [illegible]
فعدوا الى روملي فصادفوا الكفار في غفلة وهم يريدون العبور الى جهة اناطولي فوقع بينهم حرب عظيم قتل فيه من الكفار ما لا
يعد ولا يحصى وانهزم الباقون الى القلاع والحصون وتبعهم المسلمون يأسرون منهم ويقتلون ونصر الله الاسلام وخذل
النصارى اللئام وافتتح المسلمون عدة قلاع وحصون وآل الكفار الى الدمار (١٧١) واستمر الى [illegible] وجمع
سليمان باشا الى والده مظفرا
منصورا مؤيدا مسرورا
وكان السلطان أورخان
كوالده آثار الجهاد ظاهر
الاستعداد سليم الفؤاد
[illegible] الاهل [illegible] كثير
الاجتهاد عاش سعيدا
ومات حميدا في سنة احدى
وستين وسبعمائة ثم ولي
بعده ولده السلطان مراد
الغازي ولد مولده سنة سبع
وعشرين وسبعمائة
[illegible] في [illegible]
[illegible] احدى وتسعين
وسبعمائة [illegible]
احدى وثلاثون سنة وعمره
ستين سنة [illegible] ولي
السلطنة وعمره أربع
وثلاثون سنة وافتتح كثيرا
من البلاد منها ادرنه في سنة
احدى وستين وسبعمائة
وهو أول من احدث [illegible]
[illegible] المسمى
العسكر الجديد [illegible]
[illegible] الى [illegible]
[illegible] الموحدة
وسكون الراء [illegible] كان
وكانت له صولة عظيمة على الكفار واجتمعت النصارى على سلطانهم [illegible] السلطان [illegible] لقتال سلطان
الكفرة وانهزم الكفار فأتاه واحد من ملوكهم الاطاعة [illegible] وتقدم ليقبل يد السلطان [illegible] فأخرج
خنجرا كان أعده في كمه فضرب به السلطان مراد فانتقل شهيدا الى رحمة الله تعالى في سنة احدى وتسعين وسبعمائة فصار القانون ان
لا يدخل على السلطان [illegible] أو غيره بسلاح وان يفتش ثيابه ان يدخل على السلطان [illegible] ثم ولي السلطنة بعده
ولده يلدرم بايزيد خان ولد مولده سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وولي السلطنة وعمره ثلاث وثلاثون سنة [illegible] ومدة سلطنته [illegible] عشر عاما
ولما تولى استولى على كثير من قلاع النصارى وبلادهم وأراضيهم وصارت النصارى تلتجي الى بعض ملوك الفرنج في بلاد الروم

الشرافة الشريف عبد الكريم بن محمد بن يعلى الى حين وفاته كان مرجعا لجميع الاشراف لا [illegible]
[illegible] ولا يعزل آخر الا برأيه ولا يستمر الا اذا كان تحت أمره ونهيه وناهيك بهذه السيادة التي لم تصر
لاحد من عهد قتادة وكان تاريخ وفاته شطر بيت من قصيدة قيلت في رثائه [illegible] فذكر لفظ التاريخ
وهو هذا نوحوا على قبر الشريف وأرخوا * جاء والشرافة والرياسة قد دفنا
فلما توفي الشريف عبد المحسن تفرقت كلمة السادة الاشراف واختلفت آراؤهم وكان الشريف
مبارك بن أحمد بن زيد مع الشريف يحيى بن بركات في أول الامر بالالفة والمحبة واتحاد الكلمة الى
ان رمى بينهما سهم التفريق وصار كل واحد منهما عن صاحبه في [illegible] وأسباب ذلك يطول الكلام
بذكرها فخرج الشريف مبارك مغاضبا الى داره بالحسينية فتوسط بينهما بعض الاشراف على [illegible]
الحال ثم أرسل له الشريف يحيى يأمره بالتنحي عن البلد [illegible] وأجداده [illegible]
مدة سبعة أيام ثم سار الى الطائف ونواحي الحجاز فلحق به ابن أخيه وهو السيد أحمد بن عبد المحسن
ابن أحمد بن زيد في جملة من الاموال والخيل والرجال ومعه جماعة من أعاظم السادة الاشراف
بعد المعاهدة بينهم على ايقاع الخلاف وجمع السيد أحمد بن عبد المحسن وعمه الشريف مبارك بن
أحمد جموعا من القبائل وعزموا على مقاومة من بالطائف من الاشراف والاجناد واتباع
الشريف يحيى بن بركات فوقعت بينهم حروب ثم دخلوا الطائف وكثرت اتباعهم من عتيبة وثقيف
وقصدوا مكة فخرج لهم الشريف يحيى بن بركات بمن معه من الجند والتقى الجيشان بعرفة يوم
الاربعاء لسبع خلون من رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف واقتتلوا قتالا شديدا قتل فيه خلق
كثير من الفريقين ثم انهزم الشريف يحيى بن بركات وتوجه الى الوادي ثم منه الى الروم قاصدا
الاعتاب السلطانية

(دخول الشريف مبارك بن أحمد بن زيد مكة أميرا عليها سنة ١١٣٢)

فدخل الشريف مبارك البلد الحرام ونادى في الناس بالامان وبسط العدل والاحسان ومما اتفق
له مما لم يتيسر لاحد من ولاة هذه الممالك الحرمية انه دخل تحت طاعته [illegible]
ولاة مكة قبله وهما الشريف عبد الله بن سعيد وأخوه الشريف علي بن سعيد [illegible]
[illegible] وكانا في اليمن في أيام دولة الشريف يحيى بن بركات وكان قد أرسل لهما من يمنعهما من [illegible]
الاقطار فصار بينهم حرب جديد وقتال شديد فلما صار بين الشريف يحيى والشريف مبارك بن
أحمد ذلك الفراق بعث الشريف مبارك يستدعيهما اليه ليكونا عونا له [illegible] من الموضع
الذي كانا فيه الا بعد تمكن الشريف مبارك وخروج الشريف يحيى من مكة فلما [illegible] الى

فلزم ان يستولى السلطان يلدرم بايزيدخان على ملوك الطوائف فضيق على جماعة منهم مثل ابن كرمان أخذه وحبسه مع بعض
وزرائه فهرب مع وزيره من الحبس ومضى الى تيمورلنك وهرب أيضا ابن منتشا منه وحلق لحيته وحواجبه وصار فى صورة قلندرى
وذهب الى تيمور وكذلك ابن ايدين هرب فى صورة سقطى بياع الحلوات وكذلك ابن اسفنديار وغيرهم من أمراء تلك الديار
وملوكها وصلوا الى تيمورلنك وشكوا من السلطان بايزيدخان وحسنوا له ان يصل الى بلاد الروم فوصل الى البلاد الشامية والحلبية
وقتل فيها وفتك وسفك الدماء وعاث فيها وأخذ تلك البلاد وأسر أهلها ونهب المسلمين وشرح ما فعله فى بلاد الاسلام يطول جدا وذلك
مذكور فى تاريخ الاسلام للذهبى وتيمور واسمه تيمور يفسد فى الارض ويقتل ويسفك الدماء الى ان وصل الى
أذربيجان وخرج السلطان
بايزيد لقتاله وجمع عسكر
الروم ولما التقى الجمعان
هرب من عسكره طائفة
التتار وعسكر منتشا
وعسكر كرمان وتركوا
السلطان بايزيدخان
وذهبوا الى تيمور ووقع
الحرب الشديد وقتل من
أولاد السلطان بايزيد
السلطان مصطفى فشرع
عسكره فى الانهزام وثبت
هو وقاتل من معه واستمر
يقاتل الى ان وصل الى
تيمور بسيفه المشهور
يقاتل بنفسه الى ان وصل
الى تيمور وقد عجز راحلته
فرموا عليه بساطا
وأمسكوه وحبسوه وحصل
له حمى شديدة فتوفى الى
رحمة الله تعالى فى سنة
خمس وثمانمائة وتسلطن
بعده أولاده وهم عيسى
وموسى وسليمان وقاسم
ووقع بينهم النزاع والقتال
نحو اثنى عشرة سنة الى
ان استقل بالسلطنة
● (السلطان محمد خان بن السلطان يلدرم بايزيدخان) توفى سنة ست عشرة وثمانمائة ومولده فى سنة
سبع وسبعين وسبعمائة واستقل بالسلطنة وعمره تسع وثلاثون سنة ومدة سلطنته تسع سنين وعاش ثمانية وخمسين عاما وكان
شجاعا مقداما مجاهدا فى سبيل الله افتتح عدة قلاع وبلاد وبذل نفسه فى الغزو والجهاد ومهدها أعظم مهاد ومما افتتحه قلعة
قسطمونية وقلعة اسكب وقلعة صامسون وقلعة آق شهر وغيرها وظهر فى أيامه بدر الدين بن سماونه وادعى السلطنة وجمع جمعا
من مريديه فأرسل السلطان محمد خان عسكرا لقتاله فقتل من مريديه نحو ثلاثة آلاف نفر ومسك بدر الدين بن سماونه وكان يرى
بسوء الاعتقاد وله رسائل فى شئ من ذلك وقد جمع بين الاصول الاشعرية والفصول العمادية جمعا ضيق فيه العبارة وأخفى

الشريف مبارك تلقاهما بالقبول والاكرام وطلب منهما المساعدة فقبلا له ذلك وسلكا معه أحسن
المسالك واستمرا على ذلك الى المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف فحدثت بينه وبين الشريف
عبد الله مقتضيات الفساد ولعبت بينهما بروق الشنآن والبعاد وتواترت النقول لدى الشريف
مبارك بفساده وثبت عنده انه يحوم حول منصبه وبلاده فعزم على ارجاعه الى اليمن فامضى
عزمه وأخرجه الى الليث واستعمل عقبه من سيره السير الحثيث وما فعل ذلك الا لانه تحقق ان
الشريف عبد الله يريد اتمام مطالبه علاقة أمير الحج وأعيان الدولة العثمانية فصار الشريف
عبد الله ينتقل تارة عند ذوى جازان بالجديد وتارة بوادى مر وتارة بنواحى الطائف وأما أخوه
الشريف على فبقى على حاله بمكة لم يقع منه خلاف ثم ثارت فتنة بمكة بين الاشراف وبين شريف مكة
الشريف مبارك بن أحمد بسبب قطع مشاهراتهم ورفع غالب مقرراتهم فخرج عن طوعه لذلك
جميع الاشراف وأفسدوا الطرق والمسالك وكان ابتداء ذلك فى رمضان سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف ثم
اجتمعوا بأسرهم فى الوادى واستقر رأيهم على ان تكون الشرافة للسيد أحمد بن عبد المحسن بن
أحمد بن زيد وان يعزلوا عمه الشريف مباركا وجاءهم الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره
وانضم اليهم وكذلك طلعهم اخوه الشريف على بن سعيد الا انهما لم يتعرضا لامر الشرافة بل كانا
لاجل الخلافة وأقاموا مدة من الايام وآراؤهم تقضى وتارة تكون غاية الابرام ولم يزل هذا حالهم
الى ان نفدت أموالهم وقلت لديهم الاقوات وانحصرت عليهم جميع الطرقات وهم ينتظرون
خروج الشريف مبارك اليهم وصولته عليهم فيأخذونه فى طرفة عين ويرمونه بالبعد والبين وهو
مقيم فى مكة البلد متحصن بعساكره وأجناده وأصاب الناس فى مكة شدة وبلاء يفطر الاكباد
وكذا الشريف مبارك اصابته شدة حتى آل الامر الى بيع آلات ملكه ثم عزم الاشراف الذين فى
الوادى على حربه وقتاله واجتمع معهم كثير من القبائل فغاروا وضربوا قبابهم بالزاهر فخرج لهم
الشريف مبارك بمن معه ووقع القتال بينهم فى اليوم الرابع والعشرين من شوال وصارت بينهم
معركة عظيمة عليهم وهولها جسيم أصيب فيها أشخاص من الاشراف وغيرهم وكانت الغلبة
للشريف مبارك عليهم فطلبوا منه الامان على ان يمكثوا ثلاثة أيام فى ذلك المكان ثم يرحلون
ويبعدون فأبى وقال لابد من الرحيل والابعاد فرجعوا من يومهم الى واديهم ثم توسط بينهم بعض
كبار الاشراف بالصلح فكان أول من وفى للمسالمة والاصلاح الشريف عبد الله بن سعيد ثم اجتهد
هو وبقية الاشراف ورفع ما كان بينهم من الخلاف وضمن لهم جميع حقوقهم وأدى اليهم
ما ترتب عليه من المال فى مشاهراتهم فدخل مكة زعيمهم السيد أحمد بن عبد المحسن صحبة الشريف

عبد

عبد الله المذكور ورتبوا الاحوال لجماعتهم وجاؤا متتابعين وهذه المرة الثانية لدخول الشريف عبد الله بن سعيد وأتباعه تحت أوامر الشريف مبارك بن أحمد

(ذكر الفتنة التي وقعت بالمدينة بين الاغاوات وأهل المدينة سنة ١١٣٤)

وفي مدة ولاية الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة أربع وثلاثين ومائة وألف وقع بالمدينة فتنة عظيمة شهيرة بين الاغاوات وأهل المدينة ونشأ عنها قتل السيد عبد الكريم البرزنجي المدفون بجدة المشهور بالمظلوم وتلك الفتنة الكلام على تفصيلها طويل وملخصها ان رجلا من توابع الاغاوات ادعى على فقيه أراد ان يستفرغ وظيفة من وظائف العسكر ويدخل في العسكرية فامتنع من ادخاله كبار العسكر حيث انه كان في العسكرية ووقعت منه خيانة وأخرج منها فلا يعاد وقال أغاوات الحرم لا بد من ادخاله وطال النزاع بينهم ووافق أهل المدينة كبار العسكر في عدم ادخاله ووقع في المدينة ضجة وتتابع الامر حتى آل الى القتال واشتد ذلك على قتا ومن كان معضدا له من الاغاوات وكان معهم بعض من قبائل حرب فقصدوا وامتاروا الحرم الشريف وترسوها وأغلقوا أبواب المسجد وترسوا بعض البيوت التي بجانب الحرم النبوي وعزموا على محاربة العسكر ومن يعضدهم من أهل المدينة فرفع كبار العسكر وأهل المدينة أمرهم الى قاضي الشرع خوفا من وقوع الفتنة بتعدد القبر المعظم وذهاب ما في الحجرة من الاموال وما يحدث من القتل وغضب الدولة العلية عليهم فأرسل قاضي الشرع للاغاوات يعظهم من الفتنة ويطلبهم للحضور الى مجلس الشرع فامتنعوا من الكف ومن الحضور عند القاضي فسجل عليهم القاضي انهم عصاة بغاة يجب قتالهم فشرعت العساكر وأهل المدينة في قتالهم وضيقوا عليهم من كل جانب وقتل في تلك الفتنة أناس من الفريقين وعطلت صلاة الجماعة في المسجد النبوي نحو الشهر وامتنع العساكر وأهل المدينة الا بعد احضار الاغاوات القائمين على قتالهم وحبسهم في قلعة السلطان بالوجه الشرعي ثم رفع أمرهم الى نائب السلطان بالحرمين الشريفين وهو الشريف مبارك بن أحمد بن زيد شريف مكة اذ ذاك فحضر خمسة أو ستة من كبار الاغاوات كانوا رأس تلك الفتنة فحبسوا في القلعة ورفع الامر الى شريف مكة المذكور فطلبهم الى مكة لاقامة الدعوى فوصلوا الى مكة وحضر معهم مفتي المدينة السيد محمد أسعد وجماعة من أعيان أهل المدينة فعقد الشريف مبارك لهم مجلسا حضره من جاء من المدينة المنورة وقاضي مكة وابراهيم باشا والي جدة ومفتي مكة وجماعة من علمائهم وأعيانهم وأقيمت الدعوى وثبت الخطأ على الاغاوات فأمر الشريف مبارك بحبسهم في داره الى ان يرفع الامر الى الدولة العلية ويأتي الجواب فجاء الجواب من

الاشارة وهو متداول بين العلماء لا يؤخذ الا باصله وأما هو فلا يوثق بنقله لما يحكى عنه من اختلال العقيدة ان صح ذلك عنه وله في الفقه متن سماه لطائف الاشارات وشرحه سماه التسهيل وله في التصوف رسالة الواردات ورسالة مسرة القلوب ولما مات الشيخ بدر الدين قتل بافتاء مولانا حيدر العجمي في سنة ثمان عشرة وثمانمائة وصلب وسكنت الفتنة • ثم خرج عليه محمد بن قرمان وأحرق بروسا فجاء السلطان محمد خان من بلاد روملي ووصل قونية ووقع بينه وبين محمد بك بن قرمان حرب عظيم شديد وانهزم فيه عسكر ابن قرمان ومسك محمد بن قرمان وولده مصطفى وأتى بهما أسيرين الى السلطان محمد خان فأمنهما وعفا عنهما وتصدق عليهما بمملكتهما وللسلطان محمد مدارس وعمائر وأفعال خير وهو أول من عمل الصر لاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان رحمهم الله تعالى فلما تم أجله في أم الكتاب أراد الله تعالى نقله الى جنة المآب ودعاه من ملك الفناء الى البقاء المستطاب فعاش سعيدا ومضى حميدا وتحول من دار الفناء الى دار البقاء وانتقل الى رحمة الرحمن وكانت وفاته بمرض الاسهال فيكون له مرتبة الشهادة أيضا وذلك في سنة خمس وعشرين وثمانمائة رحمه الله تعالى ﴿وولي بعده السلطان مراد خان بن محمد خان بن يلدرم بايزيد خان﴾ مولده في سنة ست وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ثمانية عشر عاما ومدة سلطنته احدى وثلاثون سنة وعمره تسع وخمسون سنة وكان ملكا مطاعا مقداما فاتكا مجاهدا عابدا ولا واسع العطاء محبا للحرمين الشريفين من خاصة صدقاته في كل عام ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهب للشرفاء السادات من خزينته في كل عام مثل فتح الفتوحات ولين الجموحات ومهد الممالك وأمن المسالك وأقام الشرع والدين وأذل الكفار والملحدين وأعز الاسلام والمسلمين • ومن جملة ما افتتحه بلاد سمندره وقلعة موره وقاتل قرال انكروس وكسرهم وأسر منهم خلقا كثيرا واستمر يجاهد الكفار ويفتتح الديار الى أن انتقل الى ولده السلطان محمد فرأى نجابته ولمح في غرته سعادته وعرف اقباله وشهامته وأجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ في مقتبل حسن رضاه ﴿فتولى السلطان محمد بن مراد خان في سنة ست وخمسين وثمانمائة﴾ مولده في سنة ست وثلاثين وثمانمائة وجلس على التخت وقد استكمل عشرين سنة وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة وكان من أعاظم سلاطين آل عثمان وحاز الممالك

الفضايل الفاضل النبيل العظيم الجليل أعظم الملوك جهادا وأقواهم اقداما واجتهادا وأثبتهم جاشا وأوفاهم فؤادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا وهو الذى أسس ملك بنى عثمان وقنن لهم قوانين دارت كالاطواق فى أجياد الزمان وله مناقب جميلة ومزايا فاضلة جليلة وآثار لا يمحوها تعاقب السنين والاعوام وغزوات كسر بها أصلاب الصلبان والاصنام ● ومن أعظمها أنه افتتح القسطنطينية الكبرى وساق اليها السفن تجرى رخاء برا وبحرا وهجم عليها بجنوده وأبطاله وأقدم عليها بخيوله ورجاله وحاصرها خمسين يوما أشد الحصار وضيق على من فيها من الكفار والفجار وسل على من فيها سيف الله المسلول وتدرع بدرع الله الحصين المسبول ودق باب النصر والتأييد ولج ومن قرع الباب ولج وثبت على متن الصبر الى أن

أتاه الله بالفرج ونزلت عليه ملائكة الله بالقريب الرقيب بالنصر العزيز من الله تعالى والفتح القريب ففتح اسلامبول فى اليوم الحادى والخمسين من أيام محاصرته وهو يوم الاربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى فى أكبر كنائس النصارى صلاة الجمعة وهى أيا صوفيا وهى قبة تسامى قبة السماء وتحاكى فى الاستحكام قباب الاهرام وما وهت ولا وهنت كبرا ولا دثرت مع كأن أبراجها أبراج الافلاك ومصابيح أبوابها نجوم السماء فنزع منها جلاليب الصلبان والاصنام وخلع عليها خلع مساجد الاسلام وأبدلها الله تعالى عن الظلمات نورا وكساها بنور الاسلام شرفا وعزا وحبورا لا زالت محلا للصلاة والعبادة والاعتكاف مقر الاستقرار قلوب العلماء والاصفياء والزهاد فيها والعراف مستقر السلاطين آل عثمان ●(الولاية أهل المعدلة والانصاف أبد الآبدين ودهر الداهرين الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ● وقد أسس المرحوم المقدس فى اسطنبول للعلم أساسا راسخا لا يخشى على شمسه الافول وبنى بها مدارس كالجنات لها ثمانية أبواب سهلة الدخول وقنن بها قوانين تطابق المعقول والمنقول ورغب فى طلب العلم الشريف وتكسو الطالبين حلل القبول بعد الخمول فجزاه الله خيرا عن الطلاب ومنحه بها أجرا وأكثر ثوابا فانه جعل لهم فى أيام الطلب ما يسد به فاقتهم وجعل لهم بعد ذلك مراتب يترقون اليها ويصعدون بالتمكن والاعتماد عليها الى أن يصلوا الى سعادة الدنيا ويتوصلوا بها أيضا الى سعادة العقبى والله رحمه الله

الدولة العلية بتنفيذ الحكم الذى حكم به قاضى المدينة على الاغاوات وأمروا عليهم بالعقوبات المحكوم بها من العزل لبعضهم والنفى لبعضهم ثم ما زال الاغاوات يسعون فى الانتقام من أهل المدينة بسبب هذه الحادثة ووسطوا لذلك الوسائط ورحل بعضهم الى أبواب السلطنة بنفسه حتى انتقموا من كثير منهم وكان من جملة من اتهم بدخوله مع أهل المدينة فى هذه القضية العالم الفاضل السيد عبد الكريم بن محمد البرزنجى وابنه الفاضل السيد حسن وكان الاغاوات عرضوا الى الدولة جميع أسماء أولئك الجماعة الذين اتهموهم فى الدخول فى تلك الفتنة فجاء الامر من الدولة بقتل بعض أشخاص ونفى آخرين فكان السيد عبد الكريم وابنه السيد حسن من جملة المأمور بقتلهم فتحول وقبل مجئ الامر الى مصر وبقى والده السيد عبد الكريم بالمدينة فصعب عليهم قبضه بالمدينة فحسن له بعض أعدائه الخروج من المدينة الى مكة المشرفة والاقامة بها فلما وصل الى مكة قبض عليه وزير جدة أبو بكر باشا وأشخصه الى جدة وحبس بالقلعة

● (ذكر قتل المظلوم بجدة وهو السيد عبد الكريم البرزنجى سنة ١١٣٦)●

ثم أمر بقتله فقتل خنقا ورمى فى سوق جدة يوما كاملا ثم رفعه بعض أهل الخير بشفاعة والتماس وغسل وكفن ودفن بجدة وهرعت الناس الى جنازته للتبرك به رحمه الله رحمة واسعة وقبره مشهور يزار ويعرف عند أهل جدة بالمظلوم وكان قتله فى ثامن ربيع سنة ست وثلاثين ومائة وألف وفى مدة الشريف مبارك المذكور كانت وفاة خاتمة المحدثين العلامة الشيخ عبد الله بن سالم البصرى وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائة وألف رابع رجب وكان تاريخ وفاته قد حل عبد الله دار قرار ولم يزل الشريف مبارك فى شرافة مكة الى ست من ذى الحجة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف فانتزعها منه الشريف يحيى بن بركات بولاية من السلطنة السنية فكانت مدة ولاية الشريف مبارك نحو سنتين ونصف وهذه الولاية الاولى وسيأتى الثانية ان شاء الله تعالى وسبب انتزاع الشريف يحيى الولاية من الشريف مبارك ان الشريف يحيى لما هزم فى رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف توجه كما تقدم للديار الرومية ولم يزل يجتهد حتى اجتمع بالسلطان أحمد بن محمد بن ابراهيم يوما كاملا الا قليلا وصار بينهما حديث طويل فانعم عليه بشرافة مكة سنة أربع وثلاثين وصدر الامر بتوجهه مع الحج الشامى ومعه الوزير على باشا كاهيلى متوليا بندر جدة وأمرته الدولة بأن يكون تحت أمر الشريف يحيى ومعهم أيضا أمير الحاج الشامى على باشا المشهور بابن المقتول فجاء الجميع فى عسكر جرار ودخلوا مكة مستهل من ذى الحجة وخرج منها الشريف مبارك وجماعته وأقاموا بأطراف الطائف بموضع يسمى بحرة بعد وادى لية قريبا من بلاد غامد

استجلب العلماء الكبار من أقاصي الديار وأنعم عليهم وعطف بإحسانه العام اليهم كمولانا علي القوشجي والفاضل الطوسي والعالم الكوراني وغيرهم من علماء الاسلام وفضلاء الانام فصارت اسطنبول بهم أم الدنيا ومعدن الفخار والعليا واجتمع فيها أهل الكمال من كل فن فعلماؤها الى الآن أعظم علماء الاسلام وأهل حرفها أدق الفطناء في الانام وأرباب دولتها هم أهل السعادة العظام لاسيما العلماء الاكرمين فلله في أجدادهم هي باقية الى يوم الدين ولو ذكرت مناقبه وعددت مآثره لشحنت بها مجلدات أسكنه الله فسيح الجنات وأنزل على قبره شآبيب الرحمة والبركات وكانت وفاته سنة ست وثمانين وثمانمائة ﴿ثم تولى الملك السعيد السلطان بايزيد خان الغازي﴾ ومولده سنة ست وخمسين وثمانمائة (١٧٥) وجلس على تخت الملك في ثامن عشر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانمائة وعمره إذ ذاك ثلاثون عاما وعمر اثنين وستين عاما وهو من أعيان السلاطين العظماء تفرع من شجرة زكية طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وتحدر من سلالة الملوك الاكابر وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وتزينت باسمه رؤس المنابر وترشحت بذكره صدور المنابر وامتلأت بمدائح أوصافه بطون الصحف والدفاتر وافتتح الفتوحات وغزا في سبيل الله أعظم الغزوات ومما افتتحه قلعة ملوان وقلعة كوكلك وقلعة آق كرمان في سنة ثمان وثمانين وثمانمائة وخاصمه أخوه السلطان جم فبرز السلطان بايزيد لقتاله وتقاتلا فانهزم السلطان جم وفر الى مصر وحج في زمن السلطان قايتباي وعاد وأكرمه السلطان قايتباي إكراما زائدا فذهب الى ورسق وجمع طائفة من الغواة ونازع أخاه على الملك وقاتله السلطان بايزيد فانكسر السلطان جم ثانيا وفر الى بلاد النصارى في سنة سبع وثمانين وثمانمائة فأرسل اليه السلطان بايزيد أحد عبيده في صورة حلاق مجهول فلما رآه السلطان جم تأنس به وسأله عن صنعته فقال حلاق فاستخدمه وأمره أن يحلق رأسه فحلق رأسه بموس مسموم وهرب في الحال وأثر السم في رأسه وسرى الى بدنه فمات الى رحمة الله تعالى وله أشعار لطيفة بلسان التركي • ومما افتتحه السلطان بايزيد من القلاع العظيمة والحصون المحكمة القديمة قلعة مدون وقلعة قرون وغير ذلك من القلاع والحصون وظهر في أيامه في بلاد العجم شاه اسمعيل بن الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد الصوفي في سنة خمس وتسعمائة وكان الشيخ حيدر ابن الشيخ جنيد الصوفي له ظهور عجيب

•(الولاية الثانية للشريف يحيى بن بركات سنة ١١٣٤)•

ولما ورد الشريف يحيى في هذه الولاية الثانية لم يكن في رفقه ورأفته بالاشراف كما كان في الولاية الاولى بل تولى الامور بشدة وغلاظة وقابل السادة الاشراف بزعامة وفظاعة رجوعا عن سيرته الاولى واستحسانا بأن الكيفية أصوب وأولى مع اعتقاده على من جاء معه من الاروام والوزراء العظام فلم يزل حال الاشراف معه في نهاية الاضطراب مع نفور الاعراب والحال أن الشريف مباركا وذويه آل زيد بن محسن مقيمون بأطراف الطائف ونواحيه فقضى الشريف يحيى الحج وكذا صاحبه الوزير قاضي جدة علي باشا كاهية ثم وجها همتهما لتمهيد الامور واخلاء بعض الدور وكان معهما أوامر كثيرة متضمنة لاشياء عديدة منها ابعاد السادة آل زيد بن محسن ومنها هدم دارهم المعروفة بهم المسماة بدار السعادة وغير ذلك ولم يتم لهم شيء من ذلك أما السادة آل زيد فقد ذكرنا أنهم نزلوا بأطراف الطائف فوق قرية تسمى لية في موضع عزيز يسمى جرجة قرب بلاد ثقيف وكان في جرجة حصن شاهق لبعض قبائل ثقيف فنزلوا به والذين نزلوا به من آل زيد هم الشريف مبارك بن أحمد بن زيد والشريف عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد ومعه أخوه الشريف علي ومعهم اخوتهم ومن يلوذ بهم من الاتباع فلما كان أواخر محرم من سنة خمس وثلاثين ومائة وألف توجه الشريف يحيى بن بركات وعلي باشا كاهية الى الطائف على طريق نخلة بالخيول والعساكر وسارا اليها حتى وصلا الطائف وأقاما به يوما واحدا ثم توجها اليهم بدلالة بعض شيوخ ثقيف وصعدا اليهم تحت الحصن المذكور واستولت العساكر على أدباشهم ولم يسلم منهم إلا أشخاص وكادوا يهلكون قتلا لولا حفظ الله تعالى وعنايته بهم وهذه الغارة انما كانت على الشريف مبارك وأتباعه وأما الشريف عبد الله وأخوه الشريف علي فقد رحلا قبل وصولهم اليهم بقليل وقتل من جماعة الشريف مبارك أشخاص وذهب جميع ما معهم ورجع الشريف يحيى وعلي باشا الى الطائف وأقاما أياما عند أقطار الطائف ثم سارا الى مكة ودخلاها وفي رجوعهم الى مكة وقع اضطراب لاهل مكة وسبب ذلك أنهم وجدوا فيما أخذوه من الادباش كتابا بخط بعض أهالي مكة ممن ينتسب اليهم بأشياء كوجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن سليم فان عليا باشا وقع له على مكاتبات بينه وبين الشريف مبارك ووجد أيضا مكاتبات لآخرين غيره فنهب بيت عبد الرحمن المذكور وأراد القبض عليه وقتله فهرب بمساعدة بعض الخدم ثم ذهب الى اليمن وأراد الآخرين أيضا لكنهم هربوا ثم بعد مدة جمع الشريف مبارك المذكور جموعا من بادية بجيلة وناصرة وبني سعد وثقيف فاجتمع معه نحو الالف وأقبل بهم على الشريف يحيى وصاحبه فخرجا لملاقاته الى عرفة ووقع بينهم قتال شديد في أول الامر حملت

واستيلاء على ملوك العجم بعد من الاعاجيب فقتل في البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب الرفض والالحاد وغير اعتقاد أهل العجم الى الاضلال والفساد بعد الصلاح والسداد وأخرب بلاد العجم وأزال من أهلها حسن الاعتقاد والله يفعل في ملكه ما أراد وتلك الفتنة باقية في تلك البلاد وشرح ذلك يحتاج الى تاريخ مستقل ولا أعلم أحدا تعرض له من العلماء الامجاد وظهر من اتباع شاه اسمعيل المذكور في بلاد الروم شخص ملحد زنديق يقال له شيطان قولي أهلك الحرث والنسل وعم بالفساد والقتل وتبعه غواة لا تحصى وقويت شوكته وعظمت به في ذلك الفطر الفتنة وارسل السلطان بايزيد وزيره الاعظم علي باشا بعسكر كثير لقتال هذا الباغي وأيده بجيش عظيم انقطع دابره هذا الطاغي واستشهد علي باشا في ذلك القتال واستكمر شيطان قولي المفسد التعيس وعسكره من جنود ابليس وقتل مع طائفة من أعوان الاباليس وأسكن الله تلك الفتنة بعد ما طمت وكفى الله شر أولئك الاشرار بعد ما عظمت فتنتهم وعمت وذلك في سنة خمس عشرة وتسعمائة وكان السلطان بايزيد رحمه الله وجعل الجنة مثواه من المجاهدين في سبيل الله الذين لا يزالون على الحق ظاهرين على من ناواهم منصورين على من بغى عليهم العصاة وعاداهم مجاهدين لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فما زال غازيا في سبيل الله مظفرا منصورا على أعداء الله الى أن صارت بيضة الاسلام بسيوفه محمية محفوظة وحركاته وسكناته بعين عناية الله واعانته منظورة ملحوظة فكانت أيامه من أحسن الايام وأكثرها أمنا وراحة وجمع قلب للانام وكانت به كلمة الاسلام مجموعة وكلمة أهل الضلال خاسئة مقموعة وقوى وحدث الله على يديه اعزاز دينه واذلال طواغيت الشرك وشياطينه وكان مع ذلك محبا لفعل الخيرات مثابرا على بذل الاطعام والصدقات دخل الخلوة فجلس أربعين وارتاض مثل الصلحاء السالكين ودخل معه الخلوة مولانا والد أبي السعود أفندي المفتي المفسر رحمه الله تعالى وبنى الجوامع والمدارس والعمارات ودار الضيافات والتكايا والزوايا والخانقاهات ودار الشفاء للمرضى والحمامات والجسور ورتب للمفتي الاعظم ومن في رتبته من العلماء العظام في زمنه كل عام عشرة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي الثمانية من مدارس والده المرحوم السلطان محمد خان في كل عام سبعة آلاف عثماني ولكل واحد من مدرسي شرح

الجبل على الشريف مبارك ومن معه فكسرته والبادية الذين معه انحصروا في الجبل المسمى بالمابغة ووقع منه قتال أبطال الاتراك وكان الشريف يحيى لما خرج أخرج معه المماليك السبعة بعساكرهم بل ومن بقي اليهم من سكان مكة من أبناء الروم ومصر والمغاربة وعساكر بندر جدة فقاومت هؤلاء البادية جميع تلك الطوائف بحرب طار شرره وقتل جم غفير من الاتراك وغيرهم ولم يمكنهم الاستيلاء عليهم ابدا فاعطوهم الامان وبذلك سلم بقية الاتراك من القتل ونزل البادية من الجبل وتوجهوا الى الطائف آمنين مطمئنين ويقال ان علي باشا أصابه صواب في تخميته في تلك الواقعة فكانت الهزيمة في هذه الواقعة على الشريف مبارك ورجع الى الطائف ثم خرج من الطائف بسبب عسكر وجهه اليه الشريف يحيى وبقي في أطراف الطائف الى شهر رمضان من السنة المذكورة ثم دخل الطائف وأخرج منه وكيل الشريف يحيى وهو السيد محمد بن الشريف عبد الكريم بن يعلى واستمر الشريف مبارك بالطائف ومعه جمع من البادية وكان بالطائف حين دخول الشريف عبد الكريم زعيم الاشراف ورئيسهم وهو السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي وهو جد سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن محسن فتولى الامر وذب عن الرعية وأرسل كتابا مع ولده السيد عون للشريف يحيى بن بركات ولعلي باشا يعرفهما بذلك وارسالا وطلبا فوصل الى مكة واجتمع بهما معا ثم بعلي باشا بمفرده وتواطآ على أن يكتب للشريف مبارك كتابا بالملاطفة ويعده انه يشرفه مكة بعد الحج وأن يرسل له مبلغا من الدراهم يستعين به ويفرق من كان عنده من البوادي ويستقر بالطائف آمنا لا يتعرض لشئ من الاحكام وتعهد السيد محسن للباشا أنهما يخالف ما أمر به وأنا أمشي اليه بنفسي لاجل ذلك وفي ضمن ذلك تنطفئ الفتنة ان شاء الله تعالى وتنطفئ ثائرة الاشراف القائمين على الشريف يحيى لكن لابد من تسليم شئ لهم فتضامنوا في ذلك واستقر الامر على تسليم علوفة شهر للاشراف نقدا تم سلم ذلك لهم علي باشا من خزانته ثم توجه السيد محسن الى الطائف ووفد على الشريف مبارك ومن معه من السادة الاشراف وأعطى الشريف مباركا كتابه من الباشا والمبلغ الذي له وأنزله مما كان عليه وأعطى الاشراف الذين معه علوفة شهر نقدا وتفرقت البوادي واستقرت الاحوال وأمنت البلاد ومشت فيها أحكام الشريف يحيى بن بركات ثم عاد السيد محسن الى مكة ومعه جماعة من الاشراف وجماعة من عيون خدم الشريف مبارك انضاء بعض أغراضهم فوجدوا عليا باشا قد توجه الى جدة فلحقوه بجدة فأكرم السيد محسنا ومن معه بما لم يعهد مثله وأعطاه السيد محسن جواب الشريف مبارك بامتثال الامر في كل ما أمر به فسر بذلك وتشكر من السيد محسن فيما فعله ورجع السيد محسن الى مكة

وحدث لعلي باشا مرض طال به الى ذي القعدة ثم توفي بجدة ودفن بقرب أمنا حواء واعانيه قبة واستقر في منصبه بعده كيخيته احمد باشا وأقام علائف العسكر على عادتهم مع علي باشا وكانت هذه التولية برأي الشريف يحيى وقاضي الشرع وأعيان الدولة واستمروا الى شهر ذي الحجة الا انه صار في العسكر تعديات كثيرة على الرعية لعدم ضبطه لهم كاستاذه والاشراف في نهاية الاضطراب أيضا مع تجمعهم على الشريف يحيى لقطعه مقرراتهم المعروفة والشريف مبارك بن أحمد قد تحول بالطائف بجمع البادية والمسير الى مكة بعد وفاة علي باشا المذكور ولم تزل الحال كذلك الى أن وصل الوزير عثمان باشا المكي أبو طوق أمير الحاج الشامي

(ذكر عزل الشريف يحيى بن بركات عن شرافة مكة لولده بركات سنة ١١٣٥)

وكان في مكة أعيان الدولة كسليمان آغا دار السعادة وأيوب آغا شيخ الحرم النبوي سابقا وغيرهما فتواطؤا على أن الشريف يحيى ينزل عن الشرافة لولده الشريف بركات وتنصيبه هو شيخ الحرم المكي فاذا فعل ذلك ثبتت حقوق الاشراف القديمة ويقوم لهم الشريف بركات بما يقطعه لهم حالا وفي هذه السنة قبل وفاة علي باشا صارت فتنة بين عبيد السادة الاشراف وبين عساكر علي باشا أفضت الى قتال بين الفريقين وكان الشريف يحيى ومن معه من العبيد والعساكر في طرف علي باشا على الآخرين فحصل من ذلك انه هرب جميع عبيد السادة الاشراف وتفرقوا في جبال مكة وارتفعت ضوابط الاشراف على مناصب الشريف يحيى ولم يتمهل هذا الامر وقتل في هذه الوقائع بعض شيوخ العبيد وصار على العبيد ذل لم يعهد مثله من ايام ثقاتهم من العسكر في الحرب الواقع بين الشريف مبارك وبين الشريف بركات كما سيأتي ذكره والحاصل أن هذه السنة صار فيها حوادث جمة وتخاصمات وثارات بين الشريف يحيى والسادة الاشراف وبين عبيدهم وعساكر الوزير المذكور وعساكر الشريف يحيى وكانت سنة مزعجة ولم تزل الحال كذلك الى شهر ذي الحجة وفيها كان نزوله عن الشرافة لولده الشريف بركات بسبب الاختلاف والاضطراب الحاصل آخر السنة المذكورة أعني سنة خمس وثلاثين بعد المائة والالف حتى ظهر الخلاف في جميع الاطراف لاسباب اقتضت ذلك أحدها موت عضده الوزير علي باشا وثانيها تحرك الشريف مبارك بالطائف وأطرافه لموت الوزير المذكور وانخرام ما كان بينه وبينه من الوعد وثالثها عجز الشريف يحيى عن ايفاء السادة الاشراف حقوقهم فلما وصلت الحجوج الشامية والمصرية وغيرهما خرج الشريف يحيى الى عرفات فكانت الاشراف بينهم في ناحية عنه لم يخالطوه وأرسلوا مكاتباتهم الى أعيان الدولة الواصلين في ذلك العام ومن جملتهم أمير الحاج الشامي الوزير عثمان باشا أبو طوق بمكة

العصر الثاني عثماني وكذلك رتب لمشايخ أهل الطريق الى الله ومريديهم وأهل الزوايا الكل واحد على قدر مرتبته وصار قانونا جاريا بعده مستمرا وكان يحب أهل الحرمين الشريفين ويحسن اليهم احسانا كثيرا ورتب لهم الصرة في كل عام وكان يجهز لفقراء الحرمين الشريفين في كل سنة أربعة عشر ألف دينار ذهبا تصرف نصفها على فقهاء مكة ونصفها على فقهاء المدينة وكانوا يستعينون بها ويرتفقون بها ويدعون له واذا ورد عليه من أهل الحرمين الشريفين أحد ينعم عليه ويحسن اليه ويرجع من عنده بصلات عظيمة ومواهب جليلة وممن ورد عليه في شبابه خطيب مكة المرحوم الشيخ محيي الدين بن عبد القادر بن عبد الرحمن العراقي والشيخ شهاب الدين بن الحسن العليف شاعر البطحاء وامتدحاه بالامداح شعرا كثيرا وصنف العليف تاريخا جامعا لمآثره المنظوم في مناقب السلطان بايزيد خان ملك الروم لا يخلو من فوائد لطيفة * ومما نظمه الشهاب العليف في مدحه رحمهما الله تعالى من قصيدة رائية مطلعها

خذوا من ثنائي موجب الحمد والشكر * ومن در لفظي طيب النظم والنثر

(ومنها)

وان كان كسرى على ظهر قاهر * الى الروم يسدي فخرها طيب النشر

[illegible]

كمالات لا يبلغ الوصف كنهه * شريف المساعي باذل النهي والامر

الى أن بدا الحق والملك الذي * حمى بيضة الاسلام بالبيض والسمر

وجرد للدين الحنيفي صارما * أباد به جمع الطواغيت والكفر

وجاهدهم في الله حق جهاده * رجاء لما يبغي من الفوز بالأجر

له هيبة تملأ الصدور ومخافة * مقسمة بين المخافة والذعر

أطاع له ما بين روم وفارس * ودان له ما بين روم الى مصر

هو البحر الا انه دائم العطا * وذلك لا يخلو من المد والجزر

هو البدر الا انه كامل الضيا * وذا الخسف النقص في معظم الشهر

هو الغيث الا أن الغيث ممسك * وذا لا يزال الدهر يهطل بالقطر

هو السيف الا أن للسيف نبوة * وذا لا ولا ماضي العزيمة في الامر

سلالة بني عثمان والسادة الالى * علا مجدهم فوق السماكين والنسر

ملوك كرام الاصل طابت فروعهم * وهل نسب [illegible]

محوا أثر الكفار بالسيف فاغتدت * بهم حوزة الاسلام سامية القدر

فياملكا فاق الملوك مكارما • فكل الى أدنى مكارمه يجرى لئن نفقهم فى رتبة الملك والعلا • فان الليالى بعضها ليلة القدر
فدتك ملوك الارض طرا لانهم • سرار وأنت البدر فى غرة الشهر تعاليت عنهم رفعة ومكانة • وزدتاو أوصافا تجلى عن الحصر
لك الغرة الغراء والرتبة التى • قواعدها تسمو على منكب النسر سموت علوا اذ دنوت تواضعا • وقمت بحق الله فى السر والجهر
غدت بك أهل الروم تزهو ملاحة • وترفل فى ثوب الجلالة والفخر أنت ابن عثمان الذى سار ذكره • مسير ضياء الشمس فى البر والبحر
بيمناك يروى عن يسار ونائل • وعن جودها يروى فى البشاشة عن بشر وانى لعن وان قدرك لا أدى • عن المدح الا وقتها مالك العصر
فقابل رعاك الله شكرى بمثله • فانك معروف من أكرم النجر

فلا زلت محروس الجناب مؤيدا •
من الله بالتوفيق والعز والنصر
ويحكى ان القصيدة لما وصلت اليه فرح بها كثيرا وأمر لصاحبها أحمد العلمى بألف دينار ذهبا جائزة ورتب له فى دفتر الصر فى كل عام مائة دينار ذهبا تصل اليه فى كل عام وصارت بعده الى أولاده • وكان للمرحوم السلطان عدة أولاد صار وامـلوكا وصار لاولادهم أولاد منهم السلطان جهان شاه والسلطان أحمد والسلطان قورقد والسلطان سليم والسلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان علم شاه وكان أنجبهم وأجدهم وأعزهم وأسعدهم وأكملهم وأرشدهم السلطان سليم شاه وكلهم أعلام الهدى ومصابيح الدنيا رجوم لرجوم شياطين العدا نشؤا فى مهد السلطنة وحجورها وغذوا بلبن صدورها وخرها من شجرة طاب عودها واعتدل عمودها ولا غرو ان يجود الجواد كاسلافه ويلوح لاحقا مخايل الليث على شبله والولد سر ابيه فى فصله ونبله وكل شئ فى الحقيقة يرجع الى أصله ملوك بنى عثمان من طاب أصلهم • كرام لهم فى المكرمات مآثر اذا ولد المولود منهم تهللت • له الارض واهتزت اليه المنابر ولما ترعرعوا وبرعوا أخرجهم والدهم الى السناجق العالية فى بلاد الروم وأنعم عليهم بالولايات العظام وحفظ بهم ممالك الاسلام وقلدهم الامور الجسام فجعل لاكبر أولاده السلطان أحمد مملكة أماسيه وما والاها وكان يتوقع منه أن يكون ولى عهده ويأبى الله الا ما أراد وأنعم على السلطان جهان شاه بمملكة قرمان وأعمالها وولى السلطان قورقد مملكة منتشا وتوابعها وجعل للسلطان سليم مملكة

ما التفت اليهم ولا أخذ بأيديهم واغتاظ مع الشريف يحيى فاستقر الرأى بينه وبين الشريف يحيى وأعيان الدولة ان ينزل الشريف يحيى عن الشرافة لولده الشريف بركات فبهذا النزول تهدم حقوق الاشراف المنكسرة عنده وتصلح الاحوال ويداخلهم الشريف بركات بحسب جهده • ففعل ذلك الشريف يحيى ونزل لابنه الشريف بركات فى مجلس الوزير عثمان باشا أمير الحاج الشامى وبحضور قاضى الشرع وأعيان الدولة على ان الشريف يحيى يلبس خلعة مشيخة الحرم استقلالا لا عن صاحب جدة وكان ابتداء ولاية المذكور فى اليوم الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومائة وألف فكانت مدة ولاية الشريف يحيى الثانية سنة كاملة الا ثلاثة أيام والاولى سنة وسبعة أشهر ويوما الجميع سنتان وسبعة أشهر الا يومين فرادالاضطراب لما عرف السادة الاشراف أنها حيلة على اذهاب حقوقهم واستولى على الشريف بركات المذكور أبوه وعمه السيد عبد الله بن بركات فلا يرد ولا يصدر الا عن رأيهما وحصل بينهم وبين السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن حسن بن أبى نمى منافرات ومخاصمات عند بعض الامور فأراد الشريف بركات بن الشريف يحيى ازالتهما فلم يمكنه ذلك لاطاعته لهما فأوى السيد محسن بن عبد الله على الفرار وكذا جملة من السادة الاشراف وأجمعوا على الارسال للشريف مبارك بن أحمد ليحصل من معه من الاشراف والبادية وعزموا على مقاتلة الشريف بركات واخراجه من البلاد فلما أزمع رأيهم على ذلك فارقوه على مقتضى قواعدهم وبرزوا الى خارج البلاد ورحلوا يوم السادس من محرم سنة ست وثلاثين ومائة وألف ولاقوا جميعا الشريف مبارك فى عرفات يوم عاشر الشهر المذكور وفى اثناء هذه المدة لم تزل المكاتبة بين السيد محسن المذكور وبين الشريف عبد الله بن سعيد المتقدم ذكره وكان فى أطراف اليمن ولم يزل يتقرب الى أطراف مكة الى أن اجتمع بالسادة الاشراف والشريف مبارك ثم وصلوا جميعا الى أعالى مكة

•(ذكر الحرب بين الشريف بركات وبين الشريف مبارك بن أحمد بن زيد سنة ١١٣٦)•

وخرج لقتالهم الشريف بركات بن الشريف يحيى ومعه والده وعساكرهم واسمعيل باشا صاحب جدة بعساكره حيث انهم مالوا الى قتال الشريف مبارك ومن معه وثارت الحرب بينهم بأعلى مكة عند المعلاة يوم الاربعاء الثانى عشر من شهر محرم سنة ست وثلاثين ومائة وألف وحمى الوطيس واشتد الحال فى القتال الى خمس ساعة من النهار فحملت السادة الاشراف حملة واحدة على الشريف بركات ومن معه وعسكره وهزموهم شر هزيمة وقتلوا منهم قتلا عظيما الى ان امتلأت أعالى مكة من القتلى وولوا مدبرين ثم دخل السيد محسن بن عبد الله وأمن العساكر العثمانية ونزل بهم الى مكة

طرابزون وهو الذي جرى في حلبة السعادة فسبق وسبقت في علم الله تعالى سلطنته فكان أولى من الجميع وأحق وأعطى السلطان محمد ابن ممالك الكفار وما يليه من بلاد التتار وكلهم ملوك أبرار وسلاطين كبار من تلق منهم فقل لاقيت سيدهم • مثل النجوم التي يهدى بها السارى وأسعد الله جهان شاه ومحمدا وأحمد ولو وافق حياة والدهم لكنا حكم الله تعالى القتل والقتال ومات على ما علمه السلطان سليم الى ما قال رحمهم الله تعالى جميع أولئك الابطال وعوضهم عن سلطنة هذه الدار جنات تجرى من تحتها الانهار • وكان والده السلطان بايزيد خان استولى عليه مرض النقرس وهو أكثر من آل عثمان رحمهم الله تعالى فضعف عن الحركة وترك السفر سنين متعددة فصار العسكر يطرحون وكثير ما يحبون ويشكون ويطلبون سلطانا قويا ذا باس الحركة كثير الاسفار يجاهد بهم في سبيل الله تعالى ويغزوا بهم الكفار فغنموا ورأوا أن السلطان سليم خان أجلد من سائر اخوانه وأقوى على ذلك لقوة جنانه وعلو شأنه فمالوا اليه ومال اليهم وتوجه بالعطف والحنو عليهم وخرج على والده محاربا وركب عليه مقاتلا ومحاربا فقاتله أبوه فهزمه وولى هاربا ثم خرج على والده ثانيا لما رأى ميل العسكر اليه واختيارهم له على والده واجتماعهم عليه ورأى السلطان بايزيد توجه أركان الدولة والعسكر الى السلطان سليم وأشار عليه وزراؤه أن يخرج عن السلطنة للسلطان سليم فقلب سليم ويختار التقاعد في أدرنة في عز وتعظيم وأبرموا عليه في ذلك فلما رأى ميل اجنادهم الى ما مالوا وموافقتهم الى ما طلبوا وأملوا فطلبوه الى حضوره وعهد اليه السلطان بالسلطنة وسلم اليه التخت وتوجه مع خدامه الخواص الى أدرنة فلما وصل الى قرية چورلو انكسر مزاجه وعجز الاطباء في علاجه وسقاه ساقي الحمام كأس أجله المحتوم فسلم الى قابض الأرواح روحه المرحوم وقدم على الله تعالى الحي القيوم ورزق مرتبة الشهادة ونال بها أعلى درجات السعادة وانتقل من الملك الزائل الفاني الى الملك الدائم الباقي وكان ذلك في سنة ثمان عشرة وتسعمائة ﴿وولي موضعه السلطان الاعظم السلطان سليم خان﴾ كاسر سلطان العجم وفاتح اقليم مصر والممالك العرب طيب الله ثراه وجعل الفردوس الاعلى محله ومأواه • مولده في أماسية سنة اثنين وسبعين وثمانمائة وجلس على تخت السلطنة وعمره ست وأربعون سنة وكانت مدة

لا يقابلهم الشريف مبارك حتى أوصلهم اليه في داره العامرة وتوجه الشريف بركات ووالده الى وادي مر بأولاده وكفلاء على قانونهم المعتاد ثم توجه الشريف يحيى الى الشام وتوفي بها وكذا ابنه بركات

•(الولاية الثانية للشريف مبارك سنة ١١٣٦)•

وكانت ولاية الشريف بركات بن الشريف يحيى مدة ثمانية عشر يوما ونادى المنادي بمكة للشريف مبارك وبالأمن والأمان وهذه الولاية الثانية للشريف مبارك وأمنت العباد ودخل صحبته السيد الشريف عبد الله بن سعيد واستمر الحال على أحسن ما يكون ثم بعد شهرين أو ثلاثة اضطرب الحال بين الشريف مبارك والسيد محسن بن عبد الله ولذلك أسباب الأول ان السيد محسنا كان قد تعهد للشريف مبارك باخراج الشريف عبد الله بن سعيد بعد الدخول فلم يفعل بل حصل بينهما مزيد المصادقة وثانيهما أن السيد محسنا أراد عزل وزير الشريف مبارك وهو عبد القادر بن سليم ويولي وزيرا آخر فلم يفعل وعضد الوزير المذكور جماعة من كبار الاشراف فتوقف عنه السيد محسن المذكور وشرع يتألف خواطر السادة الاشراف مع انقطاع الطرق ووقوع غلاء أضر بالناس وكثر السراق بمكة المشرفة بالليل ولم يلتفت الشريف مبارك لشيء من ذلك ثم خرج في أثناء ذلك الشريف مبارك الى طريق جدة ليأمن الطريق فلم يحصل أمن بل اشتد القطاع ثم أقر بياض الموضع الذي كان نازلا به ولم يفرغ ثم رجع الى مكة فاتفق الشريف عبد الله بن سعيد والسيد محسن فلم يعد هما الى مكة وقد كان الشريف عبد الله بن سعيد حين دخوله مكة مع الشريف مبارك عند انهزام الشريف بركات بعث عرضا الى الدولة العلية على يد بعض أغاوات العساكر المقيمين بمكة مضمون العرض شكايات من الشريف مبارك بن أحمد وانه قتل جميع الاتراك وأرهب عساكر الدولة حين دخوله مكة لقتال الشريف بركات بن يحيى بن بركات ولا ذنب عليهم وسلمهم من القتل الا الشريف عبد الله بن سعيد فوصل هذا العرض الى الدولة فما كان جوابه الا عزل الشريف مبارك وتوجيه امارة مكة للشريف عبد الله بن سعيد فلما كان اليوم الثاني عشر من جمادي الاولى سنة ست وثلاثين ومائة وألف وصلت البشائر من المدينة المنورة بتوجيه الامر للشريف عبد الله بن سعيد وصادف ذلك ما هم فيه من الاختلال فجاءت الاخبار الى مكة بذلك فرجع الشريف عبد الله بن سعيد والسيد محسن الى مكة وصار الاعيان الشريف مباركا فلما كان يوم السبت خامس عشر جمادي الثانية نزل الشريف عبد الله بن سعيد الى المحكمة الشرع عند قاضي مكة المشرفة وحضر أيضا السيد محسن بن عبد الله بن حسين وجميع أغاوات العساكر المصرية وأشرفوا القاضي على الكتب التي جاءت من المدينة وطلبوا من القاضي عزل

سلطنته تسع سنين وكان عمره جميعا أربعا وخمسين سنة لم يعمر أكثر من ذلك ولم تطل مدة سلطنته لانه كان كثير القتل وهذه عادة الله في السلاطين والامراء والحكام اذا أكثروا سفك الدماء وكان سلطانا قهارا ملكا جبارا كثير السفك قوي البطش عظيم الفتك كثير الفحص عن أخبار الناس شديد التوجه الى أهل النجدة والباس عظيم التجسس عن أخبار الممالك عارفا بمسارب الطرق والمسالك وكان يغير زيه ولباسه ويتجسس بالليل والنهار ويطلع على الاخبار ويستكشف الاسرار وله عدة مصاحبين يدورون حول القاهرة وفي الاسواق وفي الجمعيات والمحافل ويعلمونه بما يذكرونه في مجلس المصاحبة فيعمل بمقتضى ما يسمع بعد الوثوق منهم وقد أدركت جماعة من مصاحبيه المذكورين وسمعت منهم حسن مصاحبة السلطان سليم المرحوم معهم ولطفه بعاشرتهم وشدة تيقظه وذكائه وفهمه وضبطه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتمرسه في اللغة الفارسية وحسن نظمه بالفارسية والرومية بحيث فاق فيه فحول الطائفتين ورأيت بيتين بالعربي بخطه الشريف كتبهما على الماس في الكوشك الذي أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة وقد عفى لطول الزمان معالمه ومال الى لون البياض سواده وكان هذا الكوشك محترما مقفلا لا يصل اليه أحد لعظمة بانيه ولا يتبذل بالدخول اليه لعظمة واضعه ودخلت الى مصر في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكوشك الكريم بحضرة مصر يومئذ خسرو باشا وكنت مصاحبا لمعلم مولانا عبد الكريم العجمي فطلع وأطلعني معه في صحبته خسرو باشا المذكور ورأيت على الرخام الابيض كتابة الرحمة نفيسة لا تكاد تظهر الا بتأمل هذين البيتين

الملك لله من يظفر بنيل منى * يرده قسرا ويضمن بعده الدركا
لو كان لي أو لغيري قدر أنملة * فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وكتبه سليم بذلك الخط والقلم ولعمري ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية في البراعة ونهاية في التمكن من الصناعة فيدل على تمكنه ورسوخه في اللسان العربي أيضا لانهما من أعلى طبقات الشعر العربي البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه أيضا مرتبة علية في حسن التمثيل وحسن الاستحضار وفهم الاشعار العربية وذوقه لها وهذا القدر يستكثر على علماء الروم وعلماء العجم المكبين على علوم

الشريف مبارك وتولية الشريف عبد الله بن سعيد فتوقف القاضي في عزل الشريف مبارك اذ ليس له مسوغ شرعي يستند اليه فتغلب عليه الاتراك مع الزام السيد محسن للقاضي بان البلاد قد خربت والطرقات تقطعت والناس قد هلكوا وقالوا له أنت وكيل حضرة مولانا السلطان مع تحقق توجيه الامر للشريف عبد الله بن سعيد بهذه المكاتيب الواردة من المدينة من شيخ الاسلام بالمدينة وغيره فهذه الاشياء توجب العزل فحث السيد محسن حضرة القاضي على العزل وقال القاضي أخشى وقوع فتنة وقتال بمكة المشرفة فتعهد السيد محسن بعدم وقوع ذلك وانه لم يقع ان شاء الله ما يكدر على المسلمين غير انكم احضروا المطربين ولا تقصروا على الشريف عبد الله بن سعيد الا اذا اختفى بيت الشريف مبارك ففعلوا حسب ما أمرهم فذهب السيد محسن وحذر العساكر الاتراك من الحركة وأخبرهم ان الشريف عبد الله قد لبس خلعة الشرافة عند القاضي وها هو قد أقبل ثم دخل بيت الشريف مبارك

*(الولاية الثانية للشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٣٦
وخروج الشريف مبارك من مكة)*

فعلى هذا ارتدى القاضي الشريف عبد الله وخرج من المحكمة على جهة سويقة ولما صعد السيد محسن للشريف مبارك وجده قد أحس بالخبر وتحرك للقتال فثبطه وأرخى كتفه من ذلك وأخبره ان الامر قد تم وان الحركة ليست نافعة فلما تحقق ذلك دخل عليه على عادتهم الجارية وخرج من بيته وتوجه الى بركة ماجن بالطالعية وأقام بها مدة ثم توجه الى اليمن ومدة ولايته هذه خمسة أشهر والاولى سنتان ونصف الجميع ثلاث سنين الا شهرا واحدا تقريبا ولم يقدر الله له عوده الى شرافة مكة واستمر باليمن الى ان توفي سنة ألف ومائة وأربعين رحمه الله تعالى وتولى الشريف عبد الله بن سعيد وتم الامر له وهذه الولاية الثانية للشريف عبد الله بن سعيد وكان جلوسه هذا خامس عشر جمادى الثانية سنة ألف ومائة وست وثلاثين ثم جاءت المراسيم السلطانية بعد أيام قلائل وتوالت مرتبات المكة المشرفة وما حولها من الاطراف متفقا مع السادة الاشراف الى ان اتكثر لهم عنده في ذلك العام مبلغ عظيم من معاليمهم ولم يكن عنده ما يفي لهم بذلك فثاروا عليه ولم تزل المداراة بينهم وبينه عند القاضي ترفع وعظم القيل والقال ثم آل الامر الى القتال في شهر ذي القعدة واقتتلوا بمكة صبح الخامس والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة واستمر الى مضي خمس ساعات وتحصن الشريف عبد الله المذكور في بيته دار السعادة بعد ان فرق عساكره فيما حوله من البيوت والمنائر وكر على المقاتلين له بالرمي بالمدافع والسادة الاشراف متحصنون بدار

العربية فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك وضبطها والقائمون في ذوق الشعر العربي وحسن ادائه من العلماء والموالي
في غاية القلة معدودون منهم ولا يعد هذا نقصا فيهم لأن فهم الشعر العربي على وجهه كما ينبغي قليل أيضا في علماء العرب إلا من توغل
منهم في علم الأدب وتعب في تحصيله ودأب   وقد كانوا إذ ذاك قليلا   وقد صاروا أقل من القليل

﴿ثم لما استولى﴾ السلطان سليم خان على سرير السلطنة وفرغ من دفن والده توجه الى قتال أخيه السلطان أحمد فظفر به سنة
السلطان سليم عسكر أحمد وبقي في عدد قليل فأخذ أسيرا وأتي به أسيرا الى السلطان سليم فأمر بخنقه فخنق وتوفي تاسع صفر سنة تسع
عشرة وتسعمائة ثم فر السلطان قورقود الى كهف جبل وأراد الاختفاء فيه الى مكان ... فعرف مكانه فقبض عليه وجيء
به اليه فخنق وكذلك
السلطان محمد ابن السلطان
شهنشاه والسلطان عثمان
ابن السلطان عالم شاه
والسلطان مصطفى
والسلطان أورخان
والسلطان سليمان أولاد
السلطان محمود وسبعة
أولاد كلهم رضع في المهد
خنقهم في ليلة واحدة في
بورسا فكانت الحمامات
السلاطين كلها وعم سلا
وعم الناعم من سراج
الشكاي ... وبلا
شك فيها حسن الجادة
الخمرة وإذا ... الألوان
ونقش ثيابهن كأنهم
الأزهار ... المسدود
... ألوان أحمر
ثم أسود وأبيض حتى قيل
ثياب الحداد وتعمم
بالأسود وكان أمر الله
قدرا مقدورا وسيف
القضاء إذا انتضى ماضيا
مشهورا
فلا المعزى تبقى بعد ميته
ولا المعزى ولو باتا الى حين

﴿فلما استقر﴾ السلطان سليم الملك وهيأت له أسباب الاستقرار وثبت على تخت السلطنة وآل له الثبات والقرار شرع في تمهيد الممالك
وأخذ الممالك والاستيلاء على الأقاليم والبلدان والسلاطين فبدأ بقتال شاه اسماعيل ابن الشيخ حيدر الصوفي وكان ما ذكره مجملا من قتاله
في هذا الفصل الثاني وأني ما ظفرت بكتاب فيه تفصيل ذلك وإنما تلقيته من أفواه الرجال وأخبرني ثقة من أعيان كتبة الديوان
الشريف على أن السلطان بايزيد رحمه الله تعالى حذره منجم حاذق من أهل عصره أن هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعد ما يولد له
عدة أولاد وكان تحذيره له قبل أن يولد السلطان سليم فطلب أمه ... عنده بين جواريه الموطوآت وهي قابلة لمن تضع
حملها منهن وكانت من الصالحات الخيرات الدينات فقال لها اذا وضعت إحدى الجواري بعد الآن ولدا فاقتليه ولا تبقي ...

الرجعة المعروفة بمنا الشريف يحيى بن بركات وبعض غلامه أكثر من تلك الجهات وأما فرد الخيل
وعرائد الفوارس فهو عاقل بسبب الرمي من المتاريس وأما الآثار فهم في بيوتهم خائفون أن يديهم
عن الفريقين إلا أنهم في آخر الأمر حضروا الى إعانة الشريف عبد الله بن سعيد بعد ان كان بينهم
وبين السادة الأشراف عهود ومواثيق بعدم المعاونة فنقضوا تلك العهود السابقة فلذلك أتاه
حصل له النصر فأخرج الذين أقاموه من التحصن مكسورين بعد ان قتل من الفريقين بعض
أشخاص فتوجهوا جميعا الى طوى وأقاموا ثلاثة أيام لقضاء بعض حوائج من أغراضهم ووصل اليهم
الشريف عبد الله بن سعيد في أثناء تلك الأيام وأخذوا طرفهم مرتبا على حسب آبائهم لم يعادوا
لهم ما أبدى ذلك فقاموا وساروا الى وادي مر قاصدين ملاقاة الوزير عثمان باشا الذي ملوق أمير الحاج
الشامي لعرض واعلامه بحقائق أحوالهم لأنه كان أميرا في الحج ... عدد ... فلما
قابلوا أمير الحج اجتمعوا به وشكوا ما حل بهم اليه فقابلهم بالاجلال والاكرام ووعدهم بقضاء
مطالبهم فلما وصل الى مكة واجتمع الشريف عبد الله أشعره باجتماع السادة الأشراف به وشكايتهم
اليه وأقوالهم ... ثم ... الشريف عبد الله ... عقدا ... من الشرائع ...
ما حصل اليه من الحصر ولا التفات لا ... على ... استقبال الوزير المذكور حتى صار في جانبه
ثم اتفق الشريف مع الوزير المذكور على ان ينقص معاليمهم ... الى قدر الخمس ولأن
وكتبوا بذلك دفترا يحتوي على العشر من مشاهراتهم المعروفة ومقرراتهم المألوفة وأمرهم ... الباشا
بالختم عليه ليرجع عند الاختلاف اليه وقطعت ... ودفع لهم شيئا من مقرراتهم حتى تفرق أولئك
السادة الأشراف في سائر الأطراف وعاقب الشريف عبد الله بعض أهالي مكة ممن كانت له يد
مع أولئك السادة الأشراف

﴿عزل الشيخ محمد الشيبي عن سدانة البيت الحرام سنة ١٢٣٦﴾

فمن جملة ذلك أنه اعتقل فاتح بيت الله الحرام الشيخ محمد بن الشيخ عبد المعطي الشيبي وطوقه
الأدهم وأثبت عليه الذنب المقتضي ذلك وألزمه بدفع مبلغ خطير من المال فسلمه ودفعه اليه ومن
بذلك دمه وفي أثناء الاعتقال عزله عن المنصب وسلمه الى ابن عمه ... بعد ... من الاعتقال
أمره بملازمة بيته ومن جملة ذلك أيضا أنه أغار على شيخ الحديث في عصره العلامة الشيخ سالم ابن
الشيخ عبد الله البصري وألزمه بدفع جسيم من المال عدوانا وظلما وأقامه بالأمر ... حضرة
الوزير ومنعه من الوصول اليه وبث الشكوى اليه ولم يزل يكرر عليه الرسل في دفع المبلغ الذي
طلبه منه حتى باع عقار بيته وكتبه وسلم جميع ذلك وصار على رحل من علماء الأروام يدعى

وإذا وضعت أنثى اتركها تمشي مع بناتي وأكد عليها في ذلك غاية التأكيد فاستمرت على ذلك الى أن ولدت السلطان سليماً والدته فرأته صبياً فحزنت عليه وتناولته القابلة لتخنقه فرأت صورة جميلة فرقت وقالت بأي وجه ألقى الله تعالى في قتل هذا الطفل المعصوم والله لا أقدم على قتله وقالت بايزيد قد حصل له بنت جميلة حسنة الصورة فلما أخبر بذلك سمّاها سليمة واستمر على ذلك والحال مكتوم لا يعلمه غير الله تعالى والقابلة والام وصار كلما ظهر واشتأظهر عليه سمتا الغلبة والشهر واذا اجتمعت البنات وجلس بينهن لطم من الى جانبه وضربه ونهب ما وجد بايديهن من ملعوبات الاطفال وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد في يوم عيد الى داخل السرايا وأمر بالمكان فرش واستدعى (١٨٣) كل واحدة منهن أنواع الحلوى والفواكه وأحضر بينهن السلطان سليم واسمه سليمة فشرع في مد اعتبائه على عادته وخطف ما بين أيديهن من الحلاوى والفواكه وجمع الكل بين يدي نفسه والاكل لما قفات منه طالبات له فتعجب بايزيد لذلك وصار يتأمله جداً وفي أثناء ذلك دار حولهن بعسوب كبير أرادوا مسكه فعجزوا عنه وهو يلسع من يريد مسكه فيهربون منه فقد السلطان سليم يده اليه وهو طائر حوله فصاده بكفه وعرسه وخبصه ورماه من يده فتعجب السلطان بايزيد منه وقال للنساء الواقفات هذا لا يكون بنتاً كشفوا لي عنه فبادرت القابلة وقالت أم هذا صبي وليس ببنت فقال لها وكيف خالفتي أمري وما قلته فقالت خفت من الله رب العالمين وخاصمت ذمتك وذمتي من قتل معصوم لا ذنب له ذكراً كان وبلا اثم قال ما قدر الله فهو كائن لا مفر عنه وأمر بالكف عنه وتربيته الى أن كان ما كان بتقدير الله تعالى ه (الفصل الثاني في قتال شاه اسمعيل واتباعه) ه البلد هو شاه اسمعيل ابن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد ابن الشيخ ابراهيم خواجا علي ابن الشيخ صدر الدين موسى ابن الشيخ صفي الدين بن اسحق الاردبيلي واليه تنسب الاولاد فيقال لهم الصوفيون وكان الشيخ صفي الدين صاحب زاوية في أردبيل وله سلسلة في المشايخ أخذ عن الشيخ زاهد الكيلاني وتنتهي بوسائط الى الامام أحمد الغزالي وتوفي الشيخ صفي الدين في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة وهو أول من ظهر منهم بطريق المشيخة والتصوف وأول من اختار سكن أردبيل وبعد موته جلس في مكانه الشيخ صدر الدين موسى وكانت السلاطين تعتقدفيه وتزوره وممن زاره والتمس بركته تيمورلما عاد من الروم وسأله أن يطلب منه شيئاً فقال أطلب منك

صالح أفندي كان له عند الوزراء مكانة وصيت فلاطفه الى أن اقتنصه ووجهه الى ناحية القنفذة خشية من افساده عليه عند دخوله على هؤلاء العظماء لانه كان له لسان يقوم به المصاقع ويعيي البلغاء البواقع تارة بلغة أبناء جنسه الصريحة وتارة بالعربية الفصيحة وصرح له بانه ورد أمر بنفيه من الدولة العلية وقد كان سابقاً من جملة أعضاده ومن أعاظم أنصاره وأجناده وهكذا كانت صفة الرجلين الاولين معه فرجع عليهم في جميع أفعالهم وأذاقهم مرارة نكاله ومن جملة ذلك أنه أبرز دفتراً يحتوي على أسماء التجار سكان مكة وجدة والواردين من جميع الاقطار بتوزيع مال خطير وجعل المتولي لجمعه حضرة الوزير فكانت هذه السنة من أقسى الاعوام على سكان بلد الله الحرام ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف والحال مستمر في الشدة الى دخول شهر ذي القعدة فوصل والياً على جدة الوزير أبو بكر باشا ثم وصل الى مكة ومنع الشريف عبد الله عن بعض تلك الاشياء وقد كان في شهر رمضان من العام المذكور خرج السيد محسن بن عبد الله بن حسين الى ناحية الشرق ومعه جماعة من أبناء عمه خائفين من الشريف عبد الله المذكور لما حصل عليهم من التنافر مع ان السيد محسناً بمنه نسنم ذروة الملك وسريره وما كان تمام الامر له الا بتدبيره ولما خرج السيد محسن الى نواحي الشرق استقبلته بالاكرام البوادي وأوته الايادي ثم أرسل اليه الشريف عبد الله بن سعيد سرية فوقع بينهم وبينه نوع من القتال ثم صار منهم له ميل فافترق الحال فكثر في تلك النواحي الى أن بلغه وصول أبي بكر باشا فكاتبه ثم كتب السادة الاشراف محضراً لابي بكر باشا فيه خطوطهم وأختامهم وشرحوا له شكايتهم وجميع أحوالهم وأرسلوا ذلك صحبة السيد عون بن محسن والسيد زين العابدين بن ابراهيم فلم ينتج ذلك الا حفظ خاطر أبي بكر باشا وارتجع عما كره من معاونة الشريف عبد الله بن سعيد ان حصل بينهم وبينه قتال ورجع السيد عون والسيد زين العابدين الى الطائف في اليوم السابع والعشرين من محرم الحرام افتتاح سنة ثمانية وثلاثين ومائتين وألف ثم ترددت الرسل بينهم وبين الشريف عبد الله بن سعيد وعرض عليهم الصلح وأن يبذل لهم مقداراً عظيماً من المال لتنصرم ذلك الانفة الواجبة رأيهم على قبول المدفوع فقدم عليهم الطائف وكانوا قد خرجوا من الطائف فقدموا عليه وتم صلحهم معه وفرح بذلك المسلمون ثم ساروا معه الى أن دخلوا مكة كلهم أجمعون وكان ذلك في غاية عشر من شهر ربيع الاول من العام المذكور وكانت هذه الواقعة من أكبر الوقائع على الشريف عبد الله بن سعيد وأعظمها مشقة وتعبا ومظن أحد من أرباب العقول أن تكون عاقبتها على هذا المنوال الا انه استبدل شكر هذه النعمة بالعقاب العنيف لبعض سكان هذا

البلد المتقدم واستمر الحال بين الشريف عبد الله بن سعيد والسادة الأشراف على مثل الحال المتقدم تارة يصالحونه وتارة يقاطعونه إلى انقضاء سنة تسع وثلاثين ومائة وألف وفي أوائل سنة أربعين ومائة وألف خرج إلى الشرق بخيله وعساكره وبني عمه المطيعين له في مصادره وموارده إلى أن وصل إلى محل يقال له القويعية فاستمر هناك إلى جمادى الأولى من السنة المذكورة ثم رجع إلى مكة بعد أن مهد تلك المهامه والوهاد

•(ذكر الرخاء الواقع سنة ١١٤٠ وتعريف قيمة المتخص والأحمر والريال)•

وكانت هذه السنة من أرخى السنين لكثرة الأمطار قال العلامة الرضي في تاريخه اشترينا التمر الهميلي بالذائقة الكيلة بأربعة دوانية ونصف وخمسة دوانية والتمر الصافية بسبعة دوانية والشعير بدوانيتين وتنفس والسمن الرطل بأربعة دوانية والتمر بدواني ونصف والزبيب العماني بأربعة دوانية والفواكه كثيرة جدا رخيصة إلى الغاية وصرف القرش بأربعين دوانيا والأحمر بقرشين والمتخص بأربعة قروش والريال بقرشين وثمن وكان السيد محسن بن عبد الله بن حسين في هذه السنة خرج إلى نجد ووصلت البشارة في أواخر جمادى الثانية بأنه اقتتل مع قبيلة يقال لها مطير على ورود ماء وجمعوا القبائل جموعا كثيرة فنصره الله عليهم واستمرت ولاية الشريف عبد الله إلى خامس عشر ذي القعدة الحرام تمام سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين فكانت مدة هذه الولاية الثانية سبع سنوات وخمسة أشهر وعشرة أيام والأولى كانت مدتها سنة وثلاثة أشهر وعشرة أيام فمجموع مدة الولايتين ثمان سنين وثمانية أشهر وعشرون يوما

•(وفاة الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٣)•

فانتقل إلى رحمة الله بعد أن مرض أياما وكان انتقاله في التاريخ المذكور ودفن بأسفل مكة بوسيلة منه في موضع مقابل لقبر الشيخ محمود بن إبراهيم بن أدهم وبني عليه بناء وتابوت وكان ابنه محمد غائبا في أطراف اليمن أرسله والده ليحافظ تلك الأطراف مع جمع من العساكر والأشراف فاستمر هناك إلى أن دعي بعد وفاة والده للإمارة بمكة وكانت وفاة والده في آخر النهار عصرا كان له طلوع خارج البلاد فأخفي موته إلى آخر الليل وتولى الأمر والتدبير إخوة المتوفى وهم السيد مسعود بن سعيد والسيد مضر بن سعيد والسيد مساعد بن سعيد وغيرهم من بقية الإخوة لكن كان المتقدم على الجميع السيد مسعود بن سعيد لأنه كان أكبرهم فضبطوا البلاد وتداخلوا مع القاضي والعساكر المصرية وبعض السادة الأشراف بدفع جانب من المال على أن يكون المتولي بعد وفاة الشريف عبد الله بن سعيد ابنه الشريف محمد لكونه أكبر من أخيه السيد تقية

أن يطلق كل من أخذه من بلاد الروم أسيرا فأجابه إلى سؤاله وأطلق الأسرى جميعهم فصار أهل الروم يعتقدون الشيخ صدر الدين وجميع المشايخ الأردبيليين من ذريته إلى الآن وحج والده السلطان خواجا علي وزار النبي صلى الله عليه وسلم وتوجه إلى زيارة بيت المقدس وتوفي هناك وقبره معروف في بيت المقدس • وكان ممن يعتقده ميرزا شاه رخ بن تيمور ويعظمه فلما جلس الشيخ جنيد مكان والده في الزاوية بأردبيل كثر مريدوه وأتباعه في أردبيل فتوهم منه صاحب أذربيجان يومئذ وهو السلطان جهان شاه ابن قرا يوسف التركماني من طائفة قراقوينلو فأخرجهم من أردبيل فتوجه الشيخ جنيد مع بعض مريديه إلى ديار بكر وتفرق عنه الباقون وكان من أمراء ديار بكر يومئذ عثمان بك بن علي بك من طائفة آق قوينلو جد (١٨٣) أوزون حسن بك البايندري وهو أول من تسلطن من طائفة آق قوينلو جد أوزون حسن بك وولي سنة وأخذ ممالك فارس من طائفة قراقوينلو وأول سلاطينهم قراقوينلو وآخر سلاطينهم قرا يوسف بن قرا محمد التركماني ومدة سلطنتهم ثلاث وستون سنة وانقرض ملكهم على يد أوزون حسن بك المذكور في شوال سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة • وكان أوزون حسن بك ملكا شجاعا مقداما مظفرا في حروبه ميمونا في دولته وركوبه إلا أنه وقع بينه وبين السلطان محمد ابن السلطان مراد حرب عظيم في بايبورت فانكسر أوزون حسن بك وقتل ولده زينل بك وهرب هو وسلم من القتل وعاد إلى أذربيجان وممالك فارس والعراقين ولما التجأ الشيخ جنيد إلى طائفة آق قوينلو صاهره أوزون حسن بك وزوجه بنته خديجة بيكم فولدت له الشيخ حيدر وبعد ذلك استولى أوزون حسن على البلاد وطرد عنها ملوك قراقوينلو وأضعفهم عاد الشيخ جنيد مع ولده الشيخ حيدر إلى أردبيل وكثر مريدوه وأتباعه وتقوى بأوزون حسن بك لأنه صهره فلما توفي حسن بك المذكور وخلفه السلطان خليل ستة أشهر ثم ولده الثاني السلطان يعقوب فزوج بنته حليمة بيكم من الشيخ حيدر فولدت له شاه إسماعيل في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة وكان على يديه هلاك ملوك العجم طائفة آق قوينلو وقراقوينلو وغيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف مشهور وكان الشيخ جنيد جمع طائفة من مريديه وقصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين في سبيل الله فتوهم منه سلطان شروان أن يخرج إلى قتاله فانكسر الشيخ جنيد وقتل وتفرق مريدوه

ثم اجتمعوا بعده مدة على الشيخ حيدر وسموا له الجهاد والغزاة في حدود كرجستان يجعلوا لهم ما مر من أعواد الشجر وركبوا في كل عود سنانا من حديد وتسلحوا بذلك وألبسهم الشيخ حيدر تاجا أحمر من الجوخ فسماهم الناس قزلباش وهو أول من ألبس الناس التاج الاحمر لاتباعه واجتمع عليه خلق كثير فأرسل شروان شاه الى السلطان يعقوب بن أوزن حسن يخوفه من خروج حيدر على هذه الصفة فأرسل أميرا من أمرائه اسمه سليمان بأربعة آلاف نفر من العسكر وأمره ان يمنعهم من هذا الجمع فما أطاعه فاتفق مع شروان شاه وقاتلاه ومن معه فقتل الشيخ حيدر وأسر أولاده شاه اسمعيل وهو طفل وأسر معه اخوته وجماعته وجاء بهم سليمان بك الى السلطان يعقوب فأرسل (٨٩٤) بهم الى قلعة من قلاع فارس وكان حاكم شيراز من قبل السلطان يعقوب وأمره أن يحبسهم في قلعة اصطخر فحبسهم بها ثم أطلقوا الى أن توفي السلطان يعقوب في سنة ست وتسعين وثمانمائة وتولى بعده السلطان رستم ونازعه في السلطنة اخوته وتفرقت المملكة واستقل في كل قطر واحد من أولاد السلطان يعقوب ثم توفي السلطان رستم وتولى مكانه السلطان مراد بن يعقوب والوقت فيه ... وكان شاه اسمعيل في لاهجان في بيت صانع في بيت يقال له نجم زركر وبلاد لاهجان بها كثير من الفرق الضالة كالرافضة والحرورية والزيدية وغيرهم فتعلم منهم شاه اسمعيل في صغره مذهب الرفض فان آباءه كان شعارهم مذهب السنة السنية وكانوا مطيعين منقادين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظهر الرفض غير شاه اسمعيل وتطلبه من أمراء الوند بك جماعة وطلبوه من سلطان لاهجان فأبى أن يسلمه لهم وأنكر وحلف لهم انه ما هو عندي وزكى في عينه وكان مختفيا في بيت نجم زركر وكان أتباعه مريدو أبيه وجده يعتقدون فيه ويطوفون بالبيت الذي هو ساكن فيه الى ان أراد الله ما أراد وكثرت دواعي الفساد واختلت أحوال البلاد باختلاف السلاطين وكثرة المضادة بين العباد لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فوجد ذلك أتباع شاه اسمعيل فخرج هو ومن معه من لاهجان وأظهر الخروج بثار والده وجده في أواخر سنة خمس وتسعمائة وعمره يومئذ ثلاث عشرة سنة وقصد مملكة شروان لقتال شروان شاه قاتل أبيه وجده وكان ... لا كثر عليه داعية الفساد واجتمع عليه عسكر كثير الى ان وصل الى بلاد شروان فخرج لمقاتلته وانكسر عسكره وأتوا به شاه اسمعيل أسيرا فأمر ان يضعوه في قدر

(ولاية الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٣)

فاجتمعوا عند القاضي بالاوسعة ونادوا باسم الشريف محمد استقلالا وباسم أخيه السيد ... تقية وكالة حفظا لنا ... الصحيح الاول وقد استقامت أحوالهم واستقرت البلاد وأمنت العباد وذهب الرسول لاستدعاء الشريف محمد من اليمن فوصل في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ولبس الملبوس بحضرة الاعيان والعساكر ودعي له على المنابر وكان عمره نحو العشرين سنة ثم أقبلت الجوخ السلطانية ولبس الشريف محمد الخلع العثمانية

(ذكر قيام العامة على العجم سنة ١١٤٤)

وفي سنة أربع وأربعين ومائة وألف ثارت العوام بالمسجد الحرام على طائفة من العجم كانوا مجاورين بمكة لانهم حجوا في سنة ثلاث وأربعين فأقاموا بمكة الى موسم سنة أربع وأربعين وكانوا جماعة معهم ... يترددون على المسجد الحرام للعبادة وانطوى في زعم بعض العامة انهم وضعوا نجاسة بالكعبة المعظمة فثارت فتنة بسبب ذلك لمساعدة العساكر المصرية للعامة ومشت العامة الى قاضي الشرع فهرب من المحكمة والقاضي حسين أغا كتخدا العساكر الانكشارية وسار معه الى أبي بكر باشا الحبشي ... كان قد جاء الى مكة في تلك الايام ثم ذهبت العامة الى مفتي بلد الله الحرام وأخرجوه من بيته وأحضروا أيضا كثيرا من العلماء ذوي الهيئات واجتمعوا عند الوزير أبي بكر باشا وقصد نصب الدعوى والحال أن الخصم غير موجود بل غير معلوم فرأى بعضهم حضرة المفتي في ذلك ... وكلام غليظ وأقوال غير مستقيمة وتعاملوا الى الوزير حتى أخذوا منه أمرا بإخراج العجم من مكة ونهب بيوتهم وأخذوا من القاضي مثله ... وأزعجت مكة بالمنادي بإخراج من بمكة المعظمة من العجم فهو بين منهوب ومقتول وانتهبوا أشياء من بيوتهم ومنعهم منه وعن غيره بعض السادة الاشراف هذا كله والشريف محمد جالس في بيته لم يعترضهم وفي اليوم الثاني اجتمعوا عند حضرة القاضي وطلبوا منه أن يرسل الى الشريف محمد ويأمره بالكتابة على ما بأيديهم من الصكوك فامتنع الشريف محمد من ذلك فطالبوه بأشياء اقتضاها الحال والوقت ووافقهم على ذلك فطالبوا منه بإخراج جميع العجم فخرجوا الى الطائف وجدة وغيرهما وما كانوا آمنين الا حتى همدت القضية ثم ساس الامر مولانا الشريف محمد وتبين ان كان السبب لهذه الفتنة وأتاه ثم أرسل الى من كان منهم بالطائف وغيره وأمرهم بالرجوع الى مكة فرجعوا واضمحلت الفتنة قال الرضي وانما كان هذا التعصب من أراذل الناس والاتراك والاعراب وأهل مكة العارفون لم يكونوا راضين بذلك ثم لم يزل الاتفاق جاريا بين الشريف محمد وعمه الشريف مسعود على أحسن الحالات الى ان

كبير بطبخونه بأكلونه ففعلوا كما أمروا وأكلوه * وكان ذلك أول فتوحاته ثم توجه الى قتال الوندبيك فقاتله وانهزم منه واستولى
على خزائنه وقسمها في عسكره وصار يقتل من ظفر به فلا يذر بها ولا يمسك شيأ من الخزائن بل يفرقها في الحال ثم قاتل مراد بك ابن
السلطان يعقوب فهزمه وأخذ خزائنه وفرقها على عسكره ثم صار لا يتوجه الى بلاد الا يفتحها ويقتل جميع من فيها وينهب جميع
أموالهم ويفرقها الى ان ملك تبريز واذربيجان وبغداد وعراق العرب وعراق العجم وخراسان وكاد أن يدعي الربوبية وكان له
عسكر يأتمرون بأمره وقتل خلقا لا يحصون يزيد على ألف ألف نفس بحيث لا يعهد في الاسلام ولا في الجاهلية ولا في الامم
السابقة من قتل من النفوس ما قتله اسمعيل شاه وقتل عدة من أعاظم العلماء بحيث لم يبق أحدا من أهل العلم
في بلاد العجم وأحرق جميع
كتبهم ومصاحفهم لانها
مصاحف أهل السنة
وكلما مر بقبور المشايخ
نبشها وأخرج عظامهم
وأحرقها واذا قتل أميرا
من الامراء أباح زوجته
وأمواله لشخص آخر
(ومن جملة مضحكاته)
انه جعل كلبا من كلاب
الصيد أميرا ورتب له
ترتيب الامراء من الخدم
والسكواتي والسماط
والتكيلار والاوطاق
والفرش الحرير ونحو ذلك
وجعل له سلاسل الذهب
ومرتبة ومسند الجلوس
عليه كالامراء وسقط
منديل من يده الى البحر
وكان في جبل شاهق
مشرف على البحر المذكور
فرمى نفسه خلف المنديل
من عسكره فوق ألف
نفس تحطموا وتكسروا
وتفرقوا وكانوا يعتقدون
فيه الالوهية وانه

لا ينكسر ولا ينهزم الى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة فلما وصلت أخباره الى السلطان
سليم خان تحركت فيه قوة العصبية الغضبية واقدم على نصر السنة الشريفة السنية وعد هذا القتال من أعظم الجهاد وقصد
ان يمحو من العالم هذه الفتنة وهذا الفساد وينصر مذهب أهل السنة الحنيفية على مذهب أهل البدع والالحاد ويأبى الله
الا ما أراد فتهيأ السلطان بخيله ورجله وعساكره المنصورة ورجاله وتهيأ لقتاله واقدم على جلاده وجداله وهو يجر خميس
العرمرم ويصول بسيف عزمه ويقدم ويتقدم الى أن تلاقى العسكران في قرب تبريز ورتب السلطان عسكره ونزل من عند
الله النصر القريب والفتح العزيز فتجالد الفريقان وتطارد الفرسان وتعانق الشجعان يهدرون كالجمال الفوالج فوق البحور

رمى الله بينه وبين عمه بسهم التفريق وتوحش قلب كل منهما من الآخر ثم جرت بينهما منافرات
ومنابذات نشأ منها عداوة وصدرت في اثناء المدة حادثتان عظيمتان لم يؤلف مثلهما في قديم
الازمان احداهما ان أحد السادة الاشراف آل بركات كان مغاضبا الشريف محمد فأمره الشريف
محمد بالخروج من البلاد فلم يفعل وكان نازلا في بيت السيد عبد العزيز بن زين العابدين بن ابراهيم بن
بركات فكرر عليه الامر بالخروج من البلاد فطلب المهلة الى الليل فأبى أن يعطيه المهلة الى
الليل مع كونه ما دخل مكة بالعلم وجه على القانون الجاري بينهم فلم يكن من مولانا الشريف
محمد الا انه ركب بخيله ورجله وأجناده وأحاط بالبيت الذي كان فيه السيد المذكور وكان بالبيت
أيضا طائفة من السادة الاشراف وحين وصل اليهم أمر برمي الرصاص الى مجلسهم المعتاد فوثبوا
مقاتلين عن أنفسهم ودورهم فأصيب منهم بعض أشخاص ثم انجلت القضية بوصول كبار السادة
الاشراف فلاطفوا الشريف محمدا الى ان رجع الى داره بعد ان أفهموه ان فعله هذا خطأ ثم اجتمعوا
في بيت زعيم منهم للمفاوضة في ذلك وتعيين من ينبغي ان يصدر منهم ثم أجمع الاكثرون على
الفراق واقامة الحرب على ساق وجنح البعض الآخر منهم الى قبول ما يرد عليهم من حضرة الشريف
محمد من الاعتذار الناهضة وسوق ما يكون به تطييب نفوسهم بحيث يحصل به تعويض لكل ملك
عنيف ومنعه من الاقدام على مثل ذلك ويكون ذلك بعد المفاوضة منهم في تعيينه وتحسينه الى
الغاية ثم يذهب جماعة منهم اليه ويعرضونه عليه فان فعل ذلك وانقاد له كان لهم بذلك رفعة وعلو
مقام وكان له مانعا عن الاقدام على مثله مرة أخرى ومانعا لمن يأتي بعده من ولاة هذه الممالك وان
توقف عنه وأباه فهم ناهون من ذلك مطمعه ومرامه وقائلوه بالمباينة والفراق واحكام تدابير الحرب بعد
الاتفاق وكان هذا الرأي نتيجة فكر السيد محسن بن عبد الله بن حسين ثم لما أجمع رأيهم على ذلك
خاضوا في بيان ما ينبغي ان يساق فعرضوا خمسة وعشرين من الخيل الجياد وخمسة وعشرين من
العبيد وستين من الابل مع ركوب مولانا الشريف الى دارهم لاخذ خواطرهم والاعتراف بالخطا
عليهم مع ارسال هذه المعدودات اليهم ففعلوا ذلك وعرضوه عليه فقبله ورضي به وفعل جميع ما قالوه
فقرت الحال وزال الاشكال * والامر الثاني انه بعد ذلك بمدة قليلة فعل مثل ذلك أو ما يقاربه
في بيت السيد عبد المعين بن محمد بن حمود وكان فيه جملة من الاشراف وسبب ذلك ان عبدا للسيد
عبد المعين قتل أحد أولاد الشيخ أبي بكر الحنبلي واختفى العبد في بيت سيده السيد عبد المعين فمر
مولانا الشريف محمد ليلة على بيت السيد عبد المعين فرأى جملة من العبيد مجتمعين على الباب
والعبد القاتل معهم فأمر بالقبض عليه فهرب هو وجماعته الذين كانوا معه ولاذوا بالبيت

الواقع وتصادمت فرسان الزحف والصيال وتصادم أطواد الجبال وصارت نجوم الابطال رجوم البطش والقتال فزلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وظللت المعركة سماء غمامها القسطل وصواعقها بروق البيض من بريق الصيقل ورعودها صليل السيوف في أعناق الجحافل وغيوثها صبيب الدم من أوداج رؤس تحز وتفصل وأحجار المدافع كجلمود صخر حطه السيل من عل الى ان طارت قلوب الاعداء هواء وذهبت قواهم هباء وولوا على أدبارهم ادبارا وانهزم شاه اسمعيل وولى فرارا ولم يجد من دون الله أنصارا وضاقت الارض حتى ان غار جواده ورأى خيرة في ظهر رجلا وقتل ماله جود وأمرائه وساقب العساكر المنصورة العثمانية من

ورائهم وكادوا ان يقبضوا عليه ففر من بين أيديهم وهم ينظرون اليه وترك منحوله في تخت ملكه أثاث مجلسه وكان لا نظير له فاحتواه عسكر السلطان سليم ووطئت حوافر خيله أرض تبريز فدخلها وأمر وقتل من أراد وأمر وأعطى الرعية عام الأمن والأمان وأشرقوا بأعلام أهل الايمان وأخذ من أراد منها من الافاضل المتميزين في الصنائع والفضائل والشعراء الأماثل وساقهم سركنا الى اسطنبول على المقوم وأراد أن يقيم في تبريز للاستيلاء على اقليم العجم والتمكن من تلك البلاد على الوجه الاتم فما أمكنه ذلك لكثرة القحط واستيلاء الغلاء بحيث بيعت العليقة بمائتي درهم وسبب ذلك ان القوافل التي كان أعدها السلطان سليم لأن تتبعه بالميرة والعليق والمؤن تخلفت عنه في محل الاحتياج اليها وما وجدوا في تبريز شيأ من المأكولات والحبوب لأن شاه اسمعيل أمر باحراق أجران الحب والشعير وسبقوه وغير ذلك واضطر السلطان سليم الى العود من تبريز الى بلاد الروم وتركها خالية خاوية على عروشها ثم تفحص عن سبب انقطاع القوافل عنه وأخبر ان سبب ذلك سلطان مصر قانصوه الغوري فانه كان بينه وبين شاه اسمعيل محبة ومودة ومراسلات بحيث انه كان السلطان الغوري يتهم بالرفض في عقيدته بسبب ذلك فلما ظهر للسلطان سليم خان ان الغوري هو الذي أمر بقطع القوافل عنه صمم على قتال السلطان الغوري أولا وبعد الاستيلاء عليه وعلى بلاده يتوجه الى قتال شاه اسمعيل ثانيا فلما استقر عليه ركاب السلطنة الشريفة العثمانية في تخت ملكها الشريف تهيأ لأخذ مصر وازالة دولة الجراكسة وتوجه بعسكره الجرار الى

المذكور فلما أحس سادات بذلك نزلوا مجد بن عبيدهم فوقع القتال بينهم وبين عبيد مولانا الشريف وأوقعوا السلاح في عبيده فرجع الى داره وطلب العساكر ووصل بهم الى قريب من البيت المذكور واجتمع جماعة من الاشراف في بيت السيد عبد المعين لانجاد رفاقهم وكاد ان يقع بينهم وبين مولانا الشريف القتال لكن لما أراد الله اطفاء هذه الفتنة حضر مولانا السيد محسن بن عبد الله بن حسين وجمع جماعة من كبار الاشراف وسهلوا الامر بسهولة وتلطفوا بمولانا الشريف الى ان رجع بعسكره وعبيده الى بيته وسكنت الفتنة في أسرع وقت لكن نفرت قلوب السادة الاشراف منه وانصرفت وجوههم عنه وأقبلوا بكليتهم على عمه السيد مسعود اقبال الوالد الودود على الولد المفقود وشرعوا يبرمون حبال المغزل وينقضون ما أبرمه من الغزل ويتسللون من مكة الى الطائف حتى استتم به عددهم وحصل مقصدهم ثم خرج عمه السيد مسعود لاحقا بهم مدركا لمأموله بينهم وأخرجوا من كان بالطائف من عساكر مولانا الشريف محمد بمجرد الترهيب والتخويف واستقلوا بالطائف ونواحيه وطلبوا من حوله من عربانه وبواديه وصرح منادي عمه الشريف مسعود باسمه ودخلت العربان تحت حكمه وكان ذلك في شهر ربيع الثاني سنة خمس وثمانين ومائة وألف وقد تقدم ان عمه الشريف مسعودا هو الذي أجلسه في منصب الشرافة بعد موت أبيه ثم أكد أساسها ورتب أحكامها وحراسها وصار هو المدبر لجميع الامور ففسد له بعض ذويه وشرع يرمي الفتن بينه وبين ابن أخيه فصارت بينهم المهاجرة والمباينة والمباعدة فمن حين وقوع تلك المهاجرة والمباعدة صار عمه يستميل كبار السادة الاشراف فمال اليه من كل فخذ جانب ثم حدثت القضيتان السابقتان فمال اليه أكثر السادة الاشراف وصاروا معه بغاية الائتلاف الى ان اجتمعوا بالطائف كما تقدم واستمالوا قبائل ثقيف وغيرهم واستمروا بالطائف الى رابع شهر جمادى الاولى ثم نزلوا الى مكة المشرفة على طريق الثنية وأرسلوا قومهم من عقبة كرا وسبب ذلك انهم لما أطالوا الاقامة بالطائف وكان الشريف محمد يسمع باجتماعهم استبطأ قدومهم عليه عين معهم وكان مستعدا لهم بعساكره ففي بعض الايام بعساكره وخيوله وجند على طريق يعرج فلما وصل الى قرن المنازل أقام به ذلك اليوم للاستراحة وهم اذ ذاك بالطائف لم ينتقلوا منه فلما علموا بوصوله الى قرن فتأهبوا للملاقاة وتوجهوا ذلك فلما جلس وتأخر في قرن ولم يصلهم اشتد ان يعقبوه ويتوجهوا الى مكة وجعلوا له أشياء تفهمه انهم ما زالوا ماكثين في الطائف مستعدين له وذلك انهم أوقدوا اشعال النيران وضرب الطبول بالطائف وحواليه وسروا ليلهم على طريق الثنية فلما علم بانحدارهم الاضحى اليوم الثاني وهم في اليوم الثاني قد وصلوا تهامه

وسبقوه الى عرفة فرجع القهقرى بنهاية التعب ومزيد النصب الا انه حال بينه وبين قومه من النازلين على عقبة كرا ثم لما وصل قصدهم الى موضعهم الذى وقفوا فيه للمقاتلة وهو جبل الطائف الكائن على يسار الصاعد الى عرفات وعنده صارت الوقعة بين الفريقين ثم انجلت فى مدة مقدار درجة ساعتين وكانت تلك الوقعة من أشد الوقعات وأعظمها فتكا لانه لم يباشر القتال فيها الا الاشراف بأنفسهم وأما القبائل فقد حال بينهم وبينهم توجه الاشراف ونزولهم عن الخيل الى العساكر ولم يعملوا الا بالرماح والسيوف البواتر والرصاص عليهم من اجناد الشريف محمد كالمطر المتواتر والاشراف لا يتجاوزون المائة الا انهم نعم العصابة والفئة ولم يزالوا كذلك حتى هزموا الشريف محمدا ومن معه ودفعوه عن تلك المعالم وتوجه مهزوما الى ناحية الحسينية وانهارت عساكره ووصلوا الى الشريف مسعود وكانت هذه الوقعة سابع جمادى الاولى سنة خمس وأربعين ومائة وألف

﴿ولاية الشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٤٥ وهى الولاية الاولى فى ٧ جمادى الاولى﴾

فكانت مدة ولاية الشريف محمد سنة وخمسة أشهر واثنى عشر يوما وقتل فى هذه الوقعة أشراف كرام وأصيب آخرون منهم بجروح عظام فممن قتل من الاشراف السيد سالم بن عبد الله بن حسين ابن عبد الله بن حسن بن أبى نمى أخو السيد محسن بن عبد الله بن حسين وكان السيد سالم هذا قد فعل فى هذا اليوم ما أذهل به عقول القوم لانه حمل على العساكر والجنود حملات تنفطر لهن الكبود حتى قال بعض الاشراف كأنهم بشجاعة على بن أبى طالب حتى رأيناه يا شبان من السيد سالم بن عبد الله ولما أحضروه للغسل وجدوا فيه ثمانية عشر ضربة وقتل تحته فرسه المسماة بالجوهرة وهى من الصافنات الجياد المشهورة وبسبب وقوعها استولوا عليه والا فلا قدرة للوصول اليه وحزن عليه أخوه السيد محسن حزنا كثيرا ورثاه الشعراء بقصائد جعلوها تعزية للسيد محسن فمنها قصيدة للفاضل الاديب الشيخ زين العابدين ابن الشيخ محمد سعيد المنوفى يقول فى مطلعها مخاطبا السيد محسن

صبرا أباعون تعز شوابه ٭ من فقد من نزل النعيم ثوى به
صبرا على فقد الكريم أخى الكريم ٭ ابن الكريم الى على أنسابه

وهى طويلة بليغة ذكرها الرضى فى تاريخه وممن قتل فى هذه الواقعة السيد سعيد بن سليمان بن أحمد بن سعيد بن شنبر والسيد بشير بن مبارك بن شنبر وغير هؤلاء الثلاثة والذين أصيبوا بالجراحات الهائلة كثيرون ثم ان الشريف محمدا أقام بالحسينية أياما ذا خلا على بعض الاشراف على قرابتهم

تاخيه حلب فى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وخرج الى قتال قانصوه الغورى بجميع عساكر من الجراكسة وغيرهم وتلاقى العسكران بقرب حلب فى مرج دابق وكان الغورى يتوهم ويخاف على نفسه من ملك الامراء خير بك وجان بردى الغزالى وكانا يكرهانه فى الباطن ويكرههما كذلك فأمرهما ان يتقدما لقتال السلطان سليم وجهاه وعسكرهما جعلا أمامه ووقف الغورى بخواص عسكره الذى يعتمد عليه من الجلبان الذين أراد ان يقدمهم خلف خير بك والغزالى وقصد بذلك ان يقتلا بالبنادق والضربزن فى أول مرة ثم يسلم هو ومن معه وتفطن خير بك والغزالى لذلك وكانا ارسلا الى السلطان سليم وطلبا منه الامان وتوثقا منه ان لا يقتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فأرسل السلطان سليم لهما بالامان وعهد لهما بما يطيب من خاطرهما وان يوليهما مملكة مصر والشام فقبلا ووافقاه على ذلك قبل القتال فلما تلاقى العسكران واضطرمت نيران البنادق فى مرج دابق فر خير بك بمن معه من الميمنة وفر الغزالى بمن معه من الميسرة وبقى السلطان الغورى بمن معه من خواصه وجلبانه فانقلب فانطلقت البنادق والضربزانات فهلك من هلك وهرب من هرب لا يدرى أين سلك وانقلب النهار ليلا مظلما بالدخان وامتلأ وجه الارض لشعب النفط والنيران وعاد الغورى تحت سنابك الخيل وتحاور العدل ظلام الظلم كما صار النهار الليل وذهبت طائفة الجراكسة كأنهم كانوا هباء منثورا وأكلت أشلاء قتلاهم الوحوش والطيور وكانت لم يكونوا شيأ مذكورا وأقبلت رايات اقبال السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء وقد احمرت من اسالة الدماء فطلب أهلها منه الامان والتسليم فاجابهم الى القبول لطفا وكرما فخرجوا الى لقائه بالمصاحف والاعلام وهم يجهرون بالتسبيح والتكبير ويقرؤن وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فقابلهم بالاجلال والاكرام وأفرغ على كواهلهم خلع اللطف والانعام وتصدق أنواع الصدقات الجزيلة على الخاص والعام وحضر صلاة الجمعة وخطب الخطيب باسمه الشريف ودعا له ولآبائه وأسلافه وبالغ فى المدح والتعريف وما زاده الالقاب فخرا وسوددا باطناب ذى مدح واكثار مادح وعندما سمع السلطان سليم الخطيب يقول فى تعريفه خادم الحرمين الشريفين سجد لله شكرا وقال الحمد لله الذى يسر لى أن صرت خادم الحرمين الشريفين وأضمر خيرا جزيلا واحسانا جليلا لاهل الحرمين

المناداة ثم توجه تلقاء اليمن ولم يزل في مسيره الى ان اتصل بالخواه ثم تنكب ذروة سراة بجيلة ثم رجع الى الطائف فتلقته قبائل ثقيف وقابلوه بالتعظيم والتشريف وعرضوا أنفسهم عليه فاستخدم بهم ونال مقصده الاسنى باسلهم فبلغ حضرة الشريف مسعود صاحب مكة وصول الشريف محمد الى الطائف وان قبائل ثقيف قائمون له مرتدفهض وأقبل عليه عن معه من الجنود والاقيا بوادي المثناة بالقرب من الطائف في اليوم الثاني عشر من شعبان سنة ألف ومائة وخمس وأربعين وانحاز الشريف محمد وثقيف الى جبال هناك شاهقة بحيث لم يكن للخيل بها اتصال لوعارة تلك الجبال فتواتر على الشريف مسعود ومن معه الرصاص حتى لم يكن لهم غير التسليم مناص فانهزم

(الولاية الثانية للشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٤٥)

واستقل الشريف محمد بالشرافة وتوجه الشريف مسعود بعد ان أخذ الاجلة على المناد وتوجه الشريف محمد الى مكة فكانت مدة غيبته ثلاثة أشهر وأياما وهي مدة شرافة الشريف مسعود في هذه الولاية ثم استمر الشريف محمد على ولايته الى ان وقعت حادثة غريبة تولد منها مفاسد وأمور تجيبة فكانت سببا لرجوع الشرافة للشريف مسعود وذلك انه في عشرين من ربيع الاول سنة ست وأربعين ومائة وألف طلع سردار الانكشارية المقيمين بمكة حسين أغا الى بستان بأعلى مكة متنزها بأهله وأولاده وخدمه وبعض أجناده فحصل من بعض جماعته فتكة في بعض العساكر المصرية فبلغ ذلك مولانا الشريف محمد فلما سمعت العساكر المصرية بما أصاب صاحبهم جاؤا وأحاطوا بالموضع الذي فيه حسين أغا المذكور وبادروه برمي الرصاص وأذاقوا جماعته حر السلاح وأغاروا على جميع ما في أسفل الدار من النحاس والفراش وغير ذلك وقتلوا له عبدا وخادما وحصانين جيدين فبلغ مولانا الشريف محمد ما صار فركب فورا ليمنع العساكر ويحجز ما بقي من الاثاث فلما وصل الى الموضع قام السردار من محله فرحا بمجيء مولانا الشريف ووقع الطاقة ليخاطبه منها فلما وقف بها أصابته رصاصة من بعض العساكر بعد ما ساعة ثم مات ودفن هو وخادماه في يوم واحد فتوله من قتله فتن عظيمة وتاعب على الخلق جسيمة وذلك ان العساكر المصرية تعصبت وتحزبت واستدعوا من كان منهم ببندر جدة فصاروا جمعا عظيما وتفرقوا في بيوت سويقة وغيرها مما قاربها وسدوا منافذ الازقة واشرعوا متاريس في تلك الدور فأرسل اليهم مولانا الشريف محمد من يكفهم عن ذلك فأجابوا باجوبة سمجة وأصدروا الرقاع الى مصر فيها الاخبار بقضيتهم وان ذلك انما كان عن أمر من الشريف محمد قاصدا به ابادتهم وتدميرهم واستمروا أكثر من شهر على الحال المذكور وليس لهم قدرة على الاقدام على الشريف وقتاله وهو مستقر في داره ولم يزل يعاملهم باللطف وأرسلوا

الشريفين وأظهر الفرح والسرور بلقبه بخادم الحرمين الشريفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو على المنبر وأحسن اليه احسانا كثيرا بعد ذلك وأقام بحلب أياما يسيرة وهو يمهد الملك ويجري أحكام العدالة والسياسة ويحسن الى العرب ثم ارتحل بالجيش المنصور الى الشام فخرج أهل الشام الى اقائه وطلبوا منه الأمن والامان واللطف والرأفة والاطمئنان فأجابهم الى ما سألوه وبسط لهم ما طلبوه وأملوه فقبلوا الارض بين يديه وبالغوا في الدعاء بدوام دولته والثناء عليه فخلع على كل من يستحق التشريف خلع الرضا والاكرام وألبسهم التشاريف الفاخرة كلا بحسب حاله واستحقاقه للانعام ودخل الى الشام بموكبه الشريف الكريم وأقام به تمهيد المملكة برأيه القويم وخطب له الخطباء فخلع عليهم وأكرمهم وأحسن اليهم وقابل الناس بحسن خلائقه ووجه يتهلل سرورا وجبين أغر يتلألأ الارجاء ضياء ونورا وأمر بعمارة تربة الشيخ محي الدين بن عربي رضي الله عنه ورتب عليه أوقافا كثيرة وعمل له مطبخا يطبخ الطعام فيه للفقراء بالشيخ المرحوم ويحصل عليها متولها وناظرا يجمع الريع ويصرفه في جهات الخير وتلك أعظم الآثار في بلاد الشام الى الآن وما أجرى الله تعالى مثل هذا الخير العظيم على يد أحد من الجراكسة ولا من كان قبلهم ولا شك أن روحانية الشيخ رضي الله عنه هي التي جاءت السلطان سليما وطلبت الله نواه الى سلطنته بلاد العرب وحصل له الامداد العظيم بالبركة والنصر والتأييد في حصول ما أمله وطلب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير

ق

• واستمر السلطان سليم خان بأرض الشام الى أن مهد أمورها وضبط حصونها وقصورها ثم توجه الى افتتاح اقليم مصر ورفع البؤس عنها والاصر ولما وصل الى خان يونس قتل فيه الوزير المعظم حسام باشا وكان من أهل الخير وله عمارة في آن ثمور يخرج منها الطعام للمسافرين دائما رحمه الله تعالى واستمر السلطان سليم متوجها الى مصر فوصل الى بلاد غزة ثم عدل منها بمفرده الى زيارة القدس والخليل في نفر قليل بقصد الزيارة فأحسن الى أهل القدس والى أهل خليل الرحمن وعاد الى معسكره وصار كلما مر ببلد أو قرية أو قصبة في طريقه أحسن الى الرعايا وعامل بعين العدل والاحسان الى البرايا وأزال عن الضعفاء ظلم الظالمين ونشر

العادل في العالمين وفر بقية السيوف من الجراكسة الى مصر ورفعوا عليهم الدواداري وجددوا الجنود وعقدوا الالوية والبنود وخرجوا
الى الريدانية بظاهر مصر ونصبوا المدافع الكبار وملؤها بالبارود والاحجار وحشوها بالطلق حتى اذا أقبلت العساكر العثمانية فلما
أخبرهم الجواسيس بذلك عدلوا الى غير ناحية وجاؤا من خلف جبل المقطم من معسكر الجراكسة ورموا بالمدافع والمكاحل
والضربزانات على الجبل واستمرت مدافع الجراكسة مركوزة لمن يأتي من أمام الريدانية فلم تنفع ولا دفعت ثم ان السلطان طومان
باي ومن ثبت معه من أمراء الجراكسة قاتلوا قتالا قويا وأظهر طومان باي شجاعة قوية عرف بها وشهد له المصاف وهو يغوص في
العسكر ويحمل ويعود ويكر ويفر وقتل من وزراء السلطان سليم في ذلك اليوم سنان باشا وأسف السلطان

سليم على شهادته ومن جملة نكته انه قال عند ما أخبروه بموت عساكر الاعداء وقتل سنان باشا أي فائدة في مصر بلا يوسف ويريد النكتة أن يوسف يلقب سنان في عرفهم ثم بعد ان ثبتوا ساعة انكسروا وانهزموا وتشتتوا وتفرقوا وهرب طومان باي الى البحيرة ونزل على شيخ عربان بني حرام عبد الدائم بن بقر ودخل السلطان سليم الى مصر ونزل في ساحلها في الجزيرة الوسطانية وطاف عسكره بالبلد وأمنوا الناس وازالوا عنهم الخوف والبأس ماعدا الجراكسة فانهم اذا ظفروا بهم أتوا بهم الى السلطان سليم خان فيأمر بضرب رقابهم ويرمي جثثهم في بحر النيل وتجمع رؤسهم اكواما بعد اكوام الى ان عفنت الجزيرة بروائح القتلى

وعفونة رؤسهم فانتقل السلطان سليم الى المقياس وأمر ان يبنى له في علوه كوشكا يتباهى به مدة مقامه بمصر هربا من عفونات
الاشلاء والقتلى ٭ ثم ان شيخ العرب عبد الدائم تقرب الى خاطر السلطان سليم خان وسلم اليه السلطان طومان باي أسيرا وأنعم السلطان
سليم على شيخ العرب بالخلع والتشاريف والانعامات السلطانية وحبس طومان باي عنده وأراد ان يكرمه ويجعله نائبا عنه بمصر
اذا رجع منها الى الروم وصار يحضره في مجلس الصحبة ويستخبره عن الامور والاحوال فارجف أهل مصر عن طومان باي انه لم
يقع في الاسر وانما اختفى وانه يجمع عسكرا وينتهز الفرصة وانه شجاع لا يطاق ولا يقدر على مسكه أحد فبلغ السلطان سليم خان
أراجيف الناس ورأى ان الفتنة لا تسكن مادام طومان باي محبوسا فأمر ان يركب على بغلة ويطاف بعسكر اليكجرية ويعتقي

في اثناء تحريضهم الى الشريف مسعود وكان مقيما بخليص وأرسلوا اليه شيأ من المال ليستعين به على جمع
الرجال ففرق المال ثم رحل الى وادي مر وشرع يتألف الاشراف ويجمع البادية من الاطراف
فوصل الى مكة الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بعد مكاتبات كثيرة تصدر منهم اليه وكان يخاطبهم
باللطف مراعاة لخاطر الشريف لعلمه أن ما صدر من عسكره ليس هو مراده ولا هو رأيه ومع ذلك
وصل فوجدت شوكة الاتراك وأرادوا القتال فأعطاهم مهلة ثلاثة أيام بخضوعهم وامتناعه انه يريد
الاصلاح فهمدت نفوسهم فيها فأجلسا به القاضي ومشايخ الاسلام وأهل الحل والابرام من أكابر
الاروام بعد ان حصل الاتفاق بينه وبين الشريف على اصلاح الامر ثم تكلم مع الحاضرين في
تلك القضية واتفقوا على ان كلا من العساكر يكف يده الى أن يصل الجواب من السلطنة
العلية وانه هو يتكفل عليهم بعدم الاعتراض ويتكفل على مولانا الشريف وعساكره بعض كبار
السادة الاشراف وكتب بذلك صكا حافظا للطرفين وأمر حضرة الوزير بالنداء بذلك في المسجد
والبلد الحرام ثم في اليوم الثاني أمر العساكر المصرية بالنزول الى جدة ونزل هو بعدهم فلما وصلت
العساكر الى جدة ارسلوا شيأ من الذخيرة والدراهم للشريف مسعود بوادي مر واظهروا التغلب
على حكام مولانا الشريف الذين بجدة بالترهيب والتخويف واستقلوا بابدروا أحكامه وشرعوا
يشدون الذخائر الى الشريف مسعود المرة بعد المرة ويرسلون اليه الدراهم الصرة بعد الصرة
الى ان استقامت أحواله وقويت آماله فرحل من موضعه ونزل على الحديبية وبرز شريف مكة
الى طوى وجعل فيها خيامه وبنا ومتاريس وأكثر السادة الاشراف مال الى الشريف مسعود لكثرة
ما عنده من النقود وعزم العساكر المصرية على الرجوع الى مكة بناء على أنهم عساكر
السلطان لحفظ البلد الحرام وأخبروا انهم اذا ثارت الحرب بين الشريف محمد والشريف مسعود
يشبون أيضا نار الحرب من داخل البلاد اذا أقبل الشريف مسعود بمن معه من الاجناد فطلب
الشريف محمد ما أضمروه فبعث من البادية والعساكر من يحفظ لهم السبل والمسالك فبلغهم
ذلك وهم في اثناء الطريق نزلوا على الشريف مسعود بالحديبية ثم رحلوا ونزلوا قريبا من مكة
ولما كان اليوم الرابع من جمادى الآخرة ثارت الحرب بين الفريقين واستمرت الى الزوال من
ذلك النهار ثم انهزم الشريف مسعود ومن معه من العساكر المصرية وغيرهم فرجع العساكر الى
بندر جدة ونزل هو ومن معه من الاشراف خارج جدة ثم شرعوا في تدبير أمر آخر وطلبوا من الوزير
أبي بكر باشا أن يلبس الشريف مسعودا ويوليه امارة مكة فامتنع وقال كيف أفعل ذلك وأنتم دعيتم
لقتال الشريف محمد فظفر بكم بعد انقطاع السبل هذه المدة بسببكم وانما يكون هذا بالاستقلال

الى باب زويلة ويصلب فيه ليراه الناس ويصدقوا بانه مات فصلب على باب زويلة لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم ولى القضاة الاربعة على المذاهب الاربعة بمصر وهم قاضي القضاة كمال الدين الطويل ولاه قضاء الشافعية وقاضي القضاة نور الدين علي بن ناصر الطرابلسي الحنفي قاضي الحنفية وقاضي القضاة الدميري المالكي قاضي المالكية وقاضي القضاة شهاب الدين احمد بن النجار الحنبلي قاضي الحنابلة وولى ملك الامراء خاير بك مصر وولى جان بردي الغزالي الشام كما وعدهما بذلك ومهد الامور وسار الى الاسكندرية وعاد الى مصر ثم الى تخت مملكته القسطنطينية العظمى في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان سنة ثلاث وعشرين (١٩٠) وتسعمائة واخذ معه كثيرا من اعيان مصر مركبا الى الروم كلهم وقانونهم ووصل الى تخت ملكه ومقر سلطنته مظفرا منصورا وشكر الله وحمده على نصرته وتأييده وكان عبدا شكورا وافتقد خزائنه فوجدها قد تصرف غالبها لانه كان قد صرف في هذين السفرين وهما السفر الى بلاد قزلباش والسفر الى اقليم مصر خزائن عظيمة مما جمعها اباؤه واسلافه فلما اراد سفرا ثالثا الى بلاد العجم لتتبع بقية طائفة القزلباش رأى ان ما بقي من خزائنه لا يفي بتلك المصارف فأمر ان تجمع في خزائنه ما يجمع له من خراج البلاد فلم يف بالمراد ويأبى الله الا ما اراد

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فظهر في ابطه طلوع سرطان متسع الزاوية وحرمت عليه الاستراحة وكثرت في معالجته حذاق الاطباء وتحيرت في دائه عقول الالباء وعظم الجرح وكبر القرح واتسع الخرق والتهب الحرق وكانت والرمل توضع الجاجة في جرحه فتذوب بحره وشوهدت معاليق اكباده في جوفه من خلف ظهره وانشبت المنية اظفارها فيه فما نفعه التمائم والرقى وفدى بالاموات والارواح قبل الفداء وقال

ولو قبل الفداء لكان يفدى * وان جل المصاب عن التفادي
ولكن المنون لها عيون * تكحل لحظها في الانتقاد
فقل للدهر انت اصبت فالبس * برغم نيلك اثواب الحداد

ونودي غير مرة ولقى ربه ومضى سليم بقلب سليم قادما على الله الكريم الغفور الرحيم واقعده من سرير الملك نجله الوارث السعيد كذلك يورث الله الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وهو الفعال لما يريد * وكانت وفاته رحمه الله تعالى واسكنه غرف الجنان وانزل

ان شاء الله تعالى لاني قد ارسلت الى الدولة العلية ما حصل في هذه القضية وارجو ان يصل الامر السلطاني بالابقاء للشريف مسعود فامتنع الشريف مسعود من قبول هذا الكلام وخرج مضمرا تجديد القتال واما الشريف محمد فانه لما بلغه نزولهم الى جدة ارسل بعض الاشراف الذين كانوا عنده بمكاتبات لصاحب جدة ومكاتبات لبعض الاشراف الذين كانوا مع الشريف مسعود يعرض عليهم مقرراتهم ويعطفهم على المعاد ثم نزل الشريف محمد بنفسه الى جدة بعد خروج الشريف مسعود منها فقابله الباشا بالاكرام والاجلال وسلم للاشراف جميع ما قرر عليه الحال وسعى بعض الاشراف ان يصلح الحال مع الشريف مسعود ويسلم الف احمر علوفة شهرية فقبل ذلك منهم في الظاهر وهو مصر على ما عزم عليه وكان نازلا بقرب جدة ثم سرى بالليل على خيل وركاب ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة وقصد الطائف واخرج من فيه من اجناد الشريف محمد ونهب بيت اغاة العسكر فلما بلغ الشريف محمد دخوله الطائف توجه من جدة الى مكة ثم عين من عساكره جماعة وجعل عليهم اميرا من السادة الاشراف وارسلهم الى الطائف فالتقاهم دون العقبة بمرج فبلغهم ان الشريف مسعودا في غاية القوة فتحصنوا في حصن العبيد براس عقبة يرج واستمروا هناك مدة طويلة لا يقدرون عليه لانحياز ثقيف وغيرهم من العرب اليه ولم يزل هو وهم على هذا الحال لم يقع بينهم قتال والشريف محمد مقيم بمكة ثم اقبل الشريف مسعود بشرذمة من الخيل وقبائل ثقيف ونزل بها الى مكة المشرفة فخرج اليه الشريف محمد بعساكره العثمانية وتقاتلا صبح اليوم السابع من رمضان من السنة المذكورة واستمر القتال بينهم ساعة من النهار ثم حمل الشريف مسعود ومن معه حملة واحدة على الشريف محمد واجناده فهزموهم ودخل الشريف مسعود مكة وتوجه الشريف محمد الى الحسينية

﴿الولاية الثانية للشريف مسعود سنة ١١٤٦﴾

وكانت مدة ولايته الثانية سنة وثمانية عشر يوما وهذه الولاية الثانية للشريف مسعود وكان دخوله مكة يوم الخميس السابع من شهر رمضان سنة الف ومائة وست واربعين فأمن البلاد والعباد وانتظمت دولته وبعد دخوله بيومين قتل بعض اخوانه رجلا مغربيا ينتسب للعلم الا انه كان مسلوب الاختيار يجالس السادة في اللبس والمشية وكان له بالشريف محمد محبة واتصال لما توهم فيه من العلوم الغريبة كالضربيات والطلسمات وما اشبه ذلك مما يستعين به على دفع الشريف مسعود ولاحق في الواقعة التي صارت باسفل مكة وانهزم فيها الشريف مسعود انه حضرها هذا الرجل وكان يقابل الشريف مسعودا وقومه ويقرأ بعض الاشياء ويرمي نحوهم بالحجارة

عليه شآبيب المغفرة والرضوان في سنة ست وعشرين وتسعمائة ﴿الفصل الثالث في عمارة المرحوم السلطان سليم خان في الحرم الشريف وبعض احسانه الى أهل الحرمين الشريفين في أيام سلطنته﴾ كان رحمه الله تعالى كوالده المرحوم كثير المحبة لاهل الحرمين الشريفين حسن الالتفات اليهم كثير الاحسان والعطف عليهم وضاعف الصدقة الرومية التي كان يجهزها لهم والده المرحوم وكان من قام بالدعاء منهم [illegible] بحسن اتباعه أهل [illegible] وصلت [illegible] الرومية [illegible] ما هو رعده المرحوم لأهل الحرمين في أول سلطنته [illegible] عشر وتسعمائة [illegible] جماعة من أهل مكة منهم الخطيب محيي الدين العراقي فحصل لهم انعام (١٦٦) جزيل وخير جليل وتسلسله في دفتر الصرمانة دينارا ذهبا وفرح بمن قدم عليه من المجاورين وأنعم على كل منهم وكان يرسل الصدقات الرومية في كل سنة فلما افتتح مصر وجد بها من قضاة مكة قاضي القضاة صلاح الدين محمد بن أبي السعود بن ابراهيم بن ظهيرة وكان السلطان الغوري حبسه بمصر من غير ذنب بل للطمع والمصادرة وسافر به من مصر الى مرج دابق أخرج كل من في حبسه من أرباب الجرائم الا القاضي صلاح الدين فانه أبقاه في الحبس فلما انكسر وقتل في مرج دابق أخرجه السلطان طومان باي من الحبس فلما دخل السلطان سليم الى مصر جاء اليه القاضي صلاح الدين فأكرمه وعظمه وخلع عليه وأحسن اليه وجهزه الى مكة معززا مكرما وكان بمصر جماعة من المجاورين أحسن اليهم كلهم وأكرمهم وولى أمانة جدة لتابعه الخواجا قاسم الشرواني وكان مقيما بمكة ثم سافر الى مصر فصادف دخول السلطان سليم الى مصر فخدمه وتقرب الى خاطره الشريف فأرسله الى مكة أمينا في بندر جدة أميرا عليها فوصل اليها وتمكن من البندر وأرسل السلطان سليم من امرائه الى مكة الامير مصلح الدين بك بالصدقات الرومية وبكسوة الكعبة الشريفة وبالمحمل الشريف الرومي فوصل في صحبة أمير الحاج المصري المقر العلائي بالمحمل الشريف المصري على المعتاد وبرز شريف مكة يومئذ السيد بركات لملاقاة المحملين الى سبيل الجوخي هو وولده سيدنا ومولانا السيد الشريف جمال الدين محمد أبو نمي أطال الله تعالى عمره الشريف ولبس الخلعة الشريفة السلطانية وسار أمام المحملين المصري والرومي بأعلامهما وطبولهما واستمرا في هذا الموكب الى أن فارقا المحملين وأمير الحاج والامير مصلح

والرمل الى ان انهزم وانصار له جماعة عند الشريف محمد ثم لم يزل يتظاهر بذلك ويتبجح به في قتل ابيه ولما دخل الشريف مسعود الطائف واستمر تلك المدة الطويلة من غير سبب مع توافر الجنود من البادية عنده نسبوا ذلك التعطيل الى هذا المغربي وكل هذه الامور كانت ترفع للشريف مسعود في مراسلات خواصه ثم لما كان قضاء الله لا مرد له مشى ذلك المغربي بنفسه الى الطائف ليكون عنده برأي من الشريف مسعود فلما وصل الى الطائف ذهب الى الشريف مسعود بنفسه ولم يكن الشريف مسعود يعرفه فعرفوه به فقبض عليه وحبسه واهانه وأمر جميع الخدم ان يبولوا عليه ليبطل سحره الذي معه ثم بعد ذلك مع قضاء الله توفرت دواعي المسير معه على صاحبه بمكة المشرفة فكأنما انشط من عقال ولما توجه الى مكة كان ذلك المغربي معه في السلاسل والاغلال واوهمه بانه ان صار لنا انتصار عفونا عنك وان لم يصر لنا انتصار أهلكناك فقال هكذا يكون فحصل له النصر بحمد الله فلما وصل الى مكة وضعه بعض الخدم في الحبس الى أن يطلبه مولانا الشريف مسعود ويتم عليه وبطانته كلاعدة فحدثت منه حادثة أوجبت القتل بعد ورود الاطلاع مولانا الشريف مسعود وهو انه هرب من الحبس ولجأ الى بعض بيوت السادة الاشراف آل زيد فقتله أخ لمولانا الشريف مسعود فقتل به وكانت هي القاضية ودفن بالمعلى في مقبرة الشيخ محمد ابن سليمان ثم بعد استقرار الامر للشريف مسعود حصل تنافر بينه وبين السيد محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي زعيم الاشراف في ذلك الوقت ورئيسهم فتوجه السيد محسن الى الابواب السلطانية صحبة الوزير سليمان باشا ابن العظم أمير الحاج الشامي ووعده بان يتم له أمر شرافة مكة فلما حط رحله بالشام عرض لمزاجه بعض الاسقام ولم يزل يتزايد به ذلك الالم الى ان دعاه الحق الى جواره جنابه فتوفي بالشام سنة سبع وأربعين ومائة وألف في السادس والعشرين من صفر من السنة المذكورة ودفن بجانب قبر الشريف يحيى بن بركات رحمهما الله تعالى

﴿عدد أولاد السيد محسن بن عبد الله جد سادات آل محسن ووفاته بالشام سنة ١١٤٧﴾

واعقب من الاولاد السيد عونا والسيد أحمد والسيد حسنا والسيد عبد الله ورثاه بعض الشعراء بقصائد منهم الشيخ تاج الدين المنوفي ومطلع قصيدته

رحمة الله لم تزل تتوالى • وبلها دائما بأوفى الزياده
فوق رمس به لقد حل ولي • أشرف كان عقد جيد السياده
محسن الاسم وهو في الوصف بر • حسن سير المكارم عاده

الى ان قال في البيت الاخير وفيه التاريخ

وأوتاريخه بقوله ذي • نال بالشام شوسن للشهاده

وأما الشريف محمد بعد انهزامه فانه صار يتنقل في أماكن كثيرة الى أن صار مستقره بغلبص سنة ألف ومائة واحدى وخمسين وحصل له تعب شديد ووعده قبائل حرب بالقيام معه والنصرة له ولم يقع منهم شيء من ذلك ثم اجتمع بأمير الحج الشامي الوزير سليمان باشا ابن العظم وحاوله هو وكبار حرب أن يوليه الشرافة فامتنع الوزير المذكور ثم لما وصل الى مكة توسط بينه وبين عمه الشريف مسعود بالصلح حتى أصلح بينهما على شروط وأخذ من كل منهما مواثيق وعهودا وجاء الشريف محمد الى مكة فقابله عمه مسعود بالاعزاز والاكرام وتقرر بكل ماله ولجميع الخدم واستمرا على الاخوة والصفاء وفي سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف حصل بمكة سيل عظيم ملأ المسجد الحرام الى باب الكعبة واتفق انه كان حصوله يوم الجمعة فلم يحصل للخطيب طريق الى المنبر فخطب في دكة شيخ الحرم التي في باب الزيادة وصلى الجمعة ومعه خمسة أنفار وفي سنة خمس وخمسين ومائة وألف بعث مولانا الشريف مسعود عساكر وعربانا من السادة الاشراف لقتال الاشراف ذوي حسن المقيمين بالشاقتين بطريق اليمن وهم ينتسبون الى الحسن بن عجلان بن رميثة فيجتمع نسبهم مع الاشراف آل أبي نمي في الحسن بن عجلان المذكور فهؤلاء الاشراف ذوو حسن سكنوا في أطراف اليمن بالشاقتين وأقاموا هناك حتى صاروا اعدادا كثيرا وملكوا أماكن كثيرة ومزارع وتصرفوا في الاعراب المجاورين لهم ونفذ أمرهم فيهم وانقادوا لهم وصار لهم هناك شأن عظيم وهم بطون كثيرة فحدثت منهم أمور هائلة من القتل والنهب وقطع الطريق فشمر مولانا الشريف مسعود ذيل الهمة وجهز عليهم جيشا من العسكر والاشراف وقبائل آخرين وجعل أمير هذا الجيش ومدبر أمرهم ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد المتقدم ذكر صلحه مع عمه الشريف مسعود بعد ما كان بينه وبينه من الحروب الشديدة فسار عليهم بذلك الجيش الى منازلهم على مسافة خمسة أيام عن مكة فلما قرب منهم ارتحلوا من منازلهم وقصدوا مواضع حصينة ففر هم في تلك المواضع التي تحصنوا فيها وأخذ ما تقدم من نعمهم وأثاثهم وظفر عن دله على دفائنهم من الحبوب والادباش والقناطير والاموال فأمر العساكر باخذها والانتفاع بها ولم يزل محاصرا لهم فلما اشتد عليهم الحال فروا في ليلة من الليالي الى جبال بني سليم فلحقهم الشريف محمد ومن معه بتلك الجبال وحصرهم ثم كان نتيجة هذا الحصار ان قبض على شيخهم عساف وابنه وجماعة من كبارهم وبعثهم الى الشريف مسعود وأقامهم بالسجن حتى ماتوا بالجدري ودخل بقية جماعتهم تحت الطاعة فأمنهم فرجعوا الى منازلهم واستقامت أحوالهم وفي سنة سبع وخمسين ومائة وألف كان تاريخ الرضى حصل بمن نادر شاه طهمان

الدين من عند باب السلام وأدخل المحملان الى الحرم الشريف ووضعا عن يمين مدرسة الاشرف قايتباي ونزل أمير الحاج المصري في مجمع البرقية على يمين الخارج من باب الصفا وهو رباط صاحب بلدة كلبركة من ملوك الركن وقد هدمت الآن في ذلك الجانب من البيوت والمدارس الملاصقة لجدر الحرم الشريف توسيعا لطريق السيل ودفعا لضرر دخوله الى المسجد الحرام من ذلك الجانب اذا تراكم السيل وكان هدمها بالامر الشريف السلطاني في سنة أربع وثمانين وتسعمائة وفرقت الصدقة الرومية في يوم الجمعة لاربع مضين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة في الحرم الشريف على الفقهاء وقرر لجماعة من المجاورين لكل واحد مائة ذهب منهم مولانا نور الدين حمزة بن القاضي مصلح القرماني ومولانا زين الدين علي القرماني وغيرهما مولانا السيد الشريف أبي نمي أنالة الله الى عمه الشريف خمسمائة دينار ذهبا في أول دفعة الصدقات باقية الى الآن باسم الشريف فتقبض له في كل عام وفرقت بعد هذا الذخيرة وهي صدقة كانت تجهز من خزينة مصر من قبل ملوك الجراكسة أبقاها السلطان سليم على حالها وأجراها في كل عام من خزينة مصر تفرق على فقراء الحرمين الشريفين وعلى مشايخ العرب أرباب الدرك في طريق الحج وهي باقية الى الآن وفرقت الصدقات المصرية التي تجمع من أوقاف الحرمين بمصر وتجهز الى الحرمين الشريفين ويقال لها الصر الحكمي وهو باق الى الآن وان تضعضع وصار يصرف على حكم الربع والخمس لضعف الاوقاف المصرية واستيلاء الاكلة عليها ودخول الظلمة فيها أحياها الله من أحياها وأعلى حياة من عمرها وعمّاها وبعد الفراغ من توزيع سلطان الصدقات قرئت ختمة شريفة في الحطيم الشريف حضرها الامراء والقضاة والفقهاء والاعيان باسم السلطان سليم وأهدى الى صحائفه الشريفة ثوابها وقرر الامير مصلح الدين ثلاثين نفرا يقرأ كل واحد منهم جزأ شريفا فيقرأ ثلاثين جزأ في كل يوم فتكمل بهم ختمة كاملة في كل يوم ويهدى ثواب ذلك الى السلطان سليم خان وقرر لهم مفرقا للاجزاء وداعيا وحافظا للاجزاء وجعل لكل واحد منهم اثني عشر دينارا ذهبا في دفتر الصدقات الرومية تصل اليهم في كل عام ثم جمع طائفة من الفقراء أعطى لكل نفر ثلاثة دنانير ذهبا أسماها المفرقة وكتب أسماءهم في الدفتر ثم كتب بيوت فقهاء مكة المشرفة وكتب أسامي من في ذلك البيت وعين لكل نفر منهم ثلاثة

دنانير ذهبا والحق ذلك في دفتر الرومية ومعناها البيوت وهي باقية الى الآن ثم كثر عليه الفقهاء فجمعهم في حوش كبير وأعطى لكل واحد دينارين ذهبا وسماهم العامة وكتب أسماءهم وألحقهم بالدفتر وهذا الترتيب كله باق الى الآن وثوابه لمن أسس فعل الخيرات جار في صحائف حسناته الى يوم القيامة ثم خطب الخطيب شرف الدين يحيى النويري خطبة الترويه في سابع ذي الحجة وفي ظهر اليوم الثامن توجه الناس الى عرفات وتوجه الامير مصلح الدين بالمحمل الرومي وتوجه المقر بالمحمل المصري الى عرفات وصلوا في يوم التاسع صلاة الظهر والعصر جمعا بهما بعد الزوال بعد أن خطب الخطيب في مسجد نمرة ثم شرعوا في الوقوف في ذيل جبل الرحمة وخطب قاضي القضاة صلاح الدين بن ظهيرة امام الموقف الشريف خطبة عرفة ووقف بين يديه (١٩٣) الامير مصلح الدين بالمحمل الرومي وأمير الحاج المصري بالمحمل المصري ولم يصل في ذلك العام المحمل الشامي ودعا الخطيب للسلطان سليم خان وكذلك سائر الحجاج وأفاض الناس حين أفاض الامام وكانت الوقفة الشريفة يوم الاربعاء المبارك وباتوا بالمزدلفة ثم أفاضوا بعد فجر يوم النحر الى منى ونزل شيخ الكعبة من منى في يوم النحر ونزل معه الامير مصلح الدين لاتمام بعض الاوامر السلطانية وانفاذها ولايصال الخير والاحسان الى الفقراء واستجلاب الدعاء من الصلحاء بنصرة السلطان سليم خان ودوام سلطنته وفي ليلة الجمعة في أواخر شهر ذي الحجة الحرام طلب بعض الاولياء الصالحين والعلماء العاملين منهم مولانا الشيخ عبد الكبير ابن الشيخ يونس الحضرمي والشيخ عبد القادر باكثير الحضرمي وشيخنا الشيخ محمد

ابن عبد الرحمن الحطاب المالكي وولده شيخنا الشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحطاب المالكي والشيخ أيوب الازهري وجماعة من العلماء وأحضر لهم دواب وركبوها الى التنعيم عند مساجد السيدة عائشة رضي الله عنها وركب معهم وأشار عليهم ان يعتمروا عن والدة السلطان سليم خان فأحرم كل واحد منهم بالعمرة عن المرحومة والى عنها وعادوا الى الكعبة الشريفة فطافوا ثم سعوا وحلقوا وأهدوا ثواب تلك العمرة الى صحائفها ثم أحسن اليهم ورتب لهم الامير في دفتر الصدقات فدعوا الله للمرحومة ولولدها السلطان سليم خان رحمهم الله تعالى ثم وصل من بندر السويس الى بندر جدة عشرة أسفان مشحونة فيها حبوب الصدقات السلطانية لاهل الحرمين الشريفين جهزها ملك الامراء خيربك نائب السلطنة الشريفة بمصر بأمر السلطان

سلطان العجم وخرج على كثير من ممالك الدولة العلية بالعراق واستولى عليها وأرسل الى مولانا الشريف مسعود صاحب مكة يقول فيه انه حصل الوفاق والاتفاق بيننا وبين الدولة العثمانية على اظهار المذهب الجعفري وان يصلي امام خامس في جميع الاوقات في كل الجهات ويصلي الصلوات الخمس بلا معارضة وأن يدعى لنا على المنابر والمقام كما يدعى للدولة العلية في جميع ممالك الاسلام فواصلكم امام مذهبنا السيد نصر الله فدعوه يصلي بالناس صلاة خاصة بالمسجد الحرام وجعل في كتابه شيأ من التهديد والترهيب فحصل لمولانا الشريف كرب عظيم من هذا الامر وكذا أهالي مكة حتى انزعج سكان أم القرى مما طلبه من اظهار مذهب الرافضة مع ان جميع ما ذكره من الاتفاق زور وبهتان على دولة آل عثمان أدامها الله تعالى واستحسن مولانا الشريف أن يرسل صورة الكتاب للدولة العلية ويستمهل الرسول مدة الذهاب والاياب وأن يعامل الرسول بالملاطفة والاكرام ولم يرض الوزير أبو بكر باشا صاحب جدة بهذا الرأي بل قال لابد من قتل هذا الرسول فأبى مولانا الشريف أن يسلم الرسول للقتل وقال لابد أولا من انهاء الامر الى الباب العالي فأغلظ عليه بكير باشا وتعصب واتهم الشريف بانه اعتقد هذا المذهب فخشي الشريف أن يرميه عند الدولة بهذا الاعتقاد

(سبب لعن الرافضة في المنبر والمقام سنة ١١٥٥)

فأمر لدفع التهمة ان يجهروا على المنبر والمقام بلعن الرافضة وأهل البدع اللئام فزال عن خواطرهم ذلك الاتهام فجاء الامر من الدولة العلية بتكذيب ما ذكره شاه العجم وطلبوا ذلك الرسول وهو السيد نصر الله ليحضر الى الباب العالي فتوجه صحبة أمير الحاج الشامي أسعد باشا في ذلك العام وهذه القضية هي أصل التصريح باللعن في المنبر والمقام ثم جهزت الدولة العلية جيوشا لقتال شاه العجم وهزموه هزيمة شنيعة واسترجعوا ما استولى عليه من الممالك والقصة شهيرة ومذكورة بالبسط في التواريخ ومما كان في دولة مولانا الشريف مسعود انه منع الناس من التظاهر بشرب الدخان فرفع من القهاوي والاسواق وصار حاكمه يقبض على من يراه عنده من الاخلاق فقيل انه كان يعتقد فيه التحريم وقيل ان فعله هذا لا ينشأ عن تحريم ولا تحليل وانما لما تظاهر الناس بشربه في الشوارع وتعاطاه الاراذل والاسافل ولا يرفعونه اذا مر عليهم شريف أو عالم أو فاضل فأمر بعدم التظاهر بشربه لذلك وللعلماء في الدخان أقاويل بين تحريم واباحة وتحليل ويلزم القائلين بالتحريم تفسيق المسلمين بالتعميم حيث كانوا ما بين شارب أو في بيته من يشربه أو مشاهد فلا تخرج أحد من الثلاث عن واحد فحينئذ لا يوجد في المسلمين عدل خصوصا والعدالة شرط في شهود النكاح ويترتب على هذا ان الانكحة على بعض المذاهب سفاح وهذا حرج عظيم وخطب جسيم مع أن الاتفاق

سابهم وهى سبعة آلاف اردب منها ألفا اردب لاهل المدينة وخمسة آلاف اردب لاهل مكة ووصل الامر الشريف السلطانى أن
يوزع ذلك الامير مصلح الدين خاص فى الحرم وطلب قاضى القضاة شيخ الاسلام مولانا القاضى صلاح الدين بن ظهيرة الشافعى
والقضاة الثلاثة الحنفى والمالكى والحنبلى ونائب جدة الامير قاسم الشروانى وبقية الفقراء والاعيان وقرأ عليهم المرسوم السلطانى
واستشارهم فى توزيع ذلك فذكروا له أنه لابد من عرض ذلك على شريف مكة سيدنا ومولانا الشريف بركات وأخذ رأيه فى ذلك
فأرسل اليه ساعيا وكتبوا له صورة الامر الشريف السلطانى واستدعوا رأيه العالى فى ذلك فكتب اليهم الجواب بالمبادرة الى
امتثال الامر الشريف وتوزيع ما وصل من حب (٩٠١) الصدقة الشريفة على المستحقين بحسب اتفاق الامراء من أعيان أهل
الحرم فاجتمعوا ثانيا بعد
وصول الجواب واتفق رأيهم
على بيع بعض ذلك الحب
ليصرف فى نقله من جدة
الى مكة وأن يكتب أسامى
الناس على العموم
ويصرف الى كل واحد
ما يخصه من الحب وما
يخصه من ثمن ما باعوه
بعد استيفاء المصارف
وأمر شيخ الاسلام
الصلاحى أن يشترك فى
دفتر ذلك ورقم أسامى
الناس الشيخ رضى الدين
المناوى الشاهد العدل
كبير الشهود العدول فى
باب السلام المكى فكتب
بيوت كل محلة وكتب ما فى
كل بيت من أعداد الانفار
رجالا ونساء وأطفالا وخدما
ما عدا التجار والسوقة
والعسكر فكانوا اثنى عشر
ألف نفر فخص كل نفر
رباعى بكيل الربع الكبير
الذى هو أربع كيل من
أربعة وعشرين قدحا
بالكيل المصرى المستمر
الآن وأن يدفع مع ذلك
لكل نفر دينار ذهب فوزع ذلك جميعه على هذا الوجه ثم جعل لكل واحد من القضاة الاربع ثلاثة أرادب وزيد فى اعطاء الناس
بعض البيوت بحسب الاعتناء بشأن كبير البيت وهذا أول صدقات الحب الشريف السلطانى واستمر الى الآن وزيد على ما كان
بحيث صار فقراء مكة والمجاورون يتعيشون بوصول هذا الحب اليهم الى جميع السنة أو أكثرها ولو فقد ذلك والعياذ بالله هلكوا
وكذلك يرتفقون بالصدقات الرومية وغيرها مما كان سببه الانعام عليهم سلاطين آل عثمان نصرهم الله تعالى وخلد ملكهم
السعيد وطوق بقلائد احسانهم خدام الدعاء لهم من الاحرار والعبيد أقامت فى الرقاب لهم أياد هم الاطواق والناس الحمام
فيجب على كافة المسلمين عموما وعلى أهل الحرمين الشريفين خصوصا الدعاء بدوام سلطنة آل عثمان خلد الله سلطنتهم مدى الزمان

بالتحريم لاستنادهم بصريح من الكتاب والسنة واعتقاد ذلك بعض الاقيسة المحتملة مع أن البلوى به
عامة بين الاشراف والعلماء والعامة وبعض العلماء توقف عن الافتاء فيه بتحريم أو تحليل وكتب
فى جواب سؤال سئل فيه عنه بقول الله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال
وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وكان أول ظهور
شجرة الدخان سنة تسع وتسعين وتسعمائة وقد أرخ ذلك بعض الفضلاء بقوله

يا خليلى عن الدخان أجبنى • هل له فى كتابنا إيماء
قلت ما فرط الكتاب بشئ • ثم أرخت يوم تأتى السماء

٥٧ ١١ ٨ ١٣٢ ٩٩٩

ومما كان من الحوادث أيضا فى دولة الشريف مسعود انه نادى على جميع الفقراء من جميع الاجناس
بالتوجه الى بلدانهم وأمر بتكرير ذلك النداء وأغلظ فى العقوبة على من أهمل ذلك وسبب ذلك كثرة
الفقراء بمكة حتى انتشروا وهذا ركنى فقطعوا بذلك عن أهلها الحسى وصاروا يتعاطون بيع الاقوات
واستولوا على أغلب ما فى الدوائر السلطانية من المرتبات فتوجه بعد ندائه هذا خلق كثير وكان
الامر بذلك سنة ست وأربعين ومائة وألف وكذلك المنع من شرب التنباك وفى سنة سبع وخمسين
ومائة وألف أرسل مولانا الشريف ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد بجيش يغزو بنى
[illegible] فصبحهم وأخذ ما وجد عندهم من المواشى رالهم وقتل جماعة منهم وما سلم الا من تحصن
برؤس الجبال ثم دخلوا الى الطائف ورجع الشريف محمد ومن معه سالمين وفى سنة ثمان وخمسين
ومائة وألف غزا مولانا الشريف مسعود بنفسه قبائل عضل حوالى الليث لقطعهم الطريق
وكثرة فسادهم فأغار عليهم وأخذ منهم أخذا وبيلا وكان ذلك فى شهر صفر وفى شهر رمضان من
السنة المذكورة جهز جيشا عظيما على قبائل البقوم وجعل الامير على ذلك الجيش أخاه الشريف
مساعد بن سعيد فغزاهم وسفح جبل حضن وأنزل عليهم البلاء والمحن ونهب أموالهم وقتل كثيرا
منهم وربط آخرين ورجع سالما هو ومن معه وفى سنة تسع وخمسين ومائة وألف حصل مطر عظيم
على أيام منى والناس بها وحصل من ذلك المطر سيل عظيم ذهب بجانب من الحاج وأموال كثيرة
وكان ذلك آخر الليل وأظلمت الدنيا حتى لم ير الانسان من بجانبه وأصبح الناس نادرين الى مكة وهم فى
غاية التعب والمشقة وعدوا نحو [illegible] أشخاص ذكور واناث وأطفال قد طمهم السيل وفى سنة ستين ومائة
وألف حصل اشتباه فى هلال عيد رمضان ثم أثبت بالطريق الشرعى صبح ذلك اليوم فذهب
الخطيب للصلاة وصلى بالناس العيد وانقطع بذلك ما كان معتادا من جلوس مولانا الشريف

كانت دولتهم الشريفة هي عماد الاسلام واحسانهم متواصل الى كافة الانام سيما جيران بلد الله الحرام وجيران نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فانهم فازوا بالانعامات الوافرة في أيام هذه الدولة الزاهرة ونالوا من الصدقات المتكاثرة في نوبة هذه السلطنة القاهرة ما لم يتصور وقوعه من الدول الماضية الغابرة والله تعالى يديم علينا سلطانهم كما دام علينا برهم واحسانهم

﴿ومما جدده الامير مصلح الدين﴾ المذكور بناء مقام الحنفية وانه كان سقفا على أربعة أعمدة في صدره محراب عمل سنة احدى وثمانمائة فأراد أن يوسعه ويجعله قبة فأمر بعقد مجلس حضر فيه القضاة الاربعة والائمة وأعيان الاعيان وقال لهم ان الامام الاعظم أبا حنيفة روّح الله تعالى روحه الشريف بروائح الروح والريحان والرحمة والرأفة والرضوان جدير بأن يكون له في هذا المسجد الحرام مقام يجتمع فيه أهل مذهبه ومقلدوه يكون أوسع من هذا المقام وقد ذكر بعض العلماء انه لا شك في سعة نظر كل واحد من الائمة رضوان الله عليهم أجمعين غير أن تعدد المقامات في مسجد واحد لاستقلال كل مذهب بامام ما أجازه كثير من العلماء وان تعدد هذه المقامات في وقت حدوثه أنكره العلماء غاية الانكار في ذلك الزمن وألفوا في ذلك العصر رسالات متعددة باقية بأيدي الناس الى الآن وان علماء مصر أفتوا بعدم جواز ذلك وشنعوا على من قال بجوازه ثم انقضى المجلس على غير اتفاق • ثم ذكر القاضي بديع الزمان بن الضياء الحنفي ان جده القاضي أبا البقاء ابن الضياء أفتى بجواز ذلك فشرع الامير مصلح الدين في اتمام مقصده وهدم تلك السقيفة ووسع المكان وعمل فيه قبة عالية من الحجر الاصفر والاحمر الشميسي وصرف على ذلك ذهبا كثيرا واستمر مقاما يصلي فيه امام الحنفية بالناس الى أن غيره الامير خوشكلدي أمير بندر جدة وهدم القبة وبنى المقام مربعا ذا طبقتين جعل الطبقة العليا للمكبرين لتصل أصواتهم الى سائر المسجد الحرام لارتفاع مكانهم وهو باق الى الآن على هذا الحكم • ثم بعد فراغ الامير مصلح الدين من بناء القبة توجه الى المدينة الشريفة بما معه من الصدقات الرومية وتصدق بها على جيران النبي صلى الله عليه وسلم وكتب دفترا لاسمائهم وأحسن اليهم احسانا وافرا واستجلب الدعاء منهم للمرحوم السلطان سليم خان ثم توجه الى ينبع وركب البحر الى مصر ثم الى الروم وأبقى له ذكرا جميلا وحصل ثوابا جزيلا رحمه

للناس ليلة العيد ومن الالبسة والحلواء والاسمطة المتنوعة بعد الرجوع من صلاة العيد فحصلت المفاوضة في ذلك في مجلس مولانا الشريف مسعود بينه وبين بعض الاشخاص من أهل المقام العالي باظهار الاسف على انخرام مجالسه المعتادة وذهاب رونق العيد وما يصير اليه من طلوع أهل الحارات على الجبال ومن البيع والشراء فصدر الامر منه باقتضاء المداوات وأن يعمل في الليلة الآتية ما كان يعمل في الليلة الماضية الا التكبير والخطبة والصلاة للتوقيت المستفاد من الشرع الشريف ولان الصلاة والخطبة قد حصلا فصار في الليلة الآتية تطابق ما أمر فيه فتحت الاسواق وطلع أهل الحارات على جبالهم وصنع ما هو معتاد ليلة العيد ويومه من الحلواء والملابس والاسمطة وهذا أمر لم يعهد قط • وفي سنة احدى وستين ومائة وألف وقعت فتنة بين مولانا الشريف مسعود والوزير علي باشا صاحب جدة وسببه انه نازع مولانا الشريف في كثير مما هو مقرر له من المحصولات ببندر جدة فابرز له مولانا الشريف ما بيده من الاوامر السلطانية وما كان بيد آبائه وأجداده فلم يمتثل الوزير المذكور لشيء من ذلك فتوسط بينهما كثير من التجار وغيرهم فلم ينتج ذلك نتيجة بل ازداد الباشا تجبرا وترس البلد وحمى السور وتعدى على كثير من خدم مولانا الشريف واتباعه فعند ذلك جهز عليه مولانا الشريف جيشا وجعل الامير على ذلك الجيش أخاه السيد جعفر بن سعيد فتوجه بذلك الجيش وأحاط من معه على دائرة السور وحاصر الباشا المذكور ووقع بينهم النضال ثم أرسل بعض أهل البلد للسيد جعفر ان يعمل من جهة البحر من معه من الجنود فهجم الجند على سور البلد من تلك الجهة ودخل الجيش جميعه فركب الباشا البحر بخواصه وتمكن الشريف جعفر من البندر ولم يحصل على أهل البلد خلاف من البادية وغيرهم فلم يمكن الباشا الرجوع الى البلد فسافر وأرسلت الدولة على جدة غيره وجاء الامر من الدولة باجراء ما هو مقرر لمولانا الشريف على حسب ما ادعاه وأراده واستمر مولانا الشريف في ولايته والناس آمنون مطمئنون الى سنة خمس وستين ومائة وألف

﴿ذكر وفاة الشريف مسعود سنة ١١٦٥ وولاية أخيه الشريف مساعد بن سعيد﴾

فمرض في أواخر ربيع الاول من السنة المذكورة أياما قلائل ثم توفي يوم الجمعة ثاني ربيع الثاني من العام المذكور وولي شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد وألبسه والي جدة وقاضي الشرع الشريف الخلعة ونودي باسمه في البلاد وأقبلت لتهنئته السادة الاشراف والعرب من سائر الاطراف ولم يتأخر عن تهنئته الا السادة الاشراف من آل بركات فانهم مالوا الى تنفيذ ابن أخيه الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد وتجمعوا بوادي مر ولم يكن معهم الشريف

الله تعالى **﴿الباب الثامن في دولة السلطان المحفوف بالرحمة والرضوان سليمان خان وبعض ما فعله من المآثر الحسان والصدقات الجارية والخيرات الباقية على صفحات الزمان سقى الله عهده سحائب الرضا والغفران﴾** كان سلطانا سعيدا ملكا أيده الله لنصرة الإسلام تأييدا (وولي السلطنة) بعد وفاة والده المرحوم السلطان سليم خان في سنة ست وعشرين وتسعمائة وجلس على تخت السلطنة وما دمي أنف واحد ولا أريق في ذلك محجمة دم ، ومولده الشريف سنة تسعمائة كذا ذكره مولانا شمس الدين خطيب قاسم الروي في حاشية كتاب له مختصر من ربيع الأبرار للزمخشري سماه الروضة ورأيت ذلك بخط طائفة من الفضلاء المعتمدين فيكون سنه الشريف حين ولي السلطنة ستا وعشرين سنة واستمر في السلطنة ثمانيا وأربعين سنة وكان عمره أربعا وسبعين سنة وشهرين وهو سلطان غازي في سبيل الله مجاهد لنصرة دين الله من غير أنوف عداه بالسنان سيفه وسنان قلمه كان مؤيدا في حروبه ومغازيه مسددا في آرائه ومغازيه مسعودا في معاركه ومغانيه مشهورا في وقائعه ومراميه آيات مقتفيه وأنى توجه فتح وقتل وأين سافر ظفر وقتل وسلبت سراياه إلى أقصى الشرق والغرب وافتتح البلاد الواسعة الشاسعة بالقهر والحرب وأخمد الكفار والملاحدة بقوة الطعن والضرب وأيد الدين الحنيفي بحدود سيفه البتار وأقام الملة الحنيفية وأحيا ما لها من مآثر ونشر مذاهب أهل السنة السنية وأظهر شعائر الشرائع وردع أهل الإلحاد وقمعهم فما لهم من ناصر وكان مجدد دين هذه الأمة المحمدية في هذا القرن العاشر مع الفضل الباهر والعلم الزاهر والأدب الغض الذي يقصر والده عن شأوه كل أديب وشاعر إن نظم نضد عقود الجواهر أو نثر نثر منثور الأزاهر أو نطق قلد الأعناق الدر الفاخر له ديوان فائق بالتركي وآخر عديم النظير بالفارسي يتداولهما بلغاء الزمان ويتحير أن تنسج على منواله فضلاء الدوران تتناقله الركبان بكل لسان وتسلم لمعانيه العقول والأذهان وكان رؤوفا شفوقا صادقا صدوقا إذا قال صدق وإذا قيل له صدق لا يعرف الغل والخداع ويتحاشى عن سوء الطباع ولا يعرف المكر والنفاق ولا يأنف مساوي الأخلاق بل هو صافي الفؤاد صادق الاعتقاد منور الباطن كامل الإيمان سليم القلب خالص الجنان لا يرتاب في كمال ديانته ولا يشك في ولايته

محمد المذكور ولم يظن مولانا الشريف مساعد ان ابن أخيه يصادم الشريف محمد لانه أول من حضر المبايعة ولم تكن منه منازعة فما زال يوسط لهم الوسائط ويعاملهم بالرفق ويعدهم بكثرة المعاش وهم لا يجيبون الى سؤاله ثم بعد ذلك أرسل اليهم جماعة من الاشراف بطلب الصلح ومعهم ابن أخيه الشريف محمد المذكور فلما وصلوا الى الوادي أظهروا أمرهم في معاداتهم الشريف محمدا وأظهر هو نفسه أيضا في ذلك فرجع بقية المراسيل وأخبروا مولانا الشريف بما شاهدوه فحصل بمكة اضطراب كثير وأرسل الشريف مساعد أخاه السيد عبد الله بن سعيد الى الطائف يجمع له القبائل فتوجه فوجد الشريف محمدا قد نزل بالسيل ومعه قبائل عتيبة فتوجه بها الى الطائف فملكه بعد حرب يسير وكان ذلك يوم الثامن عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور فلما ملك الشريف محمد الطائف نادى باسمه في البلاد وأقبل عليه كثير من العربان وبعد عشرة أيام توجه بمن معه الى مكة ونزل بهم في موضع يقال له دقم الوبر فخرج له عمه مولانا الشريف مساعد واقتتلا قتالا شديدا ثم انهزم الشريف محمد ونهبت خزانته ورجع الى الطائف وذلك خامس رجب سنة خمس وستين ومائة وألف ثم جمع كثيرا من العربان وجاء بهم الى مكة في ثاني شعبان وخرج له عمه واقتتلا في تلك المواضع الشريف مساعد فما الا الموضع الذي فيه الشريف محمد بحيث انه يرى كل منهما نار الآخر ونار الشريف محمد تشتعل على رؤس الجبال فبات الشريف مساعد ينتظر الصباح فرحل الشريف محمد بمن معه في نصف الليل وقصد مكة والشريف مساعد ليس له بذلك اطلاع فلما أصبح بلغه ان ابن أخيه قد اتى وقصد جبال الحصب والمضا فوجه خلفه طلائع خيله السوابق وارتحل ومازال يقتل ويعجب حتى التقى الجمعان بوادي المضا ووقع الحرب بينهما واستمر ساعتين ثم انهزم الشريف محمد ومن معه وتفرقت عنه تلك البوادي وتوسط السيد عبد الله الفعر بينهما بالصلح واصلح بينهما على شروط وترتيب معاش له ولمن كان معه من الاشراف وحصل الوفاء بذلك فدخل مكة في النصف من شعبان وهمدت تلك الفتنة وفي موسم هذه السنة توجه السيد عبد الله الفعر بعروض من مولانا الشريف للدولة العلية ورجع في سنة ست وستين بقضاء كل مطلوب لمولانا الشريف مساعد ثم ان الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد في سنة سبع وستين خرج الى المبعوث فأقام به برهة يسيرة وعينه بعض الملا لم تكن قريرة ثم توجه لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وكذا في سنة تسع وستين توجه للزيارة ثم قصد الرجوع الى مكة

﴿ذكر وفاة الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد سنة ١١٦٩﴾

توفي وهو راجع عند ثنية عسفان فنقلوه الى مكة وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه على ضريح

وما تناهيت في بث محاسنه • الا أني أكثر ما فاته أدعو وقد أهلني الله لان قبلت يده الشريفة وتشرفت برؤية طلعته المنورة اللطيفة وشاهدت ذاته العلية المنيفة فرأيت نورا يتلألأ وهيبة ألبسها الله مهابة واجلالا وجبينا يتضوع نبلا وجمالا والتمسني تشريفه التشريف الشريف وخصني باحسانه الوافر الوريف فها أنا الى الآن أتقلب في جزيل نعامه وأعيش الى الآن في فائض تفضلاته واكرامه وأترحم على ذاته الطاهرة اجلاله كلما تذكرت احسانه وجميله وأخلد ذكره الحسن في أوراق الليل والنهار وأرقمه في صفحات دوائر الايام حيث لا تمحوه كرور الدهور والاعصار ولا تزيده الايام الا جدة ونضارة ولا يزال غضا طريا بجديد البراعة والعبارة

﴿فصل في ذكر أولاده الكرام وأحفاده النجباء العظام﴾

كان أكرمهم وأنجبهم وأمجدهم وأسعدهم وأرشدهم وخلاصة عنصره وربيب حجره وممهد له مهد أركان الملك العثماني السلطان سليم الثاني أجلسه الله على سرير القرب والتداني وبوأه مقعد الفردوس الباقي عن الملك الفاني مولده سنة تسع وعشرين وتسعمائة كما يأتي في محله • ومنهم السلطان الشهيد السلطان مصطفى وهو أكبر أولاده مولده سنة احدى وعشرين وتسعمائة استدعاه والده من المحل الذي ولاه به ونفذ الى أركلي وهو متوجه الى سفر لاخذ بلاد العجم فوصل اليه ممتثلا أمره باذلا نفسه وكان والده توهم منه خروجه عليه فلما حضر بين يديه أمر طائفة من البكات بخنقه فخنق صبرا وقتل في أواخر شوال سنة ستين وتسعمائة والناس مختلف في تاريخه [illegible] في حدود آخر شوال • ثم أرسل ابراهيم باشا الخادم في بورسا القتيل ولده فقتل بأمره مراد فمضى اليه وخنقه ووالده أطلقه رحمهما الله تعالى ولم يرتكب السلطان سليمان هذا الامر الشنيع الذي قطع القلوب أي تقطيع الا لتسكين الفتن واطفاء نائرة المحن ما ظهر منها وما بطن صونا لدماء المسلمين وحفظا للنظام التأمين والتطمين • ومن أولاده السعداء السلطان محمد مولده سنة ثمان وعشرين وتوفي على فراشه بأجله في سنة خمسين وتسعمائة • ومنهم السلطان السعيد الشهيد الغريب الشريد بايزيد مولده سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة اجتمعت به مجلسا واحدا في رحلتي الثانية الى الروم في سنة خمس وستين وتسعمائة وقد استدعاني وأنا مار عليه بقرب كوتاهية يقال لها اقرابولك وكان الامر مضطرما بينه وبين والده المرحوم فعدلت اليه

والده قبالة الشيخ محمود وعمره اثنتان وأربعون سنة رحمه الله تعالى ثم بعده وانتهت اليه الرتبة مولانا الشريف مساعد وانقادت له الامور الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف فحصل التنافر بينه وبين السيد عبد الله الفعر فلما جاء الحج الشامي وكان أميرا عليه عبد الله باشا الشتجي وأمير الحج المصري كشكش حسين بيك فدخل عليه السيد عبد الله الفعر وحسن له ان يلبس السيد مبارك بن محمد بن عبد الله بن سعيد وبذل له شيئا جزيلا من عروض ومال فوافقه على ذلك ولم يفكر في العواقب ووافق على ذلك جماعة من السادة الاشراف والسرادرة المصرية فالقوا الامر بالخفية والشريف مساعد لا علم له بشيء من ذلك الى ان حج الناس فلما كان الحادي والعشرون من ذي الحجة البسوا الشريف مباركا المذكور عند القاضي بغير فرمان سلطاني ولا أمر بالنوى وفرق العساكر على أسطحة الحرم والمنائر واتخذوا جميع المنائر حصونا ومتاريس وترس البيوت المطلة على دار السعادة منزل مولانا الشريف مساعد فبينما هو نائم في داره لم يشعر الا ورمي الرصاص كالمطر فسأل أرباب دولته عن ذلك فأخبروه بما صار فعند ذلك استدعى العساكر والرجال وبذل لهم الكثير من المال فقامت الحرب بينهم على ساق واستمر الحرب ذلك اليوم بحاله وراق الموت بقصير الآجال وما زال الحرب بين الفريقين في الليل الى الصبح فأخذ الشريف أحمد بن سعيد أخو مولانا الشريف مساعد جانبا من العسكر ونزل بهم من أسفل مكة وطلع الحاكم عبد النبي بأهل الحارات من كل ناحية وسكة حتى ظهرت الصولة والغلبة لمولانا الشريف مساعد عليهم فعند ذلك طلب السيد مبارك الذمة وأخذ الامان له وللصنجق كشكش وكان قد أخذت ذخيرته ونفائس أمواله ثم بعد أخذهم الامان توجه السيد مبارك الى وادي مر الظهران والتمس الصنجق من مولانا الشريف مساعد ان يرجع له ما ذهب له في الحج فأمر ان يرجع له ما يلقونه بأيدي الناس فجمع ما وجد وشاهر ظاهرا كالطعام والقرب والعلف والخلاف وأخذ ما تحصل له وارتحل ونادى خلفه لسان شؤمه الى حيث ألقت ثم ان السيد مباركا أقام بالوادي أياما فدخل بينهما بالصلح السيد عبد الله بن سعيد والسيد سليمان بن يحيى وتمم له كل ما طلب من مولانا الشريف في غرة المحرم سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف وولاه النصف طلع عند حضرة الشريف السيد مبارك فقبض عليه وحبسه الى تمام السنة وتوفي ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة ولما تحقق مولانا الشريف ان الذي كان من تولية النصف للسيد مبارك انما هو بواسطة السيد عبد الله الفعر اشتد غضبه عليه وأمر بالتوجه من أقطاره فارتحل وتوجه الى اليمن ولم يزل سائرا حتى قدم صنعاء فأكرمه الامام وعرض عليه أن يمده بالرجال والاموال فامتنع السيد عبد الله الفعر من ذلك وقال الاولى ان تطلب لي الاستعطاف من مولانا الشريف

وحضرت بين يديه فاقبل على بكليته وأقبلت عليه وعظمني وعظم أمري وأكرمني فوق قدري وباسطني وخاطبني بدون واسطة وقربني وأخلى مجلسه لي وحدي ولم يترك فرعا من الفروع الذي أراد كشفها وتحقيقها الا سألني عنها بلطف وتؤدة وأجبته عنها بأدب وسكون وملاحظة وأدرجت مع ذلك نصائح تصلح للملوك وهو يصغي اليها ويحسن في الاصغاء الى استماعها ويتفكه ويتلذذ بسماعها وسألني في الاقامة عنده لمصاحبته فاعتذرت اليه وكرر ذلك فأبيت عليه وكان الخبر في ذلك وكلما طال المجلس استأذنت للقيام فيأبى ويقول ما أسرع ما مللت حديثنا ونحن نستطيب حديثك وكان أول المجلس من صلاة الظهر واستمر الى بعد صلاة العصر فالبسني الشريفة وأحسن الى باثواب صوف ودراهم لها صورة وفارقته ودخلت اسطنبول

لا عود الى الوطن فأرسل الامام مولانا الشريف يستعطفه ويستأذنه في الرجوع فأذن له فعاد الى الوطن في جمادى الاولى ولما أقبل الحج الشامي في العام المذكور وكان الامير عليه الوزير عبد الله باشا الآتي في العام الذي قبله عزم على عزل مولانا الشريف مجيد بن زيد برها وذلك انه بعد تمام الحج نزل بالمحصب وعقد مجلسا للنظر في أحوال الحرمين الشريفين وطلب مولانا الشريف للحضور في ذلك المجلس وحضر فيه القاضي وأمراء الحج فلما تفاوض الحديث بينهم في أمر الحرمين أغلظ الباشا المذكور في المقال على مولانا الشريف وقال أنت أعنت أهل هذه البلدة المحمية وأجريت العين لسقيا العابدية مع ان هذه المقالة افكة أفاك وعزيز بيته لا يركب هنالك وقد كذب عليه من قال له ذلك فاجابه مولانا الشريف بان ذلك غير صحيح فلم يقبل منه ذلك

﴿ذكر القبض على الشريف مساعد وتولية أخيه الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٢﴾

وامر بالقبض على مولانا الشريف والبس أخاه السيد جعفر بن سعيد ولاية شرافة مكة فلما جاء الخبر للناس حصل اضطراب في مكة ووقع الجري في الاسواق فلما بلغ الباشا ذلك الاضطراب ركب من فوره هو وجميع أمراء الحج والقاضي ووالي جدة ونزل المسجد وأبرزوا فرمانا مضمونه ان الدولة فوضت له الامر والنظر في شأن الحرمين وتولية من يرى فيه الصلاح ثم نادى باسم الشريف جعفر في شوارع البلاد وأمر بالدعاء له في المنبر والمقام وأطلق الشريف مساعد وجاءه أخيه الشريف جعفر فتوجه الشريف مساعد الى العابدية

﴿ذكر نزول الشريف جعفر عن الشرافة لأخيه الشريف مساعد بن سعيد سنة ١١٧٣﴾

فلما توجهت الحجوج حصل الاتفاق بينه وبين أخيه الشريف جعفر ان يتقلد الشرافة الشريف مساعد ويعود كما كان ويبذل لأخيه الشريف جعفر شيئا من الدراهم والنقود فرضي بذلك وكان ذلك في الرابع عشر من محرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف فرجع الى شرافته وتوجه الشريف جعفر الى الطائف واشترى بساتين

﴿وفاة الشريف جعفر بن سعيد سنة ١١٧٨﴾

ولم يزل يتنزه بها مع الاتفاق بينه وبين أخيه الى ان توفي الشريف جعفر سنة ثمان وسبعين وفي سنة أربع وسبعين وقع اختلاف وتنافر بين مولانا الشريف مساعد وأخيه السيد أحمد بن سعيد وسببه أن وزير مولانا الشريف وهو محمد الشامي أذنب عبد من عبيده فذهب لمولانا السيد أحمد بن سعيد متوجها اليه ان يستشفع له سيده فأخذه مولانا السيد أحمد بن سعيد وقاد اليه سيده وطلب منه العفو الى ازالة العبد فقبل توجيهه في ظاهر الامر وسمع وبعد خروج مولانا السيد أحمد

وتوفيت والدته المسماة كلفام السلاطين الحاكمة بعد دخولي وحضرت جنازتها وما أجري من الصدقات عليها وكانت هي كافلة لعم السلطان بايزيد فلما توفيت حصل الشنآن بينه وبين أخيه السلطان سليم خان أدى الى فتن عظيمة ومحاربات قتل فيها نحو خمسين ألف نفس فصاعدا ثم لما عجز عن مقاومة والده وأخيه هرب الى شاه طهماسب ففرح به وأقام بأموره وعجز عن حفظه فشرع طهماسب في المكر والخداع وتفريق عسكره والاستيلاء بضعف بلاده من أن يتهم فتركه ثم استولى عليه وحبسه هو وأولاده وقتل عسكره واحدا بعد واحد وأخذ منهم مالا كثيرا وترددت الرسل بينه وبين السلطان سليمان في تسليمه لوالده فلما أكد طلبه منه طهماسب ذكر انه صرف عليه خزينته مال وانه لا يسلمه الا بأن تعطى له مثل ما ذكر فقدرا عظيما يكون مثل خراج مصر سنة فأمر السلطان سليمان بدفع ذلك القدر اليه فلما تسلمه أحضر السلطان بايزيد وأولاده الاربعة وكل واحد كأنه بدر طالع ونجم ساطع فخنقوا أمامه والدهم بادارة الوهق حتى لم يبق فيهم رمق وأخمدوا أنفاسهم بالاوطار واطفأوا أنوار الانوار ورزقوا سعادة الشهادة بالاضطرار وهم السلطان محمود والسلطان عبد الله والسلطان أورخان والسلطان عثمان وحملت توابيتهم أجسادهم في توابيت من قزوين الى سيواس ودفنوا في سيواس وأسكن الله الفتنة والوسواس وذلك في سنة سبعين وتسعمائة وكان للسلطان بايزيد طفل في بورسا فأمر بخنقه أيضا فخنق والله تعالى يبل مضاجعهم بأمطار الرحمة والرضوان

ويفرحهم من شبابهم الجنة ويروح أرواحهم في غرف الجنان بالروح والريحان والحور والولدان والخيرات الحسان ، ومنهم الشهزاده جهان كيرخان مولده سنة سبع وثلاثين وتسعمائة وكان أحدب ظريفا ضعيف الروح لطيفا يحبه والده ولم يفارقه الى أن توفي بأجله في حلب بمرض الخناق في سنة ستين وتسعمائة ونقل الى اصطنبول ودفن في تربة أخيه محمد الشهزاده ، ومنهم الشهزاده السلطان مراد توفي بأجله في سنة سبع وعشرين وتسعمائة ، ومنهم الشهزاده السلطان محمود توفي بأجله سنة ثمان وعشرين وهذا والذي قبله مدفونان في تربة السلطان سليم جدهما رحمهم الله تعالى ، ومنهم الشهزاده السلطان عبد الله توفي بأجله في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وتوفيت والدة السلطان سليمان خان في سنة أربعين

وكانت صالحة زاهدة عابدة تفعل الخيرات كثيرة الصدقات أسكنها الله أعلى غرف الجنات

{فصل في وزرائه العظام}

كان أول وزرائه آصف زمانه بزرجمهر أوانه معدن الرأي والدها موضع العقل والنهى محمد الجلالي الصديقي المعروف {ببيري باشا الصلاحي} وزيرا لوالده وأبقاه على وزارته مدة وكان السلطان سليم نقم في أول سلطنته واتفق العقلاء المميزين بكمال العقل والرأي لم يجدوا أكمل عقلا منه وكان واسطة في بعض التعصبات وقربه وولاه وزارته العظمى واستمر مدة سلطنته وزيرا عنده لم يغير وسلم من قتله لكمال درايته مع كثرة من قتل من الوزراء وكان فاضلا كاملا متين الرأي عاقلا يضرب المثل بفراسته وعلمه وفضله وحلمه فلما ولي السلطان سليمان رأى في خدمته من شباب مماليكه من هو على الوزارة طائر اليها بجناحيه ورأى سلطانا مائلا الى أقرانه وذوي أسنانه وهو بينهم الشيخ وخدمه وكبر سنه لا يناسبهم فاستعفى عن الوزارة فأجيب الى سؤاله واجتمع للنظر في حاله وماله ورأى بعين كماله عدم ثبات الدهر في أحواله وأخذ في زاد ترحاله وقدم من الخيرات ما يكون ذخيرة لآخرته من الباقيات الصالحات ، فمن آثار عماراته في أدرنة في دربند وكان محل قطاع الطريق ينهب فيه قوافل المسلمين فعمل هنالك تكية عظيمة ومحلا لنزول المسافرين فيه طعام يطبخ لهم ويقدم اليهم ومسجدا جامعا ورتب له كل ما يحتاج اليه ووقف أوقافا عظيمة عليه فصار أثرا باقيا على صفحات الزمان وجميلا يذكر به ويدعى له الى انقضاء الدوران وله خيرات أخر غير ذلك يلوح عليها علامات القبول عند الله تعالى ، وكان عزله في سنة تسع

ابن سعيد قتل بالعبد وضربه بالسياط وقيده وهرب العبد مقيدا الى بيت مولانا السيد أحمد بن سعيد وأخبره بما جرى بعد خروجه فأنهى الامر لاخيه مولانا الشريف مساعد فلم يلتفت الى قوله ولم يتكلم مع وزيره بشيء لانه كان مقربا لديه ، وقد قيل في المثل ان عدم المصافاة بين الخدم تفضي الى الندم والمناصبة بين الخدم مفرق ذممهم وتعدي الخادم عن طوره دليل على ظلم المخدوم وجوره فغضب السيد أحمد بن سعيد من عدم التفات أخيه الى شكايته من وزيره فتوجه الى وادي نعمان وجمع شيئا من العربان فبلغ الخبر لمولانا الشريف مساعد فجمع هو أيضا وخرج بهم مع عساكره لمقاتلة أخيه وكان السيد أحمد بن سعيد جاء بمن معه ونزل في التنعيم فالتقى الجمعان واقتتلوا عند الجبال التي حول أبي لهب ووقعت بينهما ملحمة مات فيها من دنا أجله من الفريقين وأسفر الامر عن انكسار السيد أحمد بن سعيد فانهزم ومن معه ثم طلب ذمة من أخيه وارتحل لوادي مر ومكث هنالك أياما حتى دخل جماعة من كبار الاشراف بينهما بالصلح فرجع واصطلح مع أخيه وأنزله المنزل الذي يرضيه وأمر الوزير أن ينقاد لاخيه ويستسمحه فجاء اليه واستسمحه بما هنا فسمح له عن الذنب وعفا ، وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف حصل بين مولانا الشريف مساعد وبين السيد أحمد بن الشريف سعيد السيد عبد الكريم بن محمد بن يعلى مناكرة تولد منها خراب كبير فرحل السيد أحمد بن عبد الكريم الى الوادي واجتمع عليه آل بركات وأجمع رأيهم على تولية السيد عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات امارة مكة ووافقهم على ذلك وجمع ما أمكنه من الرجال وبذل ما قدر عليه من المال ووعدهم أنهم يأخذون قبل ذلك بندر جدة ويستولون على ما فيها من الاموال فتوجهوا اليها مع من معهم من الجموع وأحاطوا بسور جدة من كل جهة فحصروا أهلها ورموهم بالمدافع والقنابل فلم يجدوا اليهم خلاصا فقصدوا الى العشش التي هي خارج البلد بعد ان تفرق كثير من جموعهم وهم من جملة شاشيب جعلوا الكبريت الموقد في رؤسها كالرماح واحترقت تلك العشش فلم يقر لهم قرار وقيل ان مولانا الشريف مساعدا أرسل من أحرقها فرجع الشريف عبد الله بن حسين الى الوادي ثم توجه الى مصر وطلب من صاحب مصر الاعانة له على بلوغ المأمول وكان صاحب مصر اذ ذاك علي بيك كبير سلطان العرب قد تغلب على الدولة العلية وخرج عن طاعتها وأخرج الوزير المتولي أمرها من الديار وصار الحل والعقد بيده حتى انه بعد هذه المدة أرسل جيوشا لأخذ الشام كما هو مذكور في تاريخ مصر للعلامة الجبرتي فلما جاءه السيد عبد الله بن حسين لعلي بيك مستنجدا به أجابه لمرامه وأوصى أمير الحاج المصري وكان الامير المذكور مملوكا لعلي بيك يسمى محمد أبا الذهب وأكد عليه أن يسعفه بمراده ويجتهد في تمكينه

وعشرين وتسعمائة وولى مكانه في وزارته العظمى من المماليك الذين عنده داخل السرايا أوده باشا حرمه الخاص ابراهيم
باشا وكان شابا فقد امتلا الا نفصن نضارته بماء الشباب ولازمته السعادة والعزة والعظمة والدولة من جملة خدام الركاب وكان
أقدم منه في الخدمة أحمد باشا وظن أن الوزارة لا تتعدوه الى غيره لانه من خواص مماليك والده وابراهيم باشا من مماليك
السلطان سليمان نفسه فزاحمه في صدر دست الوزارة وجلس بقوة دلاله بخدم السلطنة الشريفة في محل الصدارة فشكاه ابراهيم
باشا الى السلطان فدبر في ازالته من ذلك المكان فطلبه السلطان سليمان وجعل له ايالة مصر وأعطاها أمارالها واقطاعا يتعلق به
خاطره فمضى الى مصر واليا عليها وصار يتقصد ابراهيم باشا العداوة السابقة ويرميه بما يوجب قتله فبرز الامر
بجماعة من الامراء
المستحفظين بمصر أن
يجتمعوا عنده ويتقاولوا
في محله بالامر الشريف
السلطاني ويولي أحدهم
مكانه الى أن يرد الامر
الشريف باقامة بكلربكي
بمصر وأرسلت هذه
الاحكام الى الامراء
المذكورين فوقعت تلك
الاحكام في يد أحمد باشا قبل
أن تصل الى الامراء
المذكورين فجمعهم في
ديوانه وذكر لهم ان الامر
الشريف السلطاني ورد
اليه بقتلهم فأذعنوا
للامر الشريف فقتلهم
ثم سولت له نفسه العصيان
وظن أنه يأوي الى جبل
يعصمه من السلطان وانه
يقابل ويقاتل جيشا
يأتيه من مصر فأبدى
الطغيان وادعى السلطنة
لنفسه على المنابر وأمر
أن يدعى لنفسه على المنابر
في أيام الجمع ورتب عسكرا
من الغوانية وجمع
وضرب السكة باسمه على الدراهم والدنانير وصادر الناس وجمع المال الكثير وعصى عليه أهل قلعة الجبل ولايته
فهجم عليها الشطار وأخذها بالحيل وقتل من فيها من عسكر السلطان وأوقد نيران الفتنة والعصيان وكان ممن حبسه للمصادرة
جانم الحمزاوي ومحمد بك وأراد قتلهما وقد أخر الله أجلهما فسمعا أنه دخل الحمام فكسرا الحبس وخرجا ونصبا سنجقا سلطانيا ونادبا
من أتباع السلطان فليقف تحت لوائه فاجتمع تحت السنجق خلق كثير وجم غفير وصار سردارهم محمد بك وجانم الحمزاوي بمثابة
الوزير وتوجها بالعسكر الى الحمام فكبسا أحمد باشا وقد حلق نصف رأسه وأعجله النصف الثاني هجوم العسكر السلطاني فهرب
الى السطوح وتسلق من مكان الى مكان وخلص الى البر والتجأ الى شيخ عرب الشرقية عبد الدائم بن بقر فقوي العسكر السلطاني

نهاية اجتهاده حتى يجلسه على كرسي الشرافة فقامت الاخبار لمولانا الشريف مساعد فأخذ في
أسباب الاحتراس غايتها فلما وصل الحج المصري الى الوادي توجه الى مكة وترك الشريف عبد الله
ابن حسين يجمع له كثيرا من البوادي ووصل الحج الى مكة وخرج الشريف مساعد لابس الخلعة
الواردة مع الحج المصري فألبسه اياها على العادة الجارية ولم يظهر أمير الحج المصري شيأ مما في
نفسه فلما أتم الناس حجهم بالامن والاطمئنان اتفق مولانا الشريف مع أمير الحاج الشامي وهو
عثمان باشا الصادق وكان محبا لمولانا الشريف على تقديم سفر الحج المصري واخراجه من مكة
قبل أوانه لما علم بمقصده مع الشريف عبد الله بن حسين فأمروه بالخروج والسفر يوم الثامن
عشر من ذي الحجة قبل ان يتم مراده وحيث لم يجد ذلك حصل اضطراب وضجة فامتثل الامر
وارتحل قبل ان يتم مراده وارتحل بعده بثلاثة أيام الحج الشامي فلما بلغ الشريف عبد الله بن
حسين خروج الحج المصري حصل له غيظ وحنق فبذل المال واجتهد في جمع الرجال ودق طبل الحرب
واجتمع عليه كثير من القبائل والاشراف ما عدا آل حسن وكذلك الشريف مساعد جمع من الرجال
أضعاف ما جمعه الشريف عبد الله بن حسين مع ما عنده من العساكر والرجال وأقبل الشريف
عبد الله بن حسين بمن معه من البوادي وخيم بالجبال التي حول الزاهر فخرج الشريف مساعد
بمن معه لقتاله ومكن كثيرا من جنوده بجبال المعابدة والمعلى ووقع القتال بين الفريقين في اليوم
السابع والعشرين من ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف واشتد الامر وسالت الدماء وكانت
ملحمة عظيمة أظهر فيها من الشجاعة للقائد مثقال بمقداره ومولانا الشريف مساعد ما لا يخطر
بالبال حتى انه رفع السيد رضا من ظهر فرسه وهو مدرع ورفعه على قائم زنده ورماه بين يديه ثم
باعانة الله فرجعت وجوه ثم اسفرت هذه المعركة والواقعة المرتبكة عن انهزام السيد عبد الله
ابن حسين فتوجه الى الوادي وطلب ذمة واعطيها على المعتاد ثم توجه الى مصر قاصدا عزيزها علي
بيك وشكى اليه ما قاساه من الاهوال فأمده بالرجال والاموال وجهز معه محمد بيك أبا الذهب
ومعه نجدة عظيمة فيها [illegible] قطار وثلاثة آلاف من العسكر وثلاثون مدفعا وحمل الذخائر والاثقال
تبلغهم في ثلاثة مراكب في البحر وأكد عليهم ان يمكنوا الشريف عبد الله بن حسين من سيادته
ويخرجوا الشريف مساعد من دار سعادته فقدر الله انه حصل للشريف مساعد توعك ومرض
من يوم خروجهم من مصر قبل أن يصل اليه الخبر وتوفاه الله تعالى قبل وصوله

﴿ذكر وفاة الشريف مساعد سنة ١١٨٤﴾

وكانت وفاته يوم الاربعاء الثالث عشر من شهر المحرم سنة أربع وثمانين ومائة وألف وكانت مدة

ولايته تسع عشرة سنة الا ثلاثة أشهر وأعقب أولادا كراما منهم مولانا الشريف سرور والسيد مسعود والسيد عبد العزيز والسيد عبد المعين والشريف غالب والسيد محمد والسيد لؤى وكان قبيل وفاته عقد البيعة من بعده لاخيه مولانا الشريف عبد الله بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن ابن حسين بن حسن بن أبي نمى

﴿ذكر ولاية الشريف عبد الله بن سعيد سنة ١١٨٤﴾

فبعد وفاة مولانا الشريف مساعد ولى شرافة مكة أخوه الشريف عبد الله المذكور وألبسه قاضى الشرع الشريف ونودى له فى البلاد فنازعه فى الامر أخوه مولانا الشريف أحمد بن سعيد وقال أنا لها أنا لها فنزل له عن الشرافة وقلده اياها وعاش بعد ذلك ست سنوات وتوفى وأعقب أولادا كراما منهم السيد فهيد والد السيد عبد الله بن فهيد المشهور ومنهم السيد مساعد والسيد عامر والسيد على والسيد عبد العزيز والسيد خليل الله المشهور بالعواجى

﴿ذكر نزول الشريف عبد الله بن سعيد عن شرافة مكة
لاخيه الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤﴾

فولى شرافة مكة الشريف أحمد بن سعيد بعد نزول أخيه له عنها وظهر عقب ولايته فى شهر صفر نجم فى السماء ذو شعاع وله ذنب ما رأته العرب قبل ذلك وطوله يزيد على رمح يطلع بعد المغرب ولا يغرب الا عند الصبح فتشاءم الناس من طلوع ذلك النجم وكثرت فيه الاقاويل والقيل والقال ثم اطلع كثير من الناس على قصيدة للعلامة الغامى تؤذن بان بعد ظهوره تبدو أمور غير جيدة والقصيدة نافعة وهى تدل على ظهور طائفة الوهابية ولنذكرها تتميما للفائدة ثم نتمم الكلام على الجردة التى جاءت مع الشريف عبد الله بن حسين قال

اذا لاح نجم من المشرقين • كثير الشعاع طويل الذنب
اذا ما بدا فاحسبوا بعده • ثلاثين عاما ترون العجب
خوارج تخرج من مشرق • تدوس البلاد بكثر العطب
يكون لهم حروب كثير • وتلقى العشائر أقصى التعب
وتبسد وشرور نعم البلاد • الى أن تولى الثلاث الحقب
ويقمع صنعا وآربابها • ومن حل فى حولها واقترب
برابعه بعد تلك الثلاث • بأكل زبيب وغرو حب
وفى الخمس يبعث المشرق • يبيد البلاد بكثر العطب

ونهبوا ما جمعه من الاموال بالظلم والمصادرة وخرجوا اليه يطلبونه وتخوفوا عبد الدائم وحذروه من عصيان السلطنة فاتاهم به عمر وكافقطعوا رأسه وطافوا به فى مصر وعلقوه فى باب زويلة ثم جهزوه الى الاعتاب السلطانية وذلك فى سنة اثنين وتسعمائة وضبط محمد بك وجانم الحمزاوى مصر الى ان ورد مصطفى باشا وضبط مصر بكار بكا واستمر ابراهيم باشا فى وزارته العظمى معظما عند السلطان نافذ الامر واسع العطاء كريما بذولا منفردا بالامر والنهى الى أن أفرط بالدلال وزاد فى الادلال واستبد بالامور واستقل بمصالح الجمهور فأنفت الغيرة السلطانية من ازدياد دلاله وما تحمله من زيادة عجبه وادلاله فطلبه السلطان فى ليلة من أواخر رمضان عنده وأتم عليه على جارى عادته بنفائس الانعام ووهب له جميع ما فى مجلسه من أوانى الذهب المرصعة بالجواهر الغالية وطيب خاطره وطيبه بالعنبر والمسك والغالية وأمره أن يبيت عنده فى مجلس خاص به كان عادته أن يبيت فيه وصبر عليه الى أن غاب سلطان الكرا على مقلته وآماقيه وأمر بذبحه وأعطى الذابح خبره فصاح مستجيرا والسلطان قريب منه وقد صمم فيه أمره فأمر أن يكمل ذبحه فقطع رأسه وأطفأ نبراسه وأخمدت أنفاسه وما كانت نار الغضب على ابراهيم بردا وسلاما بل زادته حرا واضطراما ولعل كثرة احسانه الى الناس ونشر مكارمه التى زادت على الحد والقياس نفعته عند الله فى الدار الاخرى ولعله صدقت نيته فى بعضها فصادفت قبولا وكان عند الله الكريم ذخرا فكم من عمل صالح يكون سببا للنجاة من النار ويدخل به صاحبه

الجنة مع الشهداء والابرار وما ربك بظلام للعبيد وكان قتله فى الليلة السادسة والعشرين من رمضان سنة احدى وثلاثين وتسعمائة ثم ولى الوزارة الوزير الثانى وكان من الارنؤط من مماليك المرحوم السلطان سليم خان وكان محبا للصلحاء معتقدا فى طائفة العلماء معتدلا فى أحواله صادقا فى أقواله قطوفا فى آرائه وأفعاله اجتمعت به فى أول رحلة الى اسطنبول سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يكاتب والدى ويلتمس دعاءه فأكرمنى وأقبل على وأحسن الحضور بانى عند السلطان وأخبره عن والدى وكبر سنه وانفراده بعلم الحديث وعلو السند فى عصره فحصل لى احسان كثير وانعام كبير جزاه الله عنى أحسن الجزاء ورحمه وأسكنه جنات العلى واستمر وزيرا الى أن توفى مطعونا فى سنة (١) وأربعين وتسعمائة ثم ولى (١) بياض بالاصل

اذا ما تقارنت الزهرتان • لاول شوال رأيت العجب
وزاد عطارد في سيره • على المشتري طالعاً والتهب
فذاك دليل بكرب الكسوف • لآخر جمادى وأول رجب
اذا كسف الشمس عند الغروب • صحيح رواية أهل الادب
بعسر وخوف وعيث قليل • يقول المجرب فيها احسب
يموتون في الذل دهراً طويلاً • وتفنى الذخائر والمكتسب
وفي الست يظهر سبط الرسول • كريم المناقب عز العرب
يبيد الفساد وأربابه • ويذهب في الحرم من ذهب
وتقلب الناس نحو الهداه • يجيشوا اليه جميع العرب
ويأتيك عام به غوصة • لمن عاش من بعدما قد ذهب
وفي السبع يظهر داعي الهدى • أعز البرية أمارات
فتصفو البلاد ويحيي العباد • ويحكم فيها بما قد وجب
فطوبى لمن شاب في وقته • وطوبى لمن هو طفل يرب
فهذا برسم امرئ عالم • أديب بصير بما قد كتب
فان قيل ما قاله كاذب • الا لعنة الله على من كذب

قال الشيخ عبد الله عبد الشكور في تاريخه وأراد بذلك ان الطائفة الوهابية تدخل مكة بعد ثلاثين عاماً بدء العصبية قال وذكر هذا النجم العلامة البغدادي في لاميته وانه محقق انه عنوان ظهور أهل الشرق حيث قال

ويبدو في السما نجم طويل • له ذنب وذو شعر طوال
فتلك دلائل الشرقي يبدو • بانواع الغواية والضلال

قال والمراد قصيدة طويلة ذكر فيها أغلب ما يقع في البلدان وعدد الشرقي والشرقي يتفقان في الحساب بغير شك ولا ارتياب

﴿ذكر وصول الجردة﴾

ومن الحوادث في أيام مولانا الشريف أحمد بن سعيد انه وصل الى ينبع الجردة بالعسكر المصرية التالي المرحوم الشريف مساعد وكان أميرها أبو الذهب محمد بيك ليجلس الشريف عبد الله بن حسين على كرسي الشرافة فلما وصل ينبع قابله وزير الشريف الذي كان بها وهو درويش آغا ثم عجز

بعده الوزارة العظمى لطفي باشا ﴿ وجنسه من الارنؤط وهو من مماليك المرحوم السلطان سليم وكان له فضل واشتغال ومشاركة في بعض الفضائل وله رسالة بالتركية شرح فيها الفقه الاكبر لامامنا الاعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه وله آثار حسنة في وزارته منها ابطال الاولاق فانه كثر في تلك الايام وعم أذاهم للمسافرين وكانت الطرقات لا تخلو منهم فيأتي أحد الاولاقية الى المسافر ويرميه عن دابته ويركبها الى أن تنقطع فيرميها ويأخذ دابة مسافر آخر وهلم جرا ولا يسلم منهم أحد فلما ولي الوزارة ابطل كثرتهم وعين ان لا يرسل الاولاق الا في المهمات العظيمة السلطانية المتعلقة بظهور عدو على المملكة يخشى عليها منه وأمثال ذلك من الامور العظيمة جداً فقل ضررهم بعد ذلك على المسافرين وصارت الناس تدعو له بسبب ازالة هذه المظلمة وكانت الخلفاء قد جعلوا ربطاً لهم في كل بلد وقرية تحت حكومتهم وكانت تسمى خيل البريد فيركبها الى أن تصل الى قرية أخرى فيجدوا أيضاً خيل البريد فيركبوا ويتركوا الاولى وهكذا الى أن يصل الى بغداد ويرجع عنها بالامر الذي يؤمر به وكان لهم خدام لمثل هذه الخيول بعلوفات ومرتبات رحمهم الله تعالى ورحم من أزال بقية ظلم الاولاق ورفعه عن المسلمين بالكلية وعين لهذه المهمات خيل البريد كما كان يفعله الخلفاء رحمهم الله تعالى واستمر لطفي باشا الى أن وقع بينه وبين زوجته مشاجرة وهي أخت حضرة السلطان سليمان وبينها كثرة ميلها الى الجواري فشكته الى أخيها فطلبه عنده وضربه بالقوس على رأسه وأمره بمفارقتها ففارقها مكرهاً وطلب الاذن في الحج فاذن له فحج في سنة تسع وأربعين وتسعمائة فاجتمعت به وأراني تأليفه واخذتوها وأمرني بتعريبه فعربته ثم أمرني ان أترجمه بالفارسية فترجمته له حسبما أراد وأحسن الي بسبب ذلك ثم عاد من الحج الى الباب واستأذن ان يكون في قرية له من اقطاعه فاذن له واستمر فيها الى ان توفي رحمه الله في سنة ست وخمسين وتسعمائة وكان عزله في سنة سبع وأربعين وتسعمائة ﴿ وولي مكانه الوزارة العظمى سليمان باشا الخادم ﴾ وهو من الارنؤط من مماليك السلطان سليمان وكان قد ولي ايالة مصر قريباً من عشرة أعوام ثم عزل عنها ثم أعيد اليها وجعل سردار العسكر المجهز الى الهند لدفع ضرر الفرنقال اللعين عن المسلمين واستيلائهم على بنادر الهند ثم كثر اذاهم لبنادر اليمن ووصولهم الى بندر جدة والى بنادر السويس على مرحلتين

وعاثوا في البحر وأخذوا سفائن الحاج والتجار غصبا ونهبوا أموال المسلمين وأنفسهم قتلا وأسرا وفتكوا بسلطان كجرات السعيد السلطان بهادرشاه وقتلوه غدرا فتحركت الحمية السلطانية واضطرمت نار العصبية الاسلامية السليمانية فأمر سليمان باشا ان يعود الى مصر وان يعمر سفائن يركبها مع عسكر جرار الى أرض الهند ويقطع دابر الكفار ويطهر تلك الاقطار من الكفرة الفجار فعمل نحو سبعين غرابا وسفائن مشحونة بآلات الحرب الا القتال ورتب العسكر وقتل عند سفره جماعة لا ذنب لهم غير صدق خدمتهم وحسن الوفاء بعهدهم حسدا لهم على ما آتاهم الله من فضله منهم الامير جانم الحمزاوي وولده الامير يوسف وكانا من الصناجق العظيمة السلطانية ختم الله لهما بالشهادة وقتل أيضا الامير داود بن عمر أمير الصعيد وكان كريما به ولا حاجة للبلاد الصعيد بعيد ذهاب آبائه ثم توجه الى الهند وصلب صاحب عدن في طريقه مع أنه فتح له باب عدن وزين الاسواق لوصول العسكر المنصور السلطاني فغدر به وصلبه الى جانب على صاري السفينة وجعل صنجقا في عدن وتوجه الى الهند وعاد منها الى اليمن من غير أن ينال الكفار الفرنج منه ضرر وكان الامير أحمد صاحب زبيد اذ ذاك من جملة الوفد الذين استولوا على تلك الديار فأعطاه الامان وطلبه عنده وقتله وولى بعده أميرا ممن كان معه وعاد الى مصر ثم الى الباب العالي واستفرت سفرته على أخذ زبيد وعدن وكان ظالما غاشما كثير سفك الدماء لا يعتمد له على عهد ولا يوثق له بأمان لم يعهد منه شجاعة ولا اقدام وانما يقتل من يقع في يده مأسورا مغلولا ودعاه المرحوم السلطان سليمان لخدمة رابعة السلطان سليم اصدقه في الخدمة فولاه الوزارة العظمى عوضا عن لطفي باشا لما عزله واستمر وزيرا أعظم مدة يسيرة الى أن عزله ﴿وولي مكانه الوزارة العظمى رستم باشا﴾ في سنة احدى وخمسين وتسعمائة وكان السلطان قد زوجه كريمته صاحبة الخيرات خانم سلطان بنت السلطان سليم خان فلا عين الوزارة وزين صدر الصدارة وهو من جنس الارنؤط من مماليك السلطان سليم خان رحمه الله تعالى وكان ذكيا لمعيا حاذقا فطنا زكيا قابلا وسيع ومكر دقيق بديع جيد الطاقة حسن القريحة ثاقب الرأي حليما صبورا رزينا وقورا كامل العقل كثير الادب اجتمع فيه من صفات الكمال ما لم يجتمع في غيره من الرجال ولم يكن فيه خصلة تشينه غير افراط حب الدنيا والميل الشديد الى

فأخذوها وقتلوا الوزير المذكور ونهبوا البلد وكان الشريف عبد الله بن حسين قد قصد وصول الجردة الى الوادي وجمع جموعا من العربان ومن أطاعه من الاشراف وشاع أمر الجردة بمكة فأرسل الشريف أحمد بن سعيد حريم آل زيد الى الطائف وأقام بمكة عن عنده من العسكر والناس بين مصدق ومكذب ومهون ومصعب وناظر الامر وتحقق أرسل الشريف أحمد للعربان يطلبهم وهو خلي من الدرهم والدينار فاجتمع عنده نزر يسير ثم تفرق أكثرهم وفي اليوم الرابع عشر من ربيع الاول وصلت الجردة الى الوادي فأرسل الشريف أحمد المفتي علي بن عبد القادر الصديقي والسيد عبد الله القمر الى الوادي لكشف هذا الامر فاجتمعوا على أبي الذهب بوادي مر وخاطبوه في هذا الامر فرأوه لا يرضى الا بجلوس الشريف عبد الله بن حسين على كرسي الشرافة فأرسلوا لخادم بحير الشريف عبد الله بن حسين بما شاهدوه ثم رجعوا وفي اليوم السادس عشر من ربيع الاول ارتحل أبو الذهب بالجردة وأناخ بالزاهر وصف المدافع تجاه بئر طوى فخرج الشريف أحمد بمن معه من العسكر والرجال ولم يتجاوز المصانع التي في الربيع وهو للقضاء والقدر مسلم ومطيع وظهر له انه لا فائدة في اللقاء والحرب فأودع السيد طه بن حسين أخا الشريف عبد الله بن حسين حريمه وأطرافه بأن يلاقي ذلك باسلافه وطلب منه الامان وأخلى لهم الديار وبان فدخل مكة ثم توجه الى العابدة ثم الى الطائف ﴿ذكر ولاية الشريف عبد الله بن حسين البركاتي سنة ١١٨٤﴾

وفي يوم الجمعة ثامنة عشر من ربيع الاول دخل أبو الذهب الى مكة وملأ جنوده كل ناحية وسكة ونزل بدار الملك والسيادة المسماة بدار السعادة وكانت مدة الشريف أحمد بن سعيد خمسين يوما وجلس في هذا اليوم على كرسي الشرافة مولانا الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن أبي نمي وحسين والد عبد الله بن حسين ينتسب اليه السادة الاشراف من ذوي بركات المشهورون الآن بذوي حسين وقد بارك الله في أولاده حتى صاروا هم العدد الكثير وانهم يفوقون على بقية أفخاذ ذوي بركات مع أن المدة الآن بينه وبين جدهم حسين المذكور نحو مائة سنة ولما تولى سيدنا الشريف عبد الله بن حسين سكن بدار آبائه الكرام المسماة بدار الهناء ونودي في البلاد باسمه وألبس أرباب المناصب وأجرى كل ما كان معتادا وامتدحه الشعراء ومات في أيامه السيد أحمد بن السيد علي طيبة أحد أعيان تجار جدة وكان صاحب أموال وعقار ومراكب عدة فخاطب بيت المال عثمان الوشي بنقد جزيل وقال له قد مات أحد أعيان التجار وخذ كذا من ماله هذا المقدار فزجره عن أخذ شيء من أمواله وقال كيف تأخذ ذلك مع وجود أهله وأولاده أما سمعت قول رب العزة ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا

جمعها بكرة وعشيا وتلك خصلة عمت أكثر الطباع والشيم وغلبت على أكثر أهالي الأمم ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب
ويتوب الله على من تاب واستمر في الوزارة العظمى الى أن قتل المرحوم السلطان مصطفى وكان ذلك مما يقال بتأسيسه وتحيله
وتدسيسه حتى ان بعض الظرفاء جعل تاريخ ذلك ما زعم انه ألهم به وهو (مكر رستم) وتوهم من العسكر الاقدام عليه بالقتل فعزله
السلطان صونا له وخوفا عليه من العسكر ﴿وولي مكانه الوزارة العظمى أحمد باشا﴾ الذي كان وزيرا ثانيا وكانت وزارته تحلة
القسم ونفلة لما أضمره السلطان في خاطره الأشم الى أن قدر الله ما قدره في الازل ودنا منه وقت حلول الأجل فعند بروزه
من عرض الامور عليه وانصرافه من بين يديه أمر بقتله عند الباب الداخل من السرايا فقتل هنالك وأخرج
ما فوقاني بساط وتفرقت عنه الأتباع والأسباط ومضى الى الله الكريم وقدم على الغفور الرحيم ﴿وأعيد عوضه رستم باشا﴾ واستمر وزيرا كبيرا معتبرا اعتبارا كثيرا يعمل بآرائه وينفرد بانفاذ الأمر وامضائه لا يعارضه أحد من الأركان بل يطيعونه ويذعنون له غاية الاذعان وصار لا يتصرف قضاة العسكر والدفتردارية والبكلاربكية وسائر الحكام والنظار في منصب جليل أو حقير صغير أو كبير الا بأمره واشارته وارادته بحيث لم يعهد لوزير قبله أحاط بالامور كاحاطته وحفظ جزئيات المناصب وكلياتها وتيقظ كحفظه ويقظته وكان لا يخلو من الصدقات والاحسان والميل الى العلماء والصلحاء واستمر على عظمته وجلالته لم
يختل منها شيء الا في فتنة السلطان بايزيد ولكل شيء حد محدود وأمد من المقدور معدود فان السلطان فارسل
اتهمه بالميل مع بايزيد وزلت بسبب ذلك مرتبته عنده بالبون البعيد ولكنها كانت تهمة واهية لا أصل لها وكان خائفا من ذلك
أشد الخوف ولم يشاوره السلطان في شيء من أحوال بايزيد وكان يشاور علي باشا فأدى الحال الى ما أدى ولو استشار رستم باشا
وأطاعه في رأيه لم يتفاقم أمره الى ما آل اليه لحسن سياسته ودقة تدبيره والامر الى الله من قبل ومن بعد وما قدره الله فهو كائن
والاقدار تدور وتحول أولي الاخطار وكم أريق في هذه الفتنة دم لا ذنب لصاحبه وكم قتلت بالتوهم نفوس مظلومة لا جرم لهم في
هذه البلاد ونوائبه لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى • حتى يراق على جوانبه الدم واستمر رستم خائفا يترقب الى أن

ثم أمره ان يعيد المال الى أهله بعد ان وبخه ولامه على فعله ومما اتفق له انه كان راكبا ذات يوم
فطعنه رجل من الدراويش المساكين في فخذه الايمن بسكين وكان هذا الدرويش مجذوبا غائبا عن
الوجود يعتقد الناس فيه خيرا فاراد قتله جميع الخدم فلما تحقق الشريف حاله سمح عنه عفة وكرما
وعلى كل حال فقد كان مولانا الشريف عبد الله بن حسين حسن الخلق عربي الطباع وله فضل في
العربية شائع لكن أبو الذهب الذي جاء بالجردة سد رمقه ومن اتباعه أنواع الجور والاجحاف

﴿ذكر سجن مفتي مكة وتغريمه عشرين ألف ريال﴾

فمن ذلك انه سجن مفتي مكة الشيخ علي ابن المفتي عبد القادر الصديقي ولم يخلصه حتى أخذ منه
عشرين ألف ريال وأخذ من التجار أموالا كثيرة بالظلم والاعتساف ونهب دار المرحوم الشريف
مساعد التي كانت في شعب جياد ثم أخرج من بقي من آل زيد من مكة ووقع حريق في دار السعادة فظن
بعض الناس انه بأمره لكن تبين ان الامر ليس كذلك لانه كان ساكنا في تلك الدار واحترق في النار
بعض مماليكه وذهب كثير من ماله حتى صاروا يخرجون أدباشه بأعظم مشقة ومن الظلم الذي حصل
من اتباعه انهم في مدة اقامتهم بمكة لم يسلم من أذيتهم أحد ولم يزالوا يجورون على الناس في الاسواق
هذا ما كان من أمر الجردة وأما الشريف أحمد بن سعيد فانه لما طلع الطائف قصد وادي لية وجمع
بعض العربان وقصد الطائف فهرب منه وكيل الشريف عبد الله بن حسين وهو أخوه السيد عبد
الكريم بن حسين فدخل الشريف أحمد الطائف بلا حرب ولا قتال لست بقين من شهر ربيع الاول
ونودي باسمه في البلاد فارسل الشريف عبد الله بن حسين الى الطائف السيد أحمد بن عبد الكريم
ابن يعلى فاستنجد على الشريف أحمد كثيرا من الرجال وأرسل للشريف عبد الله بن حسين يطلب منه
جانبا من عساكر الاتراك فاتفق مع أبي الذهب على ارسال حسن بيك شبكة ومعه جملة من الغز على
الخيل السوابق ومعهم نحو الثمانين من السادة الاشراف ونحو المائتين من العسكر وأمر عليهم أخاه
السيد حامد بن حسين فلما بلغ الشريف أحمد هذا الخبر رحل مسرعا وفي اليوم الثاني والعشرين
من ربيع الثاني قصد الشريف أحمد مكة من طريق كرى وقد جمع جماعة من بني سعد وثقيف
وأناخ بعرفة فخرج لقتاله الشريف عبد الله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من العسكر واقتتلوا
معه يوما كاملا وكانت جنودهم تزيد على جنوده باضعاف مضاعفة ومع ذلك فقد ظهر عليهم
مرارا ثم صنعوا الدسيسة ومكيدة وذلك انه جاءه جماعة من عسكرهم ونكسوا اعلامهم وقالوا
نحن معك ومنضمون اليك فاطلعهم معه على الجبل الذي كان فيه فلما ان تمكنوا قاتلوه وأقبلت عليه
جنود أبي الذهب من كل محل فطلب الامان وقد أجهده ومن معه الجوع وتحقق عند أبي الذهب ذلك

فارسل اليهم شيأ جزيلا من الطعام فقبله منه الشريف أحمد وأهدى اليه كحيلة من خيله الجياد فقبلها أبو الذهب ثم توجه الشريف أحمد الى الليث ورجع الشريف عبد الله بن حسين وأبو الذهب ومن معهم من الجنود والعساكر الى مكة ثم ارتحل الى مصر في عشرين من جمادى الاولى وأبقى حسن أغا شبكة وجعله والياعلى جدة وأبقى عنده شيأ من العسكر فلما سمع الشريف أحمد بن سعيد بخروج أبي الذهب من مكة شمر عن ساعد الجد لاخذ الثار وجمع العربان من كل مكان وجمع له السيد ثقبة بن عبد المحسن الشنبري عربانا من ثقيف وأقبلوا على مكة ونزلوا بعرفة في الحادي عشر من جمادى الثانية وأجمع رأيهم ان يجعلوا القوم شطرين شطرا من طريق المسفلة وشطرا من أعلى مكة فخرج لقتالهم الشريف عبد الله بن حسين ومعه حسن شبكة فالتقوا مع القوم عند المعابدة فاقتتلوا أربع ساعات واقبل العربان الذين من أسفل مكة وشنوا الغارات فأسفرت هذه الملحمة عن انهزام الشريف عبد الله بن حسين وقتل من جماعته جم غفير وقتل من البادية الذين مع الشريف أحمد جانب خفيف ومنهم رابع شيخ بني ثقيف و بسبب قتل رابع المذكور انتصر الشريف أحمد لانه لما قتل رابع شق قتله على قومه فحملوا حملة رجل واحد حتى هزموا جماعة الشريف عبد الله بن حسين ثم انه طلب ذمة وتوجه الى الوادي ومعه الصنجق حسن شبكة

﴿ذكر رجوع الشريف أحمد بن سعيد لولاية مكة وخروج الشريف عبد الله بن حسين البركاتي سنة ١١٨٤﴾

ودخل مكة الشريف أحمد بن سعيد فكانت مدة الشريف عبد الله بن حسين شهرين وثلاثة وعشرين يوما ومنذ دخل الشريف أحمد أمر بحرق دار آل بركات لاعتقاده انهم الآمرون بحرق دار السعادة فنهب الناس جميع ما في دار آل بركات ونهبوا الدور التي للرجال المقربين عندهم من أرحام وأتباع ونادى المنادي في شوارع مكة باسم الشريف أحمد بن سعيد ولما توجه حسن شبكة الى الوادي توجه منه الى جدة ودخلها فارسل له الشريف أحمد يأمره بالخروج فأبى وامتنع فوجه اليه من الاشراف والبوادي والعساكر ما يزيد على أربعة آلاف ثم وصل الى مكة السيد عبد الله بن مسعود ومعه من قبائل اليمن جرود لم يلحق بهم الحرب السابق فتوجه بهم الى جدة ولحق الاولين وتحقق عندهم ان الصنجق مصمم على القتال فأغلق أبواب البلاد وترسها وأخرج المدافع الكبار على الشكدوة وصارت خيله تخرج كل ليلة من البلد وتعس الى الرغامة ثم تعود صباحا الى جدة بالسلامة فوصلت السرية الى جدة بليل وأقاموا على موضع يقال له غليل وأرسلوا كتابا من الشريف أحمد الى كخدا العسكر ليقصد من معه من العسكر في البندر وجعلوا له شيأ من المال

أمرضه الوهم وأنحله فصار في فراشه يتقلب الى أن وافى أجله المحتوم فمات وقدم على الله الحي القيوم وهو عليم بما تخفى الصدور وهو الرحيم الرؤف الغفور وكانت وفاته في سنة ثمان وستين وتسعمائة ودفن في تربة بقرب تربة الشهزاده السلطان محمد رحمهما الله تعالى ﴿وولي بعده الوزارة العظمى علي باشا﴾ وكان من جنس البوسنة وكان جسيما طويلا فهما فطنا نبيلا على خلاف ما يتراءى من عظيم هيكله وسمن بدنه فان ما فطنة البلادة في الاكثر وذا أخطأ فيه مقتضاه زادت انفطانه غاية كان نقل هذه الهيئة عن الامام محمد صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه وانه كان في غاية الفطنة والذكاء يضرب به المثل في ذلك وكان علي باشا له فضيلة في الانشاء والنظر في التاريخ اجتمعت به في رحلتي الى اصطنبول في سنة خمس وستين وتسعمائة فرأيته لطيف المحاورة حسن المفاكهة لذيذ المصاحبة ذكر لي بعض غزواته الدالة على قوة شجاعته وانه باشر قتال الكفار بنفسه وانه افتتح قلعة عظيمة اقتلعها منهم فقلت له ان لم يقيد ما ذكرته بالتدوين يذهب من الخواطر ولا يعلم تفصيله بعد سنوات قليلة وانا في من كان حاضرا في هذه المذاكرة خبره أيضا ولم يذكره أحد بعد ذلك من اقارب يمحى عمله من صفحات الوجود بعد قليل وذكرت له اعتناء علماء العرب بعلم التاريخ وانه من جملة كتب التاريخ اللطيفة الروضتين في أخبار الدولتين لابن أبي شامة ذكر فيها دولة السلطان نور الدين الشهيد والسلطان صلاح الدين ابن أيوب وغزواتهما مع الفرنج وافتتاح البلاد وحدا برتهما على الجهاد وهو كتاب في غاية اللطف وحسن الوضع باق على صفحات الزمان معلوم عند القاصي والداني مخلد فيه ذكرهما وزيد في اطناب أوراق الدهر أثرهما وهما في الحقيقة أميران من أمرائكم أحدهما بكلربكي مصر والثاني بكلربكي الشام فلاي معنى لا تكون أخباركم وآثاركم متداولة في الكتب مخلدة في صفحات الاعصار والحقب فأعجبه كلامي كثيرا وأمر فاضل ذلك الوقت في الانشاء العربي صاحبنا المرحوم المقدس مولانا علي جلبي الحيدي المعروف بقنالوزاده أفندي أحد أفراد الدهر علما وفضلا وواحد علماء العصر كمالا ونبلا طيب الله ثراه وجعل الفردوس الاعلى مثواه أن يكتب شيأ في ذلك فشرع وأتى بعد هنات في شيء من هذا المعنى فائق في بابه لطافة وحسنا ثم تقلبت الليالي والايام ومنعت الموانع من حصول ذلك المرام

ثم انقضت تلك السنون وأهلها • فكأنها وكأنهم أحلام   واستقر علي باشا على وزارة العظمى في مدة صدارته الاجل الاسمى نافذ الامر عالي القدر صاحب الصدر الى أن نقله الدهر عن صدارته ورماه الزمان عن قوس وزارته ودعاه داعي القضاء الى حفرته فعاش حميدا ومضى الى لحده وحيدا فريدا وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء جديدا وما صحبه مما خوله غير ما قدم من أعماله وقدم على الله الكريم بما كسب من أفعاله وهو أرحم الراحمين بعباده في كرمه وافضاله ﴿ثم ولي مكانه الوزارة العظمى﴾ في ذلك المقام الارفع الاسمى آصف الوزراء العظام أسعد السعداء الكرام ﴿حضرة محمد باشا﴾ أبقاه الله تعالى في مجد واصدارة على الثبات والدوام (٢٠٦) وصانه عن آفات الدهر وحرسه عن نوائب الايام وناهيك به عقلا وحزما وصرامة وعزما وأقداما وحزما ودقة وفهما وذكرا ثاقبا ورأيا صائبا وحذقا وفطانة وصدقا وأمانة وكمالا وجمالا ومهابة واجلالا وسعادة واقبالا ونظرا في عواقب الامور ورعاية لمصالح الجمهور ومحبة للعلم والعلماء واعتقادا في الصلحاء والاولياء واحسانا الى الفقراء والضعفاء ويقال فيه

وما بلغت كف امرئ متناولا • من المجد الا والذي نال أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة • وان أطنبوا الا الذي فيه أكمل

وكان على وزارته وعظمته وصدارته الى أن أشار اليه أيضا بكمال التدبير والمضاء بحيث تحير العقلاء وثبات جأشه وعدم نفرته واستقباله وضبط الجيش الاعظم وحفظ الخميس العرمرم وهم في أرض العدو في حومة القتال ووقت الحرب والصيال وشدة الجلاد   عدم والجدال وقد توفي السلطان سليمان في ذلك الحال فلم يقع شيء من الاختلال وانتظمت الاحوال وأخذت قلعة سكتوار من القرال وهي محشوة بالعدد والمدد من القرنج الابطال والسلطان في السكرات والغمرات وكتم ذلك عن جميع خدامه ومن حوله من الاعوان وأرسل الى ولد السلطان سليم من مسافة ستين يوما وأجلسه على التخت وما وضعت الحرب أوزارها بل أضرمت المجاهدون نارها وغنمت المسلمون وخذلت النصارى بأنصارها ثم عاد العسكر وقد انتصر الاسلام وانهدم ركن الاصنام وخذل الله في هذا الحال طوائف الكفار اللئام وكان ذلك الاحتيال والترتيب بتدبير هذا الوزير الحاذق اللبيب ورأيه المنير الثاقب

فسعى في نقض تلك المباني وتواطأ معهم أن يهجموا من الباب اليماني فهجم جيش الشريف ومعهم وكيل الشريف ومالكوا واحدة في غاية جمادى الآخرة بعد أن قتلوا جملة من الاتراك وأخرجوهم من بلاد ... ولم يبق في أيديهم غير القلعة فترسوها بناء على أنهم انصورهم فاجتمعت عساكر الشريف حولها وتحقق الصحيح أن القلعة لا تصونه ولا تنفعه فخرج من الباب الصغير الذي في مؤخر القلعة وخاض بحرجه في الماء وتوجه بمن معه الى ينبع وتبعه الشريف عبد الله بن حسين وشاع عند الناس أنهم يريدون تلك المدينة وبلغ الخبر أهل المدينة فتحصنوا واستعدوا وأمضهم على القتال ثم تبين أنهم لم يريدوا المدينة بل توجهوا الى مصر ولم يزل الشريف عبد الله بن حسين مقيما بمصر القاهرة متعجبا في حكمة الله الباهرة وكيف مضى عليه هذا كله في أول أيام تولي الملك ثم زال عنه كأنه أضغاث أحلام ثم توجه الى أرض الروم ومكث فيها الى أن توفي رحمه الله تعالى لكن عسكر الشريف وجنوده لما دخلوا الى جدة وملكوها في هذه الواقعة نهبوا غالب دور أعيانها التكار والحواصل التي فيها أموال التجار وتركوا البندر خرابا بعد العمار وكان في جدة من الاقوات شيء كثير فاتفق هذا حصول غلاء بمكة وجدة وبقية الاطراف واشتد الكرب على المسلمين حتى أن البادية كانوا في مدة هذا الغلاء يأكلون الهرات ويشربون الدم المسفوح واستمر الامر هكذا الى آخر السنة ثم الحاجات المنعقدة في سنة خمس وثمانين ولما وردت الحبوب ازدحم الناس على شرائها لما بهم من الجوع في مدة الغلاء حتى انه اتفق انه أخرج الى السوق خمسمائة اردب في يوم واحد فلم يأت عليها الضحى الاولم يبق منها شيء حتى قال بعض الملا ان الجن عندهم مثل ما عندنا من الغلاء وفي هذا العام كثر قطاع الطريق وتمرد كل جبار وزنديق وفي سنة خمس وثمانين منع امام اليمن جميع التجار من ارسال شيء من البن لهذه الاقطار بسبب ما أحدث من زيادة العشور فثقل على الشريف الدخول فارسل السيد عبد الله بن أحمد الفعر الى اليمن لاستعطاف الامام لست بقين من شهر الصيام ورجع في شهر الحجة مخبرا ومبشرا بأن الامام أطلق للتجار ارسال البن ولما وصل وجد الشريف سرور قد جلس على كرسي الشرافة فبارك له وهنأه وكان السبب في تملك الشريف سرور كرسي الشرافة وانتزاعها من عمه الشريف أحمد بن سعيد ان الشريف أحمد في شهر شوال من سنة خمس وثمانين ومائة وألف أراد عزل الوزير يوسف قابل من وزارة جدة وتوجيهها للوزير حسين ابن ابراهيم الشامي فوجهه الى البندر المذكور ومعه السيد سليمان بن يحيى وجانب من العسكر وأمرهم بالقبض على الوزير يوسف قابل ووضعه في الاغلال والسلاسل وكان الشريف سرور حين صدور هذا الامر من عمه حاضرا في مجلسه ولم يجعل الشريف أحمد هذا الامر مكتوما فتولد من

عدم كثيران هذه الامور كثير من الشرور فخرج الشريف سرور من المعابدة وركب ناقته وتوجه الى جدة فوصل اليها قبل أن يصلوا اليها ونزل عند الوزير يوسف باشا وأخبره بالامور التي قصدوها وعزموا عليها فلما جاء المرسلون من الشريف أحمد لقبض الوزير يوسف باشا منعهم الشريف سرور وقال أنا له مجير وطال بينهم وبينه النزاع ثم حصل الاتفاق ان يتوجهوا جميعا الى مكة بلا اقالة الشريف أحمد ويكون النظر اليه في أمر يوسف باشا أو يكرمه فخرجوا جميعا من جدة فلما كانوا في أثناء الطريق مال الشريف سرور والوزير يوسف باشا عنهم ثم الا وصمم على قتال عمه وانتزاع الامارة منه مستعينا على ذلك باموال يوسف باشا كما وعده بذلك

والليالي من الزمان حبالى ۞ مثقلات يلدن كل عجيب

فلما أصبح الصباح عليهما الا وهما على وادي مر فطلب الشريف سرور به خيامه وقبب وأرسل لعمه كتاب النسب فأرسل اليه عمه يراوده على الصلح فلم يرض الا بالقتال فلما علم عمه عدم الرضا استهون أمره ولم يدر ما يجري به القضاء وانما استهون أمره لان الشريف سرورا كان صغير السن في ذلك الوقت كان عمره ثماني عشرة سنة ورحم الله القائل

لا تحقرن صغيرا في تقلبه ۞ ان الذبابة تدمي مقلة الاسد

ثم ان الشريف سرورا أرسل القبائل فتيبه وواعدها على موضع يقال له السيل وسار من الوادي فجمع ابل واجتمع عليه بعض الاشراف وجماعة من عبيد أبيه وغيرهم من الرجل فتوجه بهم الى العابدية وجاء بعض عابدية اللاين وعدهم بالسيل فلم يزد جميع ما اجتمع عنده على الثلثمائة فتوجه بهم الى المعنا فخرج له عمه مع من عنده من العسكر ومعه الخيل الجياد وسمر القنا ووقعت ملحمة بين الفريقين وأسفر الامر عن انهزام عمه الشريف أحمد بن سعيد بعد قتال ساعتين ثم نهبت البادية خزانة الشريف أحمد وانفرط عقده بمكة وتبدد وزالت عنه الدنيا وولت وهذا حالها آن اقبلت فنعوذ بالله من اقبالها وادبارها فطلب الشريف أحمد من ابن أخيه ذمة على حسب القواعد بين السادة الكرام وتوجه نحو نعمان واتفق انه عند انهزام الشريف أحمد ونهب البادية اثارته تارت تارق شيء من بارود الجبخانة فهلك من ذلك نحو خمسين من العرب

۞(ذكر ولاية الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد سنة ١١٨٦)۞

فدخل مكة مولانا الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن ابن أبي نمي وكان دخوله يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة ست وثمانين ومائة وألف ونودي باسمه في شوارع مكة وأمنت البلاد والعباد

المصيب وتداركها بما يجب تداركه بالقلب الرحيب وكل ذلك بالالهام والامداد من الله القريب الرقيب مع كثرة احسانه وتوفر انعامه وتأنس ألطافه واسعافه واكرامه سيما أهل الحرمين الشريفين من اجراء عيون وحفر آبار وابنية للفقراء وغير ذلك من المآثر الجليلة والخيرات الوافرة الجزيلة التي يحتمل أن تفرد بالتأليف ونوردها تصنيف جليل لطيف وله مآثر في أكثر بلاد الاسلام وقد أجرى عين الزرقاء بالمدينة الشريفة بعد خفتها وأضاف اليها آبارا منها بئر أريس وهي بفتح الهمزة وكسر الراء وسكون الياء المثناة التحتية واهمال آخره معروفة بقباء من أعذب آبار المدينة ذكر المجد الفيروزابادي ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها ووقع فيها خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد سيدنا أمير (٢٠٧) المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو جالس على حافة البئر فأنزل فيها رجالا ليخرجوه فلم يظفروا به ونزح عليها اثني عشر ناضحا لينزحوها فغلبهم الماء ولم يوجد الخاتم وكان أول الفتن الى أن أدت الى شهادته واختلاف الناس على سيدنا علي رضي الله عنه ونسبت هذه الفتن الى ذهاب خاتم النبي صلى الله عليه وسلم ۞ ثم ان في عصرنا جعل حضرة الوزير الاعظم دبلا من مائها الى مصب عين الزرقاء وصرف على ذلك أموالا عظيمة وفوريت العين وأضاف اليها مياه آبار أخر حلوة قوي بها جريان عين الزرقاء الى أن أجرى دبلا منها الى باب الرحمة وجعل فيه موضعا يتوضأ فيه الناس لدخول المسجد الشريف وأجرى دبلا منها لحمام عظيم مكانه بناه في المدينة الشريفة انتفع به أهل المدينة والوارد وعراله بالخير وسار ثوابا جاريا ۞ ومن خيراته أنه أوسع بئر ذي الحليفة ويقال لها بئر علي رضي الله عنه وهو ميقات أهل المدينة وأهل الشام للاحرام لدخول مكة فحفرها ونزل في الارض الى أن جعل وجه الماء عشرا في عشر لا ينجس بوقوع النجاسة فيها وجعل أحد جوانبها الاربع درجا ينزل من أعلاه الى أسفله حيث كان محل الماء فصار كل أحد يرد اليه بسهولة بلا تكليف ولا احتياج الى دلو وحبل ونحو ذلك وهذا خير عظيم جزيل ۞ ومنها أنه أمر أن يبنى له بمكة المشرفة بقرب الحرم الشريف موضع يكون مأوى للفقراء صونا للمسجد الحرام عنهم وأن يبنى فيه مساطب ومباسط تصلح للمرضى فتكون دار الشفا لهم وأن يبنى من خارجه دكاكين وبيوت تكرى وتصرف في مصالح هذا المكان وأمر ببناء حمام في وسط البلد عظيم البنيان طيب الماء والهواء وله رباط أيضا

وخيرات أخر كلها مثوبات عظمى * ووردت صدقاته في سنة أربع وثمانين وتسعمائة مضاعفة ففرقت في الحرم الشريف على الفقراء والضعفاء وتضاعف الدعاء منهم لحضرته الشريفة ولنجله السعيد بلغه الله تعالى مراتب الكمال ورزقه السعادة والاقبال والله تعالى يطيل بقاه ويديم عزه وعلاه ويثبت وزارته العليا ويبقيه في صدر الصدارة الكبرى ما دامت الدنيا محفوظا بالملائكة الكرام محروسا بعين الله الحي الذي لا ينام مصونا من نوائب الليالي والايام بجاه سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام

وهذا دعاء شامل النفع للورى * فيارب قابل بالقبول دعائي

(فصل في ذكر غزوات السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان)

كان السلطان المرحوم المغفور له محبا للجهاد في سبيل الله باذلا نفسه وخزائنه لاعلاء كلمة الله يؤثر التعب في ذلك على الراحة ويحب الغزو ويرغب بنفسه عن الاستراحة بحيث لم ترتفع راية الاسلام على رأس أحد من السلاطين العظام أكثر جهادا وأنصر للدين وأكثر عددا وأعظم قطعا لدار المشركين وأكبر ملكا وسلطانا وأكثر جيوشا وأعوانا وأقطع سيفا وسنانا وأحمى للاسلام وذويه وأنكى للشرك ومحبيه وأعدى للافرنج الملاعين وأقمع للكفرة والملحدين وأقوى نصرا للاسلام والمسلمين وأشد عضدا لاهل الايمان وأنصر لاهل السنة في هذا الزمان من السلطان سليمان خان فكم دوخ بلاد الكفر واستباحها ودمر أرض أعداء الله بحافر فرسه واجتاحها وجاس خلال مغانيها وربوعها وافتتح صياصيها وقلاعها وأخرب معاهد الاصنام وبنى مساجد الاسلام فلو نشرت صحائف الدول لكانت دولته عن غرة تلك الدول ولو عددت فتوحات السلاطين لكانت مساعيه طراز تلك الحلل وان غزواته يجب افرادها بالتأليف ليبقى في صفحات الدهر ذكره الشريف وأما هذا التصنيف اللطيف فلا يسع منها الا الطفيف فنذكرها اجمالا في هذه العجالة ونعدد أسماءها في غصون هذه الرسالة فان فسح الله في الاجل وساعد العمر على ذلك الأمل حررنا لآل عثمان تأليفا جليلا وكتابا حافلا طويلا يستفيد منه علماء العرب والعجم ما لا يجدونه في كتب تواريخ الامم ان شاء الله تعالى **(فنقول أول غزواته)** عند ماولي السلطنة غزوة انكروس برز اليها من القسطنطينية العظمى لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع

(الواقعة الثانية بين الشريف مسرور وعمه الشريف أحمد بن سعيد)

ولما تم له عشرون يوما من ولايته أقبل عليه عمه في غاية من القوة فخرج لقتاله بعالية من خيل وعسكر وخدم ووقع القتال بينهما عند بركة الماجل فانهزم الشريف أحمد وتفرق جيشه وتبدد فأخذ ذمة عشرة أيام ورجع الى موضعه الاول وأقام وهذه الواقعة الثانية من الوقائع التي كانت بينهما وكانت في رابع ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة وألف ولما كان اليوم الثامن من ذي الحجة أراد الشريف مسرور الصعود الى عرفة فامتنع جميع العسكر من الصعود معه يزعمون ان لهم عنده سبع جوامك يقولون ان آستانة الباشا توجهنا معلقة فالتزم لهم بها على أن يعطيهم نصفها والنصف الآخر عند مارجع من الحج وتعهد وأعطاهم رهونا عنه فامتنعوا من ذلك تعصبا وعنادا فتركهم وسطا بعبيده وعبيد أبيه ونفر من عشيرته وذويه ومعه ركب أهل المدينة وحج بالناس وكانت حجة أمن وسرور ولما نزل الناس من الحج اجتمع كثير من السادة الاشراف وقصدوا مصطفى باشا أمير الحاج الشامي وطلبوا منه ان يعزل الشريف مسرور ويولي بعده عمه كما كان فامتنع وقال لا يمكن هذا الا بفرمان من السلطان ثم بعد سفر الحج أرسلت العساكر التي امتنعت من الصعود الى الحج مع الشريف مسرور الى الشريف أحمد وطلبت منه ان يصل اليهم ويقومون بحمايته وارجاعه الى كرسي الشرافة فدخل البلد مختفيا وتوارى في بيته ولم يشعر به أحد فلما كان يوم الجمعة الخامس والعشرون من ذي الحجة قبل الصلاة والشريف مسرور غافل لم يعلم بشيء مما صنعوه لم يفطن الا والرصاص من بيوت العسكر ومن جبل أبي قبيس ينصب كالمطر فسأل عن ذلك فأخبروه بأن عمه قد وصل الى داره والعسكر قائمون معه لاخذ ثاره فاستلحق من بقي عنده من القبائل الذين عرضوا عليه في أيام الثمان وشمر عن ساعد الجد ثم خرج عبد الله بن ثنيان آغا وطلب من ابراهيم بيك أمير الحج المصري ان يمده بالعساكر فأرسل معه جريدة من الخيل والرجال لكن ليس للخيل في ميدان الرصاص من خلف الجدار مجال واستمر الحرب بقية اليوم والليلة

(الواقعة الثالثة)

وفي صبيحة يوم السبت دقت بابهم الحرب واشتد القتال والضرب وعاد ثانيا ثقال أعالي الصف في طلب الرصاص والبارود وقد أعطاهم صناديق من القشلة وجانبا من الرجال فحملت القوم على القوم فانهزم جماعة الشريف أحمد شر هزيمة يدبرون فلما ظهرت الغلبة عليهم واشتد الحصار طلبوا الامان وأخذ الشريف أحمد ذمة ثلاث ساعات في المعاهدة ثم خرج وأما العسكر فأمر مولانا الشريف مسرور باخراجهم من البلد وان لا يبيت فيها منهم أحد الا عسكر اليمن فانهم كفوا أيديهم

وتسعمائة بعسكر جرار وجيش كرار عظيم المقدار يدك الارض دكا ويصدع الجبال الراسيات صدعا فلما وصلوا الى ديار الكفار جاسوا
خلالها ونازلوا أبطالها وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها ونهبوا امتاعها وأموالها وفتحوا حصونها وقلاعها وملكوا أرضها
وبقاعها وأعظم ما افتتح قلعة بلغراد وهي قلعة منيعة محكمة باقية الى الآن بيد المسلمين وأخذوا غيرها من بلاد المشركين
وغنموا الغنائم الكثيرة وأثروا الآثار الاثيرة وعاد السلطان الى دار ملكه سالما غانما ظافرا منصورا مؤيدا بنصر الله ظافرا
مسرورا وزينت البلاد لانتصاره وكان الله من أنصاره وذلك أول فتوحاته وغرة أسفاره وغزواته وكان عوده الى سرير
ملكه في شهر ذي القعدة الحرام سنة سبع وعشرين وتسعمائة وفي هذا العام عصى جان بردي الغزالي الجركسي
أمير الامراء بالشام وجمع طائفة من عصاة العرب وبعض أشقياء الجراكسة وادعى السلطنة وخطب لنفسه فجهز عليه فرهاد باشا فقاتله بقرب الصالحية وأمسكه وقطع رأسه وأزال عن المسلمين ضرره وبأسه وأرسله الى الباب العالي وكفاه الله أمره ودرأ عن المسلمين فتنته وشره وذلك سابع عشرين من شهر صفر الخير سنة سبع وعشرين وتسعمائة ﴿الغزوة الثانية غزوة رودس﴾ هي جزيرة في وسط البحر ما بين اسطنبول ومصر وبنى بها الكفار حصنا حصينا وحصارا في غاية الاستحكام مكينا اتخذه الكفار مكمنا لاخذ المسلمين وأتقنوه نهاية الاتقان والتمكين بحيث رسخ أساسه الى تخوم الارضين وارتفع رأسه الى نجوم الشرطين والبطين ينظرون الى

السفائن التي تمر في البحر من مسافة بعيدة فيتهيؤن للخروج ان كان ذلك عسكرا من المسلمين ويأخذونهم
ان كانوا من سفار البحر واتخذته النصارى معبدا يجهزون أموالهم اليه ويبذلون في استحكام بنائه واتقانه وجعلوا من أعلاه الى
أسفله من جميع جوانبه نقوبا وضعوا فيها المدافع الكبيرة ترمي على من يقصدها من الخارج فتصيب كل من قصدها من
جهة من الجهات ولها باب من حديد وسلسلة عظيمة في وسط البحر تمنع المراكب من الوصول الى الباب ويهيؤن أغربة مشحونة
بالسلاح والمدافع والمقاتلة اذا أحسوا بسفينة في البحر من الحجاج والتجار أخرجوا اليها تلك الاغربة فيأخذونها بما فيها من الاموال وأسروا
المسلمين فيقطعون الطريق على هذا الاسلوب ويجمعون الاموال ويصرفونها على مقاتليهم وكان هذا دأبهم وعجزت ملوك المسلمين

عن القتال فخرج العسكر منكسي الاعلام مفرقين بين غرب وشام وهذه الوقعة الثالثة للشريف أحمد مع الشريف سرور

•(ذكر وفاة المفتي علي بن عبد القادر الصديق مفتي السادة الاحناف سنة ١١٨٧)•

وفي شهر صفر سنة سبع وثمانين ومائة وألف توفي المفتي علي ابن المفتي عبد القادر الصديق وكان تقلد الفتوى بعد أخيه المفتي يحيى المتوفى سنة أربعين فكانت مدة مباشرة المفتي علي الفتوى تزيد على الاربعين سنة وبعد وفاته تقلد الفتوى ابن أخيه المفتي عبد القادر بن المفتي يحيى بن المفتي عبد القادر الصديق وتوفي سنة احدى وتسعين وتقلد الفتوى بعده المفتي عبد الملك بن عبد المنعم القلعي ومكث فيها الى سنة ألف ومائتين وثمان وعشرين وفي سنة سبع وثمانين خرج كثير من الاشراف منافرين لمولانا الشريف سرور وتفرقوا في كل الجهات ومنعوا السبل وقطعوا الطرقات

•(الوقعة الرابعة)•

وفي شهر ربيع الاول أقبل على مكة الشريف أحمد بن سعيد بجموعه فجمع له مولانا الشريف سرور الجموع وحصل بينهما القتال في أول الامر حصلت هزيمة للشريف سرور وطلب ذمة ثم حمل بنفسه حملة أي حملة فانهزم الشريف أحمد وأخذه ثم توجه الى المعدن وهذه الوقعة الرابعة بينهما ثم رجع الشريف أحمد في ربيع الثاني وملك الطائف بغير قتال

•(الوقعة الخامسة)•

ثم قصد مكة فخرج له الشريف سرور بعبيده ومن عنده من العسكر وحصل القتال بينهما في المعابدة فانهزم الشريف أحمد وتوجه الى خليص وهذه الوقعة الخامسة

•(الوقعة السادسة)•

ثم في شهر شعبان وصل السيد عبد الله الفعر الى الطائف واتفق مع السيد سليمان بن يحيى ان السيد عبد الله الفعر يخرج دراهم من عنده لجمع عربان يدعوهم لطلب مكة للشريف أحمد بن سعيد وهو في خليص فبلغه الخبر فتوجه للطائف فامتنع السيد عبد الله الفعر من اخراج الدراهم ثم نزل الشريف أحمد الى نعمان فبلغ الشريف سرورا وصوله فخرج له فذهب الى موضع هذيل يقال له ضيم فلحقه وثار عليه الحرب وارتفع الى جبال شاهقة رأى فيها حصانته فرجع الشريف سرور الى مكة وهذه الوقعة السادسة وكانت في رمضان

•(الوقعة السابعة)•

ثم توجه الشريف أحمد الى الهدا وجمع عربانا وأخذ الطائف بغير قتال وأخذ من أهله جملة من

عن دفع ضررهم وعم اذاهم المسلمين فجهز السلطان سليمان خان بعسكره المنصور الى أخذ هذه الجزيرة وكان مسيره اليها ونزول مخيمه الشريف في أسكودر متوجها الى هذا الغزو لعشرين بقين من رجب الرجب سنة ثمان وعشرين وتسعمائة وكان وصوله الى رودس ونزوله عليها في شهر رمضان من السنة المذكورة فأحاط بها برا وبحرا وما أمكن من في البران يتقدم من حصار رودس الخندق العظيم الذي حولها لصونه بالمدافع العظيمة من أعلى الحصار ولا أمكن من في البحر القرب منها للسلسلة الممدودة من الحديد في البحر والرمي على من يقرب بالمدافع الكبار فصار الكفار يصيبون المسلمين بالمدافع ولا تصيبهم مدافع المسلمين لمتانة عرض الحصار وعدم تأثير المدافع فيه فتأثرت (٢١٠) عساكر ابرقليلا قليلا وأمر بسوق الرمال والتراب أمثال الجبال وترسوا بها وصاروا يقدمونها قليلا قليلا الى أن وصل التراب الى الخندق وامتلأ به وقرب منه جدار الحصار وارتفع عليه وصار الكفار تحت المسلمين يصابون ولا يصيبون ورموا عليهم النار وأحرقوهم بنار الانفال الآخرة الى أن عجزوا ووهنوا وتحققوا أنهم مأخوذون فطلبوا من السلطان سليمان خان الامان وشرطوا أن يحملوا نساءهم وأطفالهم وأولادهم ونقودهم ويعبروا ان أرادوا فأجابهم السلطان الى ذلك بعد ان نهاه الوزراء عن أمانهم فانهم لم يبق لهم منعة ولا قوة وان الاموال التي أرادوا حملها خزينة كبيرة وان هؤلاء الكفار اذا خرجوا بهذه الخزينة أمكنهم التقوي بها وجمع العساكر من النصارى والعود الى أذى المسلمين فلم يطع السلطان الى عزلهم ومنعهم وأعطاهم الامان وخرجوا بجميع أموالهم وما عز عليهم ثم أخذوا أولادهم ونساءهم وخرجوا الى بلاد الغرب وعمروا قلعة في مملكة اسبانيا من جزيرة الاندلس في غاية الحصار والمتانة ويقال لها مالطة وصاروا يؤذون المسلمين ويقطعون الطريق على الحاج والسفار وهم الآن من أعظم أعداء المسلمين الآن أذاهم كثير وافسادهم عظيم وقد ندم السلطان سليمان خان على اعطاء الامان لهم وأرسل اليهم عمارة عظيمة بعسكر عظيم لأخذهم آخر عمره وجعل عليهم مصطفى باشا الوزير الاسفنديارى سردارا فوقع بينه وبين القابودان فتنة أدت الى انكسار المسلمين وكان في ضمير المرحوم تدارك هذا الامر وارسال عسكر آخر لأخذ مالطة وقهرها فما أمهله العمر رحمه الله تعالى وكان فتح رودس لست

الاموال وتوجه قاصدا مكة بمن معه من البادية فخرج لقتاله الشريف سرور ووقع القتال بينهما قدر ساعتين ثم انهزم الشريف أحمد وسار خلفه الشريف سرور من المعابدة الى الحسينية وذلك في سابع شوال فأدركه فقتل وسلب عبيده وخيله وعساكره وتركه فمكث بالحسينية ستة أيام وأراد التوجه الى اليمن فبلغ ذلك الشريف سرور فأرسل اليه وأخذ جميع ما عنده من العبيد وما أبقى له شيئا فتوجه الشريف أحمد الى وادي مر ثم الى خليص ثم الى المدينة وهذه الوقعة السابعة وأقام بالمدينة الى ان وصل الحج فأرسل للباشا يطلب مواجهته فامتنع فمكث بالمدينة الى المحرم ثم توجه الى خليص وأقام بها وفي السابع والعشرين من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائة وألف نزل مولانا الشريف سرور الى جدة ومكث بها مدة وأخذ منها التجار وبعد رجوعه الى مكة اجتمع كثير من السادة الاشراف وطلبوا منه معاليمهم وشددوا في الطلب فقال لهم أعطيكم ان قدمتم على دفتر الشريف مسعود فقبلوا منه ذلك وهو بالنسبة الى ما كان يعطيهم قدر الربع فأعطاهم على ذلك ولما قدم الحج أراد السيد عبد الله الفعر ملاقاة أمير الحج الشامي والاجتماع به فامتنع الباشا من ملاقاته لما علم انه مغاضب لمولانا الشريف سرور فواجه أمير الحج المصري فوعده بأنه يأتيه يوم عرفة ويصلح بينه وبين مولانا الشريف سرور فأتاه يوم عرفة فركب الصنجق ورجى عند الشريف فلم يقبل ذلك الرجاء وأبى من الصلح مع المذكور وقال ان لم يرحل لا آمن عليه وأقبضه فارتحل قبل تمام المناسك وتوجه الى الطائف فلما بلغ الشريف أحمد ما صار على السيد عبد الله الفعر ارتحل من خليص واستقر في المعدن وفي أواخر ذي الآخرة من سنة تسع وثمانين جمع الشريف سرور قبائل هذيل ومن معه من الرجال وتوجه الى الطائف بقصد اخراج السيد عبد الله الفعر أو يقاتله ان لم يرتحل ودخل السيد عبد الله الفعر في حصن حصين له بالطائف ثم توسط بينهما جماعة من الاشراف وعقدوا الصلح وعاد الشريف الى مكة في رجب وفي شهر شعبان غزا قبيلة من هذيل يقال لهم الضبيان وأخذ مواشيهم وحقن دماءهم حتى صاروا له كالعبيد.

(الوقعة الثامنة)

وفي شهر رمضان بلغ الشريف سرور ان السيد عبد الله الفعر نقض الصلح واجتمع بالشريف أحمد بن سعيد وجماعة قبائل وأقبلوا على الطائف واستعد لقتالهم وكيل الشريف بالطائف وجمع لهم جندا فنكصا على أعقابهما وهذه ينبغي ان تجعل ثامنة للوقعات وان لم يحصل فيها قتال

(الوقعة التاسعة)

مضين من شهر صفر الخير سنة تسع وعشرين وتسعمائة وحصل لأهل الاسلام غاية الفرح والسرور بهذا الفتح العظيم وعمل الناس لذلك تواريخ لطيفة ألطفها ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ وفتحت أيضا عدة قلاع في ذلك العام منها استانكوس وقلعة بودرم وقلعة أيدوس وغير ذلك من القلاع أخذت من الكفار الفجار وصارت في ضبط العساكر السلطانية وأرسل السلطان سليمان من وزرائه فرهاد باشا مع عسكر الى علي بك بن شاه وار أمير أمراء ذلقادر فانه كان يظهر الطاعة ويبطن العصيان فاستدعاه الوزير عنده وأظهر أنه وصلت اليه خلع شريفة سلطانية وتشاريف فاخرة خاقانية له ولأولاده فوصل اليه علي بك بن شاه وار مع أولاده الجسة فأدخلهم فرهاد باشا الى محل خلوته وأمر بقتلهم فقطعت رؤسهم وجهزت (٢١١) الى الديوان الشريف وضبطت بلاده وكفى الله تعالى شره وذهب فساده ثم عاد السلطان من سفره الى تخت ملكه الشريف اسطنبول دار الاسلام لازالت معمورة الى يوم القيام ووصل اليها في أخريات ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وتسعمائة وفي هذا العام خرج معه كاشف الشرقية الأمير جانم الجركسي عن الطاعة وخرج معه كاشف البحيرة اينال بك واجتمع عليهما طائفة من الجراكسة الملاحدة وجماعة من عصاة العربان الاباحية وأظهروا المخالفات فأرسل اليهما بكاربكي مصر مصطفى باشا عسكرا فقاتلوا وقتلا وقطع رؤسهما وعلقا بباب زويلة ثم أرسلا الى الباب العالي وكانت فتنة درأ الله شرها وكفى المسلمين أمرها وذلك في محرم سنة تسع وعشرين وتسعمائة ﴿الغزوة الثالثة غزو السلطان سليمان خان الى كفار انكروس ثانيا﴾ فان ملك انكروس المسمى قرال ظهر منه الطغيان والجدال فتوجه ليه لقطع مادته ومحو أثره وعاديته السلطان الموسوم بالجيش الاعظم والخميس العرمرم وضرب أوطاقه الظافر في حلقة لو بكار لاحدى عشرة ليلة خلت من رجب المرجب سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ثم رحل بالعساكر المنصورة الى أن وصل نهر طراوة وبنى عليه جسرا من السفائن وعدى بعسكره المنصور على الجسر واستمر الى أن وصل بودون وقاتل القرال الملعون لعشر بقين من ذي القعدة الحرام سنة اثنتين وتسعمائة وفي ذلك الحرب الشديد انكسر قرال الكافر العنيد وانتصرت جيوش الاسلام وغرقت عباد الصليب والاصنام وافتتحت في هذه الغزوة عدة من القلاع المشهورة والحصون الشديدة المعمورة وصارت من

ثم رجعا وهجما على الطائف في الثالث عشر من شوال وقت الفجر وكان معهما السيد عبد الله بن مسعود وكان وكيل الشريف بالمثناة فنزل وحصل بينهم وبينه قتال شديد ووجد عشرون من بني سعد الذين كانوا مع الشريف سعيد عند دار البارود في بيت الوكيل فأرادوا اقتحامه فثارت فيه نار فقتلتهم فصال الوكيل على الشريف أحمد وحمل عليه بمن معه من القوم وأخرجه ومن معه من الطائف فولوا الادبار بين واستقر الشريف سعيد بالمعدن والسيد عبد الله الفعر في لية وهذه الوقعة التاسعة ثم توجه السيد عبد الله الفعر الى خليص لملاقاة أمير الحج الشامي فوجده قد زاغ عنه وما أمكن مقابلته فارتفع الى الحرة فبلغ خبره الشريف سرورا فأرسل سرية من الخيل والركاب ووكل عليها السيد ناصر بن مستور ومن آل بركات وأمره بقبض السيد عبد الله الفعر أينما حل فأدركته الخيل في طرف الحرة فقبضوا عليه ومعه السيد بركات بن جود الله فأمر الشريف سرور بحبسهما في القنفذة ثم أمر باطلاق السيد بركات بن جود الله وبقي السيد عبد الله الفعر مسجونا هناك ستة أشهر ثم أرسل الشريف سرور يطلبه فلما كان في أثناء الطريق أرسل الامير فرحان من اللحية سفينة وعسكرا فأطلقوا السيد عبد الله الفعر وأتوا به الى اللحية فأكرمه الامير فرحان فلما بلغ الشريف سرورا هذا الخبر أزعجه ثم أرسل لامام اليمن يقول له ان هذا الفعل يورث بيننا حقدا ونكدا فأرسل الامام للامير فرحان يأمره ان يرسل السيد عبد الله الفعر لصاحب مكة وأرسل للشريف سرور يخبره بأنه أمر باطلاقه وانه يرسل من يقبضه من الامير فرحان فأرسل عبد أبيه الوزير بشير فأخذه منه وسجنه في القنفذة حتى مضى عليه حول ثم أمر بنقله الى ينبع فسجن في ينبع مضيقا عليه الى ان مات وقيل انه قتل في السجن خنقا والله أعلم

•(الوقعة العاشرة)•

وفي أواخر سنة تسع وثمانين أرسل مولانا الشريف سرور سرية من الركب والخيل وهجموا بعض قبائل هذيل وفي سنة تسعين غزا بنفسه على الشلابين وهجمهم وأتوه صاغرين وفي أوائل سنة تسعين أيضا جاء الخبر لمولانا الشريف أن الشريف أحمد نزل على قبائل هذيل وجمع كثيرا منهم ونزل بهم وادي نعمان فأرسل الشريف سرور سرية أمر عليها السيد مبارك بن عجلان فلما التقى بهم الشريف أحمد ولى هاربا فتبعوه ووقع القتال بينهم وبين هذيل ثم قتل من هذيل ثلاثة وجرح خمسة فرجعت السرية وبقي الشريف أحمد عند هذيل مدة وهذه الوقعة العاشرة

•(الوقعة الحادية عشرة)•

ثم نزل الشريف أحمد بهم ثانيا الى نعمان فركب الشريف سرور بنفسه الى العابد به وجمع معه

جملتها القلعة آونبك وقلعة تبرزان وقلعة آبلوق وقلعة راحة وقلعة برقاص وقلعة توكاى وقلعة ثوار وغيرها من قلاع الكفار وحصون أولئك الفجار وأعظمها واعيه نودون محل تخت انكروس الملعون فانها قلعة راسخة البنا عالية الفضاء سامية الى عنان السماء تناطح الثريا وتسامي السها وتطاول الجوزاء في غاية الثبات والاتقان واستحكام الوضع والبنيان وهو تحت سلاطين انكروس ومقر سلطنة ملكهم المنحوس وعند ما أحاط بها حضرة السلطان وجنود أهل الايمان علم من كان فيها من جنود الشيطان فخرجوا منها وهربوا وطلبت الرعايا الامان فأمنهم حضرة السلطان وضبط البلاد وجعل فيها عساكر تحفظها من أهل العدوان وغنم كثيرا (٢١٣) من الاموال والانفس والارواح وقتل أعداء الاسلام وقتلهم

القتل المباح وعاد الى مقر سلطنته ودار مملكته سعيدا مظفرا منصورا حميدا فوصل الى سرير السعادة وتخت الملك والسيادة في أواخر شهر ذي القعدة الحرام سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة

(الغزوة الرابعة غزوة بيج)

اجتمعت كفار المان وتبعه قرال وقردنوس وأغاروا على قلعة بدوس وأخذوها من المسلمين على غرة فتوجه السلطان الى دفعهم وقلعهم وقمعهم وبرز من اسطنبول الى حلقة لو بكار للنصف مضتا من رمضان سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر راحلا الى أن وصلت الى الخديم العالي امرأة من ملوك أنكروس اسمها أردل ماتوا ودامت البساط الشريف السلطاني والتزمت باداء خراج بلاد انكروس كل عام فقوبلت من الحضرة

السلطانية بالقبول وخلع عليها الخلع الفاخرة وكتب لها الاحكام الشريفة بالامان وعادت الى بلادها الحرة

في أواسط ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة واستمر الوطاق الشريف السلطاني الى أن وصل العسكر المنصور الخاقاني الى قلعة بودون وأحاطوا بها احاطة الاطوق بالاعناق وبياض العين بسواد الاحداق في أواسط ذي الحجة من السنة المذكورة الى أن فتح الله بدون وسائر البلاد وخذل أهل الكفر والعناد وولوا هاربين بين مأسورين ومقتولين بعد الحرب الشديد لاربع مضين من محرم الحرام سنة ست وثلاثين وتسعمائة ثم فتحت قلعة بناق حصاري ثم توجه العسكر المنصور الى قلعة بيج وهي محل تخت تحته القرال الخائب الاسفل وأحاط بها الخيم مرادقات الفتح والنصر القريب بالعسكر المنصور المظفر من عند الله القريب

كثيرا من الاشراف والقبائل وأقام بها أياما وتفرقت قبائل الشريف أحمد ورجع الى جبال هذيل وهذه الحادية عشرة من الوقائع وان لم يقع فيها قتال

(الوقعة الثانية عشرة)

وفي أول ربيع الثاني من سنة احدى وتسعين ومائة وألف خرج السيد الياس بن عبد المعين الجودي أخو السيد عبد الكريم ومعه جماعة من ذوي جود وهذيل فاخذوا قافلة من طريق الطائف وفي شهر جمادي أخذوا أخرى من طريق كرى وكان الشريف سرور بالعابدية فجاءه الخبر فركب خلفهم فسار قليلا فلما رأوه طردوا اما أخذوه وصعدوا رؤس الجبال فمنه وأرجعه لاصحابه ثم لم يزل الشريف سرور يترصد السيد الياس بن عبد المعين المذكور حتى أرسل له سرية فقبضوه في الشرقية وحبسه فوجه في اطلاقه ذوو جود فلم يقبل رجاءهم وأرسله الى ينبع لحبس فيها فضاق من ذلك أخوه الشريف عبد الكريم فخرج مغاضبا ومعه السيد بركات ابن الشريف محمد بن عبد الله بن سعيد وتوجها الى جبال هذيل فوجدوا الشريف أحمد بن سعيد قد اجتمع عنده كثير من العربان فنزلوا جميعا الى وادي نعمان وخرج الشريف سرور الى العابدية عنده من العساكر والرجال وأقام بها أياما حتى تفرق قوم الشريف أحمد وهذه الوقعة الثانية عشرة وان لم يقع فيها قتال وفي ثالث شعبان من هذه السنة أعني سنة احدى وتسعين عدا جماعة من ذوي جود في طريق الطائف وهم الذين كانوا مع السيد الياس فركب خلفهم مولانا الشريف بنفسه فلحقهم وقتل ثلاثة منهم ورابعهم قطعت يده برصاصة وفي ثالث رمضان بلغ مولانا الشريف سرورا أن جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف أحمد فارقوه من المبعوث واقبلوا على جبال هذيل يريدون الهجوم على مكة عن يجتمع معهم وكان معهم السيد بركات بن محمد بن عبد الله بن سعيد والسيد عبد الكريم بن عبد المعين الجودي والسيد عبد الله بن مسعود بن سعيد والسيد مسعود العواجي وابنه فلما نزلوا بوادي نعمان أرسل لهم سرية من الخيل فلما أدركتهم هربوا الى الجبال الا السيد مسعودا العواجي وابنه والسيد عبد الله بن مسعود فقبضوا عليهم فحبسهم مدة ثم أطلقهم فسافر العواجي الى مصر وأما السيد بركات والسيد عبد الكريم فتوجها الى اليمن ثم بعد مدة اصطلحوا مع الشريف فرجعوا الى مكة ومن كان مغاضبا الشريف سرورا السيد مبارك بن مريبن من آل بركات وكان يقطع الطريق ويفرق ما يأخذه على من يكون معه من البوادي وتعب الشريف سرور في أمره وكان يعطي النذور على القبض عليه وكان لا يستقر في مكان فوضع الشريف سرور عليه الجواسيس ولم يزالوا يترصدونه حتى جاءه الخبر في رمضان بأنه مقيم في اطراف

الجيب وهرب منها غجه قرال وهو مدبر مكسور وطلب أهل القلعة الأمان وأتوا بمفاتيحها الى حضرة السلطان فأعطاهم الأمان وأخذ قلعة بج وهي من أعظم قلاع الكفار المحكمة الراسخة القرار الرفيعة المنار وذلك للثلثين بقين من محرم سنة ست وثلاثين وتسعمائة ولما كانت القلعة المزبورة بعيدة عن حدود ممالك الاسلام غير مأمونة من هجوم الكفار اللئام أمرت الحضرة السلطانية بهدمها فهدمت وأخربت ونهب أطراف تلك القلعة وسبيت أولاد النصارى ونساؤهم وتركت خرابا وعادت الحضرة السلطانية الى تخت الملك بالنصر والتأييد والعز المشيد والفرح الجديد فوصل الى اصطنبول في شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وتسعمائة ﴿الغزوة الخامسة غزوة المان﴾ لما وصلت الاخبار الى الأبواب السلطانية بأن غجه قرال جمع طائفة من كفار المان وأراد الفساد والطغيان وتوجه السلطان سليمان خان الغازي في سبيل الله تعالى قتال هذا الكافر اللعين وبرز من دار الاسلام اصطنبول الى حلقة الوغى لكافر بقين من شهر رمضان المبارك عام ثمان وثلاثين وتسعمائة وأرسل في البحر لحفظ وجه البحر من النصارى وشد الاساحل والسواحل أمير الامراء الكرام أحمد باشا القبودان بثمانين غرابا مشحونة بالابطال أهل الصفاح والكفاح وتطير اليهم بأجنحة الرياح من غير جناح الى أوائل شعبان المكرم من السنة المذكورة وافتتح عدة قلاع من بلاد الافرنج انفجار وأرعبوا الكفار واستعجلوا بهم الى عذاب النار ووصل المخيم الشريف السلطاني مع الجيش المنصور الخاقاني الى مملكة المان وسرت وسبوا من ذراري الكفار أولادا كالنجوم الدراري ومن البنات والساحرات كالكنس الجواري ونهبوا الاموال وقتلوا الابطال ودهكوا الرجال وهرب ملوكهم وتركوا رعيتهم وبعث ملوكهم وبذلوا ما بقي معهم من الاموال والذخائر على بذل الامان لهم ثلاثة أعوام فأجيبوا من جانب السلطنة الشريفة الى سؤالهم وكتب لهم بذلك توقيع الامان لترفيع حالهم وعادت الحضرة الشريفة السليمانية الى دار ملكها المسعود منتفرا الجنود سعيد الجدود في أواخر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ﴿الغزوة السادسة سفر العجم﴾ أرسل قبل سفره المحبوب الوزير الاعظم ابراهيم باشا بعسكر معظم وجيش كالبحر المتلاطم وفئة كبيرة كالخميس العرمرم للثلثين مضتا من شهر ربيع الأول سنة احدى وأربعين وتسعمائة ووصل

الحرة فركب الشريف بنفسه في معقوده من خيله وركابه حتى أصبح عليه وأدركه فقاتله فشمت لها المقطة وكان تربابهم فعدوا على الشريف سرور وردوا الوه وقتلوا أربعة من عبيده وفرسين من جياد خيله ثم كر عليهم فاسترجع الفرسين وأخذ جميع مواشيهم ورجع الى مكة لثلاث بقين من رمضان وفي آخر شوال غزا الشريف على الحيلة من هذيل ويقال لهم القرح وأخذ ما وجده عندهم من المواشي والمال وتحصنوا منه برؤس الجبال وفي عشرين من ذي الحجة اجتمع صنجق الحج المصري وبدوي بن عيد شيخ طوائف حرب في مجلس الشريف وأراد التوفيق بينهما في المعلوم المقرر لأبي بدوي بن عيد وتهدد الصنجق وتوعده ثم علم انه أخطأ في ذلك فذهب الى أمير الحاج الشامي يطلب منه الترجي عند الشريف في العفو عما صدر منه في حق الصنجق في مجلس الشريف وأظهر الشريف انه قبل الرجاء ثم أمر بالقبض عليه وحبسه حتى مات بالجدري في السجن فتعصبت قبائل حرب عند موت شيخهم وخرجت عن طاعة الشريف فشيخ عليهم أخاه فرضوا به ظاهرا وسكنوا وفي آخر جمادى الآخرة من سنة اثنتين وتسعين جاء الخبر ان الشريف أحمد بن سعيد انتقل من المعدن الى جبال هذيل واجتمع معه خلق كثير

(الواقعة الثالثة عشرة)

فخرج الشريف سرور بعسكره ورجاله الى الزاهر ثم دخل الى مكة ليفرق على العبيد البارود فلما فرقه أخذوا واحد منهم جمرة ليختبر البارود فاحرقه وثار دخان كثير أحرق نحو الاربعين فاغتم الشريف لذلك ثم ان هذيلا تفرقت عن الشريف أحمد فمكث بأطراف نعمان ثم انتقل الى الثنية ثم توجه الى جهة الشام فتبعه الشريف رجاء ان يدركه ففات عليه وتوجه الى المدينة فأكرمه أهلها كما هي عادتهم في اكرام من وفد عليهم تصديقا لقوله تعالى يحبون من هاجر اليهم وهذه الوقعة الثالثة عشرة وان لم يقع فيها قتال وفي هذه السنة في شعبان غزا مولانا الشريف على المقطة الذين حاربوه مع ابن مزين فأخذ مواشيهم ووقع بينه وبينهم قتال وبقيت رجاله وقتل له عبد ودرس وضرب خيال ثم رجع عنهم وأرسل اليهم سرية في شوال وحصل بينهم قتال ثم طلبوا الامان ودخلوا في الطاعة وفي نصف شوال نزل بالتنب جماعة من هذيل بقصد قطع الطريق فأرسل اليهم سرية فقتلوا منهم رجلين وأخذوا أباعرهم فتفرقوا وفي ثامن ذي القعدة ركب عليهم بنفسه فوقع غاطا على آل خالد وقتل منهم أربعة رجال وضرب ثلاثة وأخذ أغنامهم وقتلوا منهم أغاة من أغاوات العسكر ومعه عبد فغضب لذلك جميع هذيل فاتبوه جهارا وصمموا على قطع الطريق فنهبوا قافلة فيها قاضي الطائف في طريق الرأس وأخذوا قافلة أخرى وادي نعمان وقتلوا أربعة وجرحوا ثمانية

الى حلب وشتى بها هو ومن معه من العساكر المنصورة السلطانية والجيوش المؤيدة الخاقانية وبرز عقبه الوطاق الشريف
السلطاني والخيم المكرم الخاقاني العثماني الى اسكودار آخر شهر ذي القعدة الحرام سنة احدى وأربعين وتسعمائة واستمر متوجها
بالنصرة الالهية الشريفة السنية وخرج طوائف الرفضة البدعية الى ان وصل مخيمه الشريف العالي الى ميلاق أوجان قريب تبريز
وجاء الى استقباله المعظم ابراهيم باشا بمن معه من العسكر المنصور وتوجها بجميع العساكر المنصورة الى أخذ سلطانه من ملكة
العجم فلما وصل الركاب الشريف السلطاني الى قصبة آبهر هرب من طائفة القزلباش محمد خان ذو القادر ووصل الى لثم البساط
الشريف العثماني فحصل له التشريف الشريف والانعام وقوبل بالتكريم والاحترام وصار من جملة عبيد
الباب واستولى البرد
الشديد على العسكر
المنصور ونزل الثلج كأنه
الجبال وهرب العدو ولم
يقابل وصار يخادع
ويقاتل فلزم التوجه الى
بغداد لصعوبة الرجال
والاثقال فلما سمع بوصول
العسكر السلطاني حافظ
بغداد من جانب قزلباش
محمد خان هرب وترك
بغداد ومن بها من الرعية
فجاؤا جميعا الى الوطاق
السلطاني فنزل بعسكره
المنصور في بغداد وأعطى
الامان لاهلها واستكنوا
في سكنها وصارت من
مضافات الممالك الشريفة
العثمانية وكذلك ما حولها
من جميع البلاد والبقاع
وسائر الحصون والقلاع
وكذلك المشعشع والجزائر
وواسط وأمرت الحضرة
السلطانية بتحصين قلعة
بغداد وحفظها وصونها
من أهل الالحاد وزار
مشهد سيدنا الامام
الحسين وسيدنا الامام موسى الكاظم رضي الله عنهما ونور مرقدهما ونفع ببركتهما وبركات أهل وهي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بتعميرهما وتكريم مزارهما الشريف وزار الامام الاعظم أبا حنيفة النعمان بن ثابت رضي
الله عنه وبنى على قبره الشريف قبة وعمارة ومدرسة وصلب في بغداد دفتر داره المرحوم المغفور له الشهيد السعيد اسكندر چلبي
بتهمة الخيانة في المال السلطاني برمي أعدائه وحساده وبراءته من ذلك عند الله وعند الناس وكان كريما بذولا حسن الخلق محسنا
ما خاب من قصده ولا حرم من أمله مع الفضل التام والكرم العام رحمه الله تعالى وأسكنه أعلى فردوس الاعلى وبوأه من الجنات
الدرجات العلى ويتهم الوزير ابراهيم باشا برميه عارى به وما حال عليه الحول حتى أتى به واجتمعا في دار الحق بين يدي الحكم العدل

﴿الوقعة الرابعة عشرة﴾

ولما جاء وقت اقبال الحج جاء الخبر بأن الشريف أحمد أراد مواجهة الباشا أمير الحج الشامي فأبى فخرج من المدينة في اثره وانه يريد خلاص جهة الشريف مسرور ورمي به وأمر عليها السيد ناصر بن مستور وأكد عليه ان يترصد الشريف أحمد ويقبض عليه فأدركته السرية على حين غفلة فحملت عليه الخيل فلما أحس بهم ركب فرسه وفر وقتل من السرية فرس وعبد فرجعت السرية ونصب الشريف على السيد ناصر بن مستور واتهمه انه قصر في القبض على الشريف أحمد وهذه الوقعة الرابعة عشر وفي الرابع والعشرين من ذي الحجة أغارت هذيل على شريف من ذوي حامد وغيره واتباعه وذويه وضربوا بأسياف منهم المقاتل فمات بعد ذلك وفي السادس والعشرين أغاروا أيضا على جماعة من أهل الطائف وفيهم شريف من ذوي جازان فنهبوهم وضربوا الشريف ثم قتلوه وقتلوا معه رجالا من وقدان فانقطع بعدها الطريق وقويت شوكة هذيل

﴿الوقعة الخامسة عشر﴾

الوقعة الخامسة عشر من الوقائع التي جرت بين الشريف مسرور والشريف أحمد بن سعيد وهي آخرها انه في سنة ثلاث وتسعين في شهر جمادى الاولى بلغ الشريف مسرورا ان الشريف أحمد مقيم برهاط وهو موضع بينه وبين مكة ثلاثة أيام فركب الشريف مسرور بنفسه في قوة عظيمة فلم يفطن الشريف أحمد الا وقد أحاطت به الرجال من كل جانب فلم يتمكن من الفرار وقد جرت عليه الاقدار واستسلم للقضاء فقبض عليه وعلى ولده وتشتت عبيده وأسلموه فأركبه خلف واحد وأمر بحفظه وأسرع السير ونزل به الى بندر جدة ثم أركبه في سفينة في البحر وأمر بحبسه في ينبع وحبس معه ولديه السيد راجحا والسيد الحسن وقاسوا في الحبس أنواع البلاء والمحن فانظر أيها المتأمل لهذه الدنيا وغدرها وما تفعل بالملوك مع حقارة قدرها كيف أسقته كأس الهوان وقد كان بالامس في دست السلطان واعجب لتقلبها بالملك مطالع كانت عند الشمال منه بدو باع ملك ملك اقليم الحجاز وصار تحت قبضته بالحقيقة لا المجاز طال ما أمر ونهى وامتطى بأخمصه نجم السها قصيرته في السلاسل والاغلال وأذاقته غاية الاذلال ان في ذلك عبرة لمن اعتبر وتبصرة لمن استبصر وهي الدنيا الدنية وأمورها كالاحلام المقضية لقد صدق الحريري فيما قال في قصيدته التي هذا أولها

يا طالب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار
دار اذا ما أضحكت في يومها * أبكت غدا تبا لها من دار

وهي طويلة ذكرها في المقامات فسبحان المعز المذل الذي لا يزول ولا يحول يفعل ما يشاء ولا يسئل عما يفعل

•(ذكر وفاة الشريف أحمد بن سعيد سنة ١١٩٥)•

وكان الشريف أحمد محبوسا في ينبع مدة ثم نقله الى حبس جدة وما زال محبوسا الى ان توفي في عشرين من شهر ربيع الثاني سنة خمس وتسعين ومائة وألف رحمه الله تعالى وكان أحمد ولده مات في السجن وأما ساق الآخر و بعد ان قبض الشريف سرور على الشريف أحمد بن سعيد تتبع كثيرا من الجناة وقطاع الطريق وعاقبهم بأشد العقوبات وصار يتجسس بالليل والنهار على السراق والمفسدين وكان يعس في الليل بنفسه ومعه بعض العبيد من بعد صلاة العشاء الى الصبح يفعل هذا كل ليلة فحصل منه ارهاب لكل جبار عنيد وانقمع أهل الذين كانوا يعتدون واشمأزت نفوسهم من منعهم عما يألفون

•(ذكر الجماعة الذين أرادوا قتل الشريف سرور)•

واتفق جماعة على انهم يترقبون الفرصة لقتله واعتقدوا انهم يتمكنون من ذلك في الليل حين يخرج يعس وليس معه الا القليل من الخدم بان يجلسوا له في بعض الازقة والطرق وكان مع هؤلاء الذين اتفقوا على قتله السيد عبد المجيد بن سعيد بن علي فنم عليهم وجاء للشريف سرور وأخبره وقال له انه اتفق على قتلك سبعة من ذوي زيد ومعهم ما ينوف على الخمسين من ناس ملفقين وزعموا انهم يقتلونك في ليلة حالكة الجلباب ويلي مكانك السيد دباب وان سالم بن علي ابن عبد الله هو الوزير وقد فرقوا المناصب على الكبير والصغير وان السيد مسعود العواجي هو الذي يتقدمهم بالقتل ويناجيك فلم يصدقه في الحديث الذي رواه فأعاقه عن الخروج في ذلك اليوم ولم يزل عنده حتى أزهرت النجوم فأرسل من يكشف له الخبر فعاد الرسول وأخبر بانه وجد المذكورين في الازقة والاسواق حاملين السلاح فثبت عنده صحة الخبر وبادر في امساكهم من غير امهال فامسكوا بعضا منهم وهرب البعض فممن امسكوا السيد مسعود العواجي وابنه السيد مساعد والسيد محمد عمار ابن الشريف عبد الله بن سعيد وسالم بن علي ومحمد بن دابر الخرج ونحو العشرين من العبيد فحبسهم نحو شهر ثم أخرجهم وقررهم فاعترفوا بما اتفقوا عليه فأمر بقطع أربعة من العبيد وقطع يد السيد مسعود وأمر على سالم بن علي أن يصلب على عود وأرسل الباقين الى جدة ثم سفرهم الى الهند مع المراكب الهندية وأما البعض الذي هرب ففيهم السيد دباب وأولاد عبد الله بن سعيد فأقاموا ببدر ثم سافروا مع الحج فمنهم من مات بمصر ومنهم من مات بالروم

اللطيف الخبير • ثم توجه الركاب الشريف السلطاني بعد مضي شدة الشتاء لليلتين مضتا من شهر رمضان المبارك الى ناحية تبريز لانه بلغه ان الشاه شتى في تبريز وانه مقيم بها قاصدا للقتال وهو آمن من حوادث الايام والليالي فلما وصل الى منزل ساروقامش وصل من الشاه ومن باج لوخانم ايلجيا بطلب الصلح فلم يقابل بالقبول وتوجه الى تبريز فخرج الشاه وطائفة القزلباش من تبريز الى الاطراف والجهات وتركوا شهر تبريز خالية خاوية على عروشها وتبعهم العسكر المنصور فما ظفروا بهم وصار الشاه ينتقل من مكان الى مكان وتكررت رسله الى الابواب العالية بطرق باب الصلح وتحقق حضرة السلطان الاعظم ان الصلح خير فقبل الصلح وكتبت الاجوبة بقبول ما طلبه وانطوى بساط الحرب وتوجه المخيم الشريف السلطاني الى العود من بلاد العجم وغنم السلطان في تلك السفرة أخذ البلاد وفتح عراق العرب وألطف تاريخ قيل فيه ﴿فتحنا العراق﴾ وكان وصول الركاب الشريف السلطاني مع العسكر المظفر العثماني الى محل التخت الشريف السلطاني مع النصر والتأييد الرباني والفتح العظيم السبحاني لاربع عشرة ليلة مضت من شهر رجب سنة احدى وأربعين وتسعمائة ﴿الغزوة السابعة غزوة الونيسة المعروفة بكورفس﴾ وهي بلاد الكفار النصارى من أتباع البنادقة وتوجه اليها في البحر ركابه الشريف العالي وأرسل في البحر لطفي باشا والقابودان خير الدين باشا بنحو خمسمائة غراب منصورة بعساكر البحر الى ان نزل بجيشه المنصور على أولونية في سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فاستباحها قتلا وأسرا ونهبا وافتتحت في جزائر ذلك البحر أربعة وثلاثون حصنا حصينا هدمت الى الاساس وقتل من فيها من الناس وغنمت جيوش المسلمين من طائفة الكفار المشركين ما لا يحصى من الاموال والسبايا وعاد السلطان مع سائر عساكره المجهزة برا وبحرا الى تخت الملك الشريف سالمين غانمين والحمد لله رب العالمين ﴿الغزوة الثامنة غزوة قرا بغدان﴾ توجه بنفسه الشريفة لافتتاح تلك البلدان وبرز بعسكره الجرار لقتل الكفار الفجار بالسيف والنار ووصل ركابه الشريف الى تلك البلاد وقتل فيها وفتك وأسال الدماء وسفك وافتتح القلاع وأخذ الرقاع والبقاع وغنم أموالا ومغانم كثيرة وأمرقة وساعدية غير محصورة وعاد الى تخت ملكه الشريف مؤيدا من عند الله تعالى بالنصر والتأييد والفتح

الجديد فوصل الى دار الاسلام القسطنطينية الكبرى لست ليال بقين من ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وتسعمائة (في الغزوة التاسعة غزوة أسطوبور من بلاد الكردوس) وذلك ان السلطان رحمه الله كان أنعم على ازدبل بتلك البلاد وبلغه انها توفيت وان غيه قزال ومن معه من الكفار والفجار أرادوا الاستيلاء على بلادها بعد موتها فتوجه السلطان رحمه الله الى دفع أولئك الفجار سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وصمم على قتال غيه قزال لانه أراد أخذ بودون وسوست له نفسه ما يتمناه المفسدون فلما أحس بوصول العسكر المنصور السلطاني فر هاربا الى الجبال وتقهقر عن القتال فتبعه الابطال ففر منهم في أطراف تلك الجبال فغالت العساكر المنصورة (٢١٦) السلطانية في تلك البلاد وقتلوا أهل البغي والعدوان والفساد وفتكوا بجيوش الكفر والطغيان وسبوا الاولاد والاطفال والنسوان وتركوا ديار الكفار قاعا صفصفا وغنموا مغانم كثيرة وذخائر تختار وتصطفى وفتحت قلعة اسطوبور بقرب بودون بعد الحرب الشديد وأضيفت الى الممالك السلطانية وضبطت وحفظت وفتحت أيضا قلعة وشرة وقتل من الكفار مالا يعد ولا يحصى وعادت الحضرة السلطانية في ركابها الشريف من العساكر المنصورة العثمانية الى مقر تختها الشريف منصورين مؤيدين لتأييدهم الدين الحنيف (في الغزوة العاشرة غزوة ايج واسترغون) توجه الركاب الشريف السلطاني والخيم المنصور السلطاني الى افتتاح عدة قلاع في بلاد ايج لتنظيف أطراف البلاد من طوائف الكفار أهل العناد من قطع دابر أولئك الفجار بالغزو والجهاد في سنة خمسين وتسعمائة وبرز من دار شبوخهم الملك اصطبول بالجيش المتواتر الموصول والجند الاعظم المهول الى ان أحاط بقلعة ويوه وقلعة شقلاوش وهما من أحكم القلاع الشامخة وأعظم الحصون المرتفعة العالية تناطح النطح وتسامت السماك وتوازن الميزان فافتتحا في غرة ربيع الاول من ذلك العام وصارت من مضافات ممالك الاسلام • ثم فتحت قلعة استرغون وهي قلعة في غاية الاتقان والاستحكام أشد في احكام البنيان من الاهرام كان قنديل رأسها نجوم الثريا وحارس بابها الكوكب العواء ونطاق منطقها وشاح الجوزاء مشحونة بالاموال والذخائر مملوءة بالعدد والعدد الوافر ألقى الله تعالى في قلوب أهلها رعب عساكر الاسلام وخذلهم الله تعالى

وفي شوال سنة ثلاث وتسعين غزا الشريف الشيابين وأخذ بالهم وشياههم ثم ركب على هذيل فغدرتهم العيون والجواسيس فأخذوا حذرهم وكنوا له في الشعاب والهضاب فلما أقبل عليهم بادروه بالقتال ومكث الحرب ساعتين فرجع ولم يبلغ منهم المأمول ثم ركب على الشيابين مرة أخرى فانذروا وولوا مدبرين فعاد ومكث سبعة أيام ثم ركب على الشلاوي باطراف الفرق فاجتنب له وركبه وسعه هم في اليوم الثالث واستدام الحرب بينهم نهاره عاطال ثم ولوا مدبرين وتركوا الحلال والمال فأخذه فمن ذلك سبعة آلاف من الغنم ومائة وثمانون من حمر النعم سوى الادباش والسلاح وفي موسم ثلاث وتسعين أرسل مولاي محمد سلطان الغرب ابنته ليزوجها الشريف سرور وأرسل معها أخوتها وأموالا عظيمة أهداها للشريف وصدقة للاشراف والسادة وأهل مكة فتزوج بنت سلطان الغرب بعد ان دعا للعقد جملة من السادة الاشراف والمفتي والعلماء وباشر العقد له مولانا الشيخ المفتي عبد الملك القلعي وفي هذه السنة حصلت منافرة بين مولانا الشريف ومراد بك صنجق الحج المصري بعد تمام الحج فاراد مراد بك عزل الشريف وتولية السيد سليمان ابن يحيى وجعل كل ليلة يتردد على الصنجق وبلغ الخبر سيدنا الشريف سرورا فطرح العيون على السيد سليمان وأمر بالقبض عليه فخرج ذات ليلة متنكرا في زي سائس فقبضوا عليه في طريق الجرون وحبسه بمكة ثم أرسله الى ينبع وحبسه هناك ولما بلغ الصنجق القبض عليه اشتد غضبه وأراد القتال واستعد لذلك مولانا الشريف ثم ان الصنجق ثنى عزمه عن القتال وارتحل وتعرضه في الطريق جماعة من حرب وكان معه جملة من شيوخهم رهائن فخوفهم بقتلهم فمر تلك الجهات ولم يعطهم في ذلك العام شيأ من المعاليم التي لهم

•(ذكر زيارة الشريف سرور سنة ١١٩٤)•

وفي سنة أربع وتسعين عزم مولانا الشريف على زيارة النبي صلى الله عليه وسلم بأهله فتجهز وخرج من مكة في أحسن نظام كان معه من الجمال ثلاثة آلاف وخمسمائة ومن العربان خمسة آلاف ومن مراجله اثنان وخمسمائة من السادة الاشراف ومن الخيل مائتان وخمسون وصرف على هذا الجند مبالغ جزيلة من المال وتوجه من مكة ليلة الاربعاء في اليوم الحادي عشر من جمادى الاولى من العام المذكور ولما وصل الى بدر تلقاه أهله برحب الصدر وعرضوا عليه وقدموا له هدايا ثم ركبوا عليه السلطان وادعوا ان لهم عوائد على الملوك اذا مر بهم وقوانين وادعوا أنه أخذ عليهم من الصنجق معلوم ثلاث سنين فمكث يمانعهم على الصلح ثلاثة أيام فلم يقبلوا فثار الحرب بينهم من كل الجهات واستمر ثلاث ساعات فانتصر عليهم وقتل منهم أربعة عشر نفرا وفر من بقي فدخل بعض

فما منعهم ذلك المنيع وما وجدوا الاعتصام فأخذوا أخذا وبيلا وأسروا وقتلوا تقتيلا ونهبت الاموال وسبيت النساء والاولاد والاطفال وأخذوا ما حولها من البلاد والبقاع وافتتح ما يقربها من الحصون والقلاع وكذلك فتحت قلعة استوابن بلغراد وهي قلعة سامية العماد راسخة الاوتاد لم يخلق مثلها في البلاد كأنها من بناء شداد أخذت وضبطت وعين لها ولغيرها من القلاع الحفاظ النبلاء الايقاظ ونصب لكل منها دزدار وحصار يه وقاضيا يجري الاحكام الشرعية وسخرت تلك الاقطار وصارت من مضافات الممالك المحروسة السلطانية وصارت الكنائس مساجد للصلاة والعبادات والبيع مشاهد للعبرات والطاعات وعاد الركاب الشريف السلطاني الى سرير ملكه وتخته الخاقاني مظفرا منصورا سالما غانما مسرورا في الغزوة الحادية عشرة من الغازي وهي تحتمل تفصيلا طويلا لا تحتمله هذه العجالة فنعدل عن الاسهاب والاطالة ❊ وفي أوائلها أن القاص أخو الشاه لاييه وكان واليا على شروان فوقعت بينهما شناعة في السلطنة أدت الى توجه القاص الى الابواب الشريفة السلطانية وقبل العتبة الكريمة الخاقانية السليمانية فحصل له من الحضرة السلطانية اقبال عظيم ومرتبة عليه وأنعم عليه بالانعامات الجليلة السنية ووعده بأن ينصره على أخيه ويؤيده ويعلي كلمته ويواليه وأمر الوزراء العظام وأركان دولة الاسلام أن يقدموا له الهدايا الجزيلة والتحف الوافرة الجليلة ففعلوا ذلك وجاروه وعظموه وناصروه وكان ذلك في سنة أربع وأربعين وتسعمائة واستمر ملتجئا الى الظل الشريف الوريف الممدود على القوي والضعيف وصار السلطان سليمان خان يصاحبه ويلاطفه ويقربه ويستدنيه ويوانقه الى أن صمم العزم الجزم وشد نطاق الصرامة والحزم وبرز بعسكره المظفر ونصب أوطاقه في اسكودار لثمان ليال مضين من شهر صفر الخير سنة خمس وخمسين وتسعمائة ومعه القاص ميرزا مكرما مكرما ومعززا معززا وتوجهت الحضرة الشريفة السلطانية الى أخذ تبريز وأمر القاص ميرزا أن يشتي في بغداد الى أن يمضي زمان الشتاء فيهجم بالعسكر المنصورة في بلاد العجم فاستمر الركاب الشريف السلطاني سائرا يتلوه التأييد السبحاني والنصر والفتح الرباني الى ان أخذ قلعة وان بعساكر أهل الايمان وجعل فيها بكلربكيا وعسكرا قويا فانها قفل ديار العجم وحصنها

شيوخهم بين الفريقين بالصلح وأعطاهم مولانا الشريف سرور أربعة عشر ألف قرش وأعطوه رهائن فأخذ منهم أربعين رجلا رهائن ولما وصل الى الجرابيات عاد ان واد نصار بن عطية صعد الجبل وتوارى عنه فأرسل خلفه من أتى به فوضعه هو والرهائن كلهم في الحديد وتأكدت العداوة بينهم غاية التأكيد ودخل المدينة في اليوم التاسع من رجب فخرج أهلها وقابلوه ودخل بموكب وأناخ بالمناخة وسكن هو وأهله بها ثم توجه لزيارة القبر الشريف ونثروا عليه من الذهب والفضة الكثير حتى التقط من ذلك الكبير والصغير وأمارات الحرب فشدد عليهم غاية التشديد فلما بلغ قومهم ذلك قطعوا الطريق ولما جاء الزوار من مكة على عادة زيارتهم في رجب منعوهم من الوصول فرجعوا الى مكة من غير زيارة ثم بلغ الشريف أن عربا قصدهم الوصول الى المدينة لمحاربته فاستعد لهم وطرح عليهم العيون وصارت خيله كل ليلة تخرج خارج المدينة لتقبضوا على من يجدونه منهم فوجدوا البلطجية لا ذخائر جاءا من المدينة ومعه كتب من الكواخي اغا القلعة لحرب يحثونهم على الاقدام عليهم ويصدقوا الحرب على انا نقاتلهم من داخل البلد وأنتم من الخارج فلما قرأها مولانا الشريف طلب شيخ الحرم والكواخي وقرأها عليهم فأنكروها وقالوا انها مزورة عليهم قال لهم ان كنتم صادقين فأعطوني القلعة حتى يتضح لي الحال فامتنعوا فأبقاهم عنده وأرسل شيخ الحرم لاهل القلعة يطلبها منهم ليكون تحت يده يحصنها بمن يختاره فوجدهم قد ترسوها بالرجال وتحذروا من اعطائها لشيخ الحرم وتعذروا بأنا رمينا عنده سيدنا بالزور والبهتان ولا نسلمها مالم تأتنا منه بالامان

﴿ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وأهل المدينة﴾

فلما رجع وأخبر بالخبر أعطاهم الامان وأرسل مع شيخ الحرم من يحفظها فلم يفطنوا الا والرصاص يسم كالمطر فقصر هو ومن معه عنهم وأصابوا واحدا من العسكر فقبض مولانا الشريف على الثلاثة الكواخي وشيخ القلعة وجعلهم في الحديد فاشتدوا بالرمي على بيته وقتلوا رجلا رجلين فنقل أهله الى بيت بعيد عن القلعة ووقع القتال بينهم وبينه من ليلة المعراج الى مضي ثلاثة أيام ومانم لاحد من الفريقين مرام فصنع سلالم من الخشب الطوال وأطلع عليها عبيده في ليلة من تلك الثلاث الليالي فتنمروا لهم فلم يملكوها ورجعوا ثم أرسل لهم باني قد سمحت بكم فاخرجوا ولكم الامان فرضوا بذلك منهم وأخذوا مهلة ثلاثة أيام وأرادوا أن يدخلوا القلعة من لم يكن دخل منهم فكف الرمي من الطرفين وأرسل عسكرا تحرس البيوت التي حول القلعة من كل جانب وأمرهم أن يمنعوا من أراد الدخول ومن أراد الخروج يتركوه فلما علموا انه ترس البيوت التي حولهم عرفوا انه تنبه لخديعتهم فأحرقوا السلالم التي صنعها في الحال وشرعوا يرمونه بالرصاص فأمر

بآلات الحصار والهدم واستقر القاص ميرزا متوجها الى بغداد ثم توجه ببعض العساكر السلطانية الى درگزين ووصل الى همذان وتعدى الى اذربيجان ونهب تلك البلدان واستلب أوطاق أخيه ميرزا وعاد الى المخيم الشريف السلطاني والوطاق المحفوظ الخاقاني بما نهبه من الاموال وحصل له غاية الاعتبار والاقبال وغاب برد الشتاء فشتى حضرة السلطان بالمخيم الشريف السلطاني في حلب وجهز جيشا كثيفا مع أحمد باشا لحفظ حدود البلاد وغزا طائفة الكرج واغتنم منهم غنائم وعاد الى الاوطاق الشريف السلطاني بغنائمه . وأما القاص ميرزا فانه بعض الوزراء وخرج من بغداد مغاضبا وأظهر النفور من جانب السلطنة الشريفة ولم يزل الايادي الجليلة

السابقة واللاحقة وعزم الى أمير من أمراء الاكراد فعلم أخوه به فأرسل اليه من خدعه واستدعاه عنده وولاه في شروطهم أثره وبعد ذلك كرم فرزق الشهادة ولحق بالشهداء والى الله المصير . ولما وصل علم ذلك الى الحضرة الشريفة السلطانية تأسف على ذهابه وعزل ذلك الوزير عزلا مؤبدا وعادت العساكر المنصورة السلطانية في ركاب الحضرة السلطانية الى دار ملكها المؤيد بالنصر والتأييد والسعد الجديد والعز المشيد في أواخر سنة خمس وخمسين وتسعمائة ﴿الغزوة الثانية عشرة سفره الى الشرق﴾ لما بلغ الحضرة الشريفة السلطانية تعرض طائفة القزلباش على بعض الحدود السلطانية من جانب الشرق بادرت الحضرة السلطانية بجيوشها المنصورة العثمانية الى أن شتى في مدينة حلب وبعد انقضاء الشتاء توجه الى أخذ قزلباش فبرز الوطاق الشريف السلطاني من دار ذلك الاسلام القسطنطينية العظمى الى اسكدار في أوائل شهر رمضان عام ستين وتسعمائة واستمر الى أن وصل الى اركلي يقطع المراحل والمنازل فاستقر أوطاقه الشريف العالي خارج اركلي واستدعى ولده السلطان مصطفى فامتثل أمر الشريف ووصل اليه ودخل الى حركاته العالية بروز الاوطاق تابوت حمل على الاعناق الى بورسا واتبع به ولده ودفن معه في بورسا أيضا عليهما الرحمة والرضوان وروائح الروح والريحان وقع ذلك في أواخر شوال سنة ستين وتسعمائة وقد قدمنا شرح ذلك وتوجهت الركائب الشريفة السلطانية الى بلاد حلب واستمر بها أيام الشتاء وتوفي بها السلطان جهانكير قرة عين السلطنة الشريفة وغرة فؤادها

عسكره بقتالهم واستمر القتال يومين ثم ظهر لعسكره فرط واحد الا وصار رواية عسكره به ويخرجون من القلعة خفية خاء الخبر عامر بري مدفع على بيت آغاة القلعة فاحترق وانهدم وأرسل شيلا تطلب الذين حرب وامين القلعة هاربين فطلب الباقون الامان فاعطاهم الامان ودخل العربان الذين كانوا معه القلعة ونهبوا ما فيها من الاثاث والنقود وكان غالب أهل المدينة وضعوا أدباشهم النفيسة في القلعة فذهبت شذر مذر وقبض على جملة ممن كانوا سبب هذه الفتنة ووضعهم في السلاسل والحديد ووضع وزيره في القلعة وهو رجل من عدوان ومعه عسكر وكان جملة من قبض عليهم من أهل المدينة نحو الخمسين فجعلهم معه الى مكة لما توجه وأبرز فرمانا بعزل شيخ الحرم وأمره أن يسير معه الى مكة ثم أطلق رجال حرب وأمرهم بالانصراف وقطع علائقهم

﴿ذكر رجوع الشريف سرور من طريق الشرق﴾

وتوجه من المدينة في الحادي والعشرين من شعبان وأظهر انه يريد التوجه على طريق حرب الى سابعة السفر ثم توجه على طريق الشرق قصر الشر ولما وصل الخبر به قل عليه وعلى من معه الماء وحصلت لهم شدة من العطش ثم فرج الله وجاءهم من أتاهم بالماء ولما وصل البركة توجه بأهله الى الطائف ودخلها سابع رمضان ومكث أياما ثم توجه الى مكة ودخلها في السادس والعشرين من رمضان ثم ورد له خطاب بأن أهل المدينة محاصرون للوزير الذي في القلعة ومن معه من العسكر فأرسل اليهم سرية نحو ثلاثمائة من الخيل والركاب فاتفق ان الوزير ومن معه لما اشتد عليهم الحصار طلبوا الامان وخرجوا بعد قصة طويلة فبلغ السرية عند وصولهم المدينة ان الوزير ومن معه قد خرجوا من القلعة بالامان فنزلت السرية تحت جبل أحد وأرسلوا الوزير يطلبونه للرجوع فلما بلغ أهل المدينة وصول السرية خرجوا لقتالهم ومعهم أربعمائة من حرب كانوا يقاتلون بهم الوزير فالتقى الصفان في البساتين التي خلف البقيع في غرة ذي القعدة ووقع بينهم حرب فظيع وقتل وجرح جماعة من كل من الفريقين ورجعت السرية من طريق الشرق كما ذهبت منه ووصلوا الى مكة في الثاني عشر من ذي القعدة هذا حاصل ما كان في زيارة مولانا الشريف سرور بغاية الاختصار والا فتفصيل ذلك وبسطه طويل وفي هذه السنة وقع بين جهينة والحاج المصري قتال فانتصر عليهم وقتل منهم نحو الثمانين والربع من الطريق الشرقي فصدوا له في طريق الفرار فاقتتل معهم وقتل منهم أربعة ووازر وأما الحج الشامي فانه لما وصل الى المدينة اجتمع بأميره أهل المدينة وأخبروه بما صار واعترفوا بالذنب وسألوه أن يستعطف لهم مولانا الشريف ويطلب منه العفو وأن يطلق المرابيط الذين عنده من أهل المدينة وكان أمير الحاج الشامي في

لعشر ليال بقين من ذي الحجة الحرام سنة ستين وتسعمائة وجهز تابوته الى اصطنبول في ذي الحجة سنة ستين وتسعمائة ◦ ولما انقضى الشتاء توجه الركاب الشريف السلطاني الى الجوان من بلاد العجم فأخلاها الشاه وتركها خالية ومضى الى الاطراف والجوانب ولم يقاتل ولم يحارب ولم يقابل فعادت الحضرة السلطانية الى اماسية وأقام ليكر على بلاد العجم ثانيا فأتت رسل الشاه وطرق باب الصلح فرأت الآراء الشريفة السلطانية اجابة الشاه الى سؤاله ترحما للعساكر السلطانية وحقنا للدماء الرعية فانعمت على الشاه بقبول ما تمناه وأمرت بارسال أجوبة حسب مراده ومناه وعادت حضرتها الشريفة الى تخت ملكها الشريف محفوظا بظل سلطانها الوريف واستقرت ذاتها العالية قريرة العين بالسعادة الباهرة

السنية على تخت الخلافة العلية بدار الاسلام قسطنطينية لا زالت سيوف السلطنة العثمانية محروسة محمية آمين وذلك في سنة احدى وستين وتسعمائة

(الغزوة الثالثة عشرة غزوة سكتوار وهي آخر غزواته الكبار) لما كان دأب هذا السلطان الاعظم المجاهد في سبيل الله ونصرة دين الاسلام كدأب آبائه وأسلافه العظام ولكل امرئ من دهره ما تعود وعادة الجهاد في سبيل الله أعظم ذخرا عند الله وأعود تاقت نفسه النفيسة الى الجهاد واشتاقت الى قتال الكفار الفجار وصمم على السفر الى بج وسكتوار وكان مزاجه الشريف متوعكا باستيلاء مرض النقرس عليه وتألم ألما شديدا ويظهر صبر الرجال ويظهر غاية الجلد والاحتمال فنهاه عن السفر رئيس الاطباء صاحبنا المرحوم الشيخ بدر الدين محمد بن محمد القوصوني المصري وكان من أحذق الحذاق وأفضل الفضلاء في سائر العلوم على الاطلاق أديبا أريبا كاملا لبيبا طبيبا حبيبا بيني وبينه ملاطفات ومراسلات أدبية ومطارحات تجتنى ثمار الادب الغض من رياضها وتقتطف ازهار المفاكهة من أكمام أغصان حياضها برد الله مضجعه وأنزل عليه من زلال رحمته سلسبيلا وسقاه من الجنة كأسا كان مزاجها زنجبيلا فلم يقبل السلطان المرحوم عن السفر ولم يطع الطبيب فيما ذكر وقال له أريد أن أموت غازيا وأبذل روحي في سبيل الله مجتهدا ساعيا فبرز بجيوشه المنصورة وجنوده ورايته المقرونة بالنصر وبنوده والظفر يقدمه والسعد يخدمه وانقض كالشهاب الثاقب والحسام القاطع

ذلك العام محمد باشا ابن العظم فلما بلغ الشريف ذلك أرسل المرابط الى العابدية فلما وصل الباشا ترجى في اطلاقهم فلم يقبل رجاءه فلما وصل الباشا المدينة راجعا أخبرهم بما صار فقلقوا لعدم رجوعهم وشاع عندهم أن مولانا الشريف مقبل عليهم بجنود لا قبل لهم بها فترسوا القلعة وغلقوا الابواب واستعدوا لقتاله فلما وصل الحج المصري أخبرهم بأن ذلك غير صحيح فاطمأنوا وفي سنة خمس وتسعين في غرة جمادى الآخرة ورد خطاب لمولانا الشريف من الدولة العلية جاء على يد مرو أخبره أنه استضاف نصار بن عطية ووعده انه اذا رجع ومن عليه بتجهيزه معه الى مصر فارسل الشريف لوزيره في ينبع بانه يترصد نصار بن عطية اذا رجع الخطاب ويقبض عليه فترصده وأرسل له عسكرا على خيل وركاب فاحاطوا بنصار ووقع بينهم وبينه قتال فانتصروا عليه وقتلوه وجاوز أخيه الوزير بينبع وهرب ابنه وذهب الى قبائل حرب واستصرخهم فاجتمع نحو خمسة آلاف وجاؤا الى ينبع واحاطوا بالوزير فقاتلهم ثلاثة عشر يوما وقتل من القوم نحو الخمسين ثم ركب البحر وترك لهم ينبع فملكوها فلما وصل الوزير الى جدة كان مولانا الشريف بجدة فاخبره الخبر

(ذكر عزم الشريف سرور على قتال حرب وكثرة تجهيزه له سنة ١١٩٥)

فاشتد غضب الشريف على حرب وعزم على التجهيز عليهم ومحاربتهم وأمر وزيره بجدة أن يرسل جملة من أغربة اليمن وشحنها بالذخائر وتوجه الى مكة في غاية رجب وكتب الى جميع القبائل يطلبهم من كل مكان وواعدهم ان يصلوا اليه في رمضان ثم توجه الى الطائف لجمع القبائل أيضا فحضر عنده كثير من الشيوخ فاعطاهم الدراهم وألبسهم الجوخ ثم رجع الى مكة وأراد التوجه في رمضان فتأخر بعض القبائل فأخر السفر الى شوال وأطلق خمسة وعشرين من أهل المدينة المسجونين وأبقى الباقين وصرف للقبائل شيئا كثيرا من المال أعطى كل رجل اثنى عشر محبوبا وللخيال عشرين محبوبا واستعد بشئ كثير من الذخائر والرصاص والبارود وأمر وزيره بجدة ان يجهز الاغربة والسواعي والداوات بانواع الذخائر ويرسلها الى ينبع مع شئ من العسكر ليخرجوا من قربها ويملكوها فلما وصلوا قربا من ينبع خرج لهم جهينة في داواتهم مستعدين للقتال فانهزمت الاغربة وعادت الى جدة وفي الرابع والعشرين من شوال توجه مولانا الشريف سرور من مكة بمن معه من الجنود وكان معه من عتيبة ستة آلاف وسبعمائة من السادة الاشراف ومن ثقيف وهذيل ثلاثة آلاف ومن مراجله نحو الالفين فكان جيشه كله يبلغ اثنى عشر ألفا ومعه من الخيول الطوالع خمسمائة ومائة وخمسون من أرباب الصنائع من المعلمين والنجارين وعبيد العين وغيرهم ومعه من الجمال التي تحمل الذخائر نحو سبعة آلاف فلما وصل الى خليص وأراد التوجه منه

القاضب حتى طرق الكفار كالاحلام الطوارق وخفقت أعلامه كالرياح الخوافق واختطفت أبصارهم بوارق الأسياف والصواعق ❊ وكان بروزه من القسطنطينية المحمية في يوم الاثنين المبارك لتسع مضين من شوال المقرون بالظفر والسعادة والاقبال سنة أربع وسبعين وتسعمائة واستمر عوج بجيوشه كالبحر المواج ويفيض احسانه على فقير محتاج كالغيث الثجاج وهو يقطع المراحل والمنازل ويسلك فجاج المسالك والمناهل الى قطع الانهار الغزار والمياه العظيمة الكبار بجسور محكمة يثبت عليها وسفائن كالاطواد غرقت فيها لتدعيم الجسور اليها الى أن أمكن تعديته ذلك بالجيش العرمرم ومرور ذلك الجيش الاكبر والسواد الاعظم وزلوا به الحذار والترحال ومعاناة الاهوال على قلعة سكوار من أعظم قلاع الكفار وهي أعظم قلاع دمشوار فاحاطوا بها كاحاطة الطوق بالعنق وداروا حولها وعليها دوران الاهلة على الافق وهي مدينة حصينة واسعة شاسعة مكينة راسخة البناء في حضيض الماء شامخة الهواء الى عنان السماء في غاية العلو والتحصين والعلاء ونهاية الاستحكام والتمكين وأقوى ما يلد الكفار من المكان الحصين كانها في الارتفاع والشهوق تناطح النطاح وتعاون العيوق وكان بريق نيران المعان البروق عند الخفوق مشحونة بآلات الحرب والمدافع محفوفة بالمكاحل الكبيرة والقلاع موسوقة بجيوش النصارى رابطا لهم موسومة بشياطين الشيطان من رجالهم حفظهم عسكر الاسلام وحاصروهم وضيقوا عليهم مسالكهم وصابروهم وناوبوهم وصالوا عليهم ومنعوهم فتحصن الكفار في قلعة سكتوار ورموا على المسلمين قامع النار فتترس المسلمون بالمتاريس وهجموا على الكفرة المناحيس وحمى الوطيس وتحمس الجيش وأقدم من الابطال المشهورين والفرسان والشجعان المخبورين من أظهر شجاعته يده البيضاء آية للناظرين وطلب من الله النصر وهو خير الناصرين وعند اشتداد الحرب والقتال وتصادم الابطال تصادم أطواد الجبال اذ غلب على السلطان توعكه وسقمه واشتد عليه مرضه وألمه وغمرته غمرات الموت ولاحت أمارات الفوت وهو يلهج الى الله المجيب ويتضرع الى جنابه الرحيب بطلب الفتح القريب فاستجاب الله الكريم دعاه وحقق بحصول المراد رجاه واضطرمت النار في خزينة بارود

المقضة

امتنعت هذيل من التوجه فراجعهم وكرر عليهم المراجعة في المسير فامتنعوا وأغلظوا في الجواب فضرب واحدا منهم بشعاب ضربة غير مؤلمة فعمد الى بندقة ورماه برصاصة تعمد بها قتله فسلمه الله ثم كروا الى مكة راجعين ولم يبالوا فارسل خلفهم السيد منصور بن عبد الله الجودي وأمره ان يلاطفهم ويقول لهم قولا لينا فلم يفد فلما لاطفهم قالوا انه ان رد ملك مكة فامشي معنا ونحن نغاربه الحرب الشديد فلما أخبره الخبر تحير في أمره وتكدر وأمر برد الخزانة الى خليص وأبقى عنده بعض المراجل

﴿ذكر القتال الواقع بين الشريف سرور وقبائل هذيل﴾

وتوجه خلف هذيل بالعساكر والمراجل على خيل وركاب فادركهم على موقدات صبيحة يوم الجمعة وحصل بينه وبينهم ملحمة من الاشراق الى الغروب وقتل كثيرا منهم وأخذ ما معهم من جمال وبنادق وسلاح ثم طلبوا منه الامان فاعطاهم وقتل في ذلك الحرب من عتيبة الذين معه أحد عشر رجلا وواحد من الاشراف ثم عاد الشريف الى الوادي وأقام به حتى لحقته الخزانة التي أبقاها في خليص ثم رحل الى مكة وأمر القبائل والعربان الذين معه بالانصراف وأضمر العزم على حرب الى سنة أخرى وفي عشرين من ذي القعدة أرسل من بقي من خلايس أهل المدينة الى القنفدة ليكون حبسهم هنالك وجاءت الحجوج وكان أمير الشامي محمد باشا بن العظم الذي كان في السنة التي قبلها وجاء في قوة عظيمة وتوهم الناس منه حصول فتنة لما صار بينه وبين الشريف في العام السابق من كونه لم يقبل شفاعته في فكاك أهل المدينة ولم يحج أكثر أهل مكة خوفا من حصول الفتنة لكن الله الحمد لم يحصل شيء مما توهمه الناس بقي الناس في أمن وسرور وجاءت الامور على خلاف القياس وسافر الحج الشامي على الطريق الشرقي والحج المصري على طريق الفرع ولم يعطوا ما هو مرتب لحرب وجهينة وفي سنة ست وتسعين عصى على مولانا الشريف آل علي بن سالم وهم بطن من هذيل وقطعوا طريق الطائف وتحصنوا في جبال شامخة لا يمكن الوصول اليهم فيها

﴿ذكر ابتداء عمارة القلعة التي في جياد سنة ١١٩٦﴾

وفي هذه السنة شرع مولانا الشريف في عمارة القلعة التي في جياد بعد ان اشترى ما حولها من البيوت وأنفق في عمارتها مالا كثيرا ثم نقض بعد سنتين كثيرا من بنائها وأعاده على أحسن اتقان وفي ذي القعدة طلب المحبوسين من أهل المدينة من القنفدة وحبسهم في جدة ثم جاءت الحجوج وحجت بالامن والسلامة الا ان الحج المصري في رجوعه حصل عليه امطار وسيول أذهبت ثلث الحج وفي سنة سبع وتسعين جاءت صدقة من سلطان الغرب للسادة الاشراف والعلماء وخدمة البيت الحرام وكذا لاهل المدينة وكانت هذه الصدقة ذهبا مطبوعا مقدار كل واحد وزن الريال

الكفار وهى محروسة بقلعة سكرار وكانوا أعدوها لقتال المسلمين وأكثروا فيها البكوت موفرة عندهم فأصابها شرر من النار بتقدير القدير القهار فأخذت جانبا كبيرا من القلعة رفعته الى عنان السماء وزلزلت الارض زلزلة هائلة الى تخوم الماء وتطايرت جلاميد الصخور الى الهواء ورمت شررا واهبا ودخانا الى أن امتلأ الفضاء فضعفت بذلك طائفة الكفار وعذبهم الله بالنار قبل عذاب النار وتزاحم المجاهدون فى سبيل الله معتمدين على نصر الله لأن الحرب والجهاد وصدق النية والاعتقاد واشتد القتال والجلاد ورمى الكفار بمدافع أقوى من الصواعق واخطف للاسماع والابصار من الرعود والبوارق وثبت المسلمون وأقدموا على النيران وهم كالاطواد الراسخة بقوة

الجنان لم يتأثر أحدهم بالنار تخطفه وتدفعه ولم يبال على أى جنب فى الله مصرعه وتقدم الجيش المنصور وطبول الحرب ومزاميرها كنفخ الصور يوم النشور والمدافع تتهادى كما تتهادى الشهب وتتراءى بالاحجار كما تتراءى بوارق السحب وتوجهت المسلمون بوجوها خالصة لوجه الله وحملت على الكفار حملة واحدة بغاية التيقظ والانتباه غير مبالين بموت ولا حياة موقنين بأن لا مفر مما قدره الله وتعلقوا بأطراف القلعة واقتلعوها من أيدى الكفار وهجموا عليها ودخلوها من فوق الاسوار وقتل منهم من قتل ونجا من نجا بمساعدة الاقدار وافتتحت قلعة سكرار ورفعت الرايات السلطانية على أعلى منار ووضعت السيوف السلطانية فى جميع الكفار وقتلوهم وساقوهم الى جهنم وبئس القرار وعند وصول خبر الفتح الى السلطان سليمان فرح وحمد الله تعالى على هذه النعمة والاحسان واستسلم لربه وقال طاب الموت الآن وانتقل من سرير الدنيا الى سرير مرفوعة فى أعلى الجنان وأخفى حضرة الوزير الاعظم محمد باشا وفاة السلطان وخرج من عنده وفرق الجوائز السنية والانعامات وأعطى الامراء والبكلربكية الترقيات وأمر بارسال البشائر الى سائر الاطراف والجهات وأرسل سرا يستدعى السلطان سليم خان الثانى ويستعجله فى سرعة الوصول الى التخت الشريف العثمانى وكتم ذلك عن جميع الخواص والخدام وعن جميع العسكر والامراء والوزراء وسائر الانام وأحسن التدبير فى هذا الكتم وهو من اللازم الحتم فى الامور العظام واستمرت أمور المملكة فى غاية الانتظام وأحوال العسكر المنصور السلطانى فى أعلى درجات النظام وهم

الفضة مكتوبا عليها والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم

﴿ذكر سجن أهل المدينة أمين الصرة﴾

وفى هذه السنة تمرد أمير الحج المصرى عن تسليم معاليم أهل مكة وفعل مثل ذلك مع أهل المدينة فاحتالوا عليه وأدخلوه بيت العشرة وقالوا انك لم تطلق الا مسجونا فلما تيقن عدم الخلاص أعطاهم ما عليه من النقود وأبقى رهونا فى الباقى

﴿ذكر عزل وتولية﴾

وفى سنة ثمانية وتسعين عزل حسن النابتة من شهندارية [illegible] وتولى أحمد القارى بأربعة آلاف ريال وعزل حسن الرشيدى عن نظارة السوق وتولاها محمد [illegible] بثمانية عشر ألف قرش ثم عزله بعد ثلاثة أشهر وأعيد حسن الرشيدى بمبلغ من المال وتولى درويش بن صالح [illegible] بيت المال الذى من المال ومعه عشرة وجاب من عين مولة وفى سنة تسع وتسعين اتفق ان أمير الحج المصرى رحل الزيارة ولما وصل الى رابغ مال الى خفوش ثم الى ينبع ولم يعط أهل المدينة ما هو لهم من الصرة ولم يتفق ان الحج المصرى ترك الزيارة الا فى ذلك العام وفى هذا العام قبض مولانا الشريف على الشريف المسمى بالوبير وكان من قطاع الطريق وطالما ركب عليه المرة بعد المرة فلم يظفر به وفى هذه المرة ركب عليه وقبضه فى المضيق وأخذ سلاحه ومواشيه وأودعه السجن

﴿ذكر موت الوزير ريحان وماله من خيرات بين مكة والطائف وجدة سنة ١٢٠٠﴾

وفى سنة ألف ومائتين توفى الوزير ريحان فى الثامن والعشرين من رمضان وله كثير من الخيرات منها أنه بنى مسجدا ببندر جدة ووقف عليه أوقافا تجرى منها مصالحه وعمر بالطائف مسجدا ووقف عليه بستانا فى وادى لية يقال له ليلاه ووقف عليه دارا بمكة فى خط سويقة على قارعة الطريق ممن كان على الطلبة التى شاهدتها الرقيق نص على ذلك الشيخ عبد الله عبد الشكور فى تاريخه ثم قال وبنى بمكة زاوية بأول سفح أجياد وسماها زاوية الحداد وهى فى الحقيقة مسجد تصلى فيه من بيوت الله ووقف عليها جملة من الكتب النافعة

﴿ذكر ابتداء بناء بيت عرفة سنة ١٢٠٠﴾

وفى شهر ذى القعدة أرسل مولانا الشريف ستين من المعلمين غير اتباعهم الى عرفة فبنوا له بيتا ولم يسبق لغيره بناء بيت فى عرفة وفى هذه السنة كان أمير الحاج الشامى أحمد باشا الجزار وكان ظالما غشوما وكان تارة يدعى انه شريف من الحسينيين وتارة يدعى انه المهدى المنتظر ولم يحصل فى الحج فى هذه السنة لله الحمد خلاف الا ان أمير الحج المصرى وهو راجع وقع منه أمر عجيب نشأ منه

في ديار الكفر بعيدون عن ديار الاسلام وذلك من كمال العقل التام والرأي الثاقب الصائب القائم الى أن وصل حضرة السلطان سليم الى مقر تخته الكريم وأذن للعساكر المنصورة بالرجوع الى أوطانها وعاد مع أركان دولته ووزراء سلطنته وبقية عساكره الى القسطنطينية العظمى كما يأتي تفصيله ان شاء الله تعالى وغسل المرحوم السلطان سليمان وحنط وكفن وأنشد لسان الاعتبار يقول فيه انظر الى سلطان الدنيا بأجمعها • هل راح منها بغير القطن والكفن ووضع في تابوت وحمل على الاعناق وقد قلدها في حياته قلائد نعم سالت محل الاطواق وهو عن يليق ان ينشد فيه

كم ذات الرجل المولى غسله (٢٢٢) • هلا أطاع وكنت في نصائحه وأزل آفاقه بالخيوط رقيها • عنه وحنطه بطيب ثنائه ومن الملائكة الكرام حمله

ولما انفصل من تجهيزه واحضروه ولا الى ان أتى به الى اسطنبول وخرج لاستقباله جميع العلماء والموالي العظام والمشايخ الاتقياء الكرام وسائر أصناف الانام وبكوا عليه بكاء طويلا وأكثروا نحيبا وعويلا وصلوا عليه وأمهم في صلاة الجنازة المفتي الاعظم مولانا أبو السعود أفندي عالم بلاد الاسلام ودفن في تربة أعدها له في حياته رحمه الله تعالى ورثاه الشعراء بكل لسان بقصائد طويلة سارت بها الركبان أعظمها وأحسنها قصيدة المفتي المذكور وهي طويلة جدا حذفت بعضها رعما للاختصار وذلك قوله رحمه الله تعالى أصوت صاعقة أم نفخة الصور فالارض قد ملئت من نقر الناقور

أصاب منها الورى دهياء داهية • وذاق منها البرايا صعقة الطور تهدمت بقعة الدنيا لوقعتها فتنابعوا وانهدّ ما كان من دور ومن سور أمسى معالمها ايماء مقفرة • مافي المنازل من دار ولا دور تصدعت قلل الاطواد وارتعدت كأنها قلب مرعوب ومذعور واغبر ناصية الخضراء اذ كدرت • وكاد تعلق الغبراء بالمور فمن كئيب وملهوف ومن دنف عان بسلسلة الاحزان مأسور فباله من حديث موحش نكر • يعافه السمع مكروه ومنفور تاهت عقول الورى من هول وحشته فأصبحوا مثل مجنون ومسحور تقطعت لطامته القلوب فلا • يكاد يوجد قلب غير مكسور أجفانهم سفن مشحونة بدم تجري بحرمي العبرات مسجور أني يوجه نهار لا ضياء له • كأنها غارة شنت بديجور أم ذاك نعي سليمان الزمان ومن

مصيبة أي مصيبة وذلك انه لما وصل الى خليص قبض على بعض اللصوص من حرب فشفع فيهم شيوخ حرب فأبى ان يطلقهم حتى يسمهم بالنار ليعرفوا من بين الناس فاحمى الحاوير وكواهم على الخدود وأطلقهم فصرخ صارخهم وتلاحقوا بعد اجتماعهم وأدركوه بموضع يقال له قوزة وأرسلوا له يقولون ان أردت السلامة فاجعل مقررات التي جعلت في خدودهم السلامة فامتنع فصاحت الاعراب واجتمعت وحملت على الحج حملة واحدة فظهر عليه الذل والانكسار ففر ومعه تجريدة من الخيل وجعل يطردها بالنهار والليل حتى دخل المدينة وترك الحاج في تلك الفجاج واستولى عليهم العربان فقتلوهم ونهبوا واستأصلوهم عن آخرهم ومنعهم ولا رؤي ان حجا استؤصل الا هذا العام

•(ذكر التجهيز الثاني لقتال حرب سنة ١٢٠١)•

وفي سنة ألف ومائتين وواحد عزم مولانا الشريف على التجهيز لقتال قبائل حرب الا انه كتم الامر وأرسل في شهر جمادى الاولى يطلب القبائل من كل جهة فأقبلوا عليه فوجا بعد فوج وهو يبسط عليهم النفقات ويبذل لهم المال الكثير فلما حضروا أخبرهم انه يريد قبائل حرب ووقع ايام اجتماعهم قتال بين عتيبة وهذيل ولم يمسكوا عن القتال حتى ركب على هذيل بنفسه وفرقهم وأمرهم بالنزول على الجبال فأطاعوه وقتل من كل الطائفتين أناس لم يعلم عددهم ولما تكاملت الجنود خرج الى الزاهر مولانا الشريف يوم الثالث عشر من رجب وأخرج العساكر والجنود والمدافع وجميع المهمات وكانت القبائل عددا كثيرا من جملتهم قبائل الشرق بلغ عددهم تسعة آلاف ومعهم مائتان من الخيل وتوجه منه يوم الحادي والعشرين من الشهر المذكور ولم يزل سائرا الى ان وصل الى مستورة فأرسل غزية على جبل صبح فعقروا واشتى أهل تلك الديرة ورجعوا وأما طائفة عتيبة فانهم كلما وصلوا الى بلد رأيته بعينه قبل وصول العسكر فأقام أياما على مستورة وأمر على عتيبة أن يتقدموا بعيدا عن الجيش بسويعات في محل مرتفع يقال له الحديبة وأما حرب فقد تجمعوا من كل جهة وكانوا نازلين بأعصمهم على قتاله حتى وصلهم فاستبطؤه وطالت اقامتهم وانتظارهم اياه وظنوا انه تأخر حتى طالت المدة شوقا لهم وخطر بالهم ان يدهموه في محله فظفروا به وبخزائنه فحركهم داعي البغي والهوى فأقبلوا من مواضعهم على عتيبة أولا لكونهم بعيدا عن بقية الجيش وأرادوا استئصالهم فلما رأوهم من كل مكان فاقتتلوا معهم ووقعت من كل الفريقين من دنا أجله فعند ذلك صاح مستنجدهم بالشريف فنهض كما ينهض الاسد واستنجد الكماة من بني عمه السادة الاشراف وكل من معه في ذلك النادي من العسكر والبوادي وفرغ لهم الذهب الاصفر فرموا أنفسهم في الموت الاحمر فلما رآوا عيون القوم قال كل من قطع رأسا فله خمسة من المشخصة

مضت أوامره في كل مأمور • ومن ومن ملأ الدنيا مهابته • ومضرت كل جبار ونحرور • مدار سلطنة الدنيا ومركزها
خليفة الله في الآفاق مذكور • على معالم دين الله مظهرها • في العالمين بسعي منه مشكور • وحسن رأي الى الخيرات منصرف
وصدق عزم على الانفاق مقصور • بآية العدل والاحسان ممتثل • بغاية القسط والانصاف موفور • مجاهد في سبيل الله مجتهد
مؤيد من جناب القادر منصور • بالهدي الى الاعداء منعطف • ومشرق على الكفار مشهور • ورايه رفعت للمجد خافقة
تحوي على علم بالنصر منشور • وعسكر ملأ الآفاق محتشد • من كل قطر من الاقطار محشور • له وقائع في الآفاق شائعة
أخبارها ازدهرت في كل طامور • يا نفس مالك في الدنيا مخالفة • من بعد رحلته (٢٢٣) من عنده النور • وكيف تمشين فوق الارض نائلة

فتتابعوا القتال كأنهم نشطوا من عقال فلم يكن الا كلمح البصر الا والرؤس بين يديه كالتلول وقتلوا فيهم القتل الشنيع فلما رأى كثرة القتل فيهم أخذته الشفقة فقال الربط منهم أولى ونادى المربوط دون المقتول فلما وقع عليه القول فأخذوا الحبال وصاروا يربطون فيهم ويأتون بهم كالغنم فربطوا ما ينوف عن الخمسمائة وهرب منهم من بقي أجله وكتب الله السلامة من الربط وبعد فراغ القتال جعل يستعرض المرابيط ويسألهم عن أسمائهم ومن أي القبائل هم ويأمر بوضعهم في الاغلال والسلاسل وجاءت البشائر الى مكة فزينت البلاد ونصبت أعلام النصر ودق الزير وبعد أيام جاءت المرابيط الى جدة في الزعائم مصفدين وكبكبوا في الحبس أجمعين ثم توجه مولانا الشريف الى الفرع وملكه بغير قتال وهرب أهله فحرق بعض الدور وقطع بعض النخل ثم جاؤه يهرعون اليه طالبين العفو والسماح فعفا عنهم ثم رجع الى مستورة ثم توجه الى بدر فلقيه أهلها ذليلين بالاثمين فأعطاهم الامان ثم ارتحل الى ينبع النخل ثم الى السويق وطلب أهله الامان فأعطاهم ووقع هنالك من بعض أتباعه مع بعض أهل السويق خصومة آلت الى القتال فلما علم بذلك كف أتباعه حتى جعل يضربهم بالسيف فسكن الامر بعد أن قتل من الطرفين وقبض على سبعين من رؤسائهم وأرسلهم في الحديد مصفدين ثم ارتحل الى بدر ومنها الى الجيف فوجد أهله متحصنين على رؤس الجبال وقد جعلوا أرد ما بين جبلين صبروه كالسد لمنعه من العبور فأمر بهدمه وحرق بعض الدور وقبض على عشرين منهم وجعلهم في الحديد ثم أرسل بشيرا آخر الى مكة بهذا الفتح الجديد وطلب مفتي مكة الشيخ عبد الملك القلعي ليفوز بالزيارة لقبر النبي صلى الله عليه وسلم فامتثل أمره وتوجه وكان دخول مولانا الشريف سرور المدينة في السابع عشر من شوال فتلقاه أهل المدينة بالتعظيم والاجلال وأقام هنالك الى وصول الحج الشامي ولا تعرض أهل المدينة بنقض ولا حل ولا تولية ولا عزل ثم توجه من المدينة بعد خروج الحج منها بيوم ودخل مكة في أوائل شهر ذي الحجة بمن معه من القوم ودخلت الحجوج في ذي الحجة وحج الناس في أمن وسرور وورد في هذه السنة صدقة لاهل مكة من الهند وقدرها أربعة وعشرون ألف مشخص وصدقة أخرى من سلطان المغرب وصدقة ثالثة من محمد علي خان من الهند أيضا وفرقت جميع الصدقات وانتفع منها الكبير والصغير والغني والفقير

﴿ذكر ختان أولاد الشريف سرور سنة ١٢٠٢﴾

ثم دخلت سنة ألف ومائتين واثنتين فعزم مولانا الشريف على ختان أولاده وأولاد أخيه باقامة فرح عظيم قام بالتهيؤ والاستعداد له فكان ابتداء ذلك الختان والفرح في اليوم العاشر من ربيع

آنس جميلة في القبور
حق على كل نفس أن تموت أسى
لكن ذلك أمر غير مقدور
فللمنايا مواقيت مقدرة
تأتي على قدر في اللوح مسطور
وليس في شأنها للناس من أثر
ومدخل لما بتقديم وتأخير
يا نفس فاتئدي لا تملكي أسفا
فانت مظلومة في سلك مقدور
اذا انت مأمورة بالصبر ولا
عساك تحوي بذلك محمود وميسور
ولا تظنيه قد مات بل هو دا
حي بنص من القرآن مزبور
له نعيم وأرزاق مقدرة
تجري عليه بوجه غير مشهور
ان المنايا وان عمت محرمة
على شهيد جليل الحال مبرور
مرابط في سبيل الله مقتحم
معارك الحتف بالرضوان مأجور

ما مات بل نال عيشا باقيا أبدا • عن عيش فان بكل الشر مغمور
ابتاع سلطنة العقبى بسلطنة الدنيا فاظفر بربح غير محصور
بل حاز كاتبهما الاحل منزلة • عن لم يقاربه في أمر ومأمور
أما ترى ملكه المحمي آل الى • من مرى له في الدهر مشهور
ولي سلطنة الآفاق مالكها • براوية رابعين اللطف منظور
نجل الاله ملاذ الخلق قاطبة • وملتجى كل مسرور ومذعور
فانه عينه في كل مأثرة • وكل أمر عظيم الشأن مأثور
ولا امتياز ولا فرقان بينهما • وهل يميز بين الشمس والنور
مبدع ما بعد زادت مهابته • تحت الخلافة في عز ومنصور
بهذا الجديدان في أيام دولته • سارا كأنهما مسك وكافور
أضحى بقبضته الدنيا برمتها • ما كان من مجهول منها ومعمور
بدا بطلعته والناس في كرب • وسوء حال من الاحوال منكور

فاصبحت صفحات الارض مشرقة • وعادا كا دهها نورا على نور سبحان من ملك جات مفاخره • عن البيان بمنظوم ومنثور
كأنها ويراع الواصفين لها • بحر تخيس الى منقار عصفور لا زالت احكامه بالعدل جارية • بين البرية حتى نفخة الصور

﴿فصل في بعض مآثر المرحوم السلطان سليمان خان وخيراته وصدقاته الجارية الحسان في جميع البلدان سيما في بلد الله الحرام وبلد خاتم الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام﴾ (اعلم) ان الخيرات والمبرات والمساجد والعمارات والمدارس والخانقات واجراء العيون وبناء القلاع والخانات وغير ذلك من أنواع الخيرات في كل الجهات التي أنشأها المرحوم السلطان سليمان خان (٢٢٤) رحمه الله تعالى كثيرة جدا لا يمكن حصرها ولا يدخل تحت احاطة البيان ذكرها ولا يسعه هذا الكتاب لكان ذكرها جملا من ذلك فما لا يدرك كله لا يترك كله ونذكر خيراته في الحرمين الشريفين وغير ان ما سندعا الى السماع والمشاهدة برأى العين فمن ذلك الصدقة الرومية التي هي الى الآن مادة حياة أهل الحرمين الشريفين وبها معاشهم وقيام أودهم وسبب بقائهم ومددهم فانها وان كانت قديمة متواصلة من زمن آبائه السلاطين العظام وأجداده الملوك الفخام الآن المرحوم السلطان سليمان خان هو الذي زادها وضاعفها وأنماها وكثرها وقررها وأضاف اليها من خزائنه الخاصة مبلغا كبيرا فهي ترد وقته الحاذق كل عام بدفتر محفوظ مضبوط وأمين وكانت تقسم في الحرمين الشريفين بحضرة بيت الله المطهر الشريف ونقرأ الفواتح بالاخلاص ويكثر الضجيج من الفقراء والفقهاء والعلماء والصلحاء والدعاء بدوام سلطنة سلطان الزمان والرحمة والرضوان على آبائه وأجداده من آل عثمان وتفرق عليهم حسب الدفتر الشريف السلطاني المرسوم بالشان الشريف العثماني فيصرفون ذلك في قضاء ديونهم فان فضل فضلة صرفوها في حجهم وكساويهم وأنفقوها على عيالهم وأولادهم ولم يقع الاحسان على هذه الصورة لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك وغيرهم ولكن ليست بهذا الضبط والاستمرار والوصول في محلها وتعميم الناس بها وكانت للخلفاء العباسيين وغيرهم صدقات كثيرة واسعة الا انها كانت ترد مرة في العمر أو عند وصول خليفة منهم الى الحج ما تحققنا مواظبة وصولها على هذا الوجه الذي شرحناه لاحد غير ملوك آل عثمان خلد الله سلطنتهم وهذه بركة جليلة ونعمة كبيرة جزيلة يمتازون بها على غيرهم فالله تعالى

الاول من العام المذكور وتم في ذلك الفرح ما لم يسبق مثله فالبس الملابس الفاخرة لكل من حضر الختان ونثر من الذهب والفضة أعظم النثار وعرض عليه أهل الحارات وانعم عليهم بالملابس والعطايا الجزيلة ومن بعد صلاة المغرب يتنصب الدوان بالعساكر والنوبة تضرب وعرض عليه السادة الاشراف فألبسهم الملابس الفاخرة وأعطاهم من العطايا ما تقر به العين وكذا حضر كثير من أهل البادية وعرضوا عليه وانعم عليهم بالملابس والعطايا وأولم للسادة الاشراف والعلماء وأعيان الناس ولائم منتظمة وضع فيها أنفس المآكل وخيار الاطعمة ثم أولم لبقية الناس ولائم متعددة وأولم أيضا للعساكر وأتباعه وعبيده وأتباعهم ثم أطلق في الولائم ولم يخص أحدا فما بقي أحد الا وحضر تلك الولائم واستمر هذا الفرح من عشرة من ربيع الى السابع والعشرين منه وفي السابع والعشرين أمر جميع عساكره وخيالته أن يحضروا بباب دولته وامارته وأمرهم أن يطوفوا بكافة البلاد في موكب عظيم والآلاي منتظم فخرجوا بافخر الملابس راكبا على الخيول المسومة مصطفين كل أربعة خلف أربعة مقدما امام الجيش سبعة من المدافع تجر معه ولم يبق أحد من أهل البلد الا خرج يوم الزينة ولما رجع والى داره العامرة ألبسهم الملابس الفاخرة ونثر يومها من الدراهم ما أغنى به كل صعلوك وفي غرة ربيع الثاني عمل فرحا عظيما للنساء وصنع لهن ولمة ودعا فيها المغنيات وكساهن أفخر الكساء وخرج نساء البلد متفرجات وأكل من الولمة من حضرها من بواديهم أو حضرها والمعيبات يغنين بأنواع الالحان كتغريد الطيور على الاغصان واستمر فرح النساء على هذا النسق ثلاثة أيام وتم في هذا الختان ما لم يتم لغيره من السرور واذا تم أمر يخشى منه عواقب الامور كما هو مذكور في المثل المشهور

اذا تم أمر بدا نقصه • ترقب زوالا اذا قيل تم

فلم يمض مقدار أسبوع بعد تمام هذا الفرح الا وتبدل السرور بالكدر

﴿ذكر مرض الشريف سرور﴾

فرض سيدنا الشريف سرور وحصل له اغماء غيبه عن الوجود فكتموا أمره عن الناس الى يوم الرابع عشر من ربيع الثاني فاغمي عليه اغماء شديدا ظنوا انه الموت فاعلنوا بالنحيب فاضطربت البلاد لعظم المشقة ووقع الجرى في الاسواق والازقة ثم أفاق من ذلك الاغماء فاستبشر الناس واطمأنوا وعاش بعد ذلك أربعة أيام

﴿ذكر وفاة الشريف سرور سنة ١٢٠٢﴾

ثم انتقل من دار الفناء الى دار البقاء في اليوم الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ألف ومائتين واثنين

واثنين وحزن عليه الناس والعام والكبير والصغير وجهز وصلي عليه بعد الاشراق عند الكعبة ودفن بالمعلى بقبة السيدة خديجة رضي الله عنها رحمه الله رحمة واسعة وعمره نحو خمس وثلاثين سنة ومدة ملكه خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام وأعقب من الذكور عبد الله ويحيى وسعيدا وحسنا وأحمد ومحمدا

﴿ذكر ولاية الشريف عبد المعين بن مساعد سنة ١٢٠٢﴾

وتولى شرافة مكة بعده أخوه مولانا الشريف عبد المعين وأقام في أياما وقيل نصف يوم

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢﴾

ثم نزل عنها بلا حرب ولا قتال لأخيه سيدنا الشريف غالب بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي واختاره الله لحماية هذا الحرم وجاءته الخلعة السلطانية في التاسع والعشرين من شهر ذي القعدة من هذا العام وأدخلها مكة في موكب عظيم ولبسها بعد قراءة الفرمان السلطاني بالحطيم وأجرى ما هو معتاد من الملابس لأرباب الرتب والمناصب وأمر بالزينة ثلاثة أيام

﴿ذكر قتال الشريف غالب مع بعض اخوانه﴾

وفي اليوم الحادي عشر من ذي الحجة فارقه بعض اخوانه وخرجوا من مكة وتوجهوا واتباعهم الى جبال هذيل فغابوا نحو ثمانية أيام وجمعوا بهذيل اليمن والشام وتعرضوا الى المقيم وتلك الجهات فخرج لقتالهم بمن عنده من العسكر والاتباع وأمده أمير الحج الشامي بنحو من العسكر والتقى الفريقان في تاسع عشر الشهر وحصل بينهم وبينه قتال أسفر عن انتصاره عليهم ثم توجهوا الى الطائف وتحاربوا مع وكيله بالطائف فهزمهم وتحصنوا وتحصن في العقيق ثم رفعوا الى بسل وأقاموا أياما ثم رجعوا الى مكة طالبين القتال فلما تحقق الخبر أمر بتجهيز العسكر وبرز بالابطح وجعل هو يخرج كل ليلة ويبيت في المعابدة ويرجع الى داره بمكة في الصباح وفي ثمانية من ربيع الاول سنه ثلاث بعد المائتين والالف جاءه المستفزع الى داره بسبب خروجهم وعبروا أنهم وصلوا الى الميدان فركب من فوره فوجدهم قد اقتتلوا مع عسكره وهزمهم العسكر قبل وصوله وبعد انهزامهم قصدوا وادي الزيما ثم وادي لية ثم الاخيضر وأقاموا شهرا أو نحوا وفي نصف جمادى الاولى جاءهم عربان ثقيف وحاربوا الطائف وأخرجوا وكيل الشريف ومن معه ثم توجه الوكيل ومن معه الى مكة وأخبروا الشريف بأن اخوانه يجمعون له الجنود فأرسل مولانا الشريف للعربان وجمعهم من كل مكان وفي اليوم التاسع عشر برز الى المعابدة بالبيارق والعساكر والمدافع وأنه في غد يكون القتال فأرسل لكل واحد من العربان سبعة ريالات فوصله الخبر أنه في غد يكونون في عرفة ثم مضى يومان وهم

يدم ذلك على جيران بيته الحرام وجيران نبيه أفضل الانام عليه أفضل الصلاة والسلام بدوام سلطنة آل عثمان الملوك العظام الخالد ذكر جميلهم في صفحات الايام أبقاهم الله تعالى الى يوم القيامة • ومنها صدقة الحب وقد تقدم ان المرحوم سليم خان الاول أول من تصدق بارسال صدقة الحب الى أهل الحرمين الشريفين عند افتتاحه بلاد العرب وأخذه لاقاليم مصر والشام وحلب واستمرت متواصلة الى زمن المرحوم السلطان سليمان خان وكانت ترسل من أنبار الخاص بالسلطان وأوردها السلطان سليمان قرى بمصر اشتراها من بيت مال المسلمين ووقفها وجعل غلالها وريعها لاهل الحرمين الشريفين وكتب لذلك كتابا وقف حكم بصحته قضاة العسكر بالديوان الشريف العالي وجعل من ريعها ألفا وخمسمائة أردب لاهل المدينة المنورة يحمل في كل عام الناظر المتولي على ذلك ثم ضاعفها وجعل في كل عام لاهل مكة المشرفة ثلاثة آلاف أردب ولاهل المدينة المنورة ألفي أردب واستمرت ترد كل عام وتوزع على أهل الحرمين بحسب دفتر مقيد باحكام شريفة سلطانية وتذاكر مثمرة وتقريرات من القضاة ونظار الحرم الشريف واستمر الحال على ذلك واستمر الى أواننا هذا والى ما بعده ان شاء الله تعالى وهذا أيضا احسان عظيم ونفع جليل عام مدار سبب المعاش أهل الحرمين الشريفين وبقوتهم ومادة حياتهم ومعيشتهم وأودهم وقوتهم فلو عدموه والعياذ بالله هلكوا والتجأوا من عدمه فلو تم ميدان في الحرمين الشريفين بدوام دولة سلطان الزمان والترحم على آبائه الكرام وأسلافه العظام وهذا الاحسان

لم يعهد في زمن السلاطين السابقة ولا أيام الخلفاء السالفة بل هو مخصوص بسلاطين آل عثمان الا ما فعله السلطان قايتباي رحمه الله تعالى بعدما حج بيت الله الحرام وزار المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فانه وقف على أهل المدينة ضياعا وقرى يصل ريعها الى الآن الى الحرمين الشريفين وللسلاطين حقوق أيضا أوقاف يصل منها شيء دون ذلك الى الحرمين الشريفين وقد آلت أوقافها الى الخراب وضعف ريعها جدا وأما الاوقاف الشريفة العثمانية فعامرة آهلة يفيض منها الزوائد ويحصل منها النمو وعليها مدار معيشة أهل الحرمين الشريفين عمرها الله تعالى وأبقاها وعمر من عمرها وزكى من زكاها • ومنها صدقات الجوالي وهي جمع جالية ومعناه ما يؤخذ من أهل الذمة في مقابلة استقرارهم في بلاد الاسلام تحت الذمة وعدم جلائهم

عنها وهي من أجل الاموال ان أخذت على وجهها المشروع ولا يحل صرفها الا في وظائف العلماء والمتقاعدين من الكبراء وكان يخرج منها شئ قليل في أيام الجراكسة لبعض المشايخ فلما كانت سلطنة المرحوم السلطان سليمان خان نور الله تعالى مرقده وحفه بالرحمة والرضوان أخرجها من خزائنه العامرة بالتدريج الى العلماء والمشايخ من أهل الحرمين الشريفين ومن أهل مصر ومن المتقاعدين بمصر وبالحرمين الشريفين الى ان استوعب صرفها جميعها وزاد عليها قدرا أخرجه من خزائنه الشريفة وذلك من جوالي مصر وبعدها صير جوالي الشام وحلب وغيرهما من الممالك الشريفة العثمانية وغير ما يصرف على الفقراء والعلماء والمشايخ من تحصول المماليك في سائر ممالكهم المحروسة وغير ما يصرف ملوك بني عثمان من ريع أوقافهم وزوائدها وغير ما يخرجون من خزائنهم العامرة في وجوه الخيرات واستمرار هذه الادرارات لاحد من السلاطين والخلفاء والملوك العظام الكرام الخلفاء في زمن من الازمان في دولة ملك أو دور سلطان واتفق الى بني هذه الدولة الشريفة الباهرة والسلطنة القاهرة الفاخرة الزاهرة الى ان ينقضي الدنيا وتقوم الآخرة ومن خيراته الدائرة اجراء العيون ومن أعظمها اجراء عين عرفات الى مكة المشرفة وسبب ذلك ان العين التي كانت جارية بمكة هي عين حنين وهي من عمل أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور زوجة هرون الرشيد وامها أمة العزيز وكان جدها المنصور يرقصها وهي طفلة ويقول أنت زبدة فاشتهرت بها وكانت من أهل الخيرات ولها مآثر عظيمة الى الآن ومنها اجراء عين حنين الى مكة المشرفة وصرفت عليها خزائن أموال الى أن جرت الى مكة المشرفة وهي واد قليل الامطار بين جبال سود وعليات خاليات من المياه والنبات وصفه الله تعالى بأنه واد غير ذي زرع فنقبت أم جعفر زبيدة الجبال الى أن ساقت الماء من أرض الحل الى أرض الحرم وانفقت على عملها ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشرون والعمال لديها وأخرجوا دفاترهم لاخراج حساب ما صرفوه ليخرجوا من عهدة ما تسلموه من خزائن الاموال وكانت في قصر عال مطل على الدجلة فأخذت الدفاتر ورمتها في بحر الفرات وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب فمن بقي عنده شئ من بقية المال فهو له ومن بقي له شئ عندنا أعطيناه وألبستهم الخلع والتشاريف فخرجوا من عندها حامدين شاكرين

مغبوطون في نعمائه ثم ان ساعيه واجهه مولانا الشريف من الجنود رجعوا الى الطائف

(ذكر الصلح بين مولانا الشريف واخوانه)

وفي الرابع والعشرين من الشهر المذكور أرسل مولانا الشريف غالب السيد ناصر بن مستور ونائب قاضي الشرع والمفاتي الاربع يتوسطون في الصلح بينه وبين اخوانه فوصلوا اليهم فقابلوهم بالاكرام والاجلال وعرضوا عليهم الصلح فقبلوه واشترطوا شروطا فقبلها مولانا الشريف فتمموا الامر على أحسن منوال ونزلوا جميعا الى مكة فخرج مولانا الشريف لملاقاتهم الى العابدية وقابلوه بها وباتوا ثم دخلوا مكة في الزي الأعظم ولله الحمد على ذلك

(ذكر وفاة السلطان عبد الحميد بن أحمد خان سنة ١٢٠٣)

وفي هذا العام كانت وفاة مولانا السلطان عبد الحميد بن السلطان أحمد خان بن محمد بن ابراهيم وجلس بعده على تخت السلطنة ابن أخيه مولانا السلطان سليم بن السلطان مصطفى بن أحمد بن محمد بن ابراهيم

(ذكر قتل الخطيب)

وفي شهر رجب وقعت حادثة بمكة وهي ان يوم الجمعة كان الخطيب الشيخ عبد السلام الحرشي فتعرض له عبد اسمر بقالي قبل خروجه قبل الصلاة وضربه بسكين قطع بها أمعاءه فكانت هي القاضية ووقع في المسجد ضجة عظيمة حتى أشاع بعض العوام ان المهدي المنتظر ظهر بين الركن والمقام وعم الخلل وزال الالتباس وتقدم خطيب آخر فخطب وصلى بالناس وأمر مولانا الشريف بصلب ذلك القاتل فصلب وفي شهر شعبان حصل اختلاف بين والي جدة عزة محمد باشا ووزير مولانا الشريف الماس رمضان فأغلق الباشا الشريعة والقبان وقلد قاضي الشرع بأمر السيد فضل القاضي بنزول الفرضة لجمع العشور وضبط ما يحصل من المال ويعرف ما يخص الباشا وما يخص مولانا الشريف غالبا ثم عزل مولانا الشريف الوزير الماس رمضان لانه السبب في هذه الفتنة الحاصلة بين مولانا الشريف ووالي جدة وجيء به الى مكة وسجن مقيدا بالحديد

(ذكر الفتنة بين الشريف غالب والشريف عبد الله بن سرور سنة ١٢٠٤)

وفي خمس وعشرين من جمادى الاولى من سنة أربع بعد المائتين والالف حبس مولانا الشريف يحيى سلطوح وكان مقدما لاخيه المرحوم الشريف سرور فاطلع مولانا الشريف غالب على أشياء صدرت منه تكون سببا للفتنة بينه وبين أولاد أخيه الشريف سرور فقبض على يحيى المذكور وحبسه في محبس تحت الارض في بيت رشوان الفوروجي وأقام فيه برهة من الزمن ثم هدم بالوضعة المطهر وهرب منها وتوارى في بيت أولاد المرحوم الشريف سرور فكان ذلك داعيا للفتنة والشرور ولم

يعلم

يعلم له مولانا الشريف غالب بمكان وطلبه فلم يجده ثم أتى يحيى سلوح الشريف عبد الله بن سرور على طلب شرافة مكة وهو صغير عمره اثنتا عشرة سنة وتكفل له بالاعانة فأرسل اليه مردة من العبيد نحو الخمسمائة ورموا بالبنادق من المسجد على بيت مولانا الشريف غالب ثم ولوا مدبرين وترسوا بيت الوزير ريحان وبيت القطبي وما حوله من البيوت وثبت الشريف في داره فوقع الحرب من البيوت بين الطرفين واستمر الى أربعة أيام وليال وانقطعت الناس عن السير في طرقات البلاد وانقطعت الصلوات الخمس والطرق فلما ظهر واعزم أخذ أولاده وخرج أولاد الشريف سرور مع أخيهم الشريف عبد الله وتوجهوا الى العابدية وخرج معهم يحيى سلوح وعبيد أبيهم وجملة من الأشراف وجملة من البادية كانوا مختفين ببيوتهم فأخرج الهيجوية (٢) حاصروهم في بيت العابدية فخرجوا البلاد وتوجهوا الى بلاد هذيل وجمعوا جموعا وأقبلوا على مكة

﴿ذكر القتال بينه وبين الشريف عبد الله بن سرور سنة ١٢٠٤﴾

فخرج مولانا الشريف بمن معه من العساكر والجنود الى بركة الماجن وحصل بينهم وبينه قتال خمس ساعات ثم انهزموا ورجعوا الى رهبان ورجع مولانا الشريف الى مكة ثم جاء الخبر بأنهم رجعوا الى العابدية فأرسل مولانا الشريف اليهم سرية أمر عليها أخاه الشريف عبد المعين ومعه مائة من الخيل وكثير من العساكر ثم أتبعه بجند آخر أمر عليه أخاه السيد عبد العزيز فلم ير القوم الذين بالعابدية حين علموا بخروج الجند اليهم وتوجهوا الى جبال هذيل ثم الى الطائف وما يليه ثقيف فحاربوا الوكيل وملكوا الطائف ثم توجهوا الى رهاط وجمع بعض القبائل ثم قبائلهم وبقبائل ثقيف فخرج مولانا الشريف لقتالهم بالأبطح ووقعت ملحمة عظيمة ثم انهزموا وقبض مولانا الشريف باليد على السيد عبد الله بن سرور وأخيه محمد بعد ذلك الجمع فحبسهما أياما ثم أطلقهما وأرسلهما الى أمهاتهم واستقر الامر وهرب يحيى سلوح الى ديار حرب ثم الى المدينة ثم الى دمشق وزور عروضا للدولة تتضمن طلب الملك للسيد عبد الله بن سرور وذهب بها للأبواب السلطانية فلم يصادف قبولا ثم عاد الى مصر وبقي بها الى ان مات وفي شهر المحرم من سنة خمس بعد المائتين والالف غزا مولانا الشريف الأشراف ذوي حسين سكان الشاقة لأنهم كانوا يقطعون طريق اليمن فصبحهم وأخذوا مواشيهم وقتل منهم

﴿ابتداء فتنة الوهابية مع الرد عليهم بما يبطل ما ابتدعوه سنة ١٢٠٥﴾

وفي هذه السنة كان ابتداء الحرب والقتال بين مولانا الشريف غالب وطائفة الوهابية التابعين لمحمد ابن عبد الوهاب في عقيدته التي كفروا بها المسلمين وينبغي قبل ذكر المحاربة والقتال ذكر ابتداء أمره،

وبقي لها هذا الأثر العظيم في العالمين رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس في أعلى عليين وكانت هذه العين ترد الى مكة وينتفع بها الناس ومنبع هذه العين في ذيل جبل شاهق يقال له طاد بالطاء المهملة والالف بعدها دال مهملة من جبال الثنية (٢) من طريق الطائف وكان يجري الماء الى أرض يقال لها حنين يسقي به نخيل ومزارع مملوكة للناس والى الآن يرى جريان هذا الماء وكان يسمى حائط حنين يعني بستان حنين وهو موضع غزاة النبي صلى الله عليه وسلم المشركين ويقال لتلك الغزوة غزوة حنين وخبرها مذكور في كتب سير النبي صلى الله عليه وسلم فاشترت زبيدة هذا الحائط وأبطلت تلك المزارع والنخيل وشقت لها القناة في الجبال وجعلت له التصاحيد في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند الامطار ويجعل فيه فتحة متصلة الى مجرى هذه العين فيحصل اذا أمطرت يحصل منه المدد لهذه العين فصار كل تصاحيد يسمى عينا منها عين مشاش وعين ميمون وعين الزعفران وعين البرود وعين الطارقي وعين ثقبة والبارزات وكل مياه هذه العيون تنصب بعضها في ذيل بين حنين ويزيد بعضها وينقص بحسب الامطار الواقعة على أماكن هذه العيون أو على جميعها الى أن وصلت على هذه الصورة الى مكة المشرفة ثم انها أمرت باجراء عين وادي نعمان الى عرفة وهي عين منبعها في ذيل جبل كرا وهو جبل شاهق ذيل جدا أعلاه أرض الطائف مسيرة نصف نهار من أسفله الى أعلاه من صعد فيه أو نزل منه مرة لا يعود اليه لوعورة مرقاه وصعوبته وينصب من ذيل جبال كرا في قناة الى موضع يقال له الاوجرين وادي نعمان ويجري منه الى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات ولشعراء العرب تشوقات وتغزلات في وادي نعمان وفيه يقول القائل أيا جبلي نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الي نسيمها (وبعده) فان الصبا ريح اذا ما تنسمت * على كبد حرى تجلت همومها فعملت القنوات الى أن سرى ماء عين نعمان الى أرض عرفة ثم أديرت القناة بجبل الرحمة محل الوقوف الشريف الاعظم في الحج وجعل منها الطرق الى البرك التي في أرض عرفات فتمتلئ ماء يشرب منه الحاج في يوم عرفة ثم استمر عمل القناة الى أن خرجت من أرض عرفات الى خلف جبل من وراء المأزمين على يسار الذاهب من عرفات ويقال له طريق ضب بالضاد المعجمة المفتوحة والالف بعدها باء موحدة مشددة وتسمى الآن عند أهل مكة المظلمة بضم الميم ثم ظاء معجمة ساكنة فلام مكسورة

ثم ميم مفتوحة ثم هاء التأنيث ● ثم تصل منها الى مزدلفة ثم تصل الى جبل خلف منى في قبليها ثم تنصب الى بئر عظيمة مطوية بأحجار كبيرة جدا تسمى بئر زبيدة اليها ينتهي عمل هذه القناة وهي من الابنية المهولة مما يتوهم انه من بناء الجن ● ثم صارت عين حنين وعين عرفات تنقطع لقلة الامطار وتهدم قنواتها وتخربها السيول بطول الايام وكانت الخلفاء والسلاطين اذا بلغهم ذلك أرسلوا وعمروها عند انتظام سلطنتهم على هذا المنوال فمن عمرها صاحب اربل وهو الملك الجليل مظفر الدين كلك كوكبوري بن علي في سنة أربع وتسعين وخمسمائة وكوكبوري معناه بالتركي الذئب الازرق وكان كثير الخير والاحسان وله ترجمة واسعة في وفيات الاعيان لقاضي القضاة أحمد بن (٢٢٨) خلكان رحمهما الله تعالى ذكر له أوصافا كريمة ومكارم عظيمة ذكر منها عمارة عين عرفات وغيرها من جزيل الخيرات ثم عمرها صاحب اربل مظفر الدين المذكور في سنة خمس وستمائة ● ثم عمرها بعد ذلك أمير المؤمنين المستنصر بالله العباسي في سنة خمس وعشرين وستمائة ثم في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ثم في سنة أربع وثلاثين وستمائة كما وجدت ذلك مكتوبا في نصب حجارة مبنية في قرب الموقف الشريف بعرفات ● ثم بعد مائة عام تقريبا عمر عين حنين الامير جوبان نائب السلطنة بالعراقين في أيام السلطان أبي سعيد خدابنده في سنة ست وعشرين وسبعمائة وأجرى عين حنين الى مكة وعم نفعها لاهل مكة فانهم كانوا في جهد عظيم لقلة الماء فرحمهم الله بذلك رحم الله تعالى أهل الخير ● ثم عمرها شريف مكة يومئذ السيد الشريف حسن جد سادتنا أشراف مكة الآن أبقاهم الله تعالى وأدام عزهم وسعادتهم مدا الزمان وكان من أهل الخير والاحسان أجزل الله ثوابه في الجنان وكان تعميره لها في سنة احدى عشرة وثمانمائة فجرت وانفجرت ونفعت وأبلحت وكثر الدعاء له من أهل البلاد والحجاج والعباد تقبل الله منهم صالح أعمالهم ● ثم انقطعت ولقي الناس لذلك شدة شديدة الى ان عمرها صاحب مصر من ملوك الجراكسة الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي في سنة احدى وعشرين وثمانمائة هكذا ذكره الفاسي رحمه الله تعالى ● ثم عمرها وعمر عين عرفات أيضا بعد ذلك من ملوك الجراكسة السلطان الملك الاشرف قايتباي رحمه الله تعالى عمر عين عرفات وأجراها الى أرض عرفات وعمر عين حنين الى أن جرت الى مكة وعمر عين خليص وحصل بها

وحقيقة حالهم فانهم قوم من أعظم الفتن التي ظهرت في الاسلام طاشت من بلاياها العقول وحار فيها أرباب المعقول وكان ابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب سنة ألف ومائة وثلاث وأربعين واشتهر أمره بعد الخمسين فاظهر العقيدة الزائفة بنجد وقرأها فقام بنصرته واظهار عقيدته محمد بن سعود أمير الدرعية بلاد مسيلمة الكذاب فحمل أهلها على متابعة محمد بن عبد الوهاب فيما يقول فتابعه أهلها وسيأتي ذكر شئ من عقيدته التي حمل الناس عليها ومازال يطيعه على هذا الامر كثير من أحياء العرب حي بعد حي حتى قوي أمره فخافته البادية وكان يقول لهم انما أدعوكم الى التوحيد وترك الشرك بالله فكانوا يمشون معه حيثما مشى ويأتمرون له بما شاء حتى اتسع له الملك وكانوا في مبدأ أمورهم قبل اتساع ملكهم وتطاير شرورهم رأموا حج البيت الحرام وكان ذلك في دولة الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد فارسلوا يستأذنونه في الحج وأرسلوا قبل ذلك ثلاثين من علمائهم ظنا منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الكذب والمين وطلبوا الاذن في الحج ولو بقدر يدفعونه كل عام وكان أهل الحرمين يسمعون بظهورهم في المشرق وفساد عقائدهم ولم يعرفوا حقيقة ذلك فامر مولانا الشريف مسعود بان يناظر علماء الحرمين العلماء الذين أرسلوهم فناظروهم فوجدوهم ضحكة ومسخرة كحمر مستنفرة فرت من قسورة ونظروا الى عقائدهم فاذا هي مشتملة على كثير من المكفرات فبعد أن أقاموا عليهم البرهان والدليل أمر الشريف مسعود قاضي الشرع ان يكتب حجة بكفرهم الظاهر ليعلم به الاول والآخر وأمر بسجن أولئك الملاحدة الانذال ووضعهم في السلاسل والاغلال فسجن منهم جانبا وفر الباقون ووصلوا الى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا فعتا أمرهم واستكبروا وأي عن هذا المقصد وتأخروا حتى مضت دولة الشريف مسعود وأقيم بعده أخوه الشريف مساعد بن سعيد فارسلوا في مدته يستأذنون في الحج فأبى وامتنع من الاذن لهم فضعفت عن الوصول مطامعهم فلما مضت دولة الشريف مساعد وتقلد الامر أخوه الشريف أحمد ابن سعيد أرسل أمير الدرعية جماعة من علمائه كما أرسل في المدة السابقة فلما اختبرهم علماء مكة وجدوهم لا يتدينون الا بدين الزنادقة وأبى أن يقر لهم في حج البيت الحرام قرار ولم يأذن لهم في الحج بعد ان ثبت عند العلماء انهم كفار كما ثبت في دولة الشريف مسعود فلما ان ولي الشريف سرور أرسلوا أيضا يستأذنونه في زيارة البيت المعمور فاجابهم بانكم ان أردتم الوصول آخذ منكم في كل سنة وعام مثل ما آخذه من الاعجام وآخذ منكم زيادة على ذلك مائة من الخيل الجياد فعظم عليهم تسليم هذا المقدار وان يكونوا مثل العجم فامتنعوا من الحج في مدته كلها فلما توفي وتولى سيدنا الشريف غالب أرسلوا أيضا يستأذنون في الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم وجعل ذلك القول فعلا

الرفق للحجاج وأهل البلاد ودعوا له وأثنوا عليه بذلك وبإحساناته وكثرة خيراته ضاعف الله تعالى أجره ومثوباته وذلك بمباشرة
الامير يوسف الجمالي وأخيه الامير سنقر الجمالي رحمهما الله تعالى في سنة خمس وسبعين وثمانمائة ثم عمر عين حنين آخر ملوك
الجراكسة السلطان قانصوه الغوري رحمه الله تعالى في عام ست عشرة وتسعمائة على يد الامير خير بك المعمار رحمه الله تعالى الى
أن جرت وملأت برك الحجاج والمعلاة ثم جرت الى بازان ثم الى بركة ماجن في درب اليمن من أسفل وارتفق الناس بذلك ثم انقطعت في
أوائل الدولة العثمانية بهذه الاقطار الحجازية وبطلت العيون وتهدمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن مكة المشرفة وصار أهل
البلاد يستقون من الآبار حول مكة من آبار يقال لها العسيلات في علو مكة قريب من المعلاة ومن آبار في
أسفل مكة من مكان يقال له الزاهر ويسمى الآن الجوخي في طريق التنعيم وكان الماء غاليا قليل الوجود وكذلك انقطعت عين عرفات وتهدمت قنواتها وكان الحجاج يحملون الماء الى عرفات من الامكنة البعيدة وصار فقراء الحجاج يوم عرفة لا يطلبون شيأ غير الماء لعزته ولا يطلبون الزاد وربما جلبه بعض الاقوياء من الاماكن البعيدة ثم يبيعونه فيحصلون أموالا من تلك الاماكن البعيدة أيضا فارتفع سعر الماء جدا في يوم عرفة وكانت يومئذ من اهتمامي خدمة والدي رحمه الله تعالى وفرغ الماء الذي كان معنا من مكة الى عرفات وعطش أهلنا فطلبت قليلا من الماء لنشربه فاشتريت قربة صغيرة جدا يحملها الانسان بإصبعه بدينار ذهب والفقراء
يضجون من العطش يطلبون من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف فشرب أهلنا بعض تلك القربة وتصدقوا بباقيه على
بعض من كان مضطرا من الفقراء وعطشنا عقيبه وجاء وقت الوقوف الشريف والناس عطاش يلهثون فأمطرت السماء وسالت
السيول من فضل الله تعالى ورحمته والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم ويسقون
دوابهم وحصل البكاء الشديد والضجيج الكثير من الحجاج في وقت الوقوف لما رأوا من رحمة الله تعالى ولطفه بهم وإحسانه اليهم
وتكرمه عليهم ولا أزال أتذكر تلك الساعة وما حصل بها من الالطاف العظيم من كرم الله العميم وأرجو به كرم الكريم وأتيقن
انه الغفور الرحيم الذي أنزل على عباده الرحمة من بعد ما قنطوا وبرزت الاوامر الشريفة السلطانية السليمانية بإصلاح عين

فصار يجهز عليهم جيشا في سنة ألف ومائتين وخمسة واتصلت بينهم المحاربات والغزوات الى أن
انقضى ثم نفذ ما أراد الله فيما أراد وسيأتي شرح تلك الغزوات والمحاربات بعد توضيح ما كانوا عليه من
العقائد الزائغة التي كان أسسها لهم محمد بن عبد الوهاب وقد عاش من العمر سنين حتى كاد أن يعد
من المعمرين فان ولادته كانت سنة ألف ومائة واحدى عشرة ووفاته سنة ألف ومائتين وسبعة
وأرخ بعضهم وفاته بقوله (بها هلاك الخبيث) فعمره ست وتسعون سنة وخلف أولادا أخذت
٦٤ ١١٤٣ (أعني سنة ١٢٠٧)
منه قاموا بنشر دعوته بعده وأولاده هم عبد الله وحسن وحسين وعلي وكان عبد الله الاكبر وقام
بالدعوة بعد أبيه وخلف سليمان وعبد الرحمن وكان سليمان متعصبا تعصبا شديدا في أمرهم قتله
ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وعبد الرحمن قبض عليه وأرسله الى مصر فعاش مدة ثم مات بمصر وأما
حسن بن محمد بن عبد الوهاب فخلف عبد الرحمن وولي قضاء مكة في بعض السنين التي كانوا تحكموا
فيها بمكة وعمر عبد الرحمن هذا حتى قارب المائة ومات قريبا وخلف عبد اللطيف وأما حسين بن محمد
ابن عبد الوهاب فخلف أولادا كثيرين وكذا علي بن محمد بن عبد الوهاب خلف أولادا كثيرين ولم يزل
نسلهم باقيا الى الآن بالدرعية ويسمون أولاد الشيخ وكان القائم بنصرة محمد بن عبد الوهاب ونشر
عقيدته محمد بن سعود ولما مات قام بعده بالامر ولده عبد العزيز ثم ولده سعود وكان محمد بن عبد الوهاب
في ابتداء أمره من طلبة العلم وكان يتردد على مكة والمدينة وأخذ عن كثير من علماء مكة والمدينة
وممن أخذ عنه من علماء المدينة الشيخ محمد بن سليمان الكردي مؤلف حواشي شرح مختصر
بافضل في مذهب الشافعي وأخذ أيضا عن الشيخ محمد حياة السندي من أكابر علماء الحنفية بالمدينة
وكان الشيخان المذكوران وغيرهما من أشياخه الذين أخذ عنهم يتفرسون فيه الالحاد والضلال
ويقولون سيضل هذا ويضل الله به من أبعده وأشقاه فكان الامر كذلك وما أخطأت فراستهم فيه
وكذا والده عبد الوهاب فانه كان من العلماء الصالحين فكان يتفرس فيه الالحاد ويذمه كثيرا
ويحذر الناس منه وكذا أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب فانه أنكر عليه ما أحدثه من البدع
والضلال والعقائد الزائغة وألف كتابا في الرد عليه وكان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى
النبوة كاذبا كمسيلمة الكذاب وسجاح والاسود العنسي وطليحة الاسدي وأضرابهم فكأنه كان
يضمر في نفسه دعوى النبوة ولو أمكنه اظهار هذه الدعوى لأظهرها وكان يسمي جماعته من أهل
بلده الانصار ويسمي من اتبعه من الخارج المهاجرين واذا تبعه أحد وكان قد حج حجة الاسلام
يقول له حج ثانيا فان حجتك الاولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل ولا يسقط عنك الفرض واذا أراد

حنين وامالاح عين عرفات وعين لها ناظرا اسمه مصلح الدين مصطفى من المجاورين بمكة فبذل جهده في عمارتها وأصلح قناتها الى أن جرت عين مكة ودخلتها وجرت من أسفلها من بركة ماجن وأصلح عين عرفات وأجراها الى أن صارت تملأ البرك بعرفات وذلك في سنة احدى وثلاثين وتسعمائة وصار الحجاج يروون من ذلك الماء العذب الفرات بعد ذلك العطش الشديد في يوم عرفات ويدعون لمن كان سبب الاجراء لهذه الخيرات . ثم اشترى ناظر العين عبيدا سودا من مال السلطنة وجعل لهم جرايات وعلوفات من خزائن السلطنة الشريفة برسم خدمة العين ولاخراج الترب منها من الدبول والقنوات وهذه خدمتهم دائما وصاروا يتوالدون وهم باقون الى الآن طبقة بعد طبقة لهذه الخدمة . ثم توجه مصطفى ناظر العين الى الابواب السلطانية السليمانية وعرض في أمر العين أحوال الاعتبار عرضها فأجيب في كل مسائل فيه وعاد مجبورا الى مصر ثم ركب من بندر السويس الى مكة فغرق في بحر القلزم شهيدا وما غرق الآن رحمه الله تعالى وما مات بل هو حي عند الله تعالى . وكانت وفاته الى رحمة الله تعالى في سنة سبع وثلاثين وتسعمائة واستمرت عين حنين جارية الى مكة لكنها تقل تارة وتكثر أخرى بحسب قلة الامطار وكثرتها وعين عرفات تجري من نعمان الى عرفات الى أن صارت عرفات بساتين وغرس بها الغروس وصارت مرجة خضراء تجلى كالعروس الى أن قلت الامطار ويبست العيون وترحت الآبار في سنين متعددة من سنة خمس وستين وتسعمائة وما بعدها وكانت سنوات تقارب سني يوسف شدادا عجافا وانقطعت العيون الا عين عرفات فانها لم تنقطع الا أنها قل جريانها في تلك السنوات (ولما عرضت) أحوال العيون صحيفه
الى الابواب الشريفة السلطانية السليمانية التفت الخاطر السليماني العاطر السلطاني وتوجه العطف الشريف السليماني الى تدارك ذلك بأي وجه يكون وأمر بالفحص عن أحوال العيون وكيف يمكن جريانها الى بلد الله الامين المأمون فاجتمع المرحوم عبد الباقي بن علي المغربي قاضي مكة يومئذ والامير خير الدين خضر محتسب جدة المعمورة حينئذ وغيرهما من الاعيان وتفحصوا ودار وا وتأملوا واستشاروا فأجمع رأيهم على أن أقوى العيون عين عرفات وطريقها ظاهرة ودبولها من شرقيها الى مكة مبنية أيضا وانها مخفية تحت الارض وانما تحتاج الى الكشف عنها والحفر الى أن تظهر لا زيادة فلما تبين الدبول من عرفة الى بئرها

أحد أن يدخل في دينه يقول له بعد الاتيان بالشهادتين اشهد على نفسك انك كنت كافرا واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين واشهد على فلان وفلان ويسمي له جماعة من أكابر العلماء الماضين انهم كانوا كفارا فان شهدوا قبلهم والا أمر بقتلهم وكان يصرح بتكفير الامة من منذ ستمائة سنة وكان يكفر كل من لا يتبعه وان كان من أتقى المتقين فيسميهم مشركين ويستحل دماءهم وأموالهم ويثبت الايمان لمن اتبعه وان كان من أفسق الفاسقين وكان ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا بعبارات مختلفة ويزعم ان قصده المحافظة على التوحيد فمنها انه يقول انه طارش وهو في لغة أهل الشرق بمعنى الشخص المرسل من قوم الى آخرين يعني انه صلى الله عليه وسلم حامل كتب مرسلة معه أي غاية أمره انه كالطارش الذي يرسله الامير أو غيره في أمر لاناس ليبلغهم اياه ثم ينصرف ومنها انه كان يقول نظرت في قصة الحديبية فوجدت بها كذا كذا كذبة الى غير ذلك مما يشبه هذا حتى ان أتباعه كانوا يفعلون ذلك أيضا ويقولون مثل قوله بل يقولون أقبح مما يقوله ويخبرونه بذلك فيظهر الرضا وربما انهم تكلموا بذلك بحضرته فيرضى به حتى ان بعض أتباعه كان يقول عصاي هذه خير من محمد لانها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا وانما هو طارش ومضى . قال بعض العلماء ان ذلك كفر في المذاهب الاربعة بل هو كفر عند جميع أهل الاسلام ومن ذلك انه كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتأذى بسماعها وينهى عن الاتيان بها ليلة الجمعة وعن الجهر بها على المنائر ويؤذي من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب حتى انه قتل رجلا أعمى كان مؤذنا صالحا ذا صوت حسن نهاه عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنارة بعد الاذان فلم ينته وأتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقتل ثم قال ان الربابة في بيت الخاطئة يعني الزانية أقل اثما ممن ينادي بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في المنائر ويلبس على أصحابه وأتباعه بان ذلك كله محافظة على التوحيد فما أفظع قوله وما أشنع فعله وأحرق دلائل الخيرات وغيرها من كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتستر بقوله ان ذلك بدعة وانه يريد المحافظة على التوحيد وكان يمنع أتباعه من مطالعة كثير من كتب الفقه والتفسير والحديث وأحرق كثيرا منها وأذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج من أتباعه فكان كل واحد منهم يفعل ذلك ولو كان لا يحفظ شيأ من القرآن حتى صار الذي لا يقرأ منهم يقول لمن يقرأ اقرأ لي شيأ من القرآن وأنا أفسره لك فاذا قرأ له شيأ يفسره وأمرهم أن يعملوا بما فهموه منه وجعل ذلك مقدما على كتب العلم ونصوص العلماء وتحمل في تكفير الناس بآيات نزلت في المشركين فحملها على الموحدين وقد روى البخاري في

المشهور بخاف منى الذى جميعها ظاهر على وجه الارض والباقى أيضا من ذلك المحل الى مكة مبنى أيضا الا أنه خاف تحت الارض واستغنى عنها بعين حنين وتركت هذه ونبشت وطمت وغفل عنها هكذا طرأ وخفوا ثم انهم تتبعوا عين عرفات من أولها من الاوجر الى نعمان ثم الى عرفة ثم الى المزدلفة ثم الى بئر زبيدة وأصلحوا هذه الدبول الظاهرة وكشفوا عن الباقى وعمروا ما وجد واهيا منهدما ورمموا الباقى احتاجوا الى ثلاثين ألف دينار ذهبا وذرعوه وقاسوه فكان من الاوجر الى بطن مكة خمسا وأربعين ألف ذراع بالذراع البناء الآن وهو أكبر من الذراع الشرعى بقدر ربعه وهذا الذى تحرروه من وجود بقية الدبل تحت الارض لم يوجد فى كتب التاريخ وانما أداهم الى ذلك مجرد الظن بحسب القرائن وعرضوا ذلك الى الباب الشريف فى أوائل سنة تسع وستين وتسعمائة فلما وصل علم ذلك الى المسامع الشريفة السلطانية السليمانية انعمت صاحبة الخيرات الكاملة المخدرات تاج المصونات ملكة الملكات قدسية الملكات علية الذات صفية الصفات ذات العلا والسعادات ﴿حضرة خانم سلطان﴾ كريمة حضرة السلطان الاعظم سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان أن يأذن لها فى عمل هذا الخير حيث كانت صاحبة هذا الخير أولا أم جعفر زبيدة العباسية فناسب أن تكون هى صاحبة هذا الخير فأذن لها فى ذلك واستشارت الحضرة السلطانية وزراء ديوانها الشريف العالى فيمن يصلح لهذه الخدمة واتفقت آراؤهم الشريفة أن هذه الخدمة لا يقوم بها الا دفتردار ديوان مصر الامير الكبير المعظم فائض الجود والفضل والكرم صاحب السيف والقلم والعلم والحلم ﴿الامير ابراهيم بن تغرى بردى﴾ المهمندار ثم الدفتردار بمصر بوّأه الله جنات تجرى من تحتها الانهار وسقاه من حوض الكوثر زلالا باردا يطفئ كل أوام وأوار وكان يومئذ قد عزل من منصب الدفتردارية وأمر بالتفتيش عليه عن أيام دفترداريته فعفى من التفتيش وأعطته السلطانة خمسين ألف دينار ذهب على ما اختبرته ليصرفها فى عمل هذه العين فتوجه من مصر الى مكة المشرفة بتجمل عظيم وبرق كثير وترتيب يعجز عنه كبار البكلربكية وكان ذا همة عالية واقدام عظيم واهتمام تام وكرم نفس وشهامة وحسن تدبير ومعرفة وصداقة وفطانة وكان بينى وبينه سابقة اجتماع وما رأيت أحدا من الامراء والوزراء والبكلربكية مع كثرة من اجتمعت به منهم أجل نظاما ولا أحسن ترتيبا

صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت فى الكفار فجعلوها فى المؤمنين وفى رواية أخرى عن ابن عمر عند غير البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على أمتى رجل متأول للقرآن يضعه فى غير موضعه فهذا وما قبله صادق على ابن عبد الوهاب ومن تبعه ومما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب انه أتى بدين جديد كما ظهر من أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا لم يقبل من دين نبينا صلى الله عليه وسلم الا القرآن مع أنه انما قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عليه بدليل انه هو وأتباعه انما يؤولونه بحسب ما يوافق أهواءهم لا بحسب ما فسره النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فانه لا يقول بذلك كما انه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم وأقاويل الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين ولا بما استنبطه الائمة من القرآن والحديث ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس الصحيح وكان يدعى الانتساب الى مذهب الامام أحمد رضى الله عنه كذبا وتسترا وزورا والامام أحمد برئ منه ولذلك انتدب كثير من علماء الحنابلة المعاصرين له للرد عليه وألفوا فى الرد عليه رسائل كثيرة حتى أخوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ألف رسالة فى الرد عليه ومن أعجب من ذلك أنه كان يكتب الى عماله الذين هم من أجهل الجاهلين اجتهدوا بحسب فهمكم ونظركم واحكموا بما ترونه مناسبا لهذا الدين ولا تلتفتوا لهذه الكتب فان فيها الحق والباطل وقتل كثيرا من العلماء والصالحين وعوام المسلمين لكونهم لم يوافقوه على ما ابتدعه وكان يقسم الزكاة على ما يأمره به شيطانه وهواه وكان أصحابه لا يتخذون مذهبا من المذاهب بل يجتهدون كما كان يأمرهم ويتسترون ظاهرا بمذهب الامام أحمد رضى الله عنه ويلبسون بذلك على العامة وكان ينهى عن الدعاء بعد الصلاة ويقول ان ذلك بدعة وانكم تطلبون أجرا على الصلاة وأمر القائم بدعوته عبد العزيز بن سعود أن يخاطب المشرق والمغرب برسالة يدعوهم الى التوحيد وانهم عنده مشركون شركا أكبر يستبيح به الدم والمال فكان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وان خالف النصوص الشرعية واجماع الائمة وضابط الباطل عنده ما لم يوافق هواه وان كان على نص جلى أجمعت عليه الامة وكان يقول فى كثير من أقوال الائمة الاربعة ليست بشئ وتارة يتستر ويقول ان الائمة على حق ويقدح فى أتباعهم من العلماء الذين ألفوا فى المذاهب الاربعة وحرروها ويقول انهم ضلوا وأضلوا وتارة يقول ان الشريعة واحدة فما لهؤلاء جعلوها مذاهب أربعة هذا كتاب الله وسنة رسوله لا نعمل الا بهما ولا نقتدى بقول مصرى وشامى وهندى يعنى بذلك أكابر علماء الحنابلة وغيرهم ممن لهم تأليف فى الرد عليه واحتجوا فى الرد عليه بنصوص الامام أحمد رضى الله عنه

انتظاما ولا أدق فكرا ولا أعلى همة ولا أسد فى وفاته رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة وبوأه الفردوس الاعلى وأرضى عنه خصماءه يوم القيامة وكان وصوله الى بندر جدة فى يوم الجمعة لثمان بقين من ذى القعدة الحرام سنة تسع وستين وتسعمائة فتوجهت الى ملاقاته لسابق احسانه الى فرأيته نزل بوطاقه من خارج جدة من الجهة الشامية فقابلنى بالاجلال والاكرام وركب من جدة لى سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى نجم الدنيا والدين محمد أبى نمى خلد الله سعادته وأيد دولته وسيادته وكان يومئذ نازلا فى مر الظهران فقابله بالاجلال والتعظيم والترحيب والتكريم ومد له سماطا عظيما ولاطفه ووالاه وأكرمه ولاطفه وباره (٢٣٢) فعرض على حضرته الشريفة ما جاء بصدده فقوبل بامتثال الأمر الشريف السلطانى وبذل الهمة والجهد فى اتمام المهم المنيف الخاقانى وانه يقوم بذلك بنفسه وولده وأتباعه وخدمه ثم ركب من عنده ذاهبا الى مكة سيدنا ومولانا المقام الشريف العالى بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن أبو نمى صاحب مكة أدام الله عمره وسعادته وضاعف نصره وتأييده وسيادته وأمده الاجلال والاكرام وقابله بالترحيب والاحترام وجابره ولاطفه وباسطه ووالفه وأقبل كل منهما على الآخر كل الاقبال وتحادثا بغاية الأدب والاجلال واستمر معه الى أن فارقه من باب السلام فدخل المسجد الحرام فطاف طواف القدوم وكان محرما بالحج وسعى بين الصفا والمروة وعاد الى مخيمه بأجياد وهو المحل الذى عين لنزوله ومد له من قبل السيد حسن مد الله تعالى ظلال سعادته سماطا عظيما جليلا كبيرا فجلس عليه وأكل منه هو وخواصه وأذن لاهل الرباط والفقراء والفقهاء وعامة الناس فأكلوا وحملوا وفضل شئ أمر بتفريقه على الفقراء وأليس الذى مد السماط قفطانا من السراسر الماثل وأعطاه ذهبا كثيرا ثم جاء للسلام عليه سيدنا ومولانا رئيس الحرمين الشريفين وكبير البلدين المنيفين شيخ الاسلام مرجع العلماء الاعلام سيد السادات ببلد الله الحرام بدر الدنيا والدين مولانا السيد القاضى حسين الحسنى أدام الله عمره وأقباله وخلد سعادته ودولته واجلاله ففرح به الامير ابراهيم وقابله بالاجلال والتعظيم فعرض عليه أموره وأحواله واستشاره فى سائر ما بدا له من أحواله فأشار عليه بالآراء الصائبة وأعلمه بما ينبغى رعايته ومراعاته وما

وكان يخطب للجمعة فى مسجد الدرعية ويقول فى كل خطبة ومن توسل بالنبى فقد كفر وكان أخوه الشيخ سليمان ينكر عليه انكارا شديدا فى كل ما يفعله أو يأمر به ولم يتبعه فى شئ مما ابتدعه وقال له أخوه سليمان يوما كم أركان الاسلام يا محمد بن عبد الوهاب فقال خمسة فقال بل أنت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك فليس بمسلم هذا ركن سادس عندك للاسلام وقال رجل آخر يوما لمحمد ابن عبد الوهاب كم يعتق الله كل ليلة فى رمضان فقال له يعتق فى كل ليلة مائة ألف وفى آخر ليلة يعتق مثل ما أعتق فى الشهر كله فقال له لم يبلغ من تبعك عشر عشر ما ذكرت فمن هؤلاء المسلمون الذين يعتقهم الله تعالى وقد حصرت المسلمين فيك وفيمن تبعك فبهت الذى كفر ولما طال النزاع بينه وبين أخيه خاف أخوه أن يأمر بقتله فارتحل الى المدينة وألف رسالة فى الرد عليه وأرسلها له فلم ينته وقال له رجل مرة وكان رئيسا على قبيلة لا يقدر أن يسطو بهم ما تقول اذا أخبرك رجل صادق ذو دين وأمانة وأنت تعرف صدقه بأن قوما كثيرين قصدوك وهم وراء الجبل الفلانى فأرسلت ألف خيال ينظرون القوم الذين وراء الجبل فلم يجدوا للقوم أثرا ولا أحد منهم جاء تلك الارض أصلا أتصدق الالف أم الواحد الصادق عندك فقال أصدق الالف فقال له ان جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات فى كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك فلم يعرف جوابا لذلك وقال له رجل آخر هذا الدين الذى جئت به متصل أم منفصل فقال له حتى مشايخى ومشايخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل اذن دينك منفصل لا متصل فعمن أخذته فقال وحى الهام كالخضر فقال له اذن ليس ذلك محصورا فيك كل أحد يمكنه أن يدعى وحى الالهام الذى تدعيه ثم قال له ان التوسل مجمع عليه عند أهل السنة حتى ابن تيمية فانه ذكر فيه وجهين ولم يذكر أن فاعله يكفر حتى الرافضة والخوارج والمبتدعة كافة فانهم قائلون بصحة التوسل به صلى الله عليه وسلم فلا وجه لك فى التكفير أصلا فقال محمد بن عبد الوهاب ان عمر استسقى بالعباس فلم يستسق بالنبى صلى الله عليه وسلم ومقصد محمد بن عبد الوهاب بذلك ان العباس كان حيا وان النبى صلى الله عليه وسلم ميت فلا يستسقى به فقال له ذلك الرجل هذا حجة عليك فان استسقاء عمر بالعباس انما كان لاعلام الناس صحة التوسل بغير النبى صلى الله عليه وسلم وكيف تحتج باستسقاء عمر بالعباس وعمر هو الذى روى حديث توسل آدم بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ان يخلق فالتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم كان معلوما عند عمر وغيره وانما أراد عمر أن يبين للناس ويعلمهم صحة التوسل بغير النبى صلى الله عليه وسلم فبهت وتحير وبقى على عماوته ومن قبائحه الشنيعة انه منع الناس من زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فبعد منعه خرج أناس من الاحساء وزاروا النبى صلى الله

يجب عليه ملاحظته من الامور اللازمة الواجبة ﴿وأول ما بدأ به الامير ابراهيم﴾ تنظيف بعض الآبار التي يستقي الناس منها
واخراج ترابها وزيادة حفرها لكثرة مائها وحصل للناس بذلك رفق كثير وشرع في جمع ما يحتاج اليه في عمله وتوجه للكشف عنه الى
أعلا عرفات وكثر تردده اليها وتفطنه لمجاريها ومنافذها ومشاربها ومساربها والفحص عن أحوالها الى أن وصل الركب المصري وكان
أمير الحاج يومئذ افتخار الامراء الكرام عثمان بك بن بكار بكي اليمن بكار بكي الحبشة ازدمر باشا وصار بعد ذلك عثمان بكار بكي
الحبشة بعد وفاة والده وصار بكار بكي اليمن وأظهر اليد البيضاء في افتتاح مدينة تعز ثم صار بكار بكي الحسا ثم البصرة ثم عزره آمد
وهو من ابكار بكية الكرماء العظماء المتجملين المشهورين بالكرم والشجاعة أبقاه الله تعالى يوصل الى مكة

فاجتمع في ذلك الموسم مع
الركب الشامي وهو أعلم
العلماء الى والى أفضل
الفضلاء الاهالي مولانا
فضيل أفندي ابن مولانا
على جلبي المفتي الجالي
وهو من أجلاء العلماء
العظام له التصانيف
الحسنة المقبولة وهو
الآن قاضي في الباب
العالي أدام الله تعالى ظلال
افضاله وأفاض على
الطلاب سحائب فضله
ونواله ومع الناس جملة
هائلة ومع الامير ابراهيم
فرس جهزه امير الحاج الى
أوطانهم فائزين بالغفران
والقبول حائزين لكل
مطلوب ومأمول وشرع
الامير ابراهيم في الكشف
عن دبول عين عرفات
وضرب أوطاقه في الاودية
من أوديته فبات في علو
عرفات وشرع في حفر
حفرها وتنظيف دبولها بهمة
عالية جدا وكانت عساكره
الفاخرون في خدمته نحو
 أو بمائة مملوك في غاية الجمال والرشاقة والحذاقة واللياقة وأقام في هذا العمل من الاودية
الى مزدلفة وكتب نحو ألف نفس من العمال والبنائين والمهندسين والحفارين وجلب من مصر وبلاد الصعيد ومن الشام وحلب
واسطنبول ومن بلاد اليمن طوائف بعد طوائف من المهندسين وخدام العيون والآبار والحدادين والبنائين والحجارين والقطاعين
والنجارين وغيرهم ممن يحتاج اليهم وأتى بآلات العمارة وجعها معه من مصر من مكاتل ومساحي وحجار بصر حديد وبولاد
ونحاس ورصاص وغير ذلك من الهمة القوية والاقدام التام والاهتمام وعين لكل طائفة قطعة من الارض لحفرها وتنظيف مافيها
من الدبول اظهر فيها سعيه واجتهاده وكان يظن انه يفرغ من هذا العمل الذي بات بصدده فيما دون العام ويرجع الى الابواب

الله عليه وسلم ورائه ضربهم فلما رجعوا أمر باعتقاله في الدرعية وأمر بحلق الحلاهم ثم أركبهم مقلوبين
من الدرعية الى الاحساء وبلغه مرة ان جماعة من الذين لم يتابعوه من الآفاق البعيدة قصدوا
الزيارة والحج وعبروا على الدرعية فسمعه بعضهم يقول لمن تبعه خلوا المشركين يسيرون طريق
المدينة والمسلمين يمشي جماعة يتخلفون معنا والحاصل انه لبس على الاغبياء ببعض الاشياء التي
توهمهم باقامة الدين وذلك مثل أمره للبوادي باقامة الصلاة والجماعة ومنعهم من النهب ومن بعض
الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط وكتأمين الطرق والدعوة الى التوحيد فصار الاغبياء
الجاهلون يستحسنون حاله وحال اتباعه ويغفلون ويذهلون عن تكفيرهم الناس من منذ ستمائة
سنة وعن استباحتهم أموال الناس ودماءهم وانتهاكهم حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بارتكابهم
أنواع التحقير له ولمن أحبه وغير ذلك من قبائحهم التي ابتدعوها وكفروا الامة بها وقد اعتنى
كثير من العلماء من أهل المذاهب الاربعة بالرد عليهم في كتب مبسوطة عملا بقول النبي صلى الله
عليه وسلم اذا ظهرت البدع وسكت العالم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وبقوله صلى الله
عليه وسلم ما ظهر أهل بدعة الا أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه فلذلك انتدب
للرد عليه علماء المشرق والمغرب من أهل المذاهب الاربعة وسألوه عن مسائل يعرفها أقل طلبة
العلم فلم يقدر على الجواب عنها فممن ألف في الرد عليه العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق
فانه ألف كتابا في الرد عليه سماه تهكم المقلدين بمدعي تجديد الدين ورد عليه في كل مسئلة من مسائله
التي ابتدعها وسأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والادبية بسؤالات كثيرة وأرسلها له فعجز عن
الجواب عن أولها فضلا عن أجلها فمن جملة ما سأله عنه قوله أسألك عن قوله تعالى والعاديات ضبحا
الى آخر السورة التي هي من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية
وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقية واستعارة وفاقية واستعارة تبعية واستعارة
مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة وأين موضع الترشيح أو التجريد والاستعارة بالكناية
والاستعارة التخييلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب وما فيها من الجمل
والمفصل وما فيها من الايجاز والاطناب والمساواة والاسناد الحقيقي والاسناد المجازي المسمى
بالمجاز الحكمي والعقلي وأي موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس وأين موضع ضمير
الشان وموضع الالتفات وموضع الفصل والوصل وكمال الاتصال وكمال الانقطاع والجامع
بين جملتين متعاطفتين ومحل تناسب الجمل ووجه التناسب ووجه كماله في الحسن والبلاغة وما فيها
من ايجاز قصر وايجاز حذف وما فيها من احتراس وتقييد بين لنا موضع كل ما ذكر ونحو ذلك من

السلطانية لينال المناصب العالية ويظفر بالمراتب السامية ويأبى الله الا ما أراد وما كل ما يتمنى المريد يدركه من المراد وأسئلة الاقدار تناديه من وراء الحجاب كيف الخلاص والى أين الذهاب واستمر على هذا الجد والاجتهاد الى ان اتصل عمله بعمل زبيدة الى المسيل الذي انتهى عملها اليه ولم يوجد بعده دليل ولا آثار عمل وضاق ذرعه بذلك وعلم أن الخطب كبير والعمل كثير فحقق أن القدر الباقي من هذا العمل الذي تركته زبيدة اضطرارا لا اختيارا وعدلت عنه الى عين حنين وتركت العمل من عند البئر المسلانية الحجر وصعوبة امكان قطعه وطول مسافة ما يجب قطعه وانه يحتاج من بئر زبيدة الى دبل منقور تحت الارض في الحجر الصوان طوله ألفا ذراع وعدراع اثنا ثمن حتى يتصل بدبل عين حنين ويصب فيه ويصل الى مكة ولا يمكن نقب ذلك الحجر تحت الحجر وانه يحتاج في النزول الى خمسين ذراعا في العمق ومار لا يمكن ترك ذلك بعد الشروع فيه حفظا لناموس السلطنة الشريفة فلما وجد الامير ابراهيم حيلة غير انه يحفر وجه الارض الى أن يصل الى الحجر الصوان ثم يوقد عليه بالنار مقدار مائة حمل من الحطب الجزل ليلة كاملة وبمقدار سبعة أذرع في عرض خمسة أذرع من وجه الارض والنار لا تعمل الا في الحجر وكونها تعمل علا يسيرا من جانب الثقل مقدار قيراط بين من أربعة وعشرين قيراطا من ذراع فيكسر بالحديد الى أن يوصل الى الحجر الصلب الشديد فيوقد عليه بالحطب الجزل ليلة أخرى الى أن يصل في ذلك الحجر مقدار خمسين في العمق في عرض خمسة أذرع الى أن يستوفي ألفي ذراع على هذا الحكم وذلك يحتاج الى عمر نوح ومال قيهم قارون وصبر أيوب ومار أي عن ذلك محيصا فأقدم عليه الى أن فرغ الحطب من جميع جبال مكة فصار يجلب من المسافات البعيدة وتلاشى عمره وضاق الناس بذلك وتعب الامير ابراهيم لذلك وذهبت أمواله وخدامه وأولاده ومماليكه على ذلك الى أن قطع من المسافة ألف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل وصار كلما فرغ المصروف ارسل وطلب مصروفا آخر الى أن صرف أكثر من خمسمائة ألف دينار ذهبا من الخزائن العامرة السلطانية وغرق له مركب كان فيه باقي تحميلاته وخزائنه ونقوده وفيه جملة من عبيده وأسبابه وكان ينوف عن مائة ألف ذهب في ابتداء أمره ثم مات له ولد طفل نجيب كان خلفه بمصر احترق عليه كثيرا

وجوه الاعجاز ومن طرق الصدق التي اشتملت عليه هذه السورة مما هو منصوص على جميعه في كتب العلماء علم يقدر محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شئ مما سأله عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق جزاه الله خيرا وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة فكانت تلك الاحاديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم حيث كانت من الاخبار بالغيب وتلك الاحاديث صحيحة بعضها في الصحيحين وبعضها في غيرهما فمنها قوله صلى الله عليه وسلم الفتنة من ههنا الفتنة من ههنا وأشار الى المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من قبل المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه يعني موضع الوتر سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم سيكون في أمتي اختلاف وفرقة قوم يحسنون القيل ويسيؤن الفعل يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يعود السهم الى فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شئ من قتلهم كان أولى بالله منهم سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم سيخرج في آخر الزمان قوم احداث الاسنان سفهاء الاحلام يقولون قول خير البرية يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم أناس من أمتي سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية هم شر الخلق والخليقة وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى فوقه سيماهم التحليق وقوله صلى الله عليه وسلم رأس الكفر نحو المشرق والفخر والخيلاء في أهل الخيل والابل وقوله صلى الله عليه وسلم من ههنا جاءت الفتن وأشار نحو المشرق وقوله صلى الله عليه وسلم غلظ القلوب والجفاء بالمشرق والايمان في أهل الحجاز وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا قالوا يا رسول الله وفي نجدنا قال في الثالثة هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما قطع قرن نشأ قرن حتى يكون آخرهم مع المسيح الدجال وفي قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه لانهم كانوا يأمرون من اتبعهم ان يحلق رأسه لا يتركونه يفارق مجلسهم اذا تبعهم حتى يحلقوا رأسه ولم يقع مثل ذلك قط من أحد من الفرق الضالة التي مضت قبلهم ان يلتزموا مثل ذلك والحديث صريح

ومات له ولدان من أعقاب فصيبان فاضلان أحسن الله مجامع قلبه وفتتا كبده ثم مات كتخداه وكان بمنزلة أمراء الصناجق ثم مات أكثر مماليكه وهو يتجلد لتلك المصائب العظيمة ويصبر عليها ويظهر الجلد فيها الى أن ذهبت قواه ومابقي رمقه ولا دماه وعرضه الاسهال ورمته الأهوال وجاءه الأجل الذي لا يتقدم وان أجل الله اذا جاء لا يؤخر فمات غريبا شهيدا ومضى الى ربه وحيدا فريدا في ليلة الاثنين ثاني رجب المرجب سنة أربع وسبعين وتسعمائة وصلي عليه عند باب الكعبة وكانت جنازته حافلة جدا وأسف الناس على فقده لكثرة احسانه ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد الى الأبطح في تربة كان أعدها لنفسه ودفن فيها والده وخلف طفلا وحلا وبنتا من أهل الخير كثيرة الصلاح والعبادة كان ذكر لي (٢٣٥) أن مولده سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة رضي الله تعالى عنه وأرضى عنه خصماءه وآمنه يوم الفزع الأكبر وسقاه من حوض الكوثر • ثم أقيم بعده في خدمة الخاصة سنجق جدة الأمير قاسم بك بأمر سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن صاحب مكة أدام الله تعالى دولته وسعادته وأمره بمباشرة العمل وعرض ذلك على الأبواب الشريفة السلطانية فبرز الأمر الشريف السلطاني باستمرار قاسم بك المذكور في خدمة العين أمينا على مصارفها وأن يكون سيدنا ومولانا شيخ الإسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام بدر الدنيا والدين السيد القاضي حسين الحسيني خلد الله تعالى ظلال سيادته وأبد قيام سعادته ناظرا على ما بقي من عمل عين عرفات الى أن تصل الى مكة المشرفة فاستمر الأمير قاسم مباشر العمل في هذه الخدمة وكان لا يخلو من قصور الفهم وحب الاستقلال وبعض عناد وما أراد مولانا شيخ الاسلام معارضته فتركه على رأيه وما أراد الله أن يتم العمل الشريف على يد قاسم بك فكان ثالث الأميرين السابقين فطرقه الأجل وأدركه الحين وفاز برتبة الشهادة وصار من شهداء العين وانتقل من الدار الفانية الى الدار الباقية قرير العين من ليلة خلت من رجب المرجب الفرد الأصب سنة ست وسبعين وتسعمائة وصلي عليه عند باب الكعبة الشريفة ودفن بالمعلاة الى جانب الأمير محمد بك الدفتردار المتوفى قبله أمين العين المزبورة واستوقفت العين بهلاك ثلاثة من الأمراء الصناجق سقاهم الله تعالى شرابا طهورا وكان بهم برا رحيما غفورا • ثم توجه سيدنا ومولانا

فيهم وكان السيد عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول لا يحتاج التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب بل يكفي في الرد عليه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فانه لم يفعله أحد من المبتدعة وكان محمد بن عبد الوهاب يأمر أيضا بحلق رؤوس النساء اللاتي يتبعنه واقامت عليه الحجة مرة امرأة دخلت في دينه وجددت اسلامها على زعمه فأمر بحلق رأسها فقالت له لم تأمر بحلق الرأس للرجال فلو أمرتهم بحلق اللحى لساغ لك أن تأمر بحلق رؤوس النساء لأن شعر الرأس للنساء بمنزلة اللحية للرجال فبهت الذي كفر ولم يجد لها جوابا لكنه انما فعل ذلك ليصدق عليه وعلى من اتبعه قوله صلى الله عليه وسلم سيماهم التحليق فان المتبادر منه حلق الرأس فقد صدق صلى الله عليه وسلم فيما قال وقوله صلى الله عليه وسلم حين أشار الى المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان جاء في رواية قرنا الشيطان بصيغة التثنية قال بعض العلماء المراد من قرني الشيطان مسيلمة الكذاب ومحمد بن عبد الوهاب وجاء في بعض الروايات وبها يعني نجد الداء العضال قال بعض الشراح وهو الهلاك وفي بعض التواريخ بعد ذكر قتال بني حنيفة قال ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام وجاء في بعض الاحاديث التي فيها ذكر الفتن قوله صلى الله عليه وسلم منها فتنة عظيمة تكون في أمتي لا يبقى بيت من العرب الا دخلته تصل الى جميع العرب قتلاها في النار واللسان فيها أشد من وقع السيف وفي رواية ستكون فتنة صماء بكماء عمياء يعني يعمى بصائر الناس فيها فلا يرون منها مخرجا ويصمون عن استماع الحق من استشرف لها استشرفت له وفي رواية سيظهر من نجد شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته وذكر العلامة السيد علوي بن أحمد بن حسن ابن القطب سيدي عبد الله بن علوي الحداد في كتابه الذي ألفه في الرد على ابن عبد الوهاب المسمى جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي أضل العوام من جملة الاحاديث التي ذكرها في الكتاب المذكور حديثا مرويا عن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي بني حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمه يكثر في زمانه الهرج والمرج يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم متجرا ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها بينهم مفخرا وهي فتنة يعتز فيها الأرذلون والسفل تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ولهذا الحديث شواهد تقوي معناه وان لم يعرف من خرجه ثم قال السيد المذكور في الكتاب الذي مر ذكره والأصرح من ذلك أن هذا المغرور محمد بن عبد الوهاب من تميم فيحتمل أنه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء فيه حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من

شيخ الاسلام السيد القاضي حسين الحسني مد الله تعالى ظلال افضاله وأقام خيام عزه وعظمته واجلاله توجها تاما الى تكميل
ما بقي من عمل عين عرفات باعتبار ما بيده من النظر عليها حسب الاحكام الشريفة السلطانية النافذة في الاقطار والجهات وجد
في الاهتمام وعرض على الابواب الشريفة السلطانية السليمية بأن يكمل ذلك العمل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام القاضي
حسين المشار اليه خدمة تامة فأقدم بهمته العلية أتم اقدام الى اكمال هذا العمل الشريف بالاهتمام فساعدته السعادة والاقبال
على الاتمام والاكمال فكمل العمل المبارك في ما دون خمسة أشهر بعد ان عجز عن اتمامه الامراء المذكورون قريبا من
عشرة أعوام وهلكت نفوسهم (۲۳٤) وأموالهم وتبددت أيامهم وما ظفروا بهذا المرام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم * فجرت عين عرفات وانفجرت ينابيعها الجاريات ووصل الماء وهو يجري في تلك الجداول والقنوات الى أن دخل مكة لعشر بقين من ذي القعدة الحرام سنة تسع وسبعين وتسعمائة وكان ذلك اليوم عيدا أكبر عند الناس وزال بوصول ذلك الماء الى البلد كل هم وباس وعمل في ذلك اليوم سيدنا ومولانا المشار اليه أسمطة عظيمة في الابطح ببستانه العظيم الأفيح وجمع بين الأكابر والأعيان في ذلك المكان ونصب لهم السرادقات والصيوانات وذبح أكثر من مائة من الغنم وأعز عدة من الابل والنعم وقدم للناس على طبقاتهم أنواع الموائد والنعم وخلع على أكثر من عشرة أنفس من المعلمين والبنائين والمهندسين خلعا فاخرة وأحسن الى باقيهم
بالانعامات الوافرة وتصدق على الفقراء والمساكين وأنعم على الكبراء والاساطين شكرا لهذه النعمة فذلك
الجزيلة وحمدا على هذه المنة الجليلة حيث أنعم الله بها على عباده وأحيا وأخصب مناخير بلاده وكان يوما مشهودا وساعة سعيدة
وزمانا محمودا * ثم جهز أخبار هذه البشائر العظمى وحصول هذه النعم الجزيلة الكبرى الى الباب الشريف العالي السلطاني
الأعظم والخاقان الأكرم الأفخم السلطان سليم خان سقاه الله كؤس الرحمة والرضوان من حوض الكوثر في أعلى غرفات
الجنان والى سرادقات ذات الحجاب الرفيع والستر السابغ المسبول المنيع صاحبة الخيرات ملكة الملكات بلقيس الزمان
حضرة خانم سلطان أدام الله تعالى ظلال عفتها وعصمتها وأسبغ أستار رفعتها وعظمتها فأنعمت الصدقات الشريفة السلطانية

الدين كما يمرق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم
قتل عاد فكان هذا الخارجي يقتل أهل الاسلام ويدع أهل الاوثان ولما قتل علي بن أبي طالب رضي
الله عنه الخوارج قال رجل الحمد لله الذي أبادهم وأراحنا منهم فقال علي رضي الله عنه كلا والذي
نفسي بيده ان منهم لمن هو في اصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن آخرهم مع المسيح الدجال وجاء
في حديث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ذكر فيه بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وقال فيه ان
واديهم لا يزال وادي فتن الى آخر الدهر ولا يزال الدين في بلية من كذابهم الى يوم القيامة وفي رواية
ويل لليمامة ويل لا فراق له وفي حديث ذكره في مشكاة المصابيح سيكون في آخر الزمان قوم يحدثونكم
بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم وأنزل الله في بني تميم ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وأنزل الله فيهم أيضا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت
النبي قال السيد علوي الحداد المذكور آنفا ان الذي ورد في بني حنيفة وفي ذم بني تميم ووائل شيء كثير
ويكفيك ان أغلب الخوارج وأكثرهم منهم وان الطاغية ابن عبد الوهاب من تميم وان رئيس الفرقة
الباغية عبد العزيز من وائل وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كنت في مبتدا الرسالة أعرض
نفسي على القبائل في كل موسم ولم يجبني أحد جوابا أقبح ولا أخبث من رد بني حنيفة قال السيد
علوي الحداد لما وصلت الطائف لزيارة حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما اجتمعت
بالعلامة الشيخ طاهر سنبل الحنفي ابن العلامة الشيخ محمد سنبل الشافعي فأخبرني أنه ألف كتابا في الرد
على هذه الطائفة سماه الانتصار للاولياء الابرار وقال لي لعل الله ينفع به من لم تدخل بدعة النجدي في
قلبه وأما من دخلت في قلبه فلا يرجى فلاحه لحديث البخاري يمرقون من الدين ثم لا يعودون فيه قال
السيد علوي الحداد وأما ما نقل عن العلامة الحفظي ساكن الحجاز انه استصوب بعض أفعال
النجدي من جمعه البلد وعلى انه لا ترك النهب وازالة بعض الفواحش الظاهرة كالزنا واللواط
ومن تأمينه الطرق ودعوته الى التوحيد فهو غلط حسن للناس فعله ولم يطلع على ما ذكرناه من
منكراته وتكفيره الامة من ستمائة سنة واحراقه الكتب الكثيرة وقتله لكثير من العلماء وخواص
الناس وعوامهم واستباحته دماءهم وأموالهم واظهاره التجسيم للباري سبحانه وتعالى وعقده
الدروس لذلك وتنقيصه للرسل عليهم الصلاة والسلام وللاولياء ونبشه قبورهم وأمره في الاحساء ان
تجعل بعض قبور الاولياء محلا لقضاء الحاجة ومنع الناس من قراءة دلائل الخيرات ومن الرواتب
والاذكار ومن قراءة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في
المنائر بعد الاذان وقتل من فعل ذلك وكان يعطي لبعض الفقراء الطعام بدعوات النبوة ويفهمهم

بالانعامات الجزيلة والترقيات الكثيرة الجليلة على سائر المباشرين والمتعاطين لهذه الخدمة الشريفة الجليلة وحصل لمولانا شيخ الاسلام المشار اليه حضرته الشريفة ترقيات عظيمة فصارت مدرسة السلطانية السليمانية عالة عثمانى وما عهد ذلك لاحد من الموالى العظام فى مدارسهم وجهزت اليه أنواع من الخلع الشريفة الفاخرة وخوطب من قبل السلطنة الشريفة الخاقانية بالخطابات العالية الوفية السامية المتضمنة للشكر الجزيل منه وانه دخل فى جملة خواص السلطنة الشريفة المشمولين بتلطف عواطفها المنيفة وانعاماتها الجزيلة الوريقة وصارت هذه العين من جملة الآثار الباقية على ممر الليالى والايام والاعمال الصالحات الباقيات التى لا يفنيها تكرر السنين والاعوام وما عند الله من تضاعيف الاجر والثواب (٢٣٧) فهو خير وأبقى عند أولى الألباب ﴿ومن آثار المرحوم السلطان سليمان بمكة المشرفة المدارس الاربعة السليمانية﴾ وسبب ذلك ان الامير ابراهيم أمير امراء جدة عين عرفات أسكنه الله من الجنة الغرفات عرض على الأبواب الشريفة السلطانية السليمانية وأنهى الى الاعتاب العلية الخاقانية ان المناسب لذلك أن الشريف السلطانى وقدره العلى السامى السليمانى أن يكون لحضرة السلطان بمكة المشرفة أربع مدارس على المذاهب الاربعة يدرس فيها علماء مكة المشرفة علم الفقه ليكون سببا لاشتغالهم بعلم الشرع والدين ويرتفقون بوظائفها ويكون سببا لاحياء علم الشريعة ويسطر ثواب ذلك فى صحائف السلطنة الشريفة

فأجابه السلطان سليمان المرحوم الى ذلك وبرزت الاوامر الشريفة السلطانية بعمل ذلك وعين لهذه الخدمة الامير قاسم أمير جدة المذكور آنفا وان يبادر الى عمل ذلك فى أحسن الاماكن اللائقة لبناء هذه المدارس الجانب الغربى من المسجد الحرام المتصل به من ركن المسجد الشريف الى باب الزيادة وكان به البيمارستان المنصورى ومدرسة لصاحب كيالة السلطان أحمد شاه سلطان كبرات من أقاليم الهند وكان من أصحاب الخير الكثير شديد المحبة للعلماء كثير البر والصدقات وكانت المدرسة بيد مؤلف هذا التاريخ والبيمارستان المنصورى وأوقاف المؤيد للسلطان الملك المؤيد شيخ سلطان مصر من ملوك الجراكسة وعدة دور تتعلق بسيدنا ومولانا المقام الشريف العالى السيد حسن صاحب مكة المشرفة أدام الله عزه واقباله ورباطا يقال له رباط الطاهر واستبدل

ذلك من فحوى الكلام ومنع الدعاء بعد الصلاة وكان يقسم الزكاة على هواه وكان يعتقد ان الاسلام منحصر فيه وفيمن تبعه وان الخلق كلهم مشركون وكان يصرح فى مجالسه وخطبه بكفر المتوسل بالانبياء والملائكة والاولياء بل يزعم ان من قال لاحد مولانا أو سيدنا فهو كافر ولا يلتفت الى قول الله تعالى فى سيدنا يحيى عليه السلام وسيدا ولا الى قول النبى صلى الله عليه وسلم للانصار قوموا لسيدكم يعنى سعد بن معاذ رضى الله عنه ويمنع من زيارة النبى صلى الله عليه وسلم ويجعله كغيره من الاموات وينكر علم النحو واللغة والفقه والتدريس لهذه العلوم ويقول ان ذلك كله بدعة ثم قال السيد علوى الحداد والحاصل ان المحقق عندنا من أقواله وأفعاله ما يوجب خروجه عن القواعد الاسلامية لاستحلاله أمورا مجمعا على تحريمها معلومة من الدين بالضرورة بلا تأويل سائغ مع تنقيصه الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين وتنقيصهم عمدا كفر بالاجماع عند الائمة الاربعة اهـ ولما أراد الله أن يضل محمد بن عبد الوهاب ويضل به خلقا كثيرا سلط عليه الشيطان قرين له ما ابتدعه من العقائد الزائغة فصار يتنقل فى قرى نجد من قرية الى قرية ويلقى اليهم تلك العقائد شيئا فشيئا من زخرفة الالفاظ مظهرا لهم انه يريد التوحيد الصحيح والتبرى من الشرك فيصدقه الجاهلون ويتبعه لتلبيسه الغافلون وما زال كذلك يحبه قوم ويكرهه آخرون فآواه أهل الدرعية وظن بعض منهم انه رسول لكافة البرية فصنف لهم رسالة سماها كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات كفر فيها جميع المسلمين وزعم ان الناس كفار منذ ستمائة سنة وحمل الآيات التى نزلت فى الكفار من قريش على أتقياء الامة وكان ممن تبعه وقبل منه كل ما يقول محمد بن سعود أمير الدرعية واتخذه وسيلة لاتساع الملك وانقياد الاعراب له فصار يدعوهم الى الدين وأثبت فى قلوبهم ان جميع من هو تحت السبع الطباق مشرك على الاطلاق ومن قتل مشركا فله الجنة فتابعوه وصارت نفوسهم بهذا الاعتقاد مطمئنة وكان محمد بن سعود يمتثل ما يأمره به فاذا أمره بقتل انسان أو أخذ ماله سارع الى ذلك فكان محمد بن عبد الوهاب فيهم كالنبى فى أمته لا يتركون شيئا مما يقوله ولا يفعلون شيئا الا بأمره ويعظمونه غاية التعظيم ويجلونه غاية التجليل وما زال يطيعه حى بعد حى من أحياء العرب وقبائلها فاتسع ملك محمد بن سعود وملك أولاده بعده حتى ملكوا الجزيرة العرب واذا أرادوا أن يغزو بلدة من البلدان كتب كتابا بقدر الخنصر فجيء به العربان ويأتى دعوته من كل مكان ويحملون على أنفسهم كل ما يحتاجون اليه من مأكل ومشرب وملبس ومركب ولا يكلفونه بشئ واذا نهبوا شيئا من الناس يدفعون له الخمس ويأخذون الاربعة الاخماس ويسيرون معه أينما يسير لا يستطيعون مخالفته فى نقير ولا قطمير واذا ملك قبيلة من العرب سلطها على من دنا منها

واقترب وسلط الاشرى على ما بعدها حتى تبدد شملها فملك أولا الشرق بأكمله ثم اقليم الحساء والبحرين وعمان ومسكت وقرب ملكه من بغداد والبصرة هذا أحد من الشمال ثم رجع الى الجنوب فملك الحرار بأسرها ثم الحيوف ذوات النخيل وملك الحربية والفرع وجهينة ثم ملك جميع ما بين مدينة النبي صلى الله عليه وسلم والشام حتى قرب ملكه من الشام وحلب وملك العربان الذين بين الشام وبغداد وملك عربان المشرق والحجاز والقبائل التي حول الطائف ثم ملك الطائف وكذا القبائل التي حول مكة ثم دخل مكة بالصلح وكانت الحروب بينه وبين سيدنا الشريف غالب رحمه الله من سنة خمس الى سنة عشرين بعد المائتين والالف الى ان عجز مولانا الشريف غالب عن حربه ولم يبق أحد الامصار من حزبه فدخل مكة بالصلح سنة عشرين واستمر فيها الى غاية سنة سبع وعشرين حين جهزت الدولة العلية عليه عساكرها المنصورة ووجهت الامر الى الوزير المفخم محمد على باشا صاحب مصر فأتاه بجيوش من العساكر المنصورة فطهر الارض منه ومن اتباعه ثم جهز ابنه ابراهيم باشا فوصل بجيوشه الى الدرعية سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين والالف فأفنى وأباد من بقي منهم وكان تاريخ خروجهم من مكة سنة ألف ومائتين وسبع وعشرين وقد أرخ ذلك مفتي مكة المفتي عبد الملك القلعي لما سأله مولانا الشريف غالب هل أرختم خروجهم فقال قطع دابر الخوارج

(لطيفة) كان رجل صالح من علماء البلدة التي تسمى بالزبير يسمى ١٧٩ ٢٠٧ ٨٤١

الشيخ عبد الجبار يصلي اماما في مسجد من مساجد تلك البلدة فاتفق ان ١٣٢٧

اثنين تجاولا في شأن هذه الطائفة بعد ان جاء ابراهيم باشا الى الدرعية ودمرها ودمر من فيها فقال أحد الرجلين لابد ان يرجع أمر هذا الدين وهذه الدولة كما كانت وقال الآخر لا يرجع أمرهم أبدا كما كان ولا ما كانوا عليه من البدعة ثم اتفقا انهما يذهبان في غد ويصليان صلاة الصبح خلف الشيخ عبد الجبار وينظران ماذا يقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة ويكون ذلك فألا فيما اختلفا فيه فذهبا وصليا خلفه فقرأ بعد الفاتحة في الركعة الاولى وحرام على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون وسيأتي ان شاء الله الكلام على محاربات مولانا الشريف غالب له

(ذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية)

ولكن ينبغي أولا ان نذكر الشبهات التي تمسكوا بها في اضلال العباد ثم نذكر الرد عليه ببيان ان كل ما تمسك به زور وافتراء وتلبيس على عوام الموحدين فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه ان الناس مشركون في توسلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وبغيره من الانبياء والاولياء والصالحين وفي زيارتهم قبره صلى الله عليه وسلم وندائهم له بقولهم يا رسول الله نسألك الشفاعة وزعم ان ذلك كله اشراك

البيمارستان واستبدلت المدرسة برباط كان بناه الخواجا غيثي القرماني ولم تتمم وقفيته فباعه ورثته فاشترى بجهة السلطنة الشريفة وجعل بدلا عن مدرسة الكتانية واستبدل برباط الظاهر برباط آخر سويقة أحسن وأمكن فيه ووقف موضعه بدلا عنه (وأما الدول الى سيدنا ومولانا المقام الشريف العالي بدر الدنيا والدين مولانا السيد حسن أدام الله تعالى عزه ودولته فقيد مواجبها السلطنة الشريفة واستبدلت أوقاف المؤيد بضياع قرى في الشام اختارها ذريته المؤيد الموقوف عليهم وكتب مستنداتها وجعها وشرع الامير قاسم في هدمها وطلب العلماء والصلحاء والاشراف ووضعوا الاساس فتقدم قاضي مكة المشرفة يومئذ قدوة العلماء الاعالي وصفوة العلماء الموالي مولانا شمس الملة والدين أحمد بن أحمد بن محمد بك الشافعي عظم الله تعالى شأنه ورفع قدره ومكانه ووضع بيده الشريفة الاساس وتبعه ممن حضر من العلماء والسادات وأعيان الناس ووضع كل واحد منهم حجرا في ذلك الاساس وكان يوما مشهودا مباركا مسعودا وذلك لليلتين خلتا من رجب المرجب سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وكان عمق الاساس عشرة أذرع وعرضه أربعة أذرع بذراع العمل ووضع فيه صخارا كبارا جدا وأحكموا الاساس احكاما قويا واستمر قاسم بك في ذلك الجد والاجتهاد مشدود الوسط كأنه بعض العمال يجري بعضا منه من أول العمل الى آخره بقوة وجلادة من غير دعة فيهم ولا انقطاع مع الحلاقة والمقطوا الاستبداد بالرأي وعدم المشاورة وعدم الاصغاء الى رأي أحد فأتم بناء المدارس الاربع في نهاية الاحكام في بعض الجدارات من غير تمييز وعمل بها أماكن عالية أحسن فيها ووقف السقوف المدرسة وعمل الدور وابوابها الخشبات عتيقات واهيات تكسرت وسقطت بعد وفاته وجددها مولانا شيخ الاسلام على وجه الاتقان والاحكام وكتب قاسم بك بعض طرازها بخط ردي مخطط وبعضه بخط رائق فاني لكونه أميا لا يعرف الكتابة ولا يصغي الى كلام أحد وصارت الاحكام تتوارد اليه بالاستعجال والاهتمام وهو يستعجل في الاتمام وعين المرحوم سليمان عليه الرحمة والرضوان وظائف المدرسين والطلبة وغير ذلك من أوقافه بالشام وعين لكل مدرسة خمسين عثمانيا في كل يوم وعين للمعيد أربعة عثامنة في كل يوم ولكل مدرس خمسة عشر طالبا لكل طالب عثمانيين والفراش كذلك والبواب نصف ذلك يجهزها في كل عام ناظر الاوقاف السليمانية

بالشام مع الركب الشامي الى مكة المشرفة فيوزع على المدرسين ولم تكمل المدارس الاربع الا في دولة السلطان الاعظم مالك الممالك التركية والروم والعرب والعجم السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان عليهما الرحمة والرضوان فأتم بالمدرسة المالكية السليمانية وهي رأس المدارس الاربع وعلى سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام سيد العلماء والموالي العظام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام مولانا السيد القاضي حسين الحسني أدام الله فوائده على الدوام بخمسين عثمانيا ثم رقاه الى ان صارت مدرسة عثمانية عثماني وأنعم بالمدرسة الحنفية السليمانية على مؤلف هذا الكتاب بخمسين عثمانيا في أواسط جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة فقرأت فيها قطعة من الكشاف والهداية وقطعة من تفسير المفتي (٢٣٩) الاعظم مولانا ابي السعود العمادي بوأه الله غرفات الجنان وأنزل عليه سحائب المغفرة والرحمة والرضوان وقرأت في درسها في الطب ودرسها في الحديث وأصوله والى الدرس الآن تكميل شرح الهداية للعلامة الكامل ابن الهمام الذي كان لا زال علامة علماء الاعلام وعلامة فضلاء الموالي العظام مالك ناصية العلوم وفارس ميدان المنطوق والمفهوم حائز قصبات السبق في حلبة علمائها في دهره في التحقيق والاتقان ووحيد عصره في التدقيق والايقان صاحب التصانيف الفائقة التي سارت بها الركبان وتداولتها العلماء في سائر البلدان الكريم المحسن الى عباده غاية الاحسان مولانا شمس الملة والدين أحمد المعروف بقاضي زاده أفندي قاضي العسكر بولاية أناطولي أطهر الله على قلمه ما خفي ودق على الافهام وأفاض من زلال ألفاظه العذبة ما روى أكباد العلماء الاعلام ذكر فيه من التحقيقات ما فات ابن الهمام وقلد أعناق مذهب النعمان قلائد درر تسبق النظام ومد لطلاب العلم الشريف موائد فوائد تدوم منها لهم على طرف الثمام وأورد فيه من خاصية طبعه الشريف نكات لا في تصرف من بنات أفكاره وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولا شك ان ذلك فيض من الله الكريم أفاض به من خزائن جوده العميم فشكر الله صنيعه الجميل وأثابه على ذلك مزيد الاجر والثواب الجزيل ونفع بتأليفه سائر طلبة العلم الشريف وأبقى في صفحات العالم كتابه المفيد اللطيف الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ولقد أحسن الي في أيام صدارته ورباني لدى الحضرة السلطانية فرقاني السلطان الاعظم

وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين كقوله تعالى فلا تدعوا مع الله أحدا وقوله تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وقوله تعالى ولا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وقوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وقوله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقوله تعالى والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وامثال هذه الآيات كثير في القرآن كلها حملها على الموحدين قال محمد بن عبد الوهاب ان من استغاث أو توسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين أو ناداه أو سأله الشفاعة فانه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلا في عموم هذه الآيات وجعل زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم أيضا مثل ذلك وقال في قوله تعالى حكاية عن المشركين في اعتذارهم عن عبادة الاصنام ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان المتوسلين مثل هؤلاء المشركين الذين يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فان المشركين ما اعتقدوا في الاصنام انها تخلق شيأ بل يعتقدون ان الخالق هو الله تعالى بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فما حكم الله عليهم بالكفر والاشراك الا لقولهم ليقربونا الى الله زلفى فهؤلاء مثلهم هكذا احتج محمد بن عبد الوهاب ومن تبعه على المؤمنين وهي حجة باطلة فان المؤمنين ما اتخذوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا الاولياء آلهة وجعلوهم شركاء لله بل هم يعتقدون انهم عبيد لله مخلوقون ولا يعتقدون استحقاقهم العبادة ولا انهم يخلقون شيأ ولا انهم يملكون نفعا أو ضرا وانما قصدوا التبرك بهم لكونهم أحباء الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم وببركتهم يرحم الله عباده ولذلك شواهد كثيرة من الكتاب والسنة سنذكر لك كثيرا منها فاعتقاد المسلمين ان الخالق النافع الضار هو الله وحده ولا يعتقدون استحقاق العبادة الا لله وحده ولا يعتقدون التأثير لاحد سواه وأما المشركون الذين نزلت فيهم الآيات السابق ذكرها فكانوا يتخذون الاصنام آلهة والاله معناه المستحق للعبادة فهم يعتقدون استحقاق الاصنام للعبادة واعتقادهم استحقاقها العبادة هو الذي

والخاقان الاكرم السلطان مراد خان خلد الله سلطنته مدى الزمان فصارت مدرسته بهمته بستين عثمانيا جزاه الله تعالى عني أفضل الجزاء وأسبغ عليه من خزائن فضله وكرمه واسع الخير والعطاء • وأنعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة السلطانية السليمانية الشافعية لاقراء مذهب الشافعية بمكة المشرفة على بعض علماء الشافعية بخمسين عثمانيا ودرس فيها كتب فقه الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه وأحيا فقه الشافعية بها كما شرطه السلطان سليمان رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح الجنان وغمره في بحر الرحمة والاحسان • وأما المدرسة الرابعة السلطانية السليمانية فقد جعلها المرحوم الواقف لاحياء مذهب الامام احمد بن حنبل فعدل عنه الى علم الحديث الشريف وجعلت تلك المدرسة دار الحديث بخمسين عثمانيا بقراءة الصحاح الستة فرحم الله السلطان سليمان وأثابه على مقاصده الجميلة من اسداء الخيرات واقتناء المثوبات باحياء العلوم الشريفة المطهرة وسائر الباقيات الصالحات أعلا غرفات الجنان والنظر الى وجه الله الكريم في اعلا مراتب السعادات الاخروية الباقيات وهذا الذي ذكرناه بعض ما فعله من الحسنات ولو أردنا استيفاء ما فعله من الخيرات لاحتجنا الى عدة مجلدات قصدنا الى ما أثبتناه في هذه الورقات وكلنا ما سبق الى المشاهدات فليس الخبر كالمعاينات

﴿الباب التاسع في دولة السلطان الاعظم الخاقان الملك الاكرم الافخم العثماني صاحب الخيرات الجارية والجوامع والمباني السلطان سليم خان تغمده الله بالرحمة والرضوان وسقى ضريحه زلال الكرم والعفو والغفران وسقه بروائح الروح والريحان﴾ كان مولده الشريف في سنة تسع وعشرين وتسعمائة وجلوسه الكريم على تخت ملكه الشريف بالقسطنطينية العظمى في يوم الاثنين لتسع مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة ومدة سلطنته الشريفة تسع سنين وسنه حين تسلطن ست وأربعون سنة وعمره كله ثلاث وخمسون سنة وبعد ثلاثة أيام من جلوسه على التخت الشريف توجه الى سكتوار وحفظ العساكر الاسلامية المجاهدين في سبيل الله في حاق بلاد الكفر مشغولين بفريضة الجهاد بغاية الجد والاجتهاد وسار سيرا حثيثا الى أن وصل ركابه الشريف السلطاني الى سمرد خديقا الى له سمرم فلاقته عروض الوزير الاعظم آصف الزمان ﴿محمد باشا أنعش الله بوجوده الوجود انعاشا﴾ تتضمن هجوم

أوقعهم في الشرك فلما قامت عليهم الحجة بانها لا تملك نفعا ولا ضرا قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فكيف يجوز لمحمد بن عبد الوهاب واتباعه ان يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون الوهية الاصنام اذا علمت هذا تعلم ان جميع الآيات المتقدم ذكرها وما ماثلها من الآيات خاص بالكفار المشركين ولا يدخل فيها أحد من المؤمنين لانهم لا يعتقدون الوهية غير الله تعالى ولا يعتقدون استحقاق العبادة لغيره وقد تقدم حديث البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين فهذا الوصف صادق على ابن عبد الوهاب واتباعه فيما صنعوه ولو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسل شركا كما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فانهم جميعهم كانوا يتوسلون فقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وهذا توسل صريح لا شك فيه وكان يعلم هذا الدعاء أصحابه رضي الله عنهم ويأمرهم بالاتيان به

﴿ذكر الدعاء المسنون عند الخروج من البيت الى الصلاة﴾

وقد روى ابن ماجه باسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك ان تعيذني من النار وان تغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب الا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير وذكر أيضا كثير من الائمة في كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج الى الصلاة بل قال بعضهم ما من أحد من السلف الا وكان يدعو بهذا الدعاء عند خروجه الى الصلاة فانظر قوله أسألك بحق السائلين عليك فان فيه التوسل بكل عبد مؤمن وروى الحديث المذكور أيضا ابن السني باسناد صحيح عن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال بسم الله آمنت بالله وتوكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فاني لم أخرج بطرا ولا أشرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك ان تعيذني من النار وان تدخلني الجنة ورواه الحافظ أبو نعيم في عمل اليوم والليلة من حديث أبي سعيد بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال اللهم الى آخر ما تقدم في رواية ابن السني ورواه البيهقي في كتاب الدعوات من حديث أبي سعيد أيضا ومحل الاستدلال قوله بحق السائلين عليك فهذا توسل صدر منه صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه ان يقولوه ولم يزل السلف

الشاه وتيسر فتح قلعة بكتوار وقمع مردة الكفرة الفجار والتمس الاذن الشريف للعسكر المنصور الخاقاني بالعود الى الاوطان واستمر الركاب الشريف السلطاني بذلك المكان الى ان وصل مع بقية الوزراء وأركان الدولة الى لثم الركاب الشريف السلطاني والاكتحال بتراب الباب الشريف الخاقاني وبعد ذلك يعودون في الخدمة الشريفة الخاقانية الى مقر التخت الشريف السلطاني بالقسطنطينية العظمى فأجيب حضرة الوزير الاعظم الى ما أشار اليه واستقر ركاب السلطنة الشريفة بتلك المحل واقترار عليه الى ان ورد حضرة الوزير الاعظم المشار اليه لحضرته العليه وباقي الوزراء من أركان الدولة الشريفة السلطانية وقبلوا الركاب السلطاني وهنؤه بالملك الشريف الخاقاني وعادوا في خدمة السلطنة الشريفة الى اسطنبول غاية الامن والامن والبشر والقبول عند الوصول وعند الوصول الى باب السراية السلطانية حصل من رعاع العسكر وعوامهم سوء مدافعة وممانعة عن الدخول الى السراية الشريفة وطلبوا ما لزم عند تجديد السلطان فأدى الى سوء أدب من بعض جهالهم فقام المرحوم المفتي الاعظم رئيس العلماء الاعلام وكبير كبراء الولاة العظام مولانا أبو السعود أفندي العمادي ثبت الله تعالى خطاه في الجنة وأفاض عليه سحائب الاجر والثواب والفضل والمنة فوعظ العسكر وألان لهم الكلام والتزم لهم عن الدولة بترقياتهم وعطاياهم العظام فلانوا بعد القسوة واستغفروا من تلك الهفوة ورجعوا من سكر الجهالة واعتذروا بعد الضلالة ودخل

حضرة السلطان الاعظم الى سرايته الشريف وجلس على تخته العالي المنيف ووفى للعسكر بما التزم لهم به حضرة المفتي الاعظم وأفاض احسانه عليهم وأنعم وانصرف في ذلك خزائن عظيمة لا تحصى ووزع عليهم من العسجد والورق ما لا يحصى ولا يستقصى وأمر بقتل بعض من كان سببا لهذه الهوشة من السفهاء وسكنت الفتنة ولله الحمد على جزيل النعماء ولله الشكر على جميع الآلاء ولله الحمد في الآخرة والاولى ودخل عليه العلماء العظام للتهنئة بالملك والتحية والسلام ثم أركان الدولة على قوانينهم وحصل لهم بحسب مراتبهم الاجلال والاكرام وقرت عيون الانام بكمال الامن والاطمئنان وتمام حسن النظام ثم جهزت البشائر السلطانية الى الممالك الشريفة العثمانية بالخلع الشريفة الخاقانية

من التابعين واتباعهم ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم أحد في الدعاء به ومما جاء عنه صلى الله عليه وسلم من التوسل قوله صلى الله عليه وسلم اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد رضي الله عنها وكانت ربت النبي صلى الله عليه وسلم وهي أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا أمي بعد أمي وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببرده وأمره بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه ثم قال الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك أرحم الراحمين وروى ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله عنه مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما ورواه أبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه ذكر ذلك كله الحافظ السيوطي في الجامع الكبير ومن الاحاديث الصحيحة التي جاء التصريح فيها بالتوسل ما رواه الترمذي والنسائي والبيهقي والطبراني باسناد صحيح عن عثمان بن حنيف وهو صحابي مشهور رضي الله عنه ان رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير فقال فادعه فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه في فعاد وقد أبصر وفي رواية قال ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرر وخرج هذا الحديث أيضا البخاري في تاريخه وابن ماجه والحاكم في المستدرك باسناد صحيح وذكره الجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير ففي هذا الحديث التوسل والنداء وابن عبد الوهاب يمنع كلا منهما ويحكم بكفر من فعل ذلك وليس لابن عبد الوهاب أن يقول ان هذا انما كان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لان الدعاء استعمله أيضا الصحابة والتابعون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم فقد روى الطبراني والبيهقي ان رجلا كان يختلف الى عثمان رضي الله عنه في زمن خلافته في حاجة فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف فقال له ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربك لتقضي حاجتي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم أتى باب عثمان رضي

فحصل لنواب السلطنة الشريفة كمال الفرح والسرور وتمام البشر والحبور بانتظام الامور ووصلت التهنئة من ملوك الاطراف بالتحف والهدايا اللطيفة الظراف وقرت العيون وزالت الغيون واستقرت الخواطر والظنون وكان سلطانا كريما رؤفا بالرعية رحيما عفوا عن الجرائم حليما محبا للعلماء والصلحاء محسنا الى المشايخ والفقراء كان احسانه يصل الى فقراء الحرمين وهو شاهزاده مع قصر يد تصرفه وكان يبعث كل عام الى العلماء والفقهاء وكان يصل الي احسانه وكسوته في كل سنة وبعد أن ولي السلطنة الشريفة لم ينقطع عادة احسانه واستمر يصل الي ذلك في كل عام بحيث أضيف ذلك الى دفتر الصرة الرومية ويقسم كل سنة على حكمه السابق (٢٤٢) الى الآن فهو الملك الهمام المحسن المنعام الفائض الاحسان والانعام طالما خافت بكعبته الآمال وصانع بأوامره الليالي والايام فأثمرت وغرس في رياض السعادة غروس أشجار السيادة فبسقت وأثمرت وتحصنت بسور عدله أرجاء البلاد فخربت به دور الخراب وعمرت ودمرت ساحة أركان الظلم فخربت ديار الظالمين ودمرت وكم أظهرت سواد الكفر بصارمه البيضاء آية للناظرين وكم جهزت جيوش الجهاد في سبيل الله فقطع دابر القوم الكافرين • فمن أكبر غزواته فتح جزيرة قبرس من يد الفرنج ومنها فتح تونس الغرب وحلق الواد • ومنها فتح ممالك اليمن واسترجاعها من العصاة البغاة أهل الالحاد ومن خيراته تضعيف صدقة الحب وزيادته مدة سلطنته الى الحرمين الشريفين ومنها الامر ببناء المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما الى غير ذلك من الآثار العظيمة والمزايا الفاضلة الكريمة فلنذكرها بطريق الاجمال الضيق المجال

﴿فتح قبرس﴾ فهي بالسين لا بالصاد كما تغلط فيه العوام جزيرة في البحر قال الفقيه العدل المفتي أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن عبد النور الحميري في كتابه الروض المعطار في أخبار الاقطار قبرس جزيرة على البحر الشامي كبيرة القطر مقدارها مسيرة ستة عشر يوما بها قرى ومزارع وأشجار وزروع ومواش وبها معدن الزاج القبرسي ومنها يجلب الى سائر الاقطار وبها ثلاث مدن ومن قبرس الى طرابلس الشام يومان في البحر وقبرس على ممر الايام وطوقها شامل وخيرها كامل وكان معاوية غزاها وصالح أهلها على جزية سبعة آلاف دينار فنقضوا العهد عليه فغزاها ثانية فقتل وسبى شيأ كثيرا • وروى انه لما

الله فجاءه البواب فأخذ بيده وادخله على عثمان فاجلسه معه وقال اذكر حاجتك فذكر حاجته فقضاها ثم قال له ما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج من عنده فلقي ابن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الى آخر الحديث المتقدم فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي وابن أبي شيبة باسناد صحيح ان الناس أصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله عنه فجاء بلال بن الحرث رضي الله عنه الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأخبره انهم يسقون وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم فان رؤياه وان كانت حقا لكن لا تثبت بها الاحكام لامكان اشتباه الكلام على الرائي لا للشك في الرؤيا وانما الاستدلال بفعل بلال بن الحرث في اليقظة فانه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاتيانه لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ونداؤه له وطلبه ان يستسقي لامته دليل على ان ذلك جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وذلك من أعظم القربات وقد توسل به صلى الله عليه وسلم أبوه آدم قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها قال بعض المفسرين في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ان الكلمات هي توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي باسناد صحيح في كتابه دلائل النبوة الذي قال فيه الحافظ الذهبي عليك به فانه كله هدى ونور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يا رب أسألك بحق محمد الا ما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يا رب انك لما خلقتني رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الي واذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك ورواه أيضا الحاكم وصححه والطبراني وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك والى هذا التوسل أشار الامام مالك رحمه الله تعالى للخليفة الثاني من بني العباس وهو المنصور جد الخلفاء العباسيين وذلك انه لما حج المنصور المذكور وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكا وهو بالمسجد النبوي وقال له يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه باسناد صحيح وذكره

افتتحت قبرس واشتغل المسلمون بتقسيم السبي فيما بينهم بكى أبو الدرداء وتنحى عنهم ثم احتبى بحمائل سيفه ودموعه تجري على خديه فقيل له أتبكي في يوم أعز الله فيه الاسلام وأهله وأذل الكفر وأهله فضرب على منكبيه وقال ويحك ما أهون الخلق على الله اذا تركوا أمره فبينما هي قوة ظاهرة وقدرة قاهرة على الناس اذ تركوا أمره فصاروا الى ما ترى من السبي والاهانة وبين جزيرة قبرس وساحل مصر خمسة أيام وبينها وبين جزيرة رودس مسافة يوم وليلة وكانت جزيرة قبرس يومئذ كان حاكمها يسمى قانوس كان يعظمه الكفار ويعظمون لاجله جزيرة قبرس وأهل جزيرة قبرس موصوفون بالغنى واليسار وبها معادن الصفر ويجمع فيها اللاذن الحسن الرائحة الذي يقال انه ندى يقع على شجر هناك فيجمع منه على الشجر خاصة وكان يحمل الى ممالك البسيطة لطيبه لانه أفضله وما يجمع منه مما يتساقط على وجه الارض يبيعونه للناس وكانت أم حرام بنت ملحان الصحابية رضي الله عنها شهدت غزوة قبرس فتوفيت بها وأهل قبرس يزورون قبرها ويقولون هو قبر المرأة الصالحة وكانت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو لها الله عز وجل أن يجعلها من الذين يركبون ثبج البحر في سبيل الله ففعل وهو حديث معروف وكان الاوزاعي يقول انا نرى هؤلاء يعني أهل قبرس أهل عهد وان صلحهم وقع على شيء فيه شرط لهم وشرط عليهم وانه لا يسعهم نقضه الا بأمر يعرف به غدرهم ورأى عبد الملك بن الصالح في حدث أحدثوه ان ذلك نقض لعهدهم فكتب الى عدة من الفقهاء يشاورهم في أمره منهم الليث بن سعد وسفيان بن عيينة وأبو اسحق الفزاري ومحمد بن الحسن فاختلفوا عليه وأجاب كل واحد عما ظهر له قالوا وانتهى خراج قبرس الذي يؤدونه الى المسلمين بعد المائتين من الهجرة الى أربعة الاف ألف وسبعمائة ألف وسبعة وأربعين ألفا انتهى ما ذكره صاحب الروض المعطار ٭ قلت وقد تقدم ما يفيد انها فتحت في أيام دولة الجراكسة في سلطنة الملك الاشرف برسباي الدقماقي وأسر ملكها في سنة تسع وعشرين وثمانمائة فكان أهل قبرس في أيام الدولة الشريفة العثمانية معاهدين يدفعون الى الخزانة العامرة السلطانية ما كان مقررا عليهم غير انهم أخذوا في المكر والخداع واظهار الاطاعة والوفاق واخفاء الغدر والشقاق فصاروا يقطعون الطريق في البحر على المسلمين واذا أخذوا سفينة من سفائن المسلمين

وذكره الامام السبكي في شفاء السقام في زيارة خير الانام والسيد السمهودي في خلاصة الوفاء والعلامة القسطلاني في المواهب اللدنية والعلامة ابن حجر في تحفة الزوار والجوهر المنظم وذكره كثير من أرباب المناسك في آداب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفا باسناد صحيح رجاله ثقات ليس في اسنادها وضاع ولا كذاب ومراده بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك عن الامام مالك ونسب له كراهة استقبال القبر فنسبة الكراهة الى الامام مالك مردودة ولما استسقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في زمن خلافته بالعباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنه لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا وذلك مذكور في صحيح البخاري من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه وذلك من التوسل بل في المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني ان عمر رضي الله تعالى عنه لما استسقى بالعباس رضي الله عنه قال يا أيها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى ففيه التصريح بالتوسل وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا سواء كان بالاحياء أو بالاموات وقول من منع ذلك بغير النبي صلى الله عليه وسلم لان فعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه رواه الامام أحمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما ورواه الامام أحمد أيضا وأبو داود والحاكم في المستدرك عن أبي ذر رضي الله عنه ورواه أبو يعلى والحاكم في المستدرك أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن بلال ومعاوية رضي الله عنهما وروى الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن الفضل بن العباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معي وأنا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان وهذا مثل ما صح في حق علي رضي الله عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم في حقه وأدر الحق معه حيث دار وهو حديث صحيح رواه كثير من أصحاب السنن فكل من عمر وعلي رضي الله عنهما كان الحق معه حيث كان وهذان الحديثان من جملة الادلة التي استدل بها أهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الاربعة لان عليا رضي الله عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله لم ينازعهم في الخلافة فلما جاءت الخلافة له ونازعه غيره قاتله ومن الادلة الدالة على أن توسل عمر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه حجة على جواز قوله صلى الله عليه وسلم لو كان نبي بعدي لكان عمر رواه الامام أحمد والترمذي والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ورواه الطبراني في الكبير عن عصمة بن

فلما جميع من ظفروا به في تلك السفينة لاختفاء ما فعلوه وصاروا يأوون قطاع الطريق من النصارى ويساعدونهم على المسلمين الى ان كثر اذاهم وعم ضررهم . فاستفتى المرحوم السلطان سليم خان من المرحوم مفتي الاسلام مولانا أبي السعود أفندي العمادي رحمه الله تعالى فأفتاه بأنهم غدروا ونقضوا العهد وان قتالهم جائز بسبب ما ارتكبوه من الغدر والخيانة فجهز عليهم حضرة السلطان سليم جيشا كثيفا وعسكرا منصورا ودونمة أي سفنا من الروم عمارة عامرة من جانب البحر وجعل سردارا لجميع حضرة الوزير المعظم والمشير المفخم نظام العالم مدبر مصالح جماهير الامم قائد جيوش الموحدين قاهر جيوش الكفار والملحدين اعتضاد الملوك والسلاطين الخصوص بعناية رب العالمين زاده الله عزا واجلالا وسعادة وسيادة واقبالا وأيده بالنصر المبين والفتح القريب اسعادا واجلالا فامتثل الامر الشريف السلطاني وبرز محفوفا بالنصر الصمداني والعون الرباني ومعه عسكر جرار من كل بطل مغوار ملأ وجه الارض برا وبحرا كأنهم قطعة نارمة نارمة اذا شدوا عرا الايمان سلكوا نحو كوا وملكوا وان ما صدقوا من الاعداء سفكوا وفتكوا ودمروا بطبول النصر فكانت كنفخ الصور وانتشرت العساكر المنصورة كالجراد يوم الحشر والبعث والنشور وتوجه حضرة الوزير مظفرا مؤيدا منصورا وسعى الى جهاد الكفار وكان سعيه مشكورا وطوى المراحل والمنازل وهو يطوي الارض طيا ويفري بسيف عزمه أديم المهامه والمناهل فريا الى ان وصل بركابه العالي ومن معه من الجيش المنصور المتوالي الى جزيرة قبرس فاحاط بقلاعها احاطة الخاتم بالاصبع وفرق الجنود على حصونها اذ كانت من كل حصن أحكم وأمنع وقد تحصن بها الكفار واعتصموا بقلاعها وأحكموا خنادقها وأسوارها وسالكها سهلها وجبالها فارتجت بوصول تلك العساكر المنصورة حصون تلك الجزيرة وقلاعها وتزلزلت جبالها وربواتها وأسفالها وبقاعها . وكان من أحكم الحصون الشديدة الانقلاع في غاية العلو والارتفاع ونهاية القوة والمنعة والامتناع شامخة البنيان راسخة الاركان . وأقواها قلعة ماغوسا لا يحلق عليها من الطيور الا النسران ولا يوازن أبراجها من بروج السماء الا الميزان تلامس في العلو والشهوق نجوم الثريا والعيوق وتوازي بناء الاهرام في الاتقان والاحكام

مالك رضي الله عنه وروى الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وانما استسقى عمر رضي الله عنه بالعباس ولم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم ليبين للناس ان الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم جائز ومشروع لا حرج فيه لان الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم كان معلوما عندهم فلربما يتوهم بعض الناس انه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم فبين لهم عمر رضي الله عنه الجواز ولو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لاوهم انه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم ولا يصح أن يقال انما استسقى بالعباس ولم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم لان العباس حي والنبي صلى الله عليه وسلم قد مات لان الاستسقاء انما يكون بالحي لان هذا القول باطل مردود بادلة كثيرة منها توسل الصحابة به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كما تقدم في القصة التي رواها عثمان بن حنيف وكما في حديث بلال بن الحرث المتقدم وكما في توسل آدم ورواه عمر رضي الله عنه كما تقدم فكيف لا يعتقد عدم صحته بعد وفاته وقد روى التوسل به قبل وجوده مع انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره فتلخص من هذا انه يصح التوسل به صلى الله عليه وسلم قبل وجوده وفي حياته وبعد وفاته وانه يصح التوسل أيضا بغيره من الاخيار كما فعله عمر رضي الله عنه حين استسقى بالعباس رضي الله عنه وذلك من أنواع التوسل كما تقدم وانما خص عمر العباس رضي الله عنهما من بين سائر الصحابة لاظهار شرف أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولبيان انه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فان عليا رضي الله عنه كان موجودا وهو أفضل من العباس رضي الله عنه قال بعض العارفين وفي توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما دون النبي صلى الله عليه وسلم نكتة أخرى أيضا زيادة على ما تقدم وهي شفقة عمر رضي الله عنه على ضعفاء المؤمنين وعوامهم فانه لو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لربما تأخر الاجابة لانها معلقة بارادة الله ومشيئته فاذا تأخرت الاجابة ربما يقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخر الاجابة بخلاف ما اذا كان التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم فانه اذا تأخرت الاجابة لا تحصل تلك الوسوسة والاضطراب والحاصل ان مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الانبياء والمرسلين والاولياء والصالحين كما دلت عليه الاحاديث السابقة لانا معاشر أهل السنة لا نعتقد تأثيرا ولا خلقا ولا ايجادا ولا اعداما ولا نفعا ولا ضرا الا لله وحده لا شريك له فلا نعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا للنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار الخلق والايجاد والتأثير ولا لغيره من الاحياء أو الاموات فلا فرق

بل تزيد عليها وتفوق لا تبالي بضرب المكاحل والمدافع ولا يوهنها قرع المقارع والمقامع مشحونة بآلات الحرب من جميع الانواع مملوءة بالمقاتلة وأهل القراع محشوة بأجلاف النصارى الابطال أهل الصيال والصراع وفيهم من الرماة من يرمي على الحدق ويصيب ولا يخطئ من الدرع الحلق وعندهم المياه والقوت والاقوات والزرع والبساتين ومن دونهم خنادق عريضة نازلة الى تخوم الارض محمية بالمدافع الكبار ترمي من أعلى القلاع الى من يقرب منها بالليل والنهار فأحاطت العساكر المنصورة السلطانية بتلك القلاع والحصون وناوشوهم القتال وأذاقوهم كؤوس ريب المنون وقاتلهم المسلمون بالليل والنهار ورماهم الموحدون برمي المدافع الكبار بالاصائل والابكار فكاد النهار أن ينقلب ليلا بدخان البارود والبارق والليل ان ينقلب نهارا ببوارق قناديل البنادق الصواعق فحاصرهم المجاهدون في سبيل الله وضيق عليهم جنود الاسلام الغزاة ورموا بالمدافع الكبار السلطانية عليهم فخربت دورهم وهدمت قصورهم فصارت بيوتهم قبورهم وكسرت ظهورهم وافتتحت ببركة النبي صلى الله عليه وسلم قلعتان وبقيت القلعة وهي ماغوسا وبها سلطانهم محصور وكل محصور مأخوذ مأسور فثبت وأظهر الجلد وكابد في محاصرته أنواع النكد الى أن وهنت قواه وذابت كبده وحشاه واضطر الى طلب الامان والتذلل لحضرة الوزير الرفيع الشان فشملته عناية حضرة الوزير الرفيع الشان المعظم المكين وأعطاه الامان وشرط عليه أن يطلق من عنده من أسارى المسلمين ويدوس البساط السلطاني ليتم له التأمين ويحصل له التطمين فوافق على ذلك وأطلق الاسرى وحضر ليقابل حضرة الوزير المعظم جبرا وقسرا فأخبر بعض الاسرى أنه خان بعد انعقاد الامان وقتل جماعة من المسلمين وفعل هذه الخيانة سرا فلما علم حضرة الوزير المعظم أن ملكهم قد خان طلبه بين يديه وأهانه غاية الهوان وركبه على خشبة السرج وأمره أن يمشي قدامه كسائر الغلمان ثم ضرب عنقه لخيانته ونقض عهده وأخذ أمواله وذخائره وقتل من أراد واستأسر واسترق من أراد وصارت قبرص دار الاسلام وأضيفت الى سائر الممالك الاسلامية العثمانية باجتهاد هذا الوزير المعظم واصابة تدبيره الصائب الاتم ومابقي تفصيل ماوقع في هذه الغزوة وما أمكنني تحقيقها وأوردت كثيرا افرادها بالتأليف

في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا بالاولياء والصالحين لا فرق بين كونهم أحياء أو أمواتا لانهم لا يخلقون شيأ وليس لهم تأثير في شيء وانما يتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى والخلق والايجاد والتأثير لله وحده لا شريك له وأما الذين يفرقون بين الاحياء والاموات فانهم يعتقدون التأثير للاحياء دون الاموات ونحن نقول الله خالق كل شيء والله خلقكم وما تعملون فهؤلاء المجوزون التوسل بالاحياء دون الاموات هم الذين دخل الشرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات فهم الذين اعتقدوا تأثير غير الله تعالى فكيف يدعون المحافظة على التوحيد وينسبون غيرهم الى الاشراك سبحانك هذا بهتان عظيم فالتوسل والتشفع والاستغاثة كلها بمعنى واحد وليس لها في قلوب المؤمنين معنى الا التبرك بذكر أحباء الله لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياء أو أمواتا فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى وهؤلاء سبب عادي في ذلك لا تأثير لهم وذلك مثل السبب العادي فانه لا تأثير له وحياة الانبياء في قبورهم ثابتة بأدلة كثيرة استدل بها أهل السنة وكذا حياة الشهداء والاولياء وليس هذا محل بسط الكلام عليها وشبهة هؤلاء المانعين للتوسل أنهم رأوا بعض العامة يتوسعون في الكلام ويأتون بألفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الصالحين أحياء وأمواتا أشياء جرت العادة بانها لا تطلب الا من الله تعالى ويقولون للولي افعل لي كذا وكذا وربما يعتقدون الولاية في أشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة وينسبون لهم كرامات وخوارق عادات وأحوالا ومقامات ليسوا بأهل لها ولم يوجد فيهم شيء منها فأراد هؤلاء المانعون للتوسل أن يمنعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة وان كانوا يعلمون أن العامة لا تعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا لغير الله تعالى ولا تقصد بالتوسل الا التبرك ولو أسندوا للاولياء شيأ لا يعتقدون فيهم تأثيرا فنقول لهم اذا كان الامر كذلك وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا بل كان ينبغي لكم أن تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة وتأمروهم بسلوك الادب في التوسل مع أن تلك الالفاظ الموهمة يمكن حملها على الاسناد المجازي مجازا عقليا كما يحمل على ذلك قول القائل هذا الطعام أشبعني وهذا الماء أرواني وهذا الدواء أو الطبيب نفعني فان ذلك كله عند أهل السنة محمول على المجاز العقلي فان الطعام لا يشبع والمشبع هو الله تعالى والطعام سبب عادي لا تأثير له وكذا ما نحن فيه فالمسلم الموحد متى صدر منه اسناد الشيء لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلي واسلامه وتوحيده قرينة على ذلك كما نص على ذلك علماء

وذكر ما وقع فيها فلم أظفر بذلك فان أظفرني الله تعالى بالاطلاع على أكثر مما ذكرته ههنا أجعل له تاريخا مستقلا وأسمع الجهال
الجيت الفاكهة بليغ المقال ان شاء الله تعالى ﴿وأما فتح بلاد اليمن﴾ فان اقليم اليمن من صنعاء الى عدن كانت داخلة في الممالك
السلطانية العثمانية في أيام دولة المرحوم السلطان الاعظم سليمان خان أسكنه الله تعالى فردوس الجنان وحف بروضته
الطيبة الطاهرة بالروح والريحان وكان أول فتحها الخاقاني على يد الوزير المعظم سليمان باشا الخادم بكلربكي مصر لما توجه الى
الهند لغزو الفرنج الفرتقال في سنة خمس وأربعين وتسعمائة وأقام بكلربكيا واستمر كذلك في تصرف البكلربكي الذي يولى من الباب
الشريف السلطاني يتولاها واحدا بعد واحد الى أن صارت مملكة اليمن واسعة يمكن أن يولى في أعلاها في
الجبال من أعلاها الى
تعز بكلربكي ويولى في
التهائم وعدن وزبيد وسائر
السواحل والبنادر
بكلربكي آخر وكان هذا
عين الخطا فان ذلك مظنة
الاختلاف والجدال كما
قال الله الكبير المتعال لو
كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا فقبل عرضه في
الباب العالي قصدا الى
تكثير المناصب وتعدد
البكلربكية فولي على
اليمن وجبالها المرحوم
مراد باشا وكان يقال له
أود مراد [illegible] كان
باحدى يديه وكان خرج
من خزينة السلطانية
وكان من أمراء السناجق
وصار أمير الحاج الشامي
ثم ولي سنجق غزة ثم أعطى
نصف مملكة اليمن وولي
جهة التهائم حسن باشا وهو
أيضا من المماليك
السلطانية برز من السراية
السلطانية واقتسمت
عساكرها وأموالها
وحصولها الى نصفين وضعف أمر كل واحد وكان مطهر بن شرف الدين يحيى الزيدي بعقله وسواب في
نفسه العصيان وكانت داعية العصيان مضمرة في خاطره فصادف انقسام المملكة وصول وفاة المرحوم السلطان سليمان خان
فاظهر العصيان هو ولفيفه من العربان وجهز أميرا من أمرائه يقال له علي بن شويع يجمع عليه العربان فقطعوا الطريق على
مراد باشا في محطة ماروه وعادل عن عصيانهم وكان قاصدا من تعز الى صنعاء وهي محصورة بالعربان الزيديين فهدموا على
الخيل ومنعوا من الطعام بالكلية وكان أرسل من طائفته من يأتيه بالغلال والميرة فقطعوا عليه الطريق وقتلوه فلما زاد بهذا الامر
وفطن بعصيان العربان رجع مراد باشا الى تعز وسلك وادي خبان وهو محل وعر بين جبلين عاليين في غاية الوعورة والصعوبة

المعاني في كتبهم وأجمعوا عليه وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته في الاحاديث الصحيحة
وصح صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الامة وخلفها فهؤلاء المنكرون للتوسل
المانعون منه منهم من يجعله حراما ومنهم من يجعله كفرا واشراكا وكل ذلك باطل لانه يؤدي الى
اجتماع معظم الامة على الحرام أو الاشراك لان من تتبع كلام الصحابة والعلماء من السلف والخلف
يجد التوسل صادرا منهم بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة واجتماع أكثرهم على الحرام
أو الاشراك لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تجتمع أمتي على ضلالة بل قال
بعضهم انه حديث متواتر وقال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس فكيف تجتمع كلها أو أكثرها على
ضلالة وهي خير أمة أخرجت للناس فاللائق بهؤلاء المنكرين اذا أرادوا سد الذريعة ومنع الالفاظ
الموهمة كما زعموا أن يقولوا ينبغي أن يكون التوسل بالادب وبالالفاظ التي ليس فيها ايهام كأن
يقول المتوسل اللهم اني أسألك وأتوسل اليك بنبيك صلى الله عليه وسلم وبالانبياء قبله وعبادك
الصالحين ان تفعل بي كذا وكذا الا أنهم يمنعون التوسل مطلقا ولا أن يتجاسروا على تكفير المسلمين
الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير الا لله وحده لا شريك له ومما تمسك به هؤلاء المنكرون للتوسل
قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فان الله نهى المؤمنين في هذه الآية أن
يخاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما يخاطب بعضهم بعضا كأن ينادوه باسمه وقياسا على ذلك
لا ينبغي أن يطلب من غير الله تعالى كالانبياء والصالحين الاشياء التي جرت العادة بانها لا تطلب الا
من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وان كان الطلب من الله على
سبيل التأثير والايجاد ومن غيره على سبيل التسبب والتكسب لكنه ربما أوهم تأثير غير الله تعالى
فمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الايهام والجواب ان هذا لا يقتضي المنع من التوسل مطلقا ولا
يقتضي منع الطلب اذا صدر من موحد فانه يحمل على المجاز العقلي بقرينة صدوره من موحد فلا
وجه لكونه حراما أو شركا فلو قالوا انه خلاف الادب وأجازوا التوسل وشرطوا فيه ان يكون بالادب
والاحتراز عن الالفاظ الموهمة لكان له وجه والمنع مطلقا لا وجه له ومن الادلة الدالة على صحة
التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ما ذكره العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفاء حيث
قال روى الدارمي في صحيحه عن أبي الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة
رضي الله عنها فقالت انظروا الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى
لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من
الشحم فسمي عام الفتق قال العلامة المراغي وفتح الكوة عند الجدب سنة أهل المدينة يفتحون كوة

عسر المسالك كثير المهالك فلما توسطوا بين هذين الجبلين وقد امتلأ سفلهما كالجراد المنتشر رموهم بالاحجار والصخور الكبار والصغار وأطلقوا عليهم المياه فصار مراد باشا وعسكره يخوضون في ذلك الماء وقد ازدحموا على محل الخروج وهو مكان ضيق سدته الجمال والاحمال وليس لهم منعة ولا لهم نجاة ولا لخيلهم قوة ولا قدرة على الجولان فاستمر القتل وقتل منهم من دنا أجله وخرج مراد باشا ومعه عشرون نفسا قد سلبتهم العربان وتركوا كل واحد منهم عريانا في اللباس وسار بنفسه مكشوفا الى مسجد يقال له مضرح وعيون الماء تسرح اليهم وتطمع فوصل اليهم شيخ مضرح وكان له ثار قديم عند الامير كان من اتباع باشا سلب أباه لما افتتح عدن فصاح وثار وقتل مراد باشا وأرسل (٢٤٧) رأسه الى مطهر وفيه دالامر امر [illegible] الى مطهر ولم يتلهف بل [illegible] هم في مطامير تحت الارض ومات بعضهم من الضيق والاختناق وخلص من له بقية عمر بعد ذلك واستمر أمر المطهر يأخذ بلاد جبال اليمن الى أن أخذوا صنعاء وثلا وحصن حب وعدن ونكروا عن آخرهم [illegible] الله بالاولياء والصالحين [illegible] قبله من الاروام [illegible] بالتهم [illegible] لاهل زبيد ومعه [illegible] زبيد [illegible] لاخذها علي بن شويع ومعه فوق خمسين ألف مقاتل وحل خارج زبيد فخرج اليه بقية العسكر السلطاني وهم نحو مائتي فارس وبرز والقتال هذا الجم الغفير وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين وحملوا على علي بن شويع وقد ألقوا أنفسهم في [illegible] فرأت [illegible] ودرعا [illegible] وسقط من فرسه في هروبه [illegible] جماعة من الاسباهية أرادوا قتله فلحقه عبد من عبيده بفرس فركب وهرب ونجا بنفسه لا نجاه الله وسمع من مقابر زبيد أصوات مدافع ترمى عليهم من غير أن يرى شخص فنصر الله المؤمنين على أولئك الملحدين في الدين وقتل منهم ما لا يعلم عدده الا الله تعالى وغنمت العساكر [illegible] وأحمالهم وأثقالهم وولوا على أدبارهم أجمعين ولم يقدموا بعد ذلك على زبيد كانما عليها حصن من حديد من عند الله العزيز الحميد فلما أحاطت العلوم السلطانية بما وقع من هذا الاختلال في اليمن برزت الاوامر السلطانية الشريفة الى بكلربكي مصر يومئذ الوزير المعظم نظام العالم صاحب السيف والقلم مدبر مصالح جماهير الانام فاتح ممالك اليمن الايمن من كوكبان الى عدن وفاتح قلاع حلق الواد وآخذ بلاد تونس الغرب دافع الكفر عنها والمحن ليث

في أسفل الحجرة وإن كان السقف حائلا بين القبر الشريف والسماء. قال السيد السمهودي [illegible] اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف والاجتماع هناك وليس القصد الا التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستشفاع به الى ربه لرفعة قدره عند الله تعالى وقال أيضا العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفا ان التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسيرة السلف الصالحين وذكر كثير من علماء المذاهب الاربعة في كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبي صلى الله عليه وسلم انه يسن للزائر أن يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله تعالى في غفران ذنوبه وقضاء حاجته ويستشفع به صلى الله عليه وسلم قالوا ومن أحسن ما يقول ما جاء عن العتبي وهو مروي أيضا عن سفيان بن عيينة وكل منهما من مشايخ الشافعي رضي الله عنه قال العتبي كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول وفي رواية يا خير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي وفي رواية واني جئتك مستغفرا بك من ذنوبي ثم بكى وأنشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه • فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه • فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال ثم استغفر وانصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا عتبي الحق الاعرابي فبشره ان الله غفر له فخرجت خلفه فلم أجده وليس محل الاستدلال الرؤيا فانها لا تثبت بها أحكام لاحتمال حصول الاشتباه على الرائي في الكلام كما تقدم ذلك وانما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا للزائر الاتيان بما تقدم ذكره قال العلامة ابن حجر في الجوهر المنظم وروى بعض الحفاظ عن أبي سعيد السمعاني أنه روى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم اعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وحثى ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزل عليك قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي الى ربي فنودي من القبر الشريف انه قد غفر لك وجاء ذلك عن علي أيضا من طريق أخرى ويؤيد ذلك ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من قوله حياتي خير لكم تحدثون وأحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت لكم ومما ذكره العلماء في آداب الزيارة انه

مرين الوطيس اقترسا وأشدهم بأسا وباشا الوزير المعظم سنان باشا أنعش الله به الوجود والدين الحنيفي انعاشا وأيد بتعميره
أهل السنة السنية وفرش الارض بعدله فراشا فانه أسد ضرغام وليث قمقام وحسام صمصام وكريم محسن فائض الجود
والاكرام جواد بذول لم يضن الهلال الا ليكون نعلا لا في حافر جواده ولا مدت الثريا كف الخضيب الا لتمسك بذيل افضاله
وامداده ولا قصت الروى أذواقها الا لتنطق بمدحه ألسنة الاقلام ولا سرا الحبر بياض الطروس الا ليشير أن الليالي والايام له من
جملة الخدام طالما طوق الاعناق أطواقا من الافضال والانعام كأنها أطواق الحمام وكثيرا ما أحسن الى العلماء والصلحاء
من جيران بلد الله الحرام وجيران سيد الانبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام

وكنت ممن شملني بره وانعامه ووصل الي في أكثر الايام احسانه واكرامه فقلدت ذكر محاسنه في صفحات الكتب ورقمت كرائم صفاته في صفحات الاوراق لا تخلقها الجديدان ولا يبليها الدهر الغدار وكتبت باسمه الشريف تاريخا حافلا سميته البرق اليماني ذكرت فيه أحوال اليمن من سنة تسعمائة واستيلاء حسين الكردي وطائفة الجراكسة ثم الاسوند الى زمن الفتح العثماني على يد أبي زيد سليمان باشا ثم استيلاء الزيديين على جيرتن مطهر ابن شرف الدين ثم الفتح العثماني ثانيا على يد الوزير المعظم سنان باشا أدام الله نصره وجلاله وخلد سعادته واقباله على سبيل التفصيل وكنت صدرت ذلك التاريخ بقصيدة طنانة من نظمي الطنان صارت بها الركبان وتلقتها بالقبول أدباء علماء البلدان أحببت ايرادها هنا لاغتنام الدعاء عند علماء
البيان وفصحاء اللسان تسابق ألفاظها ومعانيها الى الآذان والاذهان تسابق أفراس الرهان يعد كل بيت منها بديوان
وتسحب كل كلمة منها أذيال البلاغة على سحبان وهي هذه لك الحمد يا مولاي في السر والجهر على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت به الهمم العليا الى شرف الذكر جنود رمت في كوكبان خيامها وآخرها بالنيل من شاطئ مصر
يجر من الابطال كل غضنفر بصارمه يسطو على مفرق الدهر عساكر سلطان الزمان مليكنا خليفة هذا العصر في البر والبحر
حمى حوزة الدين الحنيفي بالقنا وبيض المواضي والمثقفة السمر له في سرير الملك أصل مؤثل متلقا عن أسلافه السادة الغر

يستحب أن يجدد الزائر التوبة في ذلك الموقف الشريف ويسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها توبة
نصوحا ويستشفع به صلى الله عليه وسلم الى ربه عز وجل في قبولها ويكثر الاستغفار والتضرع بعد
تلاوة قوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله
توابا رحيما ويقولون نحن وفدك يا رسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك
والاستشفاع بك مما أثقل ظهورنا وأظلم قلوبنا فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا
رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا عند ربك واسأله أن يمن علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا في
زمرة عباده الصالحين والعلماء العاملين وفي الجوهر المنظم أيضا ان اعرابيا وقف على القبر
الشريف وقال اللهم ان هذا حبيبك وأنا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لي سر حبيبك وفاز
عبدك وغضب عدوك وان لم تغفر لي غضب حبيبك ورضي عدوك وهلك عبدك وأنت يا رب أكرم
من أن تغضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك عبدك اللهم ان العرب اذا مات فيهم سيد اعتقوا على
قبره وان هذا سيد العالمين فاعتقني على قبره يا أرحم الراحمين فقال له بعض الحاضرين يا أخا
العرب ان الله قد غفر لك بحسن هذا السؤال وذكر علماء المناسك أيضا ان استقبال قبره الشريف
صلى الله عليه وسلم وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة قال العلامة المحقق الكمال بن
الهمام ان استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة وأما ما نقل عن الامام أبي حنيفة
رضي الله عنه ان استقبال القبلة أفضل فرد ودعا رواه الامام نفسه في مسنده عن ابن عمر رضي
الله عنهما انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة وسبقه الى ذلك ابن جماعة
فنقل استحباب استقبال القبر الشريف عن الامام أبي حنيفة أيضا ورد قول الكرماني انه يستقبل
القبلة وقال ليس بشئ قال في الجوهر المنظم ويستدل لاستقبال القبر أيضا باتفاقهم على أنه صلى
الله عليه وسلم حي في قبره يعلم زائره وهو صلى الله عليه وسلم لو كان حيا لم يسع الزائر الا استقباله
واستدبار القبلة فكذا يكون الامر حين زيارته في قبره الشريف صلى الله عليه وسلم واذا اتفقوا في
المدرس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة ان الطلبة يستقبلونه ويستدبرون الكعبة
فبالك به صلى الله عليه وسلم فهذا أولى بذلك قطعا وقد تقدم قول الامام مالك رحمه الله للمنصور
ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به قال
العلامة الزرقاني في شرح المواهب ان كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له
مستدبر القبلة ثم نقل عن مذهب الامام أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله تعالى والجمهور مثل ذلك
وأما مذهب الامام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم انه يستقبل
القبر

ملوك تساموا للعلا وخلائقه ٭ أولو العزم في أزمانهم وأولو الأمر ٭ تعوض نقيض الدور عنه وغيابها من الكفر منهم مستضيئا بالبدر
هم ملؤا عين الزمان وقلبه ٭ فقرت عيون العالمين من البشر ٭ هم العقد من اعلى اللآلي منظما ٭ وسلطاننا في الملك واسطة الدر
شهنشاه سلطان الملوك جميعهم ٭ سليم كريم أصله طيب الفخر ٭ عماد ملوك المسلمين بطبه ٭ وسد منيع للأنام من الكفر
وعين آنا ان قد اختل جانب ٭ من الدين الاقصى أصر على القهر ٭ وساق لها جيشا خبيرا عرمرما ٭ ملأ جبال الارض في السهل والوعر
لهم أسد شاكى السلاح عرينه ٭ طوال الرماح السمهرية والبتر ٭ وزير عظيم الشان ثاقب رأيه ٭ يجهز في آن جيوشا من الفكر
يقوم باعباء الوزارة قومه ٭ يسد جيوش الدين بالايد والازر ٭ أبادله بالناس كاصرة العدا ٭

القبر الشريف كيفية المذاهب وكذا القول في التوسل فان المرجح عند المحققين منهم جوازه بل استحبابه لصحة الاحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقا لما عليه أهل المذاهب الثلاثة وأما ماذكره الالوسي في تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه انه منع التوسل فهو غير صحيح اذلم ينقله عن الامام أحد من أهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر فاياك ان تغتر بذلك وقد بسط الامام السبكي نصوص المذاهب الاربعة في استحباب التوسل في كتابه المسمى شفاء السقام في زيارة خير الانام فراجعه ان شئت وفي المواهب اللدنية للامام القسطلاني وقف اعرابي على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف ياهذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع الخلق يعني من المؤمنين اذهب فقد أعتقناك ثم أنشد القسطلاني أحد البيتين المشهورين وشارحه الزرقاني البيت الآخر وهما

ان الملوك اذا شابت عبيدهم ٭ في رقهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنت ياسيدي أولى بذا كرما ٭ قد شبت في الرق فاعتقني من النار

ثم قال في المواهب وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يارب انا زرنا قبر نبيك صلى الله عليه وسلم فلا تردنا خائبين فنودي ياهذا ما أذنا لك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم وقال ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال صلى الله عليك يامحمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يافلان ولم تسقط له حاجة قال الشيخ زين الدين المراغي وغيره الاولى أن يقول صلى الله عليك يارسول الله بدل قوله يامحمد الا في عن ندائه باسمه حيا وميتا وابن أبي فديك من أتباع التابعين وكان من الائمة الثقات المشهورين وهو من المروي عنهم في الصحيحين وغيرهما من كتب السنن قال الزرقاني في شرح المواهب اسمه محمد ابن اسمعيل بن مسلم الديلي مات سنة مائتين على الصحيح وهذا الذي نقله في المواهب عن ابن أبي فديك رواه عنه البيهقي وفي شرح المواهب للزرقاني ان الداعي اذا قال اللهم اني أستشفع اليك بنبيك يانبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له فقد اتضح لك من هذه النصوص المروية عن سلف الامة وخلفها ان التوسل به صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة منه وزيارته ثابتة عنهم وانها من أعظم القربات وان التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه في حياته وبعد وفاته ويكون أيضا بعد

وانكنها بالجود جابرة الكسر
به أمن الله البلاد وطمن الـ ٭ ـعباد وأقصى الدين منشرح الصدر
سلطان عزيز القدر يوسف عصره ٭ العزيز في مصر أحكامه تجري
تدل الى أقصى البلاد جيشه ٭
ومهد ملكا قد غرق بالنشر ٭ وشتت شمل الحاسدين وردهم
مثال ورود في الجبال من الذعر ٭ وقطع روسا من كان روسهم
اليهم بأن السرجان والنير كالقمر ٭
وكان عصى موسى تلقف كلما ٭ بدا من صنيع الملحدين من السحر
ولازال فيهم عاملا الرمح عاملا ٭ ولا برحوا في الذل بالقتل والاسر
وما عن الاسلام بات تبع

٭ وناهيك من ملك قديم ومن قدر ٭ وقد ملكها آل عثمان اذ مضت ٭ بنو طاهر أهل الشهامة والذكر
فهل يطمع الزيدي في ملك تبع ٭ ويأخذه من آل عثمان بالمكر ٭ أبى الله والاسلام والسيف والقنا ٭ وسر أمير المؤمنين أبي بكر

﴿ولما تم الفتح الخاقاني العثماني في القطر اليماني﴾ عاد الوزير المعظم الى بلد الله المكرم وحج حجة الاسلام وزار المزارات العظام وصادف الحج الاكبر وكانت الوقفة الشريفة يوم الجمعة أفضل الايام وأثر ببلد الله الحرام أنواع الخيرات والانعام وأحسن الى أهل الحرمين الشريفين ومن حضر فيهما من حجاج الانام وقابل شرفاء مكة أدام الله عزهم وسعادتهم بالاعزاز والاحترام ٭ فمن آثاره الظاهرة في المسجد الحرام ٭ تعميره حاشية المطاف وكانت من بعد أساطين المطاف الشريف دائرة حول المطاف مفروشة

بالحصى يدور بها دورحجارة منحوتة مبنية حول الحاشية بالحجر الصوان المنحوت ففرشت به في أيام الموسم وصار محلا لطيفا دائرا بالمطاف من بعد أساطين المطاف وسائر ما بعد ذلك مفروشا بالحصى الصغار كسائر المسجد خاص بذكر الله بالصالحات وأدام له العز والسعادات • ومنها تعمير سبيل في التنعيم أنشأها وأمر بإجراء الماء اليها من بئر بعيدة عنها يجري الماء منها الى السبيل في ساقية مبنية فيما بينهما بالجص والنورة وعين لها خادما يستقي من البئر ويصب في الساقية فيصل الماء الى السبيل يشرب منه و يتوضأ به المعتمرون والواردون والصادرون و يدعون له بالنصر والتأييد وعين مصاريف ذلك من ريع أوقافه بمصر • ومنها آبار أمر بحفرها بقرب المدينة المشرفة لقوافل الزوار في وادي مفرح وغيرها كثيرة النفع جدا ومنها قراءة ختمة شريفة كل يوم يقرؤها ثلاثون نفرا بمكة وأخرى بالمدينة المشرفة وعين لكل قارئ جزاء في كل سنة تسعة دنانير ذهبا وكذلك لمفرق الاجزاء والداعي ولشيخ القراء وعين مصارف ذلك جميعه من أوقافه الآن من محروسة مصر عمرها الله تعالى وجعل ناظرها والمتكلم عليها وعلى سائر ما عينه من الخيرات سيدنا ومولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام سلالة آل النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بدر الملة والدين السيد القاضي حسين الحسيني أدام الله عزه وإقباله وضاعف سعادته وإجلاله وكل هذه الخيرات باقية جارية الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى • وأما الحاق الواد وبلاد تونس الغرب فهي من أجل الفتوحات العثمانية وأعظم فتوحاتهم الكبيرة العلية الواقعة في أيام السلطان الاعظم العثماني السلطان سليم خان الجوهر الثاني رحمه الله رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة ومتعه بالنظر الى وجهه الكريم ومنحه لذات جنة النعيم • وبيان ذلك أن سلاطين تونس الغرب من آل حفص لما ضعفوا ووهنوا ووقع بينهم الاختلاف صار بعضهم يلتجئ الى نصارى الافرنج و يأتي بجنود الكفرة يستعين بهم على أخذ تونس وصار الافرنج يقاتلون من في تونس من المسلمين و يقتلونهم و يسبون أولادهم ونساءهم و ينهبون أموالهم... و ينزون الاقلاع في تلك البقاع ويواصلون بجنود النصارى الى بلاد المسلمين ويولون من تحت أيديهم سلطانا من ذوي حفص سلاطين تونس قديما على بلاد تونس ومن بها من المسلمين الى أن صار المسلمون تحت حكم النصارى وعم أذاهم على المسلمين وانفردوا عنهم

البعث في عرصات القيامة وأحاديث التوسل به يوم القيامة في الصحيحين وغيرهما فلا حاجة الى الاطالة بذكرها فبطل بما ذكرناه من النصوص جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب وما افتراه ولبس به على المؤمنين قال في المواهب ورحم الله ابن جابر حيث قال

به قد أجاب الله آدم اذ دعا • ونجي في بطن السفينة نوح

وما ضرت النار الخليل لنوره • ومن أجله نال الفداء ذبيح

ثم قال في المواهب فالتوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصا قال وفي كتاب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام للشيخ ابن عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ثم ذكر في المواهب كثيرا من البركات التي حصلت له ببركة توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي به وأنشد أبياتا أولها

أتيناك والعذراء يدمى لبانها • وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

الى أن قال في تلك الابيات

وليس لنا الا اليك فرارنا • وأين فرار الخلق الا الى الرسل

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم هذا البيت بل قال أنس لما أنشد الاعرابي الابيات قام يجر رداءه حتى رقي المنبر فخطب ودعا لهم فلم يزل يدعو حتى أمطرت السماء وهو على المنبر وفي صحيح البخاري انه لما جاء الاعرابي وشكي للنبي صلى الله عليه وسلم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر فقال صلى الله عليه وسلم لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر انشاد البيت ولا قوله يستسقى الغمام بوجهه ولو كان في ذلك أمر الا لانكره ولم يطلب انشاده وكان سبب انشاء البيت من أبي طالب من جملة قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ان قريشا أصابهم قحط فاستسقى بهم أبو طالب وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم فاغيث ودنى عليهم السحاب بالمطر وكان ذلك قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فانشأ أبو طالب تلك القصيدة وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن قال في

ويتوالفتنة عظيمة محكمة الاتقان مشيدة البنيان بقرب تونس في موضع يقال له حلق الواد كأنه بناء شداد أو من صنع العاديين من قبائل عاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد بآلات الحرب والقتال وصارت النصارى تكمن فيها للمسلمين ويرسلون منها المراكب والاغربة في البحر على بلدان المؤمنين الموحدين ويقطعون الطريق قتلا وأسرا ونهبا وسلبا الى أن تعدى ضررهم على طوائف أهل الاسلام وزاد فساد أهل الصليب على ضعفاء المسلمين من الانام • وكبير النصارى الآن صاحب اشبيلية من جزيرة الاندلس أعادها الله تعالى دار الاسلام ببركة النبي سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام ويسمونها العوام اسبانية تحريفا للكلمة اشبيلية جهز جيشا كثيفا لاخذ تونس ودلس على ذلك سلطان تونس أحمد بن حسن الحفصي خانه الله تعالى بسوء فعله بما بصنعته وأخذ النصارى مملكة تونس ووضعوا السيوف في أهلها فقتلوا الرجال وسبوا الاولاد والنساء والاطفال وباء أحمد المذكور بإثمه واسود في صحائف الليالي والايام ديباجة وجهه واسمه وانقلب خاسئا مدحورا وانخلع عن ربقة الدين وازداد خيبة وكفورا وتنفرت قلوب المسلمين منه وزادت نفورا وكيف لا يكون كذلك وقد استعان على الكفر على الاسلام واستدعى عبدة الصليب والاصنام ينتصرهم على أهل ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وامتهن دار الاسلام تونس باقدام أولئك الكفرة اللئام والاعتصام بالله الكبير المتعال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وانتشرت هذه الاخبار المدهشة والانباء المظلمة الموحشة الى أن وصلت أبواب سلطان سلاطين الاسلام ظل الله الممدود على مفارق الانام مالك سهوة الملك من الذروة الى الغارب ملك الملوك من مشارق الارض والمغارب واسطة عقد ملوك آل عثمان المشمول بشمول المرحمة والمكرمة والغفران من الله الكريم المنان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان وأبقى السلطنة في عقبه الى انتهاء الزمان فلما طرق سمعه الشريف هذا الحادث الرجيف وعلم ما أصاب أهل الاسلام من هذه المصائب العظام والامتهان الذي قصم الظهور وأوهن العظام استشاط غيظا وغضبا واضطرمت نار حميته وتأججت لهبا وتحركت العصبية الاسلامية والتهبت نيران الحمية العثمانية وقام وقعد وأرغى وأزبد وأبرق وأرعد

الجوهر المنظم فاذا كان له صلى الله عليه وسلم هذا الفضل والخصوصية فأولى أن يتوسل به وذكر القسطلاني في شرحه على البخاري عن كعب الاحبار ان بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا بأهل بيت نبيهم فعلم بذلك أن التوسل مشروع حتى في الامم السابقة وقال السيد السمهودي في خلاصة الوفا العادة جرت ان من توسل عند شخص بمن له قدر عنده يكرمه لاجله ويقضي حاجته وقد يتوجه بمن له جاه الى من هو أعلى منه واذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين أووا الى غار فأطبق عليهم فتوسل كل واحد منهم الى الله تعالى بأرجى عمل له فانفرجت الصخرة التي سدت الغار عليهم فالتوسل به صلى الله عليه وسلم أحق وأولى لما فيه من النبوة والفضائل سواء كان ذلك في حياته أو بعد وفاته والمؤمن اذا توسل به انما يريد نبينا الذي جمعت فيه الكمالات وهؤلاء المانعون للتوسل يقولون بجواز التوسل بالاعمال الصالحة مع كونها اعراضا فالذوات الفاضلة أولى فان عمر رضي الله عنه توسل بالعباس رضي الله عنه وأيضا الوسيلة هي ذلك فنقول لهم اذا جاز التوسل بالاعمال الصالحة فما المانع من جوازها بالنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح في الحال والمآل مع ما ثبت من الاحاديث الدالة على ذلك وعلى الاذن فيه ومثله سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين وكذا الاولياء وعباد الله الصالحون لما فيهم من الطهارة القدسية ومحبة رب البرية وحيازة أعلى مراتب الطاعة واليقين والمعرفة لله رب العالمين وذلك كله بسبب كونهم من عباد الله المقربين فيقضي سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين وينبغي أن يكون ذلك التوسل مع الادب الكامل واجتناب الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى ومن ادلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضي الله عنه التي رواها الطبراني في الكبير وفيها ان سواد بن قارب أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التي فيها

فأشهد ان الله لا رب غيره • وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة • الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل • وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة • بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله أدنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لي شفيعا وكذا من أدلة التوسل مرثية صفية رضي الله عنها عمة النبي صلى الله عليه وسلم فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات قالت فيها

وهدد وأوعد وخاطب الوزراء العظام والبكلربكية الكبراء الفخام وقال من يقدم منكم على نصرة الاسلام وإذلال عبدة الاصنام وينقذ من أسر من المسلمين بيد أولئك النصارى الطغام ويخرج من عهدة الكفار الفجرة اللئام فبادر الوزير المعظم والليث الغضنفر صاحب السيف والقلم فاتح ممالك اليمن الاعز الاكرم أبو الفتوحات المفخم لازالت ألويته أمره منشورة الذوائب مشرقة كالشمس تغشى ضوؤها المشارق والمغارب صاعدة الى أفق السماء حتى تزاحم مناكب الكواكب وقال أنا لهذه النازلة أنا لها أفرج كربتها وأقمع مفسدها وأصلح خللها وأزيل عللها ولم تدخر السلطنة الشريفة الخاقانية ومآثرها

العواطف الكريمة العثمانية الا لبذل أرواحنا وأموالنا في مثل هذه الحوادث وندفع عن المسلمين ما يصابون به من المصائب الكوارث فقابله السلطان الاعظم بالشكر منه والثناء عليه وشرفه بالالتفات الشريف السلطاني اليه وجعله سردار العساكر المنصورة وأمره أن يتوجه الى قهر النصارى المقهورة وأمر أن يتوجه معه لمساعدته ومعاونته ودفع ملالته وسآمته وضبط العساكر البحرية وترتيب السفن الحربية قپودان الباب العالي فارس ميدان البحر السابق الى قتلة أبراج المعاني الاسد الضرغام والليث القمقام والصارم الصمصام أمير الامراء العظام حضرة قلج علي قپودان باشا يسر الله له من الفتوحات ما يشا فشرعا في أخذ أسباب السفر وأخذا معهما من أمراء السناجق وأمراء العساكر كل أسد غضنفر وكل باسل معقود بناصيته أسباب النصر والظفر وعين له في حرب البحر اليد البيضاء والمعرفة التي يتصرف بها في الماء والهواء وشحنوا مائتي وما غراب تطير بأجنحة القلاع وتهدم عاليها من المدافع محكمات الحصون والقلاع وعدة من المؤنات المكار لحمل الاثقال ودفع الاحمال الثقال وحمل مكاحل النحاس لطلم الثغور وهدم السور والجسور الى الاساس وكثرة التخويف والترهيب وشدة القوة والبأس • وكان بروز العسكر المنصور من القسطنطينية العظمى يوما عظيما مشهودا وساعة مباركة أظهرت يمنا وبركة وسعودا وذلك غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وركب الوزير المعظم سردار العسكر حضرة سنان باشا والقپودان والعساكر المنصورة بنصر الله الملك الديان ثبج البحر كأنهم طوفان فوق طوفان وطارت بهم الاغربة على وجه البحر أقوى طيران

ألا يا رسول الله أنت رجاؤنا • وكنت بنا برا ولم تك جافيا

ففيها النداء مع قولها أنت رجاؤنا وسمع تلك المرثية الصحابة رضي الله عنهم ولم ينكر عليها أحد قولها يا رسول الله أنت رجاؤنا وقال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالخيرات الحسان في مناقب الامام أبي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالامام أبي حنيفة رضي الله عنه يجيء الى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به في قضاء حاجاته وقد ثبت توسل الامام أحمد بالشافعي رضي الله عنهما حتى تعجب ابنه عبد الله بن الامام أحمد من ذلك فقال له الامام أحمد ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن ولما بلغ الامام الشافعي ان أهل المغرب يتوسلون الى الله تعالى بالامام مالك لم ينكر عليهم وقال الامام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه من كانت له الى الله تعالى حاجة وأراد قضاءها فليتوسل الى الله تعالى بالامام الغزالي وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالصواعق المحرقة لاهل الضلال والزندقة ان الامام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي حيث قال

آل النبي ذريعتي • وهم اليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غدا • بيدي اليمين صحيفتي

• (ذكر دعاء يقال بين سنة الفجر وفرضه) •

وذكر العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي في كتابه المسمى مجمع الاحباب في ترجمة الامام أبي عيسى الترمذي صاحب السنن انه رأى في المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الايمان ويتوفاه عليه قال فقال لي قل بعد صلاة ركعتي الفجر قبل صلاة فرض الصبح الهي بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وأمه وأبيه نجني من الغم الذي أنا فيه يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك يا الله يا الله يا الله يا أرحم الراحمين فكان الامام الترمذي يقول ذلك دائما بعد صلاة الصبح ويأمر أصحابه به ويحثهم على المواظبة عليه فلو كان التوسل ممنوعا لما فعله هذا الامام ولا أمر بفعله والمواظبة عليه وهو امام حجة يقتدى به بل هذا الامر أعني التوسل لم ينكره قط أحد من السلف والخلف حتى جاء هؤلاء المنكرون وفي الاذكار للنووي ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر ان يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثا اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أجرني من النار قال في شرح الاذكار تخصيص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء والا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات فأفهم ذلك انه من التوسل المشروع وفي شرح حزب البحر للامام زروق بعد ذكر كثير من الاخبار اللهم انا نتوسل اليك بهم فانهم أحبوك

ثم القرا. وقالوا اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها حتى وصلوا الى مالوكلسامن مملكة البندقية ووصلوا في يوم الخميس خامس من شهر ربيع الاول كمبان اغير واستقروا بها ليلة الجمعة وأصبحوا متوجهين والسعد يخدمهم والنصر والظفر يرافقهم ويقدمهم وقد عبروا بسفائنهم أبا العمان وما أمكن لغيرهم من العساكر عبور العمان بهذه السفائن الكثيرة خوفا من تصادمها عند شدة تموج البحر ولكن الله يسلم من أراد لا دافع لمراده ولا راد وهو على كل شيء قدير فساروا تارة بالقلوع وتارة بالكورك على وجه ذلك البحر الوسيع الى أن ظهرت لهم في اليوم الثامن جبال فلاوريه واستمروا كذلك الى أن وصلوا وقت الظهر من اليوم التاسع طبرق حصاري وهو حصار منيع للكفار على ساحل البحر فلما وصلت العساكر المنصورة الاسلامية الى ذلك المكان حاربهم الكفار الملاعين فدهكهم العسكر المنصور دهكا ودكوا من تحت أرجلهم الارض دكا فهربت الكفار الى قلعة حصينة تسمى نجبة ووقع قتال عظيم استشهد فيه من رزق الشهادة وأعطاه الله في جهاده الحسنى وزيادة منهم حضرة كتخداى القابودان سنجق قره جه ايلي محمد بك نزل من سفينته مشتاقا الى الجهاد في سبيل الله فأصابته بندقة في يده نفذت من الجانب الآخر واستمر صاحب فراش خمسة أيام ونالت عليه الملائكة ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فانتقل الى رحمة الله تعالى شهيدا ثم رمى وقت المغرب مدفع لاعلام الغزاة بالعود الى سفائنهم للسير فحضروا وركبوا ورفعت القلاع وصاروا يسيرون تارة برفع القلع وتارة بالكورك الى أن وصلوا في اليوم الرابع عشر الى جزيرة صيدة استقر بها عسكر المسلمين ثم ساروا فلما وصلوا الى محاذاة حصار سراقول حصلت فرتونة في البحر تفرقت بسببها السفائن من الضحى الى آخر النهار ثم اجتمعت وقت العشاء في محل يقال له كير ثم مروا بمحل يقال له اباث غوصرت وهدمت قلعتها وقتل من بها من النصارى ثم ساروا فلاحت قلعة أولا ووصل اليها بعض العسكر المنصور ونهبوا ما وجدوا بها من الذخائر وقتلوا من ظفروا به من النصارى وعادوا الى سفائنهم وصاروا ينزلون كل يوم لاجل السقيه الى جانب من ساحل صقلية وكلما وصلت يدهم اليه من نهب وغارة وقتل وأسر لطائفة الكفار بادروا اليه وأسروا أقراهم ودورهم وبساتينهم وعادوا الى سفائنهم فاجتمع كل من في ذلك الساحل من النصارى من فارس وراجل

وما أحبوك حتى أحببتهم فصيفك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فبك فهم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا أرحم الراحمين

●(ذكر دعاء تنوير البصر)●

ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نور بصري وبصيرتي وسري وسريرتي وقد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر وان من ذكره عند الاكتحال نور الله بصره وذلك من الاسباب العادية وهي لا تأثير لها والمؤثر هو الله وحده لا شريك له فكما ان الله تعالى جعل الطعام والشراب سببين للشبع والري لا تأثير لهما والمؤثر هو الله تعالى وجعل الطاعة سببا للسعادة ونيل الدرجات جعل أيضا التوسل بالاخيار الذين عظمهم الله وأمر بتعظيمهم سببا لقضاء الحاجات فليس في ذلك كفر ولا شرك ومن تتبع أذكار السلف والخلف وأدعيتهم وأورادهم وجدها كلها مشتملة على التوسل ولم ينكر ذلك أحد عليهم حتى جاء هؤلاء المنكرون ولو تتبعنا ما وقع من أكابر الامة من التوسل لامتلأت بذلك الصحف وفيما ذكر كفاية وانما أطلت الكلام في ذلك لتتضح الامر للمتشكك غاية الاتضاح لان كثيرا من أتباع محمد بن عبد الوهاب يلقون الى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها الى اعتقادهم الباطل فعسى أن يقف على هذه النصوص من أراد الله حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت اليها ويقيم عليهم الحجة في ابطالها كما في الجوهر المنظم ولا فرق في التوسل بين ان يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الاستغاثة أو التوجه لان التوجه من الجاه وهو علو المنزلة وقد يتوسل بذي الجاه الى من هو أعلى منه جاها والاستغاثة طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره وان كان أعلى منه فالتوجه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين غير ذلك ولا يقصد بهما أحد منهم سواه فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه نسأل الله العافية والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى وأما النبي صلى الله عليه وسلم فهو واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة والغوث منه خلقا وايجادا والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث به مجازا والغوث منه تسببا وكسبا فهو على حد قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى أي وما رميت خلقا وايجادا اذ رميت تسببا وكسبا ولكن الله رمى خلقا وايجادا وكذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم وكثيرا ما تجيء السنة لبيان الحقيقة ويجيء القرآن الكريم باضافة الفعل الى مكتسبه ويسند اليه مجازا كقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله مع قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فالآية بيان للسبب

فسار واعسكرا وأقدموا على قتال من نزل من المسلمين فخرج اليهم من السفائن بعض البحارين والكروجية وبعض من في نيته الجهاد في سبيل الله فقاتلوا الكفار وهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وفر الباقون ولم يعهد للملاعين مثل هذه الهزيمة والخسران وذهاب أرواحهم وأموالهم وأسر أولادهم ونسائهم قبل الآن ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ثم أطلق المسلمون النار في تلك السواحل وأحرقوا أشجارها ودورها وقصورها وعجلوا بأهلها الى نار جهنم وساءت مصيرا * وفي اليوم السادس عشر من شهر ربيع الاول ظفر عسكر الاسلام بسفينة للنصارى مشحونة بالقمح كانت متوجهة الى بعض قلاعهم فاغتنم المسلمون ذلك وكان آخذها فألا حسنا للمسلمين وفي اليوم (٢٥٤) الثامن عشر من الشهر المذكور وصلوا جهودا رامى وطاب الريح للمسلمين فوصلوا الى قلعة خراب في قرب تونس قريبا من قاليسة وهي على غاية عشر ميلا من مدينة تونس فربطت السفائن والاغربة بالزايات المصبوغة ألوانا اظهارا للهيبة الاسلام ونزلوا بالعساكر المنصورة وأرسوا في اليوم الرابع والعشرين في جزيرة حلق الواد ونزلت العساكر المنصورة السلطانية ونصبت وطاق حضرة الوزير المعظم والقابودان المكرم على مسافة لا يصل اليها المدافع ونزلوا المدافع الكبار التي اذا رمى بها تزلزل الجبال وتهدمها وتخرب الاطواد الكبار وتحطها وشرعوا يتقربون قليلا قليلا الى القلعة ويبنون لهم متاريس يتسترون بها ويسوقون الاتربة أمامهم ويتسترون خلفها ويحفرون خنادق بها كيلا تصيبهم المدافع ويتقدمون ويدنون من القلعة على هذا الاسلوب الى أن أحاطت العساكر دع

المنصورة بقلعة الخنيقات والمدافع ووجهت الى حروب الكفرة أفواه المكاحل الكبار والمصانع وبرز حضرة الوزير المعظم سنان باشا محفوفا بنصر الله يخوض حول الموت وهو رابط جأشا بانفسه في سبيل الله معتمدا على عون معين نصير نجيد لعظمته الجبار وأقدمت العساكر المنصورة بصدق اعتقادها وثبتت النصارى بغلظ أكبادها من أشد الصواعق وأخطف للابصار والاسماع من الرعود والبوارق تخطف ما صدفت من النفوس والارواح وتحرق ما صادفت من الهياكل والاشباح وتفسخ اللحم من العظم وتذيب الشحم وتسيل الدم والعساكر المنصورة مقدمون على هذه الاهوال ثابتون ثبات الاطواد والجبال

العادي الذي لا تأثير له والحديث بيان للسبب الحقيقي وهو فضل الله تعالى وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب أمر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعا فاذا قلت أغثني يا الله تريد الاسناد الحقيقي باعتبار الخلق والايجاد واذا قلت أغثني يا رسول الله تريد الاسناد المجازي باعتبار الكسب والتوسط والتسبب بالشفاعة ولو تتبعت كلام العلماء والائمة لوجدت شيأ كثيرا من ذلك ومنه ما مر في صحيح البخاري في مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة بينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فتأمل تعبيره صلى الله عليه وسلم بقوله استغاثوا بآدم فان الاسناد مجازي اذ المستغاث به حقيقة هو الله تعالى وصح عنه صلى الله عليه وسلم لمن أراد عونا أن يقول يا عباد الله أعينوني وفي رواية أغيثوني وجاء في قصة قارون لما خسف به أنه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه وصار يقول يا أرض خذيه فعاتبه الله تعالى حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لاغثته واسناد الاغاثة الى الله تعالى اسناد حقيقي والى موسى عليه السلام مجازي وقد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه اذ هو حي صلى الله عليه وسلم يعلم سؤال من يسأله وقد تقدم حديث بلال بن الحرث رضي الله عنه المذكور وفيه أنه جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك أي ادع الله لهم فعلم أنه صلى الله عليه وسلم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه في حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل فيه بسؤاله ودعائه وشفاعته الى ربه عز وجل وانه صلى الله عليه وسلم يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته وكذا في عرصات القيامة فيشفع الى ربه وكل هذا مما تواترت به الاخبار وقام به الاجماع قبل ظهور المانعين منه فهو صلى الله عليه وسلم له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه وأولاه وأما تخيل بعض المحرومين ان منع التوسل والزيارة من المحافظة على التوحيد وان فعل ذلك مما يؤدي الى الشرك فهو تخيل فاسد باطل فالتوسل والزيارة اذا فعل كل منهما مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدي الى محذور البتة والقائل بمنع ذلك سدا للذريعة متقول على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وكان هؤلاء المانعين للتوسل والزيارة يعتقدون أنه لا يجوز تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم فمتى صدر من أحد تعظيم له صلى الله عليه وسلم حكموا على فاعله بالكفر والاشراك وليس الامر كما يقولون فان الله تعالى عظم النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بأعلى أنواع التعظيم فيجب علينا أن نعظم من عظمه الله تعالى وأمر بتعظيمه نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية ورحم الله الشيخ الابوصيري حيث قال

على الحرب والقتال اذ وصل الخبر بوصول بكلربكي تونس المولى عليها من قبل السلطنة الشريفة العثمانية السلطانية أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء الفخام والمجاهدين العظام حيدر باشا وكذلك بكلربكي طرابلس الغرب أمير الأمراء الكرام كبير الكبراء المجاهدين العظام ذو القدر والعظمة والاحتشام مصطفى باشا أيدهما الله تعالى بالنصر والتأييد وظفرهما على كل كافر عنيد وكانا وصلا قبل وصول العمارة السلطانية من البر الى مقدار نصف يوم من تونس بقصد محاصرتها وأخذها فلما علم البكلربكيان بوصول العمارة السلطانية الى حلق الواد واشتغال العسكر المنصور السلطاني بالجهاد وصلا الى الخدمة مع قبائل من العربان الى وطاق سردار العمارة المنصورة الوزير المعظم الباشا سنان واجتماعه وفرح كل منهما كمال الفرح وحصل له الاطمئنان بطلائعه الامداد والاعانة على أخذ تونس وما أمكن الوزير المعظم سنان باشا أن يتوجه معهما بنفسه فأمر طائفة من أمرائه وعين نحو ألف نفر من التفكجية وبعض المدافع الكبار والضربزانات أن يتوجهوا مع البكلربكيين من السناجق فخر الأمراء العظام ابراهيم بك من سناجق مصر وسنجق قرستي محمود بك وسنجق قره حصار ... بك ومقدار ألفي نفر من طائفة كوكللوا مع أغاهم حبيب بك فتوجهوا في الحال مع حيدر باشا ومصطفى باشا وأحاطوا بتونس وكان سلطانها الموالس مع النصارى أحمد الحفصي ومن معه من النصارى ورأوا أنهم عاجزون عن حفظ تونس لأنها ورأوا أن قلعتها أيضا خراب متهدمة لا تصونهم فخرجوا من تونس الى مرحلة بقربها يقال لها ... بحر الرمل وعملوا بها حصارا من الخشب حشوه بالتراب وتحصنوا فيه وكانوا نحو سبعة آلاف مقاتل ما بين كفار ومرتدين ومردة من النصارى المخذولين وشحنوا هذا الحصار بآلات الحرب والمدافع والذخيرة ونحو ذلك فلما خلت تونس من أعداء الدين فدخلها عساكر المسلمين وضبطوها وحصنوها ثم برزوا الى قتال أولئك الملاعين وحاصروهم في قلعتهم التي أحدثوها وأحكموها بالأخشاب والألواح والطين وأرسلوا خبر ذلك الى سردار عسكر المسلمين الوزير المعظم سنان باشا فأرسل لنصرتهم وامدادهم وإعانتهم القابودان المعظم والبكلربكي المفخم قلج علي فتوجه بطائفة من المسلمين من العساكر المنصورة السلطانية الى اعانة بكلربكي تونس حيدر باشا وبكلربكي طرابلس الغرب

دع ما ادعته النصارى في نبيهم • واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والاشراك بل ذلك من أعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظمه الله تعالى كالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال الله تعالى ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب وقال تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ومن ذلك الكعبة المعظمة والحجر الأسود ومقام ابراهيم عليه السلام فإنها أحجار وأمرنا الله تعالى بتعظيمها بالطواف بالبيت ومس الركن اليماني وتقبيل الحجر الأسود وبالصلاة خلف المقام وبالوقوف للدعاء عند المستجار وباب الكعبة والملتزم ونحن في ذلك كله لم نعبد الا الله تعالى ولم نعتقد تأثيرا لغيره ولا نفعا ولا ضرا فلا يثبت شيء من ذلك لأحد سوى الله تعالى والحاصل ان هنا أمرين أحدهما وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق والثاني افراد الربوبية واعتقاد ان الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للأصنام واستحقاقها العبادة ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر وأما من بالغ في تعظيمه بأنواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الباري عز وجل فقد أصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعا وذلك هو القول الذي لا افراط فيه ولا تفريط واذا وجد في كلام المؤمنين اسناد شيء لغير الله تعالى يجب حمله على المجاز العقلي ولا سبيل الى تكفيرهم اذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة فمن ذلك قوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فاسناد الزيادة الى الآيات مجاز عقلي لأنها سبب في الزيادة والذي يزيد حقيقة هو الله تعالى وحده وقوله تعالى يوما يجعل الولدان شيبا فاسناد الجعل الى اليوم مجاز عقلي لأن اليوم محل لجعلهم شيبا فالجعل المذكور واقع في اليوم والجاعل حقيقة هو الله تعالى وقوله تعالى ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا فاسناد الاضلال الى الاصنام مجاز عقلي لأنها سبب في حصول الاضلال والهادي والمضل هو الله تعالى وحده وقوله تعالى حكاية عن فرعون يا هامان ابن لي صرحا فاسناد البناء الى هامان مجاز عقلي لأنه سبب آمر فهو يأمر ولا يبني بنفسه والباني انما هم الفعلة وأما الأحاديث ففيها الشيء الكثير يعرفه من وقف عليها وكان ممن يعرف الفرق بين الاسناد الحقيقي والمجازي فلا حاجة الى الاطالة بنقلها وقال العلماء ان صدور ذلك الاسناد من موحد كاف في حمله على المجاز لأن الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد ان الخالق للعباد وأفعالهم هو الله وحده فهو الخالق للعباد وأفعالهم لا تأثير لأحد سواه لا لحي ولا لميت فهذا

مصطفى باشا ومن جهز معهم من العساكر ساقاوهم محيطون بالقلعة التي تحصنوا بها الكفار الاشقياء والعربان المرتدون فرأى قلج علي باشا صعوبة أخذ القلعة لكثرة من فيها من المقاتلة وطلب عسكرا آخر وعددا ومدافع أخر من الوزير المعظم سنان باشا فارسل له ألف ينكجري وخمسمائة اسباهي ومن سلحدارية الباب العالي علي أغا وجهز معهم ثمانية مدافع وستة ضربزن ولحقوا بالقاپودان قلج علي باشا وأحاطوا بقلعة الكفار وبنوا المتاريس من كل جانب ومع ذلك كانت الكفرة والملاعين ومن ارتد منهم من عربان تونس في غاية الكثرة والقوة ومعهم الخيول فخرجوا من القلعة مرارا وهجموا على عساكر المسلمين عند المتاريس في جهة من جهات القلعة وقاتلوا المسلمين قتالا شديدا وعادوا الى قلعتهم واستشهد في ذلك كثير من المسلمين وانتقلوا الى رحمة الله تعالى في أعلى عليين فلما بلغ حضرة الوزير المعظم ما فيه عساكر المسلمين من الشدة جاء بنفسه اليهم فان المسافة قريبة وعساكر السلطنة محيطة بقلعة حلق الواد والحرب قائم على حاله فتوجه حضرة الوزير الى تلك القلعة المحصورة بقرب تونس وشاهدها ووزع على جوانبها عساكر المسلمين وقوى جاشهم وعين في كل موضع طائفة وأشار على القپودان والكلر بكيه بما رأى فيه الصواب وطمنهم وشد قلوبهم وعاد من يومه الى حلق الواد لاحتياج عساكر المسلمين اليه في هذه الجهة أيضا واستمر كل من الفريقين على مجاهدة الكفار وهم على الثبات والقرار لا يسأمون من مصادمة النار ولا يخافون من الموت لانهم قادمون على جنة الخلد وملك لا يبلى طالبون درجة الشهادة من الله العلي الاعلى ٭ ووصل في هذا الاثناء في بكلربكي الجزائر سابقا أمير الامراء العظام أحمد باشا لاعانة عسكر الاسلام وأقبل على حضرة الوزير المعظم واستأمر لما يأمره به فاعطاه عدة من المدافع وعين له جهة الجنوب من حلق الواد فتوجه اليه وبنى المتاريس عليها وجاهد في الله حق جهاده وأقدم على قتال الكفار وألقى الى الحرب مقاليد قياده فوصل العسكر المنصور الى حافة خندق الكفار بعد أربعة عشر يوما وبنوا على حافته المتاريس وكان الكفار قد نقبوا تحت الارض نقباطويلا وصلوا به الى موضع كان كبرلنجانه وفيه قلة برج يصلح للتحصين فوصلوا اليه من تحت الارض وملؤه من الرجال وآلات الحرب ففطن المسلمون لذلك وكان قريبا من الجانب الذي فيه حضرة الوزير

الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غيره فانه يقع في الاشراك وأما الفرق بين الحي والميت مع اعتقاد ان الحي يخلق أفعال نفسه فهو اعتقاد المعتزلة فلو كان هؤلاء الذين يريدون المحافظة على التوحيد باعتبار زعمهم وأن مرادهم منع الالفاظ الموهمة وسد الذريعة يقتصرون على منع العامة عن الالفاظ الموهمة تأثير غير الله تعالى تأدبا ومع هذا فاذا صدرت منهم تحمل على المجاز العقلي ويجيزون لهم التوسل مع المحافظة على الادب لكان لكلامهم وجه وأما المنع منه بالكلية فهو مصادم للاحاديث الصحيحة ولفعل السلف والخلف فعلينا باتباع الجمهور والسواد الاعظم قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قدر شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد ذكر العلامة ابن الجوزي في كتابه المسمى تلبيس ابليس أحاديث كثيرة في التحذير من مفارقة السواد الاعظم منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب في الجابية فقال من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد وفي حديث عرفجة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة وحديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمسجد وحديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله تعالى لن يجمع أمتي الا على هدى فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الاعظم وعمدوا الى آيات كثيرة من آيات القرآن التي نزلت في المشركين فحملوها على المؤمنين الذين تمنعهم الزيارة والتوسل وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الامة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق وقالوا انهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقد علمت ان المشركين اعتقدوا الوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبادة وأما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم هذا الاعتقاد فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين سبحانك هذا بهتان عظيم وشبهة هؤلاء الخوارج في المنع من طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم انهم يقولون ان الله تعالى قال

فتوجه اليه بنفسه النفيسة ووقع فيه حرب شديد وأخذت القلعة وقتل من فيها من النصارى المخذولين وأرسل حضرة الوزير بالليل من يقيس عمق الخندق الذي وصل اليه العسكر المنصور فكان عمقه ستين ذراعا بذراع العمل وقعره متصل بالبحر مملوء ماء فصرف تشاور الوزير مع الامراء وأصحاب الرأي في ذلك فما وجدوا لذلك حيلة غير ان يملأ الخندق بالتراب ويبني عليه المتاريس فأمر الوزير المذكور سائر العسكر بذلك فشرعوا في نقل التراب من خلف المتاريس وباشر حضرة الوزير المشار اليه ذلك ونقل بيده الشريفة التراب ابتغاء مرضاة الله العزيز الوهاب ونصرة لدين الاسلام وتأييدا للملة المحمدية عليه أفضل الصلاة والسلام ورأى الامراء ذلك فبادروا بانفسهم الى نقل التراب ورأى العسكر المنصور ذلك فبادروا واعانة لاهتمام وأقدموا بهاية الاقدام وحملوا التراب كامثال الهضاب ورموا بها في الخندق الى ان امتلأ فارتفع وزاد في الارتفاع فبنوا المتاريس دون ذلك الى أن اعتلوا على الحصار وذلك لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الثاني سنة احدى وثمانين وتسعمائة وصارت مدافع المسلمين تصل الى وسط قلعة الكفار وتفناهم وتحرقهم بالنار وتسوقهم الى جهنم وبئس القرار ووصل رمضان باشا ومعه ثلاثة آلاف مقاتل واجتمع بحضرة الوزير المعظم وطلب منه خدمة يؤديها فارسله بمن معه من عسكر الاسلام الى اعانة المسلمين الذين حصروا الكفار بالقلعة التي بقرب تونس فتوجه اليها ونزل في جهة من جهاتها وحط عليها مع من هناك من الكبار بكية والامراء والغزاة والمجاهدين والكبراء واستمر حضرة الوزير في محاصرة حلق الواد والاستيلاء على من فيها من أهل الكفر والعناد وأقدم المسلمون على الدخول على الحصار لما شاهدوا وهن الكفار وحمل الوزير المعظم بمن معه من الابطال حملة تزلزل الجبال وحمل من الجهات الثلاث من العسكر والامراء والرجال فدخلوا القلعة وفتحوها عنوة بالسيف والقتال لست مضين من جمادي الاولى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ووضعوا السيف فيمن وجدوا بها من الكفار وساقوهم بالنار الى عذاب النار جهنم وبئس القرار وغير ذلك واستؤسر صاحب القلعة كبير النصارى المخذولين وكذلك أمير سلطان تونس أحمد بن حسن الحفصي وقيدهما وحبسهما حضرة الوزير وأمر بقتل سائر من وجد من النصارى والعرب المرتدين وفرح بفتح هذا الحصن كافة أهل

في كتابه العزيز من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالطالب للشفاعة من أين يعلم حصول الاذن للنبي صلى الله عليه وسلم في أنه يشفع له حتى يطلب الشفاعة منه ومن أين يعلم انه ممن ارتضى حتى يطلب الشفاعة منهم واحتجاجهم هذا مردود بالاحاديث الصحيحة الصريحة في حصول الاذن له صلى الله عليه وسلم في أنه يشفع لمن قال بعد الاذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة الى آخر الدعاء المشهور ولمن صلى على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ولمن زار قبره صلى الله عليه وسلم بل جاءت أحاديث كثيرة صريحة في شفاعته صلى الله عليه وسلم لعصاة أمته كقوله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي فكل من مات مؤمنا فانه يدخل في شفاعته صلى الله عليه وسلم فهي ثابتة لجميع المؤمنين ومأذون له صلى الله عليه وسلم فيها فالطالب للشفاعة كانه يتوسل الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى أن يحفظ عليه الايمان حتى يتوفاه الله عليه فيشفع فيه نبيه صلى الله عليه وسلم فلا حاجة الى التطويل ببسط الدلائل في ذلك مع وضوح الامر الا لمن عميت بصيرته وأما شبهتهم في المنع من النداء فقالوا ان النداء والخطاب للجمادات والغائبين والاموات من الشرك الاكبر الذي يباح به الدم والمال ولا مستند لهم في ذلك بل الاحاديث الصحيحة الصريحة في بطلان قولهم هذا وزعموا أن النداء للاموات والغائبين والجمادات يسمى دعاء وأن الدعاء عبادة بل الدعاء مخ العبادة وحملوا كثيرا من الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الموحدين وقد تقدم ذكر كثير من تلك الآيات وهذا كله منهم تلبيس في الدين وتضليل لاكثر الموحدين وانه وان كان النداء قد يسمى دعاء كما في قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لكن ليس كل نداء عبادة ولو كان كل نداء عبادة لشمل ذلك نداء الاحياء والاموات فيكون كل نداء ممنوعا مطلقا وليس الامر كذلك وانما النداء الذي يكون عبادة هو نداء من يعتقدون ألوهيته واستحقاقه العبادة فيرغبون اليه ويخضعون بين يديه والذي يوقع في الاشراك هو اعتقاد ألوهية غير الله تعالى واعتقاد التأثير لغير الله تعالى وأما مجرد النداء لمن لا يعتقدون ألوهيته ولا تأثيره فانه ليس عبادة ولو كان لميت أو غائب أو جماد وذلك كله وارد في كثير من الاحاديث الصحيحة والآثار الصريحة فقولهم ان نداء الميت والجماد والغائب دعاء وكل دعاء عبادة غير صحيح على اطلاقه وعمومه ولو كان كل نداء عبادة لامتنع نداء الحي والميت فانهما مستويان في ان كلا منهما لا تأثير له في شيء ولا يعتقد أحد من المسلمين ألوهية غير الله تعالى ولا تأثير أحد سواه فالدعاء الذي هو مخ العبادة هو الرغبة لاله والخضوع بين يديه وسيأتي ذكر كثير من الاحاديث والآثار التي جاء فيها النداء والخطاب للاموات والغائبين والجمادات وان تقدم

الاسلام والمؤمنين واستبشروا بهذا النصر والفتح المبين فانه يعد من أجل فتوحات الاسلام وأعظم التأييدات لدين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وكانت هذه القلعة من أحكم القلاع التى أحكمها اللئام وأقواها فى المكنة والاستحكام وأشدها ضررا على أهل الاسلام ۔ ومن عجيب الاتفاق ان هذه القلعة المذكورة بنتها النصارى فى سنة ست وثلاثين وتسعمائة وكملوا استحكامها فى ثلاث وأربعين سنة وافتتحها حضرة الوزير المعظم سنان باشا فى ثلاث وأربعين يوما من محاصرتها بعدد السنين التى أحكم فيها بناؤها كل يوم بسنة ۔ ولما تم هذا الفتح المبارك رأى حضرة الوزير ان ترميمها واعادتها وحفظها بالعسكر يحتاج الى مؤنة كبيرة وخزائن من الأموال كثيرة مع قلة جدواها لبعدها عن الباب العالى وطول مداها ورأى ان الأولى هدمها وتعمير بهاؤه هدموها حجرا حجرا وتركوها خبرا لاأثرا وأعملت المعاول فى رأسها الى أن وصلوا الى أساسها فصارت طللا من الاطلال ودمنة يلعب فيها هبوب الصبا والشمال ولا يسمع فيها نداء أو صدى لاصياح يوم أو صدى ولم يبق بها أنيس الا اليعافير والا العيس وأرسل حضرة الوزير المعظم بشائر النصر والفتح المتوالى الى جهة الباب الشريف العالى والى سائر بلاد الاسلام ليأخذ المسلمون حظهم من هذا البشر التام والفرح الشامل العام ويفرح المؤمنون بنصر الله والملائكة الكرام ويدعو بدوام هذا السلطان الأعظم نصره الله وخلد ملكه على الدوام

وهذا دعاء لا يرد لانه يزان به كل الورى والمعالم تراه بلاشك أجيب لانه ۔ اذا ما دعونا أمنته الملائك وتوجه البشير كأنه الصبح الصادق ينشر على الخافقين رايات النصر الطوارق مايدب وعلا برايات الفرح أقطار المغارب والمشارق وكوكب الصبح غاب على يده ۔ مخلق علا الانباء بشائره ثم لما فرغ حضرة الوزير من مأربه من حلق الواد وتحصل فى تلك الوهاد والمهاد والأوعاد والانجاد ما أراد توجه بعسكره المنصورة الى تونس لتطمين طلمته الغراء من بها من المسلمين وتونس فوصل اليهم وهم محاصرون قلعة النصارى المخذولين مجاهدون مجتهدون فى أخذ أولئك الملعونين ففرح بوصوله البكار بكية الذين يحاموت لنصرة الدين واشتد أزرهم وقوى جاشهم على قتال المشركين كيف وقد نشؤا على الطعان والقراع كأنشأ الاطفال على الرضاع وضروا بدماء الكفار ضراوة الأسود السباع بما تفترسه من

كثير من ذلك فلا بأس باعادته فمنها حديث الضرير الذى رواه عثمان بن حنيف رضى الله عنه فان فيه يا محمد انى أتوجه بك الى ربك وتقدم أن الصحابة رضى الله عنهم استعملوا ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وحديث بلال بن الحارث رضى الله عنه فان فيه انه جاء الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله استسق لامتك ففيه النداء له بعد وفاته والخطاب بالطلب منه ان يستسقى لامته والاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى زيارة القبور فى كثير منها النداء والخطاب للاموات كقوله السلام عليكم يا أهل القبور السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ففيها نداء وخطاب وهى أحاديث كثيرة لا حاجة الى الاطالة بذكرها وتقدم ان السلف والخلف من أهل المذاهب الاربعة استحبوا للزائر أن يقول تجاه القبر الشريف يارسول الله انى جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى وصح عن بلال بن الحرث رضى الله عنه انه ذبح شاة عام القحط المسمى عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وامحمداه وامحمداه وصح أيضا ان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وامحمداه وامحمداه وفى الشفاء للقاضى عياض ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خدرت رجله مرة فقيل له اذكر أحب الناس اليك فقال وامحمداه فانطلقت رجله وجاء الخطاب وصورة النداء فى التشهد الذى يأتى به المسلم فى كل صلاة وعلمه النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه فان فيه السلام عليك أيها النبى وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل أرضا قال يا أرض ربى وربك الله ففيه الخطاب والنداء للجماد وذكر الفقهاء فى آداب السفر ان المسافر اذا انفلتت دابته بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله احبسوا واذا أضل شيأ أو أراد عونا فليقل يا عباد الله أعينونى أو أغيثونى فان لله عبادا لا تراهم واستدل الفقهاء على ذلك بما رواه ابن السنى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فلينادِ يا عباد الله احبسوا فان لله عبادا يحبسونه ففيه نداء وطلب نفع أى التسبب فى ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم وفى حديث آخر رواه الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال اذا أضل أحدكم شيأ أو أراد عونا وهو بأرض ليس فيها أنيس فليقل يا عباد الله أعينونى وفى رواية أغيثونى فان لله عبادا لا ترونهم قال العلامة ابن حجر فى حاشية ايضاح المناسك وهو مجرب كما قاله الراوى

﴿دعاء يؤتى به فى السفر اذا أقبل الليل﴾

وروى أبو داود وغيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فأقبل الليل قال يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر

الصيد وهن جياع وحل بإقدامه حضرة الوزير المعظم على من في القلعة حلة الأسد الغشم وسابقت العساكر المنصورة الى استئصال أعداء الدين سبق السيل العظم وتعلقوا بأطراف الحصار وصبروا على حر السيف والنار واستشهد كثير من المسلمين الكرام وقتلوا في سبيل الله وهم أحياء لا أموات عند الله في دار السلام واستمرت عساكر المسلمين على الاقدام على الموت الزؤام وحد السيف والحسام الى أن دخلوا القلعة ونصبوا الرايات السلطانية على القلعة فدخلوها ووضعوا السيف في الكفار عبدة الصليب وقتلوا منهم ثلاثة آلاف دراع مقاتل من فرقه الى قدمه في سابغات الحديد ورمى نفسه الباقون من أعلى القلعة الى أسفلها وهم زهاء خمسة آلاف نفس نزلوا على أقدامهم في الرمل وهربوا فقد رميته بسهم أو سهمين وشرعوا في التترس بأتربة ورمل أرادوا أن يتحصنوا بها والمسلمون مشغولون بقتل من بقي في القلعة ونهب الأمتعة والأسلحة فوجدوا بها أخشابا وألواحا أعدها الكفار لإتقان القلعة وإحكامها وبارودا كثيرا ومدافع وأنواعا وآلات الحرب ووجدوا عندها كثيرا الا زوادهم وكانت القلعة بسبب العجلة غير شكلية البناء وغالبهم العساكر المنصورة السلطانية الإسلامية عن اتمامها واتقان استحكامها ولولا أنه ورود العساكر السلطانية عليهم في ذلك العام لكانوا أتقنوا تلك القلعة اتقانا قويا لا يقوى عسكر الاسلام على فتحها بعد ذلك ولكن خذل الله تلك الطائفة أيما انقوا بوصول حضرة هذا الوزير المعظم بهذا الجيش العرمرم في هذا العام قبل استيفاء استحكام القلعة غاية الاحكام وكان ذلك بيمن سعادة طالع السلطنة الشريفة العثمانية وحسن اهتمام هذا الوزير الاعظم ولطائف تدبيراته العلية ودقة آرائه الثاقبة الجلية ثم أمر حضرة الوزير أن يستعقب العساكر المنصورة الاسلامية أولئك الهاربين من الكفار فتبعوهم ووجدوهم قد شرعوا في عمل مكان يتحصنون فيه فهجموا عليهم هجمة واحدة فتيقن الكفار أن لا مفر لهم ولا محيص فقاتلوا أشد قتال وقاتلهم المسلمون بالنصال وصار الوجه في الوجه والناب في الناب والسيوف المسلولة من القراب تغوص في الرقاب والخناجر تدق في اللبات والحناجر حتى سالت الدماء كالسيل العباب الى ان أنبتت كافور تلك الرمال شقيقا وصيرت أحجار الفلا عقيقا وضرب النقع في السماء طريقا وجند الله على كل حال هم الظافرون والكافرون هم

ما يدب عليك أعوذ بالله من أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وذكر الفقهاء في آداب السفر انه يسن للمسافر الاتيان بهذا الدعاء عند اقبال الليل وفيه النداء والخطاب للجماد وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما والدارمي عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال ربي وربك الله ففيه خطاب للجماد وصح انه لما توفي صلى الله عليه وسلم أقبل أبو بكر رضي الله عنه حين بلغه الخبر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك وفي رواية للامام أحمد فقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم قبله ثانيا وقال واصفياه ثم قبله ثالثا وقال واخليلاه ففي ذلك نداء وخطاب له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ولما تحقق عمر رضي الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر رضي الله عنه قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك من لم يتبع نوحا في كبر سنه وطول عمره وانظر الى هذه الالفاظ التي صدرت من عمر رضي الله عنه وقد تعدد فيها النداء له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وقد رواها كثير من أئمة الحديث وذكرها القاضي عياض في الشفاء والغزالي في الاحياء والقسطلاني في المواهب اللدنية وابن الحاج في المدخل فيبطل بها وبغيرها قول المانعين للنداء القائلين ان كل نداء دعاء وكل دعاء عبادة وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه ان فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه وفي رواية الى جبريل نعاه والنعي هو الاخبار بالموت وقد يكون الاخبار للاعلام تأسفا على فقده فكل من الروايتين صحيح في المعنى ففي هذا الحديث أيضا نداؤه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته وفي المواهب ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراث كثيرة قالت في مطلع قصيدة منها

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا

الصاغرون وصب من دماء أولئك الارجاس ما نجس به الرمل على طهارته والبر على سعته وقتل الكفار عن آخرهم قتلا ذريعا
وشكر المسلمون لله عز وجل صنيعا وانتصر على النصارى أهل ملة الاسلام الذى بعث الله به رسوله عليه الصلاة والسلام الى
كافة الانام وعاد حضرة الوزير المعظم ظافرا منصورا غانما مسرورا مثابا مأجورا وغنمت العساكر المنصورة السلطانية
والجيوش الموفرة الايمانية مايكل عن حصره أنامل التحرير وتضيق عن ذكره أدراج الاساطير وجهزت البشائر الى الابواب
الشريفة السلطانية والاعتاب المنيفة العثمانية وتطايرت أخبار البشارة الى سائر المسلمين فى الآفاق تخفق على الخافقين
أجنحة السرور وانتشر الخفاق ما بين حدود المغرب والاشراق ولولا لطف الله تعالى بأهل الاسلام لكان
البلاء عاما على سائر بلاد المسلمين فان السلطان الاعظم الافخم السلطان سليم خان لو لم يهتم بدفع هؤلاء الكفار الملاعين لكانوا يتسلطون على أخذ تونس وأخذ الجزائر كلها وكانوا يحكمون قلاعها وأسوارها وحصونها ومصارها غاية الاحكام وكانت تزيد عن الاسلام عربان المغرب وتقوى الكفار الفجار على أخذ مصر وغيرها من ديار الاسلام لا بلغهم الله المرام وأنزل عليهم الخزى والخذلان والنكال الى يوم القيام وقد أعان الله سلطان الاسلام لدفع أولئك الكفرة اللئام ومزقهم كل ممزق بالسيف والسنان والحسام وشتت شملهم وفرق جمعهم فلا يقوم لهم رأس بعد ذلك والله تعالى يشكر تأييد الاسلام بصنيع هذا السلطان الاعظم والخاقان
الاكرم الافخم السلطان سليم خان صاحب هذه الهمة العالية والقوة والايادى الحسان ويجازيه لذهب
عن الاسلام والمسلمين خيرا دائم الفيضان ويشكر همة هذا الوزير الاعظم العالى الشان على نصر أهل الايمان أعظم جزاء
على هذا الفتح العظيم بحد السيف والسنان . وكان هذا الفتح الاخير فى يوم الخميس المبارك لخمس بقين من جمادى الاولى سنة
احدى وثمانين وتسعمائة وقتل فى القلاع الثلاث من الكفرة الخبائث عشرة آلاف مقاتل ساقهم الله تعالى الى النار وقد
استشهد من الغزاة والمجاهدين ما يوازى عشرة آلاف غاز فمن عين أمراء السناجق من أمراء الاكراد خضر بك وسنجق ابنه على
مصطفى بك وسنجق ملطية محمد لو برو بك وسنجق برلس مصطفى بك وسنجق أولية أحمد بك وسنجق ترحالة بايزيد وسنجق اسكندرية

فى الميت نداؤه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولم ينكره عليها أحد من الصحابة رضى الله عنهم مع
حضورهم وسماعهم له ومما جاء من النداء للميت التلقين له بعد دفنه وقد ذكره كثير من الفقهاء
واستندوا فى ذلك الى حديث الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه واعتضد بشواهد وصورته أن
يقول للميت عند قبره بعد دفنه يا عبد الله ابن أمة الله اذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا
شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وأن النار حق
وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور قل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد
صلى الله عليه وسلم نبيا وبالكعبة قبلة وبالمسلمين اخوانا ربى لا اله الا هو رب العرش العظيم فى
التلقين النداء والخطاب للميت وحديث نداء النبى صلى الله عليه وسلم كفار قريش المقتولين ببدر بعد
القائهم فى القليب مشهور رواه البخارى وأصحاب السنن وذكروا ان النبى صلى الله عليه وسلم جعل
يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ويقول أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وأما ما جاء من الآثار عن الائمة الاحبار والعلماء الاخيار
والاولياء الكبار مما يدل على جواز ذلك النداء والخطاب فشئ كثير تنقضى دون نقله الاعمار
ومضى على ذلك القرون والاعصار وما وقع منهم انكار فكيف يجوز الاقدام على تكفير المسلمين
بشئ قام على ثبوته البراهين وفى الحديث الصحيح من قال لاخيه المسلم يا كافر فقد باء بها أحدهما ان
كان كما قال والا رجعت عليه قال العلماء ترك قتل ألف كافر أولى من اراقة دم امرئ مسلم فيجب
الاحتياط فى ذلك فلا يحكم بالكفر على أحد من أهل القبلة الا بواضح قاطع للاسلام وممن رد على
محمد بن عبد الوهاب أحد أشياخه وهو الشيخ محمد بن سليمان الكردى صاحب حواشى شرح
مختصر بافضل ومن جملة ما قاله فى الرسالة التى رد بها عليه يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع
الهدى فانى أنصحك لله تعالى أن تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك
المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب وأبن له الادلة على انه لا تأثير لغير الله فان أبى فكفره
حينئذ بخصوصه ولا سبيل لك الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد
الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم أقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم
وساءت مصيرا وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية اه والحاصل ان الذين اعتنوا بالرد عليه
خلائق لا يحصون من مشارق الارض ومغاربها من أرباب المذاهب الاربعة فى كتب مبسوطة
ومختصرة وبعضهم التزم الرد عليه بنصوص مذهب الامام أحمد ليبين له انه كاذب متلبس فى انتسابه

منفر بلغوكضداالسكيرية قرهادور أس زمرة الباب وكثيرا من الزعماء وأرباب التيمار وغيرهم عدة عديدة وأعطى حضرة الوزير الامان لطائفة من الكفار رأى فى ذلك مصلحة توازى زهاء مائتى نفر بزواق أمان حضرة الوزير وأخبروه بأمور مهمة كان يريد الاطلاع عليها منها أن عندهم من المعلمين الاستاذين فى عمل الطوب الكبار الذى يعجز جميع الكفار عن عمل مثلها مائتى نفر وخمسة أنفار ممن لا نظير لهم فى هذه الصناعة فأمنهم وطلبهم وأخذ خاطرهم وأعطاهم الامان على أنفسهم وشرط عليهم أن يسبكوا دائما النحاس ويعملوه مدافع كبارا ويعمل لهم علوفة ويوضع فى أرجلهم القيود ويكفل بعضهم بعضا فرضوا بذلك وطلبوا الامان على هذا الشرط فكساهم الوزير وكتب لهم علوفات على حسب مراتبهم وصاروا من خدام الترسخانة السلطانية موكلا عليهم من يحفظهم ويتفقد لهم ويستخدمهم فى الخدم السلطانية ويسبكون النحاس للطوب الكبار والمدافع العظام وظفر حضرة الوزير المعظم فى قلعة حاتى الواد وقلعتى نوتس بمائتى مدفع وخمسة وثلاثين مدفعا لحفظ نوتس من الكفار الفجار وأرسل مائة وثمانين مدفعا من أكبر المدافع العظيمة الى الباب الشريف السلطانى ليستعان بها على قتال الكفار الملاعين اذا جهز عليهم العساكر فى كل حين ثم لما فرغ حضرة الوزير المعظم الكبير من هذا الفتح العظيم والنصر الكثير أنعم على من فى ركابه الشريف من الامراء والكبراء والبكلربكية وسائر الزعماء وأرباب التيمار وبلوكات العسكر المنصور وأرباب الجوامك والعلوفات بالترقيات العظيمة والمناصب الكبيرة كل أحد بقدر سعيه واستحقاقه ومرتبته وعرض ذلك على سرير السلطنة الشريفة وكان مقدارا كبيرا من الخزائن العامرة السلطانية فقوبل جميع ذلك بالقبول ووقعت موقع الاجابة فى المأمول والمسؤل وذلك فى مقابلة ما بذلوا أموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وجاهد وافى الله حق جهاده ونصروا الاسلام والمسلمين وأنعمت السلطنة على حضرة الوزير بأنواع الانعامات السنية والترقيات الكثيرة العلية والخلع الفاخرة البهية والتشريفات الزاهرة السلطانية فى مقابلة سعيه فى نصرة الدين وبذل أمواله للغزاة والمجاهدين وأخذ ثار المسلمين من الكفرة والمشركين على وجه لم يقع فى كثير من الزمان مثل هذا الفتح العظيم الشان وذلك بمحض الاعانة الربانية والنصرة الالهية السبحانية ولله الحمد على نصرة الاسلام وتأييد

لمذهب الامام أحمد رضى الله عنه وأما زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقد فعلها الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة وخلفها وانعقد الاجماع على استحبابها وبيان فضلها والترغيب فيها أحاديث كثيرة منها مارواه البيهقى وعمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبرى كنت له شفيعا وشهيدا وهذه شفاعة خاصة للزائر غير شفاعته صلى الله عليه وسلم للعصاة وروى الدارقطنى وابن السكن وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من زار قبرى وجبت له شفاعتى وفى رواية من جاءنى زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة وفى رواية لابن منده من زارنى فى مسجدى بعد وفاتى كان كمن زارنى فى حياتى وفى رواية لابن عدى من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى والمراد من الجفاء غلظ الطبع والبعد والاعراض عن المحبوب والمراد انه فعل فعل الجافى لانه جفا جفاء حقيقيا لان ذلك أذى ولا يجوز أذاه صلى الله عليه وسلم وفى رواية للدارقطنى من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيامة ومن مات فى أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة وزاد فى رواية ومن سكن المدينة وصبر على بلائها كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة وفى رواية رواها ابن جريج عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارنى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى ومن زارنى حتى ينتهى الى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا أو قال شفيعا والاحاديث الواردة فى ذلك كثيرة لا حاجة لنا الى الاطالة بذكرها مع اجماع السلف والخلف على استحبابها حتى ظهر المنكرون لها المانعون منها وفى هذا القدر كفاية ومقنع لمن كان يرى من التوفيق وبمجموع ماذكرناه يبطل جميع ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب ولبس به على المؤمنين واستباح هو ومن تبعه دماءهم وأموالهم ولم يتصد لمحاربته ومن تبعه أحد مثل سيدنا الشريف غالب رحمه الله تعالى فانه قام بهذا الامر أتم قيام وبذل فيه جميع وسعه سنين متطاولة جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خيرا وتقدم أن الشريف مسعودا ومساعدا وأحمد بن سعيد وسرورا كل منهم لم يأذن لاحد من أتباعه فى الحج

﴿ذكر قتال الشريف غالب للوهابية سنة ١٢٠٥﴾

فلما ولى مولانا الشريف غالب استأذنوه فى الحج فمنعهم وتهددهم بالركوب عليهم واتبع القول بالفعل لانهم ظهر أمرهم وتطاير شررهم فاراد دفعهم عن الوصول الى حرم الله تعالى وبذل كل ما أمكنه حتى عجز جزاه الله خيرا ولنذكر الوقائع التى كانت بينه وبين هذه الطائفة فاقول نحو خمسين واقعة من سنة خمس ومائتين وألف الى سنة عشرين ومائتين وألف

سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ثم عاد حضرة الوزير المعظم المنصور المكرم خلد الله عليه سوابغ النعم الى الابواب الشريفة السلطانية بمن معه من عسكر الباب الشريف السلطاني وأذن لغيرهم من العسكر المنصور وسائر الامراء والبكلربكية بالعود الى أوطانهم وأماكن حكومتهم مجللين محترمين محبورين منصورين سالمين غانمين واستمر حضرة الوزير المعظم الى ان ورد الى الباب الشريف العالي السلطاني وقبل قوائم السرير الشريف العثماني فقوبل بأنواع البشر والتهاني وشمله النظر الشريف الخاقاني ونظرت اليه السلطنة بعين القبول والتداني وأفرغ على كاهله مرة بعد أخرى خلع التشريف الخسرواني وقبل كل ما عرضه حضرة الوزير المعظم (٢٢٢) المشار اليه على الاعتاب الشريفة السلطانية من المطالب وأنعمت عليه السلطنة الشريفة بكل ما سأل فيه من المقاصد والمآرب وكان يوم دخوله الى اسطنبول يوما عظيما مشهودا ووقت حلوله في منزله السعيد وقتا مباركا مسعودا وازدحمت الخلائق على مشاهدة طلعته والتبرك بوجهه الكريم ويحيون غرته ويسارعون يتبركون بالنظر الى المجاهد في سبيل الله ويطلبون الله دوامه ومن معه من المجاهدين الغزاة والاسارى من انصاري يقادون بين يديه بالسلاسل والاغلال مقرنين في الاصفاد بشديد الذل والنكال ودخلت سفائن العمارة وأغربة الى الاستانة مزينة مزخرفة بالبيارق والسناجق تخفق عليها رايات الفرح بالنصر والظفر والجلالة وأطلقت المدافع للفرح فزلزلت الارض زلزالها وكادت تصم الآذان فلا تسمع الناس مقالها وعساكر الباب السلطاني وردت صفوفا بعد صفوف وتعاطفت عائدة بالنصر والتأييد عبد ألوفا بعد ألوف ودخل أيضا القبودان المعظم المجاهد الاكرم الافخم حضرة قلج علي باشا المكرم لازال في حرب البحر مظفرا منصورا مسعود القدم فقوبل من الحضرة الشريفة السلطانية بغاية القبول والاقبال وخوطب بلسان الشكر والتعظيم والاجلال وأنعم عليه بسائر مقاصده ومطالبه وحصل له غاية ما يتمناه من سؤله ومآربه وحصل لسائر العساكر المنصورة الاحسان الموفور وشكر لهم سعيهم المشكور وأعظم من ذلك ما حازوه من الاجر العظيم والثواب الجزيل الجسيم وناهيك بهذا العز والفخر وقد بقي لهم هذا الذكر الجميل في صفحات الدهر والله تعالى يديم هذه الدولة الشريفة العثمانية على تداول الليالي

﴿الغزوة الاولى﴾

فاول غزوة كانت في سنة خمس ومائتين والالف أرسل عليهم خيلا وركابا وجنودا كثيرة من السادة الاشراف وغيرهم وكان الامير عليها أخاه السيد عبد العزيز بن مساعد وكانوا حين خرجوا من مكة ستمائة فزاد عليهم في الطريق طوائف كثيرة من قبائل العرب يطول الكلام بتعداد تلك القبائل فسار بهم وصار يدخل تحت طاعته القبائل وتلك القرى قرية بعد قرية حتى وصل الى عرق السم فشرع يملك من قرى نجد بعضها بقتال وبعضها بدون قتال فملك قرية وهي أول قرية من قرى نجد فذبح منها احد عشر رجلا وهرب منهم جماعة وأسر جماعة ثم ارتحل الى قرية يقال لها مسكة فهرب أهلها فحصرها وملكها ثم ارتحل منها وأناخ بقرية سواج فهرب أهلها ثم ارتحل الى اثلة ثم الى قرية ونابي فطلب أهلها الامان وكذا أهل قرية الكبريتية ثم ارتحل ونزل على عنيزة قرية بسام وكان أهلها في حصن حصين فحاصرهم أياما ثم انتقل عنها لان المدة طالت وسئم من كان معه من الاشراف والجنود وأراد كثير من الاشراف الرجوع بل توجه كثير منهم بالفعل قاصدين الرجوع الى أم القرى لان المدة بلغت نصف عام فهذه الغزوة الاولى وهي أول الوقعات وفي مدة هذه الغزوة غزا سيدنا الشريف بنفسه على ذوي حسن الدارين بالشاقة وصبحهم وأخذ مواشيهم وقتل منهم وسبب ذلك قطعهم الطريق ورجع الى مكة سالما وهذه لم تحسب من الغزوات التي كانت على الوهابية أو بسببهم فهي خارجة عن عدد تلك الغزوات

﴿الغزوة الثانية﴾

وأما الثانية من الوقعات المتعلقة بالوهابية فهي ان سيدنا الشريف غالبا لما طالت غيبة أخيه في الغزوة الاولى تأخر عن مساعدة الجند وجهز جيشا آخر وسار فيه بنفسه فخرج من مكة في الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس بعد المائتين والالف ولم يزل سائرا بجنوده حتى أناخ على الشعراء وهي قرية حصينة فأحاط بجوانبها الاربع وعاملها بالنيرة والمدافع والحرب يزداد كل يوم ثم طلب أهلها الامان فأمنهم وأراد العود الى مكة لقرب زمن الحج وأقبل عليه أخوه السيد عبد العزيز وهو مقيم على الشعراء وأما الاشراف الذين فارقوا السيد عبد العزيز فانهم قابلوا مولانا الشريف غالبا قبل ذلك في الطريق فعاملهم بمزيد الانعام ورجعوا معه الى الشعراء ثم رجع هو وأخوه السيد عبد العزيز وجميع من معهم الى مكة ودخلوها في الحادي والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة

﴿الغزوة الثالثة﴾

كانت في ربيع الثاني من سنة ست بعد المائتين والالف جهز جيشا وأمر عليه أيضا أخاه السيد

والايام ويحمي عصابتهم كافة ويؤيد بتأييدهم ملة الاسلام ويبقي سلطنتهم على الدوام الى يوم القيام فكم لهم ولاسلافهم الغزاة والمجاهدين في نصرة الملة الحنيفية الغراء من يد بيضاء آية للناظرين وكم فتحوا ادار الكفر وصيروها دار الاسلام على رغم المشركين والكافرين ويكاد تلتحق فتوحاتهم بفتوحات الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ولقد حكت علماء أئمة الاسلام واتفق قول الائمة الاعلام رضوان الله عليهم أجمعين وشملهم برحمته انه أرحم الراحمين أن سيوف الحق أربعة وما عداها الى النار سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين وسيف أبي بكر رضي الله عنه في المرتدين وسيف الله على الباغين من المسلمين وأقول وسيوف بني عثمان رحمهم الله تعالى وأبقى الملك فيهم وفي عقبهم الى يوم القيامة ان شاء الله تعالى اذا اعتبرتها وتأملتها لا تخرج عن هذه السيوف الاربعة فانهم وأولهم من أول أسلافهم رحمهم الله تعالى الى الآن مجاهدون في الكفار والمشركين ويقاتلون الملحدين والباغين ويحمون شعائر الدين فالله تعالى يمد ظلال سلطنتهم على المسلمين ويؤيدهم أهل السنة وينفع بهم كافة الموحدين وهذا الدعاء يجب أن يدعو به طوائف المؤمنين فانهم عماد الاسلام وقوام هذا الدين المتين وسبب قيامه بين الانام والدعاء لهذه السلطنة الشريفة دعاء لاهل الاسلام واعزاز لدين الله تعالى ونصر لسيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وتأمين البلاد وتطمين العباد وتوهين أهل الفساد وقطع مادة الالحاد وقمع جميع أرباب البغي والفساد ﴿فصل﴾ فيما جدده المرحوم السلطان الاعظم سليم خان من الخير والاحسان زيادة على والده المرحوم السلطان سليمان خان تغمدهما الله بالرحمة والرضوان ﴾ وذلك في أول سلطنته الشريفة أمر لاهل الحرمين الشريفين أن يزاد لهم سبعة آلاف اردب حب من صدقته المقبولة المبرورة زيادة على ما كان يرسله والده المرحوم لهم في كل عام فكانت تحمل في كل سنة من الانبار الطاهرة السلطانية على ظهور الجمال من مصر الى السويس وتوضع في سفائن الدشائش الشريفة السلطانية من بندر السويس الى بندر جدة والى ينبع وتوزع على الفقراء وكان برز أمره الشريف العالي ان يضاف ثلاثة آلاف اردب الى الدشيشة العامة السليمانية لفقراء المدينة الشريفة وتوزع عليهم وأن يوزع خمسمائة أردب على الفقراء المنقطعين بينبع العاجزين عن السفر الى المدينة الشريفة فيستعينون بها على

عبد العزيز اقتال القبائل الذين دخلوا في دين عبد العزيز بن محمد بن سعود فوصل بهالي رنية ثم الى رنية ثم الى بيشة وأطاعه جميع قبائل تلك الجهات وخلعوا طاعة عبد العزيز وصاروا الى انهم سيعودون الى طاعته ثانيا واقام مدة ببيشة ثم عاد بمن معه الى مكة المشرفة

﴿ذكر فتنة بين وزير مولانا الشريف والكواخي الماكات وذكر وقوع الفتنة بين شيخ الحرم وأهل المدينة سنة ١٢٠٧﴾

وفي سنة سبع في شعبان وقعت فتنة بالمدينة بين وزير مولانا الشريف والكواخي على الماكات فارسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فاصلح الامر وطفئت الفتنة ثم وقع اختلاف بين شيخ الحرم وأهل المدينة وكادت ان تقوم الفتنة بينهم فأرسل مولانا الشريف السيد ناصر بن مستور فأصلح الامر وفي هذا الشهر أرسل مولانا الشريف للدولة العلية يخبرهم بظهور أمر الوهابية وأرسل لذلك السيد محمد بن عبد الله الجوري والسيد حسينا مفتي المالكية فلم تكترث الدولة لهذا الخبر ولم تلتفت اليه

﴿الغزوة الرابعة﴾

كانت في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان بعد المائتين والالف وجعل تلك الغزوة أيضا على من دخلوا في طاعة ابن سعود وتبعوه على ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب فجمع كثيرا من العربان من البقوم وعتيبة وغيرهم وأمر على هذه الغزوة عثمان المضايفي فصبح جماعة ابن قيحان بموضع يقال له عقيلان وصارت بينهم ملحمة عظيمة وحصل على عثمان هزيمة فانه بعد ان أخذ جميع ابل ابن قيحان وطلع الفجر وطلع ابن قيحان على عثمان وهزمه ولكنه لم ينتزع منه ما أخذ من ابله فتمنع منه عثمان حتى رجع الى مكة وفي سنة ثمان قبض مولانا الشريف على الشريف عبد الله بن سرور لامر بلغه عنه وأودعه السجن أربعة أشهر ثم تدلى بحبل وهرب

﴿ذكر السيل الذي كان بمكة سنة ١٢٠٨﴾

وفي شعبان من سنة ثمان كان السيل المشهور عند أهل مكة الذي خرب كل ناحية وسكة وهدم كثيرا من الدور وقتل من الخلق نحو الاربعين جرى عليهم المقدور

﴿الغزوة الخامسة﴾

في شهر ربيع الآخر من سنة تسع جهز سيدنا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أخاه مولانا الشريف عبد المعين فسار من الطائف ومعه كثير من القبائل والجنود وقصد موضعا يقال له رغوة وبه هادي بن قرملة وكان ممن تبع ابن سعود ودخل في دينه فلما وصل ذلك الموضع وجده قد أخذ به

التوجه الى حيث أرادوا وتوزع خمسمائة اردب على فقراء جملة المنقطعين بها العاجزين عن التوجه الى مكة لاداء الفرض والنفل وذلك مقصد جليل للمرحوم فكان الفقراء يتوسعون فيها ويرتفقون بها وكانت ترد اليهم في كل عام من أعوام سلطنته الشريفة وكان الدعاء مبذولا له من سائر الفقراء المحتاجين المضطرين وكان يحوز بذلك ثوابا جزيلا وأجرا وافيا جليلا رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأثابه المثوبة العظمى في الدرجات الآخرة على مقاصده الجليلة وخيراته الوافرة الجزيلة ومنها أيضا ما كان يتصدق به على فقراء الحرمين الشريفين أيام كان شاهزاده قبل أن يلي السلطنة العظمى فانه كان يرسل ألف دينار ذهبا توزع أيام موسم الحج على فقراء مكة يستعينون بها على الوصول من المدينة الشريفة المنورة الى مكة المشرفة لأداء الحج الشريف في كل عام وكان يخص بعض العلماء والصلحاء والمشايخ بكسوة من الأصواف الخاصة وبعض غير ذلك يرسلها اليهم يستمد منهم الدعاء بظهر الغيب منهم فلما ولي السلطنة الشريفة وجلس على التخت الشريف السلطاني كان يرسل لهم عوائدهم السابقة في كل عام وجعل ذلك مضافا الى دفتر صر الرومية فكانت ترد أيام سلطنته الشريفة واستمرت ترد الى الآن بعد انتقاله الى رحمة الله تعالى وذلك أيضا من مقاصده الجليلة وخيراته الباقية العميمة وله أنواع من الخيرات أيضا في القدس الشريف وفي الشام وفي حلب وفي مصر بجامع الأزهر وغيرها من الممالك الشريفة العثمانية غير ما في بلاد الروم من المدارس والجوامع والتكايا وغير ذلك رحمه الله تعالى

﴿فصل فيما وقع من عمارة الحرم الشريف المكي في أيامه رحمه الله تعالى﴾ اعلم ان عمارة المسجد الحرام زاده الله تعالى شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما من أعظم مزايا الملوك والخلفاء وأمراء أكابر السلاطين العظماء وقد يسر الله تعالى ذلك لسلاطين آل عثمان أيد الله تعالى نصرهم وخلد سعادتهم مدى الزمان فوقع الشروع فيها في أيام السلطان الاعظم الخاقان الاكرم الافخم خليفة الله في أرضه القائم بإقامة سنته وفرضه ملك البرين والبحرين سلطان الروم والترك والعرب والعجم والعراقين صاحب المشرقين والمغربين خادم الحرمين الشريفين المحترمين عامر البلدين المكرمين المنيفين واسطة عقد ملوك بني عثمان السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان أمطر الله تربتهما سحائب الرحمة والرضوان وجعل

وفر هاربا فقصده الشريف عبد المعين رتبه بمن معه من العربان وكان في رتبة من تبع ابن سعود ابن قطان فحصره في قصره حتى قبض عليه باليد وأرسله الى سيدنا الشريف غالب فلما وصل اليه طلب السماح والعفو فعفا عنه وعاهده وأطلقه فتوجه بعد توبته وعهده والغدر يلمع بين عينيه فلما وصل الى بلده أظهر العصيان وقاتل فصنع له الشريف عبد المعين دسيسة وأرسل له جماعة أظهروا له انهم معه وعلى دينه فصدقهم فطلعوا عنده في القصر واحتالوا عليه حتى قتلوه ثم ان الشريف عبد المعين ارتحل قاصدا مواضع فيها قوم ممن تبعوا ابن سعود منها موضع يقال له بريم ثم قصد ثنيا وغزا على موضع يقال له سياج الخيل نزل به أناس دخلوا في دين محمد بن عبد الوهاب فيهم جماعة من هتيم ومطير فأما مطير فلما جاءهم نذيرهم ارتحلوا وأما هتيم فمسكهم مسكة عجيبة وقتل منهم كثيرا وأخذ مواشيهم ثم رجع الى مكة في ثامن رجب الاصم من العام المذكور فهذه غزوة مشتملة على غزوات

﴿الغزوة السادسة﴾

كانت في شهر صفر من سنة عشر جهز مولانا الشريف غالب غزوة من جنوده وأمر عليها السيد ناصر بن سليمان وأمره بقصد جماعات من القبائل الذين دخلوا في دين ابن سعود فغزاهم وتنقل في مواضع كثيرة منها القامية عدا فيها على آل زروق وقتلهم قتلة شنيعة وأخذ لهم قطائع من الابل ورجع سالما

﴿الغزوة السابعة﴾

كانت في الثالث من شهر ربيع الثاني من سنة عشر أيضا جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد وأمره بقصد جماعة من اتباع ابن سعود فأناخ أولا بمن معه بالمبعوث فعرض عليه كثير من القبائل ثم أناخ بالحنو فعرض عليه البقوم وقبائل كثيرة ثم أناخ بالقنصلية ثم أناخ دون رنية فعرض عليه بنو هاجر على رأس شذان وقبض وهو في ذلك الموضع على ثلاثة جواسيس أرسلهم هادي بن قرملة فقطع رؤوس اثنين منهم وأخبره الثالث بموضع القوم فخاف ان يقتله فعفا عنه وارتحل واجتد في السير بمن معه وفي اليوم الثاني وصل الى الموضع الذي فيه هادي ابن قرملة فدار عليه الرحى وأخذه آخذة الضحى وقتل من جماعته ما يقارب المائة وانهزم من بقي من تلك الفئة ثم توجه على طريق الفرشة فصادف جماعة من قحطان تحت امارة ابن قرمان ومعه كثير من الابل فأغار عليهم وأخذها وقتل من كان معها الا من فر ومن عجيب الاتفاق انهم صادفوا ابن شذير من شيوخ قحطان كان غازيا بعض العربان وكان ابن قدان ممن تابع ابن سعود فقتل السيد فهيد من جماعته خمسة وأربعين وأخذ ابن شذير وما معهم من الابل واقتلع من خيلهم خمس فلا تم ٢

ومن

ومن جيد الركاب عشرين ذلولا وربط سبعة وأوصاهم الى رنية وأمر بقطع خصاهم ثم رجع الى القرشة ثم الى تربة ثم الى الطائف وكان مولانا الشريف غالب اذذاك بالطائف

﴿الغزوة الثامنة﴾

كانت في الحادى عشر من شوال سنة عشر أيضا جهز جيشا أمر عليه أخاه السيد عبد المعين فسار بمن معه حتى أناخ على بريم الى نصف القعدة وورد عليه كثير من القبائل وصار يرسل الجواسيس فوجدوا من يريدون من العربان قد ترفعوا وأبعدوا المناجع واجتمعوا للغزو في رنية في زنية أمر عليها السيد سعد بن عرمطة واستأذن مولانا الشريف غالب في الرجوع وأذن له فرجع فوجد مستقبله في الاخيضر ثم رجعا معا الى الطائف ثم الى مكة رابع ذى الحجة

•(الغزوة التاسعة)•

كانت في الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة عشر أيضا جهز سيدنا الشريف غالب جيشا كثيفا أمر عليه السيد ناصر بن سليمان فتوجه حتى أناخ عران وعرض عليه كثير من القبائل ثم انتقل الى موضع يقال له عفيف ثم الى موضع يقال له الشعاس وتزايد عليه العربان فدهمهم جيش الوهابيين ومعهم ابن ربيعان وهادى بن قرملة والدوشان وخلق كثير فصار بينهم قتال وملحمة عظيمة وقتل من الفريقين خلق كثير وقتل من مراحل الشريف ثلاثة وأربعون وأخذ الوهابيون كثيرا من مواشي البوادى ورجع السيد ناصر بن سليمان ومن معه الى مكة

•(الغزوة العاشرة)•

كانت في ثلاث من شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد فتوجه بمن معه من الطائف الى الاخيضر ثم الى ركبة وأرسل منها سرية الى الخرمة وأمر عليها السيد حسن بن غالب فأغار على أهل الخرمة وقتل منهم ورجع الى ركبة وجاءه قبائل من قحطان والبقوم وانضموا الى من معه وارتحل بمن معه وأناخ بكتب وأغار على قوم من حرب دخلوا في دين الوهابي وأخذ لهم خمسين من الابل ثم ارتحل الى موضع يقال له روغ النعام فدهمهم الجيلاني أمير الخرج ومعهم جند كثير من مطير وغيرهم فوقعت ملحمة عظيمة بينهم وقتل كثير من الطرفين ثم ارتحل السيد فهيد بمن معه الى الحناكية وهي قرية من المدينة المنورة وعرض عليه كثير من قبائل حرب ووفد عليه كثير من بني حسين أهل السوارقية ثم انتقل الى موضع يقال له ماوية وغزا بمن معه على هادى بن قرملة بموضع يقال له اذن فدكهم دكة أى صكة وقاتلهم مقتلة شنيعة وأخذ مدرس ابن قرملة ورايته ثم عاد الى ماوية ثم أراد غزوا آخر

قبره مما روضة من رياض الجنان وجعل السلطنة كلمة باقية في عقبهما الى يوم الحشر والميزان الى أن يعود القارظان كلاهما • ويعشر في القتلى كليب لوائل ﴿وسبب الامر الشريف﴾ بتعمير المسجد الحرام ان الرواق الشرقي مال الى نحو الكعبة الشريفة بحيث برزت رؤس خشب السقف الثالث منه عن محل تركيبها في جدار المسجد وذلك الجدار هو جدار مدرسة السلطان قايتباي وجدار مدرسة الافضلية التي هي الآن من أوقاف المرحوم ابن عماد الله في شرقي المسجد الحرام وفارق خشب السقف عن موضع تركيبه في الجدار المذكور أكثر من ذراع ومال وجه الرواق الى صحن المسجد ميلا ظاهرا وصار نظار الحرم الشريف يصلحون الخلل الذي قد فارق خشب السقف اما بتبديل خشب السقف بأطول منه أو نحو ذلك من انصلاح وأما الرواق الذي ظهر ميله الى صحن المسجد فرسوه بأخشاب كبار حفروا لها في المسجد تمسكه عن السقوط واستمر الرواق الشرقي متماسكا على الاسلوب في أواخر دولة المرحوم السلطان سليمان خان وصدرا من دولة المرحوم السلطان سليم خان ثم لما أخبر بميلان الرواق المذكور وعرض ذلك على الابواب الشريفة السلطانية السليمية سنة تسع وسبعين وتسعمائة برز الامر الشريف السلطاني بالمبادرة الى بناء المسجد الحرام جميعه على وجه الاتقان والاحكام وان يجعل عوض السقف الشريف قباب دائرة بأروقة المسجد الحرام لما أمر من التأمل كل فان خشب السقف كان ممتدا كلا من جانب طرفيه بطول المسجد وكان يحتاج بعض السقف الى تبديل خشبه بخشب أخرى كل قليل اذ لا بقاء للخشب زمانا طويلا مع تكسر بعضه • وكان له سقفان بين كل سقف نحو ذراعين بذراع العمل وصار ما بين السقفين مأوى للحيات والطيور فكان من أحسن الرأى تبديلها بالقبب لامكانها ودفع مواد الضرر عنها ووصلت أحكام شريفة سلطانية الى بكاربكى مصر يومئذ الوزير المعظم والمشير المفخم حضرة سنان باشا أدام الله تعالى سعادته واقباله وضاعف عظمته واجلاله ان يعين لهذه الخدمة من أمراء السناجق المستقلين بمصر من يخرج من عهدة هذه الخدمة الشريفة ويكون في غاية الديانة والامانة والمعرفة والخير والصلاح فأمر البكاربكى يومئذ وهو سنان باشا أمراء مصر ان يقبلوا هذه الخدمة فما أقدم أحد على تلقيها بالقبول لكثرة مشقتها واشتغالهم بأمور دنياهم والتزعل فيما

يعود عليهم نفعه عاجلا من غير مشقة * وكان من جملة الامراء الحافظين عمر كتخداى المرحوم اسكندر باشا الجركسي بكلر بكي مصر سابقا فخر الامراء العظام ذخر الكبراء ذوي الاحترام أحمد بك بارك الله فيه وفي ذريه وآتاه من خيري الدنيا والآخرة ما يرغبه وكان ممن اجتمع فيه هذه الخصال المحمودة المطلوبة من حب الخير والتوجه الى الله تعالى وقلة الميل الى الدنيا وزخارفها والميل الى الفقراء والضعفاء والعلماء والتواضع مع الناس وحب المعدلة والاستقامة مع صدق الخدمة وكمال الديانة والامانة والاقدام وعلو الهمة ووفور الاهتمام فطلب منه حضرة الوزير المشار اليه هذه الخدمة الشريفة وأضيف اليه عمل بقية دبل عين عرفات من الابطح الى آخر المسفلة بمكة المشرفة وان السلطنة الشريفة أمرت أن يبنى لها دبل مستقل ولا تجري في دبل عين حنين فعينت هذه الخدمة أيضا للامير أحمد المذكور وعرض له ذلك الى الباب الشريف العالي فوردت الاحكام الشريفة السلطانية له بذلك حسب ما عرض له وأضيف الى الخدمة سنجق جدة المعمورة تعظيما لشانه وتوقير القدره ومكانه وبعد ورود الاحكام الشريفة السلطانية اليه أخذ في أهبة السفر وتوجه من مصر من طريق البحر الى بندر جدة ثم وصل الى مكة شرفها الله تعالى في أواخر سنة تسع وسبعين وتسعمائة مهتما غاية الاهتمام سائلا من الله تعالى الاعانة والامداد التام وكانت الاوامر الشريفة السلطانية المتكلم عليه من جانب السلطانية المنيفة الخاقانية سيدنا ومولانا ناظر المسجد الحرام ومدرس مدرسة أعظم سلاطين الانام بدر الملة والدين حسين الحسيني خلد الله سعادته ففرح بهذه الخدمة الشريفة الفرح التام وشد مناطق عزمه على مناطق عزمه وقام في ذلك أحسن قيام وحصل بين مولانا الناظر والامير أحمد المشار اليه كمال الملاءمة والاتفاق وبذلك يحصل تمام النجاح والارتفاق وجرت عادة الله أن الخير كله في الوفاق والشر جميعه في الشقاق ولم يكن الرفق في شيء الا زانه ولم يكن العنف في أمر الا شانه ومن أراد الرفق بعباد الله رفق الله تعالى به وأعانه ووصل لهذه العمارة الشريفة معمار دقيق الانظار جليل الآثار تقدم له مباشرة الابنية العظيمة وحصلت له بالتجربة خبرة تامة ومعرفة مستقيمة أجمع المهندسون على تقدمه في هذه الصناعة ودقة نظره في لوازم هذه البضاعة اسمه المعمار محمد جاويش الديوان العالي وهو انسان من أهل الخير

فامتنع العسكر أشد الامتناع فرجع الى مكة

(الغزوة الحادية عشرة)

كانت في العام المذكور بعد رجوع السيد فهيد جهز له مولانا الشريف غالب جيشا وأمره بالرجوع وان يغزوا اهل رنية فسار بمن معه حتى أناخ بهم ووقع القتال بينه وبينهم فملكها وأخذ ما فيها من الغنائم وأحرق دورها ثم قصد بيشة فنزل منها موضعا يسمى الجنينة وقابله أهلها بالترحاب وأرسل الجواسيس ينظرون له قوما حماهم لهم أراد الاغارة عليهم فرجعوا وأخبروه انهم ارتحلوا وأبعدوا ولم يبق منهم أحد فرجع الى رنية ثم الى تربة ثم الى مكة وفي هذه السنة أعني سنة احدى عشرة توفي السيد عبد العزيز بن مساعد وهو أخو مولانا الشريف وكانت وفاته في الثاني والعشرين من جمادى الاولى ودفن في قبة السيدة خديجة على أخيه الشريف سرور وفي قبره وفي شهر رمضان ركب سيدنا الشريف بنفسه على بني عمرو وأهل القاع لقطعهم الطريق فقتل منهم ثلاثة وربط أربعة وأتلف مراحهم ورجع الى جدة ثم الى مكة وهذه خارجة عن الغزوات المتعلقة بالوهابي

(ذكر الحريق الذي في دار أولاد الشريف سرور سنة ١٢١٢)

وفي سابع عشر محرم من سنة اثنتي عشرة حرقت دار بباب القطبي لاولاد الشريف سرور وفيها من الادباش ما ضيق عنه السطور وهي خراب الى يومنا هذا وفي سنة اثنتي عشرة أيضا أرسل مولانا الشريف الشيخ أحمد تركي للدولة العلية يستنجدهم ويطلب منهم الاعانة على دفاع الوهابية فلم يجيبوا دعوته ولم يلتفتوا لذلك ولم يكترثوا به فما زال قائما بدفاعهم وحده

(الغزوة الثانية عشرة)

كانت في الخامس والعشرين من محرم سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه أيضا السيد فهيد بن عبد الله بن سعيد فأغار على قوم موهبين من حرب في عرق الدسم وغنم ما عندهم من النعم ورجع سالما

(الغزوة الثالثة عشرة)

كانت في الخامس والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتي عشرة أيضا جهز مولانا الشريف غالب جيشا وأمر عليه السيد مبارك بن محمد بن مساعد بن سعيد فأغار على قوم من حرب أيضا موهبين وكانوا في موضع يقال له العلم فأخذ مراحهم ومواشيهم ثم توجه مقبلا فصادف خمسة وأربعين من الوهابيين خارجين ببضاعة اشتروها من المدينة المنورة فقبضهم ووضعهم في الحديد ثم أخذ أخبارهم وقتلهم جميعا وأقبل راجعا فبلغ مولانا الشريف رجوعه فمنعه من الرجوع وأمده بجيش

عظيم الامانة كثير الديانة مستقيم الرأي منور الباطن مشكور السيرة زاد الله توفيقه وأرشد طريقه فاتفق الناظر والأمين والمعمار على الشروع في هدم ما يجب هدمه الى أن يوصل الى الاساس فشرع أولا في أكمال الدبل المستقل لاجراء عين عرفات وبناه من جهة المدعى ثم مر به من عرض ثم من جهة سويقة ثم عطف به الى السوق الصغير وأكمله الى منتهاه وبنى نيه في الابطح جعل فيها مقسم ماء عرفات وركب في جداره برابيز من النحاس يشرب منها المارة ثم بنى مسجدا وسبيلا وحوض ماء للدواب على يمين الصاعد الى الابطح في قبلي بستان بيرم خواجه الصاير الى المرحومة الخاصكية أم سلاطين آل عثمان ثم بنى مسجدا آخر وسبيلا ومتوضأ في انتهاء سوق المعلاة على يسار الصاعد وكل ذلك من أعمال الخير الجارية النافعة للمسلمين وعرض ذلك على أبواب السلطنة الشريفة فأنعمت على الامير المشار اليه سبعين آلاف عثماني زيادة في علوفته في مقابلة هذه الخدمة ثم شرع في تجديد أروقة الحرم الشريف فبدأ فيه بالهدم من جهة باب السلام في منتصف ربيع الاول سنة ثمانين وتسعمائة وأحدث المعاول تعمل في رأس شرفات المسجد وظاهر سقفه الى أن ينكشف السقف فتنزل أخشابه الى الارض وتجمع في صحن المسجد الشريف وتنقل الارض من نقض البناء وأتربته وتحمل على الدواب وترمى في أسفل مكة في ناحية جبل الفلق ثم تنام الاساطين الرخام الى ان تنزل بالرفق الى الارض واستمروا في هذا العمل الى ان نظفوا وجه الارض من ذلك من باب علي الى باب السلام وهو الجانب الشرقي من المسجد ثم كشفوا عن أساسه فوجدوه مختلا فأخرجوا الاساس جميعه وكان جدارا عريضا نازلا في الارض على هيئة بيوت رقعة الشطرنج وكان موضع تقاطع الجدران على وجه الارض قاعدة تركيب الاسطوانة على تلك القاعدة فشرع أولا في موضع الاساس على وجه الاحكام والاتقان من جانب باب السلام است مضين من جمادى الاولى سنة ثمانين وتسعمائة واجتمعت الاشراف والكبراء والامراء والفقراء والمشايخ والصلحاء تبركا وتيمنا بالحضور في هذا الخير العظيم وقرئت الفواتح بالاخلاص من سويداء القلب الصميم وذبحت الابقار والانعام والاغنام وتصدق بها على الفقراء والخدام ووضع الاساس المبارك باعانة الله تعالى وتبارك وكان يوما مباركا مشهودا ميمنا ميمونا مسعودا ولله الحمد على هذا الاكرام وله الشكر والثناء

آخر في جمادى الاولى وأمر عليه السيد سعد بن سعيد عرعرطة فتكون هذه

(الغزوة الرابعة عشرة)

فأقبل السيد سعد المذكور حتى اجتمع بالسيد مبارك بن محمد على صلبة تلك الجنود وارتحلوا وأقاموا على مران وارسلوا العيون والجواسيس فرجعوا اليهم واخبروهم ان الوهابي جمع لهم جموعا لا طاقة لهم بقتالهم فأرادوا الرجوع الى مكة فمنعهم مولانا الشريف من الرجوع وخرج بنفسه وهي

(الغزوة الخامسة عشرة ويقال لها غزوة الخرمة التي كان فيها الوقعة العظمى)

غزا فيها مولانا الشريف غالب بنفسه وكانت في الحادي عشر من شعبان سنة اثنتي عشرة أيضا جمع مولانا الشريف جماعة عظيمة من ابطال الرجال وادخر الخزائن كامثال الجبال وفرق على القوم الكثير من المال وأخذ معه جملة من أرباب الصنائع والحرف وتوجه وأناخ بوادي العقيق واجتمعت عليه القبائل من كل مكان ثم توجه الى مران فوفد عليه السيد مبارك بن محمد والسيد سعد بن عرعطة ثم ارتحل الى المويه والبقرة واغار على قوم من قحطان وأخذ مواشيهم ثم أغار على ابن قرملة في القنصلية ووقع فيهم ذبحة عظيمة وفر ابن قرملة منهزما ثم عاد مولانا الشريف الى رنية وحاربها وقطع نخلها وحريمها فأطاعه أهلها وطلبوا الصلح فعفا عنهم وسالمهم ثم ارتحل الى بيشة فاقر بها جماعة أعطوه الطاعة وفر آخرون فاحرق دورهم ثم أتى فيها رتبة وارتحل الى الخرمة وبادرها ولم يبق لها حرمة وأقام بها أياما ففي بعض الايام ورد عليه شريف من العبادلة اسمه لوي وأخبره بقدوم الوهابيين كالسيل المنهمر والجراد المنتشر واتهمه ولم يصدقه ظنا انه تابع لتلك العصابة فما مضى يوم أو يومان حتى أقبلوا بجنود كالرمال ووقع القتال بينه وبينهم فكانت هناك ملحمة كبرى فقتل فيها من الفريقين ما يربو عن الالفين وقتل من أغلب بدو الاشراف نيف وأربعون شريفا وكانت الغلبة يومئذ للوهابيين فرجع مولانا الشريف بعد انقضاء القتال الى مكة ودخلها لثلاث خلون من ذي القعدة وفي شهر جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة ورد فرمان من الدولة بتحصين الحرمين تحفظا من الفرنسيس بعد أخذهم مصر فقرئ الفرمان بمكة والمدينة فأمروا الناس بالاستعداد للكفاح بتعلم الرمي وحمل السلاح وأخذوا سور جدة وعمروه واستعد الناس لذلك غاية الاستعداد وكفى الله المؤمنين القتال

(ذكر الصلح سنة ١٢١٣)

وفي غاية جمادى الاولى من سنة ثلاث عشرة انعقد الصلح بين مولانا الشريف غالب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات كانت بينهما وجعلوا حدود الممالك والقبائل التي تحت طاعة مولانا

الحسن في المبدأ والختام وكانت الأساطين المبنية سابقا على نسق واحد في جميع الأروقة فظهر لهم أن ذلك الوضع لا يقوى على تركيب القبب عليها لقلة استحكامها إذ القبة يجب أن يكون لها دعائم أربعة قوية تحملها من جوانبها الأربع فرأوا أن يدخلوا بين أساطين الرخام الأبيض دعامات أخر تبنى من الحجر الشميسي الأصفر يكون سمكها مقدار سمك أربع اسطوانات من الرخام ليكون متحملا لها من كل جانب فتقوى على تركيب القبب من فوقها ويكون كل صف من أساطين الأروقة الثلاثة في غاية الزينة والقوة ففي أول ركن من الرواق الأول دعامة قوية مبنية من الحجر الشميسي ثم اسطوانة رخام كذلك ثم دعامة من الحجر الأصفر الشميسي وعلى هذا المنوال إلى آخر هذا الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثاني من الرواق الثاني كذلك على هذا المنوال إلى آخر هذا الصف من أساطين الرواق ثم الصف الثالث من الرواق الثالث على هذا المنوال وبنيت القبب على تلك الدعائم والأساطين في دور المسجد جميعه وشرعوا من ركن المسجد الشريف من جهة باب السلام كما تقدم وقاسوا تلك الصفوف حتى استوت وأزالوا ما كان قبل ذلك من الازورار والاعوجاج والحجر الشميسي نسبة إلى شميس تصغير شمس جبل بقرب بئر شميس وهي حد الحرم من جانب جدة به جبيلات صغار تكسر منها هذه الأحجار وتحمل إلى مكة مسافة ما دون ليلة فكان في إدخال هذه الدعامات الصفر ما بين الأساطين البيض حكمة أخرى غير الاستحكام والزينة وهي أن أساطين الرخام الباقية في المسجد كانت في جوانبه الأربعة لأن الجانب الغربي احترقت أساطينه الرخام وسقفه أيام الجراكسة في دولة الناصر فرج بن برقوق في سنة اثنتين وثمانمائة وأرسل ما حصل من أمرائه الأمير بيسق الظاهري إلى مكة المشرفة فعمر الجانب الذي احترق من المسجد الحرام بالحجر الصوان المنحوت كما قدمنا ذكر ذلك في محله وصارت الجوانب الثلاثة من المسجد الحرام وهي الجانب الشرقي والجانب اليماني والجانب الشامي على نسبة واحدة أساطينها من الرخام الأبيض وأساطين الجانب الغربي جميعها من قطع الحجارة المنحوتة من الحجر الصوان غير مناسبة للجوانب الأخر الآن وبإدخال هذه الدعامات الصفر صارت الأساطين كلها على نسبة واحدة وهي أن كل ثلاث أساطين من الرخام الأبيض يكون رابعها دعامة واحدة من الحجر الأصفر الشميسي وذلك في غالب الأروقة من الجوانب الأربعة من المسجد الشريف

الشريف والتي تحت طاعتهم فكان ممن في حدوده وطاعته القبائل التي حول مكة والمدينة والطائف وبنو سعد وناصرة وبجيلة وغامد وزهران والخوا وبارق ومحائل وغير ذلك ثم دسوا الدسائس وصاروا يكاتبون القبائل خفية ويرسلون لهم من يفسدهم حتى انتقض الصلح وتبعوهم كما سيأتي بيان ذلك وقد ارتبط بينهم عهود ومواثيق على المسالمة وأن الحرب بينهم موقوف وأن يحج الوهابيون بيت الله الحرام ونادى المنادي بالأمن والأمان ومنع الناس عن التعرض لهم باليد واللسان فأقبلوا على مكة من كل مكان فسبحانه وتعالى كل يوم هو في شان وفي موسم هذا العام حج من علمائهم حمد بن ناصر ومعه شرذمة من الوهابيين ولم يحج أميرهم لكون صاحب بغداد سليمان باشا جهز عليه جيشا ليس له حد وجعل أميره علي بيك كتخدا الوزير المذكور فغزا العرضي وأحاط بهم وحصرهم أشد الحصار فذاقوا وادرعوا من ذلك وأيقنوا بالهلاك لكن لما كان في علم الله أن مدتهم باقية لم تتم هيأ لهم أسبابا توسطوا وأرسلوا أموالا أفسدوا كثيرا من أهل العرضي فركب علي بيك خائب السعي ولم يظفر له المقصود وقرهار بالتبديد شمل ذلك الجيش وتفرق ولم ينل منهم شيأ لأنهم لما كانت مدتهم باقية كانت الرشوة لهم واقية

﴿ذكر حج سعود سنة ١٢١٤﴾

وفي سنة أربع عشرة حج سعود بن عبد العزيز ومعه قوم كأمثال الرمال واجتمع بمولانا الشريف في خيمة ضربت لهما بالأبطح وفي الثامن والعشرين من ذي الحجة ارتحل وحج أيضا في سنة خمس عشرة ومعه جند عظيم وقدم سعود لمولانا الشريف هدية تقدم بها قبله حمد بن ناصر وهي خمسة وثلاثون رأسا من الخيل وعشرون من النوق العمانيات فقبل ذلك مولانا الشريف وكافأهم على ذلك بما يليق بشأنه وكان مولانا الشريف قبل قدومهم للحج قد احترس وتحرز منهم خوفا من وقوع غدرهم فأمر أولا ببناء سور الطائف ثم ببناء الأبراج التي في أطراف مكة فشيد مداخل مكة بالأبراج وطلب كثيرا من القبائل من جميع الفجاج ورتب جميع المداخل والأبراج فلم يدخل سعود وجيشه مكة قبل الوقوف بل نزل بعرفة وكان معه ما يزيد على عشرين ألفا وفي أيام منى في اليوم الثاني عشر وقعت خصومة بين عربان سيدنا الشريف وقوم سعود آلت إلى قتال وضرب بالرصاص فما زال مولانا الشريف يمنع عربانه حتى كف القتال واتصل الجري إلى مكة وفي كل ناحية ومكة ونزل الناس من منى قبل الزوال وفي اليوم السابع عشر من ذي الحجة توجه سعود بقومه إلى الشرق وفي هذه المدة التي مضت بعد الصلح كان سعود يراسل خفية كثيرا من مشايخ القبائل أرباب البغي والفساد فكاتب شيخ محايل سعدى بن شار وشيخ بارق أحمد بن زاهر فصارا يفسدان كثيرا من القبائل حتى كان منهما من الفساد

كأنها تاج على أقدامها بنابة الاحكام كأنها فوق رافعة بالادب حول صحن مسجد بيت الله الحرام من جهاته الاربع وهي أعلى من الارتفاع السابق وأرفع كأنها تنشد بلسان حالها مفتخرة على أمثالها بل تفوق على ماسواها وأطول
ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول
واستمر أمير العمارة الشريفة حضرة الامير أحمد المشار اليه شكر الله سعيه وبارك له وعليه في غاية بذل الجد والاجتهاد مقرون الحركة بالتوفيق والسداد يتلطف بالخدم والعمال ويتفضل عليهم بأنواع الافضال ويوصلهم أجورهم كاملة لا يقتطع منها مقتطعا من أحد ولا يضر بجانبه بل يزيدهم من عنده ويسامحهم بعناية مع كمال الدقة في الاموال السلطانية والحرص على حفظها وعدم التبذير فيها وأما مال نفسه فيوسع به على الفقراء ويبذل لهم وللخدام والعمال ما أراد ويحسن الى أهل البلاد مع التواضع وحسن الخلق ولين الكلام ومواساة الناس في جميع المهام والمشي في تشييع الجنائز معهم وعيادة مرضاهم وسلام القدوم واستجلاب رضاهم بحيث ترك عظمة الامارة وصار من جملة فقراء الناس لكثرة تواضعه فأحبه الناس وحمدوه وشكروا جميله واحسانه وذكروا كثرة تجمله ولطفه ولقد جاءني الى منزلي متفضلا مرارا وأنا من آحاد الفقهاء بل من أدنى الفقراء وما فعل ذلك الا محبة في الله أحبه الله لا لأمر يناله مني فانه أجل قدرا وأعظم خطرا من ذلك وما ذكرته الا ليعلم حسن تواضعه وتخلقه وتأنسه بالاوصاف الجميلة وتخضعه فلا جرم أن الله تعالى وفقه لهذه الخدمة السنية الفاخرة وأتم عمل هذا الخير العظيم على يده فيكفيه ذلك سعادة في الدنيا والآخرة فكم من وزير كبير نبيل بل ملك عظيم جليل يتمنى الوقوف في هذه الخدمة مع جلالته ويعدها من أكبر سعادة دنياه وآخرته وما قدرها الله تعالى الا لمن ظهرت العناية الازلية في حقه فاختاره الله تعالى لذلك من بين عباده واصطفاه من خلقه وهو هذا الامير الكريم الصفات والله تعالى يعينه على فعل الخيرات ويسدده في أفعاله وأقواله ويوفقه للباقيات الصالحات فلما كمل جانبين من المسجد وهما الجانب الشرقي والجانب الشمالي وحصل خبر انتقال حضرة السلطان سليم الى دار النعيم رحمه الله وطيب ثراه وأحسن اليه في الدار الآخرة واستمر حضرة الامير أحمد المشار اليه أحسن الله تعالى اليه في عمله المبرور وفعله المعمور بالمعمور

ما حصل بسببه انتقاض الصلح وكان سببا في دخول جميع قبائل الحجاز في دين الوهابية ولما بلغ مولانا الشريف أن شيخ شمائل كان يهم بنقض على دينهم وخلع طاعة مولانا الشريف غالب أرسل لوزيره بالقنفذة أبي بكر بن عثمان وكان مشهورا بالشجاعة وأمره أن يجمع كثيرا من العساكر ويجمع ما أمكنه من القبائل ويذهب لقتال شيخ شمائل فامتثل أمره وخرج لقتاله فوقع بينهما قتال شديد وهزمهم الوزير وملك ما في واديهم ثم أضرم النار ببلادهم ثم عاد الى القنفذة

﴿الغزوة السادسة عشرة﴾

وهي الغزوة السادسة عشرة ثم بعد أيام بلغ الوزير بالقنفذة أنهم رجعوا وتجمعوا للفساد وصاروا يراسلون أهل تلك الاطراف فدخل في دينهم كثير من أهل تلك الاراضي ومن لم يطعهم يتهددونه بالسيف والسنان فعند ذلك أرسل الوزير لمولانا الشريف يعرفه حقيقة الامر

﴿الغزوة السابعة عشرة﴾

فكانت الغزوة السابعة عشرة وذلك ان مولانا الشريف جهز جيشا عظيما وأمر عليه السيد منديل ابن أبي طالب فتوجه حتى وصل الى القنفذة واجتمع بوزيرها ثم توجه بمن معه الى قوز أبي العير وعرض عليه بنو سهل وبنو زيد ورجال وزبيد فرأيهم على بني كنانة وقتلوا منهم قتيلة ورجع الى قوز أبي العير وفي هذا الاثناء جاء الخبر لمولانا الشريف ان أهل حلي دخلوا في دين الوهابي فأرسل غزوة أخرى معينة للسيد منديل

﴿الغزوة الثامنة عشرة﴾

وهي الغزوة الثامنة عشرة جهز جيشا وأمر عليه السيد ناصر بن سليمان فسار حتى أناخ على حلي ووقع بينه وبين أهله القتال فقتل منهم كثيرا وغنم من البقر والغنم والدقيق شيأ كثيرا وسبى بعض العسكر بعض أولادهم وباعهم بمكة بيع الرقيق ورجعوا الى مكة ودخلوها سابع عشر رمضان سنة ست عشرة ورجع معهم بعض أهل حلي تائبين مطيعين راجعين عن دين الوهابية وطلبوا من مولانا الشريف أن يرسل معهم جيشا يقيم بأرضهم وتعهدوا انهم يمونونه وينصرونه وان يؤمر عليه واحدا من بني عمه ففعل ذلك وأرسل معهم جيشا وأمر عليه وعليهم السيد منديل بن أبي طالب

﴿الغزوة التاسعة عشرة﴾

فكانت هذه الغزوة التاسعة عشرة فلما أناخ على حلي استحسن أن يعمل عليها سورا للحفظ من العدو فاستأذن مولانا الشريف فأذن له فبناه وجمع عنده من التجار والحرائث شيأ كثيرا لخافة هجوم العدو فلما تم له ثمانية أشهر بلغه أن الوهابيين مقبلون للقتال على رأس أمرائهم عشر وكان

مستعينا بالله ولي الامور ﴿فصل في وفاة المرحوم المقدس السلطان سليم الثاني وانتقاله الى عالم القدس من ملك هذا الفاني﴾

لما كان لكل أجل كتاب ولكل نفس أنفاس معدودة قدرها الله تعالى في أم الكتاب لا يسلم منه والد ولا مولود ولا سلطان ولا جنود ولا سيد ولا مسود ولا يخلو منه شيء خرج من كتم العدم الى فضاء الوجود هو الموت سلطان البرايا بالعاجز • لديه وغلاب لكن لم يغالب ودرع الفتى في حكمه درع غارة • وايوان كسرى من بيوت العناكب قدر الله تعالى له بالانابة عن كل ما يخالف أمره ورضاه وغلب عليه قرب توجهه الى الله صلاحه وتقواه وطهره الله تعالى بمقاساة المرض وكفاه وصيره نورا روحانيا وجوهرا علويا سنيا وهيكلا شريفا ملكيا يصلح لجناب قدسه الكريم ودعاه فلباه بقلب سليم ومضى الى رحمة ربه الرحيم فائزا بالملك الاخروي في جنات النعيم مخاطبا من الحضرة الالهية بلسان الالطاف الرحمانية يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي • وكان وقوع هذا الامر المهول لسبع مضين من شهر رمضان فيضان الرحمة والاحسان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ودفن جسده الشريف وهيكله الطاهر المنيف بقرب أياصوفية بتربة طيبة غراء وروضة نضرة غناء تنوح بها ورق الاطيار وتبكي فيها سحب الامطار وتشقق أنوارها أكمام الازهار وتلطم خدودها أوراق البهار أنزل الله تعالى عليه مطر الرحمة والرضوان وجعل قبره الشريف روضة من رياض الجنان

سرى نعشه فوق الرقاب وطالما • سرى جوده فوق الركاب ونائله
أفاض عيون الناس حتى كأنما • عيونهم مما تفيض أنامله
منهم
فيا عين مهمى لا تنحى بسائل • على ملك لا يعرف الدهر سائله
فان تدفنوا تحت التراب جلاله • فما دفنت أوصافه وشمائله
سقى جدثا هالت عليه ترابه • أنامله سح الغمام ووابله

﴿الباب العاشر﴾ في سلطنة سلطان العصر والزمان خاقان خواقين العهد والدوران ملك ملوك المشرقين والمغربين سلطان سلاطين الخافقين خادم الحرمين الشريفين عامر البلدين المحترمين المنيفين أعظم سلطان خفقت عليه البنود وتشرفت بمدحه رؤس المنابر وأكبر مليك جند الجنود وكتب الكتائب وحشد العساكر وأعدل خليفة انتظم به نظام الوجود وعقدت على عظمته عقود الخناصر ملك اذا ضاق الزمان بأهله •

فاجر اختالا وقد أرسلوا الشيخ على واستمالوه فمال وانعقد بينهم الكلام على أنهم متى خرجوا لقتالكم يمنعهم من الدخول فلما أقبلوا وخرج السيد منديل لقتالهم غالب المراحل وبقي بنفسه في البلد ومعه خمسون مقاتلا فوقع بينهم قتال شديد وقتل من الفريقين جمع عديد ثم انهزم الوهابيون من حديقة وقرر وجعلوا لهم كمينا فلما جدوا خلفهم ظهر الكمين واشتد القتال وعجز بين الفريقين حر النهار وقيل انه لما ظهر الكمين كانت الغلبة لهم ثم أظهر أهل على الخيانة وأمروا السيد منديلا بالخروج من البلد وترسوا الاسوار ومنعوا السيد منديلا فتفكر ورأى ان العود أحمد فاختار الخروج فرجع الى مكة سالما

﴿الغزية المكملة عشرين﴾

الغزية المكملة عشرين حاصلها ان مولانا الشريف بلغه أن عربانا بساحل اليمن تجاه الاحسبة دخلوا في هذا الدين المبتدع منهم قبيلة يقال لها دمينة وقبيلة يقال لها عامد الشرعاء فأرسل غزية من السادة الاشراف ومعهم كثير من العسكر والبوادي وأمر على هذه الغزية السيد سعد بن زيد القتادي فسار حتى نزل بموضع يقال له أم الخشب وأغار على آل دمينة وعامد الشرعاء وقتل فيهم وأخذ مواشيهم وبلغ منهم تسعة عشر رجلا ورجع الى أم الخشب

﴿الغزية الحادية والعشرون﴾

الغزية الحادية والعشرون كانت من وزير القنفدة أبي بكر بن عثمان وحاصلها ان المذكور كان قد أذاقهم الويل في قتاله لهم فصاروا يترصدون له ويحتالون على اغتياله وطاعة ثلاث قبائل مكرا وخديعة وهم بالقرن وبنو سهيم وبالمنتشر وتجمعوا في مواضعهم وكاتبوه ان يقبل عليهم ليقاتلوا معه الوهابيين والمجاورين لهم وأضمروا انه اذا وصل اليهم قبضوا عليه بالبلد فأقبل عليهم بمن معه من الجند فلما وصل اليهم بادروه بالقتال واستضعفوا من كان معه فقاتلهم بمن معه وأظهره الله عليهم وقتل كثيرا منهم وأخذ كثيرا من مواشيهم ورجع وخيم بموضع قريب من القنفذة ثم انتقل الى أم الخشب واجتمع بالسيد سعد بن زيد القتادي ثم بلغه أن الوهابيين أقبلوا بجنود كثيرة وانهم افترقوا فرقتين فرقة قصدها دخول القنفذة وفرقة تقاتله خارج القنفذة فلما بلغه هذا الخبر توجه في الاثر فأقبلت فرقة تقاتل السيد سعدا ومن معه ولما أشرفوا على الموضع الذي هو فيه عرفوا انهم لا طاقة لهم به فتركوه وأما الفرقة التي أقبلت على القنفذة

﴿الغزية الثانية والعشرون﴾

فادركهم الوزير بموضع يقال له دكان فقاتلهم وأثخن فيهم القتل ونهب مواشيهم وأثقالهم ولم يسلم

منهم الاطو يل العمر ثم رجع الى القنفدة وينبغي أن تجعل هذه الغزوة ثانية لما قبلها فتكون هي الثانية والعشرين ثم ان مهدي بن شار شيخ قبائل جمع جموعا من كنانة وأهل الحجاز وعامد الفرعاء وقبائل يبلغون اثني عشر ألف فارس غير هو ومن معه على ان هم يملكون القنفدة واوس الرواء والشيوم وأطفالهم ونسائهم وكان ذلك على حين غفلة من الوزير وذلك في أوائل سنة سبع عشرة فلم يمكنه أن يجمع كثيرا من العربان وعلم ان تأخير القتال ذل ووبال فخرج عليهم ودهمهم بغتة

﴿ الغزوة الثالثة والعشرون سنة ١٢٢٣ ﴾

فتكون هذه الغزوة هي الثالثة والعشرين فوصل الى الموضع الذي هم فيه قبل الفجر ومعه سبعمائة رام وثلاثة عشر من الخيل وصاح فيهم كما يصيح الذئب في الغنم فقتل منهم قتلة تجل عن العدد حتى قال بعضهم لما سمع بهذه القتلة هذه هي داهية الدفعة قيل ان القتلى بلغوا أربعمائة والجرحى مائتين وأخذ سلاحهم ومواشيهم وهرب الباقون وربط منهم نحو المائتين وهذه الوقائع المذكورة بعد الصلح كلها كانت في مدة الصلح لما وقع منهم من الغدر بافسادهم القبائل بوسائط أتباعهم الذين يوسوسون لهم ويدخلونهم في الدين حتى افسدوا جميع اقليم اليمن ثم سرى الامر الى غيرهم ولما علم سعود أن اقليم اليمن سيصير تحت يده سلط سالم بن شكبان على قبائل زهران فشرع في افسادهم وسلط عربانه عليهم فلما علم بذلك سيدنا الشريف غالب أرسل كتابا لعبد العزيز وسعود يطلب منهما الوفاء بالعهود فأرسل كل منهما كتابا يعتذر باعذار واهية وزعم ان هذه الشوائع أكاذيب من العربان يرى بها بعضهم بعضا لاجل نقض الصلح فأرسل مولانا الشريف السيد ناصر ابن سلطان بن حازم وأمره أن ينزل عند زهران ويعرفه عثمان وزان فأقام عندهم أياما فظهر له تحقيق الخبر فعرف بذلك مولانا الشريف غالب فأرسل مولانا الشريف الى الدرعية رجعه عثمان ابن عبد الرحمن المضايفي ومعه من كبار الاشراف السيد عبد المحسن الحرث وجماعة منهم ابن حميد شيخ المقطة لاجل تجديد الصلح والعهود وربط الامر واحكامه فتوجهوا من الطائف وكان مولانا الشريف اذ ذاك بالطائف فلما وصلوا الى الدرعية والتقوا بعبد العزيز قدموا له المكاتيب فقابلهم بالبشاشة والترحيب فأول ما نطق به عثمان ان قال يا عبد العزيز بشرني بالامارة وأنا لا عكة عليك بها وأطلب منك أن تخلي في المجلس لامور أسديها فاختلى معه وحدثه بكلام طابله وأمره على الطائف وما حوله من العربان ولم يجتمع عبد العزيز وسعود بالسيد عبد المحسن وابن حميد في مجلس آخر الا يوم السفر فكتب لهم جوابات مكاتيب الشريف وجعلوا الكلام الذي فيها ثاره ظاهرية الكلام في كتبه وكان ذلك مكرا وخديعة وأمرهم بالتوجه وكان عثمان قد كرله أمما شيوخ

بحلا توسع في المكارم وانفسح ❊ تكبو السحائب اذ تجارى كفه ❊ فالغيث من راحاته عرق رشح ومكلف الاسد الهصور بعدله في القفر أن يرعى الغزال اذا سنح المنصوب له على أعلى أوج سرير السلطنة سرادق الخلافة العظمى المرفوع في أرجاء بساط البسيطة لواء الملك الاسنى المظلم الاسماء حضرة السلطان الاعظم والخاقان الاكرم السلطان مراد خان ابن السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان ❊ نسب كان عليه من شمس الضحى ❊ نورا ومن فلق الصباح عمودا لازالت أعلام خلافته مرفوعة على هام الثريا ولا برحت ألوية سلطنته منصوبة فوق الكواكب مكانا عليا مادام الجديدان وطلع النيران ولمع الفرقدان ❊ مولده الشريف في سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وجلس على تخت الملك الشريف في عاشر رمضان المبارك سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وسنه الشريف حين ولي الملك المنيف ثلاثون سنة وهو ملك همام وأسد ضرغام وهزبر مقدام وسيف صمصام وبحر طام ومالك بقائم سيفه ملوك الاملاك وأدار على حسب مراده الافلاك وطار صيت عظمته ما بين السماك والاسماك وطابق الصبح والليل أسعد الله سبحانه ملك وسلطانه شد اوتاد كار الهالم وسلطانه وامام المسلمين الذي اذا احتاس على كرسيه فما قدر كسرى وايوانه وهو منزه عن الهزل والرضاع مجبول على كرم الخصال وشرف الطباع مشغول اللسان بالذكر والقرآن مشغوف الجنان بالسيف والجنان ممدود الهمة الى معالي الشان مصروف الامنية لعلو القدر ورفعة المكان لم يزل قائما بنصرة الدين وحماية بيضة الاسلام وتقوية جناح المسلمين وانى أشرق هذه الرسالة منيرة معدلته في الرعايا وأعدت عواطفه الله عليه من كرم السجايا وحبب الى خلقه الشريف من الرأفة بالبرايا والمحبة لعلماء الدين واكرامهم بالمواهب والعطايا وحسن نظره الى الحرمين الشريفين واحسانه الى الفقهاء والفقراء والصلحاء بالبلدين المنيفين وأمره الشريف بتكميل عمارة المسجد الحرام عمارة فائقة حسنة رائقة باقية في صفحات الايام فاق بها من قبله من الخلفاء الكرام وسائر سلاطين الانام وكافة ملوك الاسلام فلقد آتاه الله ما لم يؤت أحدا من العالمين وجعله من أعظم سادة الدنيا والدين وجعله ملكا كريما وسلطانا رؤفا رحيما ومنحه ملكا جليلا عظيما وأقطاعا عند مراده بسبحانه فلا يتعداه عاقلا في أمره بتوفيق الله مراعيا العدل والاحسان فيما هو عليه

معالى بنى عثمان غير خفية • وكل الى شأو المفاخر سابق وقد تخمد الشمس النجوم بضوئها • تفاوتت الانوار والكل رائق باسم مراد ينجلى كل مشكل • عويص وتنقاد الجبال الشواهق وبوهمنا فى ان آدم لم يعت • حنوعلى أولاده منه صادق ولطف تساوى الخلق فيه فضمهم • كما ضمت الحصر الرقيق المناطق بقاؤك فى الاسلام عزمؤبد • فدم وابق للاسلام ما ذرشارق طالما عمرنى وغمرنى باحسانه وهو شهزاده قبل جلوسه الشريف على تخت السلطنة والسعادة وشملنى لحظه الشريف السلطانى بالحسنى وزيادة واستمر ذلك اللحظ الشريف السلطانى يشملنى بلطفه واكرامه ويكرمنى بحسن التفاته الشريف وانعامه فوق مابيدى من المدرسة (٢٧٣) الشريفة السلطانية السليمانية مدرسة جده المرحوم المحفوف بالرحمة الرحمانية وأنعم على أولادى بالتدريس وأولادهم بكل اكرام واحسان لطيف نفيس

فلو أن لى فى كل منبت شعرة
لسانا يبث الشكر كنت مقصرا
ومابيدى الا الدعاء لعمره
ليلك تيسرا ملك كسرى وقيصرا

وانى لاخدمه آباؤ أولادى وأبنادى فى بلد الله المنيف بالدعاء بطول عمره الشريف وخلود ظل عدله الوريف وبقاء سلطنته القاهرة ودوام خلافته الزاهرة الباهرة وأخلد ذكره الشريف فى صدور الدفاتر والكتب والاشعار طيب عرف شكره على مرور الاعصار والحقب وانى وان أطنبت فى القول بسطة • وطار عنى هذا الكلام المحبر

لاعلم انى فى الثناء مقصر
وان الذى أولاه أربى وأوفر
ذاى جبل من عطاياه ينتهى
وفى كل حين فضله يتكرر
ولكننى مادمت حيا لشاكر
وشكره بعدى كتابى المسطر

﴿فصل﴾ ومن سعادة هذا السلطان الاعظم الاسعد ثبت الله سلطنته وشيد وأدام ملكه السعيد وخلد مقارنة والمدفع هذا الوزير المعظم الاكرم الافخم ظهير السلطنة الشريفة العثمانية وعضد الدولة المرادية الخاقانية مدبر الامور برأيه المصيب الثاقب ومهد مصالح الجمهور بفكره الدقيق الصائب أعظم وزراء السلاطين العظام وأكبر الصدور والكبراء الفخام فى دواوين أعظم ملوك الانام ﴿حضرة محمد باشا﴾ المشار الى حضرته العلية سابقا فى وزارة والد هذا السلطان الاعظم وجده قرن الله صدارته بسعادته وجده وأدام صدارته فى ظل اقبال هذا السلطان الاكرم وتمله بسعده فأول خدمة هذا الوزير حسن التدبير حتى أجلس حضرة هذا السلطان الاعظم روح هذا العالم على السرير وقام بأعباء هذا الامر الخطير ودبر ذلك برأيه السديد أحسن تدبير وأعانه

القبائل التى يريد الناس عليهم فكتب اليهم كتابا يخبرهم فيه بانه أقام عثمان المضايفى أميرا عليهم وسلطانا بيده والجماعة الذين معه لاعلم لهم بذلك كله الا انهم لما خرجوا من الدرعية متوجهين الى مكة أنكروا على عثمان فى كلامه فانه صار يمدح ما ابتدعه محمد بن عبد الوهاب من الطين ويثنى عليه ويرغب فى اتباعه والدخول فى طينه ومازالوا سائرين الى أن وصلوا العبيلاء وهو موضع بينه وبين الطائف يوم وله به حصن على جبل فجلس هنالك وأمرهم بالتوجه الى مكة وأظهر لهم انه يجىء فى أثرهم ودخل الحصن ونصب له بيرقا ودق الزير وأظهر الامارة وأرسل بعض الكتب التى معه لبعض شيوخ القبائل القريبة منه فاطاعوه وعزم على شن الغارة وكان بالطائف الشريف عبد المعين وكيلا عن أخيه ولم يكن مع عثمان من الخيل سوى ثمانية جمعها من الطريق والقها ملقفا ثم أرسل عثمان كتابا للشريف عبد المعين يامره بالدخول فى الطين وأول من أطاع عثمان من القبائل الطفحة ثم الذعمة والعصمة فغزا بهم على الزورات فاطاعوه بعد قتال ثم غزا بهم أسفل وادى لية على عوف وطال بينهم وبينه القتال فكسر وفر وجمع الى حصنه ثم خرج بمن معه على العرج فقاتله أهل العرج فهزمهم وأحرق دورهم ونهب مواشيهم وعاد الى حصنه ولما تحقق مولانا الشريف غالب أمره استدعى القبائل وأمرهم بالحضور فى الطائف فاجتمع بالطائف من القبائل ماينوف على ثلاثة آلاف

﴿الغزوة الرابعة والعشرون﴾

وهذه الغزوة الرابعة والعشرون وكان عثمان قد خرج من حصنه فى رمضان قاصدا قتال من بالطائف عن معه من العربان فخرج الشريف عبد المعين لاستقباله وقتاله بمن معه من القبائل وخرج معهم كثير من أهل الطائف والتقى مع عثمان وقومه بوادى العرج واقتتلوا قتالا شديدا من أول النهار الى غروب الشمس فكان النصر للشريف عبد المعين وقتل من قوم عثمان نحو الستين ولولا أنهم تحصنوا فى جبل منيع ماسلم منهم أحد وأخذ ما كان معهم من الابل والذخائر ورجع الى الطائف واستشهد من جماعة الشريف عبد المعين جماعة وهم السيد ابراهيم بن سعيد بن على وخمسة من أهل الطائف وثلاثة من ثقيف وأربعة من هذيل ثم رجع عثمان الى حصنه ومازال يراسل القبائل فعزم مولانا الشريف غالب أن يتوجه اليه بنفسه فجمع كثيرا من الجنود وأحضر كثيرا من الذخائر والمهمات وخرج من مكة ليلة الثامن عشر من رمضان

﴿الغزوة الخامسة والعشرون﴾

فكانت هذه الغزوة هى الخامسة والعشرين فسار بالجنود قاصدا العبيلاء والتقى باخيه الشريف عبد المعين قبل وصولها فلما نزلوا العبيلاء أحاطوا بالحصن من الجوانب الاربع ورموا عليه بالقنبرة

على ذلك تقدير اللطيف الخبير وتيسير العلي الكبير والله على كل شئ قدير وأقبلت السلطنة الشريفة عليه الى أن صار ملهج لسانها وعظم في عين الدولة الشريفة لحل محل انسانها وكبر شأنه وقد كان كبيرا عظيما وعم احسانه وكان كثيرا عميما وعرف نعمة الله فقابلها بالشكر والتحميد واعترف بآلاء الله تعالى جالب المزيد ورابط الكلية المقيد وأشرقت شمس سعادته في الآفاق وأورقت رياض صدارته الضر اراق وقلد أجياد أركان السلطنة الشريفة بعقود منه النفيسة المنيفة فكانت كالاطواق في الاعناق والنورق الاحداق بحيث لم يبق من أمراء الديوان وزعماء الجيوش والامراء والاكابر بكية الاعيان من لم يضرب بسهم وافر من عطاء ولم يغمره الافاز بانعامه وحباه وأحسن الى السادات والمشايخ والعلماء والموالي وسائر الفقهاء والاهالي والى أهل الحرمين الشريفين وجيران البلدين الطاهرين المنيفين وأكثر فيهما الصدقات وأسرى فيهما الخيرات من اجراء العيون وحفر الآبار وبناء ادار الشفاء والحمامات وغير ذلك من الاعمال الصالحات مستجلبا بذلك دعاء الفقراء والصلحاء وتوجه خاطر الاولياء والاصفياء بدوام دولة هذا السلطان الاعظم وقيام دولة سلطنته العظمى وخلافته الكبرى على هذا العالم قهرا واجابوه عن وظيفة الدعاء بدوام دولة سلطان الربع المسكون وبقاء صدارة هذا الوزير الاعظم بالسعد المقرون زين الله أعماله بحسن القبول وكسى ديباجة وجهه الشريف قبولا يدوم بدوام الصبا والقبول في ظل مراحم هذا السلطان الحقوق بالعدل والاحسان خلد الله سلطنته العادلة مدى الزمان وأبد خلافته الكاملة مادام الفرقدان واضاء النيران ومن سعادة هذا السلطان الاعظم خلد الله سلطنته القاهرة على جميع هذا العالم مقارنته لحضرة الخواجا المعظم الاسعد الاكرم الافضل الاكمل الاعلم الفائق في كل علم على من كان في علم العلوم فائقا والمتميز في كل فن على من كان في فن من الفنون ماهرا سابقا ان نظم أتى بعقود الجواهر من نحور الحور وان نثر نثر ازهار المنثور من الروض الممطور بعبارة رائقة والفة البراعة في الالسن الثلاثة وفصاحة بارعة فيما حازها كسا ورائقة طال ما بهر الناقد البصير بحسن التقرير والطف التحرير وأتى في البديهة بما يقصر عنه بعد الروية كل ماهر نحرير ولا شك انه يغترف من بحر الفيض

والمدافع فامتنع عليهم فتهاوأخذها وجاء يوم العيد وهو بالعبيلاء فعيد هناك ثم دخل الطائف وأقام به أياما ثم رجع الى العبيلاء مرة ثانية وحاصرها

﴿الغزية السادسة والعشرون﴾

وهذه الغزية السادسة والعشرون ولم يرد الله أن يستولي عليها فرجع الى الطائف فلما كان اليوم الخامس والعشرون من شوال أقبل على الطائف عثمان بن معمر من العربان وجاء مددا أمير بيشة سالم بن شكبان ومعه من العرب عدد كالرمال فاحاطوا بالطائف ووقع القتال بينهم طول النهار فلما غربت الشمس عادوا وابتعدوا عن السور بعدما أهلكتهم المدافع والقتال

﴿الغزية السابعة والعشرون﴾

وهذه ينبغي أن تكون الغزية السابعة والعشرين فلما أصبح الصباح أقبلت على الطائف طوائف الاحزاب وطال بينهم القتال حتى جاء الليل فرجعوا بعدان قتل كثير منهم الى خيامهم

﴿الغزية الثامنة والعشرون﴾

وهذه الغزية الثامنة والعشرون ووقع هذه الليلة أمر غريب يتعجب منه العاقل الاريب وذلك ان عربان الشريف تفرقوا واشتد زمهريرهم وغالبهم على العقود ويعطيهم ما أرادوا من المال فما وافقوه وظهر خلل كثير في السور والابراج واتفق السيد عبد الله بن سرور مع جماعة من الاشراف أن يرتحلوا من الطائف ويتوجهوا الى مكة وفعلوا ذلك فلما أصبح الصباح أخبروا مولانا الشريف غالب بالخبر وقيل له أيضا ان عثمان وسالم بن شكبان ومن معهم من العربان يريدون التوجه الى مكة فأرسل من يكشف له الخبر فجاءه ذلك الرسول وأخبره انه رآهم نازلين من ريع التمارة فتحقق الامر عنده فعزم أن يعود السير الى مكة من الطريق الثاني فخرج من قصره الذي في حوايا الى الطائف وحرضهم على قتال العدو وأعطى للعسكر ومن بقي من البوادي كل واحد عشرة مشاخصة وتوجه الى مكة على طريق المثناة ولما انفصل وغاب عن الطائف انشغل أهل الطائف وذهبت عقولهم وتركوا الحصون والاسوار وخرج من الطائف رجل يسمى دخيل الله بن حريب فاسرع جدا في طلب الوهابيين واسترجاعهم بعدان ولوا مدبرين وأخبرهم بتوجه الشريف الى مكة فرجعوا مقبلين وتقدمهم رجل يقال له عبد الله بن عيسى وكان من كبارهم يدبر لهم الامور وعبرهم عن بقي في السور فدخلها مع دخيل الله بن حريب وجاء الى بيت ابراهيم الزرعة وكان من أعز أهل البلد وأغناها فاتفق معه على مبلغ جزيل من المال يدفعه لسلامة أهل البلد

﴿ذكر قصة أهل الطائف وما وقع لهم من الوهابية﴾

القدسي ويفيض بالقوة القدسية ما استفاضه من عالم القدس على عالم الانسي وانه كتب الخط الحسن ومابقل خط عذاره الانضر وتميز في الكمالات على مشايخه فضلا عن أقرانه في عمر شبابه الازهر باحث العلماء في دقائق العلوم ورجح عليهم في تحقيق فهم المنطوق والمفهوم ونفث السحر الحلال بكلامه ورقم على وجنات الطروس نفثات أقلامه فبهر العقول والالباب وأتى بالتصانيف الفائقة في كل باب وآتاه العلم والسعادة وفصل الخطاب ثالث السعدين وثاني سعد الدين مكنه الله من العز المكين ومنحه أعلى رتب السعادة والفضل والتمكين ولقد أسعده الله وأكرمه غاية التكريم فساقه الى تعليم هذا السلطان الاعظم ذي الطبع السليم والخلق الكريم

وهو شهزاده وأقبل عليه بكمال قابليته الشريفة غاية الاقبال فانطبع في مرآة فطرته الذكية نقوش صور العلم والكمال وانتقش في صحيفة ذهنه الصقيل مزايا الفواضل والفضائل والافضال فلما ولى السلطنة العظمى عرف لمخدمته السابقة ورفع مرتبته السنية الفائقة وأعلى مكانته ومكانه وعز قدره وأعظم شانه فاشتاق العظماء والموالي العظام الى بابه وكذلك الاكابر والاعيان جهدوا الى جنابه فأحسن اليهم كما أحسن الله اليه وعطف عليهم بمزيد الحنو والاحسان كما عطفت السعادة والاقبال عليه فهو بالخير الجليل مذكور وبوفور اللطف والتكريم معروف مشهور ولقد شملني باحسانه الكثير الوافر وعضدني بلطفه وجميله المتواتر وأخذ بيدي أخذ الله بيده وأدام عليه فضله الباهر وأحسن غاية الاحسان الي وتفضل بأنواع التفضل علي وشمل بفضله أولادي وذوي نظر الله بعين عنايته وألطافه اليه وأجرى مواد الكرم والاحسان على يديه وأسعد في ظل هذا السلطان الاسعد وخلد سلطنته العظمى وأبد خلافته الكبرى وأيد وهذا الدعاء للبرية نافع • وحسن رجاء للسعادة جامع وقد حفه حسن القبول لانه • عليه شعاع الصدق والحق ساطع ﴿فصل﴾ ومن سعادة هذا السلطان الاعظم عمر الله بشمول سعادته وبرحمته علماء العالم كثرة العلماء العظام الاعالي والفضلاء الفخام الموالي والمشايخ الاولياء الكرام والاعالي في بابه الكريم العالي وتحت ظله الظليل المتعالي فانهم من اجتمعت به وعرفت كمال فضله واعترفت بعد مشاهدته رفعته في العلم وشأنه واعترفت من بحر فوائده وتقلدت

فخرج اليه وتحيث على أن يأتيهم بالامان من عثمان وسالم بن شكبان فرماه برصاصة من منارة بعض أهل الطائف فكان فيها موته هلاكه فلما علمت الوهابية بذلك حملوا على السور حملة واحدة ولم يوجد من له قدرة على قتالهم ومدافعتهم وكان جماعة من أهل الطائف خرجوا قبل ذلك هاربين فادركتهم الخيل وقتلوهم وماسلم منهم الا القليل ولما دخلوا الطائف قتلوا الناس قتلا عاما واستوعبوا الكبير والصغير والمأمور والامير والشريف والوضيع وصاروا يذبحون على صدر الام الطفل الرضيع وصاروا يصعدون البيوت يخرجون من توارى فيها فيقتلونهم ووجدوا جماعة يتدارسون القرآن فقتلوهم عن آخرهم حتى أبادوا من في البيوت جميعا ثم خرجوا الى الحوانيت والمساجد وقتلوا من فيها ويقتلون الرجل في المسجد وهو راكع أو ساجد حتى أفنوا هؤلاء المخلوقات فوراء الهم من جبار السموات ولم يبق من أهل الطائف الا شرذمة قدر نيف وعشرين تحصنوا في البيت الفتني وترسوه ومنعوه بالرصاص أن يصلوه وجماعة في بيت الفعر يبلغون مائتين وسبعين قاتلوهم يومهم ذلك اطفال وشاغلوهم بكثرة النضال ثم قاتلوهم في اليوم الثاني والثالث فعلم ابن شكبان ان لا سبيل الى هؤلاء الا بالمكر والخديعة فراسلهم بالامان وقال لهم انكم في وجه ابن شكبان وعثمان وأعطوهم على ذلك العهود فكفوا عن القتال وادخلوا عليهم جماعة وأخذوا منهم السلاح وقالوا لهم حله للمشركين غير مباح ثم أمروهم بالخروج لمقابلة الامير فلما امتثلوا بين يديه أمر بقتلهم جميعا ففازوا بالشهادة وكان قتلهم بقرب دحى دقاق الموز وكان جماعة متفرقون في بيوت ذوي عيسى نحو الخمسين كانوا متترسين برصاص فأخرجوهم أيضا بالامان والعهود على سلامة الارواح والرقاب دون بقية الاسباب ثم أخرجوهم الى وادي وج وتركوهم في البرد والثلج ومازالوا مكثوا في السوآتين حتى رموا عليهم اطمارا بالية من الكساء وجمعوا بين الرجال والنساء وصارت المخدرات في أسوء الحالات ثم عاهدوهم بعد ثلاثة عشر يوما على الدخول في الطين وصاروا يستكشفون المسلمين فيعطون المسائل المختلفة من الدرة مثل الكف يقضمها وصاروا العربان كل يوم يدخلون الطائف وينقلون الاموال الى الخارج فنهبوا النقود والعروض والاسامي والفراش وتم اتفقوا على ذلك فنهبت الفراش فصارت الاموال في نحوهم كامثال الجبال الا الكتب فانهم نشروها في تلك البطاح وفي الازقة والاسواق تعصف بها الرياح وكان فيها من المصاحف والرباع ألوف مؤلفة ومن نسخ البخاري ومسلم وبقية كتب الحديث والفقه والنحو وغير ذلك من بقية العلوم شيء كثير ومكثت أياما يطؤنها بأرجلهم لا يستطيع أحد أن يرفع منها ورقة وأخبرهم بعض شياطينهم ان عز الاموال مدفونة في الحالي فحفروا حفيرة في بعض المحال فوجدوا فيها

بدرر فوائده ومنهم من كانني بفضله وكاتبه لفضله وتحققت ثقوب فهمه ووفور علمه وعقله ومنهم من أسطت على اكماله بعد التفحص عن مرتبة فضله وافضاله فوجدتهم في الرتبة العليا في الفضل والكمال فاتقن علماء الدنيا في هذا العصر على كل حال فاني أتتبع علماء كل اقليم وأسأل عن مراتبهم في العلم وكمالاتهم في التعلم والتعليم وأكثر التفحص عن أحوالهم وتصانيفهم وفضائلهم وفوائدهم وتأليفهم واستجلب ما يمكن جلبه وأطلب منهم ذلك اذا أمكنني طلبه وأسترشد من العلماء في كل البلاد وأبناءها طلبة العلم الشريف من أهل القابلية والاستعداد وهذا دأبي منذ أعيطت على التمائم وأنيطت عذاري عقود العمائم مع كثرة الواردين الى بلد الله الحرام والوافدين من الاقطار الشاسعة لاداء حجة الاسلام وشدة شغفي بلقائهم والتيمن ببركاتهم والسؤال عن فضائل فضلائهم وكمالاتهم وكانت أكثر الناس خبرة بأحوال العلماء وبدرجاتهم فوجدت الموالي العظام من علماء الروم هم المتقنين في هذا العصر في هذه العلوم وغيرهم بأدق نظر في المنطوق والمفهوم زادهم الله جمالا وكمالا وفضلا بأهرا وافضالا وكل ذلك بشريف التفات هذا السلطان العالم سلطان العالم خليفة الله الاعظم على كافة الامم جعل الله بوجوده الانام وأكرم بتعظيم اكرامه العلماء الكرام وأكابر فضلاء الموالي العظام ورفع في أيام سلطنته في جلائل المناصب العالية المقام وأحرز وافتضب السبق في ميادين المراتب في دائرة الطائل المستدام أدام الله تعالى له ذلك الى قيام الساعة وساعة القيام وأما زمرة المشايخ والاولياء والصلحاء والاتقياء فنفعنا الله ببركاتهم وأمدنا ببركة مجاهداتهم وعبادتهم ودوام عباداتهم فمن شأنهم عدم الظهور لاعين الناس الا نادرا وأما أرباب الظهور منهم لارشاد عباد الله تعالى كأهل الزوايا أصحاب الذكر والتكايا فكثير ظاهرون كثرهم الله تعالى ونفعنا بهم ويجب على كل أحد أن يعتقدهم ولا ينكر على أحد منهم وان شاهد منه ما ينكر فليحمل نفسه على قصور فهمه فكم فيهم من ملامتي يقصد أن ينكر عليه ليخفي حاله على الناس فحمل حاله على الصلاح أسلم وأجمل وقد ذكر الشيخ الاكبر مولانا محيي الدين بن عربي رضي الله عنه في أول فتوحاته المكية من أعظم سعادة الانسان أن يعتقد في كل من انتسب الى الله تعالى ولو كان كاذبا فنسأل الله تعالى أن يسعدنا بالاعتقاد في أوليائه حيث كانوا وكيف كانوا وبدخلنا في زمرتهم ويسعدنا

عن المال محافظة وان جميع الدور كذلك فقروا جميع بيوت أهل البلد وأساسها وأخربوها من أسفلها أعاليها حتى حفروا بيوت الخلاء والبالوعات فأخربوا الزروع التي كانت عامرة بالاناس والمسامرة فسبحان من بيده ملكوت كل شيء يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وما هذه الدنيا الا موعظة واستبصار لاولي الفكر والاعتبار ليعلم أهل الدنيا أن نعيمها زوال وخيرها محال أي محال وان القاطنين فيها على جناح سفر فليتخذها جسر عبور ومن أراد الاعتبار فليعتبر بهذه القصة فقصة الطائف كانت على المسلمين أعظم غصة وكان حصول هذا الشر في ذي القعدة سنة ألف ومائتين وسبع عشرة وبعد جمعهم تلك الاموال التي أخذوها من الطائف أخرجوا منها الخمس للامير واقتسموا الباقي كما تقسم غنائم الكفار وتوجه سالم بن شكبان وارتحل عن البلاد وبقي عثمان أميرا على الطائف وأرسلوا كتابا الى سعود يخبرونه بالظفر على الطائف من القضاء الموعود فسر بذلك غاية السرور وكان سعود بارزا بالعسكر قاصدا على العراق بجزيرة سبعة أيام عن الدرعية فأسرع مقبلا الى هذه الاطراف فالتقى بابن شكبان فأخذ معه من معه من العربان فلما وصلوا الى قرية يقال لها العبيلاء وهي الى مكة على ثلاث مراحل أناخوا جنودهم على تلك القرية وهم كدود على عود فلما الخبر جيران بيت الله الحرام حصل اضطراب لاهل مكة وحجاج المسلمين وكان ذلك في شهر ذي القعدة ومكة قد امتلأت من الحجاج من جميع الآفاق واشتد كربهم لانهم لما سمعوا بانتصار على أهل الطائف وجاء للحج في هذا العام من أرض المغرب نحو خمسة عشر ألفا وحج امام مسكت سلطان بن سعيد وحج أيضا شريف المكاني ولما وصلت الجموع كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا ابن العظم ومعه كثير من العساكر وأمير الحج المصري عثمان بيك ودرجي معه أيضا كثير من العساكر وكثرت الناس بمكة واشتد الزحام ولم يعلم قبل هذه السنة سنة فيها من الخلائق مثل ما حضر في هذا العام وتراكم الناس بعضهم على بعض حتى ملأت بيوت مكة ونواحيها وجهاتها وضواحيها فلما كان يوم التروية ورد الخبر أن سعود انتهوا شيء بعرفة فحصل للناس خوف ووجل كثير فلما صعد الحاج للوقوف وهي خائفة لم يجدوا أحدا من هذه الطائفة فجعل الناس في أمن وأمان وكانت كثرة الحاج في هذا العام هي السبب في تأخر تلك الطائفة عن ارتحالها ومن الحج ولله تعالى في كل شيء حكمة بل حكم كثيرة ثم بعد تمام الحج نادى مناد من سيدنا الشريف ان يخرج الناس للجهاد ومدافعة أهل البغي والالحاد فأول من خرج شريف باشا والي جدة بمن معه من العساكر فلما سمع سعود هذا الخبر تقهقر يومين عن موضعه وتأخر فعند ذلك جمع مولانا الشريف امراء الحج وعقد لهم مجلسا وأشار عليهم بالركوب على هؤلاء البغاة فلم يوافقه

عن المنكرين عليهم ﴿فصل﴾ ومن أعظم مآثره الجليلة الكرام وأكرم آثاره الجليلة العظام اتمام عمارة المسجد الحرام زاده الله شرفا وتعظيما ومهابة وتكريما وقد تقدم أن والده السلطان الأعظم المندرج في رحمة ربه الكريم الاكرم شرع في تعميره على الوجه الذي تقدم وأتم منه الجانب الشرقي والجانب الشمالي الى أن انتهت العمارة الشريفة الى باب العمرة فاعمر الى أن تم العمارة وسلم ملكه المشيد الى نجله السعيد السلطان الاعظم الفريد السلطان المشار اليه الافخم الاكرم خلد الله ملكه الاعظم وأفاض على العالمين عدله الاقوم فبرز أمره الشريف العالي الى أمير العمارة الشريفة المشار اليه سابقا افتخار الامراء الكرام أحمد بك ان يبذل جده وجهده في بناء المسجد الحرام ويسرع في انجاز عمارته بكمال السعي والاهتمام فبادر الامير المشار اليه الى بذل الجد والاجتهاد وتوجه بكليته الى اتمام العمارة في خير البلاد فأعانه الله على اتمامها ومد بذلك شمائل سداها الى أن تم بناء الجانبين الغربي والجنوبي من المسجد الحرام بجميع شرفاته وأبوابه ودرجاته من داخل المسجد الحرام وخارجه في أيام هذا السلطان الاعظم الاكرم خلد الله ملكه الاقوم وأيد سلطانه الافخم وأفاض عليه سوابغ الفضل والانعم فتم ولله الحمد بيمن طالعه السعيد وكمل على هذا الوجه الجديد بحسن توجهه الشريف وقوة عزمه المشيد وكان ذلك في آخر سنة أربع وثمانين وتسعمائة وصار المسجد الحرام نزهة للناظر وبهجة للخاطر وجلاء للنواظر وصفاء للقلوب والخواطر بحيث ما عمره الخلفاء العباسيون قبل ذلك لا يحسن عنده ان يذكر ويوصف لان هذا البناء الشريف أمكن وأزين ولا وأعلى وأشرف فكان الآن ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد بعقود عالية كأطواق الذهب في الاجياد وقبب سامية كقباب القلال الشداد وشرفات شريفة مشرفة على المهاد والوهاد بل أعلى وأشرف وأجمل وألطف وأرفع وأظرف فبنى ذلك بالرخام الابيض الموشى والحجر الشميسي المنحوت الاصفر كأنه سبائك الذهب أو سبائك العسجد والجوهر مكتوب على الابواب وصدور الاروقة آيات الكتاب والاسم السامي السلطان المستطاب بجلي الذهب بخط كسلاسل الذهب على كل موضع ما يناسب من الآيات الشريفة القرآنية بالكتابة المنسوبة الفائقة الجميلة وتخترع الفضلاء لذلك تواريخ عديدة بكل لسان

أحد على الخروج والركوب وتعللوا بعدم الذخائر وفوات الوقت للمسافر فضمن وتعهد لهم بكل ما يحتاجونه من ماله بغير غن فما قبلوا قوله بل قالوا بكتابة كل منا بكتاب ويرشده الى الصواب فان رأى فهو المطلوب والاحق عليه الركوب وأرسل كل أمير منهم من طرفه رسولا يحذره عن القدوم فلما وصلت اليه المكاتيب علم وتحقق ان عصبة عزمهم وهنت وتضعضع عراها فأعاد لهم الجوابات وضمنها بكثير من تزويره وأباطيله وأكثر فيها من التهديدات وأظهر لهم انه في غاية القوة ولا يبالي بهم فلما وصلت المكاتيب للامراء علموا انه لا مطمع في رجوعه عما يريد وانضطربت آراؤهم وارتبكوا كل الارتباك فأشار عليهم مولانا الشريف ثانيا بالركوب عليه وقال لهم في ركوبنا ناموس للدولة العلية وأكساب مروءة وتكفل لهم بما يحتاجونه من النقود والذخائر وآلات القتال فقالوا لابد من اعادة المراسيل وراموا حصول أمر مستحيل فأرسلوا وأرسلهم بمكاتيب مرة ثانية فأعاد جواب كل بخلاف ما أمله وأخافهم حتى عالت المسئلة وتهدد كل واحد منهم بقوله من أقام بمكة غير ثلاثة أيام أقتله بالقتل العام وأجعله عبرة للانام ففزعوا وأدركهم الخوف وهموا بالفرار فمالهم شريف مكة أشد العلاج على الثبات وما حصل لعلاجه انتاج فعند ذلك اجتمع أكابر مكة وأعيانها وذهبوا الى عبد الله باشا ابن العظم أمير الحاج الشامي وترجوا عنده ان يقيم بمكة عشرة أيام فأبى وسافر في خامس المحرم سنة ثماني عشرة وفي ثاني يوم توجه أمير الحج المصري ثم توجه شريف باشا الى جدة وبقي الشريف وحده فلما توجهوا كلهم هاربين فعند ذلك توجه هو أيضا الى جدة فبقيت الرعايا بمكة لا يقر لها من الخوف قرار ونودي لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ليس بالبلاد حاكم ولا وزير ولا أمير ولا مشير فقد استسلم أهل مكة للشهادة وطلبوا من الله الكريم الحسنى وزيادة لعلمهم ان هذا الرجل لا يدخل أرضا الا أفسدها ولولم يكن الا قصة الطائف وما فعل بأهلها لكان في ذلك كفاية فعند ذلك أقام مولانا الشريف عبد المعين بن مساعد وأرسل كتابا الى سعود مع القائد حامد بن سليم اغا على فرس وطلب منه امانا لجيران بيت الله الحرام وان لا يخفر لسكان مكة ذمام وان يكون هو عامله فيها وان أهل مكة تحت طاعته وأرسل أهل مكة رسلا من أفاضل العلماء وأهل البيت النبوي منهم العلامة الشيخ محمد طاهر سنبل والعلامة الشيخ عبد الحفيظ العجيمي وشيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس والسيد محمد ميرغني والد مولانا السيد عبد الله ميرغني مفتي مكة بعد هذه المدة كل ذلك لاجل سياسة سكان البلد الامين وشفقة بالفقراء والمساكين فتوجهوا الجميع واجتمعوا بسعود بوادي السيل على مرحلتين من مكة وتكلموا معه بأفصح كلام وطلبوا منه الامان لجيران البيت الحرام وانهم يدخلون في طاعته فقال لهم انما جئتكم لتعبدوا الله وحده وتهدموا الاصنام والطواغيت

ولا تشركوا بالله الذي يحيي ويميت فأجابه الشيخ طاهر بقوله والله ما عبدنا غير الله فدلهم يده وقال عاهدتكم على دين الله ورسوله توالون من والاه وتعادون من عاداه والسمع والطاعة فعاهدوه على هذا المقال من غير بحث ولا جدال فعند ذلك كاد يطير من السرور والفرح واطمأن بخروج الشريف والشرح وقال أحمد لله شكرا فقد أولانا أرضه فمرًّا وقهرا وأمر كاتبه أن يكتب كتاب الامان ليصل لاهل مكة الاطمئنان في كاغد لم يزد عن الخمس الاصابع وهذا ما هو مذكور فيه كما هو الواقع بسم الله الرحمن الرحيم من سعود بن عبد العزيز الى كافة أهل مكة والعلماء والاغاوات وقاضي السلطان السلام على من اتبع الهدى اما بعد فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه انما ندعوكم لدين الله ورسوله قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فأنتم في وجه الله ووجه أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام وكان وصول هذا الكتاب الذي جعل أهل مكة فيه مثل اليهود يوم الجمعة سابع شهر محرم الحرام عام ثمانية عشر بعد المائتين والالف فصعد به المنبر السيد حسين مفتي المالكية بعد صلاة الجمعة والناس مجتمعة وقرأ هذا الكتاب على رؤس الاشهاد فقالوا حبا وكرامة وحمدوا الله تعالى على حصول السلامة وفي ثامن محرم يوم السبت وصل سعود ودخل محرما فطاف وسعى ونحر من الابل نحو المائة ونزل ببستان الشريف الذي في المحصب وفي ثاني يوم نادى مناديه بان سكان البلد الحرام يجتمعون في المسجد غداة ضحوة النهار فاجتمعت الناس على طبقاتها وحضر الشريف عبد المعين ومن بمكة من السادة الاشراف والقاضي ومفتي مكة مولانا الشيخ عبد الملك القلعي وبقية المفاتي والعلماء وما زالت الناس في اجتماع وائتلاف وسعود المذكور في المطاف ثم أقبل وصعد أعلى درج الصفا والناس أفواجا ينظرون له ويسمعون قوله فأخذ المفتي عن يمينه والقاضي وعن شماله فحمد الله وأثنى عليه وقال الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون الحمد لله الذي صدقنا وعده ثم صمت برهة وجال بعينه وسكته ثم قال يا أهل مكة أنتم جيران بيته آمنون بأمنه وسكان حرمه وأنتم في خير بقعة اعلموا أن مكة حرام ما فيها الا مختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد شجرها وانما أحلت ساعة من نهار وانا كنا من أضعف العرب ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا اليه وكل يهزأ بنا ويقاتلنا عليه وينهب مواشينا ونسترد بها منهم ولم نزل ندعو الناس للاسلام وجميع من تراه عيونكم ومن تسمعون به من القبائل انما أسلموا بهذا السيف ورفع سيفه تجاه البيت الحرام حتى رآه الناس

واخترت أختصرها لانه خير ما ابتدأ الله ثم رأيت بعض الفضلاء جعل لهذه العمارة الشريفة تاريخا في بيت مفرد فأعجبني نظمه لحسن سبكه واستيفاء المعنى فيه فذكرته وهو هذا البيت

جدد المسجد الحرام مراد • دام سلطانه وطال أوانه

ثم رأيت تاريخا جعله سيدنا ومولانا شيخ الاسلام وناظر المسجد الحرام ومدرس أعظم مدارس أعظم سلاطين الانام سيد السادات العظام بدر الملة والدين مولانا السيد القاضي حسين الحسيني قاضي المدينة المنورة سابقا أدام الله اجلاله وضاعف فضله وافضاله فأثبته هنا لحسن انشائه ولطف مبناه وسلامة لفظه وبلاغة معناه وهو هذا انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين • شرع في عمارة هذا الحرم الشريف وتجديده من اختاره الله من خلفائه وعبيده المقدس المرحوم السعيد المبرور المغفور له الشهيد سلطان الاسلام والمسلمين خاقان خواقين العالمين المستغني بفضل الله ظلال دار النعيم حضرة الملك الاعظم السلطان سليم نور الله تعالى ضريحه وروح بروائح الجنان روحه بدأ وأكمله وأتمه وحسنه وجمله وارث الملك الاعظم الامام الافخم والخليفة الاكبر المعظم والملك القاهر العرمرم من ملكه الله شرق البلاد وغربها وجعل طوع يده بلاد عجم الزمان وعربها وأطلعه سراجا منيرا في المشارق والمغارب وملكا فوقها على هام الكواكب وصيره للاسلام حصنا محيطا وجعل ظله المديد على كافة الناس بسيطا وعدله الفريد في جميع الوجود مبسوطا وقمع بسلطنته الشريفة طوائف الكفر والعناد وجمع له بين الملك في الدنيا والفوز في المعاد خليفة الله على كافة العباد ورحمة الله الشاملة لجميع البلاد سلطان سلاطين الزمان خلاصة آل عثمان السلطان ابن السلطان ابن السلطان الخنكار الاعظم مراد لا زال الوجود بدوام خلافته عامرا ولا برح الايمان في أيام سلطنته قويا ظاهرا زاده الله قوة ونصرا وشد بالانكشة الكرام أزرا فتاريخ تمامه قد جاء ﴿أطال الله لمن أتمه عمرا﴾ ثم ورد من الباب الشريف العالي تاريخ منظوم در الصور وغريب البحور ونثره كالدر المنثور والزهر المنشور بخطبة وتعريفات السلطان الاعظم وفي آخره ثلاثة أبيات بالعربي لا أعلم من أبدعه واخترعه وأنشأه ونظمه ورسمه وورد معه حكم شريف سلطاني يتضمن الامر بكتابته

والعام وقد كنت في هذا العام غازيا في العراق فلما سمعت ما وقع من المسلمين بغزوة الطائف واقبلوا عليكم بقرربكم خفت عليكم من الهربان والبادية فاحمدوا الله الذي هداكم للاسلام وانقذكم من الشرك وآباؤكم كان تعبدوا الله وحده وتقلعوا عن الشرك الذي كنتم عليه وأطلب منكم ان تبايعوني على دين الله ورسوله وتوالون من والاه وتعادون من عاداه في السراء والضراء والمنشط والمكره ثم جلس وامد يده فأول من تقدم لمبايعته الشريف عبد المعين ثم مولانا المفتي عبد الملك ثم القاضي ثم بقية الناس على طبقاتهم وكان هذا من عادتهم ولما تمت المبايعة ركب فرسه وصعد الى المحصب وقال قبل ركوبه يا أهل مكة انتظروني بعد صلاة العصر بالمسجد الحرام بين الركن والمقام لابين لكم الدين وشرائع الاسلام فلما كان العصر اجتمع الخلائق وصعد المقام الذي على ظهر زمزم والمفتي معه فنبههم ووعظهم وتشدق وتكلم والناس تحته ملؤا الحرم وسار يعلمهم دين رعاة الغنم وأجهل أهل مكة من أكبرهم أعلم ثم وقف يخاطب المفتي عبد الملك ويعلمه الدين لا يتوقف في قوله ولا يرتبك كلما اعلمه مسئلة يقول له علمها الناس حتى يعرفها الجاهلة فكان أول ما علمه من كلامه قوله اعلموا أيها الناس ان الامير سعودا يقول لكم ان الخمر حرام والزنا حرام الى آخر الكلام الذي يعلمه البهائم والانعام

﴿ذكر هدم القبب﴾

ثم قال له قل لهم في غد اطلعوا القبب واهدموها واطرحوا الاصنام وارموها حتى لا يكون لكم معبود غير الله فقالوا سمعا وطاعة وتفرق الناس فلما أصبح الصباح الا وهم سارحون بالمساحي لهدم القبب فبادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس لهدم المساجد ومآثر الصالحين فهدموا أولا ما في المعلى من القبب فكانت كثيرة ثم هدموا قبة مولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومولد سيدنا علي رضي الله عنه وقبة السيدة خديجة رضي الله عنها وتتبعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين وهم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل ويغنون وبالغوا في شتم القبور التي هدموها وقالوا ان هي الا أسماء سميتموها حتى قيل ان بعض الناس بال على قبر السيد المحجوب وأما أهل مكة فانهم الجئوهم على الهدم وليس لهم قدرة على ترك الطاعة وارتكبوا أخف الضررين فبعضهم جعل يلتقط الاحجار وبعضهم يمشي خلف أولئك الفجرة فما مضى ثلاثة أيام الا ومحوا تلك الآثار وفي اليوم السادس من أيام اقامته نادى مناديه بابطال تكرار صلاة الجماعة في المسجد الحرام فكان يصلي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء يصليه كل راكع وساجد وأمر أن يصلي بالناس الجمعة المفتي عبد

على بعض أبواب المسجد الحرام فامتثل الامر الشريف وكتب هذا التاريخ البديع اللطيف على باب سيدنا العباس الذي بابه على رضي الله عنهما في الجانب الشرقي من المسجد ونقرله في الحجر الشميسي وطلى محله بالذهب في ذلك المقام ليقرأه الخاص والعام ويبقى ذلك النقش الحجري على صفحات الليالي والايام وهو هذا الحمد لله الذي أسس بنيان هذا الدين المتين بنبي الرحمة والارشاد وخصه بمزيد التفضيل والكرامة والاسعاد وجعل حرم مكة مطافا للطائفين العاكفين الحاجين من أقاصي البلاد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الاجلة الامجاد ووفق عبده المعتاد باحكام الاحكام الشريفة وتشييد أركانها على وجه المراد المدخر ذخرا للآخرة المزيد من زاد المعاد أدام الله ظله الممدود على مفارق العباد السلطان ابن السلطان ابن السلطان السلطان مراد جعل الله الخلافة فيه وفي أعقابه الى يوم التناد بتجديد معالم المسجد الحرام الذي سواء العاكف فيه والباد فتم في افتتاح سلطنته العظمى لا زال الحرمين الشريفين خادما ولاساس الجور والاعتساف هادما بتجديد حرم بيت الله عز وجل بامره المعز الجليل وتعمير عامر جدره ما تضعضع من أركانه بعدما كان ينقض ويميل جدرانه فخلد جدرات البيت العتيق وسوره باكمل زينة وصورة بعدما أبلاه الحدثان وأكل عيدان أرضها الارضة والديدان وبدع القبب موضع السطوح المبنية بالاخشاب وتضعضع بهده الطائفة الكبرى كل شيء وشاب فدعت له باشرف الدعاء والحمد الفاخر تالين قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وداعين له من الله بالجميل والذخر الزاخر قائلين اللهم أدمه في سرير الخلافة محروسا بحفظك من آفة وظاهرا على من يريد خلافه مشيدا للمساجد والمدارس مجددا لكل خير منهدم ودارس واجعل بابه للراجين حرما آمنا وجنابه للمحتاجين كهفا لاضامنا يأتون اليه من كل فج عميق لحرمة البيت العتيق تقبل الله معطي السؤال بجاه الرسول هذا الدعاء الحري بالقبول فلما أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان جاء مشيد الاركان كأنه روضات الجنان وصار عنوان خلافته وبراعة استهلاله لمشور سعادته في أوائل سنة أربع وثمانين وتسعمائة هجرية وكان الابتداء بذلك التجديد بأمر والده المدارج الى مدارج الملك المجيد السلطان السعيد يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم السلطان سليم ابن

الملك

السلطان سليمان ابن السلطان سليم ابن السلطان بايزيد ابن السلطان محمد ابن السلطان مراد بن السلطان أورخان ابن السلطان عثمان مكنهم الله على سرر في دار الجنان وأبقى أخلافهم في مسند الخلافة الى انقراض الزمان وكان الشروع في الرابع عشر من ربيع الاول من شهور سنة ثمانين وتسعمائة فلما علم السلطان سليم ودعته بأحسن تسليم وارتحل من دار القصور الى ماهيأ الله له في الجنة من القصور قبل تمام مارام من تجديد المسجد الحرام وأجلس الله على سرير الخلافة نجله النجيب أحسن اجلاس وجعل حرمه مثابة للناس يسر الله الاتمام بطلعة اقباله الموجود في الليالي والايام وأدام الايام في عهد عدله الى قيام الساعة وساعة القيام ونظم راقم هذه الارقام تاريخا (٩٧٩) يليق ان يكتب في هذا المقام وهو هذا

جدد السلطان مراد بن سليم مسجد البيت المنيف المحترم سيرته المسلمون كلهم دار من نور وأضواء والعلم والروح القدس في تاريخه عمر سلطان مراد الحرم الشريف ومن جملة تعمير الحرم الشريف حفر خارج المسجد الحرام من الجانب الجنوبي الذي هو مجرى السيل الآن فان الارض علت وامتلأ المسيل كله الى أسفل مكة بالتراب الى ان لم يبق للدخول الى المسجد من الابواب التي في تلك الجهة الا ثلاث درجات بعد ان كانت خمس عشرة درجة يصعد منها الى أن يدخل من الباب الى المسجد وكان هذا المسيل يقطع ويحمل ترابه الى خارج البلد من جهة المسفلة في كل عشرة أعوام مرة فغفل عنه نحو ثلاثين عاما فعلت الارض فغابت سيول طائفة ليلة

الاربعاء عاشر جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة قد دخلت من أبواب المسجد وامتلأ المطاف الشريف ووصل الماء الى حول الكعبة الشريفة وعلا الى أن غطى الحجر الاسود وجدار الحجر الشريف ووصل الماء والطين الى عتبة الكعبة الشريفة وعلا الى أن قرب من قفل الباب الشريف ووقف الماء في الحرم الشريف يوما وليلة وما أمكن أداء الصلوات الخمس فتعطلت الجماعة سبعة أوقات وبادر مولانا شيخ الاسلام ناظر الحرم الشريف والامير المعظم المكرم أحمد بك أمير العمارة الشريفة بخدامهم وعبيدهم وسائر المشدين وخدام الحرم الشريف ووافقهما في الاعيان والصغار الى فتح طريق الماء من أسفل مكة ثم تنظف وغسل داخل البيت الشريف ثم نظف وغسل المطاف الشريف ومقام الحنفي ثم أخرجت الاوساخ من الحرم الشريف وكوم الطين

الملك القاضي وفي اليوم الثامن أمر أن يلبس الناس بالشيش والات اللهو ذوات الاوتار وأمر على ذلك جماعة من قومه ليحرقوها بالنار بعد كتابة أسماء أصحاب المعرف من أطاعه ومن عصاه وكان ينزل من الحصب قبل الفجر ليحضر صلاة الصبح فسمع ليلة المؤذنين يؤذنون الاذان الاول ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم ثم معهم يقولون يا أرحم الراحمين ويترضون عن الصحابة فقال هذا شرك أكبر ومنعهم من ذلك كله ثم أمر علماء مكة أن يدرسوا عقيدة التي ألفها محمد بن عبد الوهاب ومعناها كشف الشبهات ووضع فيها شيأ من التكفير بات فقرؤها وأوّلوا فيها من التلبيس الذي هو من وساوس ابليس ولم يشددوا على الانكار ثم غالب قبائل العرب التي حول مكة طاعوه وأخذ منهم من المال شيأ كثيرا وزعم انه نكال ووضع في القلعة مائتين من عسكره وجعل عليهم أميرا فهذا أنا سالم بن شكبان فأرسل كتابا الى أهل جدة مع علي بن عبد الرحمن أخي عثمان المضايفي يطلب منهم الدخول في طاعته فأجابوه بأن رعية سيدنا الشريف غالب فطاعتنا من طاعته واذا فرض انا نطيعك ونعصيه هل تطلب منا شيأ من الدراهم أم يصح الدخول فيه بلا مدد ثم لما قرأ الكتاب فرح عاقبه من الجواب وظن انه حق وهم يسخرون به فأرسل يطلب منهم مائتي ألف ريال وستين ألف مشخص ومن القماش ما قيمته ستة آلاف ريال ووجه الملك الاموال من بقية الحال وعزم على التوجه بجيوشه الى جدة وكان ذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم سنة ألف ومائتين وثماني عشرة ومدة اقامته بمكة أربعة عشر يوما ولما أناخ بجدة استعد له مولانا الشريف غالب بالمدافع والقتال فصار يشتتهم ويفرقهم بذلك فشدد من رفعه الواحد منهم رجل واحد وامرا ان يتقرّبوا الى السور واذا رمي عليهم بالمدفع انهزموا الى موضع شاسع ويعودون الى مخيمهم وفي اليوم الثاني يشددون على السور ويفعلون كما فعلوا بالامس فيجدون مثل ما وجدوا من الامس فعلوا ذلك مرارا عديدة وقتل منهم خلائق لا يحصون فضيق عليهم ثمانية أيام ثم نادوا بالرحيل والتفت سعود الى عثمان المضايفي ووبخه وشتمه لكونه هو الذي أشار عليه بالنزول الى جدة ثم بعد ارتحالهم أناخوا بالوادي ولم يدخلوا مكة وأمر على أهل الوادي السيد ابراهيم بن سليمان البركاتي ثم توجه من الوادي الى الزيمة ثم الى المشرق وبعد ارتحاله من الوادي ركب مولانا الشريف من جدة وغزا أهل الوادي فكوم دخلوا في الطين فقتل وأسر وأما أميرهم فانه فر ثم رجع مولانا الشريف الى جدة

﴿الغريبة التاسعة والعشرون﴾

وهذه الغريبة التاسعة والعشرون وفي أيام امارة الشريف عبد المعين على مكة صارت العرب تقطع الطرقات وتنهب الاموال في كل ناحية وليس عنده من العسكر والجند ما يدفعهم به وفي أيام امارته

أكواما في المسجد ثم أخرج ثم فرش المسجد الشريف بالحصباء الجديدة وتعب في ذلك حضرة الامير أحمد بك وصرف من ماله مبلغا كبيرا ثم شرع في قطع المسيل وتهبيط أرضه الى أسفل عشر درجات أو نحوها من الجانب الجنوبي من المسجد الحرام الى آخر المسفلة وهو ممر سيل أعالى مكة فصار السيل اذا سال درج بسرعة ولم يصل الى أن يمكنه الدخول الى المسجد الحرام وفعل ذلك أيضا من جهة باب الزيادة في الجانب الشمالي وهو ممر سيل قيقعان وحواليه ويجرى الى باب الزيادة ولم يصعد الى باب المسجد بل يدخل سردابا واسعا يسمى العنبة ويجرى فيه الى أن يخرج من قرب باب ابراهيم فيسيل الى أسفل مكة مع المسيل الكبير وصان الله المسجد الحرام بذلك وصارت السيول بعد ذلك تسيل ولم تصل الى باب المسجد ولم تقرب منه وهذا رأى سديد وعمل مهم نافع فيصان به المسجد الحرام عن دخول السيول اليه غير انه يحتاج الى أن يتعهد في كل عامين أو ثلاثة أعوام فيقطع ما علا من الارض قبل أن يعلو كثيرا فيحتاج الى قطع كثير وصرف زائد فاللازم على ولى الامر سلطان الاسلام والمسلمين نصره الله تعالى وشيد به قواعد الدين أن يقيض لذلك قانونا فيقطع هذا المسيل في كل عامين مرة ليستمر المسيل منهبطا دائما لجريان السيل فيه صونا للمسجد الحرام عن دخول ماء السيل اليه في كل سيل يأتى ويكون ذلك قانونا مستمرا للسلاطين ويسطر ثواب ذلك في صحائف هذا السلطان الاعظم نصره الله تعالى ٭ وكانت اليد البيضاء في هذه المرة في هذه الخدمة الشريفة للامير المعظم أحمد بك المشار اليه أتم الله عليه وأكرم منزلته لديه وأجرى كل خير بيديه ويكفيه عند الله هذه المرتبة العظمى والمثوبات العظمى ان ... الكبرى ٭ وأخبرني الامير المشار اليه أعظم الله شأنه وأحسن اليه أن الذى صرفه في عمارة المسجد الحرام هدما وبناء وقطع الارض المسيل من جهة الجنوب الى آخر المسفلة ومن جهة باب الزيادة الى آخر مجرى سرداب العنبة من خاصة أموال السلطنة الشريفة نصرها الله تعالى مائة ألف دينار ذهب جديد سلطانى وذلك غير ثمن الاخشاب المحمولة من مصر الى مكة المشرفة وغير ثمن الحديد الصلب لآلات العمارة كالمساحى والمخارق والمسامير والحديد المحدد رأسه بطول الروافين وبين الاسطوانتين تحت كل عقد كيلا يجلس طير الحمام عليه وغيره فيلوث المسجد بذرقه وهذا الحديد المحدد رأسه رؤوسه يمنع من جلوس الطير عليه وغير أهلة

ورد عبد الرحمن أبو نقطة أمير عسير ومعه جنود كثيرة وظن انه يدرك سعودا وجنوده قبل رحيلهم فبلغه وهو بالحسينية انهم قد ارتحلوا فلم يدخل مكة وحدثته نفسه انه يقاتل أهل جدة ويأخذها عن معه من الجند وكتب من الحسينية كتابا لمولانا الشريف عبد المعين وأرسل مع الكتاب خمسة عشر ريالا فقال في كتابه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الوهاب أبو نقطة الى عبد المعين بن مساعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته اعلم أن قصدى أخذ جدة وقد استمددت لها بالسلاح والقوم ومد حلات بهذا الوادى نجم زادى فعجل لى بخمسة ريالات دقيقا وبخمسة ريالات سمنا وخمسة ريالات علفا فانه طال علينا زمن الحصار وبلغنا من عدم الزاد مضار وأرسل لنا قدر مائة سلم نتقرع عليها السور ونهجم على البندر المذكور فقرأ الشريف عبد المعين كتابه بمحضر من أهل مكة وأناس من جماعته فأخذهم العجب من غباوة عقله وحماقته ثم أرسل له مع الرسول كل ما طلب فوصل الى نصف طريق جدة وحرض قومه على القتال ثم تأخر وامتنع عن الاقدام وعاد الى مكة ونزل بالمحصب فسأله بعض الناس وقال له لم رجعت عن القتال فقال قد أسلم على يدى كل من كان بجدة وأطاع ولم يبق بيننا قتال ولا نزاع فضحك الناس من قوله وعبد الوهاب أبو نقطة هذا قتله الشريف حمود الخيراتى بعد مدة حمل عليه في وسط جمعه فقتله وخالف ولده بقال له دوسرى أمسكه سيدنا الشريف محمد بن عون حين كان أميرا على عسير لاستشعاره منه بعض الفساد وأرسله الى مصر فبقى بها مدة ثم لما جهز محمد على باشا على عسير المرة الاخيرة أرسل دوسرى المذكور مع الجيوش ثم رجع الى مصر ولم يطب له القرار بهذه الديار وبقى بمصر الى أن مات ولما نزل عبد الوهاب أبو نقطة بالمحصب طلع الشريف عبد المعين الى الابطح لمواجهته ومعه نحو خمسمائة من أهل مكة تقلد كل منهم بالسلاح فسلم عليه وآنسه وحياه ثم صنع له ضيافة واستمر معه بالابطح أياما ثم ارتحل الى حيث أتى وخاف من جماعته أربعمائة أسكنهم في بستان سيدنا الشريف غالب الذى بالابطح وفي الثانى والعشرين من شهر ربيع الاول عزم سيدنا الشريف غالب على القدوم الى مكة واخراج من فيها من جماعة سعود وأبى نقطة

﴿الغزوة المكملة ثلاثين﴾

فكانت هذه الغزوة هى المكملة ثلاثين قال بعضهم وهى حرية بأن تسمى غزوة الفتح فتوجه من جدة ومعه الوزير شريف باشا صاحب جدة وكثير من العساكر والجنود وثلاث مدافع منها مدفع كبير أهداه له امام مسكت فنزل أولا بالزاهر ثم أرسل العساكر والعبيد وأحاطوا بالقلعة التى بجياد فيها من خلفهم سعود وترسوا البيوت التى تليها وحصر وهم أشد الحصار ودخل مولانا الشريف مكة ومعه شريف باشا بعد الاشراق ولم ينازعه الشريف عبد المعين في ذلك اليوم ثم رتب بعض العسكر وأمرهم

أن يحيطوا بالبستان الذي فيه من خلفهم أو نقطة وأثاروا الحرب عليهم وركب عليهم المدفع وصبوا ليهم
انما تحت الارض فلما ثار ورفع انبرج الى الجو عن فيه من الجند ومع ذلك ما برحوا عن القتال
فطلب مدفعا كبيرا من جدة لا يمكن سيره بدون خمسين بعيرا فلما وصل رموا به الى جدار البستان
فصار في كل رمية يطرح جانبا من البنيان حتى وقع منه شيء كثير فطلبوا الامان فاعطاهم الامان
واستأمرلهم جمالا يتوجهون عليها الى الادهم وأما الذين في القلعة فانقطع العسكر عن قتالهم وكان
يخرج جماعة منهم بالليل ويحرقون بعض العشش ويعودون الى القلعة ونزل جماعة منهم يوما
في ضحوة النهار ونهبوا أغناما فتسارعت العساكر عليهم فرجعوا الى القلعة فرضيهم مولانا الشريف
انهم حرسا لئلا يخرج أحد منهم من القلعة وأمر على الحرس القائد أحمد بن مثقال وبعد ثلاث أو
أربع ليال هربوا من القلعة جنح ليل بالحيلة والويل وما طلب الامان الذين كانوا في البستان الا بعد
علمهم بخروج الذين كانوا في القلعة وكانت مدة الحصار لهم نحو خمسة وعشرين يوما ثم أقبلت قبائل
هذيل لمبايعة سيدنا الشريف غالب وطلبوا الامان لثقيف فأبى أن يعطيهم الامان الا ان يأتوا
عثمان فأظهروا صدق دعواهم لعداوته وتمكنوا بعد ذلك ثم جهز مولانا الشريف غالب ورتبة محافظة
الزعفاء وجهز جماعة لمحاصرة الطائف اعانة لثقيف وأمر عليها السيد ناصر بن أبي طالب

﴿الغزية الحادية والثلاثون﴾

فكانت هذه هي الغزية الحادية والثلاثين واحاطوا بالطائف مع ثقيف وضيقوا على عثمان أكثر من
شهر ثم أمده الامير سعود من الشرق بالجنود وأمر عليهم سعد بن قرملة فلما رأى السيد ناصر أمير
الغزية هذا المدد قبل ان يصل الى قرن وأقام بها أياما ثم رجع الى مكة ثم أرسل مولانا الشريف جندا
الى قرن

﴿الغزية الثانية والثلاثون﴾

وهي الغزية الثانية والثلاثون فجاءهم جند كثير من عثمان فرجعوا الى مكة ودخل ثقيف في طاعة
عثمان فجهز مولانا الشريف غالب غزية أخرى

﴿الغزية الثالثة والثلاثون﴾

وهي الغزية الثالثة والثلاثون وأمر عليها وزيره القنفذة أبا بكر بن عثمان فتوجه بجنود كثيرة
حتى أناخ بركبه فوجد فيها القوم فنازلهم وقاتلهم في ذلك اليوم وأخذ حلتهم ومواشيهم وقتل منهم
ورجع الى مكة وذلك في شهر رمضان من سنة ثمان عشرة توجه عثمان ونزل بسالم بن شكبان لقتال
هذيل الشام نزلوا بوادي الزعفاء والمضيق وأخذوا جماعة من هذيل الشام ومن حل بذلك
الوادي وسبوا النساء واهلكوا الرجال ثم ارسلوا لبني مسعود وهم يجتمعون بجبالهم المعهود وطلبوا
منهم الدخول في هذا الطين فقابلوا الدخول واستعدوا للقتال في الجبل وترسوه فانزلوا عليهم
بجنودهم وأحاطوا بهم من كل ناحية وثار القتال بينهم وأهلك بنو مسعود منهم بالدخول اقبل
انهم سبعمائة ومع ذلك ما تركوهم حتى صعدوا واخافهم الجبل وقتلوا من ادركوه منهم ثم رجعوا
الى مخيمهم ونادوا لمن يصل اليهم من بني مسعود بالامان في وجه سالم بن شكبان فصاروا
يتناسلون اليه من كل حدب ويطلبونه بطالب وغير طالب وللمتعلقين بهم طلب النكال في
أمكنتهم الخلاف فأخذ منهم شيئا كثيرا ثم ركب عثمان ومن معه على الاشراف بني عمرو وأهل
القاع وصار بينه وبينهم قتال عظيم ثم تكاثروا بجنودهم على الاشراف وقتلوا ستة وعشرين
شريفا ونهبوا حلتهم وسلبوا نساءهم حتى جردوهم من الثياب فطلبوا الامان وأطاعوه وحلوا في
طينة ثم عاد عثمان الى المضيق واجتمع بسالم بن شكبان وصارا ينتظران عبد الوهاب أبا نقطة
يأتيهم من أي ناحية وسلكا كونهم تواعدوا على حصار مكة فتأخر عن الوصول اليهم فارتحلوا فلما
وصلوا السيل نهبوا كل ما وجدوه في طريقهم من المواشي والثمر فسموه كاقسم الغنائم ثم عقبهم

القبب التي عمرت بمصر من الرخام وطليت بالذهب وجهزت الى الحرم الشريف فركبت على أعلا القبب فصار رأها منظر حسن وزينة عظيمة كأنها صفوف الاساكف من الذهب غاية السكون والادب حول بيت الله تعالى زاده الله تعالى رفعة وعظمة ومهابة واجلالا وكان ذلك بمارجعه من الشدر المصروف في العمارة الشريفة وكان على آخر قبب المسجد الحرام بمصر امير مكارتكي مصر الآن نائب السلطنة الشريفة بها في هذا الزمان أمير الامراء العظام كبير الكبراء الفخام محيي البلاد والعباد بعدله الاعلى محمد روح الله المسيح والاسمى نزل من السماء زاده الله شأنه عظما وأنعش باحسانه الفقراء العلماء والسادات الاجلاء الكرام وأفاض على أهل الحرمين الشريفين من فيض نيل كرمه الفياض ما يزيد على القياس وبرع باصناف ... الله ومرحمة بادر محبته ومودته في قلوب الناس وأعانه على البر والتقوى وصانه وحماه عن جميع الاسوا وأفاض عليه جلائل نعمه الباطنة والظاهرة وجمع له بين سعادتي الدنيا والآخرة ولما كان هذا المسيح أحيا موات مصر وعمرها بما من الخيرات وأبرأ جيعها بما وباهلها من الاوصاب وأنعش أهل الحرمين الشريفين كما أحيا الموتى روح الله المسيح وجهز اليهم الصدقات المبرورة السلطانية المرادية

وسرحها اليهم أحسن تسريح فهم داعون (٢٨٢) بدوام معدلته وخلود ملك السلطان الاعظم المحسن الجزيل الاحسان حيث

ووصل الى الليث أبو نقطة بعد تفرق جموعهم حين فات أوان الرابطة فأخذ أبو نقطة يشكل أهل الليث وغيرهم من العربان حتى اجتمع له من الأمر الشئ الكثير وزينت له نفسه أن يطلع على الطائف وهم في الجبال الكائن بها ولم يصلوا لشئ من المال فلما تمكنوا من نصف جبالهم الشاهق تصيدهم الجادلة بالبنادق وقتلوا منهم مائة وستين فرجعوا منهزمين منكسرين وهم كسرة شنيعة بعد القتلة الذريعة وفي موسم سنة ثنتي عشرة كان أمير الحاج الشامي سليمان باشا ملولا أحمد الجزار فبعد تمام الحج طلب منه مولانا الشريف غالب أن يبقي جانبا من العسكر تحت يده ويرتب لهم العلائف والمقررسيانة لحماية هذا البيت الامين فأبى وصمم على الامتناع فلم يقبل منه سيدنا الشريف ذلك الامتناع وقال لا بد من أخذ شئ من ذلك فتوسط بينهما عثمان بيك أمين الصرة أن يبقي مائة وخمسين من خيار العسكر ومائة وخمسين من الجمال موسوقة من المهمات وآلات القتال فأرسلها أمير الحج على مقتضى الشرط وفي شهر المحرم من سنة تسع عشرة أقبل سالم بن شكبان وعثمان باثني عشر ألفا يريدون محاصرة جدة وأخذها لزعمهم الفاسد فأراد مولانا الشريف غالب التحرز والتحصين لمكة لئلا يدخلوها وعلم أن جدة لا يمكنهم أخذها فنادى مناديه في البلد الحرام بالنفير العام وأمر الناس بحمل السلاح والخروج الى الزاهر فخرج الناس على طبقاتهم الى الزاهر حاملين السلاح يبيتون من وقت المساء الى الصباح حتى مضى لهم سبع ليال على هذا المنوال

•(الغزوة الرابعة والثلاثون)•

فهذه الغزوة الرابعة والثلاثون ثم تحقق انكسار فرقة الضلال ورجوعهم عن جدة بالويل والوبال وجاء الخبر من جدة بأنهم ارتحلوا وقال انهم أناخوا بساحل جدة ومعهم اثنا عشر ألف مقاتل وأحاطوا بالسور وفي كل يوم يحملون على البلدة حملة واحدة فيفرق جموعهم المدفع فيعودون الى الخيام حتى أفنى المدفع منهم الكثير فلما مضى لهم ثلاثة أيام ولم يظفروا بمرام ارتحلوا بالخيبة والويل والندامات من ضيقهم الماء والقوت حتى صاروا يعدون العشرة والعشرون مدفونين في محل واحد وتوجه سالم بن شكبان على طريق الوادي واسع بالمضيق وأخذ عثمان على خلاف هذا الطريق ومعه كثير من ثقيف وغيرهم فقتلوا عربانا في طريقهم وأخذوا الابل ولما بلغ مولانا الشريف فلما بلغه الخبر أرسل خلفهم غزوة فيها ما نال من الخيل الجياد

•(الغزوة الخامسة والثلاثون)•

فهي الغزوة الخامسة والثلاثون وأمرهم ان يتوجهوا الى طريق عرفة فاذا صادفوا عثمان ومن معه يقاتلوهم فلم يصادفوه فبعد ذلك جهز مولانا الشريف غزوة أخرى

•(الغزوة السادسة والثلاثون)•

وهي الغزوة السادسة والثلاثون جهزها من طريق البحر لتتوجه الى الليث فجهز من الداوات المكار عشرة وشحنها بالذخائر والعساكر والمدافع الكبار والجبخانة وآلات القتال وجعل الامير عليها القائدمفرح عتيق الوزير ريحان وجهز جيشا آخر من طريق البر الى الليث أيضا

•(الغزوة السابعة والثلاثون)•

فهي الغزوة السابعة والثلاثون وفيها مائة من خيل الارواح مع كثير من الجند وجعل الامير عليها السيد حسن بن زين العابدين بن غالب وجعل أميرا على الاتراك حسين أغا تفكجي باشا فتوجهت غزوة البر فلما وصلوا الليث وجدوا غزوة البحر قد سبقتهم ودخل القائد مفرح البندر بجيشه وأطاعه أهل الليث بغير قتال لكن وقعت قضية بعد وصول غزوة البر سبق مثلها وهي ان بعض الاوباش أغرى حسين تفكجي باشا ان يحرق ثلاثة من الاشراف المناديل فجعل لكل واحد حطارقا وأحاط عليه وأدخله فيما بين رجليه مع انهم دخلوا في الطاعة مع أهل البلد وقد كانوا من جملة خدم

ولي رعاياه من رأف بهم وينعم عليهم بالخيرات الحسان أدام الله سعادته واقباله وبقاه وحفظه ورعاه وحماه من الاسواء ووقاه

﴿فصل في ذكر أساطين المسجد الحرام قبل هدمها وتجديدها على ما صارت عليه الآن﴾ اعلم أن عدد جملة أساطين المسجد الحرام في جوانبه الاربع غير الزيادتين أربعمائة اسطوانة وتسعة وستون اسطوانة وما على أبوابه سبع وعشرون اسطوانة فتكون جملة أساطين أبوابه الشريفة أربعمائة اسطوانة وستا وتسعين اسطوانة تقدم انها على السبعين غيرما كانت من أساطين الزيادتين فكان في الجانب الشرقي ثمان وثمانون اسطوانة كلها رخام مخروط ما عدا اسطوانة واحدة في الصف الاوسط عند باب على فانها من الحجر مبيضة بالنورة مبيضة بالحجر وكان في الجانب الشمالي ويقال له الشامي مائة اسطوانة وأربع أساطين كلها رخام ما عدا أربع عشرة اسطوانة من آخر الصف الاوسط مما يلي باب العجلة وباب الندوة فانها حجارة منحوتة وكان في الجانب الجنوبي ويقال له اليماني مائة وأربعون اسطوانة كلها رخام ما عدا خمسا وعشرين اسطوانة في مؤخر صف الرواق عند أبواب أم هانئ

الشريف وبني عمه فقتلوا طالب وغدوا وكان أمر الله قدرا مقدورا فلما مضى بعد ذلك ثلاثة أو أربعة أيام حتى هجم عليهم من طائفة الوهابية جند زهاء أربعة آلاف مقاتل فوقع القتال بينهم وبين جنود مولانا الشريف فكانت ملحمة عظيمة أسفرت عن انهزام الوهابيين بعد أن قتل منهم عدد كثير واستشهد ذلك اليوم السيد حسين بن غالب أمير الغزية الثانية التي أرسلها مولانا الشريف من طريق البر وجمع بعض الآثار والرؤوس من الوهابيين وأرسلها لمولانا الشريف بعد المعركة فشاهدها بالعين وأرسلها فأمر مولانا الشريف بتعليقها خارج البلد وهرع الناس ينظرون إليها وبعد أيام رجع إلى مكة مفرح آغا وحسين آغا وكان يحيى محسن آغا على خلاف مراد مولانا الشريف لأنه أحب بقاءه في الليث لكونه مشهورا بالشجاعة واعتذر بأن باعثه على الوصول نفاد الزاد فجهز مولانا الشريف غزية أخرى

﴿الغزية الثامنة والثلاثون﴾

وهي الغزية الثامنة والثلاثون وجعل فيها كثيرا من عساكر العرب من الأشراف والعبيد ولم يجعل فيها أحدا من الأروام وجعل الأمير عليها السيد حسن بن علي بن سعيد فتوجه بمن معه إلى الليث فوجدوها مقفرة فليس فيها أنيس ولا من الماء غير العيس فعادوا من يومهم إلى مكة فتعجب منهم سيدنا الشريف وتعجب من رجوعهم ثم جهز غزية أخرى إلى جهة الوادي

﴿الغزية التاسعة والثلاثون﴾

وهي الغزية التاسعة والثلاثون ومعها كثير من السادة الأشراف ومن الأتراك نحو مائتين وخمسين فارسا وكثير من الرماة المشاة وجعل الأمير عليها السيد شنبر بن مبارك بن شبير المنعمي وأمرهم أن يقيموا بالقرية المسماة المدرة ليمنعوا العدو من الوصول لذلك الوادي وطمأنهم أهل الوادي فقالوا ما أمرهم به الآن الماء والهواء متغير على الأروام واعتراهم مرض وسقام ومع ذلك صابروا ومكثوا ثلاثة أشهر وهم حافظون تلك الحوزة ورجع بعض منهم إلى مكة ولم يبق بالوادي إلا نحو الأربعين فلما بلغ عثمان الخبر أغراه على الوصول إليهم داء الطمع فجمع أربعة آلاف مقاتل ما بين راكب وراجل ودهمهم بغتة فانتشب القتال بينهم وبينه وأنزل الله النصر على أولئك الأربعين حتى صار الواحد منهم يقتل العشرة والعشرين فهزموا ذلك الجند الذي جاء به عثمان وقتلوا منهم قتلا ذريعا حتى وصلوا إلى الزيما هاربين ولا يلتفت أحد منهم إلى أحد ولما بلغ مولانا الشريف الخبر أرسل خلفهم مائتين من الخيل تطرد خلفهم ولو أدركوهم لأذاقوهم كأس الويل

﴿الغزية المكملة أربعين﴾

فهذه الغزية المكملة أربعين ولما بلغ سعودا هذا الخبر قال كيف يفعل الأربعون هذا الفعل واستغربه غاية الاستغراب واعتبر وقال إن الأسدي الكبير ندير البشر ثم رجع القوم من الوادي إلى مكة فأنعم عليهم مولانا الشريف بالدراهم والملابس الفاخرة وفي مدة هاتين الغزوتين وقعت غزوات أخر وذلك أنه في خلال هذه المدة جاءت الأخبار لمولانا الشريف بأن عشرين من خيل الوهابية تصل إلى المغمس يترقبون الفرصة فإذا غفل عنهم بادية الحرم نهبوا ما يجدونه من النعم فجهز غزية عدتها أربعة عشر فارسا ونحو عشرين من الرماة

﴿الغزية الحادية والأربعون﴾

وهي الغزية الحادية والأربعون وجعل الأمير عليها السيد راجح بن عمر الشنبري فوصل هو ومن معه إلى المغمس فلم يجد أحدا فأخذوا على طريق الزيما فلما أقبل على سولة بدا لهم مواطئ أقدام ماشية فأقبلوا يجدون في أثرها فإذا جماعة يذودون عن الحسمانة فصاح السيد راجح صيحة الأسد الضاري واستنجد بمن معه فثار الحرب بينهم وبين القوم حتى صار صوت البنادق كالرعد ودفعت

فأما كلها حجارة منحوتة وكان في الجانب الغربي سبع وثمانون اسطوانة كلها حجارة منحوتة قطع دون الذراع منحوتة في نصف الدائرة مركبة على كل اثنتين منها اثنتان إلى أن يطول في شكل اسطوانة الرخام مسبولة بينهما من الرصاص في داخل وسطها حديد بطول الاسطوانة محفور مكانه في وسط الحجر مسبولة عليه بالرصاص عمل ذلك في أيام الناصر فرج برقوق لما احترق هذا الجانب الغربي من المسجد الحرام في آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة كما تقدم شرحه في محله فيكون جميع ما أدركناه من الأساطين غير الرخام مائة وتسعا وعشرين اسطوانة وأما أساطين دار الندوة فأدركناها وستين اسطوانة من جوانبها الأربعة كانت من الحجر الغشيم غير منحوت مطلي بالجص من ظاهرها وقد ينكشف عنه الجص فيظهر الحجر الغشيم فيها في الجانب الشرقي اثنتا عشرة اسطوانة وفي الجانب الشمالي عشرون ثم في أيام دولة المرحوم المغفور له السعيد الشهيد السلطان سليمان خان سقى الله عهده صوب الرحمة والرضوان أمر أمير أمراء الحجاز الأمير خوش كلدي في سنة سبع وأربعين وتسعمائة وما بعدها أن يهدم مقام الحنفي الذي كان بناه الأمير مصلح الدين في ابتداء الفتح العثماني لما كان أمير أن يبني مكانه مربعا ويبني الباقي إلى

الخيل تركض على القوم واستمر الطعن والضرب وأفنوا الكثير من ذلك الحزب وما سلم الا من فر منهم وانهزم وانهزعه شنيعة وقتل في ذلك اليوم سعد بن قرملة وقاتله السيد راجح بن عمرو الشنبري وقتل فيها كثير من قحطان وغنم السيد راجح ومن معه كثيرا من الابل الطلائع والخيل الجياد والقلائع ورجعوا الى مكة حاملين للرؤس على الرماح ومعهم ما غنموه من الخيل والابل والسلاح وأصيب يومئذ السيد راجح في يده وعوفي سريعا ومع هذا القتل فيهم قتلا عنيفا وفرح المؤمنون بنصر الله وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وفي شهر صفر جاءت الاخبار ان بداي شيخ حرب دخل ومن معه في الطاعة واستولوا على ينبع ومعه ابن جبارة شيخ جهينة وخدعا وزيرها سعد قال وحدثا روا عارة وكان وزير ينبع محمد الجري من عسكر اليمن ولم يكن له تمكن بالحرب ودراية فحاصروه ليالي مع أيام فلم يتم لهم ارب ولا مرام فسلطوا عليه ابراهيم الرويتي فأزال بحرفه وصعب عليه الامر حتى طلب بواسطته الامان وهو في غاية التمكن والاحصان فأعطوه الامان ودخل ينبع بداي وابن جبارة مع كثير من حرب وجهينة واستباحوا قتل المسلمين بلا عقل ولا دين وتمكن من البندر ثم توجه وزير ينبع الى جدة في الداوات ثم طلع الى مكة ورماه بعض العسكر عند مولانا الشريف بانه وقعت منه خيانة في تسليم البندر فأجرى عليه ما حكم با قضاء الله وأمر بسلبه ثم سلبه فساب وصاب وتوجه يومئذ مولانا الشريف الى جدة لاخذ الثار فصادف ان رأى مركبين من مراكب الاتراك مجهزة للبندر فتكلم مع قبطانهما ان يسير معهم جماعة للقتال ولو اخذ ما طلبه من المال فأطاعه ورضي ثم خان وغدر وسافر بمركبيه فقام مولانا الشريف بهمة قوية وعزمة هاشمية وجهز عشرة داوات من الداوات الكبار وشحنها بكثير من العساكر والتجار وجعل نصف العسكر من عساكر الاروام والنصف الآخر من عساكر أهل الاقدام

﴿الغزوة الثانية والاربعون﴾

وهي الغزوة الثانية والاربعون وجعل الامير على الاروام رسول أغا وعلى العرب القائد مفرج وقبل الى اقامته بجدة وردت رقعة من ينبع وافقها ابراهيم الرويتي المتقدم ذكره الذي كان سببا في أخذ ينبع وخديعته للوزير حتى سلمها لهم وكان وصوله من عجيب الاتفاق فأمر مولانا الشريف باحضاره وسأله عن تلك القضية ووجد عنده أوراقا من بداي يفسد بها الرعية فأجاب مولانا الشريف بكلام كالعدم لا يخلو عن التهم فألان له الكلام حتى وقف على المرام ثم أمر بصلبه بعد سلبه فصلب ثلاثة أيام ولما تم مولانا الشريف ارسال الغزوة رجع الى مكة ثم جاءت الاخبار بان الداوات وصلت بالسلامة وطرحوا المرسى بينبع وأحاطوا بها وأداروا عليها المدافع الى مضي ثلاثة أيام ثم نزل الجند وحملوا على البلد حتى دخلوها وملكوها وقتلوا جماعة ابن بداي قتلا ذريعا ولم يكن ابن بداي هنالك لانه بعد أن ملكها جعل فيها ابن عمه وخرج وبعد أن تمكن جند مولانا الشريف من ينبع أرسلوا اليه بالبشارة فأرسل الخلع الفاخرة لمفرج أغا وأنعم عليه بوزارة ينبع وأكرم رسول أغا بفروة سمور وكثير من القود له ولبقية الجنود

﴿الغزوة الثالثة والاربعون﴾

الغزوة الثالثة والاربعون كانت في شهر جمادى الاولى سنة تسع عشرة وذلك أن سيدنا الشريف في الشهر المذكور شمر عن ذيل عزمه وركب بمن لديه من السادة الاشراف والاتراك والعساكر وتوجه الى الطائف من طريق اليمانية وأرسل القائد أحمد بن مثقال من طريق كرا وأحاطوا بالطائف واجتمع معهم كثير من العربان وصار عثمان المضايفي محصورا في الطائف ولم يقدر على ملاقاة الشريف وجاءت الجنود بالبنود والرايات على السور وصارت نفسه بالمهالك في أخطاره فلم يرد الله عز وجل بلوغ المرام فأقام عشرة أيام ورجع الى البلد الحرام وفي أواخر شهر رمضان جاءت الاخبار

آتناهذا الخاقان فكره الشريف ان يجعل (٢٨٤) في المسجد الشريف حاصلا واسعا لحفظ مؤن المسجد لاخشابه والاشمعة وان يجعل الى جانبه حاصلا آخر يوضع فيه زيت قناديل الحرم الشريف وشمعه وقناديله وذاروقه زيته ومسارجه فصمد الى هذه الزيادة وجعل الجانب الشرقي منها حاصلا لحجره وبني عليه وجعل لها بابين لهذه المصلحة واستمر كذلك الى أيام دولة هذا السلطان الاعظم عمر الله به الوجود وأفاض على أهل العالم نائل سلطنته العادلة سحائب العدل والاحسان والجود وأبعد ذلك الحاصل المحجور من المسجد الحرام كما كان وأما زيادة باب ابراهيم فقد كان منها في الرواق سبع عشرة اسطوانة من الحجر الصوان صفين متصلين في الرواق القبلي الذي يلي المسجد الحرام اثنتان منها لاصقتان برباط رامشت على يمين المستقبل واثنتان لاصقتان برباط الخوزي على يسار المستقبل وفي الجانب الشمالي ست أساطين احداها لاصقة بالمنارة التي كانت بهذه الزيادة ولم يكن بالجانب الغربي من هذه الزيادة أساطين . ثم في أيام السلطان الغوري أرسل أميرا من أمرائه يقال له خير بك المعمار لعمر زيادة باب ابراهيم في حدود سنة سبع عشرة وتسعمائة فبنى على باب ابراهيم قصرا مرتفعا من مرافقه وجعل حول القصر من خارج المسجد منازل ومساكن [illegible]

بان عبد الوهاب أبا نقطة حل بارض اليمن ثم تحقق وصوله الى الليث ومعه كثير من الجند واستعد مولانا الشريف لقتاله وخرج بجنوده الى الحسينية ثم انتقل الى الشرقية

﴿الغزوة الرابعة والاربعون﴾

وهي الغزوة الرابعة والاربعون ثم انتقل الى السعدية فوجد جنود الوهابية نازلين بها ومعهم عدد كالرمال فالتقى الجمعان بعاشر شوال وتكافح الفريقان واشتد القتال فكانت النصرة في أول الامر لمولانا الشريف ومن معه حتى صارت الاتراك تقطع في رؤس أولئك القوم قطع رؤس الكباش حتى فني من عسير جم كثير ثم انقلب الدور على الاتراك وقتل منهم كثير فكان القتلى من الفريقين نحو الالفين لكن قتلى الوهابية أكثر بيقين ثم انهزموا وادركهم مدة جند مولانا الشريف ثم رجعوا ورجع مولانا الشريف ومن معه الى مكة وفي الخامس عشر من شوال وصل عثمان المضايفي الى الزيما بجنود كثيرة وتلاه عثمان بن شكبان ثم انتقلوا الى عرفة ودخل في طيهم بعض قريش وهذيل فقتلوا من لم يطعهم ممن قدروا عليه وأسروا البعض وآلقوا عين زبيدة بالهدم والتكسير فقل الماء بمكة وصار الضعيف في جهد وضنك ثم انتقل كثير منهم الى وادي مر في عاشر ذي القعدة وصاروا ينهبون ويقتلون الوافدين الى مكة حتى قد اطريق جدة أيام اقامتهم أيام نحو وتشريق ولما جاء الحج الشامي لم يدخل الامن طريق جدة ولم يصل الوادي وكذلك الحج المصري ثم وصل شريف باشا صاحب جدة وحج الناس لكن لم يحج في هذا العام أحد من أهل مكة وجدة والمدينة ومصر والشام وجميع البلدان غير ما كان في الحج الشامي والمصري بسبب هذه الفتنة والعربان محيطة بمكة محاصرة لها من جميع الجهات حتى ان أكثر البيوت بمكة كانت خالية أيام الحج وكان أمير الحج الشامي ابراهيم باشا والى الشام فتكلم معه مولانا الشريف أن يخرج لقتال هذا الخارجي فامتنع ثم طلب منه أن يرسل عساكره الى جدة لاحضار شئ من الذخائر والقوت فوعد وأخلف ثم كرر الطلب عليه ثانيا وثالثا فلم يفعل وفي ليلة من الليالي التي هو مقيم فيها بالزاهر جاء خمسة من الخيل فصاحوا في أطراف العسكر وكبروا وجالوا فحصل لهم فزع وحصل له خوف كثير فكاتب عثمان المضايفي وارتبط بينهما حبل المودة والمواصلة فصار جماعة من قوم عثمان يأتون الى الخيام ويبالغ اهو في الاكرام وفي ليلة عشرين من شهر الحج سافر عند طلوع الفجر ولم يأذن له عثمان في الانتقال الا بعد أن دفع له مائتي كيس من المال وقد تقدم انه في سنة ثماني عشرة أبقى أمير الحج الشامي طائفة من العسكر لاعانة مولانا الشريف فاخذهم ابراهيم باشا في هذا العام فنصحه العلماء والقضاة وحذروه من غضب السلطان فازداد الاعتوا ونفورا فقام مولانا الشريف باعباء تحمل الاثقال وسكن روع سكان البلد الامين بمن معه من العسكر والرجال وترس البلاد من الجوانب الاربع لكن اشتد على الناس بقطع الطرق الجوع ووقع الغلاء الذي تسيل له الدموع فلم يجد ما يشتريه الجائع ولا ما يبيعه البائع ودخلت سنة عشرين والناس في بلاء مبين

﴿ذكر ابتداء القحط بمكة وانتهائه﴾

وكان ابتداء القحط والغلاء من أواخر ذي الحجة سنة تسع عشرة واستمر الى ذي القعدة من سنة عشرين ومضت هذه السنة وهو كل يوم في ازدياد حتى انه في آخر الامر بلغت كيلة القمح والرز خمسين وبلغ الرطل من السكر والشحم والزيت ريالين والرطل من البن والتمر ريالا والرطل من السمن ريالا ونصفا وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل اللحم الماعز والجمل نصف ريال وأخرج أهل مكة جميع ما يملكونه من الحلي والثياب والاثاث يبيعونه باخس الاثمان ويشترون به ما يأكلون ثم عدمت الاقوات بالكلية ولا يجدونها بالاوقية فضلا عن الارطال وصار كثير من الناس يأكلون من أدوية العطار كبزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ والنوى وبزر الحر وشرب أناس الدم المسفوح وأكل

تشتمل على مراحض وبركة ماء وقف ذلك جميعه على جهات خير وبني من داخل باب ابراهيم (٢٨٥) على يمين الداخل ماصلا في أرض المسجد في علوه سكنا وعلى يسار الداخل مثله وقرر فيهما بعض المستحقين وجعل في الجانب اليماني من هذه الزيادة ماصلا يشتمل على سبيل ماء وصهريج كبير يملئ من ماء المطر من سطح المسجد وأبقى الجانب القبلي والجانب الشمالي على حالهما وفرغ الامير خير بك المعمار من ذلك في حدود سنة عشرين وتسعمائة ٭ وأما عدد شرفات المسجد الحرام من داخله فكانت أربعمائة شرفة وسبع أنصاف شرفة ٭ وأما الشرفات التي كانت على جدر المسجد من خارجه فهي اثنان وخمسون شرفة متفرقة على أبواب المسجد الحرام فليس فيها شرفات وكانت في زيادة دار الندوة من جوانبها الاربعة التي تلي بطنها اثنتان وسبعون شرفة ولا شرفة للجهة الخارجة لاحاطة الدور بها وكانت في زيادة دار ابراهيم مما يلي بطنها في ثلاث جهات منها وهي القبلية واليمانية والشامية بضع وأربعون شرفة ٭ وأما أبواب المسجد الحرام فهي تسعة عشر بابا كانت تفتح على ثمانية وثلاثين طاقا وهي باقية على حالها ما عدا بابا واحدا في زيادة دار الندوة وكان يفتح على طاقين مزادها الامير قاسم أمين بناء المدارس الشريفة السلطانية سليمانية

طاقا واحدا وصار على ثلاث طاقات فصارت طاقات أبواب المسجد الحرام الآن تسعة والاثنين طاقا في كل طاق دفتان

بعض الناس الجلود والهرات والكلاب وكل حيوان على وجه الارض فهلك الفقير وافتقر الغنى وحصل الغلاء بطول وعسر وأرباب العيال صاروا حيارى وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ورامى أهل مكة فى هذا العام مالم يقاسه أصحاب السبع الشداد وفى أثناء هذه المدة وقعت الخيانة من بعض الناس من الاشراف وغيرهم فكاتبوا عثمان ومن كان فى الجند من الامراء واتسبب بعض منهم اسباب السبيل وهرب جنح ليل ومنهم من ثبت وقعد ودخل معهم فى الخيانة بعض شيوخ العبيد الذين كانوا أمناء على القلعة فاراد الله لهم بالفضيحة واطلع مولانا الشريف على بعض مكايدهم القبيحة واطلع أيضا على مكاتبات من بعض الاشراف الكبار لاولئك الفجار فأمر بسجن ابن أخيه السيد مساعد بن مسعود والسيد أحمد بن سرور وسجن كثيرا من غير الاشراف من العسكر والعبيد وقتل بعضا من شيوخ العبيد ودخل فى طاعة الوهابى كثير من الاشراف من ذوى بركات وذوى عبد الله وذوى الحرث والعامة وغيرهم مما يطول الكلام بذكرهم وقويت عزائم الخارجى بطاعتهم له ومازال الناس يتهالون ويتسللون ويخرجون من مكة ويدخلون فى طاعة الخبيث لاسيما لما اشتد الغلاء والجوع وكانت الاقوات فى جيوش الخارجى كثيرة تباع بأبخس الاثمان ولما رأى الشريف يحيى بن سرور وما حل ببعض الاشراف من الحبس والاهانة ركب فرسه الى الوفر ولم يزل سائرا حتى وصل وادى مر وقابل القوم كاخوانهم ثم رجع فرحوا به فما أقام عندهم غير ثلاثة أيام حتى جاءه قود من الخيل على رأسه ووصل بهم الى عمرة التنعيم وبعضهم أشرف على الزاهر فقاتلهم مولانا الشريف غالب فأمر الفرسان بالركوب خلفهم

﴿الغزوة الخامسة والاربعون﴾

وهى الغزوة الخامسة والاربعون نفروا هاربين ولم يدركوهم وأمر أهل البلاد فترسوا أطرافها وأكنافها وحصل فى ذلك اليوم صيحة أى صيحة وكان ذلك يوم الربوع لاثنين خلوا من شهر المحرم سنة عشرين وبعد يومين من هذه القضية ارتحل الجنود الذين كانوا بالوادى ونزلوا الحسينية واقبلوا على أطراف مكة وهم منتقلون فأشرف عليهم أهل مكة من رؤس الجبال وما كان منهم هذا الانتقال الا لظنهم انهم يدخلون مكة لكن قاتلهم العبيد المترسون فى الابراج التى حول مكة ومنعوهم عن الدخول كرها واستمر القتال بينهم من الظهر الى الغروب وهلك من تلك الجنود سبعة فتوجهوا الى الحسينية وقتلوا احد عشر رجلا من أهلها وأخذوا مواشى أهل الحسينية وتوجهوا الى العابدية لانهم بلغهم ان أبراجها حصينة وهى خلية لان العبيد تركوا الابراج وجاؤا الى مكة لطلب الزاد فلما وصلوا الى مكة غضب عليهم مولانا الشريف لتركهم الحصون وأعادهم جميعا مبادرة فى الحال وزاد عليهم مثلهم بين راجل وخيال وأمر سرية من الفرسان ان يجدوا السير ليسبقوا العبيد الى الابراج قبل ان يستولى العدو عليها فلما أقبلوا عليها وجدوا الوهابيين مسارعين اليها فسبقوا الوهابيين وطردوهم ومنعوهم عنها بالطبنجات لانهم أهل البندق والرماة

﴿الغزوة السادسة والاربعون﴾

وهذه الغزوة السادسة والاربعون فلما لم يتم للوهابيين أمر رجعوا الى وادى مر ثم ارتحل عثمان بكثير من الجنود وتوجه الى الطائف وكانوا قبل ارتحالهم بنوا حصنا بقرية المدرة وتركوا فيه عصابة من قومهم وأمر عليهم ابن جحى من عدوان وارتحل بعده سالم بن شكبان وكانوا فى مدة اقامتهم بالوادى بايعهم أكثر العربان الذين باطراف مكة كالمطارفة وقريش وبعض هذيل والجحادلة وبنى لحيان وأمروهم بقطع الجلب عن مكة ولما رأى مولانا الشريف ما حل بأهل مكة من القحط والغلاء والجوع أخذته الشفقة والمرحمة فاجتهد فى جمع ما أمكنه من الجمال وأرسلها الى جدة لتأتى بالذخائر والاحمال وأرسل معها جماعة من الاشراف والعسكر والعبيد ومعهم نحو المائة من فرسان الخيل

وسيأتى تفصيلها بعد ذكر الاسطوانات المتعددة فى عمرها والذى اشتمل عليه المسجد الحرام الآن من الاساطين الرخام والاساطين الصفر الشميسى والقبب والطواحين والمصابيح وشرفات المسجد الحرام فهى ما نذكره وأما الاسطوانات الرخام فعددها ثلثمائة واحدى عشرة اسطوانة فى جهة شرق المسجد الحرام وهى ما يقابل باب البيت الشريف اثنان وستون اسطوانة رخاما وفى جهة شامه ويقال له الجانب الشمالى وهو ما يقابل الحجر الشريف احدى وثمانون اسطوانة رخاما وفى جهة غربيه أربع وستون اسطوانة من ذلك وهو ما يقابل المستجار العظيم ست اسطوانات من الحجر الصوان والباقى من الرخام وفى زيادة دار الندوة خمس عشرة اسطوانة من ذلك واحدة من الحجر الصوان وفى زيادة باب ابراهيم ست اسطوانات وأما الاسطوانات الصفر الشميسى فجملتها مائتان وأربع وأربعون اسطوانة وهى عبارة عن شكل مثمن أو مسدس أو مربع على حسب ما اقتضاه المكان وهى فى طوال الاسطوانة تماما مقدار الثلث من الحجر الصوان المنحوت وثلثاه من الحجر الشميسى المنحوت وفى ذلك فى شرق المسجد الحرام ثلاثون

وأرسل معهم أحمد كتخدا وخرج معهم كثير من أهل مكة لما حل بهم من الجوع وصاروا كالجراد المنتشر بين مشاة وركبان وبلغ كراء البعير الى جدة تسعين قرشا الى ثمانين وفي ثاني يوم خروجهم من مكة بلغ مولانا الشريف انه خرج عليهم بعض الوهابيين فأسقيهم عما يزيد عن مائة خيال من الصناديد الابطال وأمر عليهم السيد ماضي بن سليمان

﴿القربة السابعة والاربعون﴾

وهذه القربة السابعة والاربعون ثم جاء الخبر ان الذين خرجوا أولا لطلب القوت والذخيرة مع أحمد كتخدا لما بلغوا نصف الطريق خرج عليهم ثلاث من خيل ذلك الفريق وهم عيون وجواسيس توصل لهم الاخبار فركض عليهم بعض الخيل وبقي بعض منها حراسة القافلة فتبع لهم نحو عشرين خيالا كانوا متوارين خلف تلك الجبال فركض عليهم خيل الهوارة وأصابوا رجلا وقتلوا رجلين واقتلعوا حصانا وقتلوا فرسين وفر بقية الاشرار للويل والدمار ووصلت القافلة للمنحنى وهو جبل معروف وجدوا في حصنه سبعة من الوهابيين قصدوا انهم خيل ورجال من أهل مكة ومن العسكر فقتلوهم وقطعوا رؤسهم ودخلوا بتلك الرؤس الى بندر جدة المحروس وفي اليوم الثاني من دخولهم جدة وردت أغنام الى جدة فعدوا عليها وأخذوها فأرسل الوزير خلفهم جريدة من الخيل ليسترجعوها فلم يدركوهم ثم ان القافلة حملت أحمالها وأوسقت جمالها وتوجهت الى مكة وكانت النادية الحظ الاوفر من كراء الجمال وأكثر واكل بعير بثلاثين ريالا وكان الشيخ عبد الله عبد الشكور صاحب الشارع له حمل من القمح من تلك الجمال واستولى عليه بمكة الناظر عثمان بك وفرقه على العسكر وحسب قيمته على مولانا الشريف وأخذها ولم يعط الشيخ عبد الله شيأ من الحمل ولا من قيمته فرفع فيه شكاية لمولانا الشريف وجعل الشكاية في منظومة طويلة مذكورة في التاريخ وبعد وصول القافلة الى مكة أقاموا يومين فأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثانيا ليأتوا بذخيرة أخرى وأمدهم بالعسكر وكراء الجمال على حاله كالرد الاول وكان أهل مكة يسمون تلك القوافل بالردود وجعل أميرا على هذا الرد السيد ماضي بن سليمان وخرج كثير من أهل مكة الفقراء مع هذا الرد فتوجه الجميع في الثالث والعشرين من المحرم ووصلوا الى جدة بالسلامة وحملوا الجمال وخرجوا بها وسلكوا غير الطريق المعتاد وحصل لهم تعب لعسر الطريق الذي سلكوه ووصلوا الى مكة بالسلامة وأقاموا أربعة أيام فأمرهم مولانا الشريف بالرجوع ثالثا وكراء الجمال على حاله وكثير من أهل الجمال يحملون كيلتين من البر بريال وأكثرا خوفا لمحوم حول المنفعة فكانوا يشترون لانفسهم كيلة البر التي قليل من جدة ويبيعونها في مكة بأربعة ريالات وكان رجوعهم الى مكة سادس صفر وكانت تلك الردود سببا للارتخاء الاسعار عما كانت عليه ثم أمر بالرجوع أيضا الى جدة رابعا وخرج معهم في هذا الرد خلق كثير من أهل مكة قيل انهم نحو ثلاثة آلاف حتى قل الناس من مكة ولم يتكامل الصف الاول بالمسجد الحرام وما حملهم على ذلك الا الفقر وكثرة الجوع وكان معهم أيضا من العسكر مثل ما كان أولا والامير عليهم السيد ماضي المذكور ووقع لأهل مكة من بعض أهل جدة كلام شاقوا في الازقة والاسواق يقولون لهم جئتم أرضنا لتضايقونا في الارزاق فتعجب لذلك الكلام أهل مكة وضاقت عليهم الارض بما رحبت وما صدر ذلك الكلام الا من بعض السفلة والاراذل وأما المعتمدون من أهل جدة فلم يقع منهم شيء من ذلك بل كانوا ينزلونهم بغاية الاكرام والشيخ محمد البناني مفتي المالكية بمكة قصيدة طويلة يذكر فيها ما وقع لاهل مكة من بعض أولئك الاراذل وهذه القافلة الرابعة أقامت بجدة ثلاثة أيام وحملت جمالها ورجعت الى البيت الحرام ولم تزل هذه الردود تسري الى ان انقطع الطريق بالكلية وأحاطت جنود الوهابيين بمكة من جميع الجوانب في شعبان ورمضان وفي تاسع شهر صفر أرسل مولانا الشريف غزية على قوم من

وفي زيادة باب ابراهيم ثماني عشرة • وأما القباب فعددها ثمانمائة واثنتان وخمسون قبة • فمن ذلك في شرقي المسجد الحرام أربع وعشرون قبة وفي الجانب الشامي ست وثلاثون قبة وواحدة في ركن المسجد الحرام من جهة منارة الحزورة وفي زيادة دار الندوة ست عشرة قبة وفي زيادة باب ابراهيم خمس عشرة قبة • وأما الطواجن فعدتها مائتان واثنتان وثلاثون طاجنا وفي الجانب الشمالي تسعة وخمسون طاجنا وفي الجانب الغربي ثلاثة وأربعون طاجنا وفي الجانب الجنوبي أربعة وستون طاجنا واثنان في مأذنة باب السلام وواحد في ركن المسجد من جهة باب العمرة وفي زيادة دار الندوة أربعة وعشرون طاجنا • وأما المصليات فعدتها ستة وخمسون مصلى في جهة شرقي المسجد الحرام مقابل باب السلام ثلاثة وفي جهة شامية ثمان وعشرون وفي جهة غربية ستة عشر وفي جهة جنوبية خمسة عشر • وأما الشرافات فعدتها ألف وثلثمائة وثلاثون شرفة فمن ذلك في شرقي المسجد الحرام مائة

بني لحيان دخلوا في الطين

{الغزوة الثامنة والاربعون}

وهي الغزوة الثامنة والاربعون جهز فيها خيلا وركابا ومشاة وأمر عليها السيد راجح بن عمرو الشنبري أمره أن يقصد بغزوه قوما من بني لحيان دخلوا في طاعة عثمان وكانوا نازلين بشعب من وادي الطرفاء يسمى شعب الذئب فأغار بمن معه عليهم فقتلوا ثلاثة وأخذوا من ابلهم نحو الخمسين والباقي من القوم فرحين معهم واستنابك الخيل ورجع السيد راجح ومن معه سالمين ثم أعاده سيدنا الشريف ومن معه وأمرهم ان يغزوا المناعمة

{الغزوة التاسعة والاربعون}

وهي الغزوة التاسعة والاربعون فغزوا على المناعمة وعلى جماعة من المطارفة فقتلوا اثنين منهم وأخذوا الممكن من مواشيهم وحلتهم ورجعوا سالمين وفي السادس من ربيع الاول جهز مولانا الشريف جيشا مكمل القوة والاستعداد فيه جملة من السادة الاشراف والعساكر والعبيد وأمرهم ان يغزوا الحصن الذي في المدرة فيه جملة من الوهابيين

{الغزوة المكملة خمسين}

وهي الغزوة المكملة خمسين ومعهم مدفع كبير وقنبرة فساروا الى ان نزلوا المدرة وأحاطوا بالحصن وحاصروا القوم ورموهم بالمدفع والقنبرة فلما مضى ثلاثة أيام جاء قوم من بني لحيان يريدون دخول الحصن اعانة لمن فيه فحمل عليهم عسكر مولانا الشريف وطردوا وخافهم حتى أصعدوهم رؤس الجبال وأرسل لهم مولانا الشريف مدفعا آخر وجاء قوم من بني مسعود هذيل الشام يريدون أيضا دخول الحصن اعانة لمن فيه فمنعوهم أيضا من الدخول ووقع القتال بينهم حتى انهزموا وتمانعوا برؤس الجبال وقتلوا أناسا منهم وقتل عبد من عبيد مولانا الشريف ورجع القوم الى محلهم وفي هذه الايام هرب من مكة السيد ماضي بن سليمان وذهب الى الوهابيين وتبعهم على ما هم عليه فاختلفت أقاويل الناس فيه فمنهم من قال ان ذلك باطلاع سيدنا الشريف وله فيه مقصد ومرام ومنهم من قال ان الرجل غلب على قلبه الخوف منهم فمال لهم بعد ان كاتبوه وكاتبهم ثم ان القوم المحاصرين للحصن حملوا عليه وكان محيطا به خندق فأخذوا معهم أخشابا ليضعوها على الخندق ويعبروا عليها فقصرت عن ذلك فرجعوا بعد ان أصابوا من القوم خمسة أشخاص وخرج من الترك مثلهم والمجروح قصاص وكان الترك الذين هجموا معهم وصلوا الى باب الحصن فوجدوا على الباب نحو العشرة فقتلوا منهم ستة وفر أربعة ثم رجعوا الى محلهم فلما بلغ الخبر مولانا الشريف جهز لهم جيشا نحو المائتين وأمر عليهم القائد أحمد بن منقال ومعه مدفع كبير

{الغزوة الحادية والخمسون}

وهذه الغزوة الحادية والخمسون وكان أكثر هذا الجيش من شبان أهل مكة وجاؤا بالمدفع على نحو خمسين جملا ومدة سيره في الطريق خمسة أيام واتكسر الجمل فوصلوا المدرة والحصار على حاله ثم بلغهم ان عثمان المضايفي أمد المحاصرين بثلاثة آلاف وخيلهم نحو المائتين فأخذت جنود مولانا الشريف حذرها وجعلوا لهم متارس فلما أقبل القوم رموهم بالمدفع ووقع القتال بينهم الى آخر النهار وقتل من قوم عثمان نحو الخمسين ولم يقتل من جماعة الشريف أحد بل أصيب واحد في يده صوابا خفيفا فلما جاء الليل أشار عليهم بعض من أدركه الخوف والفزع بالرجوع الى مكة وقال لهم قد تم لنا الغلب وطاب لنا حسن المنقلب فارتحلوا فأدركهم خيل الوهابية قبل ان يصلوا مكة فلما أحسوا بهم الخيل في عتمة الليل فر بعضهم وثبت البعض ووقعت بينهم ملحمة قتل فيها من عسكر الشريف نحو العشرة ومن الوهابيين جماعة ممن لهم شهرة واقتلع عسكر مولانا الشريف من

• ومن جهة شامية ثلثمائة واحدى وأربعون • فمن الرخام ثمانية وسبعون منها ثلاث طوال والباقي من الحجر الشميسي • ومن جهة غربية مائتان وأربع فمن الرخام اثنان وعشرون في وسطهن واحدة طويلة والباقي من الحجر الشميسي وفي زيادة دار الندوة مائة واحدى وتسعون من الحجر الشميسي وفي زيادة باب ابراهيم مائة وست وأربعون من الحجر الشميسي لا غير • وأما أبواب المسجد الحرام الآن فعدتها تسعة عشر بابا تفتح على تسعة وثلاثين طاقا في كل طاق دفتان فيها خوخة تفتح فمنها بالجانب الشرقي أربعة أبواب وفي الدفة اليمنى من الطاق الاوسط خوخة أيضا تغلق الدفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يدخل المسجد أو يخرج منه فترة الخوخة كما كانت وكذلك جميع الخوخات • الاول باب السلام ويعرف بباب بني شيبة وهو ثلاث طاقات وهذا الباب لم يجدد فيه شيء لكونه عامر محكم البناء وفي الدفة اليمنى من الطاق الاوسط خوخة تغلق الدفتان وتفتح الخوخة ليلا لمن يفتح المسجد ويخرج منه • الثاني طاقات ويعرف بباب الجنائز وبباب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجدد في هذا الباب غير الشرفات التي عليها وعدتها أربع وعشرون شرفة • الثالث ثلاث طاقات ويعرف بباب العباس لمقابلته لدار

خيلهم

خيلهم خمسة من أنجب الكمائل ورجعوا الى مكة وفى ربيع الآخر ورد الخبر بان سالم بن شكبان حل الطائف بنحو خمسمائة من قومه واستقبله عثمان بمن عنده من القوم وخرجوا الى قرب من جبال بنى سفيان وأرسلوا لهم يأمرونهم بالدخول فى الطاعة وخوفوهم وتهددوهم فأبوا الطاعة وهم نحو ثلاثين ان كانوا ممتنعين أشد الامتناع ونبذوا عهود مولانا الشريف وأرسلوا مشايخهم ليمرقوا الطاعة لعثمان وابن شكبان فطوقوا أعناقهم بالحديد ثم وضعوا عليهم نكالا حسيما جعلوا على كل سنة باقى عشرين ريالا وأخذوا سلاحهم فعندما سمعت بذلك الشهداء ذيل طارت قلوبهم من الخوف والفزع وأرسلوا لهم من يأخذ لهم الامان وحملوا ما طلبوه منهم من النكال مع انهم لم يقاتلوه قط وغيرهم أعطا تبعه بعد قتال شديد فقبلوا منهم الدخول فى الدين من غير صلاة ولا زكاة ولا حج ولا صيام بل بمجرد أخذ المال وقالوا لهم قد صح اسلامكم فقاتلوا أهل مكة المشركين حتى يدخلوا فى الدين فارحلوا من جبالكم واسكنوا تمامة فى العابدية والحسينية وامنعوا الخيرات الواردة الى مكة وأقام على كل قبيلة شيخها أميرا على جماعته وأمر بالتحجير على المشركين فى زعمه فلما بلغ سيدنا الشريف هذه الاخبار أمر ببناء أبراج فى الحسينية زيادة فى تحصينها ولما بلغ المقصود عثمان وابن شكبان من هذين القبيلتين وحازوا السلاح وظفروا بالفدين ارتحلوا من الموضع الذى كانا مقيمين فيه وتوجه سالم بن شكبان الى بيشة وعثمان الى الطائف وقد تقدم ذكر الردود التى تأتى من جدة بالميرة مرة بعد أخرى

﴿الغزية الثانية والخمسون﴾

وفى شهر ربيع الثانى من سنة عشرين بلغ مولانا الشريف ان الوهابية عازمة على أخذ الرد فى الطريق بجموع اجتمعت لاخذها فجهز غزية زيادة فى الحفظ والحماية وهى الغزية الثانية والخمسون فأصبحت الغزية بالركانى وجاءها الخبر ان القوم بصروعة فسارت الى ان ملؤا القرب بالماء حتى جاءهم القوم كأنهم امة الدهماء فحصل بينهم قتال وطالت الملحمة على ظهور الخيل وانحاز ثلاثون من عبيد مولانا الشريف على جبل شاهق وقتلوا كثيرا بالبنادق ثم انجلى الامر بانهزام الوهابيين وقتل سبع أو ثمان من خيلهم وبعض من رجالهم وأخذت قطعة من خيامهم وقتل أميرهم حتى وصعد جماعة منهم وأحاطوا بالذين فى الجبل من العبيد واقتتلوا معهم أشد القتال فقتل من الوهابيين نحو السبعين ومن العبيد خمسة وعشرون ثم توجه جماعة الشريف بعد العراك الى الحرم فلقيت الرد سالما وعوض الله مولانا الشريف بما فقده من جدة من العبيد خمسة وأربعون وفى الرد الذى بعده خمسون وفى شهر جمادى الاولى من هذه السنة عقد سعود جمعا عاما وطلب جميع الامراء فحضروا واشتد منهم عبد الوهاب أبو نقطة أمير عسير وسالم بن شكبان أمير بيشة وعثمان المضايفى أمير الطائف وما حوله وغير هؤلاء من الامراء وأمرهم بان يحاصروا أم القرى من جميع الجهات وان يمنعوا عنها جميع الوارد وبالغ فى منعهم الاقوات وانصرفوا من المجمع على ذلك وفى عشرين من شهر جمادى الثانية وصل عثمان المضايفى واستقبله خواص قومه وسألوه عما جاءهم به فقال قد أباح لنا سعود قتل هؤلاء المشركين فى الحل والحرم وان علماء الدرعية وجدوا هذا القول فى حاشية كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو صادق النقل فيما روى معصوم من الهوى فقرروا عينا وطيبوا انفسا ولكن اكتموا هذا الامر فانه سر مكتوم ثم أظهر لبقية الناس خلاف ما أبطن وان سعودا أمره باصلاح عين زبيدة التى هدمها وأخذ يتجهز بشغل المعاول وسرق النورة وجمع المكاتل والرمل وطلب من القبائل المعاونة لعمارة العين فما مضى برهة من الزمن حتى اجتمع عنده نحو خمسة آلاف من هذيل اليمن والشام وثقيف وغيرهم من الاقوام وتوجه بهم وخيم فى المضيق ثم ارتحل بهم ونزل فى حدود الحرم وفى شعبان أرسل فى عشرين شوالا

العباس رضى الله عنه ويعرف أيضا بباب الجنائز الرابع ثلاث طاقات ويعرف (٢٨٩) بباب على وبباب بنى هاشم وقد جدد هذا الباب والذى قبله على أحسن وضع وعدد ما عليهما من الشرفات مائة وخمس عشرة شرفة وبالجانب الغربى سبعة أبواب • الاول طاقات ويقال له باب بازان لان عين بازان قريب منه وقد جدد هذا بأسلوب حسن وعدد ما عليه من الشرفات ست عشرة شرفة • الثانى طاقات ويعرف بباب البغلة بباء موحدة وغين معجمة وقد جدد هذا الباب ولم يجعل عليه من الشرفات • الثالث باب الصفا لانه بابه ويعرف أيضا بباب بنى مخزوم وهو خمس طاقات وقد جدد هذا الباب تجديدا حسنا وعدد شرفاته تسع وعشرون • الرابع طاقات ويعرف بباب أجياد الصغير وقد جدد وعدد شرفاته تسع عشرة شرفة • الخامس طاقات ويعرف بباب المجاهدية ويقال له باب الرحمة وقد جدد هذا الباب وعدد شرفاته عشرون • السادس طاقات ويعرف بباب مدرسة الشريف عجلان لاتصاله بها وقد جدد الباب أيضا وعدد شرفاته عشرون • السابع طاقات ويعرف بباب أم هانئ وقد جدد هذا الباب بناء حسن لطيف واسلوب ظريف وعدد شرفاته ثلاث عشرة شرفة • وبالجانب الغربى ثلاثة أبواب • الاول طاقات ويعرف

فانهزمت ركضا الى جبل المضا و أعلنوا بالتكبير وطلبوا البراز فركبت خيل الشريف خلفهم ففروا
ولم يعدوا الهم آثرا وصاروا يفعلون مثل ذلك ثلاثة أيام ثم انتقل بجنوده قاصدا جدة وأحاطوا بالسور
ومعهم كثير من السلالم ومعاول الحديد ثم قربوا من السور حتى صعد بعضهم على بعض السلالم
بعد وضعها على جدار السور فجاءهم من كانوا قائمين بحماية السور وأبعدوهم عنه بالبندق والمدفع
وقتلوا منهم خلقا كثيرا فرجعوا منهزمين الى خيمهم وكان بعيدا عن وقع الرصاص ثم ارتحل الى
المدرة بمن معه من الشعرة وأرسل يطلب من بقي من العربان فجعلوا يتسللون اليه من كل مكان
فربهم انقطع الطرقات فجعل لمحاصرة جدة وقطع طريقها راس شيخ زبيد ومعه جماعة من أهل
الكيد فخيموا اتجاه جدة بحيث يردون من آبار غليل ويغيرون على حول البندر بالنهار والليل وكم
قتلوا حولها من الفقراء والمساكين وخضبوا أكفهم بدم الموحدين وفي كل يوم يصلون الى الحفر
ويقطعون من يرد الماء وأكثر الحطب في التكارنة الذين يجمعون الحطب ومازالوا على هذا المنوال
حتى انقطع الواصلون من جدة بالكلية وأمر الجادلة وبعضا من هذيل ان يخيموا على الشرفية
ويقطعوا من يرد من طريق اليمن وأمر بعضا من هذيل ان يخيموا على وادي نعمان ومعهم العرب
النازلون بتلك الجبال من غير هذيل وأمر بني لحيان وعربان الحرم ان يخيموا بالحصن الذي شيده
بالوادي والمدرة ثم انتقل هو ومن معه مرة ثانية الى طريق جدة يقتلون ويأخذون من مر عليهم
من الحجاج وغيرهم وكم قتلوا من الحرم من المعلنين بالتلبية ويقولون له يا مشرك مع انهم ما سمعوا منه
لفظ الشرك الذي يزعمونه وما عرفوه قط ورأوه الا ذلك اليوم فيقتلونه بدعواهم لاجل أخذ ماله

﴿الغزية الثالثة والخمسون﴾

وفي اليوم الثالث من رمضان أرسل عثمان جماعة من قومه نهبوا الابل الشريفة التي كانت في
المكيشية فركبت خيل مولانا الشريف خلفهم لاسترجاعها فهي الغزية الثالثة والخمسون
ولحقوا بهم الى الشميسي فوجدوهم قد تعلقوا بها في شواهق الجبال فرجعوا وفي اليوم الخامس
من رمضان أمر عثمان أربعين من هذيل السد ويقال يقصدوا بين مكة والحسينية فجلسوا
عند الشرفة التي عند جبل الثور يقطعون من مر عليهم فمر عليهم أربعة من جماعة سيدنا
الشريف فقبضوهم وأخذوا سلاحهم وجعلوا ثلاثة منهم الى عثمان وأطلقوا الرابع وكان رجلا
سليما نياطا عمنا في السن فجاء الى مكة آخر الليل وأخبر بما وقع وبما فعلوه في هذا الشهر المعظم انهم
منعوا الناس من الاعتمار من التنعيم ومع هذا لم يمتنع كثير من الناس الاعراب حتى انهم قتلوا
شخصا معتمرا عند الزاهر

﴿الغزية الرابعة والخمسون﴾

وفي العاشر من شوال ارتحل عثمان من طريق جدة قاصدا الحسينية فلما بلغ مولانا الشريف ذلك
جهز جماعة من الخيل والفرسان والمشاة فهي الغزية الرابعة والخمسون فالتقوا بقوم عثمان
باسفل مكة عند بطحاء قريش فوقع القتال بينهم وسالت خيل مولانا الشريف عليهم فولوا على
أعقابهم مدبرين وقتل منهم جماعة منهم ولد السيد ماضي بن سلمان ودخل قوم الشريف برأسه
محمولا على رمح وعلق في الاسواق وذبح من جياد خيلهم أربع واستشهد من جماعة الشريف السيد
دواز الحسيني أمير المدينة وواحد من الهوارة وقتلت فرس وأصيبت أخرى ثم رجع قوم عثمان على
الحسينية وأقاموا يحاربون من فيها يومين فملكوها قيل ان وكيل الشريف بالحسينية خان فملكهم
اياها والا فقد كان في مكان حصين والامر لله يفعل ما يشاء ولو شاء ربك ما فعلوه وكان استيلاؤهم
على الحسينية في الثاني عشر من شوال فانثالت عليهم العربان من كل سهل وجبل وأرسل يشر

باب الحزورة ولم يجدد في هذا الباب شئ أصلا لعمارته • الثاني طاق واحد كبير يقال له باب ابراهيم ولم يجدد هذا
الباب أيضا العمارة قصره
لان قصر الغوري مبني
عليه • الثالث طاق واحد
ويعرف بباب العمرة لان
المعتمرين من التنعيم
يخرجون منه ويدخلون
في الغالب وكان قديما
يسمى باب بني سهم وقد
جدد هذا الباب وعدد
شرفاته ثلاث شرفات
• وبالجانب الشمالي خمسة
أبواب • الاول طاق واحد
ويعرف بباب السدة
وكان يقال له باب عمرو بن
العاص رضي الله عنه وقد
جدد هذا الباب أيضا
وعدد شرفاته ست
شرفات • الثاني طاق
واحد يعرف بباب العجلة
ويعرف بباب الباسطية
لاتصاله بمدرسة عبد
الباسط المتقدم أيضا وقد
جدد هذا الباب أيضا
وعدد شرفاته سبع • الثالث
طاق واحد بزيادة دار
الندوة في ركنها الغربي
ولم يجدد هذا الباب أيضا
• وطبقاته ثلاث طاقات
بالزيادة المذكورة جانبها
الشامي وقد كان هذا الباب
قد عاطاقين الى أن أمر
المرحوم الامير قاسم بك
ببناء المدارس السلطانية
فقطع طاقا ثالثا ثم هدمت
الطاقات الثلاث عند بناء
المسجد الحرام وأعيدت
كما كانت وعدد شرفاته
اثنتان وعشرون شرفة
• الخامس طاق واحد ويعرف بباب الدريبة بالقرب من منارة باب السلام وقد جدد هذا الباب الامير قاسم بك

سعود لذلك وفي هذا الاثناء وصل سالم بن شكبان بما يزيد عن خمسة آلاف من بيشة وتمرات
وغامد وزهران وقحطان وغيرهم من عصائب الشيطان ثم تلاه بالوصول عبد الوهاب أبو نقطة بنحو
عشرة آلاف من عسير وعربان اليمن فتكاملوا في الحسينية مع قوم عثمان فكانوا يبلغون ثلاثين
ألفا فعند ذلك اشتد الكرب على المسلمين وضاق ذرع سكان البلد الامين ووقع القحط الذي لا مزيد
عليه وارتفعت الاسعار حتى بلغت القدر الذي تقدم ذكره وبلوغها ذلك المقدار انما كان في هذه
المدة وأما الغلاء الذي كان قبل ذلك فانه لم يبلغ هذا السعر فبلغت في هذه المدة الكيلة من القمح أو
الرز مشخصين وبلغ الرطل من السكر أو الشحم أو الزيت ريالين وبلغ الرطل من التمر واللبن ريالا
ومن ناله بهذا السعر فقد بلغ الآمال وبلغ رطل السمن ريالين ونصفا ورطل العسل ريالا ونصفا
ورطل اللحم من الماعز أو الجمال نصف ريال وكيلة الزبيب ثلاثة ريالات ورطل التنباك ستة
ريالات ونصفا وقس على هذا فصار الناس يشترون حتى نفد ما بايديهم من النقود واشتروا بالاثاث
والثياب والحلي ويبيعون ما قيمته مائة بعشرة وأقل ويشترون بالعشرة ما قيمته واحد فأقل حتى في
القليل والكثير ومات كثير من الناس بالجوع وصار كثير من الناس يأكلون الجلود اليابسة والبطاط
بعد حرقها بالنار ويأكلون شيأ يسمى الاخربط وهو نوع من النبات فأثر في وجوه الناس وأرجلهم
نفخا وأوراما ثم يموتون بعد ذلك فترى الناس يموتون وهم يمشون في الاسواق وترى كثيرا من
الاطفال موتى في كل زقاق وشرب أناس الدم المسفوح وأكل آخرون الهرات والكلاب وكل ما
يجدون من الحيوانات ومضى على الناس شيء لم يعهد قط ثم فنيت الاقوات فلم توجد بقليل ولا كثير
فصار بعض الناس يأكلون أدوية العطار مثل بزر الخشخاش وزبيب الهوى والصمغ العربي
ونوى التمر والجلد وكل شيء لين من الخرق فهلك الضعيف وافتقر الغني فلما ذهب النقد والنشب وفنيت
الذخائر والمكاسب وتحققوا ان المآل الى العطب هرعت الناس الى الحسينية لان الاقوات بها
رخيصة وساروا يمشون في الطرق الصعاب وعلى رؤس الجبال خوفا من السطوة عليهم في الطريق
ومنهم من قتل ومنهم من مات جوعا قبل الوصول اليها ومنهم من دخلها فتحول لا حتى لم يبق بمكة الا
القليل ولا يتكامل الصف الاول اذا اجتمعوا للصلاة في المسجد الحرام وغلقت الحوانيت واستمر
هذا الحال الى السادس والعشرين من ذي القعدة سنة عشرين فوصل من الحسينية عبد الرحمن بن
نامي أحد علماء القوم المعتمد عليهم ومعه ثلاثة منهم فاجتمع بسيدنا الشريف غالب وتذاكر في
الصلح وانفصام هذا الحرج ورجع في يومه الى الحسينية مخبرا بما وقع بينهما من الاتفاق وبعد
يومين نهب عثمان ابلا للشريف كانت ترعى في أرض الحرم فاركب مولانا الشريف ستة من
الخيل تقفيها وتأتيه بالخبر

﴿الغزوة الخامسة والخمسون﴾

وهي الغزوة الخامسة والخمسون فاحاط بهم نحو الستين من خيل الوهابية كانوا خلف الجبال
وقتلوا ثلاثة وقبضوا على اثنين ونجا السادس وهو السيد راجح بن عمر الشنبري فعند ذلك أرسل
مولانا الشريف نحو ستين خيالا

﴿الغزوة السادسة والخمسون﴾

وهي الغزوة السادسة والخمسون فلما وصلوا ذلك الموضع لم يجدوا أحدا

﴿ذكر انعقاد الصلح بين مولانا الشريف وأحد علمائهم على دخول مكة﴾

ثم رجع عبد الرحمن بن نامي من الحسينية واجتمع بمولانا الشريف وتم معه الصلح على ان الشريف
يأذن لهم في الدخول الى الحج ثم يتوجهون الى بلادهم وان الناس يدخلون في الطاعة ويكون أمر

المذكورة آنفا عند بنائه للمدارس السليمانية (وأما منائر المسجد الحرام) فهي (٢٩١) الآن ست منائر يؤذنون عليها في الأوقات
الخمس، أولها منارة باب
العمرة عمرها أبو جعفر
المنصور ثاني ملوك بني
العباس وعمرها بعده
وزير صاحب الموصل محمد
الجواد بن علي بن أبي
منصور الاصفهاني في
سنة احدى وخمسين
وخمسمائة وكان رئيس
المؤذنين يؤذن بها في زمن
المالكي ويتبعه سائر
المؤذنين، ثم صار في زمن
التقي الفاسي يؤذن رئيس
المؤذنين بباب السلام
ويتبعه سائر المؤذنين وهو
الآن يؤذن الاوقات
الخمس على قبة زمزم
ويتبعه المؤذنون الا ليالي
رمضان في التسحير فان
رئيس المؤذنين يسحر بها
على منارة باب السلام
ويتبعه المؤذنون في
التسحير واحدا بعد واحد
وكذلك في التحميد
والتذكير والتوديع ونحو
ذلك وقد أدركنا هذه المأذنة
وهي عتيقة البناء فأمر
بتجديدها المرحوم
المقدس المغفور له الاقدس
السلطان سليمان خان
عليه الرحمة والرضوان
فهدمت الى الارض وبنيت
بالآجر وأعيدت كما كانت
بدور واحد الا أنهم غيروا
رأسها على أسلوب منائر
بلاد الروم وكانت على أسلوب
منائر مصر يعلق عليها في
رأسها ثلاثة قناديل في
ثلاثة أعواد مغروزة في قبة صغيرة على رأس المأذنة وكان ذلك في احدى وثلاثين وتسعمائة، وثانيها منارة باب السلام عمرها

مكة وأحكامها تحت نظر مولانا الشريف واشترط عليهم أمورا منها اعادة الحسينية وغرامة ما ذهب فيها من الكثير والقليل حتى دية المقاتيل وغير ذلك مما اشترطه مما فيه الصلاح والرفق بأهل البلد الحرام وأذن لهم بدخول مكة وانهم يرسلون مكاتيبهم الى سعود يخبرونه بما صار عليه الاتفاق وينتظرون الجواب فدخل بعد هذا كثير من أهل مكة الذين كانوا قد خرجوا الى الحسينية وتناقصت الاسعار واطمأنت القلوب ثم دخل عثمان وسالم بن شكبان لاربع بقين من ذي القعدة وفرج الله على المسلمين تلك الشدة ثم دخل أولئك الجيوش مكة وملؤا كل زقاق وسكة وجعلوا يركضون في الطواف ويشيرون الى الحجر الاسود بالمشاعيب والبوا كثيرا ثم خيموا بالابطح وفي اليوم الثالث من ذي الحجة وصل عبد الوهاب أبو نقطة بجنوده ونزل أيضا بالابطح وفي اليوم الثامن توجهوا الى عرفة ووصل الحج الشامي يوم الثامن وكان أميره عبد الله باشا ومعه قوة زائدة عن المعتاد وكان معه نحو ألف وخمسمائة خيال وكان في مجيئه وقع بينه وبين قبيلة حرب قتال شديد لانهم تعرضوه في الطريق فجلس له بداى شيخ حرب ومعه قوم كثير وابن جبارة شيخ جهينة ومعه قوم كثير في جبال الثنايا بحيث ينالوه ضربا لاقتالهم ورماهم بالمدفع وأمر بعض العسكر ان تصعد لهم في الجبال يحيطوا بهم فقتل منهم خلقا كثيرا وأذاقهم العذاب الاليم ويوم العيد عرض قوم أبي نقطة على مولانا الشريف وبعد تمام الحج نزلوا بالمحصب وفي هذا الاثناء جاء أبو نقطة لمنزل مولانا الشريف وسلم عليه وقدم له مولانا الشريف حصانا بالعدة وألبسه فروا وسمورا وشالا وسيفا وأقاموا بعد سفر الحجوج الى الحادي عشر من محرم ثم ارتحلوا وكانوا مدة اقامتهم بمكة مصابين بداء الجدري وأفنى منهم خلقا كثيرا حتى صاروا يحفرون لهم حفرا ويلقون الموتى بعضهم على بعض ويدفنونهم في الحفر وكان الكثير منهم مدة اقامتهم بمكة أيضا يستأجرون أنفسهم في ما يحتاجه أهل مكة من الخدم كالاحتطاب وحمل القمائم ونزح الغائط من المراحيض ونحو ذلك فانظر كيف أعز الله جيران بيته وأذل أولئك القوم الذين جاؤا لقتلهم وسبي أطفالهم وأخذ أموالهم فمنعهم عنهم وسخرهم لخدمتهم ثم ان سيدنا الشريف في افتتاح سنة احدى وعشرين رتب محافظه فأرسل وزيرا الى ينبع ومعه خمسون خيالا ومائتان من العسكر وأرسل مائتين من الاتراك الى سواكن ومثلها الى مصوع ونزل هو الى جدة وأقام بها مدة ورتب أمورها وأمر باصلاح السور وعمارة الخندق وأمر ببناء برج على نفس باب المغاربة المسمى بأعلم عنه الداخل الى المرسى ان قصده عدو وفي أثنائه قد وصل من الدرعية عشرون رجلا وفيهم حمد بن ناصر أحد علمائهم وكان مولانا الشريف بجدة فنزلوا الملاواته واجتمعوا به وأعطوه ما كان معهم من المكاتيب من سعود وفيها اتمام أمر الصلح ونزل حمد بن ناصر الى مسجد عكاش وأمر بجمع الناس له وقرأ عليهم رسالة محمد بن عبد الوهاب التي يكفر بها المسلمين وحضر التجار والاعيان وطلبة العلم وكافة الناس ثم أمر مولانا الشريف بهدم قبب الصالحين لتطييب قلوب أولئك المعاندين وأمر أهل جدة ومكة بالامساك عن شرب التنباك وان لا يباع في حانوت وأمر الناس ان يدخلوا المسجد حين يسمعون الاذان لاداء صلاة الجماعة وأمر العلماء أن يقرؤا الرسائل التي ألفها ابن عبد الوهاب لتأسيس ما ابتدعه ونهى عن تكرير الجماعة في المسجد الحرام وان لا يصلي الا امام واحد وان يقتصروا على الاذان على المنائر ويتركوا التسليم والتذكير والترحيم وانما وافقهم مولانا الشريف وكافة الناس على ذلك كله مداراة لهم ودفعا للشر. وأبطل مولانا الشريف ضرب نوبته ونوبة والي جدة فلما ظهر ذلك كله لحمد ابن ناصر ظن ان ذلك فعلوه معتقدين فيه ظاهرا وباطنا فتوجه الى الدرعية يخبرهم بتلك الطاعة وأرسل معه مولانا الشريف من جهته شيخ السادة السيد محمد بن محسن العطاس فغاب شهرين

المهدي بن المنصور العباسي الذي وسع المسجد الحرام في سنة ثمان وستين ومائة وهي بدورين ثم هدمت في زمن الناصر فرج بن برقوق في ست عشرة وثمانمائة وهي باقية الى الآن وثالثها منارة علي وأول من عمرها المهدي العباسي لما عمر منارة باب السلام واستمرت الى أن أدركناها وقد آلت الى الخراب وكانت بدور واحد في أعلاها فأمر المرحوم المغفور له المقدس المبرور السلطان سليمان خان عليه الرحمة والروح والريحان بهدمها وأعيدت من الحجر الاصفر الشميسي وجعل لها دوران أعلى وأسفل وغير رأسها على أسلوب منائر الروم • ورابعها منارة الحزورة وهي بدورين أول من بناها المهدي العباسي ثم عمرت في زمن الاشرف شعبان بن حسين صاحب الموصل وكانت سقطت في سنة احدى وسبعين وسبعمائة وسلم الناس منها فوصل المعمرون لعمارتها وفرغوا منها في مفتتح محرم الحرام سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة بتقديم السين فيهما وهي باقية الى الآن • وخامسها منارة باب الزيادة وهي مربعة بدورين بناها المعتضد العباسي لما بنى زيادة دار الندوة ثم سقطت وأنشأها الاشرف برسباي في عام ثمان وثلاثين وثمانمائة كما هو في حجر بجنب المأذنة والله أعلم • وسادسها منارة مدرسة السلطان قايتباي رحمه الله تعالى بناها على ورجع

ورجع بالجواب وسيدنا الشريف مازال مقيما بجدة فنزل اليه وأعطاه الجواب فاحتاج مولانا الشريف الى اعادة جواب آخر لهم فارسل به محمد الشبلي فغاب شهرا ويومين ورجع وفي الخامس والعشرين من شهر جمادي الآخرة وقع بمكة قتال شديد بين الاتراك والعبيد وسيدنا الشريف بجدة فأرسل وأمرهم بالكف عن القتال فكفوا وكان من جملة القتلى ولد مرضى العمري وكان أخوه بجدة فجاء مكة لاخذ الثار ووجد تركيا فطعنه فرجع ثار القتال مرة ثانية فبلغ مولانا الشريف الخبر وهو بجدة فعلم ان هذه الفتنة لا تسكن الا ان وصل بنفسه فجاء الى مكة في شهر رجب وأسكن تلك الفتنة وكان القتلى في تلك الفتنة نحو عشرين ما بين قتيل وصويب وكانت مدة الحرب أربعة أيام ولياليها ثم بعد وصول سيدنا الشريف سأل عمن كانوا أصول هذه الفتنة وانتقم منهم بالتسفير والحبس والقتل لرئيس تلك الفتنة وهو محمد اوض باشا ولما وقعت هذه الفتنة فرح عثمان المضايفي ليجعلها قدحا في مولانا الشريف وعدم كفايته لضبط مكة فركب من الطائف الى الدرعية ليخبر سعودا بهذه القضية فكان توجهه في الخامس من رجب ورجع بعد خمسة وثلاثين يوما ولم يصادف لكلامه قبولا عند سعود

﴿ذكر بناء قلعة الهندي سنة ١٢٢١﴾

وفي السابع والعشرين من رجب أمر مولانا الشريف ان يبني له حصن على رأس الجبل المسمى بجبل الهندي وتم بناؤه في عاشر رمضان فحصنه بالرجال والذخائر وفي آخر يوم من رمضان وقع قتال أيضا بين العبيد والاتراك وعزلت الاسواق وترس كل منهم بمكان يمكن فيه فنزل مولانا الشريف ساعده لاطفاء هذه الفتنة وما خرج الناس من صلاة المغرب الا وقد خمدت ولم يقتل من الطرفين سوى اثنين وعيدت الناس

﴿ذكر وصول الشريف عبد الله بن سرور وتوجهه الى الدرعية وحبسه في السوبرقية﴾

وفي ثالث شوال وصل الشريف عبد الله بن سرور من القسطنطينية بعد غيابه عن مكة أربع سنوات لانه خرج سنة سبع عشرة ورجع سنة احدى وعشرين بعدان وصل الى أبواب السلطنة وأراد ان يولوه شرافة مكة فما كان له في ذلك نصيب ولما وصل مابين الحرمين لم يطلب دخول مكة مدة شرافة عمه لكونه تكلم فيه عند السلطنة فوجه الى الدرعية واجتمع بأميرها سعود وأعطاه على الدخول في دينه المواثيق والعهود رجاء ان يوليه شرافة مكة فلم يفعل ذلك سعود فطلب منه امارة الطائف حين ايس من امارة مكة فلم يعطه أيضا فطالت اقامته هناك وضاق به الحال واشتاق الى الوطن فطلب الاذن في الرجوع فلم يأذن له الا الى السوبرقية فرجع اليها كانه محبوس ومكث ثلاث سنين وصار يكاتب سعودا ويستأذنه في الرجوع الى مكة فاذن له بعد مضي ثلاث سنين فلما أقبل على مكة وكان بين الحالية وأبي الدرد أرسل لعمه كتابا يستأذنه في الدخول فلم يأذن له فتوسط بعض السادة الاشراف بينه وبين عمه وكفلوا لعمه ما يخشى منه من الفساد ومضى على ذلك ثلاثة أيام فلما سمع عثمان المضايفي بكل ما كان وكان قد بلغه انه طلب امارة الطائف وتكلم فيه عند سعود أرسل جماعة من عدوان وأمرهم بالقبض على عبد الله بن سرور من أي مكان كان فوجدوه في ذلك الموضع فقبضوا عليه ونقلوه محمولا اليه فلما مثل بين يديه أمر بالسجن عليه ومعه جماعة من الاشراف قيل انه مكث في السجن ستة أشهر ثم أطلقه ثم ان الشريف عبد الله بن سرور مكث بعد ذلك في الحال آخر المدة والسنين وهو موضع قريب من الطائف ولما جاء محمد على باشا وقبض على مولانا الشريف غالب وولى مولانا الشريف يحيى بن سرور شرافة مكة كان اخوه الشريف عبد الله بن سرور طامعا بالحال وكان أكبر من أخيه الشريف يحيى فكان يؤمل ان شرافة مكة تكون له

عقد باب مدرسته الذي الى جهة المسعى في غاية الصناعة بثلاثة أدوار افتخر بصنعها مهندس عصره على مهندسي زمانه وبني نظيرها منارة أخرى على عقد باب مسجد النبي ﷺ في حدود سنة ٨٩٠ والسابعة منارة السلطان الاعظم المغفور له الاقدس السلطان سليمان تغمده الله بالرحمة والرضوان أمر ببنائها في احدى مدارسه الشريفة فيما بين باب السلام وباب الزيادة وهي منارة في غاية العلو والارتفاع مشرفة على البقاع مبنية بالحجر الشبيبي الاصفر مسبوكة بسبيك الذهب الاحمر لها ثلاث دوائر مرتفعة وأساسات محكمة موضوعة رأسها على أسلوب بلاد الروم تكاد تلازم معارج النجوم وتغوص في الارض الى مدارج الموج بناها المرحوم قاسم أمين العمارة السلطانية السليمانية وسنجق جدة المعمورة فرغ من بنائها في سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة رحمه الله وهذه هي المنائر السبعة التي هي حول المسجد الحرام الآن عليها عمل المؤذنين في الاوقات الخمس وفي رمضان وغيره وكانت على المسجد منائر أخر ذكرها أصحاب التاريخ ٭ منها على باب ابراهيم منارة شبه مربعة هدمها بعض أمراء مكة المشرفة لاشرافها على داره ذكرها التقي الفاسي رحمه الله تعالى ومنها منارة ذكرها ابن جبير على باب الصفا قال وهي أصغرها

مع كثرة طلبه لها ومحاولته عليها فطالما ولاها أخوه الشريف يحيى ضاق ذرعه ونزل الى مكة وكان أخوه الشريف يحيى يعظمه ويجله كثيرا فلم تطب نفسه بذلك بل كان يحقر أخاه ويسفه عليه جهارا في وجهه فشكاه للوزير محمد علي باشا فقبض عليه وأرسله الى مصر محبوسا فمكث فيها مدة ثم أطلق بشفاعة أخيه الشريف يحيى وقيل بل خرج هاربا بخفية فرجع الى مكة ثم انتقل الى الجال وأقام به الى ان توفي سنة تسع وثلاثين بالجال فنقل منه الى مكة ودفن بها فانظر الى تقدير الله تعالى حيث لم يجعل له نصيبا في تولية شرافة مكة ومانفعه كثرة جده واجتهاده في ذلك فانه حارب عمه الشريف غالبا في أول مدة ولايته ثم توجه الى أبواب السلطنة فلم يصادف قبولا ثم الى الدرعية فلم ينل مارام بل أعقبه ذلك الحبس والاهانة فعلى العاقل أن يستسلم لقضاء الله وقدره ويرضي بقسمته فان قدر له شيء يجيء الاسباب لذلك الشيء حتى يكون ولما رجع عثمان المضايفي الى الدرعية ولم يحصل له من الطعن في مولانا الشريف طائل أمر العربان بقطع الطريق مشاققة لمولانا الشريف وكان عثمان أعطاه سعود امارة العربان فغلت الاسعار بمكة ووقع للناس شدة وصار الناس كالمحصورين بمكة لقطع الطريق فارسل مولانا الشريف الى سعود وعرفه بما هو حاصل لجيران الله تعالى وعرفه الاسباب الموجبة لذلك فارسل سعود لعثمان ومنعه مما كان ففرج الله على الناس تلك الشدة وكانت مدتها قليلة بالنسبة لما قاسوه من الحصر الذي كان في سنة عشرين قيل ان مدة الشدة هذه الاخيرة كانت ثمانية أيام فزالت ولله الحمد بهمة مولانا الشريف ثم ان مولانا الشريف غالبا في جميع السنين التي كان فيها تغلب الوهابي على مكة كان يصانعهم ويهاديهم بالاموال الجزيلة بحيث كانت هداياه تصل الى أكثر امرائهم وعلمائهم وأعوانهم يفعل ذلك مدافعة عن نفسه وحماية لبقاء ملكه ووقاية لاهل مكة أن ينالهم من أحد الوهابية مكروه ومع ذلك كان يكاتب الدولة العلية سرا ويحثهم على تعجيل تجهيز عساكرهم لانقاذ الحرمين من الوهابية واستمر الحال الى ان انقضت المدة التي قدر الله استيلاءهم على الحرمين فيها وكان سعود وكثير من امرائهم يأتون في كل سنة الى الحج بجنود كثيرة فيكرمهم مولانا الشريف ويجري لهم الضيافات الكثيرة وفي سنة عشرين لما جاء الحج الشامي والمصري الى مكة قال الامير سعود لامراء الحجين ماهذه العويدات التي تأتون بها وتعظمونها بينكم يعني المحمل الشامي والمحمل المصري فقالوا والله قد جرت العادة من قديم الزمان باتخاذ المحملين يجعلونهما علامة واشارة لاجتماع الحجاج فقال لا تفعلوا ذلك ولا تأتوا بهما بعد هذا العام وان أتيتم بهما فاني أكسرهما وكذا شرط عليهما ان لا يصحبوا معهم شيأ من الطبل والزمر

﴿ذكر رجوع الحج الشامي من الطريق من غير حج سنة ١٢٢١﴾

وفي سنة احدى وعشرين كان أمير الحاج الشامي عبد الله باشا فلما وصل هدية جاءته مكاتيب من الوهابي لا تأت الا على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي فلما قرأ تلك المكاتيب رجعوا من هدية من غير حج

﴿ذكر أمر سعود باحراق المحمل المصري سنة ١٢٢١﴾

وأما المحمل المصري فانه لما وصل أمر سعود باحراقه وأمر بعد الحج أن ينادي لا يأتي الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن وتلا المنادي في المناداة يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فانقطع مجيء الحج الشامي والمصري من هذا العام

﴿ذكر أخذ الوهابي ما في الحجرة الشريفة سنة ١٢٢١﴾

وفي سنة احدى وعشرين أيضا أخذ الوهابي كل ما كان في الحجرة النبوية من الاموال والجواهر وطرد قاضي مكة وقاضي المدينة الواصلين لمباشرة القضاء سنة احدى وعشرين وأقاموا الشيخ

وهي علم لباب الصفا ولا يصعد عليها لضيقها انتهى * ومنها منارة على الميل الذي يهرول عنده من يسعى بين الصفا والمروة وذكرها الفاكهي وهذه المنائر الثلاث كانت على المسجد الحرام وهدمت ولا يعلم من بناها ولا متى هدمت وبأعلى مكة منارة على مسجد يقال له مسجد الراية على يسار النازل من المعلاة بقرب بئر عدي بن مطعم ابن نوفل يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم فتح مكة فيه وهي منارة عتيقة ذهب رأسها وكان لها دوران لا أعلم من بناها يؤذن فيها بعض أهل الخير في مغرب شهر رمضان ويعلق قنديلا لاعلام أهل ذلك المكان بدخول المغرب للافطار في رمضان ويسحر عليها آخر الليل ويطفئ قنديلها بعد السحور اعلاما بدخول أول الفجر ليمتنع الصائمون من الاكل والشرب وهو باق الى الآن وذكر التقي الفاسي رحمه الله تعالى ان المنائر بمكة على غير المسجد الحرام كانت كثيرة في الشعاب والحلات وكان المؤذنون يؤذنون عليها للصلوات وكانت لهم أرزاق تجري عليهم وأول من جدد تلك المنائر على رؤس الجبال وفجاج مكة وشعابها هارون الرشيد وأجرى على المؤذنين بها أرزاقا وكان لعبد الله بن مالك الخزاعي على جبل أبي قبيس منارة وعلى الفلق منارة ومنارة مشرفة على أجياد ومنارة الى جنبها لعبد الله بن مالك منارة تشرف

عبد الحفيظ العجيمي من علماء مكة لمباشرة القضاء بمكة وأقاموا القضاء المدينة بعض علماء المدينة ومنعوا الناس من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ذكر صدور الامر من السلطان سليم لمحمد علي باشا بالتجهيز سنة ١٢٢٢﴾

وفي سنة اثنين وعشرين صدر الامر من مولانا السلطان سليم لمحمد علي باشا صاحب مصر بان يجهز الجيوش والعساكر لقتال الوهابي واخراجه من الحرمين الشريفين وكان محمد علي باشا قد تولى مصر سنة عشرين ووقع بينه وبين الصناجق المماليك الذين كانوا متغلبين على مصر محاربات ووقائع كثيرة والى هذا الوقت لم يصف له ملك مصر بل كان في ازعاج كثير فلم يتيسر له ارسال الجيوش لقتال الوهابي بالحجاز وكانت تتكرر عليه الاوامر السلطانية بتعجيل التجهيز فما تيسر له ذلك الا في أوائل سنة ست وعشرين فجهز جيشا عظيما وجعل سارى عسكره ابنه طوسون باشا وجعل معه من العلماء الشيخ المهدي والسيد أحمد الطحطاوي مفتي الدرالمختار ورئيس التجار السيد محمد المحروقي

﴿ذكر وصول الجيش الى ينبع وقتاله مع الوهابي سنة ١٢٢٦﴾

فتوجهوا من مصر في رمضان سنة ست وعشرين ومائتين وألف فملكوا ينبع وما بعدها بمرحلة الى ان وصلوا الصفراء وكان قد اجتمع فيها وفي جبالها ونواحيها كثير من قبائل العرب وأمراؤهم وجاء عثمان المضايفي من الطائف ومعه قبائل كثيرة فوقع بينهم وبين العساكر المصرية في ثالث عشر ذي القعدة من السنة المذكورة قتال شديد بين تلك الجبال فانهزم طوسون باشا ومن معه من العساكر وقتل كثير منهم واستولى العرب على أموالهم وذخائرهم وأكثر ما كان معهم وفرت العساكر هاربة في كل ناحية ورجع من سلم منهم الى مصر وكذا المشايخ الذين كانوا مع ذلك الجيش وتأخر طوسون باشا بالقصير ينتظر الاذن من والده محمد علي باشا ثم في شهر المحرم افتتاح سنة سبع وعشرين شرع محمد علي باشا في تجهيز جيش آخر فبعث بعض العساكر من طريق البحر وجعل عليهم خزنداره المسمى بونابرته وأمره ان يكون هو وابنه طوسون باشا في ينبع لمحافظتها وجهز في شهر صفر عساكر غيرهم لتسير من طريق البر وجعل عليهم صالح آغا السلحدار وجعله سارى عسكر العساكر المتوجهة من طريق البر ثم صار يوالي ارسال العساكر في دفعات برا وبحرا فلما اجتمع كثير من عساكر البر والبحر في ينبع ومعهم صناديق من الاموال أخذوا في تأليف العربان واستمالتهم ببذل المال وكان ذلك بعد مكاتبتهم مع شريف مكة مولانا الشريف غالب فكانوا يكاتبونه ويكاتبهم سرا فكانوا يعملون بتدبيره وعلى ما يعتمد عليه فكان ذلك سبب اقبال مشايخ العربان عليهم وأرسلوا الى شيخ مشايخ حرب كافة فحضر فأكرموه وخلعوا عليه وعلى من حضر معه من أكابر العربان وألبسوهم الفراوي السمور والشالات الكشميري ففرقوا عليهم من الشالات مل‌ء أربع صناديق وصبوا عليهم الاموال وأعطوا شيخ مشايخ حرب مائة ألف ريال فرانسه عينا ففرقها على المشايخ وخصصه هو بعشرة من ذلك ثمانية عشر ألف ريال ثم رتبوا لهم علائق ونقودا تصرف لهم كل شهر فعند ذلك ملكوهم الارض وصاروا يسعون في خدمتهم وتقدموهم الى ان أدخلوهم المدينة المنورة في شهر ذي القعدة من السنة المذكورة وأخرجوا من كان فيها من الوهابية وقبضوا على ابن مضيان الذي كان متأمرا في المدينة وجاء الامير سعود في هذا العام الى الحج ولم يطلع على مكاتبات الشريف غالب للعساكر المصرية فلما تم الحج رجع الى بلاده بسرعة فكاتب الشريف غالب العساكر الذين في ينبع فسار بعض العساكر من ينبع الى جدة من طريق البحر فلما وصلوا جدة في أوائل المحرم من سنة ثمان وعشرين أدخلوهم وكان بمكة جماعة من الوهابية جعلوهم عسكرا في القلعة يسمونهم المهاجرين فلما بلغهم وصول بعض العساكر الى جدة هربوا من القلعة في الليل وأصبحت القلعة

على الجزرة ومنارة في شعب عامر وعلى جبل تفاحة وجبل الاعرج وعلى الجبل الاحمر ومنائر كثيرة عددها ورأيت في تعليقه انها كانت خمسين منارة في شعاب مكة ثم قال الفاسي وقد ترك الاذان على جميع هذه المنائر وما بقي شيء منها والله أعلم

﴿خاتمة في ذكر المواضع المباركة والاماكن المأثورة بمكة المشرفة﴾

منها المواضع التي نص العلماء رحمهم الله تعالى ان الدعاء فيها مستجاب وذكر الحسن البصري رضي الله عنه خمسة عشر موضعا يستجاب الدعاء فيها وعددها وزاد غيره مواضع أخر فبلغت ثلاثة وخمسين موضعا وذكرنا مواضع غير معروفة الآن فاقتصرنا على المعروف منها وهي مكان الطواف جميعه وعند الملتزم وقد جربته مرارا وتحت ميزاب الرحمة وداخل الكعبة وعند زمزم وخلف المقام وعلى الصفا وعلى المروة وفي المسعى وفي عرفات وفي المزدلفة وفي منى وعند الجمرات وعندها ثلاثة مواضع فان العلماء ذكروا أن الحاج يقف للدعاء بعد الرمي عند الجمرة الاولى وعند الجمرة الثانية ولا يقف بعد الرمي عند الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة ويظهر من كلامهم ان الوقوف للدعاء بعد جمرة العقبة يدعى هناك فقد ذكر الحسن البصري ان الدعاء عندها مستجاب كالجمرتين الاوليين

ومكة خاليتين منهم ثم توجه بعض العسكر من جدة ودخلوا مكة فقابلهم شريف مكة وأكرمهم فلما بلغ خبرهم الوهابية الذين بالطائف ألقى الله الرعب في قلوبهم وهربوا من الطائف هم وأميرهم عثمان المضايفي ولما جاءت البشائر الى مصر باستيلاء العساكر على المدينة وجدة ومكة والطائف ضربت المدافع الكثيرة لذلك وأمر الباشا بالزينة خمسة أيام في الاقطار المصرية في شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأرسل محمد على باشا بشيرا الى دار السلطنة يبشرهم بفتح الحرمين وكان يسمى لطيفا أفندي ولما وصل الى قرب اسلامبول خرج لمقابلته أعيان رجال الدولة وعند دخوله جعلوا له موكبا عظيما مشى فيه أعيان رجال الدولة وصحبته عدة مفاتيح قالوا انها مفاتيح المدينة ومكة وجدة والطائف ووضعوها على مفاتح الذهب والفضة وأمامها البخورات في مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب وخلفهم الطبول والزمور وضربوا لذلك مدافع كثيرة وعملوا شنكا وأنعم السلطان على لطيف أفندي وأعطاه خلعا وأنعم عليه بطوخين وجعله باشا وأهداه كثير من رجال الدولة وأنعمت الدولة على محمد على باشا بخلع وأطواق وخنجر مجوهر وسيف مجوهر وعدة أطواخ بولايات الباشوية لمن يريده ويختاره وسأل مولانا الشريف غالب مفتي مكة الشيخ عبد الملك القلعي وقال له هل جعلتم تاريخا لانتهاء مدة الوهابي فأجابه بقوله (قطع دابر الخوارج) فكان ذلك تاريخا فعد ذلك من بدائع المفتي عبد الملك ولا يدرى هل كان مهيئا ذلك قبل ان يسأله أو أنه استحضر ذلك حالا وعلى كل حال فهو من بدائعه فانه كان عالما متقنا امتضلعا من العلوم رحمه الله تعالى ثم بعد استقرار كثير من العساكر بمكة والطائف شنوا الغارات على طوائف الوهابية الذين كانوا قريبا من الطائف وخرج الشريف غالب بنفسه مع العساكر وتلك الوقائع يطول الكلام بذكرها الى ان قتلوا كثيرا منهم وفرقوا جموعهم وقبضوا على كثير من امرائهم ومنهم عثمان المضايفي ولما قبضوا عليه سلموه لشريف مكة مولانا الشريف غالب فوضعه في الحديد وحبسه ثم أرسله الى جدة ليوجهوه الى مصر وجاءت البشائر لمحمد على باشا في مصر بالقبض على عثمان المضايفي في شهر شوال سنة ثمان وعشرين وكان محمد على باشا قد تهيأ الى التوجه الى الحجاز بنفسه فجاءته البشائر بالقبض على المذكور قبل توجهه ثم توجه في الرابع عشر من شوال من السنة المذكورة ووصل الى جدة في أواخر شوال ونزل مولانا الشريف غالب الى جدة لمقابلته وكان عثمان المضايفي قد بعثوا به الى مصر ومعه ابن مضيان قبل وصول محمد على باشا الى جدة فلم يلتق به ووصل عثمان المضايفي الى مصر في منتصف ذي القعدة فاركبوه على هجين وأدخلوه في آلاي ليراه الناس ثم أرسلوه الى دار السلطنة ومعه ابن مضيان فطافوا بهما في اسلامبول ثم قتلوهما ولما كان عثمان المضايفي في مصر اجتمع به بعض رجال دولة محمد على باشا وحادثوه ساعة فرأوه فصيحا يجيبهم بجنس كلامهم بأحسن خطاب وأفصح جواب وفيه سكون وتؤدة في الخطاب وعليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال بعضهم لبعض يا أسفا على مثل هذا انه ذاهب الى دار السلطنة يقتلونه ولم يزل يتحدث معهم الى أن حضر الطعام فواكلهم وأقام عندهم ثلاثة أيام ثم وجهوا به الى دار السلطنة مع المحافظة عليه ولما وصل محمد على باشا الى جدة جاءته رسل من الامير سعود يطلبون الافراج عن عثمان المضايفي ويفتديه سعود بمائة ألف ريال وقالوا ان الامير سعود اريد اجراء الصلح بينكم وبينه والكف عن القتال فقابل هؤلاء الرسل أولا مع الشريف غالب وطوسون باشا وأخبروهما بما جاؤا لاجله ثم أرسلوهم الى مقابلة محمد على باشا فلما بلغوه رسالتهم بالمكالمة مشافهة وفهم مطلبهم فقال لهم أما عثمان المضايفي فقد توجه الى أبواب السلطنة وأما الصلح فلا نمتنع منه لكن بشروط منها ان يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من ابتداء الامر الى وقت تاريخه وان يأتي بكل ما أخذه من الجواهر والاموال التي كانت بالحجرة الشريفة

• وعد أبو سهل النيسابوري من المواضع التي يستجاب فيها الدعاء باب النبي صلى الله عليه وسلم ويقال له باب جبريل وباب القفص وعد منها باب الصفا وباب السلام وعد القاضي مجد الدين الفيروزابادي في كتابه الوصل والمنى في فضل منى مواضع أخر يستجاب الدعاء فيها نقلا عن النقاش المفسر في منسكه فقال يستجاب الدعاء في منى في مسجد الكبش وزاد غيره فقال وفي مسجد الخيف وزاد آخر وفي مسجد النحر وهو موجود الآن بمنى غير انه داثر عمر انه من عمره نحر فيه النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ثلاثا وثلاثين بدنة وأمر أمير المؤمنين على بن أبي طالب أن يكمل نحر تتمة مائة بدنة عنه وهو موضع مأثور مشهور وزاد الحافظ ابن الجوزي وفي مسجد الثابت على يمين الذاهب الى عرفات في هذا الغار تجويف في سقفه تزعم العامة انه لاثر رأس النبي صلى الله عليه وسلم فاثر فيه تجويفا فيضع الزائر رأسه فيه تيمنا وتبركا بموضع رأس النبي صلى الله عليه وسلم ولم أقف على خبر أعتمد في ذلك الا أن الاثر وارد بنزول سورة والمرسلات وقال النقاش ويستجاب الدعاء في دار خديجة رضي الله عنها أم المؤمنين وهي معروفة بمكة وتعرف بمولد السيدة فاطمة رضي الله عنها لانها ولدت فيها هي وجميع اولاد خديجة رضي الله عنها من النبي

وكذلك

وكذلك غير ما استهلك منها وان يأتي بنفسه و يتلاقى معي و أتعاهد معه و يتم صلحنا بعد ذلك وان أبى
ذلك ولم يأت فنحن ذاهبون اليه فقالوا له اكتب له جوابا فقال لا أكتب جوابا لانه لم يرسل معكم
جوابا ولا كتابا وكما أرسلكم بمجرد الكلام فعودوا اليه كذلك فلما أصبح الصباح أمر باجتماع العساكر
فاجتمعوا ونصبوا دوبانا وآجروا فيه تعليما على صورة الحرب وتابعوا الرمي بالبنادق والمدافع ليشاهد
الرسل ذلك و يخبروا به مرسلهم ولما وصل محمد علي باشا مكة احتفل به مولانا الشريف غالب غاية
الاحتفال و بالغ في ضيافته واكرامه مع التحذر منه غاية التحذر وأنزله في الشامية في بيت القطرسي
المعروف الآن ببيت باناجه وأنزل ولده طوسون باشا في الشامية أيضا في بيت السقاط المقابل لبيت
السيد علي نائب الحرم الآن وكان محمد علي باشا يعظم الشريف غالبا غاية التعظيم و يقبل يده
ودخل معه الكعبة وتعاهد معه وكان محمد علي باشا اذا ذهب اليه يذهب في قلة من العسكر والاتباع
ومن تحذر الشريف غالب منه انه حسن له ان العساكر الواردة ينبغي أنها اذا وصلت جدة من البحر
تتوجه الى الطائف من جدة ولا تدخل مكة لئلا يحصل للناس ضيق في الماء لكثرة الحجاج الواردين
في ذلك العام فوافقه محمد علي باشا على ذلك فكانت العساكر تتوجه من جدة الى الطائف ولا تدخل
مكة ولم يكن في مكة الا العساكر الذين مع محمد علي باشا ومع ولده طوسون باشا بقدر الحاجة وكان
عند الشريف غالب عساكر موظفون من أهل اليمن أربعمائة ومثلهم من الحضارمة ومثلهم
من يافع ومثلهم من المغاربة ومثلهم من السلمانية الجميع نحو الالفين مفرقين في قلعات في أطراف مكة
لاجل محافظة الاطراف وكان عنده من العبيد نحو الالف لمحافظة القلاع ولا يغفل حذرا عن قدر
وكان محمد علي باشا مأمورا من السلطنة بالقبض على الشريف غالب وارساله الى دار السلطنة فصار
متحيرا في كيفية الوصول الى ذلك المطلب مع تحذر مولانا الشريف هذا التحذر ومع المعاهدة التي
صارت بينهما فاستحسن ان يكون القبض عليه بمباشرة ابنه طوسون باشا لا بمباشرته وفاء بالعهد
على زعمه فاظهر ان بينه و بين ابنه منافرة لسبب من الاسباب فتوجه ابنه الى جدة مظهرا انه
مغاضب لوالده وأشيع ذلك بين الناس ثم كتب من جدة لحضرة مولانا الشريف أن يتوسط بالصلح
بينه و بين والده وان يشفع له عند والده في حصول الرضا ففعل ذلك حضرة الشريف فقبل محمد
علي باشا شفاعته فكتب لحضرة الشريف طوسون باشا بحصول قبول الشفاعة وطلب منه
الحضور الى مكة ليجمع بينه و بين والده ليتم الصلح بينهما فتوجه الى مكة فلما وصل ذهب مولانا
الشريف اليه في بيته للسلام عليه وليأخذه معه و يجمع بينه و بين والده ليتم الصلح بينهما وكان
طوسون باشا قد عزم على القبض على الشريف اذا جاء اليه في ذلك اليوم باشارة من والده
وكان ذلك بتدبير الشيخ أحمد تركي فلما وصل حضرة مولانا الشريف الى بيت طوسون باشا وجد
أكثر عساكر محمد علي باشا مجتمعة مع عساكر ابنه طوسون باشا فلم ينكر ذلك لكون ذلك اليوم كان
وصول طوسون باشا فظن انهم جاؤا للسلام عليه وكان مولانا الشريف في قلة من الخدم والاتباع
فلما دخل الديوان عند طوسون باشا تفرق خدمه وأتباعه في الدهاليز يتحدثون مع أتباع طوسون
باشا ولما أقبل حضرة مولانا الشريف على الديوان خرج طوسون باشا لملاقاته وقبل يده وعظمه
غاية التعظيم ودخل معه الديوان وجلسا يتحدثان ومنعا الناس من الدخول عليهما على عادة الامراء
اذا اجتمعوا مع بعضهم و بعد قليل دخل عليهم من كبار العسكر عابدين بيك فدنا من حضرة الشريف
وقبل يده وقبض على الجنبية التي تحزم بها مولانا الشريف ليأخذها من وسطه وقال له أنت مطلوب
للدولة العلية فنظر مولانا الشريف فلم يجد عنده أحدا من أتباعه و باب الديوان مغلق بحيث لا يعلم
من هو خارجه من العسكر وغيرهم ما هو حاصل داخله فلم ير مولانا الشريف الا الامتثال فقال له سمعا
وطاعة ولكن أقضي أشغالي في ظرف ثلاثة أيام ثم أتوجه فقال لا سبيل الى ذلك وامتثل ما قالوه

صلى الله عليه وسلم ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنها الى أن هاجر الى المدينة فأخذها عقيل بن أبي طالب ثم اشتراها منه معاوية بن أبي سفيان فجعلها مسجدا يصلى فيه كذا ذكره الازرقي وعمر هذا المحل الشريف في زمان الناصر العباسي وفي زمان الاشرف شعبان صاحب مصر وعمره أيضا الملك المظفر الغساني صاحب اليمن وكان المرحوم المقدس السلطان سليمان خان سقى الله تعالى عهده صوب الرحمة والرضوان أمر بتعمير هذا المحل الشريف فعمر قبة و مسجدا يصلى فيه ويزار تجتمع فيه القراء للذكر كل جمعة بعد الصلاة الى العصر وكل ليلة الاثنين من العشاء الى الصبح يذكرون الله تعالى وكان عمارته في سنة خمس وثلاثين وتسعمائة قال و يستجاب الدعاء في مولد النبي صلى الله عليه وسلم وهو موضع مشهور يزار الى الآن وفي خلفه مسجد يصلى فيه ويكون في كل ليلة اثنين فيه جمع يذكرون الله تعالى و يزار في الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الاول في كل عام فيجتمع الفقهاء والاعيان على نظام المسجد الحرام والقضاة الاربعة بمكة المشرفة بعد صلاة المغرب بالشموع الكثيرة والمفرغات والفوانيس والمشاعل وجميع المشايخ مع طوائفهم بالاعلام الكثيرة ويخرجون من المسجد الى سوق الليل ويمشون فيه الى محل المولد الشريف بازدحام

فأدخلوه في مخلوان الديوان وكان مهيأ مفروشا ولا يعلم أحد من العسكر وغيرهم ممن هو خارج الديوان بما صار في داخله وكان ذلك في أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة أعني سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف ومكة ممتلئة من الحاج والاسواق قائمة بالبيع والشراء ولم يشعر أحد بذلك بل كان الناس يخوضون ويتحدثون في قدوم طوسون باشا من جدة لاتمام الصلح بينه وبين والده وفي وصول حضرة مولانا الشريف اليه للسلام عليه والذهاب به الى والده لاتمام الصلح بينهما ولم يخطر على قلب أحد شيء مما حصل ثم ان طوسون باشا كتب ورقة صغيرة وأرسلها الى والده يخبره بما فعل وينتظر بقية التدبير منه وكان الشيخ أحمد تركي عند محمد علي باشا حين مجيء الورقة اليه فتشاور معه فيما يفعلونه بعد ذلك فقال له الشيخ أحمد تركي ان الشريف غالبا له أولاد ثلاثة كبار فيخشى أن يحدثوا فتنة اذا علموا بالقبض على والدهم والقلاع بأيدي عبيدهم وعندهم كثير من العساكر الموظفة وهم تحت طوعهم فلا بد من الاحتيال على أولاده حتى نقبض عليهم قبل ان يعلموا بالقبض على والدهم ثم ذهب الشيخ أحمد تركي الى مولانا الشريف غالب فدخل عليه وقبل يده وقال له ان أفندينا يسلم عليكم ويقول لا تهتموا ولا يكون لكم فكر في شيء والقصد ان تقابلوا مولانا السلطان وترجعوا الى ملككم في أقرب زمن ويكون في مدة غيبتكم أحد أولادكم نائبا عنكم في مكة وقائما مقامكم واذا طلبتموهم يحضرون عندكم وتخبروهم بحقيقة الامر لاجل أن يطمئنوا ولا يحصل لهم تشويش فصدق مقالته وأمر بكتابة ورقة لاولاده ليحضروا عنده وختمها وأرسلها اليهم ولم يعلم أحد ممن هو خارج الدار بما هو حاصل باطنها فلما وصلت الورقة لاولاده الثلاثة الكبار حضروا فلما دخلوا دار طوسون باشا ادخلوهم في موضع لا يراهم قبل ان يصلوا الى والدهم ويجتمعوا به وأرسل طوسون باشا الى والده يخبره بذلك فتشاور محمد علي باشا مع الشيخ أحمد تركي فيمن يوجهون له امارة مكة قبل شيوع الخبر عند الناس ليحصل الامن والاطمئنان فصار الاستحسان ان تكون الامارة للشريف يحيى بن سرور بن مساعد وهو ابن أخي الشريف غالب بن مساعد فأرسلوا من أحضره فألبسه محمد علي باشا فروا سمورا وشالا اغبانيا وأحضر له صندوقا من المال وأركبوه على فرس مزين بالرخت ومشت القواسة بين يديه الى أن أوصلوه الى داره التي تجاه باب الصفا فحينئذ علم الناس بحقيقة الحال وارتجت البلد وعزلت الاسواق خوفا من حصول فتنة ولم يقع شيء من تلك الفتنة التي خافوا وقوعها وضربت النوبة عند دار الشريف يحيى وجاءت الاشراف ووجوه الناس للسلام عليه والتهنئة له وسكن اضطراب الناس هذه الرواية هي الصحيحة وقيل ان أولاده قبل القبض عليهم علموا بالقبض على أبيهم فأرادوا احداث فتنة فأرسل اليهم محمد علي باشا يقول لهم ان وقع منكم حرب أحرقت البلاد وقتلت استاذكم ثم أرسل اليهم الشريف غالب وكفهم عن ذلك وجاءهم الشيخ أحمد تركي وقال لهم لم يكن هنا بأس وانما والدكم مطلوب في مشاورة مع الدولة ويعود بالسلامة وحضرة الباشا يريد ان يقلد كبيركم النيابة عن أبيه الى حين رجوعه ولم يزل بهم حتى انخدع كبيرهم لكلامه وقاموا معه فذهب بهم الى بيت طوسون باشا وجعلوا في موضع غير الموضع الذي فيه والدهم محتفظا عليهم فلما كان الليل أركبوهم مع العسكر وتوجهوا بالجميع الى جدة وقيل كان ارسالهم الى جدة بعد القبض عليهم بثلاثة أيام وبعد القبض على الشريف غالب نهبت العساكر داره التي بجياد وأخذوا منها أموالا كثيرة وأخرجوا أهله منها بصورة شنيعة ثم بعد وصول الشريف غالب وأولاده الى جدة أركبوهم البحر وسيروهم على طريق القصير الى ان وصلوا الى مصر في شهر المحرم في سابع عشره من سنة تسع وعشرين فضربوا لقدومه مدافع اعلاما بوصوله واكراما له وقابله كبار رجال محمد علي باشا وقبلوا يده وعظموه وأنزلوه في منزل لائق به وأحضروا له ما يليق به من الاطعمة ولم يأذنوا لاحد من الاشياخ والتجار ان يأتوا للسلام عليه الا السيد

ويخطب فيه فيخص ويدعو للسلطنة الشريفة ثم يمرون الى المسجد الحرام ويجلسون صفوفا في وسط المسجد من جهة الباب الشريف خلف مقام الشافعية ويقف رئيس زمزم بين يدي ناظر الحرم الشريف والقضاة ويدعو للسلطان ويلبسه الناظر خلعة ويلبس شيخ الفراشين خلعة ثم يؤذن العشاء ويصلي الناس على عادتهم ثم يمشي الفقهاء مع ناظر الحرم الى الباب الذي يخرج منه من المسجد ثم يتفرقون وهذا من أعظم مواكب ناظر الحرم الشريف بمكة المشرفة ويأتي الناس من البدو والحضر وأهل جدة وسكان الاودية في تلك الليلة ويفرحون بها وكيف لا يفرح المؤمنون بليلة ظهر فيها أشرف الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم وكيف لا يجعلونها عيدا من أكبر أعيادهم غير أن بعض المتقشفين أنكر خصوص هذه الجمعية على هذا الوجه لزعمه أنه يجتمع فيه من الملاهي والغوغاء واجتماع الرجال والنساء وأفضى ذلك الى ما لا يصح شرعا فيكون بدعة ولم يحدث من السلف شيء من ذلك والصواب أن هذه الجمعية ان حفظت عن ما ينكر فيها من الجمع بين الرجال والنساء ويقع فيها ما يتوهم من وقوع الملاهي فهي بدعة حسنة تتضمن تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر والدعاء والعبادة وقراءة القرآن وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم

البحر وفي وفاته كان رئيس التجار وكان معدودا من رجال محمد على باشا وكان عندهم بمصر اقامة فرح
لزواج اسمعيل باشا ابن محمد على باشا فاعدوا مكانا على حدته فى بيت الشعرانى واحضروا فيه مولانا
الشريف غالبا وأولاده ليتفرجوا على الملاعب والبهلوانات نهارا والشنك والحراقات ليلا وعلى
الشريف وأولاده الحرس ولا يجتمع بهم أحد على الصورة التى كانوا عليها بالمنزل الذى أنزلوا فيه
أولا وصنعوا فى ذلك الفرح أشياء يطول الكلام بذكرها ثم وصل فى شهر رجب حريم الشريف غالب
فعينوا له دارا يسكن بها مع حريمه فسكنها ومعه أولاده وعليهم الحرس المحافظون وتجرى عليهم
النفقات اللائقة بهم وفصل لهم كساوى من مقصبات وقشمير وتفاصيل هندية وفى التاسع
عشر من ربيع الاول من السنة المذكورة حضر الى مصر الشريف عبد الله بن سرور وأرسله
الباشا محمد على منفيا من أرض الحجاز لاختلاف وقع بينه وبين أخيه الشريف يحيى فقيل انه اذا جاء
عند أخيه يتهاون به و يتعاظم عليه لكونه أكبر منه سنا و يخاطبه بغلظة و بكلمات فيها احتقاره
فشكاه أخوه الشريف يحيى لمحمد على باشا فقبض عليه ونفاه الى مصر فانزلوه فى منزل ولم يجتمع
بعمه الشريف غالب ثم اجتمع به وفى الحادى عشر من شهر رجب هرب الشريف عبد الله بن سرور
فى وقت الفجر ولم يشعروا به الا بعد الظهر فلما بلغ كتخدا بيك الخبر تكدر لذلك وأرسل الى مشايخ
الحارات وغيرهم و بث العربان فى الجهات فظفروا به بعد ثلاثة أيام ومن ذلك الوقت ضيقوا عليه
ومنعوه من الدخول والخروج بعد ان كان مطلق السراح يخرج من بيته الذى هو فيه و يذهب الى
بيت عمه و يعود وحده فبعد هذا الهروب منعوه من الخروج وضيقوا عليه وعلى عمه أيضا وفى
التاسع عشر من شعبان أنزلوا الشريف غالبا الى بولاق بحريمه وأولاده وعبيده وأعطوه خمسمائة
كيس بدلا عما انتهب من أمواله بمكة بعد القبض عليه وكانت تلك الاموال كثيرة أكثر من
خمسمائة كيس التى أعطوها اياها و زودوه وأعطوه سكرا و بنا وأرزا وشرابات وغير ذلك
ليتوجه الى سلانيك حسبما صدر الامر بذلك من السلطنة السنية وفى شهر ذى القعدة جاءت
مكاتيب من محمد على باشا بارجاع الشريف عبد الله بن سرور الى الحجاز وكان ذلك بشفاعة أخيه
الشريف يحيى فيه فوجهوه بعد ان أعطوه أكياسا فقضى أشغاله وخرج مسافرا ورجع الى الحجاز وأما
مولانا الشريف غالب فأقام بسلانيك الى ان توفى سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف رحمه الله تعالى
وكانت مدة امارته على مكة نحوا من سبع وعشرين سنة ولنرجع الى ذكر اتمام الكلام السابق فنقول
قد تقدم ان الشيخ أحمد تركى كان يشاوره محمد على باشا عند القبض على الشريف غالب وأولاده
وسبب ذلك ان الشيخ أحمد تركى كان رجلا عاقلا وله دراية بأحوال الحجاز وكان ذا عقل ومعرفة
وكان أولا من خدم الشريف غالب المختصين به وكان يعتمد عليه فى مهمات أموره وكان يبعثه الى
دار السلطنة فى المدة السابقة عند الاحتياج الى قضاء أشغاله فلما قدم محمد على باشا الى الحجاز جعله
ملازما له فوجده محمد على باشا ذا خبرة ودراية بالامور فأحبه وقربه وصار يستشيره فى كثير من
الامور و يعتمد على قوله و يعمل بما يشير به فيحصل النجاح بسببه فلما أراد الرجوع الى مصر
أقام حسن باشا بمكة قائمقامه وأمره ان يستشير الشيخ أحمد تركى فى مهماته وان يعتمد على
ما يقوله له فكان الامر على ذلك فكان الحل والعقد بيد الشيخ أحمد تركى وله أخبار وحكايات
مشهورة بين الناس تشهد بعقله ودرايته وحسن السياسة وبقى الى ان توفى سنة خمس وثلاثين وصار
له صيت وشهرة بين الناس وتقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى امارة مكة وهو ابن أخى مولانا
الشريف غالب لانه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين
ابن حسن بن أبى نمى وكانت ولايته فى أواخر شهر ذى القعدة سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف
بعد القبض على عمه مولانا الشريف غالب وولاه محمد على باشا امارة مكة ورتب له المرتبات الكافية

الى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله صلى الله عليه وسلم الذى سأله عن صوم الاثنين ذاك يوم ولدت فيه فتشريف هذا
اليوم متضمن لتشريف
هذا الشهر الذى هو فيه
فينبغى أن يحترم غاية
الاحترام بشغله بالعبادة
والصيام والقيام ويظهر
السرور فيه لظهور سيد
الانام عليه أفضل
الصلاة والسلام * وأما
المبتدعات السيئة
والمنكرات فهى محرمة
فى كل مقام والله ولى
الاعتصام وقال بعض
العلماء قيد اجابة الدعاء فى
مولد النبى صلى الله عليه
وسلم عند الزوال * وفى
دار السيدة أم المؤمنين
خديجة بنت خويلد رضى
الله عنها أفضل المواضع
بمكة بعد المسجد وذلك
لسكنى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها ولكثرة نزول
الوحى عليه بها ومنها مولد
فاطمة الزهراء رضى الله
عنها ومنها دار الخيزران
وهى بقرب الصفا كانت
تسمى دار الارقم المخزومى
ثم عرفت بدار الخيزران
والمختبا هو أفضل المواضع
بمكة بعد دار أم المؤمنين
رضى الله عنها لكثرة
مكث النبى صلى الله عليه
وسلم فيه يدعو الناس
للاسلام مستخفيا عن
أشرار قريش الكفار
ذكره التقى الفاسى فى
شفاء الغرام * وقد جربت
بعض العلماء الدعاء فوجدوا
بين المشاين والمختبا فيه
تراه وهو الموضع الذى كان صلى الله عليه وسلم يختبئ فيه من الكفار ويجتمع فيه من امن به ويصلى بهم الاوقات الخمسة سرا الى أن

من الدراهم والذخائر الا ان محمد علي باشا كان يعتمد في تدبير أمور الاشراف والعرب على الشريف شنبر بن مبارك المنعمي وكان ذلك بواسطة الشيخ أحمد تركي لانه كان بينه وبين الشريف شنبر المذكور محبة وصداقة فقربه وجعل تدبير أمور العرب بمعرفته وكان الشريف شنبر مشهورا بالعقل والديانة وحسن التدبير فصارت تلك الامور كلها بيده وكان ذلك سبب وقوع العداوة بينه وبين الشريف يحيى بن سرور الى أن قتله كما سيأتي وفي شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين جهز محمد علي باشا ابنه طوسون باشا وعابدين بيك بعساكر كثيرة ووجههم الى ناحية تربة وكان القائم بامارة تربة امرأة يقال لها غالية مشهورة بالشجاعة في القتال واجتمع عندها كثير من أمراء الوهابية وجنودهم فوقع بينهم وبين العساكر المتوجهة اليهم مع طوسون باشا قتال شديد ثمانية أيام ثم رجع العسكر منهزمين ولم يظفروا بطائل لان العرب لما وقع القبض على الشريف غالب نفرت طباعهم من محمد علي باشا وهاجر كثير من الاشراف وانضموا الى الاخصام وتفرقوا في النواحي ومنهم الشريف راجح بن عمرو الشنبري وكان مشهورا بالشجاعة فانى من خلف العسكر وقت قيام الحرب وحاربهم ونهب الذخيرة والاحمال وقطع عنهم المدد وقلت الجمال عند محمد علي باشا وصار يشتريها من العربان الذين لهم بأغلى الاثمان ووقع غلاء شديد بمكة واحتكر الباشا الغلال الواصلة له من مصر لاحتياج العساكر وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة توفي سعود أمير الوهابية بالدرعية دار ملكه وتولى مكانه ابنه عبد الله وفي شهر ربيع الثاني أرسل محمد علي باشا عساكر كثيرة الى ناحية القنفذة براوبرا واستولوا عليها وهرب من كان بها من الوهابية من قبائل عسير فلم يجدوا بها غير أهلها وكان كبير العساكر المذكورة محمود بيك فقتلوا من وجدوه بها وقطعوا آذانهم وأرسلوها الى الباشا فأرسلها الى مصر ثم منها الى اسلامبول فلما سمع قبائل عسير بذلك تجمع كثير منهم وكان كبيرهم يسمى طامي أبا نقطة وساروا الى القنفذة بعد مضي ثمانية أيام من دخول العساكر فيها وحاصروا العساكر وأحاطوا بالقنفذة ومنعوا العساكر من الماء فركبت العساكر وحاربوهم فانهزم العساكر وقتل كثير منهم وركب الباقون في سفينة فغضب الباشا وأرسل نجدة فحاربهم العرب فرجع العسكر أيضا منهزمين وفي شهر جمادى الثانية توجه محمد علي باشا بنفسه الى الطائف لمحاربة الوهابية وأبقى حسنا باشا بمكة وما زالت العساكر تأتيه من مصر متوالية دفعة بعد دفعة وكذا الذخائر وخزائن الاموال وورد الى جدة في هذه السنة أموال كثيرة للتجار حتى بلغ قدر العشور التي أخذها الباشا أربعة وعشرين الف كيس فصار محمد علي باشا يرغب الناس ببذل الاموال وصالح الشريف راجحا الشنبري وكثيرا من الاشراف ومشايخ العربان الذين كانوا فارين منه فقيل انه أعطى الشريف راجحا ثمانية آلاف كيس ورتب له مرتبات كثيرة فصار من جملة جنوده ثم توجه الباشا من الطائف الى كلاخ ورتب كثيرا من العساكر ووجههم الى جهات متفرقة ووجه ابنه طوسون باشا الى المدينة المنورة ثم رجع الى مكة وجعل عابدين بيك مع العساكر ثم أرسل اليه أيضا حسن باشا وبقي محمد علي باشا بمكة الى ان حج سنة تسع وعشرين وبعد الحج توجه الى العساكر التي بالطائف وما فوقه في افتتاح سنة ثلاثين وسار بهم بنفسه ووقع بينه وبين الوهابية حروب كان النصر فيها له عليهم فملك تربة وزنية وبيشة وتوجه الى بلاد عسير وكان معه كثير من الاشراف من أعظمهم الشريف محمد بن عون والشريف راجح الشنبري وكان يستشيرهما في كثير من الامور ويعمل بتدبيرهما فوصل الى بلاد عسير بعد ان ملك ما قبلها ثم ملكها وقتل في محاربة كلها كثير من العرب وقبض على طامي كبير عسير وكان ذلك بتدبير الشريف راجح لم يزل يتعصب الحبائل لطامي حتى قبض عليه فوضعه الباشا في الحديد ثم أرسله الى مكة ثم منها الى مصر ثم الى دار السلطنة فقتلوه بها قيل ان الشريف راجحا جعل مالا جزيلا لان أتى بطامي وطلب منه القبض على عمه

الجنبأ ماكتها الخيزران أم الرشيد ثم انها بيعت وتناقلت في يد الملاك الى أن صارت الآن من جملة أملاك سلطان سلاطين العالم خليفة الله على خليقته من بني آدم سلطان الروم والعرب والعجم الملك المظفر المنصور الاعظم مراد خان الاكرم الافخم عمر الله بعدله الربع المسكون وأسعده في كل ما ظهر منه من الحركة والسكون ومنها في جبل ثور عند الظهر وجبل ثبير وحراء ومقابرها ومنها مسجد البيعة وهو مسجد على يسار الذاهب الى منى بينه وبين العقبة التي هي حد منى مقدار غلوة سهم أو أكثر وهو مسجد مهدم فيه حجران مكتوب فيهما ما يدل على ذلك في أحدهما أمر عبد الله أمير المؤمنين أكرمه الله تعالى ببناء هذا المسجد مسجد البيعة التي كانت أول بيعة بايع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عقدها له العباس ابن عبد المطلب وانه بني في سنة أربع وأربعين ومائة والمشار اليه أبو جعفر المنصور العباسي وعمره أيضا المستنصر العباسي كما في حجر آخر بناه في سنة تسع وعشرين وستمائة وتلك الاحجار ملقاة بذلك المسجد والخراب مستولي عليه الضياع فينبغي تجديد آثار هذا المسجد وكان المرحوم ابراهيم دفتردار مصر سابقا آمين

فصنع

فصنع له وليمة فأتاه آمنا فقبض عليه وأرسله الى الشريف راجح فسلمه للباشا ولما دخلوا به مصر أركبوه على هجين وفي رقبته الجنزير موطاً في عنق الهجين وكان رجلا شهما عظيم اللحية وهو لابس عباءة ويقرأ القرآن وهو راكب لانه كان حافظا للقرآن وعملوا لدخوله شنكا وضربوا مدافع ثم أرسلوه الى دار السلطنة فطافوا به في البلاد ثم قتلوه ولم يزل محمد على باشا يتجول في بلاد الحرمين ويقهر الخصوم ويبذل الاموال ويرتب الامور في كل موضع يستولى عليه الى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة أعنى سنة ثلاثين ثم رجع الى مكة ورتب بها مرتبات ومعاشات لكثير من الاشراف وغيرهم وهي باقية الى الآن لاولادهم وجدد ترتيب دفاتر الجراية المرتبة لاهالي مكة وكانت انقطعت في مدة الوهابية ووجد محمد على باشا ترتيب تلك الدفاتر غير واقع موقعه لان كثيرا من الناس التجار والاغنياء استولوا عليها بالفراغات وصار كل واحد بيده نحو مائة اردب والناس الفقراء ليس لهم شئ فابطل ذلك كله ورتبها ترتيبا جديدا وهي باقية الى الآن ثم توجه الى مصر وأقام بمكة حسن باشا الارنؤطي قبل توجهه الى مصر ووصل اليها في النصف من رجب وأبقى ابنه طوسون باشا مع العساكر بالحجاز وفي شهر شعبان انعقد صلح بين طوسون باشا وعبد الله بن سعود على ترك الحروب والقتال والتمسك بالطاعة وتحقن الدماء وأرسل نحو العشرين من الوهابية لطوسون باشا لعقد الصلح فارسل منهم الى مصر لمحمد على باشا فلم يعجبه هذا الصلح ولم يرض به ولم يحسن نزل الواصلين اليه واجتمع بالاثنين منهم فتغالظ معهما وعاتبهما على المخالفة فاعتذرا بأن الامير سعود المتوفي كان فيه عناد وحدة مزاج وكان يريد الملك واقامة الدين وأما ابنه الامير عبد الله فانه لين الجانب والعريكة ويكره سفك الدماء على طريقة جده عبد العزيز فانه كان مسالما للدولة حتى ان الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة كان بينه وبينه غاية الصداقة ولم يقع بينهما منازعة ولا مخالفة في شئ ولم يحصل التفاقم والخلاف الا في أيام الامير سعود ومعظم الامر للشريف غالب بخلاف الامير عبد الله فانه أحسن السيرة وترك الخلاف وأمن الطرق والسبل للحجاج والمسافرين ونحو ذلك من العبارات والكلمات المستحسنات وانقضى المجلس وانصرفوا الى المحل الذي أمر بالنزول فيه ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما ومراعاتهما في الركوب والذهاب والاياب فانه أطلق لهما الاذن الى أي محل أرادا فكانا يركبان ويمران في الشوارع بأتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجان على البلدة وأهلها ودخلا في الجامع الازهر في وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للاقراء والتدريس ومكثا بمصر أياما ورجعا الى الحجاز واستمر طوسون باشا في الحجاز الى شهر ذي القعدة من السنة المذكورة ثم رجع الى مصر بأمر من أبيه فكان وصوله الى مصر في شهر ذي الحجة وضربوا لقدومه المدافع وزينت مصر وكان قد ولد له مولود في مدة غيبته سموه عباسا وهو الذي تولى مصر لما كبر بعد عمه ابراهيم باشا كما سيأتي ان شاء الله تعالى وتوفي طوسون باشا سنة احدى وثلاثين بطاعون وقع بمصر تلك السنة وعمره نحو عشرين سنة وبقي أمر محمد على باشا نافذا بالحجاز وعساكره في كل ناحية ونائبه بمكة حسن باشا ومستشاره بها الشيخ أحمد تركي والشريف يحيى بن سرور الشريف ولم ينقطع ارسال العساكر من مصر الى الحجاز ثم أرسل محمد على باشا ابنه ابراهيم باشا الى الحجاز في المحرم من سنة اثنتين وثلاثين لاستكمال محاربة الوهابية والاستيلاء على الدرعية وهي دار الملك لعبد الله بن سعود واسلافه فتوجه ابراهيم باشا ومعه عساكر كثيرة زيادة على ما أرسل قبل ذلك من العساكر وأصحبه من صناديق الاموال ما لا يدخل تحت الحصر ولم يزل سائرا حتى وصل الى مكة ثم توجه بالعرضي الى الدرعية وملك كل أرض وصل اليها بلا معارض ومعه كثير من العرب الذين دخلوا في الطاعة الى أن وصل الى محل يقال له الموتان في شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة فوقع بينه وبين الوهابية قتال شديد وقتل منهم مقتلة عظيمة وأخذ منهم أسرى وخياما ومدافع ولما وصلت البشائر الى مكة ضربوا

عمر فاحترمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنته شرع في تجديد هذا المسجد وأسسه (٣٠١) وبنى بعض طاقاته وجدرانه وتوفي الى رحمة الله تعالى قبل اتمامه وما وفق أحد بعده الى الآن لاتمامه وهو من المساجد المأثورة النبوية وهو الذي بايع فيه النبي صلى الله عليه وسلم سبعون من الانصار بحضرة عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فنادى ازب العقبة وهو شيطان ذلك المكان معاشر قريش ان الاوس والخزرج بايعوا محمدا على أن ينصروه فامسكت الانصار قوائم سيوفها وقالوا ناقتلن الاسود والاحمر دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفاهم الله تعالى ببركته صلى الله عليه وسلم شر ذلك الشيطان ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر رضي الله عنه الى المدينة فما أذن لهما في الهجرة وهذا مسجد شريف يستجاب الدعاء فيه رحم الله من يكون سببا في تجديده وعمارته ومنها مسجد المتكا يستجاب فيه الدعاء يوم ٢ وأنكر الازرقي وجوده وقال القاضي أبو البقاء بن الضياء الحنفي في البحر العميق ان بأجياد الصغير موضعا يقال له المتكا وهو دكة مرتفعة عن الارض ملاصقة لدار بعض بني شيبة قلت وهذه الدار دثرت الآن

وما بقي منها الا بعض أحجارها وطالما سألت كثيرا من الاعيان أن يعمروه ويعيدوها كما كانت فما وفق أحد ٣ باقي بالاصل

لذلك مدافع وكذا فعلوا في مصر لما جاءتهم البشائر ثم قصد ابراهيم باشا قرية تسمى الشقراء كان بها
عبد الله بن سعود فلما سمع بقرب ابراهيم باشا منه خرج هاربا الى الدرعية فلما جاء ابراهيم باشا
الشقراء وملكها وكان بينها وبين الدرعية يومان ثم تقدم الى ان حاصر الدرعية بعساكره ومن
كان معه من العرب واتفق في مدة الحصار ان ابراهيم باشا غاب مدة في جهة من نواحي الدرعية لامر
يقتضيه ونزل عرضيه واغتنم الوهابية غيبته وكبسوا على العرضي على حين غفلة وقتلوا من
العساكر جملة وافرة واحرقوا الجبخانة فلما وصلت الاخبار الى مصر بذلك قوى اهتمام محمد على باشا
وارسل جملة من العساكر في دفعات ثلاث برا وبحرا يتلو بعضهم بعضا واصحبهم كثيرا من الجبخانة
والدراهم والذخائر ولم يزل ابراهيم باشا مقيما على أطرافهم يشدد الحصار عليهم ولما وصلت العساكر
المرسلة ازدادت قوته وقوى عزمه ووقع له معهم وقائع الى ان استولى على الدرعية وملكها في شهر
ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف وجاءت البشائر الى مكة فضربت المدافع ولما وصلت
البشائر الى مصر فرح محمد على باشا بذلك وصار له سرور عظيم وضرب لذلك نحو ألف مدفع وصنعوا لذلك
شنكا وزينة قيل ان عدد المدافع التي ضربت في أيام الزينة بلغت ثمانين ألف مدفع وكان محمد على
باشا قبل ذلك مهتما بأمر ابراهيم باشا وكان يوالي ويتابع له ارسال الذخائر والاموال من الذهب
والفضة بالاحمال حتى انهم في مرة من المرات حملوا خزينة على جمال العرب خاصة من ينبع الى
المدينة بلغت أجرة تلك الجمال في تلك المرة خمسة وأربعين ألف ريال عن أجرة كل بعير ستة ريالات
يدفع نصفها أمير ينبع والنصف الآخر أمير المدينة عند وصول ذلك ثم صرفوا على تلك الدفعة
بعينها من المدينة الى الدرعية ما يبلغ مائة وأربعين ألف ريال وكان مثل ذلك مستمر التكرار
والبعوث ويحتاج الى كنوز قارون وهامان واكسير جابر بن حيان واذا نظرت الى هذا والى ما أنفقه
محمد على باشا من ابتداء التجهيز الى الحجاز الى آخره تعلم ان ذلك شئ لا يعد ولا يحصى ولا يمكن فيه
الاستقصا ولما استولى ابراهيم باشا على الدرعية قبض على عبد الله بن سعود أمير الدرعية وعلى
كثير من قرابته وعشيرته وأولاده وأعوانه وأخرب الدرعية بحيث صارت لا تسكن واستبدل من
بقي من أهلها سكنى الرياض وجعلوها بدلا عنها وتركوها خرابا ثم ان ابراهيم باشا أرسل عبد الله بن
سعود وكثيرا ممن قبض عليهم من عشيرته الى مصر فكان ورود عبد الله بن سعود الى مصر في أوائل
المحرم افتتاح سنة أربع وثلاثين وادخلوه مصر وهو راكب على هجين وأمامه كثير من العساكر
وخرج الناس أفواجا للتفرج وكانوا مشاة وركبانا وأطفالا وكان يوما مشهودا لا يكاد يوصف
ما وقع فيه من نصب الملاعب وشدة الازدحام وضربوا عند دخوله مدافع كثيرة وذهبوا به الى بيت
اسمعيل باشا ابن محمد على باشا ببولاق فاقام يومه ثم ذهبوا به في صبحها عند الباشا بشبرا فلما دخل
عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال قال
وكيف رأيت ابراهيم باشا قال ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره المولى فقال الباشا
أنا ان شاء الله أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدر يكون ثم ألبسه خلعة وانصرف الى
بيت اسمعيل باشا ببولاق وكان صحبة عبد الله بن سعود صندوق صغير مصفح فقال له الباشا ما هذا
فقال هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي الى السلطان وفتحه فوجد فيه ثلاثة مصاحف قرآنا
مكللة ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة وبها شريط ذهب فقال له الباشا الذي أخذه
من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا فقال هذا الذي وجدته عند أبي فانه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة
لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا صحيح
وجدنا عند الشريف غالب أشياء من ذلك وفي التاسع عشر من محرم من السنة المذكورة سافر عبد
الله بن سعود الى جهة الاسكندرية وصحبته جماعة من العسكر الى دار السلطنة ومعه خدم لزومه

لذلك ليكون ذلك الثواب نصيبا لمن وفقه الله لذلك • وذكر النقاش في مناسكه المواضع التي يستجاب فيها الدعاء بمكة
ووقت لكل بقعة أوقاتا معينة • قال أما خلف المقام وتحت الميزاب ففي السحر وعند الركن اليماني وقت الفجر وعند الحجر الاسود نصف النهار وعند الملتزم نصف الليل وداخل زمزم عند غروب الشمس وداخل البيت عند الزوال وعلى الصفا والمروة عند العصر وعلى بسطة البدر آخر الليل وبالمزدلفة عند طلوع الشمس وبعرفة وقت الزوال تحت السدرة وهي غير معروفة الآن وبالموقف عند غروب الشمس هكذا ذكره النقاش ومنها جبل أبي قبيس وانما سمي به لان رجلا من اياد يكنى أبا قبيس صعد فيه وبنى فيه بناء فعرف به • قال الفاكهي ان الدعاء فيه يستجاب وان وفد عاد لما دعوا الى مكة للاستسقاء لقومهم أمروا بالطلوع الى أبي قبيس للدعاء وقيل انه لم يقم تائب يعرف الله منه الانابة الا أجابه الى ما دعاه اليه وفيه على احدى الروايات قبر آدم وحواء وشيث عليهم السلام • قال الذهبي في جزئه في تاريخ آدم وبنيه ما نصه وخلفه بعده شيث ابنه ونزلت عليه ثلاثون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبويه في غار أبي قبيس • وقال وهب بن منبه قبر آدم في موضع من أبي قبيس يقال له غار الكنز واستخرجه نوح عليه السلام

وفى

وفي هذه السنة أرسل محمد علي باشا خليل باشا ابن أخته بعساكر الى الحجاز فتوجه الى اليمن واستولى عليه صلحا ثم صار محافظا لمكة بدل حسن باشا وتوجه حسن باشا الى مصر ولما أرسل عبد الله بن سعود الى دار السلطنة طافوا به البلدة ليراه الناس ثم قتلوه عند باب همايون وقتلوا كثيرا من أتباعه في نواح متفرقة وفي شهر رجب من السنة المذكورة وصل كثير من الوهابية الى مصر أرسلهم ابراهيم باشا بحريمهم وأولادهم نحو الاربعمائة ومعهم أيضا أولاد عبد الله بن سعود وكثير من عشيرته وأقاربه وأسكنوا بالقشلة التي بالازبكية وأولاد عبد الله بن سعود وخواصه بداخل جامع مسكة وطفقوا يذهبون ويجيئون من غير حرج عليهم وكانوا يترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الاسواق ويشترون البضائع والاحتياجات وبعد ان حج ابراهيم باشا سنة أربع وثلاثين توجه الى مصر فوصل حريمه اليها في أواخر ذي الحجة من السنة المذكورة ووصل هو في الحادي والعشرين من شهر صفر سنة خمس وثلاثين ونودي بالزينة سبعة أيام وضربت المدافع عند قدومه ودخل في موكب حافل وفي أوائل رجب من سنة خمس وثلاثين توفي خليل باشا بالحجاز فخلع محمد علي باشا على أخيه أحمد بيك وقلده منصب أخيه بالحجاز وضاعفه ثم صيره باشا بعد ذلك وطالت مدته بالحجاز حتى صار يقال له أحمد باشا الحجاز فانه تولى سنة خمس وثلاثين وعزل سنة أربع وأربعين وأعيد سنة ثمان وأربعين ومكث الى سنة ست وخمسين وسيأتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى وفي سنة ست وثلاثين قبض حسين بيك على كثير من كبار الوهابية وأرسلهم الى مصر وسبب ذلك انهم كانوا فروا من ابراهيم باشا حين أخذ الدرعية فلما ارتحل ابراهيم باشا وعساكره من الدرعية رجعوا اليها وكان منهم عمر بن عبد العزيز وأولاده وأبناء عمه وتركي بن عبد الله أخي عبد العزيز وولد عم سعود ومشاري بن سعود لكن مشاري كان ممن قبض عليه ابراهيم باشا وهرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سعود وجماعتهم حين أرسلهم ابراهيم باشا الى مصر وكان هربه في الحمراء وهي قرية قريبة من الصفراء وذهب الى الدرعية واجتمع عليه من فر حين قدمت العساكر مع ابراهيم باشا وأخذوا في تعمير الدرعية ورجع اليها كثير من أهلها وقدموا عليهم مشاري ودعا الناس الى طاعته فأجابه الكثير منهم فكادت تنتظم دولته وتعظم شوكته فلما بلغ محمد علي باشا ذلك جهز له عساكر رئيسها حسين بيك فأمسكوا مشاري وأرسلوه الى مصر فمات في الطريق وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا في قلعة الرياض المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقافلة فنزل عليهم حسين بيك وحاصرهم وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة فطلبوا الامان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به فأعطاهم الامان على أنفسهم فخرجوا اليه الا تركي فانه خرج من القلعة ليلا وهرب ثم صار له ملك بالرياض بعد سنين ثم ثار عليه رجل من آل سعود يقال له مشاري فقتله وكان لتركي ولد يقال له فيصل كان وقت مقتل أبيه في الغزو فلما بلغه مقتل أبيه جاء بمن معه من رجال الغزو فقتل مشاري الذي قتل أباه واستقل فيصل بالملك وسيأتي ان شاء الله تمام الكلام عليه وأما حسين بيك فانه قبض الجماعة وأرسلهم الى مصر فصاروا مع جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت وفي هذه السنة جهز محمد علي باشا عساكر كثيرة الى السودان مع ابنه اسمعيل باشا فاستولى على سنار ومواضع من السودان ثم قتل فتابع محمد علي باشا ارسال العساكر على السودان حتى استولى على كثير منها وقد تقدم ذكر ولاية مولانا الشريف يحيى بن سرور بن مساعد امارة مكة سنة ثمان وعشرين في أواخر ذي القعدة بعد القبض على مولانا الشريف غالب وكانت مباشرة أحكام الاشراف والعرب عند محمد علي باشا وممن كانوا نائبين عنه بعد رجوعه الى مصر وكانوا يستعينون بالشريف شنبر بن مبارك المنعمي بواسطة الشيخ أحمد تركي لانه كان صديقا للشريف شنبر فقربه وأدناه وتوفي الشيخ أحمد تركي سنة خمس وثلاثين كما تقدم وبقي الشريف شنبر مقربا عند أحمد باشا يفوض اليه أكثر أحكام الاشراف

ويحمله في تابوت معه في السفينة فلما نضب الماء رده الى مكانه انتهى وقيل غير (٣٠٣) ذلك وفي أعلى الجبل ضريح يزوره الناس ويقولون ان ذلك قبر آدم عليه السلام والاظهر ضريح كان مستلما اذا كان على رأسه قامة ذرعا وزعم الناس أن من أكل يوم السبت في جبل أبي قبيس رأسا مطبوخا سلم من وجع الرأس طول عمره والناس يتوافقون على ذلك وكل سنة يوم سبت وفيه موضع يزعم الناس أن القمر انشق فيه للنبي صلى الله عليه وسلم وليس لذلك صحة كما ذكره السيد التقي الفاسي رحمه الله تعالى فقال وهو أول جبل وضع الله في الارض وذكر بعض العلماء انه أفضل جبال مكة وفضله على جبل حراء ونوقش في ذلك ومنها رباط قديم بمكة يسكنه فقراء العجم يسمى رباط الموفق وقفه القاضي الموفق جمال الدين علي بن عبد الوهاب الاسكندري في سنة أربع وستمائة يحكى عن الشيخ خليل انه كان يكثر اتيانه ويقول ان الدعاء يستجاب فيه أو عند بابه ويروى عن الولي المشهور الشيخ عبد الله بن مطرف انه قال ما وضعت يدي في حلقة هذا الرباط الا ذكرت وقع في نفسي كأن الولي وضع يده في هذه الحلقة وفي مقبرة المعلاة مواضع يستجاب فيها الدعاء منها قبر أم المؤمنين سيدتنا خديجة الكبرى رضي الله عنها وهو محل في شعب بني هاشم كان فيه تابوت من خشب بارز وبني عليه قبة من الحجر الشبيكي

والعرب وما يتعلق بهم فاستحكمت العداوة بين الشريف يحيى والشريف شنبر وحصل بينهما معارضات ومناقضات في قضايا كثيرة واستمر الحال الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف والناس يوشون بينهما ويوقدون نار الفتن بنقل كثير من الكلام الذي يحصل منه تكدر النفوس فعزم الشريف يحيى وصمم على قتل الشريف شنبر فقابله الشريف يحيى وهو في المسجد عند باب الصفا بعد صلاة المغرب فقتله بيده بالسلاح ليلة الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف وارتج المسجد والبلد وغلقت الأسواق وفزع الناس فزعا شديدا وكانت ليلة مهولة فأمر أحمد باشا العساكر بصب الرصاص وأحضر آلات الحرب وتترس الشريف يحيى في داره التي عند باب الوداع وأراد أحمد باشا القبض عليه فلم يتمكن له ذلك وأدار المدافع التي في قلعة جياد على الشريف يحيى لقربها منه وتهدده بأن يضرب بها داره وتردد الشيخ محمد الشيبي فاتح بيت الله الحرام بينهما الى أن تم الأمر على أن الشريف يحيى يتوجه الى مصر من طريق البر وأقر واعترف بأنه هو الذي قتل الشريف شنبرا بيده حتى انه قيل له أنكر قتله وأسنده الى بعض العبيد فأبى وقال بل قتلته بيدي ولا أنكر ذلك ثم لما أصبح الصباح أخذ في التجهز للسفر وركب بعد الظهر على ركائبه ومعه بعض أتباعه وعبيده وتوجه على طريق الوادي فأدركه دخول شهر رمضان وهو ببدر فصام رمضان ببدر ونكص عن التوجه الى مصر وجاءه مشايخ حرب ووعدوه بالاعانة والنصرة له وأنهم يقومون معه حتى يرجعوه الى دار ملكه واغتر بقولهم ومكث في بدر الى تمام السنة ولما دخلت سنة ثلاث وأربعين أخذ في الشروع في جمع القبائل ليرجع الى مكة وكان أحمد باشا بعد مقتل الشريف شنبر أنهى الأمر الى محمد علي باشا والتمس منه ان تكون امارة مكة للشريف عبد المطلب بن الشريف غالب وكان الشريف عبد المطلب وأخواه الشريف علي والشريف يحيى حين صار القبض على أبيهم صغارا فكبروا وصاروا في هذا الوقت رجالا وكان الشريف عبد المطلب أكبرهم فاستحسن أحمد باشا ان تكون الامارة للمذكور وعرض ذلك لمحمد علي باشا فأبطأ عليه الجواب الى تمام سنة اثنتين وأربعين فلما بلغه ان الشريف يحيى جمع قبائل حرب ويريد المجيء للقتال استحسن أن يعجل بتولية الشريف عبد المطلب ليجمع جموعا يقابل بها الشريف يحيى اذا جاء للقتال فعقد مجمعا في ديوان الحكومة وأحضر العلماء وكبار الاشراف ووجوه الناس وأبرز صورة فرمان بولاية الشريف عبد المطلب ونودي له في البلاد وضربت المدافع وضربت النوبة عند داره وجلس للناس لالقاء السلام عليه والتهنئة له وكتب للقبائل وشرع في جمعها ليقاتل بها الشريف يحيى بن سرور وفي أثناء ذلك جاءت الاخبار من مصر في شهر صفر بأن محمد علي باشا استحسن ان تكون امارة مكة للشريف محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن حسن بن أبي نمي وانه أرسل يطلب له الفرمان السلطاني من مولانا السلطان محمود الثاني ابن عبد الحميد الأول وكان الشريف محمد بن عون اذ ذاك بمصر نزيلا عند محمد علي باشا في عز واكرام لأنه لما كان محمد علي باشا بالحجاز كان قد أقام الشريف محمدا المذكور أميرا على تربة ثم أقامه أميرا على قبائل عسير ومن يتبعهم من القبائل والقرى ثم بعد سنين من امارته فيهم وقع بينه وبينهم اختلاف فخرج عنهم وكتب الى مصر لمحمد علي باشا يطلب منه تجهيز عساكر لمحاربة قبائل عسير فأرسل محمد علي باشا عساكر كثيرة من العساكر النظامية وكان ذلك في ابتداء حدوث العساكر النظامية فتوجه الشريف محمد بتلك العساكر لمحاربة عسير سنة تسع وثلاثين فوقع انهزام لتلك العساكر وقتل في ذلك القتال الشريف راجح بن عمرو الشنبري فرجع الشريف محمد بن عون الى مصر وبقي بها الى افتتاح سنة ثلاث وأربعين نزيلا عند محمد علي باشا في عز واكرام فلما وقع قتل الشريف يحيى للشريف شنبر المنعمي استحسن محمد علي باشا ولاية الشريف محمد بن عون لما يعلم فيه من الشجاعة والكفاية

الامير الكبير السعيد الشهيد محمد بن سليمان جركس دفتردار مصر في أيام المرحوم داود باشا نائب الديار المصرية في أيام السلطان الأقدس المرحوم المقدس السلطان سليم خان عليهم الرحمة والتحية والرضوان بناه في سنة خمسين وتسعمائة وكسى التابوت الشريف كسوة فاخرة وعين له خادما ورتب له علوفة من خزائن الصدقات الشريفة السلطانية العثمانية جارية عليه الى الآن وكان من أهل الخير والجميل والمعروف كريما جوادا بذولا له احسان كثير وجميل وافر أحسن الله اليه كما أحسن الي وضاعف حسناته ومحا سيآته حج الى بيت الله تعالى وهو أمير الركب الشامي وأحسن الى الناس كثيرا وعم احسانه وكان يحب العلماء والصلحاء ويكرمهم ويحسن اليهم ويقضي حوائجهم بحيث كانوا يعدون أيامه من حسنات الدهر ثم قتل مظلوما وعند الله تجتمع الخصوم والله غفور رحيم ومنها عند قبر سيدنا الفضل بن عباس رضي الله عنه وهما في محوطة فيها جماعة أولياء أجلاء أكابر منهم الشيخ تقي الدين السبكي والشيخ عبد الله بن عمر المعروف بالداوانى وكثير من مشاهير العلماء آخرهم مولانا الشيخ عبد اللطيف النقشبندي الرومي رحمه الله تعالى ومنها عند قبر سفيان بن عيينة رضي الله عنه ومنها عند قبر الشيخ أبي الحسن علي

والبادية لامارة مكة فحصل الامر كذلك وطلب وأرسل يطلب الفرمان من مولانا السلطان محمود فلما جاءت الاخبار بولاية الشريف محمد بن عون بعدان ولى أحمد باشا الشريف عبد المطلب حسبما تقدم ذكره وقع الاختلاف والتنافر بين أحمد باشا والشريف عبد المطلب وكان أحمد باشا بالطائف وكذا الشريف عبد المطلب أيضا كان بالطائف يجمع القبائل لمحاربة الشريف يحيى بن سرور فلما جاءت الاخبار بولاية الشريف محمد ووقع الاختلاف بين الشريف عبد المطلب وأحمد باشا وأراد أحمد باشا التوجه الى مكة ثم بلغه ان الطرق كلها مقصود فيها وان الشريف مرزوق بن عبد العزيز الحرث أمير الصبيق وهذيل الشام جمع قبائل وجلس بها في الريعان ليمنع أحمد باشا من العبور وشاع انه فعل ذلك باشارة من الشريف عبد المطلب فأخذ أحمد باشا وجها من الشريف على بن غالب وطلب منه ان يسير معه الى أن يوصله الى مكة فحمل الشريف على ذلك ولما وصلوا قريبا من الريعان تحققوا ان الشريف مرزوقا الحرث في الريعان ومعه القبائل كما شاع فتقدم الشريف على وارسل اليهم يقول ان أحمد باشا في وجهه ومنعهم ان يتعرضوا له بشئ فامتنعوا مما كانوا أرادوا ان يفعلوه وبعد ان وصل أحمد باشا الى مكة رجع الشريف على بن غالب الى أخيه الشريف عبد المطلب ثم عزم الشريف عبد المطلب على محاربة أحمد باشا واخراج العساكر المصرية قبل قدوم الشريف محمد بن عون فضم الى القبائل التى كانت اجتمعت عنده قبائل غيرهم وتوجه بهم الى مكة فوقع بينه و بين أحمد باشا وقائع متعددة يطول الكلام بذكرها وقتل فيها كثير من العرب وكثير من عساكر أحمد باشا وكانت تلك الوقائع بعضها في عرفة وبعضها في العابدية وبعضها في الحسينية وبعضها في منى واستمر الحال الى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة وكان آخر الوقائع في جمادى الاولى تقوى فيها الشريف عبد المطلب وكثرت القبائل معه ودام الحرب ثلاثة أيام وآيس أحمد باشا من النصر وطلع القلعة بأهله وحريمه وانحصر العسكر بعضهم في القلعة و بعضهم في الباشية و بعضهم في بيت بنت جعفر الذى عند القبور وأحاطت القبائل بجبال مكة وطرقاتها ونزل بعضهم من الجبال وعقر بعض الخيل التى كانت مربوطة في اصطبل خيل أحمد باشا الذى في جياد وضربت العساكر من القلعتين بالمدافع المشحونة بالقنابل على القبائل التى في الجبال كل ذلك كان يوم السادس والسابع والثامن من جمادى الاولى وخاف كثير من الناس الذين بمكة ان يقع النهب من القبائل اذا دخلوا مكة فادخلوا أموالهم في الخبايا تحت الارض وبنى بعض الناس متاريس في بيوتهم وأحضروا البنادق والبارود والرصاص ليحموا أنفسهم ودورهم من نهب العرب اذا دخلوا مكة قيل ان عدد القبائل كان تسعة آلاف وشاع ان الشريف عبد المطلب تكاتب مع الشريف يحيى بن سرور وعقد صلحا معه واتفقا على أن تكون كلمتهما واحدة وان الشريف يحيى يأتى من طريق الوادى ومعه ثلاثة آلاف من قبائل حرب وغيرها وانه يدخل من أسفل مكة والشريف عبد المطلب من أعلاها وان دخولهما يكون في صبح التاسع من جمادى الاولى ووقعت أراجيف كثيرة فبات الناس بمكة في تلك الليلة في كرب شديد فلما أصبح صبح ذلك اليوم جاء الخبر بان الشريف محمد بن عون وصل الحدالية وفى أثر ذلك الخبر دخل مكة بنفسه بعد الاشراق ومعه سبعة خيالة من أتباعه وذلك انه وصل الى جدة يوم الثامن فاخبروه ان الحرب على مكة فحين نزوله من البحر ركب وتوجه الى مكة فلما وصل بعد الاشراق جلس أولا في بيت أحمد باشا الذى عند باب على وكان ديوانا للحكومة وطلب حضور أحمد باشا ونزوله من القلعة فنزل وجلس معه قليلا ثم ركب هو والسبعة الذين جاؤا معه وتوجه الى الابطح موضع شدة الحرب وأمر باخراج العساكر المحصورة في الباشية وبيت بنت جعفر وصار يرتبهم للحرب وكان الشريف عبد المطلب عند المعتمر وقد أحضر الخيول الجنائب وصار يرتب الموكب الذى يريد دخول مكة به والحرب قائم والقلعتان يرمى منهما بالمدافع المشحونة بالقنابل على قبائل العرب التى انتشرت في

الشولي رضي الله عنه ذكر الشيخ خليل المالكي ان الدعاء عنده مستجاب وكذلك عند قبر معامرة الخير بالمعلاة ويقال انه اذا أراد أن يدعو عند معامرة الخير يستقبل القبلة بحيث تكون تربة الملك المسعود محاذية عن يساره وقد اندرثت تربة الملك المسعود الآن ومحلها فوق البئر المعروف ببئر أم سليمان الموجودة الآن من تحتها عن طريق السيل ومنها عند قبر السيد الاهدل بالقرب من الجبل فانه المرجاني في تحفة النفوس الدعاء عند قبره مستجاب ومن المواضع التي جربتها أيضا بقبول الدعاء تربة شيخنا المرحوم مولانا علاء الدين الكرماني النقشبندي طيب الله تعالى ثراه ونفع ببركاته أحياء توفي سنة تسع وعشرين وتسعمائة وله كتب جليلة في الطريق أجلها كتاب منظوم في مقابلة المثنوي رحمه الله وفي مكة مواضع مباركة ومواليد متبركة ومساجد مأثورة غير هذه فمنها مولد سيدنا أمير المؤمنين على ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو بقرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم بقرب جبل أبي قبيس من قفاه في شعب يقال له شعب على به مسجد يصلى فيه ومولد بالآن متهدم

الجبال ولما طلع الشريف محمد بن عون الى الابطح ومعه السبعة الالاف الذين جاؤا معه صار كثير من الناس يسخرون به ويقولون أين يذهب هؤلاء السبعة الى هذه الجنود الجديدة فيتم الامر كذلك التجأ الشريف عبد المطلب رجل من جنوده من شيوخ ثقيف يقال له مساعد الوقداني وكلمه سرا وقال له ان الشريف محمد بن عون قد وصل وان القبائل قد بادرت وطلبت منه الامان والحال انه لم يبق لك من أحد معك وانه قد نفذ الذي أراده الله وانه يقصد [illegible] الشريف عبد المطلب فقال له اركب وتوجه الى الطائف من طريق كرى [illegible] القبائل فركب معه بعض خواصه وأتباعه والاخوات القبائل الذين تمسكوا عن القتال وأرسلوا الشريف محمد بن عون يطلبون منه الامان فأمنهم وأرسل الى أهل القلعة وأمرهم بالكف عن رمي المدافع والقتال ونصب له صيوان بالابطح وجلس فيه فجاءه شيوخ القبائل معهم [illegible] عليه فكساهم الجوخ والشيلان وأعطاهم الجوائز ثم [illegible] الى مكة [illegible] مرتضون [illegible] بركات [illegible] الظهر ونزل في دار الشريف يحيى بن سرور التي عند باب الوداع وضربت له المدافع وضربت النوبة عند باب داره وجاء الناس أفواجا للسلام عليه والتهنئة وأمنت البلاد واطمأنت العباد وزال الخوف أمنا وسرورا وكانت تلك الفتنة لم تكن في [illegible] وكان الشريف يحيى بن سرور قد أقبل بقبائل من الحرب على الامر الذي اتفق مع الشريف عبد المطلب عليه فلما كان بالوادي تحقق عنده قدوم الشريف محمد بن عون في العسكر [illegible] وأرسل فيه الشريف محمد بن عون الى [illegible] لو تقدمت بالقبائل التي معك الى [illegible] مكة [illegible] وصل الشريف محمد بن عون فالامارة لهم لا أتعرض له ولا أمنعه [illegible] الى مكة ثم لما تحقق عنده خروج الشريف عبد المطلب وانه توجه الى الطائف فرق تلك القبائل واستحسن التوجه الى الطائف [illegible] الشريف محمد [illegible] والشريف عبد المطلب [illegible] معه الجميع فلما وصل الى الطائف [illegible] المكاتيب من الشريف محمد ابن عون بالتأمين [illegible] على [illegible] والجميع [illegible] الذي [illegible] أن يكونوا [illegible] الطائف أو مكة أو المدينة المنورة واستحسن الشريف يحيى انعقاد الصلح وامتنع الشريف عبد المطلب من قبول ذلك وقال ليس بيني وبينه الا السيف [illegible] الطائف [illegible] أهل الطائف بحمل السلاح وأن يقوموا معه ولم يفيدوا وأظهروا الامتناع وبعث أتباع الشريف [illegible] الحجاز [illegible] وناصرة وأهل [illegible] وزهران وأظهر [illegible] الجد والاجتهاد في ذلك ولم يتمكن الشريف يحيى بن سرور من مخالفته لقلة من معه بالنسبة اليه فبقي معه بالطائف ومعه أيضا الشريف منصور والشريف حسن وبعض أولاد أخيه الشريف عبد الله بن سرور ومعهم أيضا الشريف عبد الله بن فهيد بن عبد الله بن سعيد ابن سعد بن زيد وكان من كبار الاشراف ذوي زيد ومعهم أيضا السيد محمد بن حسين العطاس شيخ السادة العلوية وقبض الشريف عبد المطلب على بعض الاشراف العبادلة الذين كانوا بالطائف منهم الشريف [illegible] بن [illegible] عبد الله [illegible] ووضعه في الحديد [illegible] في القلعة مع من قبض عليهم معه فلما جاءت هذه الاخبار الشريف محمد بن عون تجهز للمسير الى الطائف لقتاله وجاء معه عساكر كثيرة من [illegible] والعساكر النظامية وعليها أمير اللواء سليم بيك فلما استكمل وصول العساكر والذخائر وخزائن الاموال في صناديق كثيرة ومعها [illegible] كثيرة فيها الجوخ والشيلان والسراويل [illegible] والعمائم [illegible] الجميع في شهر جمادى الثانية من السنة المذكورة توجهوا ومعه أمير اللواء سليم بيك وساروا الى أن وصلوا الطائف وجاء كثير من قبائل هذيل وثقيف وغيرهما [illegible] فقابلهم الشريف محمد بن عون بالكساوي والجوائز والضيافات ونزلوا العرضي بالعقيق [illegible] من الطائف حيث تصل المدافع منه الى الطائف وأرسلوا الشريف

الآن عمره الله من عمره ومنها موضع يقال له مولد سيدنا حمزة رضي الله عنه في أسفل مكة لاصق بموضع يسمى بازان وهو مجرى عين حنين الى مكة [illegible] قال السيد التقي الفاسي رحمه الله تعالى لم أر شيئا يدل على صحة ما اشتهر عند [illegible] المكان مولد السيد حمزة رضي الله عنه لان هذا المحل ليس محلا لبني هاشم وطول هذا المحل خمسة عشر ذراعا الا ثلث وعرضه سبعة أذرع [illegible] وفي صدره محراب وبابه في الجدار الذي الى جهة مكة [illegible] وقد تهدم الآن واضمحلت آثاره فلا يظهر له محراب ولا باب ولا جدار وهو قديم [illegible] مولد سيدنا حمزة فرحم الله من أحياه وعمره ومنها موضع في أعلى [illegible] يقال له [illegible] يقال انه مولد سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلع الناس اليه للتبرك والتوجه لاشرافه على مكة ومن الناس من يقصده للزيارة قال التقي الفاسي رحمه الله لا أعلم في ذلك شيئا يستأنس به غير أن جدي أبا الفضل النويري كان يزور هذا الموضع في جمع من أصحابه في الليلة الرابعة عشرة من شهر ربيع الاول من كل سنة التي هي [illegible] وهذا

عبد المطلب يعرضون عليه الامان وامتنع وكان عنده بالطائف بعض الطبجية في قلعة الطائف فأمرهم بالرمي بالمدافع المتحصنين بالقلعة على العرضي فلم يقدروا على مخالفته فعملوا ذلك وثار الحرب بين الفريقين ورمت المدافع أيضا من العرضي على الطائف وكان عنده بالطائف بعض قبائل بني سفيان وهذيل أهل الشفا من الطلحات والنمانية وغيرهم ثم انهم وصلوا الى العرضي وأخذوا الامان لهم ولقبائلهم وصاروا مع الشريف محمد بن عون ولم يبق معه بالطائف الا أهل الطائف وهو يأمرهم بحمل السلاح والقتال ولم يترك أحدا منهم حتى الشيخ عبد الله الفارضي حمل البندق ولبس السلاح وكان من العلماء الموجودين وكان من أصدقاء الشريف محمد بن عون فامتثل أمر الشريف عبد المطلب وكان مع أهل الطائف في جميع ما يأمرهم به الشريف عبد المطلب وكانوا متفرقين في الطائف عند السور والابراج ليلا ونهارا وأما بقية الناس فانهم [illegible] والشريف عبد المطلب يعدهم بحضور القبائل الذين ذهب أخوه الشريف علي بجمعهم من الحجاز ومضت الايام والليالي ولم يحضر أحد منهم وكان الشريف محمد بن عون [illegible] من حين توجهه الى مصر سنة [illegible] وكان له معهم ابنه الشريف عبد الله [illegible] البيت الذي كانوا فيه في حارة [illegible] وهو المعروف ببيت [illegible] بابه الشريف عبد الله [illegible] وأخرجوه اليه في العرضي ولم يشعر بذلك الشريف عبد المطلب واستمر الحرب والرمي بالمدافع نحو [illegible] وأكثر أهل الطائف [illegible] أقواتهم [illegible] المدة [illegible] الى العرضي وأخذوا الامان لانفسهم ولاهل الطائف وبعد أيام [illegible] الامر قبل وقوعه وأرسل وطلب الامان له وللشريف يحيى بن سرور ولكل من كان معهم [illegible] الشريف محمد بن عون وسليم بيك فلذلك أطلق الشريف [illegible] وكل من كان معه [illegible] ثم خرج الشريف عبد المطلب والشريف يحيى بن سرور ومن كان معهم الى العرضي [illegible] الشريف محمد بن عون وسليم بيك [illegible] وتم الصلح [illegible] الشريف [illegible] وسليم بيك [illegible] ثم رجعوا الى الطائف وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة [illegible] الشريف عبد المطلب الى [illegible] من الطائف [illegible] بعض ركابه وبعض خيله [illegible] ومعه أخوه الشريف يحيى بن غالب وبعض أتباعه وكان خروجهم ليلة من باب [illegible] عند ضريح ابن عباس رضي الله عنهما [illegible] عنده شيء من فرس العسكر بعد خروجهم [illegible] الشريف يحيى بن سرور [illegible] من أتباعه [illegible] وأرسله للشريف محمد بن عون وسليم بيك [illegible] الشريف عبد المطلب ومن معه فساروا [illegible] ثم رجعوا [illegible] الشريف يحيى بن غالب لانه عثرت به فرسه [illegible] الشريف محمد بن عون وسليم بيك وحصل الامن والاطمئنان [illegible] ثم رجعوا الى مكة ومعهم الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب ومن كان معهم وكتب الشريف محمد بن عون وسليم بيك لمحمد علي باشا بجميع ما [illegible] كان في شهر شوال من السنة المذكورة [illegible] ضيافة للشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب ومن كان معهم [illegible] بيت [illegible] الشبيكة [illegible] بعد تمام الطعام أبرز لهم سليم بيك أمرا جاء من محمد علي باشا مضمونه انه يطلب حضورهم الى مصر فامتثلوا الامر [illegible] عليهم ووجههم الى مصر [illegible]

باق الى الآن يجتمع بعض الفقراء في الليلة الرابعة عشرة من كل شهر يذكرون الله تعالى فيها احياء لتلك الليلة ومنها موضع بقرب باب العلية يقال انه مولد سيدنا جعفر الصادق بن أبي طالب يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم دخله والله أعلم بحقيقة ذلك ومنها في زقاق المرفق محل [illegible] يقال انه كان [illegible] أبي بكر الصديق رضي الله عنه ويقال انها دار [illegible] ابن علي [illegible] العشاق [illegible] قبل أن يزول [illegible] في سنة ثلاث وعشرين [illegible] الدار [illegible] الناس [illegible] يقال انه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الحجر وقال [illegible] رحمه الله تعالى هذا الحجر [illegible] كلامه النبي صلى الله عليه وسلم فهو الحجر الذي [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي [illegible] مقابلة على يسار [illegible] في الحجر [illegible] محل [illegible] يزوره العوام ويزعمون ان النبي صلى الله عليه وسلم اتكأ عليه فغاص مرفقه الشريف في

الشريف يحيى بن سرور والشريف يحيى بن غالب والشريف عبد الله بن فهيد والشريف محسن بن يحيى وبعض أولاد الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وأما الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور فكان قد توجه الى بلاد عسير حين كانوا بالطائف ولما وصل الى مصر هؤلاء الجماعة الذين قبض عليهم سليم بيك أكرمهم محمد علي باشا وأحسن نزلهم وأجرى عليهم ما يليق بهم من الطعام وغيره ثم بعد مضي سنة أذن بالرجوع الى مكة للشريف يحيى بن غالب بطلب من أخته الشريفة شريفة عرضت لمحمد علي باشا ترجي عنده في ارجاع أخيها القوم عصا لهم فقبل رجاءها وأذن له بالرجوع وبقي بمكة الى أن توفي سنة اثنتين وخمسين وكذلك أذن للشريف عبد الله بن فهيد ومحمد بن الشريف عبد الله بن سرور والسيد محمد العطاس وبقي بمصر الشريف يحيى بن سرور وابنه الشريف حسن واستمر الشريف يحيى بن سرور بمصر الى أن توفي سنة أربع وخمسين فرجع الى مكة ابنه الشريف حسن وكذلك ابنه الشريف حسين بن يحيى وكان صغيرا لانه ولد للشريف يحيى وهو بمصر وتوفي بمصر أيضا اسعد ومسعود وسرور ابناء الشريف عبد الله بن سرور وكانوا مع عمهم الشريف يحيى بن سرور وبقي الشريف منصور بن يحيى بن سرور في بلاد عسير الى أن توفي والده بمصر فقدم الى مكة سنة ست وخمسين وأما الشريف عبد المطلب فانه بعد أن توجه من الطائف مر على الحجاز واجتمع بأخيه الشريف علي بن غالب وتوجها جميعا ومن كان معهما الى بلاد عسير وكان أمير عسير علي بن مجثل فأكرمهما ومن معهما وأحسن نزل الجميع وأقاموا عنده سنتين ثم توجهوا الى الشرق ثم الى بغداد وتنقلوا في بلاد كثيرة الى سنة ست وأربعين ثم صار لهم عزم على التوجه الى الشام ليتوصلوا الى دار السلطنة فترقبوا رجوع الحاج الشامي بعد خروجه من المدينة ورافقوه وكان أمير الحاج الشامي في تلك السنة رؤف باشا فصاروا في صحبته وبعد وصولهم الى الشام توصلوا الى دار السلطنة فأقاموا بها في عز واكرام فلما حصل الاختلاف بين محمد علي باشا ومولانا السلطان محمود سنة سبع وأربعين ثم حصل القتال الذي ملك الشام بعده محمد علي باشا ولي في تلك المدة مولانا السلطان محمود الشريف عبد المطلب امارة مكة ولم يتمكن من ايصاله الى مكة بسبب تلك الفتنة بل كان في كل سنة يبعث الخلعة وفرمان التأييد للشريف محمد بن عون وطالت تلك الفتنة الى أن توفي السلطان محمود سنة خمس وخمسين وتولى ابنه السلطان عبد المجيد واشترط على محمد علي باشا ارجاع الشام والحجاز لمولانا السلطان فحصلت تلك الشروط فلما صار الحجاز لمولانا السلطان عبد المجيد أبقى مولانا الشريف محمد بن عون على امارة مكة كما كان وصار كل سنة يرسل له الخلعة وفرمان التأييد وولى ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي اعثمان باشا وبقي الشريف عبد المطلب مقيما بدار السلطنة الى سنة سبع وستين وسيأتي اتمام الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى ولنرجع الى اتمام الكلام على امارة مولانا الشريف محمد بن عون فان ولايته كما تقدم كانت سنة ثلاث وأربعين فاستقامت له الامور وباشر أحكام العرب والاشراف وغيرهم وانتظمت أحكامه على أتم النظام وأقام في مشيخة السادة العلوية السيد اسحق بن عقيل وكان مجلس مولانا الشريف محمد دائما منتظما بالعلماء والادباء وطلبة العلم وتجري فيه المذاكرات في كثير من الفنون ومدحه كثير من الشعراء بالقصائد فأجازهم عليها بالجوائز السنية وغزا غزوات بناحية الشرق والحجاز وتربة ورنية وبيشة كان له فيها كلها النصر والظفر وكان محافظ مكة أحمد باشا مقاما من محمد علي باشا من سنة خمس وثلاثين كما تقدم ثم عزله محمد علي باشا سنة أربع وأربعين وتوجه الى مصر وولى محافظة مكة سليم بيك أمير اللواء الذي كان يجيئه أولا مع العساكر التي جاءت مع سيدنا الشريف محمد بن عون فأقام سليم بيك في محافظة مكة نحو شهرين ثم عزله محمد علي باشا وولى عابدين بيك أمير اللواء واستمر الى ان توفي بمكة سنة ست وأربعين بعرض الوباء بالاسهال والقيء وكانت تلك السنة هي أول السنين التي حدث فيها ذلك الوباء بمكة ولم

يعرفه

ذلك الحجر وهو يكلم الحجر الذي أمامه على شماله قال القاضي أبو البقاء بن الضياء في البحر العميق ذكر سعد الدين الاسفرايني في كتاب زبدة الاعمال ان أهل مكة يمشون اذا رأوا المولد من دار خديجة رضي الله عنها الى مسجد يقولون انه كان أبي بكر الصديق كان يبيع فيه البز وأسلم فيه على يده عثمان بن عفان رضي الله عنه وطلحة والزبير رضي الله عنهم قال وفي جدار هذا كان أثر مرفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء دار أبي بكر رضي الله عنه ذات يوم ونادى يا أبا بكر اتهى . قلت الجدار الذي فيه المرفق بعيد عن دكان أبي بكر رضي الله عنه الى ناحية القبلة بينهما دور وما رأيت في كلام أحد من المؤرخين من حقق شيأ من ذلك والله أعلم بحقيقته . ومن الدور المباركة بمكة دار سيدنا العباس رضي الله عنه بالمسعى عند أحد الميلين الاخضرين وهي الآن رباط بسكنه الفقراء ومنها موضع بطن جبل قيقعان بالصق دار سيدنا ومولانا قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام القاضي حسين بن أبي بكر الحسيني أطال

يعرفه الناس قبل تلك السنة ثم بعد هذه السنة تكرر مجيئه بمكة مرات لكنه ما جاء في السنين التي بعد هذه السنة مثل هذه السنة فانه كان شديد الكثرة مات فيه خلق كثير لا يمكن ضبطهم ولا احصاؤهم وكان ابتداؤه من شهر شوال من السنة المذكورة وكان ابتداء وقوعه في العسكر والجبرت فلم يكترث الناس به ولم يتحرزوا منه ثم انه في النصف من شهر ذي القعدة أصاب كثيرا من أهل مكة ومن الحجاج من كل صنف ولم يزل يتزايد واشتد أمره في أيام منى حتى صار الموتى مطروحين في الطرقات ونزل الناس من منى والجمال محملة من الاموات واشتد أيضا بمكة بعد النزول من منى وامتلأت الاسواق والطرقات من الاموات وعجز الناس عن تجهيزهم ودفنهم فخرج مولانا الشريف محمد بن عون بنفسه والكل ومعه بعض أتباعه وصار يمر على بعض الطرقات والاسواق ويأمر الناس بتجهيز الموتى ودفنهم وأعطاهم ما يحتاجون اليه من الاكفان وامتلأت القبور من الاموات فحفروا حفائر كثيرة وصاروا يضعون في كل حفرة جملة من الاموات وقاسى الناس من ذلك الوباء هولا شديدا واستمر ذلك الوباء الى عشرين من ذي الحجة ثم ارتفع شيأ فشيأ فكان ممن توفي في ذلك الوباء عابدين بيك محافظ مكة فولى محمد علي باشا بدله أمير اللواء خورشيد بيك ثم صار بعد مدة باشا فكانت ولايته في افتتاح سنة سبع وأربعين ثم في شهر رجب من السنة المذكورة حصل بينه وبين العساكر الخيالة والقرابة من الاتراك فتنة سببها أنهم أغلظوا عليه في طلب جوامكهم ولم يكن عنده ما يقوم بطلبهم فحاصروا خورشيد بيك المذكور وتخلص ونزل الى جدة ثم سافر الى مصر وأبقى نائبا عنه بمكة اسمعيل بيك كبير العساكر النظامية ومعه شريم بيك أيضا من كبار عساكر النظامية والفتنة باقية بينهم وبين الاتراك الخيالة والقرابة وكان كبير تلك العساكر تركي بلماز ولهذا صارت هذه الفتنة تعرف بفتنة تركي بلماز وأرسل محمد علي باشا من مصر علي آغا رزوقي لتسكين تلك الفتنة والاصلاح بين عساكر الترك والعساكر النظامية فلم يتمكن من ذلك بل ازداد الامر شدة لان عساكر الاتراك استوحشوا من محمد علي باشا واعتقدوا انهم بتلك الفتنة صاروا يقترحون أشياء زادت بها الفتنة وكذلك سيدنا الشريف محمد بن عون أراد تسكين الفتنة والاصلاح بين الفريقين فلم يوافقوه فاعتزل الفريقين وطلع الى الهدا بعد ان حج في تلك السنة ومكث الى أن انقضت تلك الفتنة ولم يحضر الحرب الذي وقع بين الفريقين وذلك انه في شهر المحرم من سنة ثمان وأربعين ثار الحرب بمكة بين الفريقين عساكر الاتراك والعساكر النظامية وتغلبت عساكر الاتراك على العساكر النظامية وحصروهم في الباسطية وفي بيت بنت جعفر الذي عند مقبرة مكة واستمر الحرب بينهم ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع خرجت العساكر النظامية من الباسطية وقاتلوا الاتراك قتالا شديدا الى أن هزموهم هزيمة قبيحة وقتلوا كثيرا منهم فتوجه من بقي من الاتراك الى جدة فعزمت العساكر النظامية الى مكة وأمنوا الناس ولم يقع منهم خلاف على أحد الا أنهم دخلوا الخان الترك الذي عند المروة وكسروا دكاكينه وأخذوا ما فيها ثم بعد مضي هذه الفتنة أعطى محمد علي باشا أهل تلك الدكاكين قيمة أموالهم التي أخذتها العساكر النظامية من تلك الدكاكين على حسب ما ادعوه وكان الذي ادعوا به شيأ كثيرا فاعطاهم اياه ثم ان تركي بلماز ومن معه من الاتراك لما انهزموا ونزلوا الى جدة أخذوا كثيرا من أموال الميري وكان بمرسى جدة مراكب لمحمد علي باشا فاطمعوا الاموال التي أخذوها في المراكب المذكورة وركبوا فيها وساروا الى اليمن وملكوا الحديدة والمخا بالغلب ثم خافوا أن يجهز عليهم محمد علي باشا فتركوا اليمن وتفرقوا في كل ناحية والكلام على هذه الفتنة طويل ولكن هذا حاصلها ثم ان محمد علي باشا ولى أحمد باشا الجزائري محافظة مكة كما كان فيما سابقا في وسط سنة ثمان وأربعين وفي سنة تسع وأربعين ولد لسيدنا الشريف محمد بن عون ولده الشريف علي وفي سنة تسع وأربعين أيضا صدر الامر من محمد علي باشا بتجهيز اربعة عشر وكان

الله بقاه وأدام علاه

يقال له مسجد الجنيد أحيا المشار اليه ما اثره قال سعد الدين الاسفرايني انه مسجد الجنيد ومسجد ابراهيم بن أدهم رضي الله عنهما

* ومن الجبال المأثورة بمكة جبل حراء بكسر الحاء المهملة وفتح الراء الممدودة ممنوعا وكانت الجاهلية تعظمه أيضا وتذكره في أشعارها في ذلك قول أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه
وراق لبر في حراء ونازل

ويقال له جبل النور لانه ظهر فيه أنوار النبوة والكثير اقامة النبي صلى الله عليه وسلم فيه وتعبده ونزول الوحي عليه فيه وذلك في غار أعلاه مشهور يجتمع فيه أيام الطهر ماء عذب سائغ قال السهيلي في الروض الانف ان قريشا لما طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرموا بقتله كان على جبل ثبير فناداه وهو على ظهره اهبط عني يا رسول الله فاني أخاف ان تقتل وأنت على ظهري فيعذبني الله فناداه حراء الي يا رسول الله قال القاضي أبو البقاء ابن الضياء في البحر العميق ان النبي صلى الله عليه وسلم اختبأ من المشركين في غار ثور فيحتمل ان يكون النبي

فتوفي أميرهم علي بن مجثل وكان من بني مغيد وأقيم بعده أميراً عليهم عائض بن مرعي وكان أيضاً
من بني مغيد واستقل بالملكة وتقوى وتغلب على بعض الممالك التي هي تحت طوع الدولة مثل
بني شهر وبيشة وبلاد غامد وزهران فجهز محمد علي باشا عساكر كثيرة ليتوجه بها مولانا الشريف
محمد بن عون ويستخلص تلك الممالك فتوجه بالعساكر وبقي أحمد باشا بمكة مقيداً بإرسال الذخائر
والخزائن ووقع بينه وبينهم وقائع واستخلص تلك المواضع التي تغلبوا عليها وأرجعها إلى حكم الدولة
كبلاد غامد وزهران وبيشة وبني شهر تحت طوعه وتقدم إلى بلاد عسير ليخلصها منهم
ويرجعها كما كانت [illegible] محمد علي باشا إلى الحجاز فحصل من أحمد باشا تقصير في إرسال الذخائر
والخزائن وما يحتاجون إليه فحصل للعساكر ضيق شديد من ذلك وهم محاصرون بلاد عسير فوقع
الخلل في الجيوش وأدى ذلك إلى انهزام تلك العساكر فرجع الشريف محمد بن عون إلى مكة
وكان ذلك العسكر [illegible] سنة [illegible] وخمسين وأنكر أحمد باشا وقوع التقصير منه ونسب
التقصير إلى سيدنا الشريف محمد بن عون فطلبهما محمد علي باشا إلى مصر ليتحقق [illegible] كان ذلك
[illegible] إلى مصر في سنة اثنتين وخمسين وأبقى الشريف محمد بن عون وكيلاً عنه بمكة الشريف مبارك
ابن عبد الله الحمودي [illegible] وأبقى أحمد باشا وكيلاً عنه أمير اللواء أمين بيك فلما وصلا إلى مصر
[illegible] محمد علي باشا تبين أن التقصير إنما كان من أحمد باشا ولم يثبت على مولانا الشريف
محمد شيء من التقصير فأذن محمد علي باشا لمولانا الشريف محمد بالرجوع إلى مكة فوسط أحمد باشا
[illegible] محمد علي باشا [illegible] أن يكون هو الذي يرجع إلى مكة ويبقى مولانا
الشريف محمد بمصر وتعهد أحمد باشا بأنه يستولي على عسير بالعسكر في ثلاثة أشهر فحضر مولانا
الشريف محمد عند محمد علي باشا وأخبره أن أحمد باشا يتمنى الرجوع إلى مكة وأنه يتعهد بأنه يستولي
على عسير في ثلاثة أشهر فقال له الشريف محمد لا يقدر على ذلك ولا في ثلاث سنين فقال محمد علي
باشا [illegible] فقال مولانا الشريف محمد لا بأس
[illegible] مولانا الشريف محمد بمصر ورجع أحمد باشا وكان معتمداً على بعض الأشراف مثل
الشريف منصور بن زيد [illegible] وكان [illegible] أحمد باشا وكان يتعهد له بحصول هذا
الأمر وكان [illegible] إمارة [illegible] زهران [illegible] إلى إمارته وكان أحمد باشا
[illegible] سلطان بن عبد الله العسيري المذكور كان أميراً على قبيلة من قبائل عسير فقال
[illegible] وكان قد وقع بينه وبين أمير عسير [illegible] وأراد أن يقتله فهرب إلى مكة ملتجئاً قبل
هذه الوقائع [illegible] أحمد باشا عند محمد علي باشا [illegible] حتى التحق
بمكة [illegible] أحمد باشا [illegible] مولانا الشريف محمد ظاهراً وميله في الباطن مع أحمد باشا فكان
[illegible] مع أحمد باشا بالعساكر إلى بلاد عسير فلما
رجع أحمد باشا من مصر [illegible] أمين بيك [illegible] بالعساكر إلى الحجاز بلاد غامد وزهران
ومعه الشريف منصور بن زيد [illegible] الأشراف وسلطان بن عبد الله العسيري فوقع بينه وبين عسير
وقائع [illegible] أحمد باشا [illegible] سنة ثلاث وخمسين [illegible] وقعة [illegible] واستخلص
منهم بلاد غامد وزهران [illegible] بعد ذلك [illegible] هذه النصرة أرسل البشائر إلى
مكة وضربت [illegible] ثلاثة أيام وأرسلوا إلى مصر لمحمد علي باشا
وجعلوا هذه النصرة [illegible] العساكر إلى بلاد [illegible] ولا إلى بلاد عسير بل
في سنة أربع وخمسين رجع العسيري إلى بلاد غامد وزهران واسترجعها والحاصل أن الأمر استقر
[illegible] إلى سنة ست وخمسين ومولانا الشريف محمد بن عون مقيم بمصر ومعه ولده
الشريف عبد الله والشريف علي [illegible] سيدنا الشريف محمد بمصر ولده الشريف حسين في

اواخر

صلى الله عليه وسلم اختفاءً
عن المشركين في حراء في
واقعة ثم اختفى منهم في غار
ثور وقت الهجرة فلم
يقتل وقوله ذلك صلى
الله عليه وسلم [illegible]
وأيضاً في حديث السهيلي
أن حراء لما نادى النبي
صلى الله عليه وسلم إلى أن
اختبأ من المشركين
خصوصاً فقال السهيلي
لما نقل هذا الحديث في
[illegible] قال وأحسب في
الحديث [illegible]
قال [illegible]
﴿ومن فضائل المباركة
المأثورة جبل ثور﴾ وهو
جبل [illegible]
منه القبة [illegible] بمكة
[illegible]
[illegible] أن النبي صلى الله
عليه وسلم وأبا بكر الصديق
[illegible] اختفيا [illegible] عن
المشركين لما [illegible]
بالقتل [illegible]
منهم وقال صاحب [illegible]
[illegible] أن أبا بكر
رضي الله عنه لما خرج مع
رسول الله صلى الله عليه
وسلم متوجهاً إلى الغار جعل
طوراً يمشي أمامه وطوراً
يمشي خلفه وطوراً عن
يمينه وطوراً عن شماله
فقال صلى الله عليه وسلم
ما هذا يا أبا بكر فقال
يا رسول الله [illegible]
أذكر الرصد فأحب أن
أكون أمامك وأتذكر
الطلب فأحب أن أكون

أواخر سنة أربع وخمسين وأرسلها الى مكة لتكون عند الفراخ فوصل الى مكة في المحرم سنة خمس وخمسين فلما كانت سنة ست وخمسين بعد انعقاد الصلح بين مولانا السلطان عبد المجيد ومحمد علي باشا كان من جملة شروط الصلح ان يترك محمد علي باشا الحجاز والشام ويفوض أمرهما لمولانا السلطان ويبقى له ولاولاده مملكة مصر وأعمالها فاذن محمد علي باشا لمولانا الشريف محمد ابن عون بالرجوع الى مكة في امارته كما كان وان يجهز له عساكره التي بالحجاز ويرسلها الى مصر لانه كان له عساكر كثيرة بالحجاز والحرب بينه وبين بلاد حرب وخشي انه اذا [illegible] وزال حكمه من الحجاز يحصل انقطاع [illegible] ويقع ضرر على عساكره ورأى انه لا يحصل التمكن والأمن في الحجاز وتسهيل ارسال العساكر الا بمولانا الشريف محمد بن عون وكانت العساكر التي في حرب جمعية [illegible] وكان محمد علي باشا [illegible] وكان قصده [illegible] والخيول [illegible] قبائل حرب أشد المضايقة وقطع كثيرا من [illegible] في رؤس الجبال [illegible] الطرق وحصل لأهل المدينة ضيق شديد وانقطعت عنهم [illegible] واشتد الغلاء عندهم حتى بلغ الاردب القمح ثلاثين ريالا فاقتضى رأي محمد علي باشا أن يكون توجه مولانا الشريف محمد أولا الى بلاد حرب لازالة هذه المشكلة وارسال عساكره التي هناك فتوجه من مصر في سنة ست وخمسين فلما وصل الى موضع العساكر [illegible] وصوله [illegible] حرب [illegible] في الجبال [illegible] الأمان [illegible] الطائفة [illegible] الأمان [illegible] القمرة [illegible] القمرة وهي أعظم جبال [illegible] القمرة [illegible] القمرة [illegible] والهوان ثم [illegible] يطلبون منه الأمان فأمنهم [illegible] من القمرة وأرسل العساكر الى مصر [illegible] الطرق وارتخصت الأسعار [illegible] المدينة [illegible] على الحرم النبوي [illegible] الحرم [illegible] مولانا الشريف محمد [illegible] المدينة [illegible] وقال [illegible] أهل مكة في سنة [illegible] وأربعين [illegible] أهل المدينة [illegible] بقوله وأنا ابن عون [illegible] انه بعد قدومه المدينة حصل له مرض شديد وأرسل الى مكة [illegible] الله تعالى من المرض [illegible] بالمدينة [illegible] ورجع الى مكة في [illegible] وخمسين وفي آخر شهر ذي الحجة من السنة المذكورة كانت ولادة [illegible] الشريف عون الرفيق كانت أمه حملت به وهم في المدينة فهو [illegible] في [illegible] بالشامية [illegible] الشريف محمد بن عون [illegible] وكان في مدة مكثه في المدينة أرسل ابنه مولانا الشريف عبد الله الى مكة وكان ارساله [illegible] على التوجه الى بلاد حرب فلم يتوجه معه ابنه المذكور ورأى بلاد حرب بل قدم الى مكة وصار [illegible] وكان عمره اذ ذاك [illegible] وعشرين سنة فقام بالامر [illegible] عن أبيه أتم القيام وحصل بعد قدومه تجهيز العساكر المصرية التي بالحجاز وأرسلت الى مصر في غاية الأمن والاطمئنان وتوجه أحمد باشا [illegible] الى مصر ثم وجهت الدولة [illegible] مشيخة الحرم المكي لعثمان باشا الذي كان [illegible] الحرم النبوي ووجهت مشيخة الحرم النبوي [illegible] الذي كان [illegible]

خافية [illegible] وأخذا الطريق [illegible] الاثقال لا [illegible] [illegible] ابكر [illegible] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] القدم بل كان [illegible] الارض [illegible] وكان [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] أبو بكر رضي الله عنه [illegible] حتى انتهى به الى الغار فلما [illegible] أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن [illegible] الغار قال أبو بكر [illegible] لا تدخل حتى أدخل [illegible] أبو بكر رضي الله عنه [illegible] الغار [illegible] أن يكون فيه شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار [illegible] الانصار أن أبا بكر رضي الله عنه [illegible] الغار [illegible] شيء يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار [illegible] وحمامتين وحشيتين [illegible] وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيهم وسيوفهم ومعهم كرز بن علقمة القائف [illegible] الاثر حتى انتهى الى الغار

وقدم عثمان باشا مكة أيضا سنة ست وخمسين ثم أقام عثمان باشا مولانا الشريف عبد الله بن سيدنا الشريف محمد بن عون قائما مقامه فصار قائم المقام الامارة والولاية جامعا بينهما ولما رجع سيدنا الشريف محمد بن عون من المدينة أبقى في المدينة الشريف محمد بن عبد الله بن سرور قائما مقامه واستمر الامر بين مولانا الشريف محمد وعثمان باشا بغاية الاتفاق والمحبة الى سنة ستين فوقع بينهما الخلاف كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى ولما توجهت العساكر المصرية الى مصر كان لمحمد على باشا بالحجاز كثير من الذخائر والمهمات والجعالات فقومت جميعها بالقيمة واستقلتها الدولة لتخصم من الخراج المقرر على محمد على باشا في مقابلة ولاية مصر وكانت تلك الذخائر والمهمات شيئا لا يمكن حصره ولا ضبطه من جملة ذلك انه وجد له من صنف العدس بمكة وحدها ثلاثة وعشرون ألف اردب وقس على ذلك بقية الاشياء وتقدم ان محمد على باشا لما كان بالحجاز رتب معاشات ومرتبات لكثير من الاشراف وغيرهم فاستقبل عثمان باشا ذلك كله وعرف به الدولة فأجازته وأمرت ببقائه وسيره في دوائرها وكذلك تقدم ان محمد على باشا جدد وارفع الجراية المرتبة لاهالي مكة ورتبها على ترتيب غير الذي كانت عليه لانه وجدها بأيدي التجار والاغنياء بالفراغات وليس بأيدي الفقراء منها شئ فأبطل تلك الفراغات ورتبها على ما هي عليه الآن فلما وصل عثمان باشا وصار الحجاز للدولة أبقى دوائر الجراية على الترتيب الذي رتبه محمد على باشا وينبغي ان نذكر هنا تجهيز محمد على باشا على الدرعيه والرياض لقتال فيصل بن تركي بن عبد الله بن أخي عبد العزيز آل سعود فيكون عبد الله والد تركي ابن عم سعود كما تقدم وقد تقدم أيضا ان فيصل بن تركي ملك نجدا بعد أبيه ثم قوي واستقل بملكه ورجع الى اشهار الدعوى التي كان عليها أسلافه فلما بلغت الاخبار محمد على باشا أمر بتجهيز العساكر اليه لقتاله وجعل على تلك العساكر خورشيد باشا الذي كان محافظ مكة سنة سبع وأربعين ووقعت المقتلة بينه وبين تركي بالحجاز كما تقدم بيان ذلك فتجهز خورشيد باشا بالعساكر الكثيرة فسار الى نجد وكان مسيره من المدينة المنورة سنة ثلاث وخمسين فلما وصل الى نجد وقع بينه وبين فيصل بن تركي وقائع حصل فيها قتال شديد يطول الكلام بذكره واستمر الامر بينهما الى ان قبض على فيصل واستولى على الدرعيه والرياض وغيرهما وأرسل فيصل الى مصر لمحمد على باشا سنة أربع وخمسين وكان صحبة خورشيد باشا خالد بن سعود وكان خالد من الاسرى الذين قبض عليهم ابراهيم باشا سنة ثلاث وثلاثين وأرسلهم الى مصر فكبر خالد بن سعود وتربى بمصر فاستحسن محمد على باشا ان يجعله أميرا في نجد بلاد آبائه فأرسله صحبة خورشيد باشا ورتب له المرتبات الجزيلة فلما قبض خورشيد باشا على فيصل بن تركي وأرسله الى مصر أقام خالد بن سعود أميرا في الرياض ومهد له الامور الى ان استقر أمره ورجع خورشيد باشا بالعساكر فاستمر خالد بن سعود سنتين ثم ظهر منه عدم استقامته وعدم سلوكه على الطريقة التي يرتضيها أهل نجد فثار عليه رجل يقال له عبد الله بن ثنيان قيل انه ليس من آل سعود أهل الامارة وقيل انه منهم فتغلب وتابعه الناس وأرادوا الفتك بخالد بن سعود فهرب خالد وجاء الى مكة هاربا وكان يتردد بين مكة وجدة الى ان توفي وكان له معاش جزيل مرتب من محمد على باشا وصار أمر نجد لعبد الله بن ثنيان فلما بلغ الخبر فيصل ابن تركي الذي أرسله خورشيد باشا الى مصر محبوسا صار فيصل يدبر الامر في هربه من مصر ليصل الى نجد وينتزع الملك من عبد الله بن ثنيان فسهل الله له ذلك باعانة عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد على باشا وكان الامر في ذلك الوقت لمحمد على باشا ولابنه ابراهيم وليس لعباس باشا شئ من الامر الا انه كان محبا عند جده محمد على باشا مسموع الكلمة عند رجال دولته وكان يجتمع كثيرا بفيصل بن تركي وهو محبوس فقال له فيصل يوما ان نجدا صارت بيد عبد الله بن ثنيان فلو أتخلص من الحبس وأصل الى نجد انتزع الملك منه ان شاء الله تعالى وأصير خادما لافندينا تحت أمره فوعده

فقال لهم الى هنا انتهى أثره فما أدرى بعد ذلك أصعد السماء أم غاص في الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال لهم أمية بن خلف ما أربكم في الغار ان عليه لعنكبوتا من قبل ميلاد محمد ثم بال حتى سال بوله في الغار بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل العنكبوت وقال انها جند من جنود الله تعالى والراجح ان زهير دقيق يعني حمام الحما وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين ذكره السهيلي وفي الصحيحين والترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدمه أبصرنا تحت قدميه فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما انتهى وكان خوف الصديق رضي الله عنه على رسول صلى الله عليه وسلم لا على نفسه فانه قال يا رسول الله ان قتلت فأنا رجل واحد من أمتك وان أصبت أنت هلكت الامة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسكن روعه ويقوي جأشه ويقول له لا تحزن ان الله معنا فرجع المشركون خزايا وعصم الله تعالى نبيه

عباس باشا بأنه يدبر هذا الامر له وأمره بكتمانه ثم بعد أيام أحضر له ركائب وخيلا خفية ووضعها بموضع بعيد عن مصر واحتال في اخراجه من القلعة الى ان ركبوا طلعوا مع البواب سرا فخرج في ليلة ووصل الى المواضع التي فيها الركائب والخيل هو وبعض اتباعه وركبوها وتوجهوا الى نجد وبعد يومين بلغ خبر هروبه ابراهيم باشا فأركب كثيرا من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه وكان ممن ركب معهم عباس باشا فساروا يومين فلم يدركوه فرجعوا ولم يزل فيصل سائرا هو ومن معه الى ان وصلوا جبل شمر وقصدوا ابن رشيد أمير جبل شمر فأضافهم وأكرمهم وأحسن نزلهم ثم سار بكثير من قومه معهم وقصدوا القصيم فلما وصلوا القصيم قابلهم أهله وأضافوهم وأكرموا نزلهم وساروا معهم بكثير من قومهم معهم فصار الجميع جيشا فقصدوا عبد الله بن ثنيان وهو في الرياض فقاتلوه وحصروه الى ان قبضوا عليه وحبسوه ثم قتل خنقا في الحبس وكان ذلك سنة ثمان وخمسين واستقل فيصل بالملك واستقامت له الامور واستمر الى ان توفي سنة اثنتين وثمانين وأصابه في آخر عمره غشاوة في عينيه فصار لا يبصر وكان يوقف عنده بعض خدمه يعرفونه الناس ويخبرونه بكل من أقبل للدخول عليه قبل ان يصل اليه ولما توفي فيصل قام بالامر بعده ابنه عبد الله ثم وقع بينه وبين اخوته اختلاف وانتزعوا الامر منه وقام به أخوه سعود بن فيصل ثم مات ورجع الامر الى عبد الله وهو باق الى الآن أعني سنة ألف وثلثمائة الا ان ملكه صار ضعيفا جدا لان الدولة العلية انتزعت منه الحساء والقطيف وخرج عن طاعته أهل القصيم وصاروا تحت أمر الدولة وكذلك ابن رشيد أمير جبل شمر قوي ملكه وخرج عن طاعة عبد الله بن فيصل وصار تحت طاعة الدولة ويدفع لهم خراجا وكذلك أهل القصيم يدفعون للدولة خراجا وأميرهم منهم ولم يبق تحت طاعة عبد الله بن فيصل سوى القبائل القريبة منه ولنرجع الى اتمام مدة امارة سيدنا الشريف محمد بن عون وقد تقدم انه كان بينه وبين عثمان باشا غاية المحبة والالفة الى سنة ستين ثم حصل بينهما التنافر والخلاف سببه ان عثمان باشا أغراه بعض الناس على بعض الامراء من الاشراف منهم الشريف سلطان بن شرف والشريف عبد الله بن زيد بن سالم وقالوا له انهم يأخذون أكثر المتحصل من الزكوات المتحصلة من رعاياهم ولا يدخلون الخزانة الا النزر اليسير فتهدد عثمان باشا بعض الامراء الذين قيل فيهم ذلك فلما بلغ الخبر مولانا الشريف محمدا غضب لذلك وحصل بينه وبين عثمان باشا التنافر ونزل عثمان باشا الى جدة وأقام بها وتوجه مولانا الشريف محمد الى الطائف ثم الى المبعوث وأقام به وصار كل منهما ينتظر الجواب من دار السلطنة لان كلا منهما أنهى الى الدولة الشكاية وفي تلك المدة كثر القيل والقال وصار الناس أهل الفساد يثيرون الشر بينهما ويختلقون كثيرا من الاكاذيب وأمر عثمان باشا كرد عثمان كبير العساكر الخيالة ان يتوجه بالعساكر الى المبعوث ويكون في مقابلة سيدنا الشريف محمد وقصد بذلك التخويف والمحافظة عليه فلم يكترث بهم مولانا الشريف بل أذن لهم بالنزول في مقابلته وكان كرد عثمان يأتي اليه ويقبل يده ويجلس عنده وهو يقابله ويكرمه وأرسل عثمان باشا الى الدولة يطلب منهم ارسال الشريف علي بن غالب الى مكة وأظهر ان القصد بذلك حضوره عند أهله لحفظ أموالهم فأذنت الدولة للشريف علي بن غالب بالتوجه وكان مولانا الشريف محمد بن عون عرف محمد علي باشا بما هو حاصل بينه وبين عثمان باشا وكان محمد علي باشا يحب الشريف محمدا لكونه السبب في أصل ولايته امارة مكة فصار محمد علي باشا مجتهدا في نصرته وكان مسموع الكلمة عند الدولة ورجالها فلما توجه الشريف علي بن غالب من دار السلطنة وجاءت الاخبار الى مكة بتوجهه كثرت الاراجيف بمكة وشاع بين الناس انه اذا وصل يتم مراد عثمان باشا ويقبض على مولانا الشريف محمد ويأتي بعد ذلك الشريف عبد المطلب أميرا على مكة وكثرت هذه الاشاعات ولما وصل الشريف علي بن غالب الى مصر أكرمه محمد علي باشا غاية الاكرام

وصاحبه منهم وقد ثبت في صحيح البخاري انهما مكثا في الغار ثلاثا وعن طلحة البصري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مكثت أنا وأبو بكر رضي الله عنه بضعة عشر يوما ومالنا طعام الا البرير قال أبو داود البرير الاراك وفي حديث الهجرة ان أبا بكر رضي الله عنه أمر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقوله المشركون فيهما نهاره ثم يأتيهما ليلا بما يكون في ذلك اليوم من الخبر وأمر مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما في الغار اذا أمسى وكانت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه تأتيهما ليلا بما تصلحه لهما من الطعام وكان عبد الله بن أبي بكر يكون نهاره في قريش يسمع ما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأتيهما اذا أمسى ويخبرهما الخبر وكان عامر ابن فهيرة يرعى غنمه في رعيان مكة واذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبوا لهما فاذا راح عبد الله بن أبي بكر من عندهما الى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم فعفا حتى يعمي أثره على الكفار حتى اذا مضت الثلاثة وسكت عنهما الناس أتاهما صاحبهما

واحتفل به غاية الاحتفال وكان ذلك سنة احدى وستين ثم بعد ذلك بثلاثة أيام توفي وانتقل الى رحمة الله تعالى بعمر فقيل انه مرض وقيل مات مسموما والله أعلم بحقيقة ذلك ثم ان محمد على باشا عرف الدولة العلية بما هو حاصل من عثمان باشا من المضاررة للشريف محمد بن عون وطلب منهم ان يعزلوا عثمان باشا من ولاية جدة ويرجعوه الى مشيخة حرم المدينة وان شريف باشا الذي في المدينة يكون واليا على جدة وشيخ الحرم المكي فاجيب محمد على باشا الى ذلك وصدر الامر من الدولة بذلك فلما جاءت الاخبار لعثمان باشا بما صدر به الامر اغتم ومات من ليلته وقيل انه سم نفسه وكان ذلك أيضا سنة احدى وستين ثم جاء شريف باشا من المدينة بعد وصول الامر له من الدولة العلية ووقع بينه وبين مولانا الشريف محمد بن عون غاية المحبة والالفة واستقامت الاحوال على أتم النظام وفي سنة اثنتين أو ثلاث وستين توجه مولانا الشريف محمد بن عون الى نجد بأمر من الدولة العلية لاخماد فيصل بن تركي أمير الرياض لانه بلغ الدولة انه استفحل ملكه ويخشى من تطاوله كما كان من أسلافه فصدر الامر من الدولة بتوجيه العساكر لقتاله واخماده وان يكون ذلك بمعرفة الشريف محمد بن عون وتدبيره فأخذ العساكر وتوجه بنفسه وكان توجهه من المدينة ولم يزل سائرا بالعساكر والقبائل تطيعه وسار معه ابن رشيد أمير جبل شمر بكثير من القبائل فلما وصلوا الى القصيم نزلوا به فقابلهم أهل القصيم وأعطوهم الطاعة ووعدوهم النصر فلما بلغ الخبر فيصل بن تركي دخله غاية الرعب وأرسل لاهل القصيم وطلب منهم ان يجتهدوا له في عقد صلح ويضعوا عليه خراجا فاجتهدوا مع مولانا الشريف محمد في الصلح الى ان رضي ووضعوا على فيصل بن تركي خراجا لكل سنة عشرة آلاف ريال فرضي بذلك فيصل وتم الصلح ورجع مولانا الشريف محمد بالعساكر في سنة ثلاث وكان رجوعه من الشرق الى الطائف واستمر فيصل يدفع ذلك الخراج سنين كثيرة الى ان توفي فيصل ثم انقطع دفع ذلك الخراج وتقدم ان وفاة فيصل كانت سنة اثنتين وثمانين وفي سنة أربع وستين تخلى محمد على باشا عن ملك مصر لمرض أصابه فقام ولده ابراهيم باشا ومكث نحو احد عشر شهرا وتوفي في ذي الحجة من السنة المذكورة فاقيم في ولاية مصر عباس باشا ابن طوسون باشا ابن محمد على باشا وفي رمضان سنة خمس وستين توفي محمد على باشا وعمره تسع وسبعون وفي سنة أربع وستين وجهت الدولة للشريف عبد الله بن مولانا الشريف محمد بن عون رتبة باشا مير ميران نيشان ولاخيه الشريف على رتبة باشا أمير الامراء نيشان ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف الحسين ثم جاء بعد مدة مثل ذلك لاخيه الشريف عون الرفيق ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لاخيه الشريف عبد الله ثم بعد مدة ترقى الجميع الى ان أعطوا رتبة الوزارة وفي سنة خمس وستين عزل شريف باشا وتولى بدله حسيب باشا وفي هذه السنة توجه الشريف عبد الله باشا بكثير من العساكر الى بيشة لاخماد عسير لانهم تطاولوا واستولوا على بيشة وبني شهر فسار بالعساكر وأرجع تلك المواضع الى حكم الدولة وعقد صلحا مع عسير على أنهم لا يتجاوزون بلادهم وفي هذه السنة أيضا توجه سيدنا الشريف محمد بن عون الى المدينة بكثير من العساكر الباقية بعد الذين توجهوا الى بيشة مع الشريف عبد الله وكان توجه مولانا الشريف محمد الى اليمن من طريق البحر وانتزع الحديدة والمخا وزبيد وبيت الفقيه من يد الشريف الحسين بن على بن حيدر لانه كان تغلب عليها وملكها فلما وصل مولانا الشريف محمد بالعساكر خاف الشريف الحسين وسلم البنادر المذكورة لسيدنا الشريف محمد بلا قتال ووعده بان الدولة ترتب له مرتبات في مقابلة ذلك ووفى له بذلك ثم بعد تملكه تلك البنادر رتبها وجعل فيها أمراء وجعل الشريف عبد الله بن شرف في المخا وكان قد أعطي رتبة باشا ومكث هناك أميرا الى أن توفي بعد سنة وأما سيدنا الشريف محمد فانه بعد تملكه البنادر أرسل العساكر الى صنعاء ومعها امعاونة توفيق باشا والسيد اسحق شيخ السادة ومعهم محمد بن يحيى من أبناء

الذي استأجراه ليريهما الطريق وأتتهما أسماء رضي الله عنها بسفرتها وارتحلا وبقية أخبار هجرتهما في السير فليراجعها من أرادها
• ورحم الله الابوصيري حيث قال في بردته
وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما
وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الاطم
قال المرجاني في بهجة النفوس ذكر لي ان رجلا كان له أموال وبنون وانه أصيب بذلك فلم يحزن ولم يجزع على مصائبه لقوة صبره فسألته فقال روي انه من دخل غار ثور الذي آوى اليه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه وسأل الله تعالى أن يذهب عنه الحزن لم يحزن على شئ من مصائب الدنيا وقد فعلت ذلك فما أجد حزنا
• وقال المرجاني رحمه الله تعالى هذه الخاصية من

أثقبة صنعا فتملكوا صنعاء ووضعوا فيها اماما محمد بن يحيى ثم بعد أيام ثار عليه أهل صنعاء وقتلوه وقتلوا توفيقا باشا وبعض العسكر وأخرجوا الباقين وأما الحديدة وبقية البنادر فبقيت على ما رتبها عليه سيدنا الشريف محمد بن عون ورجع من سفرته وكان رجوع ابنه الشريف عبد الله من بيشة قبل رجوعه وفي مدة غيبتهما كانت أكثر الاحكام تصرف حسيب باشا ورتب مجلسا من العلماء والمفاتي الاربعة في كل أسبوع وصار يصنع لهم طعاما من أفخر الاطعمة الملوكية في كل أسبوع وأظهر في أول الامر انه يريد التحقيق في الاحكام الشرعية واجراءها على طبق الشرع الشريف وقسم هدايا جزيلة على العلماء ثم ظهر بعد ذلك انه انما يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدي الناس الذين استولوا عليها بالفراغات الشرعية فلم يمكنوه من ذلك وقال له مفتي مكة السيد عبد الله المرغني لا يسوغ لك ذلك بحال فعزله وقلد منصب الافتاء للسيد محمد الكتبي الحنفي الازهري وظن أنه يوافقه على مراده فصار السيد محمد الكتبي متحيرا في هذا الامر وانعقد لذلك مجالس كثيرة في كل أسبوع فأراد حسيب باشا فتح دعوى على السيد عبد الله بن عقيل أخي السيد اسحق شيخ السادة لينتزع منه دارا بناها السيد عبد الله المذكور بالقرب من الصفا وأصلها من الاوقاف السلطانية فلما تحقق السيد عبد الله بن عقيل انه يريد فتح الدعوى عليه ركب بالليل على ركائب وتوجه من طريق البر الى مصر ثم منها الى دار السلطنة وكتب أهل مكة محضرا خفية عن حسيب باشا وبعثوا به الى السيد عبد الله بن عقيل ليقدمه الى مولانا السلطان وفيه جملة من أختام أعيان أهل مكة من العلماء والاشراف والسادة وغيرهم مضمونه الشكاية من حسيب باشا وانه يريد انتزاع الاوقاف السلطانية من أيدي أهلها الواضعين أيديهم عليها بالفراغات الشرعية فقدمه السيد عبد الله بن عقيل لمولانا السلطان وانعقد لذلك مجالس في دار السلطنة ثم برز الامر من السلطنة السنية بمنع حسيب باشا عن التعرض للاوقاف السلطانية وابقائها على ما كان وتحرر لذلك فرمان سلطاني بطرة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وجاء به السيد بن عقيل وكان حسيب باشا بعد ان تحقق توجه السيد عبد الله بن عقيل الى دار السلطنة أمسك عن فتح الدعاوي في الاوقاف السلطانية ينتظر ماذا يكون بعد وصول السيد عبد الله بن عقيل فلما جاء السيد عبد الله بن عقيل بالفرمان المذكور بطل كل ما أراده حسيب باشا واطمأن الناس وكان الفرمان المذكور بالعربي والخطاب فيه لامير مكة سيدنا الشريف محمد بن عون فقرئ الفرمان بحضوره وحضور حسيب باشا وجمع من وجوه الناس فامتثل ذلك حسيب باشا ورجع عما كان في عزمه وبقي هذا الفرمان محفوظا عند السيد عبد الله المرغني بعد ان عزل ونصب قاضي مكة ثم جاء الامر من شيخ الاسلام عارف عصمت بيك خطيب باشا بارجاع منصب الفتوى للسيد عبد الله المرغني ففعل ذلك ثم جاء بعد ذلك العزل لحسيب باشا في شوال سنة ست وستين وكان ابتداء ولايته في آخر سنة أربع وستين ووصل الى مكة في المحرم سنة خمس وستين فكانت مدة ولايته بمكة سنة وتسعة أشهر وولي بعده عبد العزيز باشا الملقب آقه باشا واشتهر بلقبه فوصل الى مكة في شوال سنة ست وستين وتوجه حسيب باشا الى المدينة للزيارة ثم منها الى دار السلطنة وكان معه شريف باشا الا انه لما عزل حسيب باشا لم يتوجه الى دار السلطنة بل بقي بمكة مصطحبا مع حسيب باشا الى أن توجها معا بعد عزل حسيب باشا ومجيء آقه باشا الملكة وفي سنة سبع وستين نزل الشريف عبد الله باشا الى جدة ومعه أخوه الشريف علي باشا لقضاء بعض أشغال لهما فضرا وما عند آقه باشا وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة فابرز لهما أمرا ساميا من الصدر الاعظم رشيد باشا مضمونه حضورهما مع والدهما سيدنا الشريف محمد ابن عون الى دار السلطنة فامتثلا الامر وطلعا الى المراكب وكتب ابنه باشا الى والدهما سيدنا الشريف محمد بن عون يعلمه بذلك الامر فامتثل الامر ونزل الى جدة وركب مع ولديه في المراكب

تأثير قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا انتهى * وهذا الغار مشهور معروف يتلقاه الخلف عن السلف ويزوره الناس ويدخلون اليه من بابه الكبير الذي يروى ان جبريل عليه السلام ضربه بجناحه ففتحه وقل أن يدخل اليه أحد من بابه الضيق لان الدخول عسير ويحتاج الى فطنة والمشهور عند العوام أن من حبس فيه لا يكون ابن أبيه وذلك كلام باطل لا أصل له وقد تعوق فيه قديما وحديثا كثير من الناس وأخذ لهم حجارون من مكة وقطعوا عنه وتكرر ذلك كثيرا في كل عصر ومع ذلك لم يتسع كثيرا بل يتعوق الناس فيه للجهل بكيفية الدخول خصوصا اذا كان سمينا بطينا * وطريق الدخول فيه ان الداخل اليه ينبطح على وجهه ويدخل رأسه ويكتفيه ثم يميل الى جانب يساره فلا يجد ما يعوقه ويسلك مائلا الى اليسار وأما من لا يعرف طريق الدخول فيدخل رأسه وكتفيه مستمرا على الانبطاح فتصادمه صخرة أمامه وتعوقه فيرفع رأسه الى فوق ويخرج بوسطه فلا يمكنه الولوج لجسمه وكلما اشتد في الدخول

وتوجهوا الى دار السلطنة ومعهم بعض العسكر من طرف آقه باشا وأقام آقه باشا في مكة الشريف منصور بن الشريف يحيى بن سرور قائمامقام أمير مكة وشاع بين الناس ان الدولة تريد توجيه الامارة لسيدنا الشريف عبد المطلب وحسن السيد اسحق لآقه باشا انه يطلب توجيه الامارة للشريف منصور بن يحيى ويكتب في ذلك وأعطيه محضرا من الاشراف وغيرهم من أعيان الناس مضمونه طلب الامارة للشريف منصور فلم يصادف ذلك عند الدولة العلية قبولا بل وجهت الامارة لمولانا الشريف عبد المطلب في شهر رمضان ووصل الى مكة في ذي القعدة من السنة المذكورة ولما وصل مولانا الشريف محمد وأولاده الى دار السلطنة حصل لهم غاية العز والاكرام وانزلوا في المنزل اللائق بهم وأجرى عليهم الضيافة اللائقة ثم الترتيب اللائق بهم مدة اقامتهم وولد الشريف عبد الله بمكة وهو في دار السلطنة مولود تركه في بطن أمه سموه شرفا كانت ولادته في آخر سنة سبع وستين وولد لاخيه الشريف على بدار السلطنة ولده الشريف حسين وكانت ولادته سنة سبعين وفي شهر المحرم من سنة ثمان وستين توجه سيدنا الشريف عبد المطلب لاصلاح قبائل حرب وابناء قلاع في الحربية وقابله قبائل حرب بالطاعة ومكنوه من بناء القلاع فبناها وأقام بها عسكرا ثم توجه الى المدينة وأقام بها مدة ورجع الى مكة في آخر السنة المذكورة وقد وقع بينه وبين آقه باشا اختلاف وتنافروا دعى على آقه باشا انه ضاره مدة اقامته في الحربية في ارسال الذخائر والخزائن والمهمات وانعقد بينهما مجلس في شهر الحج في دار أمير الحاج الشامي الذي جاء في ذلك العام وهو أحمد عزت باشا الارزنجاني فأعان الشريف عبد المطلب وأثبتوا الخطأ على آقه باشا فأرسل مولانا الشريف عبد المطلب للصدر الاعظم رشيد باشا يطلب عزل آقه باشا وتوجيه ولاية جدة لاحمد عزت باشا الارزنجاني فأجيب الى ذلك لانه كان بين الشريف عبد المطلب ورشيد باشا صداقة فلما رجع أحمد عزت باشا بالحج الى الشام وجهت له ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي وعزل آقه باشا فجاء أحمد عزت باشا المذكور الى مكة صحبة الحج الشامي في شهر ذي الحجة سنة تسع وستين ومائتين وأنشأ أحمد عزت باشا هذا هو الذي بنى البيت الذي بالزاهر بالقرب من شهداء فخ في مدة ولايته هذه وفي سنة سبعين توفى عباس باشا صاحب مصر وأقيم في ولاية مصر سعيد باشا ابن محمد على باشا وفي سنة سبعين كان الشروع في عمارة المسجد النبوي عمره السلطان عبد المجيد بعمارة عجيبة لم ير الراؤن أحسن منها واستمر في تعميره نحو أربع سنين والبناء الذي كان قبله تعمير السلطان قايتباي سلطان مصر ثم ان أحمد عزت باشا المتولي ولاية جدة لما وصل الى مكة حصل بينه وبين الشريف عبد المطلب اختلاف ومنافرة بعد وصوله بأيام قلائل حتى صار الناس يتعجبون من سرعة وقوع الاختلاف بينهما ثم طلع كل منهما الى الطائف مع وجود تلك المنافرة فاتفق ان عزت باشا المذكور طلع يوما الى الوهط لزيارة عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما على ما يزعمه كثير من الناس والصحيح ان عكرمة مدفون بالشام فلما رجع عزت باشا من الوهط قرب المغرب صار عليه رمى بالبنادق من الجبال القريبة من المثنى فقيل ان بعض الرصاص أصاب طربوشه وسلمه الله منها فوقع في ظنه ان وقوع هذا الامر انما كان باغراء الشريف عبد المطلب فاستحكمت العداوة بينهما فنزل الى مكة ولم ينزل الشريف عبد المطلب في تلك السنة من الطائف وكتب كل منهما الى الدولة العلية يشكو من صاحبه بشكايات فعزلت الدولة أحمد عزت باشا وولوا كامل باشا فوصل الى مكة سنة سبعين في شهر رجب فنزل الشريف عبد المطلب من الطائف قبل قدومه وقابله وآنسه وصار بينهما محبة وألفة وكان بينهما محبة سابقة حين كان الشريف عبد المطلب في دار السلطنة ثم بعد أيام صنع كامل باشا تعليما للعساكر النظامية بالابطح وحضر هو والشريف عبد المطلب وغيرهما ممن يعتاد حضورهم وفي أثناء حصول ذلك التعليم جاء شخص للشريف عبد المطلب وأخبره

تحرق وأغبس فيحتاج الى حجار يقطع قليلا يخلصه ولا يتفطن للمبل الى جهة ليخلص بسهولة ولكن الحرق قد اتسع كثيرا الآن ومن الجبال المباركة في الحرم جبل ثبير وهو على يسار الذاهب الى عرفات في منى وهو الذي أهبط عليه الكبش الذي فدى به سيدنا اسماعيل عليه السلام قال مجد الدين الشيرازابادي في كتابه الوصل والمنى في فضل منى ان أبابكر النقاش المفسر قال في مناسكه ان الدعاء يستجاب في ثبير الاثبرا الذي يطلبه مغارة الفتح لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة وذكر ان بقرب المغارة التي أنشأها بلحف ثبير تعتكف عائشة رضى الله عنها وقال التقي الفاسي ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة انتهى قلت هذه الصخرة غير معروفة الآن قال رحمه الله تعالى حدثني محمد بن يحيى قال حدثنا عبد العزيز بن عمران عن معاوية الازدى عن معاوية بن قرة عن الخلد بن أيوب عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى

بانهم يريدون القبض عليه في هذا اليوم فقام كأنه يريد قضاء حاجة وخرج من المجلس وغاب طويلا
ثم جاء الخبر لكامل باشا انه ركب وتوجه الى الطائف فتفرق الجمع الذين كانوا مجتمعين لحضور التعليم
وكان تفرقهم بعد تمام التعليم على ماهو المعتاد ولم يعلم أحد بحقيقة الحال الا بعد مدة وبقي الشريف
عبد المطلب بالطائف واستحكمت العداوة بينهما أكثر مما كانت مع عزت باشا وآقه باشا وكان
الشريف عبد المطلب يتهم السيد اسحق لانه هو الذي يلقي العداوة بينه وبين الولاة لان السيد
اسحق كان من أكبر المحبين للشريف محمد بن عون فلما تولى الشريف عبد المطلب نزل الى جدة
واستقبله عند قدومه ومدحه بقصيدة وصار يصانعه ويظهر له الصداقة فلم يأمنه الشريف عبد
المطلب لكونه يراه مصطحبا مع الولاة فان آقه باشا كان مقربا للسيد اسحق يستشيره في كثير من
مهمات الامور ثم صار بعده عزت باشا كذلك ثم كامل باشا كذلك وكانت تأتيهم مكاتيب من
الصدارة ومن شيخ الاسلام بالتوصية على السيد اسحق وكان استخراج تلك المكاتيب من الصدارة
ومشيخة الاسلام بواسطة الشريف محمد بن عون وابنه الشريف عبد الله فلما رأى الشريف عبد
المطلب شدة اتصال السيد اسحق بالولاة ورأى محبتهم له لم يأمنه وصار يظهر له الكراهة واذا
حضر عنده لم يلتفت له كل الالتفات وكان قد عزله من مشيخة السادة سنة تسع وستين بعد عزل
آقه باشا وتولية عزت باشا وأقام في مشيخة السادة أخاه السيد عبد الله بن عقيل وبعد عزله
زاد اتصاله بالولاة وزاد تقريبهم له ومحبتهم اياه لاسيما والمكاتيب من دار السلطنة تتوالى
بتكرارها عليهم فاستحكمت العداوة بين السيد اسحق والشريف عبد المطلب وزاد على ذلك ان
الناس الذين يسعون بالفساد صاروا يوشون بينهما وينقلون أشياء تتوغر منها الصدور
ويشيعونها بين الناس ففي سنة احدى وسبعين والشريف عبد المطلب بالطائف وكامل باشا بجدة
أرسل الشريف عبد المطلب من الطائف عسكرا من عسكر بيشة للقبض على السيد اسحق
والاتيان به الى الطائف فجاؤا خفية من طريق الحسينية والسيد اسحق بداره المعروفة بالهدالة
فوجدوه بالبستان المتصل بالدار وعنده نجار يصطنع له ساقية فقبضوا عليه وذهبوا به على طريق
الحقائر ثم على الحسينية وتوجهوا به الى الطائف فلما جاء الخبر الى مكة لقائم مقام كامل باشا أركب
العساكر ليدركوهم ويخلصوه منهم فلم يدركوهم فلما وصل السيد اسحق الى الطائف أركبوه حمارا
اسود قصيرا وكان السيد اسحق طويلا ذا هيئة مهيبة فكان ذلك تعزيرا له وطافوا به في الطائف
وسوقه وعسكر بيشة والعبيد محيطون به ثم حبسوه في القلعة التي في المثناة المسماة مترقه تجاه
دار الشريف عبد المطلب الكبيرة التي بناها في العام الذي قبله ثم بعد ليلتين أخرجوه منها ميتا
فصار بذلك تهمة على الشريف عبد المطلب فمن قائل انه مات خنقا وقائل انهم عصروا خصيتيه
حتى مات والله أعلم بحقيقة الحال فلما بلغ خبر موته كاملا باشا وهو بجدة غضب غضبا شديدا
وأرسل رمزي أفندي مدير الحرم الى دار السلطنة ليبلغ هذا الخبر وكثر في ذلك القيل والقال
وبقي الشريف عبد المطلب بالطائف وما نزل ولا في وقت الحج وانقضت السنة والاراجيف كثيرة
فلما كان شهر صفر من سنة اثنين وسبعين وصل الى جدة من دار السلطنة باشا فريق يسمى راشد
باشا وشاع بين الناس انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب وتنصيب الشريف عبد الله بن ناصر
ابن فواز بن عون قائمقام الشريف محمد بن عون وكان متزوجا ببنت الشريف محمد وأبوه ابن عم
الشريف محمد وكان وكيلا على بيته وأمواله في مدة غيبته واتفق في تلك الايام التي قدم فيها راشد
باشا انه ورد التنبيه من كامل باشا لقائم مقامه بمكة ان يعمد لدلالي الرقيق ويمنعهم من بيع الرقيق
بمقتضى أمر جاء لكامل باشا من الدولة ففعل قائم مقام الباشا ما أمره به فصار للناس من ذلك ارتجاج
واضطراب وصاروا يقولون كيف يمنع بيع الرقيق الذي أجازه الشارع وهاج الناس هيجا شديدا

فغارت من قطعه ثلاثة
أجبل فوقعت بمكة وثلاثة
أجبل بالمدينة فوقع بمكة
حراء وثبير وثور ووقع
بالمدينة أحد وورقان
ورضوى ومنها الجبل
المقابل لثبير الذي بلحفه
مسجد الخيف لان فيه
غارا يقال له غار المرسلات
فيه أثر رأس النبي صلى
الله عليه وسلم قال ابن
جبير بعد أن ذكر مسجد
الخيف ويقربه على يمين
المار في الشارع حجر
مستدير الى سفح الجبل
مرتفع عن الارض يظل
ما تحته ذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم قعد
تحته مستظلا ومس رأسه
الكريم فلان الحجر حتى
أثر فيه تأثيرا بقدر دورة
الرأس فيضع الناس
رؤسهم في هذا الموضع
تبركا بموضع رأس رسول
الله صلى الله عليه وسلم
كي لا تمس رؤسهم النار
برحمة الله عز وجل وقال
ابن خليل يستحب أن
يزور مسجد المرسلات
ونزلت فيه المرسلات وهو
يمين مسجد الخيف وذكر
المحب الطبري في كتابه
القرى عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال
بينا نحن مع النبي صلى
الله عليه وسلم في غار بمنى
اذ وثبت علينا حية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم
اقتلوها فابتدرناها فذهبت

فاجتمع جماعة من طلبة العلم عند الشيخ جمال شيخ عمر وكان رئيس العلماء وقالوا نذهب الى القاضى ونذاكره فى ذلك ليراجع كاملا باشا وهو يراجع الدولة فى ذلك فاجتمع معهم وهم ذاهبون الى بيت القاضى خلق كثير من غوغاء الناس فلما دخلوا الى القاضى فزع منهم وهرب ودخل الى بيت حريمه فزاد هيجان الناس واضطرابهم وهاج بسبب ذلك بعض العساكر الضابطية الذين كانوا فى دار الحكومة ورأوا بعض الناس حاملين السلاح ويقولون الجهاد فثار من ذلك فتنة عظيمة وصار الرمى بالبندق من الفريقين وانتشرت الفتنة ورمى البندق فى الاسواق والطرقات وصار القتل لكثير من العساكر وغيرهم وتوقف بعض العساكر مع بعض أهل البلد فى المسجد الحرام وصاروا يترامون بالبندق وقتل فى المسجد أناس من ذلك الرمى ففزع بعض الناس الى الشريف منصور ابن الشريف يحيى بن سرور وهو فى داره وسألوه تسكين هذه الفتنة فاطلق مناديا فى مكة لمنع الناس من الفتنة فامتثلوا أمره وأمن الناس وتحفظ على العساكر الشاهانية وأطلع كثيرا منهم القلعة وكذلك الشريف عبد الله بن ناصر أدخل كثيرا من العسكر فى دار الشريف محمد بن عون وسكنت الفتنة فلما جاء الخبر فى الطائف للشريف عبد المطلب جمع القبائل وقال انى أريد حماية أهل مكة لئلا يصيبهم ضرر من كامل باشا بسبب ما صار منهم فلما وصلت لكامل باشا الاخبار الاولى التى حصل منها الفتنة أرسل الى أهل مكة بالامان وانه يراجع الدولة فى أمر الرقيق فلم يطمئن الناس بذلك بل صاروا خائفين من سطوته ثم لما بلغه ان الشريف عبد المطلب جمع القبائل ويريد المجىء بهم الى مكة أرسل وطلب الشريف عبد الله بن ناصر الى جدة وكذلك طلب الشريف منصور بن يحيى وقيل ان الشريف منصورا توجه الى جدة بلا طلب خوفا من الشريف عبد المطلب وتباعدا عن الفتنة ثم توجه الشريف عبد المطلب بالقبائل من الطائف وجاء بهم الى مكة وكان العساكر الشاهانية بالقلعة ومعهم أويس باشا قنذان العساكر فاقام كامل باشا الشريف عبد الله بن ناصر قائمقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وكتب للشريف عبد المطلب انك معزول وان الدولة وجهت امارة مكة للشريف محمد بن عون وقد أقام الشريف عبد الله بن ناصر قائمقامه فلم يقبل منه الشريف عبد المطلب ذلك وعقد مجمعا فى داره التى فى القرارة وأحضر فيه كثيرا من الاشراف والسادة والعلماء وأعيان الناس وأخبرهم انى انما جئت بالقبائل لحمايتكم ونصرة الدين وعقد عهودا ومواثيق بينهم وصار أهل الحارات حاملين للسلاح ويعسون فى البلاد طول الليل ثم ان كاملا باشا جهز عسكرا من جدة بعد ان أقام الشريف عبد الله بن ناصر قائمقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وأرسله مع العساكر الذين جهزهم الى بحره ومعهم أيضا راشد باشا الفريق الذى قدم من دار السلطنة فنصبوا العرضى فى بحره وكتب الشريف عبد الله بن ناصر للامراء من الاشراف وللقبائل وأهالى مكة يخبرهم بحقيقة الحال ولم يقبل ذلك الشريف عبد المطلب وقال هذا كله تزوير واختلاق من كامل باشا وجهز كثيرا من القبائل وأرسلهم مع بعض الامراء من الاشراف وغيرهم لقتال العسكر الذين فى بحره فهجموا على العرضى ووقع القتال بين الفريقين ثم انهزمت تلك القبائل ورجعت الى مكة وتكرر ذلك ثلاث مرات وهم ينهزمون فى كل مرة منها وتكررت مكاتبات الشريف عبد الله بن ناصر لكثير من الاشراف وشيوخ القبائل وبقية الناس فصاروا يتأخرون عن الشريف عبد المطلب ودخلهم الفشل وذهب كثير من الاشراف وشيوخ القبائل الى العرضى فى بحره عند الشريف عبد الله بن ناصر فصار يكرمهم بالكساوى وعطايا الدراهم ثم انتقل بالعرضى الى الشميسى فلما تحقق الشريف عبد المطلب ان كثيرا من الناس تخلوا عنه وأخذوا الامان من الشريف عبد الله بن ناصر عزم على الخروج من مكة والتوجه الى الطائف وقال للاشراف ولاهل مكة ومن بقى معه من القبائل قد أعذرتكم فخذوا الامان لانفسكم من

فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقيت شركم كما وقيتم شرها أخرجه البخارى * وقال السيد التقى الفاسى رحمه الله بلغنى عن شيخنا المجد الشيرازى أنه قرأ فى هذا الغار سورة المرسلات فى جماعة فخرجت عليهم حية فابتدروها ليقتلوها فهربت وهذا من غريب الاتفاق لموافقته للقصة التى اتفقت للنبى صلى الله عليه وسلم * ومنها جبل الخندمة وهو جبل كبير خلف أبى قبيس * قال الفاكهى حدثنى أبو بكر أحمد بن محمد المليكى حدثنا عبد الله ابن عمرو بن أسامة قال حدثنا أبو صفوان المروانى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ما مطرت مكة قط الا وكان للخندمة غرة وذلك ان فيها قبر سبعين نبيا انتهى وهى مشرفة على أجياد الصغير وشعب عامر وهى معروفة الآن عند الناس بمكة * وأما المساجد المأثورة المباركة فمنها ما قد اعمى أثره ولا يعرف مكانه فلا نطول كتابنا بذكره * وأما الموجود المعروف منها فعدة مساجد * منها مسجد الاجابة على يسار الذاهب الى منى فى شعب بقرب ثنية أذاخر يقال ان النبى صلى الله عليه

الشريف عبد الله بن ناصر وانى أريد التوجه الى الطائف وأتجهز منه ثم أتوجه الى دار السلطنة من طريق البر ثم توجه الى الطائف ومعه بعض أتباعه وكان ذلك فى آخر شهر ربيع الاول من السنة المذكورة ثم سار الشريف عبد الله بن ناصر وراشد باشا ومن معهما من العساكر من الشميسى ودخلوا مكة وأطلقوا المنادى بولاية سيدنا الشريف محمد بن عون امارة مكة وأمنوا الناس ولم يعاقبوا أحدا من الناس الذين قاموا فى تلك الفتنة واطمأنت البلاد وسكنت الفتنة ونصبوا العرضى الذى فيه العسكر الذين جاؤا معهم فى الابطح وصار الشريف عبد الله بن ناصر يطلع فى الليل يبيت فى العرضى فى صيوان نصب له هنالك ويجلس فيه فى النهار أيضا فى بعض الاوقات وفى بعضها ينزل الى دار سيدنا الشريف محمد بن عون وصارت أحكام البلاد كلها مفوضة اليه وأما الشريف عبد المطلب فانه لما وصل الى الطائف وهو عازم على التجهز والتوجه الى دار السلطنة من طريق البر جاءه بعض الناس ونقضوا عزمه عن التوجه الى دار السلطنة وحسنوا له ان يجمع قبائل الحجاز كبنى سعد وغامد وزهران ويجعلهم مع قبائل الطائف كثقيف وبنى سفيان ويقاتل بالجميع الشريف عبد الله بن ناصر ومن معه ويخرجهم من مكة فوافقهم على ذلك وترك التوجه الى دار السلطنة وأرسل للقبائل المذكورة فجمعهم ودفع لهم أموالا من عنده وكان فى قلعة الطائف عسكر من عساكر الدولة فأخرجهم منها واستولى على القلعة ثم أمر عسكر الدولة الذين كانوا فى القلعة ان يتوجهوا الى مكة وكانت الطرق كلها مخوفة لانتشار العربان والقبائل فيها وكان الشريف فواز بن ناصر أخو الشريف عبد الله بن ناصر فى بلاد لهم تسمى رحاب ومعه اخوانه وأهله فخاف على عسكر الدولة الذين أخرجوهم من الطائف ان تتخطفهم الاعراب فى الطريق فعارضهم بعد أن خرجوا من الطائف وذهب بهم الى رحاب وأضافهم وأكرمهم ثم سير معهم من أوصلهم الى الشريف عبد الله بن ناصر ولما اجتمع كثير من القبائل عند الشريف عبد المطلب فى شهر جمادى الاولى من السنة المذكورة أرسلهم الى مكة وجعل عليهم أميرا الشريف الحسين بن منصور الشنبرى ومعه جماعة من الاشراف الذين كانوا مع الشريف عبد المطلب فهجموا على العرضى الذى فى الابطح وثار الحرب بين الفريقين وكان الشريف عبد الله بن ناصر فى ذلك الوقت بمكة فلما جاءه الخبر ركب مسرعا وتواقف الفريقان الى ان جاء الليل فصعد القبائل التى جاءت من عند الشريف عبد المطلب الى الجبال وتحصنوا فيها وباتوا الى ان أصبح الصباح فأعادوا الحرب ثم انهزموا هزيمة شنيعة وقتل كثير منهم وجاؤا برؤسهم الى مكة ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل آخر شهر رجب وسيرهم كالاولين فخرج الشريف عبد الله بن ناصر بالعساكر الى عرفة حين بلغه اقبالهم ليقاتلهم هنالك فلما أقبلوا انتشب القتال بعرفة ثم انهزموا مثل الهزيمة الاولى ثم جهز الشريف عبد المطلب جيشا آخر من القبائل فى أواخر شعبان وسيرهم كالذين قبلهم ومعهم الشريف الحسين ابن منصور الشنبرى وبعض الاشراف وقيل ان الشريف عبد المطلب سار معهم بنفسه فى هذه المرة فهجموا على العرضى الذى فى الابطح واقتتلوا الى ان جاء الليل فتحصن القبائل بالجبال واتخذوا لهم متارس وبات الشريف عبد الله بن ناصر تلك الليلة فى العرضى فى غاية الاحتراس خوفا على العساكر الشاهانية ان تهجم عليهم القبائل فى الليل وفى تلك الليلة جاء البشير من جدة بخبر وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى جدة وكان ذلك فى ثامن شعبان فبات العساكر تلك الليلة فى العرضى فى فرح وسرور ومظهرين الزينة فى العرضى حين وردا الخبر اليهم باطلاق المدافع والصواريخ وغير ذلك فلما أصبحوا انتشب القتال قليلا ثم انهزمت تلك القبائل هزيمة أقبح من التى كانت قبل ذلك ورجعوا الى الطائف بعد ان قتل كثير منهم وجئ برؤسهم الى مكة ثم بعد يومين وصل سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة ومعه ابنه الشريف على باشا وأما ابنه الشريف عبد الله باشا فانه تأخر فى دار

وسلم صلى فيه وهو منهدم وفيه حجر مكتوب فيه انه مسجد الاجابة وانه عمر فى سنة عشرين وسبعمائة وعمر قريبا ثم انهدم وبنى حوله العربان بيوتا وهم يصلون فيه ويعمرونه الا انه يحتاج الى أعظم من هذا (ومنها مسجد بأعلى مكة) يقال انه مسجد الجن قال الازرقى فى تسمية أهل مكة مسجد الحرس فى مقابل الحجون وأنت مصعد على يمينك واعاسمى مسجد الحرس لان العسس يجتمعون عنده ليلا قال وهو فيما يقال الموضع الذى خط له رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليلة استمع عليه الجن وان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اه قلت وهذا المسجد الذى تحت الموضع الذى يسمى الآن القرهادية بينهما طريق ضيق والله أعلم ومنها مسجد الراية فيه مأذنة ذات دورين تهدم رأسها الآن ويقال لها منارة أبى شامة وامامه الى جانب اليسار بئر معطلة الآن يقال انها بئر جبير بن مطعم ابن عدى بن نوفل ويقال ان النبى صلى الله عليه وسلم ركز رايته يوم الفتح فى هذا المسجد ومنها مسجد بالدعاء عند الميل الايمن للمستقبل فى مقابلة زقاق الحجر ورة

السلطنة ثم أعطى رتبة الوزارة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ثم بعد وصول سيدنا الشريف محمد بن عون الى مكة بأيام تجهز بالعساكر وتوجه بهم الى الطائف ومعه ابنه الشريف علي باشا والشريف عبد الله بن ناصر وكثير من الاشراف والقبائل وكان توجههم بعد ان أرسلوا للشريف عبد المطلب يعطونه الامان وان يترك القتال فامتنع وتحصن بالطائف واستعد للقتال وأمر أهل الطائف بحمل السلاح على مثل الحال الذي كان سنة ثلاث وأربعين وكان عنده بالطائف بعض من قبائل هذيل وثقيف وبني سفيان فلما قرب الشريف محمد بالعرضي من الطائف هربوا من الطائف وذهبوا للشريف محمد بن عون ولما توجه الشريف محمد بالعرضي من مكة في أواخر شعبان ولم يزل سائرا والقبائل تقبل عليه من كل ناحية يعرضون عليه ويطلبون الامان وهو يؤمنهم ويكرمهم بالضيافة والدراهم والكساوي من الجوخ والشيلان فلما قرب من الطائف أمر بنصب العرضي في العقيق في الموضع الذي نصب فيه سنة ثلاث وأربعين وحاصروا الطائف وضربوا عليهم المدافع ولم يبق عند الشريف عبد المطلب أحد غير أهل الطائف والشريف الحسين بن منصور الشنبري وبعض الاشراف فلما اشتد الحصار على أهل الطائف خرج جماعة منهم بالحيلة ووصلوا الى العرضي وقابلوا سيدنا الشريف محمدا وأخذوا منه أمانا لانفسهم ولاهل الطائف وللشريف الحسين ابن منصور الشنبري ومن معه من الاشراف ثم فتحوا باب السور وأدخلوا العساكر فأحاطوا بالدار التي كان فيها الشريف عبد المطلب ثم أعطوه الامان على نفسه وقبضوا عليه وأركبوه على فرس وأحاط به الشريف علي باشا والشريف عبد الله بن ناصر وأتباعهما وساروا به الى ان أوصلوه العرضي وسلموه للشريف محمد بن عون وكان ذلك في شهر رمضان من السنة المذكورة فأنزله الشريف محمد بن عون في داره التي بالطائف عند باب الحرم وجعل عليه عسكرا للتحفظ واطمأنت الناس وزالت الفتنة وأمنت الطرق وفي شهر شوال أنزلوا الشريف عبد المطلب من الطائف الى مكة والعساكر محيطة به للتحفظ وبعد وصوله الى مكة أنزلوه الى جدة وسلموه لكامل باشا فأركبه البحر ووجهه الى دار السلطنة ومعه عساكر للتحفظ وشاع ان الدولة أمرت بتوجهه الى سلانيك فأرسل الشريف عبد المطلب الى الصدر الاعظم رشيد باشا طالبا ان تكون اقامته بدار السلطنة فأجيب الى ذلك فجيء به الى دار السلطنة ونزل بالدار التي كان فيها أولا فبقي فيها في عز واكرام ولم تعاقبه الدولة على شيء مما كان وأقام سيدنا الشريف محمد بن عون في مكة بعد هذه الفتنة سنتين والناس في أمن وأمان وسرور وكان مدة مباشرة أكثر الامور ابنه الشريف علي باشا ومعه الشريف عبد الله بن ناصر وفي سنة ثلاث وسبعين عزل كامل باشا وتولى بدله محمود باشا الكردي وكان واليا على اليمن وقبيل ولايته اليمن كان فريقا قائدا للعساكر بمكة فلما ولي اليمن أعطي رتبة الوزارة ثم عزل من اليمن وأعطي ولاية جدة بعد ان عزل كامل باشا فجاء الى مكة ومكث نحو سنة ثم عزل وتولى بدله نامق باشا فوصل الى مكة في أوائل سنة أربع وسبعين

﴿ذكر وفاة الشريف عبد الله بن ناصر سنة ١٢٧٤﴾

وقبل وصوله بأيام توفي الشريف عبد الله بن ناصر بعد ان مرض أياما

﴿ذكر وفاة سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٧٤﴾

وفي الثالث عشر من شعبان في هذه السنة توفي سيدنا الشريف محمد بن عون وانتقل الى رحمة الله تعالى بعد ان مرض أياما رحمه الله تعالى وعمره نحو السبعين ودفن في قبة السيدة آمنة والدة النبي صلى الله عليه وسلم بجانب قبرها وخلف ستة من الذكور وهم عبد الله وعلي وحسين وعون وسلطان وعبد الله وكلهم في غاية الفطنة والنجابة والكمال وخلف أربعة من الاناث فلما توفي أقام نامق باشا الشريف عليا باشا وكيلا للامارة الى أن يأتي الخبر من دار السلطنة

قال السيد الفاسي رحمه الله تعالى يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب على ما هو مكتوب في حجر بن بهذا المسجد أحدهما بخط عبد الرحمن بن أبي حرمي وفيه انه عمر في رجب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وفي الآخر انه عمر في سنة سبع وأربعين وستمائة وذكره الازرقي أيضا في المواضع التي يستحب الصلاة فيها بمكة ❊ قلت هو مسجد لطيف جدا مرجود الآن معروف أحاطت به الدور الا الجهة الجنوبية منها التي هي الطريق وهو بين دكاكين السوقة يتعين على أهل الخير بناؤه وصونه وتعظيمه وفقهم الله تعالى لذلك ❊ ومنها مسجد بأسفل مكة ينسب الى سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه يسمى الآن دار الهجرة ويقال انه ركب منها مع النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة يزوره الناس وفيه مذكورات الله تعالى ❊ ومنها مسجد فوق التنعيم على يمين المستقبل يقال له مساجد عائشة رضي الله عنها وهو بعيد عن أميال حد الحرم وكان يسمى مسجد الهليلجة لشجرة كانت هناك قديما وقد تهدم هذا المسجد ومابقي منه الا آثار

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف عبد الله باشا سنة ١٢٧٤﴾

ولما بلغ الخبر بالوفاة دار السلطنة وجهت الدولة امارة مكة لابنه مولانا الشريف عبد الله وقد تقدم ذكر بقائه هنالك بعد مجيء والده الى مكة وانه وجهت له رتبة الوزارة وجعل من أعضاء المجلس الخاص وزيادة على ذلك اشتهر عند رجال الدولة بكمال العقل وحسن التدبير ومعرفة الاحكام وكان قد قرأ في علم النحو وصار له به دراية واشتغل كثيرا بمطالعة كتب العلم من التفسير والحديث والفقه والادب واقتنى من الكتب شيئا كثيرا وكان يكثر في مجلسه من مذاكرة العلم والادب ويحضر في مجلسه كثير من العلماء والادباء في كثير من الاوقات وكان يحبهم ويعظمهم ويكرمهم ويقضي حوائجهم وكان توجيه الامارة له في شهر رمضان بعد مجيء خبر وفاة والده ومكث في دار السلطنة بعد توجيه الامارة له شهورا لقضاء مهماته وتوجه الى مكة في شهر ربيع الاول سنة خمس وسبعين ودخل مكة في موكب عظيم وفرح الناس بولايته وصارت له هيبة في قلوب الاشراف والعربان وكافة الناس لعلمهم بدرايته وحسن سياسته حين كان قائما مقام والده في الولاية الاولى ولما قدم جاء معه بميزاب للكعبة محلى بالذهب لم ير الراؤن أحسن منه بعثه السلطان عبد المجيد وأرسلوا القديم الى دار السلطنة

﴿ذكر فتنة جدة سنة ١٢٧٤﴾

وينبغي ان نذكر هنا الفتنة التي كانت بجدة قبل وصوله من دار السلطنة وكانت بعد وفاة والده لان الفتنة المذكورة كانت في السادس من ذي القعدة سنة أربع وسبعين وملخصها ان صالحا جوهر أحد التجار بجدة كان له مركب منشور وفيه بنديرة الانكليز والبنديرة هي البيرق فأراد ان يغيرها ويجعل فيه بنديرة من بندرات الدولة العلية فسمع بذلك قنصل الانكليز فمنعه من ذلك فلم يمتنع وأخذ رخصة من نامق باشا فأذن له بوضع بنديرة الدولة العلية وكتب له منشورا بذلك فوضعها ونشرها وأزال بنديرة الانكليز فطلع قنصل الانكليز الصرود خل المركب المذكور وأنزل بنديرة الدولة التي نشرت ونشر بنديرة الانكليز وشاع انه لما أنزل بنديرة الدولة وطئها برجله وتكلم بكلام غير لائق فغضب لذلك المسلمون الذين في جدة فهاجوا هيجة عظيمة وقصدوا دار القنصل وقتلوه وثار من ذلك فتنة عظيمة قتلوا فيها غيره من القناصل الموجودين ومن كان بجدة من النصارى ونهبوا أموالهم وأرادوا ان يقتلوا فرج يسر أحد التجار المشهورين بجدة لكونه كان محاميا عن قنصل الانكليز ومعدودا من رعيتهم فاختفى فأراد عوام الناس ان ينهبوا داره فمنعهم من ذلك عبد الله نصيف وكيل مولانا الشريف محمد بن عون بجدة وكان نامق باشا بمكة والشريف علي باشا القائم مقام الامارة كان قد توجه الى المدينة المنورة قاصدا الحج فلما جاء خبر هذه الفتنة لنامق باشا اهتم لذلك ثم توجه الى جدة وسكن الفتنة وقبض على بعض الناس الذين نسب اليهم القتل والنهب ووضعهم في السجن وأرسل الى الدولة العلية يخبرهم بما وقع في هذه الفتنة وطلع الى مكة لاداء الحج فلما كان الثالث من أيام التشريق والناس بمنى جاء الخبر من جدة بأنه جاءهم مركب حربي للانكليز وصار يرمي بالمدافع المحشوة بالقنابل على جدة فخرج كثير من الناس من جدة هاربين بنسائهم وأولادهم وأموالهم ركبانا ومشاة فانزعج الناس من ذلك انزعاجا شديدا فلما فرغ الناس من أداء مناسك الحج ونزلوا من منى عقد نامق باشا في مكة مجلسا في ديوان الحكومة أحضر فيه كثيرا من العلماء والتجار وأعيان الناس وأحضر كثيرا من تجار جدة الذين قدموا مكة لاداء الحج وكانوا حضروا وقوع الفتنة حين وقعت بجدة وأخبرهم بمجيء المركب الحربي الذي جاء من الانكليز ويضرب بالقنابل على جدة وبخروج كثير من الناس منها وقال لهم القصد المشاورة معكم فيما يحصل به تسكين هذا الامر فقال له كثير من الحاضرين ان الاسلام لله الحمد قوي وأهله كثيرون وذكروا له عدد قبائل الحجاز مثل هذيل وثقيف وحرب وغامد وزهران وعسير وانكم لو استطرتم الناس

بجدارات قائمة وكان المكان الذي أرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة مع أخيها رضي الله عنهما للتعمر اليه ولا يصل اليه المعتمرون الآن بل يقتصرون على أميال الحرم فيبرزون منها قليلا ويحرمون بالعمرة ويعودون ومسجد عائشة رضي الله عنها انما يتعين تجديده وتعميره لانه من الآثار المباركة القديمة وقد تركه الناس لتهدمه واقتصروا على مساجد مرصوصة بالاحجار بمحاريب مرصوصة من الاحجار الصغار تتهدم ويرمم غيرها وكلها من وراء الاميال غير أن منها وهنالك صهريج عظيم قديم يملأ من السيول أيام المطر يتوضأ المعتمرون منه فلما جاء الوزير المعظم المجاهد في سبيل الله حضرة

رخصة يعقرون تقيرا عاما فيجتمع من ذلك الالوف بل الالوف فيدفعون تعدى الانكليز ولا يرضون ان يقع عليهم هذا الذل فقال لهم نامق باشا هذا العدد الذى ذكرتموه من قبائل العرب صحيح بل يوجد مثله اضعافا مضاعفة لكن اذا اجتمعت هذه المائة الف غاية ما يقدرون عليه انهم يصلون الى مكة وجدة وبعد ذلك يدفعون هذا المركب عن جدة فيحصل من الانكليز وغيرهم من النصارى تسلط على بقية مدائن الاسلام ويجتمعون على محاربة الدولة العلية وليس عند هؤلاء القبائل التى اجتمعت قدرة على الدفع عن بقية مدائن الاسلام لانه ليس عندهم مراكب يعبرون فيها ولا ذخائر ولا جبخانات ولا مدافع ولا شئ مما يحتاجون اليه وأيضا مراد نا دفع هذا الضرر الآن ولا يجتمع هؤلاء القبائل الا بعد مدة طويلة فلا بد من التدبير الآن فى دفع هذا الضرر بالسرعة فقال بعض التجار الحاضرين ائذن لنا أن تقصدنا فى تغريق هذا المركب الحربى الذى جا يرمى بالمدافع المشحونة بالقنابل على جدة وان كثيرا من أهل البصرة الموجودين تحت أيدينا لهم معرفة وصناعة بتغريق المراكب يأتونها من تحت الماء ويغرقونها ببرامات يجعلونها فى المراكب فقال لهم ليس هذا صوابا فانكم اذا أغرقتم مركبا يأتيكم بعده عشرة مراكب واذا أغرقتم العشرة يأتيكم مائة وهكذا فيتسلسل الامر ولا يزول الضرر وأيضا ربما يتركون جدة ويتوجهون الى اضرار بقية مدائن الاسلام وانما الاحسن فى تدبير هذا الامر اننا ندركه باللطف وحسن السياسة بان نتوجه الى جدة انا وكثير من أعيانكم ونجتمع بقبطان هذا المركب ونعقد معه أمرا يندفع به الضرر فاستحسنوا رأيه فتوجهوا الى جدة وأخذ معه رئيس العلماء الشيخ جمال شيخ عمر ومعه من العلماء الشيخ صديق كمال والشيخ ابراهيم الفتا والشيخ محمد جاد الله وشيخ السادة السيد محمد بن اسحق بن عقيل وتجار جدة الذين كانوا جاؤا للحج فلما وصلوا الى جدة دار اجتماعهم بالقبطان المذكور وعقدوا مجلسا صار القرار فيه على انه يصير تحقيق هذه القضية ويحصل الانتقام ممن وقع منه التعدى فى هذه الفتنة ويكون ذلك بعد رفع الامر الى الدولة العلية وانتظار الجواب مما تأمر به ورضى الجميع بذلك وكتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم فلما كان أواخر شهر محرم من سنة خمس وسبعين وصل الى جدة مأمورون من طرف الدولة ومعهم أناس من كبار الانكليز والفرنسيس وكان نامق باشا بجدة فعقدوا المجالس معه واتفقوا على انهم يحضرون الناس المتهمين فى احداث هذه الفتنة ويقررونهم ويستنطقونهم كل واحد وحده حتى يقفوا على حقيقة الامر ويعرفوا الذين قتلوا والذين نهبوا والذين هيجوا الفتنة فاستقر قرارهم على ذلك فصاروا يعقدون مجالس لا يحضر فيها نامق باشا وانما يحضر هؤلاء المرخصون الذين جاؤا مأمورين من الدولة ومن الانكليز والفرنسيس وصاروا يقبضون على كل من دارت عليه تهمة ويحبسونه فى موضع وحده ثم يحضرون كل واحد منهم وحده ويسألونه ويستنطقونه بغاية التلطف والتعظيم والتبجيل ويحتالون عليهم بكل حيلة ويكتبون كل ما يقول فكان ملخص تلك الاستنطاقات ان أهل جدة الذين هاجوا فى الفتنة وحصل منهم القتل والنهب قالوا انما كان ذلك منا بأمر من التجار وقاضى جدة الشيخ عبد القادر شيخ والاعيان وسموا أناسا منهم وقال الحضارم أمرنا بذلك شيخ السادة السيد عبد الله باهارون وكبير الحضارم الشيخ سعيد العامودى وقال شيخ السادة وسعيد العامودى وقاضى جدة وبقية التجار والاعيان انما كان ذلك منا بأمر من عبد الله المحتسب وقال عبد الله المحتسب انما كان ذلك منى بأمر من ابراهيم أغا القائم مقام نامق باشا هذا ملخص استنطاقاتهم فانها تضمن الاعتراف بما وقع والاعتراف بانهم تسببوا فى ذلك الا انهم أسندوا ذلك لسعيد العامودى وعبد الله المحتسب والقائم مقام نامق باشا وكان نامق باشا وهو بجدة يرسل اليهم مرارا ويقول لهم الحذر ان تقروا بشئ من ذلك فانه يصير عليكم ضرر كثير فلم يمتثلوا ذلك بل أقروا بذلك وسببه ان المرخصين الذين حضروا من الدولة

• سنان باشا يسر الله له باشا فى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة اعمر من اشتغى وكان هذا المشروع خاليا لانه لم يكن أيام المطر حينئذ ورأى المعتمرين يحملون ماء الوضوء معهم من مواضع بعيدة يتعبون فى ذلك وكانت هنالك بئر بعيدة مهدمة مملوءة بالتراب فأمر سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ناظر المسجد الحرام السيد القاضى حسين الحسينى أن يحصل له من يحفر ذلك البئر ويبنى له مجرى يجرى فيه الماء من البئر الى الموضع الذى يعتمر الناس فيه بقرب الاميال وعين جاذبا يجذب الماء من البئر كل وقت ويسلكه فى ذلك المجرى فيسيل الماء الى موضع يتوضأ فيه المعتمرون على الاتصال والدوام ويشرب منه الناس والدواب

والانكليز والفرنسيس كانوا يتلطفون بهم ويعظمونهم ويحتالون عليهم بكل حيلة ويقولون لهم اخبرونا بالواقع ولا يحصل لكم ضرر ويسألون كل واحد وحده فاذا نطق بشيء مخالف للواقع يقولون له ان فلانا وفلانا أخبرانا بما هو كذا وكذا وذلك يخالف ما تقول ولا يزالون به حتى يطابق كلامه كلام غيره فلما انتهت الاسانيد كلها الى ابراهيم آغا القائم مقام نامق باشا أحضروه وسألوه فانكر جميع ما نسبوه له وكذبهم ولم يقر بشيء فاحتالوا عليه بكل حيلة فلم يقر بشيء فحبسوه في موضع وحده ثم حكموا عليه بالنفي مؤبدا ثم بحثوا أيضا عن الاشخاص الذين حصل منهم القتل والنهب فعددوهم وحبسوهم ثم تشاور هؤلاء المرخصون المرسلون من الدولة العلية ومن الانكليز والفرنسيس فيما بينهم واتفقوا على انه يقتل عبد الله المحتسب وسعيد العامودي ونحو اثني عشر نفسا من عوام الناس الذين وقع منهم القتل وانه ينفى من جدة شيخ السادة وقاضي جدة وبعض التجار بعضهم مؤبدا وبعضهم الى مدة مؤقتة ويحبس كثير من الذين وقع منهم النهب بعد ان أحضروا كثيرا مما أخذوه وان ما بقي من الاموال المنهوبة يأخذون قيمته من الدولة العلية فلما استقر رأيهم على ذلك كتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم وأعطوها النامق باشا وطلبوا منه تنفيذ ذلك على ما جاءه به من الامر من الدولة فانهم جاؤه بأوامر فيها الامر له بتنفيذ ما يتفقون عليه فنفذه فأخرجوا عبد الله المحتسب وسعيد العامودي من الحبس وقتلوهما في سوق جدة على رؤس الاشهاد وقتلوا الاثني عشر الذين من عوام الناس خارج جدة وكان ذلك اليوم يوما مهولا في جدة اشتد فيه الكرب على جميع المسلمين ثم نفوا من حكموا عليه بالنفي فمنهم من قضى السنين التي أنفوه لها ورجع الى جدة ومنهم من مات ولم يرجع اليها فمن الذين رجعوا الشيخ عبد القادر شيخ قاضي جدة والشيخ عمر بادرب والشيخ سعيد بغلف ومن الذين لم يرجعوا وتوفوا وهم منفيون السيد عبد الله باهارون والشيخ عبد الغفار والشيخ يوسف باناجه رحمهم الله تعالى وقبضوا من الدولة قيمة بقية الاموال المنهوبة وكان شيأ كثيرا هذا ملخص تلك الفتنة باختصار ولا حول ولا قوة الا بالله فان هذه القضية كانت من أعظم المصائب على أهل الاسلام وكان قدوم سيدنا الشريف عبد الله المتولي امارة مكة بعد تمام هذه الامور كلها وكان تأخره بدار السلطنة الى هذه المدة لاجل أن لا ينساله شيء من الدخول في هذه القضية ولا يمكنه المعارضة لما يتفقون عليه ولما وصل الى جدة كان هؤلاء المرخصون الذين حضروا لتحقيق هذه القضية من الدولة والانكليز والفرنسيس موجودين بجدة لم يسافروا فحضروا عنده يوم وصوله لجدة للسلام عليه وقالوا له نحن كنا ممنونين بقدومك الى جدة قبل ان نسافر لانا نريد الوصول الى مكة للتفرج عليها وخشينا أن يمنعنا أهل مكة من دخولها ولما حضرت أنت تحقق عندنا أن نتمكن من ذلك ولا يستطيع أحد أن يمنعنا لانك أنت الامير المطاع النافذ الامر قال انهم لما طلبوا مني ذلك تحيرت ولا يقبلون مني في الجواب أني أقول لهم ان ذلك ممنوع في شرعنا ولا يرضى المسلمون بذلك فألهمني الله لهم جوابا عقليا اقناعيا فقلت لهم أنتم رأيتم صورة مكة في الخرائط والجغرافيات ليس فيها بساتين ولا أنهار ولا شيء من الزخارف وانما هي واد غير ذي زرع بين الجبال فلو أتيتم اليها ما تكسبون شيأ زائدا عما علمتموه من صورتها التي رأيتموها في الخرائط والجغرافيات فأرى ان وصولكم اليها تعب لكم بلا فائدة فقنعوا بهذا الجواب وأعرضوا عن طلب الوصول اليها وتوجهوا الى دار السلطنة وكان سيدنا الشريف عبد الله باشا لما قدم أميرا على مكة معه معاون من الدولة يسمى زكي باشا في رتبة فريق وفي سنة ست وسبعين غزا غزوة الى الشرق لقمع بعض المخالفين وعاد منصورا مظفرا وكان ذلك في مدة نامق باشا قبل عزله ثم عزل نامق باشا في آخر هذه السنة وتولى بدله علي باشا الكاهيلي وفي هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله ابنه الشريف علي

﴿ذكر زيارة سعيد باشا والي مصر المدينة سنة ١٢٧٧﴾

والمعتمرون وأهل القوافل المارون منه هناك وأبناء السبيل وينتفعون بذلك انتفاعا عاما ويدعون لصاحب هذا الخير وهذا أثر عظيم لهذا الوزير المعظم من جملة خيراته الجارية دائما ان شاء الله تعالى أجرى الله تعالى على يديه الخيرات وأثابه عليها أعظم الاجر وأسنى المثوبات وبلغه من ألطافه وعنايته ما يتمنى وختم لنا وله أجمعين بالحسنى هذا آخر ما أردنا جمعه في هذه الاوراق من كل خبر لطيف وأثر مبارك شريف رق معناه وراق ولطف مؤداه في الاسماع والاذواق كله تحف درر ونصائح وجيهة تحف غرر ومنائح يغني بها الراكب العجلان حاجته ويصبح الحاسد الغضبان يطيرها كأنها النجوم في سماء اللطافة زاهرة أو زهور في رياض

وفى سنة سبع وسبعين توجه سيدنا الشريف عبد الله الى المدينة لمقابلة سعيد باشا والى مصر ابن محمد على باشا حين جاء للزيارة ثم لما رجع الى مصر توجه معه الى مصر ورجع الى مكة فى شهر شوال من هذه السنة

﴿ذكر وفاة السلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٧ وتولية أخيه مولانا السلطان عبد العزيز﴾

وفى آخر هذه السنة كانت وفاة مولانا السلطان عبد المجيد ابن مولانا السلطان محمود وكانت وفاته لسبعة عشر من ذى الحجة من سنة سبع وسبعين ومائتين وألف وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته اثنتان وعشرون سنة وستة أشهر وأقيم فى السلطنة بعده أخوه مولانا السلطان عبد العزيز وجاء الى مصر سنة تسع وسبعين بعد ولاية اسمعيل باشا وفى سنة ثمان وسبعين عزل على باشا الكاهلى عن ولاية جدة ومشيخة الحرم المكى وتولى بدله عزت حق باشا

﴿ذكر وفاة سعيد باشا والى مصر سنة ١٢٧٩ وتولية ابن أخيه اسمعيل بن ابراهيم باشا﴾

وفى سنة تسع وسبعين توفى سعيد باشا والى مصر وأقيم بعده اسمعيل باشا ابن ابراهيم باشا ابن محمد على باشا ولما تولى عزت حق باشا ولاية جدة سنة ثمان وسبعين وصل الى مكة فى شهر رجب من السنة المذكورة واستمر الى سنة احدى وثمانين فعزل وتولى بدله محمد وجيهى باشا وجعل له مشيخة الحرمين مكة والمدينة ولم تقع لغيره وفى هذه السنة ولد لسيدنا الشريف عبد الله ابنه الشريف محمد واسطرلى فى التسمية قصيدته

﴿ذكر مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير سنة ١٢٨١﴾

وفى هذه السنة أيضا كان مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير وأميرهم محمد بن عائض لانهم تجاوزوا الحدود واستولوا على بعض محاكم الدولة وصدر الامر من الدولة العلية لاسمعيل باشا والى مصر بأن يرسل عساكر من مصر لاعانة مولانا الشريف عبد الله على قتالهم فامتثل الامر وأرسل عساكر كثيرة ونزلوا على القنفدة وتوجه سيدنا الشريف عبد الله بمن معه من العساكر التى فى مكة على طريق الليث ثم وصل الى القنفذة وجعل المعركة فى ناحية الخواة والاحسبة وأرسل اليه عسير وأميرهم محمد بن عائض يطلبون الصلح فامتنع وترددت الرسل بينه وبينهم فى ذلك وبينما هم كذلك اذ جاءته مكاتيب من اسمعيل باشا والى مصر بطلب استرجاع عساكره بالسرعة ولم يهمل فى تأخيرها وتكررت منه تلك المكاتيب فلما رأى الامر كذلك عقد الصلح مع عسير وأميرهم واشترط عليهم ان لا يتجاوزوا محاكمهم فقبلوا ذلك فأرسل العساكر المصرية الى مصر ورجع الى الطائف من طريق الحجاز بعد ان أقام مدة فى بلاد غامد

﴿ذكر وفاة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٣﴾

وفى آخر شهر ذى الحجة من سنة ثلاث وثمانين توفى بمكة الشريف سلطان ابن سيدنا الشريف محمد ابن عون وعمره نحو أربع وعشرين سنة وخلف بنتا

﴿ذكر وفاة محمد وجيهى باشا وتولية معمر باشا سنة ١٢٨٤﴾

وفى سنة أربع وثمانين توفى بالطائف وجيهى باشا والى جدة وشيخ الحرمين فى ربيع الثانى وتولى بعده معمر باشا ولم يجعل له مشيخة حرم المدينة كما كانت لوجيهى باشا بل ولاية جدة ومشيخة حرم مكة فقط ولما توفى وجيهى باشا دفن فى قبة الحبر سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما بجانب قبر الحبر رضى الله عنه ولما توفى أقام سيدنا الشريف عبد الله عزت أفندى الحاسبجى مقامه الى ان وصل معمر باشا وكان وصوله فى شهر شوال من السنة المذكورة وفى سنة خمس وثمانين غزا سيدنا الشريف عبد الله ناحية الشرق ووصل الى رنية لتأديب بعض القبائل ورجع منصورا مظفرا

﴿ذكر ابتداء حفر خليج السويس سنة ١٢٨٦﴾

الاناقة زاهرة تحت كل ذرة منها درة فاخرة وفى كل لفظة نكتة خفية أو حكمة ظاهرة جلية أصبحت للقلوب قوتا وأضحت قرط أذن وللسواحظ قرة ولعمرى يحق لو كتبوها بسواد العيون فوق الجرة فدونك أيها الفاضل اللوذعى الكامل الفطن الالمعى الناظر فى هذا الكتاب المتصفح لوجنات هذه العذارى الكعاب ما أودعته من لطائف الآداب وأدرجته من زبد الحكم والالباب ولا يحملك الحسد الذى جبلت عليه الاقران على انكار ما تجده لغيره من المزايا الحسان ولا يستميلك استصغار مؤلفه الى نبذ فرائده والاستهانة بعظيم فوائده فان لك غنمها وعلى غيرك غرمها

وفي سنة ست وثمانين كان ابتداء حفر خليج السويس ليتصل بحر الروم ببحر القلزم وكان تمام ذلك سنة احدى وتسعين وكان القائم بذلك دولة الفرنسيس والانكليز واسمعيل باشا والى مصر وبعد تمامه جعلوا على المراكب التي تمر منه عوائد معلومة على قدر ما فيها من الحمل وهذا الذي حفروه حتى اتصل البحران كان هرون الرشيد أراد ان يفعله ليتهيأ له غزو الروم فمنعه يحيى بن خالد البرمكي وقال له ان فعلته تختطف الافرنج المسلمين من المسجد الحرام فامتثل كلامه وترك ذلك والآن بعد ان فعلوه يخشى على الثغور التي في الشرق جزيرة العرب منهم فنسأل الله الحفظ وفي مدة معمر باشا كان ترتيب مجلس الادارة ومجلس التمييز بمكة والمدينة وجدة والطائف وذلك سنة ست وثمانين

﴿ذكر وفاة سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون سنة ١٢٨٧﴾

وفي سنة سبع وثمانين كانت وفاة سيدنا الشريف علي باشا ابن سيدنا الشريف محمد بن عون بدار السلطنة لانه توجه الى دار السلطنة سنة ثمان وسبعين وأعطى رتبة الوزارة وصار من أعضاء مجلس شورى الدولة ورجع الى مكة سنة خمس وثمانين ومكث شهورا ثم رجع الى دار السلطنة وتوفي بها سنة سبع وثمانين بعد ان مرض مدة وعمره نحو ثمان وثلاثين سنة وخلف ابنيه الشريف حسينا والشريف ناصرا وأربعا من الاناث وتقدم ان ولادة الشريف حسين بن الشريف علي كانت سنة سبعين واما الشريف ناصر أخوه فولادته كانت سنة تسع وسبعين بدار السلطنة أيضا ثم أرسله أبوه الى مكة

﴿ذكر عزل معمر باشا وتولية خورشيد باشا سنة ١٢٨٧﴾

وفي سنة سبع وثمانين عزل معمر باشا من ولاية جدة ومشيخة الحرم المكي وتولى بدله خورشيد باشا ووصل الى مكة في شهر شوال من السنة المذكورة

﴿ذكر فتنة حوا سنة ١٢٨٨﴾

وفي سنة ثمان وثمانين في مدة خورشيد باشا وقعت فتنة بمكة تسمى فتنة حوا كانت بين الاهالي والعسكر كانت في شهر صفر من السنة المذكورة كان سببها هذا الشخص المسمى حوا تضارب مع بعض العسكر في سوق المعلى فثار لذلك أهل السوق واقتتلوا مع العسكر ثم انتشرت الفتنة في أطراف البلد من غير ان يعلموا السبب فيها وقتل بعض العسكر وقفلت الاسواق فركب سيدنا الشريف عبد الله بنفسه ومعه بعض اتباعه وخرج الى السوق وأطراف البلد وسكن الفتنة ثم قبضوا على كثير من عوام الناس الذين كانت منهم تلك الفتنة وحبسوهم ثم قرروهم بالاستنطاق وعقدوا لذلك مجالس حضرها مولانا الشريف وخورشيد باشا والقاضي والمفتي وكثير من العلماء وحكموا على كل من ثبت عليه شيء بمقتضاه وحكموا على بعضهم بالنفي سنين مؤقتة واطمأنت الناس وزالت الفتنة

﴿ذكر استيلاء الدولة العلية على بلاد عسير سنة ١٢٨٨﴾

وفي أول سنة ثمان وثمانين أيضا كان تمام الاستيلاء على بلاد عسير وأصل تلك الفتنة ان محمد بن عائض أمير عسير طغا وبغى ونقض العهود والصلح الذي عقده معه سيدنا الشريف عبد الله سنة احدى وثمانين كما تقدم واستولى على كثير من المحاكم التي كانت تحت حكم الدولة كبلاد بني شهر وغامد وزهران ثم سار بجيش عظيم سنة ست وثمانين الى الحديدة وافنا وفعل أشياء يطول الكلام بذكرها ثم أصاب جيوشه مرض ووباء فانهزم فجهزت الدولة سنة سبع وثمانين الفريق رديف باشا ومعه عساكر كثيرة فتوجه من جدة الى القنفذة على طريق البحر وفي شهر ذي القعدة وجعل العساكر بالقرب من محائل وحشد عسير جنوده عند العقبة فتركها وصعد من عقبة أخرى وملك المرقاة من بلادهم ونزل عليهم من خلفهم وقاتلهم وانتصر عليهم وقبض على محمد بن عائض وكثير من امرائهم وقتلهم وبعث بعضهم الى دار السلطنة

وما مبرأ الانسان عن فضل نفسه
بمثل اعتراف الفضل في كل فاضل

ومع ذلك فلا أدعي رتبة الكمال دون كل ذي علم عليم ولا أزعم النزاهة عن النقص والعيب فالمنزه عن كل عيب هو الله الملك القدوس العزيز الحكيم ولقد قيل لا يعرى ذو كمال من نقص ولا يخلو ذو نقص من كمال فلا يمنعك نقص الكامل من استفادة كماله ولا يرغبك كمال الناقص في الميل الى نقصه. ولقد كتب أستاذ البلغاء القاضي عبد الرحيم الفاضل البيساني الى العماد الاصفهاني الكاتب معتذرا عن كلام استدركه عليه وقد وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا وها أنا أخبرك به وذلك اني رأيت انه لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال

﴿ذكر وفاة الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله سنة ١٢٨٨﴾

وفي سنة ثمان وثمانين في رمضان توفي الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله بالطائف وكان قد قرأ كثيرا من العلوم ونجب فيها فحزن عليه حزنا كثيرا رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتين وعشرين سنة

﴿ذكر عزل خورشيد باشا وتولية قاسم باشا الفريق سنة ١٢٨٨﴾

وعزل خورشيد باشا في شوال سنة ثمان وثمانين وتولى بعده الفريق قاسم باشا وكان أولا محافظا على المدينة ثم صار محافظا لجدة وقائما مقام خورشيد باشا في جدة ثم وجهت له الولاية بعد عزل خورشيد باشا مع بقائه فريقا ولم يعط رتبة الوزارة وجعل اقامته بجدة وأرسل معه الخزينة والكتبة ومكث سنة

﴿ذكر عزل قاسم باشا وتولية محمد رشيد باشا الاكرسنة ١٢٨٩﴾

ثم عزل في شوال سنة تسع وثمانين وتولى بعده محمد رشيد باشا وبلغنا الكرو في سنة تسع وثمانين كان استيلاء عساكر الدولة العلية في اليمن على مدينة صنعاء واستمر محمد رشيد باشا الى سنة احدى وتسعين

﴿عزل محمد رشيد باشا الاكرو تولية محمد رشدي باشا الشرواني سنة ١٢٩١﴾

فعزل وولي بعده محمد رشدي باشا الشرواني الداغستاني وكان عالما متفننا لانه كان في سلك العلمية وسبب انتقاله الى الملكية انه طلب من شيخ الاسلام رتبة قضاء فامتنع وكان الشرواني صديقا للصدر الاعظم فؤاد باشا فاعطاه رتبة الوزارة وأدخله في سلك الملكية وترقى الى ان ولي الصدارة بعد عالي باشا ونديم باشا ثم عزل من الصدارة وأعطى ولاية الحجاز فقدم في شهر رجب من سنة احدى وتسعين وتوجه الى الطائف

﴿ذكر وفاة محمد رشدي باشا الشرواني وتولية تقي الدين باشا الحلبي سنة ١٢٩١﴾

وتوفي في أواخر شعبان بالطائف فكانت مدته أقل من شهرين ودفن في قبة الحبر رضي الله عنه في قبر وجيهي باشا وتولى بعده تقي الدين باشا الحلبي وكان مفتيا في حلب كابيه من قبله ثم وقعت فتنة في حلب اتهم بالتسبب لها فوقع بينه وبين أهل حلب تنافر فعزل من الفتوى وتوجه الى دار السلطنة ودخل في سلك الملكية وأعطى رتبة الوزارة وترقى وولي ولايات منها بغداد وليها سنة واحدة بعد نامق باشا ثم عزل من بغداد وجاء الى دار السلطنة ثم أعطى ولاية الحجاز سنة احدى وتسعين بعد وفاة الشرواني فقدم في ذي القعدة من السنة المذكورة وفي سنة احدى وتسعين ولد للشريف عون باشا مولود سماه محمدا عبد العزيز واستمر تقي الدين باشا الى سنة أربع وتسعين

﴿ذكر خلع السلطان عبد العزيز سنة ١٢٩٣ وتولية السلطان مراد خان﴾

وفي سنة ثلاث وتسعين خلع السلطان عبد العزيز وأقيم في السلطنة السلطان مراد ابن السلطان عبد المجيد وكان ذلك في السابع من جمادى الاولى من السنة المذكورة ثم توفي السلطان عبد العزيز بعد خمسة أيام من خلعه ثم خلع السلطان مراد في الحادي عشر من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة أشهر وثلاثة أيام وأقيم في السلطنة أخوه السلطان عبد الحميد ابن السلطان عبد المجيد بن محمود وفي مدته كان الحرب بين الدولة العلية والروسية

﴿ذكر ابتداء تعليم أهالي مكة الحركات العسكرية سنة ١٢٩٤﴾

فاستحسن سيدنا الشريف عبد الله ان أهل مكة يتعلمون حركات العساكر النظامية وكيفية رميهم بالبنادق فصدر الامر منه بذلك لاجل ارهاب الروسية واظهار الاستعداد لهم فامتثل الناس ذلك واحضروا لهم البنادق وصار يعلمهم بعض العساكر النظامية الموجودة بمكة فتعلم كثير من الناس في أقرب زمن وكان ذلك في أول سنة أربع وتسعين واستمر التعليم نحو أربعة أشهر ثم تركوا ذلك

﴿ذكر وفاة سيدنا المرحوم المبرور سيدنا الشريف عبد الله في ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٤﴾

وفي هذه السنة توفي سيدنا الشريف عبد الله ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون بالطائف

في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر انتهى فاللائق بالفاضل اذا عثر بشيء مما كان فيه المؤلف وعثر أن يستر الزلل ويقيل العثار ويسد الخلل والعوار والكريم غفار والحليم ستار وقد رأيت أن أجعل ختام هذا الكتاب مسكا وأنظم له الجواهر المرسلة سلكا وأختمه كما بدأته بالدعاء لدوام سلطاننا الأعظم خليفة الله الأكبر الأفخم صاحب السيف والعلم مولى ملوك الترك والروم والعرب والعجم سلطان سلاطين هذا الزمان الخافض لكلمة الكفر والرافع لكلمة

فى الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة رحمه الله تعالى ودفن فى قبة ابن الزبير رضى الله عنه قريبا من قبر الحسن وكان مريضا بعرق النسا أصابه من سنة تسعين وعولج بعلاجات كثيرة وشفى منه لكن لم يحصل له تمام الشفاء وبقيت آثاره معه بحيث لا يستطيع الركوب على الخيل ولا يركب الا فى العربة ولا يستطيع المشى الا قليلا بشئ يعتمد عليه فى يده وما انقطع فى جميع المدة عن جلوسه فى الديوان ولا عن مقابلته للناس ولا عن سماع الدعاوى وفصل الاحكام وفى هذه السنة طرأ عليه داء الاستسقاء وتقوى عليه من شهر جمادى الاولى الى ان توفى رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وعمره نحو ست وخمسين سنة ومدة امارته نحو تسع عشرة سنة وخلف اثنين من الذكور عليا ومحمدا وأربعا من الاناث وبعد وفاته بايام أعطى ابنه الشريف على رتبة باشا وكذا الشريف الحسين بن الشريف على باشا وجاء الامر من الدولة بذلك ولما توفى سيدنا الشريف عبد الله أقام تقى الدين باشا أخاه الشريف عون باشا وكيلا قائما مقام الامارة وكان أخوه الاكبر منه الشريف حسين باشا بدار السلطنة

﴿ذكر توجيه امارة مكة لسيدنا الشريف الحسين وقدومه فى شعبان سنة ١٢٩٤﴾

فوجهت اليه الدولة امارة مكة فقدم فى شعبان من السنة المذكورة وتوجه الشريف عون الى دار السلطنة فى شوال من السنة المذكورة فاعطى رتبة الوزارة وجعل من أعضاء شورى الدولة

﴿ذكر عزل تقى الدين باشا وتولية حالت باشا سنة ١٢٩٤ ووفاته بجدة سنة ١٢٩٦ وتولية ناشد باشا سنة ١٢٩٦﴾

وفى شهر ذى القعدة من سنة أربع وتسعين عزل تقى الدين باشا من ولاية الحجاز وولى بعده حالت باشا واستمر الى جمادى الآخرة سنة ست وتسعين فتوفى بجدة فى شهر جمادى الآخرة وولى بعده ناشد باشا ووصل الى مكة فى شعبان من السنة المذكورة وكان سيدنا الشريف الحسين حين وصوله غازيا ناحية تربة ثم وصل آخر شعبان منصورا مظفرا واستمر سيدنا الشريف الحسين فى امارة مكة الى سنة سبع وتسعين وفيها توجه الى جدة فى أوائل ربيع الثانى فعند دخوله جدة وهو سائر فى موكبه قابله رجل أفغانى وقصده وهو راكب كأنه يريد تقبيل يده

﴿ذكر طعن سيدنا الشريف الحسين ووفاته بجدة ونقله الى مكة سنة ١٢٩٧﴾

فطعنه بسكين فى أسفل خاصرته فاشتد عليه الالم فنزل عن جواده وكان قد قرب من الدار التى يريد النزول بها وهى دار عمر نصيف فتماسك بعض خدمه وأدخلوه الدار فلما علموا انه مطعون بادروا الى ذلك الافغانى حتى وجدوه بين الناس فقبضوا عليه ثم توفى سيدنا الشريف الحسين بعد يومين ونقلوه الى مكة ودفنوه بها فى قبر والده فى قبة السيدة آمنة والدة النبى صلى الله عليه وسلم رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتين وأربعين سنة وشهور وخلف ثلاث بنات ولم يخلف ذكرا ثم ان ذلك الافغانى الذى طعنه قرر عن سبب قتله وعذب بأنواع العذاب فلم يقر بشئ ولم يقر بأحد أغراه على ذلك فقتل بعد ذلك

﴿ذكر الامارة الثالثة لسيدنا الشريف عبد المطلب سنة ١٢٩٧﴾

ولما وصل الخبر الى دار السلطنة وكان الشريف عبد المطلب بدار السلطنة وجهت اليه امارة مكة فتوجه من دار السلطنة فلما وصل الى ينبع توجه للمدينة المنورة وأقام فيها أياما ثم رجع الى ينبع وتوجه الى جدة ثم الى مكة ودخلها فى الحادى عشر من جمادى الثانية من السنة المذكورة والوالى حينئذ ناشد باشا ثم وقع بينه وبينه اختلاف وتنافر لاسباب اقتضت ذلك وذلك ان الشريف عبد المطلب كان فى هذا الوقت طعن فى السن وكبر فصار كثير من اتباعه المباشرين للمصالح يحسنون له فعل بعض الاشياء فيوافقهم على ما يقولونه ويأمر بها ويتسامع الناس انهم يأخذون من الناس رشوة فى مقابلة تلك المصالح فكثر بسبب ذلك القيل والقال ووقع التنافر

الايمان عالم السلاطين وسلطان العلماء الاعاظم الاعيان الذى تتصاغر فى أبواب سلطنته تيجان كسرى وقيصر وتسعى الى انتجاع أعتابه ملوك الشرق والغرب وامثال دارا والاسكندر قبلة اقبال قلوب العالمين المحسن الى أهل الحرمين الشريفين المتكرم على جيران الله وجيران نبيه صلى الله عليه وسلم فى هذين البلدين العظيمين المنيفين الباذل عدله واحسانه على كافة الرعايا والآمن فى ظل أمنه ولطفه ورأفته جميع البرايا الذى هو بحر كرم تحدث الالسن مكارمه بالعجائب ولا حرج ويلوذ بأعتابه الشريفة من نالته شدة الافتقار فيدخل اليه السعادة من باب الفرج لدولته أمد اها الله فى العلى

بينه وبين ناشد باشا فمن تلك الاشياء التي أوجبت التنافر انهم أخبروه باشخاص انهم وقع منهم كلام غير لائق فغضب فاحضر ثلاثة منهم وهم عبد الله بن فوتحص ومحمد تركي ومساعد الهابط وكان احضارهم ليلا فامر بضربهم فضربوا ضربا كثيرا ثم بعد أيام مات من ذلك الضرب عبد الله ابن فوتحص ومحمد تركي وشنق مساعد الهابط فكثر كلام الناس في هذه القضية ومن ذلك انه رأى دار الجاهدار التي في الشرارة في مدة غيبته بناها الشريف مهدي بن أبي طالب الجودي وكانت عالية مشرفة فقال ان هذه الدار تكشف على داري وفي بقائها ضرر كثير لا أتحمله فامر بهدمها بعد ان أحضر مشرفين أشرفوا عليها ووافقوه على ان في بقائها ضررا وأحضر أولاد الشريف مهدي وقال لهم أدفع لكم أربعة آلاف ريال في مقابلتها وكتب في ذلك حجة عند القاضي ببيعهم اياها له فكانوا يقولون انهم مكرهون في ذلك وبعد هدمها كثر كلام الناس في ذلك ومن أسباب التنافر بينه وبين ناشد باشا أيضا وكثرة كلام الناس انه كتب تقريرا للشريف دخيل الله العواجي في دلالات الحلقة التي يباع فيها الفواكه والخضر فتم دخيل الله أهلها الذين كانوا يباشرون الدلالات فيها ثم اشتروا منه تلك الدلالات بمبالغ كثيرة وفعل مثل ذلك في دلالات الغنم والحطب والحشيش وقررفيها أشخاصا من الاشراف وكذلك فعل مثل ذلك في خراجات جمال بعض بيوت مشايخ الجاوي فكثر كلام الناس في ذلك كله وحصل أيضا اختلال في الطرق وعبث كثير من الاعراب في طريق الطائف وجدة والمدينة

﴿ذكر عزل ناشد باشا وتولية صفوت باشا سنة ١٢٩٧﴾

ثم ان الدولة عزلت ناشد باشا ووجهت الولاية لصفوت باشا فوصل الى مكة في أوائل شهر ذي الحجة من السنة المذكورة أعني سنة سبع وتسعين وتوجه ناشد باشا الى دار السلطنة بعد ان حج واستمر صفوت باشا الى سنة ثمان وتسعين وكان الاتفاق بينه وبين الشريف عبد المطلب نحو شهر ثم وقع الاختلاف بينهما أكثر مما كان مع ناشد باشا للاسباب المتقدمة وأسباب غيرها ومعارضات في بعض القضايا واتسع الامر بينهما

﴿ذكر عزل صفوت باشا وتولية أحمد عزت باشا سنة ١٢٩٨﴾

وعند تمام شهر الحجة من سنة ثمان وتسعين عزل صفوت باشا وتولى بدله أحمد عزت باشا الارزنجاني التي كانت ولايته سابقا في سنة تسع وستين في مدة الشريف عبد المطلب في الولاية التي قبل هذه وقبل وصول أحمد عزت باشا وصل الى جدة الفريق عثمان باشا قائدا على العساكر وقائما مقام أحمد عزت باشا الى قدومه وتوجه صفوت باشا الى دار السلطنة في أوائل سنة تسع وتسعين وقدم أحمد عزت باشا في المحرم من السنة المذكورة واجتمع بصفوت باشا في جدة قبل توجهه وكان أحمد عزت باشا المذكور قد طعن في السن وبلغ نحو التسعين الا انه قوي البنية وكان بين ولايته هذه وولايته الاولى نحو ثلاثين سنة وكان عثمان باشا قائد العساكر يباشر كثيرا من الاحكام ويعارض الشريف عبد المطلب في كثير منها

﴿ذكر عزل أحمد عزت باشا وتوجيه الولاية لعثمان باشا سنة ١٢٩٩﴾

واستمر الحال على الاختلاف الى عشرين من شعبان من السنة المذكورة أعني سنة تسع وتسعين فجاء الامر في التلغراف بعزل أحمد عزت باشا وولاية عثمان باشا القومندان بدله وهو في رتبة فريق كما كان فتوجه أحمد عزت باشا الى دار السلطنة في رمضان من السنة المذكورة وبقي عثمان باشا واليا وكان لما توجه الى الطائف في شعبان صحب معه مدافع كثيرة وجبخانات وكثر خوض الناس في ذلك وصاروا يقولون انه يريد القبض على الشريف عبد المطلب ويريد ولاية الشريف عبد الله باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون امارة الحجاز

مقاما وأعلاها جنابا وأسماها
لقد أعربت عن سيرة عمرية
تبوأها عثمان بالعدل مبتاها
﴿السلطان ابن السلطان ابن السلطان الملك المؤيد مراد خان بن سليم خان﴾
نصر الله تعالى عزائمه وأمضى في رؤس الاعداء صوارمه وشيد بنيان الاسلام ودعائمه وجعل مغازيه في سبيل الله مغانمه ولازالت ألوية نصره منشورة الذوائب مشهورة القواضب مشرقة كالشمس يقتدي

﴿ذكر كيفية خلع الشريف عبد المطلب من الامارة وتوجيهها للشريف عبد الله باشا فى ٢٨ من شوال سنة ١٢٩٩﴾

فلما كان ليلة الثامن والعشرين من شهر شوال من السنة المذكورة أخرج بعد نصف الليل كثيرا من العساكر الى المثناة ومعهم مدافع وبعض من الاشراف ذوى عون وعمر باشا رئيس العساكر وطلعوا فى الجبال التى فى المثناة المحيطة بالدار التى فيها الشريف عبد المطلب وأطلعوا معهم المدافع ورتبوا ذلك كله بالليل ولم يشعر أحد بهم فلما طلع النهار أرسلوا للشريف عبد المطلب وأخبروه بأنك معزول ومطلوب حضورك لدار السلطنة وانه ورد لنا التلغراف بذلك وبولاية الامارة للشريف عبد الله باشا وأرسلوا له صورة التلغراف الذى قالوا انه ورد اليهم فطلب مهلة الى أن يقضى أشغاله ونظر ورأى العساكر قد ملأت الجبال وأحاطت بداره فلم يعطوه المهلة التى طلبها وبعد ساعة خرج من داره وركب العربية وأحاطت به العساكر الى أن أوصلوه القشلة التى فيها العساكر بالطائف وهيؤا له فيها موضعا فنزل به ووضعوا العساكر للحفظ عليه محيطة بالموضع الذى نزل به ثم أطلقوا مناديا بالطائف بولاية الامارة للشريف عبد الله باشا استقلالا وأرسلوا الى مكة وفعلوا مثل ذلك فاختلفت آراء الناس فبعضهم يقول انما جعلوا الامارة استقلالا للشريف عبد الله باشا لاجل تسكين العربان وأمن الطرق لانهم لو لم يفعلوا كذلك لم يحصل اطمئنان للناس ولو قالوا انه وكيل ما حصل الاطمئنان ولا تصدق القبائل والعربان وتطمئن الا اذا كان الامر كذلك ففعل عثمان باشا كذلك اجتهادا من نفسه وأظهر انه انما فعله بأمر من الدولة وبعض الناس يقول بل جاء الامر محققا من الدولة بوضع الشريف عبد الله استقلالا وأمنت الطرق واطمأنت الناس وأقبلت القبائل عليه طبق العوائد الجارية ثم نزل الشريف عبد الله الى مكة فى النصف من ذى القعدة وكذلك الوالى عثمان باشا وبقى الشريف عبد المطلب وعنده بعض العسكر للمحافظة وبعد الحج أوصلوه الى مكة فى داره عند أهله وعلى الدار عسكر للمحافظة

﴿ذكر ولاية سيدنا الشريف عون الرفيق باشا سنة ١٢٩٩﴾

ثم فى أواخر شهر ذى القعدة جاءت الاخبار بالتلغراف من دار السلطنة بأن الدولة العلية وجهت امارة الحجاز لسيدنا الشريف عون باشا وكان مقيما بدار السلطنة كما قدمنا وان الشريف عبد الله باشا وكيل عنه الى قدومه وامتثل الشريف عبد الله ذلك وأخذ يهيئ الاسباب اللازمة لقدوم أخيه سيدنا الشريف عون الرفيق باشا وبعث لمقابلته من جدة أولاد أخيه الشريف حسين باشا ابن المرحوم الشريف على باشا والشريف على باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف عبد الله باشا وبقى الناس فى انتظار قدومه الى يوم الثامن من ذى الحجة وكان كثير من الناس توجهوا الى جدة لمقابلته وبقية الناس صعدوا الى عرفة لاداء فريضة الحج وصعد أيضا الى عرفة الشريف عبد الله باشا فلما كان يوم عرفة وهو التاسع من ذى الحجة وصل سيدنا الشريف عون باشا الى جدة وكان يمكنه ادراك الوقوف بعرفة لو توجه من جدة مسرعا لكن كان معه شيخ الحرم النبوى وبعض من رجال الدولة ويشق عليهم التوجه الى عرفة بسرعة السير فرعاية لهم بقى معهم بجدة وفاته الحج ووصل الى مكة يوم النحر واستقبله بمكة أخوه الشريف عبد الله باشا ثم صعدوا الى منى جميعا عصر يوم النحر وقرئ فرمان ولايته الذى قدم به معه ثانى يوم النحر على مثل العادة التى جرت فى كل سنة فانه فى كل سنة فى مثل ذلك اليوم يقرأ فرمان التأبيد لامير مكة فجرى الامر على مثل العادة الجارية وأقاموا بمنى الى انقضاء أيام منى ثم رجعوا الى مكة وحصل للناس غاية الامن والفرح والسرور ثم

ضوءها المشارق والمغارب
صاعدة فى أفق السماء حتى
تزاحم مناكبها مواكب
الكواكب ولا برحت
أسباب سعادته تقوى
وأحاديث المكارم اليه
تسند وعنه تروى
والقلوب تتمسك من
عبوديته وصدق رأيه
بالسبب الاقوى فى عز مديد
ونصر مشيد وعمر مزيد
وسلطنة ثابتة لا تهى

توجهت الحجوج والقوافل على طبق العادة الجارية كل سنة

﴿ذكر فتنة عرابي بمصر سنة ١٢٩٨﴾

ولنذكر على سبيل الاستطراد الفتنة العظامى التي وقعت بمصر هذه السنة تتميما للفائدة وتسمى فتنة عرابي وكان اشتهارها في شوال من هذه السنة أعني سنة تسع وتسعين وكان ابتداؤها في سنة ثمان وتسعين لكن الاصل الذي نشأت بسببه وتأسست عليه كان قبل ذلك وذلك ان الاصل الاصيل كان من مدة اسمعيل باشا لانه استدان ديونا كثيرة من الانكليز والفرنسيس وصار التراضي بينه وبينهم على انهم يجعلون أناسا منهم يباشرون المتحصلات من أموال مصر ويضبطونها ويجعلون قسطا منها لمقابلة ديونهم فعينوا أشخاصا من الفريقين لمباشرة ذلك سنة خمس وتسعين ثم ان اسمعيل باشا رأى منهم انهم صاروا يتداخلون في أكثر الامور ويريدون انه لا يفعل شيأ الا باطلاعهم ومعرفتهم فخاف من اتساع الامر وسلب المملكة منه فاراد أن يجعل له عصبية من أهالي مصر وان يشكل منهم مجالس ويكون أعضاؤها من العلماء ووجوه الاهالي والعمد من مشايخ البلدان فشرع في ذلك ليكون الامر بيدهم سورة وانه لا يفعل شيأ الا بمشورتهم ليدفع بذلك تغلب الانكليز والفرنسيس وتسلطهم ففطنوا لذلك فسعوا في خلعه واقامة ولده محمد توفيق باشا بدله فما زالوا يجتهدون في ذلك حتى تم لهم

﴿ذكر عزل اسمعيل باشا واقامة ولده محمد توفيق باشا واليا على مصر سنة ١٢٩٦﴾

فخلعوه بأمر من السلطنة السنية وأقاموا ولده توفيقا باشا بدله ونفوه وعائلته الى نابولي من بلاد ايطاليا كل ذلك كان سنة ست وتسعين ثم ان الدولة العلية أرادت ان تنقص توفيقا باشا بعض الميزات التي كانت لوالده اسمعيل باشا وتجدد في الفرمان التي تحرر له شروطا فامتنعت دولة الانكليز والفرنسيس من تنقيص شئ واجتهدت في ان الدولة تحرر له فرمان الولاية على مثل ما كان لابيه ويكون عليه من الخراج مثل ما كان على أبيه ولم تزل الدولتان المذكورتان تجتهدان مع الدولة في ذلك الى ان استخرجتا له الفرمان على مثل ما كان لابيه وجعل رئيس الوزارة رياض باشا وكان رئيسا على العساكر أحمد عرابي بيك ثم ترقى وصار أحمد عرابي باشا فاتفق مع كثير من رؤساء العساكر على عزل رياض باشا في انتصف من شوال سنة سبع وتسعين ولم يزل الامر في اتساع الى ابتداء شهر جمادى الثانية من سنة تسع وتسعين فحضر في مينا الاسكندرية كثير من الوابورات الحربية التي للانكليز والفرنسيس ووابورات لغيرهم أيضا لاعانة توفيق باشا ومنع عرابي باشا ومن معه من التغلب ومن التجهيزات التي شرع فيها وبقي الامر كذلك حتى انتشبت الحرب بين عرابي وعساكر الانكليز وانتهت بدخول أولئك العساكر مصر وعقاب عرابي وبعض من معه بعقوبات مختلفة الانواع ٭ ومن الحوادث الغريبة التي وقعت سنة تسع وتسعين انه ظهر رجل ببلاد السودان التي هي في حكم صاحب مصر يقال له محمد أحمد اشتهر عند كثير من الناس انه المهدي وتبعه خلق كثير ووقع بينه وبين العساكر المصرية التي في تلك الاطراف قتال ووقائع كثيرة قتل فيها خلق كثير وملك من تلك البلاد كردفان ومواضع أخر وحاصر سنارا مدة ثم انهزم عنها وبقيت العساكر المصرية مجتمعة في الخرطوم وبعث اليهم توفيق باشا صاحب مصر امدادات كثيرة من العساكر وغيرها من آلات القتال ومعهم كثير من الانكليز الذين لهم دراية بالحرب وانقضت سنة تسع وتسعين ودخلت سنة ثلاثمائة بعد الالف ومضى منها شهور ولم ينفصل الامر بينهم وبينه وفي شهر ربيع الاول من سنة ثلثمائة توجه الشريف عبد الله باشا الى دار السلطنة ومعه ابن أخيه الشريف ناصر ابن المرحوم الشريف علي باشا فلما وصلا الى دار السلطنة قوبلا بالعز والاكرام وأعطيت

ولا تبيد وسعادة دائمة تتضاعف وتزيد واقبال يلازم ركابه السعيد
ما لاح نجم على أفق السماء وما
هب النسيم على العشاق بالطيب
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الاتمان الاكملان على سيد الانبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه الطيبين

رتبة الوزارة للشريف عبد الله باشا وجعل من أعضاء مجلس شورى الدولة وأعطى للشريف ناصر رتبة باشا وأعطى الشريف محمد ابن المرحوم الشريف عبد الله باشا أيضا مثله رتبة باشا وجاءته البشرى بذلك وقبل ذلك بأيام جاءت البشرى بترقية رتبة الباشوية للشريف حسين باشا ابن الشريف علي باشا والشريف علي ابن الشريف عبد الله وصارا في مثل الرتبة التي كان فيها الشريف عبد الله وفي شهر رمضان من هذه السنة أعني سنة ثلثمائة وألف كانت فتنة في أطراف مكة بخروج بعض العرب من قبائل زبيد وبشر ومعبد وسائر حرب وانحرفوا الى طريق جدة وصاروا ينهبون الحمل الذي يمر بهم وهجم جماعة منهم على جدة في ليلة العاشر من رمضان وحصل من ذلك اضطراب كثير ثم هربوا وكان سيدنا الشريف عون بالطائف فنزل في أواخر رمضان وجهز جيشا لغزوهم ووصل به الى عسفان ووقع قتال قليل ثم وقع الصلح وجاؤا طائعين وسكنت الفتنة وآمنت الطرق وسلكت واعتذروا بأن الفاعل لذلك بعض الجهال منهم ولم يرض الشيوخ بذلك وان الحامل على ذلك أن الحكماء الذين بمكة وجدة يأخذون الفحم التي يجلبونها لمكة ويدفنونها في الارض لان فيها أثر الوباء الذي يسمونه بالكلرة وانه ذهب لهم بذلك أموال كثيرة وان النصارى الذين بجدة يأخذون رقيقهم ويطلقونه من أيديهم ويرفعون الرق عنه حتى عصى عليهم عبيدهم وقيل ان من أسباب ذلك حبس الشريف عبد الله بن زين أحد الاشراف ذوي حسين وانه لما قبض على الشريف عبد المطلب قبض عليه وعلى الشريف علي بن سعد السروري وحبسا وطالت مدة حبسهما وبدعي عليهما بدعاوى الله أعلم بصحتها وفي شهر جمادى الآخرة من سنة احدى وثلثمائة وردت أخبار الى مكة بان محمد بن حمد القائم بالسودان استولى على الخرطوم وان قصده التوجه الى الصعيد ثم الى مصر وقبل ذلك وقع قتال بين بعض جيوشه وبين الانكليز في برسواكن وكان المقدم على جيش محمد بن حمد في ذلك القتال عثمان دقنة وتكرر القتال بينه وبين الانكليز في وقائع كلها يكون النصر فيها له على الانكليز وقتل منهم خلق كثير ثم انهزموا وبقيت جيوش عثمان دقنة في برسواكن وهذا آخر ما انتهى اليه قلم المؤلف رحمه الله تعالى كما هو آخر مسودة هذا التاريخ وذلك منقول بقلم راجي عفو ربه المنان الطيبي محمد سعيد بن محمد بن سليمان لطف الله به وبوالديه ومشايخه وجميع المسلمين وغفر له ولهما ولهم أجمعين ووفقه لما يرضيه من العلم النافع والعمل الصالح ووجهه للخير أينما كان وختم له بالايمان بجاه سيد الاكوان صلى الله عليه وسلم

(فان لي ذمة منه بتسميتي • محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم)

وذلك يوم السبت الموافق عاشر يوم من شوال من شهور سنة ١٣٠٤ والحمد لله رب العالمين

الطاهرين وسائر الانبياء والمرسلين وآل كل والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين • وقد فرغ مؤلفه من تحريره • ووقفت أنامل أقلامه من تحبيره في ليلة يسفر صباحها عن سبع مضين من شهر ربيع الاول سنة خمس وثمانين وتسعمائة